اللباب

في علوم الكتاب

تأليف

الإمام المفسر أبي حفص عمر بن علي

ابن عادل الدمشقي الحنبلي

المتوفى بعد سنة ٨٨٠ هـ

تحقيق وتعليق

الشيخ عادل أحمد عبد الموجود — الشيخ علي محمد معوض

شارك في تحقيقه برسالته الجامعية

الدكتور محمد سعد رمضان حسن / الدكتور محمد المتولي الدسوقي حرب

الجزء الخامس عشر

المحتوى:

أول سورة الشعراء - آخر سورة الأحزاب

منشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

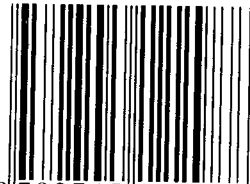
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

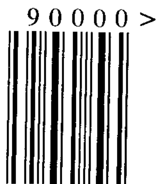
العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١) ٠٠
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH
Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floore.
Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

ISBN 2-7451-2298-3





http://www.al-ilmiyah.com.lb/
e-mail : baydoun@dm.net.lb

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الشعراء

مكية إلاّ قوله: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤ ـ ٢٢٧] إلى آخرها فإنها مدنية(١) وهي مائتان وسبع وعشرون آية، وألف ومائتان وسبع وتسعون كلمة، وخمسة آلاف وخمسمائة واثنان وأربعون حرفاً.

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿طسٓمٓ (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٣) إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ (٤)﴾

قوله تعالى: ﴿طسٓمٓ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾.

أظهر حمزة نُونَ «سِين» قبل الميم، كأنه ناوِ الوقف، وإلاّ فإدغام مثله واجب والباقون يدغمون(٢). وتقدم إعراب الحروف المقطعة. وفي مصحف عبد الله: «ط س م» مقطوعة من بعضها. قيل: وهي قراءة أبي جعفر، يعنون أنه يقف على كل حرف وقفة يميز بها كل حرف، وإلا لم يتصور أن يلفظ بها على صورتها في هذا الرسم(٣) وقرأ عيسى ـ وتروى عن نافع ـ بكسر الميم هنا وفي القصص(٤) على البناء. وأمال(٥) الطاءَ الأخوان وأبو بكر(٦)، وقد تقدم. روى عكرمة عن ابن عباس قال: (طسم) عجزت العلماء عن علم تفسيرها(٧). وروى عليّ بن أبي طلحة الوالبي عن ابن عباس أنه قسم، وهو من أسماء الله تعالى(٧). وقال قتادة: اسم من أسماء القرآن(٧). وقال مجاهد: اسم للسورة(٧). وقال محمد بن كعب القرظي: قسمٌ بطوله وسناه وملكه(٧). «تِلْكَ آيَاتُ» أي: هذه الآيات آيات «الكِتَابِ المُبِينِ» قوله: «لَعَلَّكَ بَاخِعٌ

---

(١) انظر الكشاف ٣/ ١٠٧، والقرطبي ١٣/ ٨٧، والبحر المحيط ٧/ ٥.

(٢) السبعة (٤٧٠)، الكشف ٢/ ١٥٠، الإتحاف (٣٣١).

(٣) وتروى عن نافع. انظر المختصر (١٠٦)، السبعة (٤٧٠) تفسير ابن عطية ١١/ ٨٦ ـ ٨٧، البحر المحيط ٧/ ٥.

(٤) البحر المحيط ٧/ ٥.

(٥) في ب: وأما. وهو تحريف.

(٦) السبعة (٤٧٠)، الإتحاف (٣٣١).

(٧) انظر البغوي ٦/ ٢٠٥.

نَفْسَكَ». قرأ قتادة: «بَاخِعُ نَفْسِكَ» على الإضافة[١]. والمعنى قاتل نفسك «ألاَّ[٢] يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ» أي: إن لم يؤمنوا، وذلك حين كذبه أهل مكة فشق عليه ذلك، وكان يحرص على إيمانهم، فأنزل الله هذه الآية[٣]، وهذا تسليَة للرسول، أي: لا تبالغ في الحزن والأسف، فصبّره وعزّاه وعرّفه أن غمه وحزنه لا ينفع، كما أن وجود الكتاب ووضوحه لا ينفع.

قوله: «إن نَّشَأْ نُنَزِّلْ». العامة على نون العظمة فيهما. وروي عن أبي عمرو بالياء فيهما، أي: إنْ يَشَأ الله يُنزِّل[٤]. و «إن» أصلها أن تدخل على المشكوك فيه[٥] أو المحقق المبهم زمانه، والآية من هذا الثاني.

قوله: «فَظَلَّتْ» عطف على «نُنَزِّلْ» فهو في محل جزم[٦]. ويجوز أن يكون مستأنفاً غير معطوف على الجزاء[٧]. ويؤيد الأول قراءة طلحة: «فَتَظْلَل»[٨] بالمضارع مفكوكاً[٩]. قوله: «خَاضِعِينَ». فيه وجهان:

أحدهما: أنه خبر عن «أَعْنَاقُهُمْ»[١٠]. واستُشكِل جمعه جمع سلامة؛ لأنه مختص بالعقلاء. وأجيب عنه بأوجه:

أحدها: أن المراد بالأعناقِ: الرؤساء كما قيل: لهم وجوه وصدور[١١]، قال:

٣٨٩٤ ـ فِي مَحْفِلٍ مِن نواصِي الخَيلِ مَشْهُودِ[١٢]

الثاني: أنه على حذف مضاف، أي: فظل أصحاب الأعناق، ثم حذف وبقي الخبر على ما كان عليه قبل حذف المُخْبَرِ عنه مراعاة للمحذوف[١٣]، وتقدم ذلك قريباً عند قراءة: «وَقَمَراً مُنِيراً» [الفرقان: ٦١].

الثالث: أنه لما أضيف إلى العقلاء اكتسب منهم هذا الحكم[١٤]، كما يكتسب التأنيث بالإضافة لمؤنث في قوله:

---

(١) المختصر (١٠٦)، الكشاف ٣/١٠٧، البحر المحيط ٧/٥.
(٢) في ب: قوله: «ألا...». (٣) انظر البغوي ٦/٢٠٥ ـ ٢٠٦.
(٤) تفسير ابن عطية ١١/٧٨٨، البحر المحيط ٧/٥.
(٥) (فيه): تكملة ليست في المخطوط.
(٦) انظر الكشاف ٣/١٠٧، البيان ٢/٢١١، التبيان ٢/٩٩٣.
(٧) انظر التبيان ٢/٩٩٣. (٨) في النسختين: فتظال.
(٩) البحر المحيط ٧/٥. (١٠) انظر البيان ٢/٢١١.
(١١) نقله الفراء عن مجاهد. معاني القرآن ٢/٢٧٧، البيان ٢/٢١١، التبيان ٢/٩٩٣.
(١٢) عجز بيت من بحر البسيط، قالته أم قبيس الضبية، وصدره:

ومشهد قد كفيت الغائبين

وهو في الكشاف ٣/١٠٧، اللسان (نصا) براوية (الناس) مكان (الخيل) والبحر المحيط ٧/٦.
(١٣) انظر البيان ٢/٢١١، التبيان ٢/٩٩٣.
(١٤) قال الأخفش: (أو يكون ذكره لإضافته إلى المذكر كما يؤنث لإضافته إلى المؤنث) معاني القرآن ٢/٦٤٤. وانظر البيان ٢/٢١١ ـ ٢١٢، التبيان ٢/٩٩٣.

٣٨٩٥ ـ كَمَا شَرَقَتْ صَدْرُ القَنَاةِ مِنَ الدَّمِ(١)

الرابع: أن «الأعناق» جمع «عُنُقٍ» من الناس، وهم الجماعة(٢)، فليس المراد الجارحة البتة، ومنه قوله:

٣٨٩٦ ـ أَنَّ العِرَاقَ وأَهْلَهُ عُنُقٌ إلَيْكَ فَهَيْتَ هَيْتَا(٣)

وهذا قريب من معنى الأول، إلا أن هذا القائل يطلق «الأعناق» على جماعة الناس مطلقاً، رؤساء كانوا أو غيرهم.

الخامس: قال الزمخشري: أصل الكلام: فظلوا لها خاضعين، فأقحمت «الأعناق» لبيان موضع الخضوع، وترك الكلام على أصله كقولهم: ذَهَبَتْ أهل [اليمامة، كأن الأهل غير مذكور(٤). قال شهاب الدين: وفي التنظير بقوله: ذهبت أهل اليمامة](٥) نظر، لأن (أهل) ليس مقحماً البتة، لأنه المقصود بالحكم، وأما التأنيث فلاكتسابه التأنيث(٦) (بالإضافة)(٧).

السادس: أنها عوملت معاملة العقلاء لمَّا أُسْنِدَ إليهم ما يكون فِعْل العقلاء(٨)، كقوله: «سَاجِدِينَ»(٩) و «طَائِعِين»(١٠) في يوسف وفصلت(١١).

وقيل: إنما قال: «خَاضِعِينَ» لموافقة رؤوس الآي.

والثاني: أنه منصوب على الحال من الضمير في «أَعْنَاقُهُم» قاله الكسائي(١٢) وضعفه أبو البقاء، قال: لأن «خَاضِعِين» يكون جارياً على غير فاعل «ظَلَّتْ» فيفتقر إلى إبراز ضمير الفاعل، فكان يجب أن يكون: خاضعين هم(١٣).

---

(١) عجز بيت من بحر الطويل، قاله الأعشى، وصدره:

وتشرق بالقول الذي قد أذعته

وتقدم تخريجه. والشاهد فيه قوله: شرقت فإنه أنثه مع أن الفاعل مذكر، لأنه مضاف إلى مؤنث وهو (القناة) فاكتسب التأنيث منه.

(٢) أشار إليه الأخفش؛ فإنه قال: (يزعمون أنها على الجماعات نحو: هذا عنق من الناس. يعنون الكثير) معاني القرآن ٢/ ٦٤٣ ـ ٦٤٤، وانظر التبيان ٢/ ٩٩٣.

(٣) البيت من بحر الكامل، أنشده الفراء لرجل يدعو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب للذهاب إلى العراق. وهو في معاني القرآن ٢/ ٤٠، الخصائص ١/ ٢٧٩، تفسير ابن عطية ١١/ ٨٩، ابن يعيش ٤/ ٣٢، اللسان (عنق، هيت)، البحر المحيط ٧/ ٥ عنق: بمعنى الجماعة، وهو موطن الشاهد، ورواية الفراء: سلم عليك فلا شاهد فيها. هيت: اسم فعل أمر بمعنى أسرع.

(٤) الكشاف ٣/ ١٠٧.

(٥) ما بين القوسين سقط من الأصل.

(٦) الدر المصون ٥/ ١٥٠.

(٧) زيادة يستقيم بها الكلام.

(٨) انظر تفسير ابن عطية ١١/ ٩١، البحر المحيط ٧/ ٦.

(٩) من قوله تعالى: ﴿رأيتهم لي ساجدين﴾ [يوسف: ٤].

(١٠) من قوله تعالى: ﴿قالتا أتينا طائعين﴾ [فصلت: ١١].

(١١) في النسختين: والسجدة.

(١٢) انظر التبيان ٢/ ٩٩٣.

(١٣) التبيان ٢/ ٩٩٣.

قال شهاب الدين: ولم يجر «خَاضِعِين» في اللفظ والمعنى إلا على من هُوَ له، وهو الضمير في «أَعْنَاقُهُمْ»، والمسألة التي قالها: هي أن يجري الوصف على غير من هو له في اللفظ دون المعنى، فكيف يلزم ما ألزمه به، على أنه لو كان كذلك لم يلزم ما قاله، لأن[1] الكسائي والكوفيين[2] لا يوجبون إبراز الضمير في هذه المسألة[3] إذا أمن اللبس، فهو (لا)[4] يلتزم ما ألزمه به، ولو ضعفه بمجيء الحال من المضاف إليه لكان أقرب، على أنه لا يضعف؛ لأن المضاف جزء من المضاف إليه كقوله: ﴿مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا﴾[5].

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ۝٥ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَـٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٦ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝٧ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝٨ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٩﴾

قوله تعالى: «وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ» وعظ وتذكر «مِنَ الرَّحْمٰنِ مُحْدَثٍ» أي: محدث إنزاله فهو محدث في التنزيل. قال الكلبي: «كلما نزل شيء من القرآن بعد شيء فهو أحدث من الأول»[6].

وقوله: «إلاَّ كَانُوا» جملة حالية، وتقدم تحقيق هذا وما قبله في أول الأنبياء[7]. ومعنى «مُعْرِضِينَ» أي: عن الإيمان به.

قوله: «فَقَدْ كَذَّبُوا» أي: بلغوا النهاية في ردّ آيات الله، «فَسَيَأْتِيهِمْ» أي: فسوف يأتيهم «أَنْبَاءُ»: أخبار وعواقب «مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُون» وذلك إما عند نزول العذاب عليهم في الدنيا، أو عند المعاينة في الآخرة كقوله تعالى: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾[8]. قوله[9]: «أَوَ لَمْ يَرَوْا إِلَى الأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ» أي: صنف، والكريم صفة لكل ما يرضى ويحمد في بابه، يقال: «وجه كريم» إذا كان مرضياً في حسنه وجماله. و «كتاب

---

(١) في ب: إلا أن. (٢) في ب: والكوفيون.

(٣) ذهب الكوفيون إلى أن الضمير في اسم الفاعل إذا جرى على غير من هو له نحو قولك: هند زيد ضاربته هي لا يجب إبرازه. وذهب البصريون إلى أنه يجب إبرازه، وأجمعوا على أنّ الضمير في اسم الفاعل إذا جرى على من هو له لا يجب إبرازه. انظر الإنصاف ١/ ٥٧ ـ ٥٨ المسألة (٨).

(٤) لا: زيادة يتم بها المعنى.

(٥) [الحجر: ٤٧]. الدر المصون ٥/ ١٥٠. وهذا التنظير بناء منه على القول بأن «خاضعين» حال، وانظر البيان ٢/ ٢١١ ـ ٢١٢.

(٦) انظر البغوي ٦/ ٢٠٦.

(٧) عند قوله تعالى: **﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون﴾** الآية [٢].

(٨) [ص: ٨٨] انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١١٩ ـ ١٢٠.

(٩) في ب: قوله تعالى.

كريم»: إذا كان مرضياً في فوائده ومعانيه. و «النبات الكريم»: هو المرضيّ في منافعه مما يأكل الناس والأنعام[١] يقال: نخلة كريمة: [إذا طاب حملها، وناقة كريمة][٢]: إذا كثر[٣] لبنها. قال الشعبي: الناس مثل نبات الأرض، فمن دخل الجنة فهو كريم، ومن دخل النار فهو لئيم[٤].

قوله: «كَمْ أَنْبَتْنَا». «كَمْ»[٥] للتكثير، فهي خبرية، وهي منصوبة بما بعدها على المفعول به، أي: كثيراً من الأزواج أنبتنا، و «مِنْ كُلِّ زَوْجٍ» تمييز[٦].

وجوَّز أبو البقاء أن تكون حالاً[٧]. ولا معنى له. قال الزمخشري: فإن قلت: ما معنى الجمع بين «كَمْ» و «كُلِّ» ولو قيل: أنبتنا فيها من زوج كريم[٨]. قلت: قد دل «كُلِّ» على الإحاطة بأزواج النبات على سبيل التفصيل، و «كَمْ» على أن هذا المحيط مُتَكَاثِرٌ مُفْرِطٌ في الكثرة[٩].

قوله: «إِنَّ فِي ذَلِكَ» الذي ذكرت «لآيَةً» دلالة على وجودي وتوحيدي وكمال قدرتي وقوله: «لِلْمؤْمِنِينَ» كقوله: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢] لأنهم المنتفعون بذلك، «وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ»: مصدقين، أي: سبق علمي فيهم أن أكثرهم لا يؤمنون.

وقال سيبويه: (كان) هنا صلة، مجازه: وما أكثرهم[١٠] مؤمنين[١١]. «وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العَزِيزُ الرَّحِيمُ» وإنما قدم ذكر «العزيز» على ذكر «الرَّحِيم» لأنه لو لم يقدِّمه لكان ربما قيل: إنه رحيم لعجزه عن عقوبتهم، فأزال هذا الوهم بذكر «العزيز» وهو الغالب القاهر، ومع ذلك فإنه رحيم بعباده، فإن الرحمة إذا كانت عن القدرة الكاملة كانت أعظم وقعاً[١٢]. فإن قيل: حين ذكر الأزواج دلَّ عليها بكلمتي الكثرة والإحاطة، وكان لا يحصيها إلا عالم الغيب، فكيف قال: «إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً»؟ وهلا قال: لآيات؟. فالجواب من وجهين:

أحدهما: أن يكون ذلك مشاراً به إلى مصدر «أنبتنا» فكأنه قال: إن في ذلك الإنبات لآية.

والثاني: أن يراد: إن في كل واحد من تلك الأزواج لآية[١٣].

---

(١) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٢٠.
(٢) ما بين القوسين مكرر في الأصل.
(٣) في ب: كبر. وهو تحريف.
(٤) انظر البغوي ٦/ ٢٠٧ القرطبي ١٣/ ٩١.
(٥) في ب: لم. وهو تحريف.
(٦) انظر التبيان ٢/ ٩٩٤.
(٧) انظر التبيان ٢/ ٩٩٤.
(٨) في النسختين: من كل زوج. والتصويب من الكشاف.
(٩) الكشاف ٣/ ١٠٨.
(١٠) في ب: وما كان أكثرهم.
(١١) أي: أن (كان) زائدة بين (ما)، و(أفعل). قال سيبويه: (وتقول: ما كان أحسن زيداً. فتذكر (كان) لتدل أنه فيما مضى) الكتاب ١/ ٧٣.
(١٢) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٢٠.
(١٣) المرجع السابق.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ﴾ الآية. العامل في «إِذْ نَادَىٰ» مضمر، فقدره الزجاج: اتْلُ[١]. وقدره غيره[٢]: اذكر. واختلف[٣] في النداء الذي سمعه موسى ـ عليه السلام[٤] ـ من الله تعالى، فقيل[٥]: هو الكلام القديم، فكما أن ذاته تعالى لا تشبه سائر الذوات مع أن[٦] الدليل دل على أنها معلومة ومرتبة، فكذا كلامه منزه عن مشابهة الحرف والصوت مع أنه مسموع[٧] وقيل[٨]: كان نداء من جنس الحروف والأصوات[٩].

وقالت المعتزلة: كان ذلك النداء حروفاً وأصواتاً علم به موسى من قبل الله تعالى فصار معجزاً، علم به موسى أن الله تعالى مخاطب له فلم يحتج مع ذلك إلى واسطة[١٠].

قوله: «أَن ائْتِ القَوْمَ الظَّالِمِينَ». يجوز أن تكون «أَنْ» مفسِّرة، وأن تكون مصدرية، أي: بأن[١١]. قوله: «قَوْمَ فِرْعَوْنَ». بدل[١٢] أو عطف بيان لـ «القَوْمَ الظَّالِمِينَ»[١٣]. وقال أبو البقاء: إنه مفعول (تَتَّقُونَ) على قراءة من قرأ (تَتَّقُونَ) بالخطاب وفتح النون[١٤]، كما سيأتي. ويجوز على هذه القراءة أن يكون منادى[١٥]. قوله: «أَلاَ يَتَّقُونَ». العامة على الياء في «يَتَّقُونَ» وفتح النون، والمراد قوم فرعون، والمفعول محذوف، أي: يتقون عقابي، [وقرأ عبد الله بن مسلم بن يسار، وحماد[١٦]، وشقيق بن سلمة[١٧] بالتاء من فوق[١٨]

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٨٤.
(٢) وهو أبو البقاء فإنه قال: (قوله تعالى: ﴿وإذ نادى﴾، أي: واذكر إذ نادى﴾ التبيان ٢/ ٩٩٤.
(٣) أي اختلف أهل السنة.
(٤) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٥) هو قول أبي الحسن الأشعري.
(٦) في ب: أنها.
(٧) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٢١.
(٨) هو قول أبي منصور الماتريدي.
(٩) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٢١.
(١٠) المرجع السابق.
(١١) انظر تفسير ابن عطية ١١/ ٩٣، التبيان ٢/ ٩٩٤.
(١٢) انظر التبيان ٢/ ٩٩٤، القرطبي ١٣/ ٩١.
(١٣) انظر الكشاف ٣/ ١٠٨.
(١٤) حكاه أبو البقاء، فإنه قال: (وقيل: هو مفعول «يتقون») التبيان ٢/ ٩٩٤.
(١٥) المرجع السابق.
(١٦) هو حماد بن سلمة بن دينار أبو سلمة البصري، الإمام الكبير، روى عن عاصم، وابن كثير، وروى عنه حجاج بن المنهال، وغيره، مات سنة ١٦٧ هـ. طبقات القراء ١/ ٢٥٨.
(١٧) هو شقيق بن سلمة أبو وائل الكوفي الأسدي، أدرك زمن النبي ـ ﷺ عرض على عبد الله بن مسعود، وروى عنه الأعمش. مات سنة ٨٢هـ. طبقات القراء ١/ ٣٢٨.
(١٨) أي: «تتقون»، وخرجها ابن جني على إضمار قول، أي: قل لهم: ألا تتقون. انظر المحتسب ٢/ ١٢٧، وتفسير ابن عطية ١١/ ٩٣، البحر المحيط ٧/ ٧.

على الالتفات، خاطبهم بذلك توبيخاً][١][٢] والتقدير: يا قوم فرعون[٣].

وقرأ بعضهم: «يَتَّقُونِ» بالياء من تحت، وكسر النون[٤]، وفيها تخريجان:

أحدهما: أن «يَتَّقُونِ» مضارع، ومفعوله ياء المتكلم اجتزىء عنها بالكسرة[٥].

والثاني: جوّزه الزمخشري، أن تكون «يا» للنداء، و «اتَّقُونِ» فعل أمر، كقوله: «أَلاَ يَا اسْجُدُوا»[٦] أي: يا قوم اتقون، أو يا ناس اتقون[٧]. وسيأتي تحقيق مثل هذا في السورة تحتها[٨]. وهذا تخريج بعيد[٩].

وفي هذه الجملة وجهان:

أحدهما: أنها مستأنفة لا محل لها من الإعراب[١٠].

وجوّز الزمخشري أَنْ تكون حالاً من الضمير في «الظَّالِمِينَ» أي: يظلمون غير متَّقين اللَّهَ وعقابَه، فأُدخلت همزةُ الإنكار على الحال[١١]. وخطأه أبو حيان من وجهين:

أحدهما: أنه يلزم عنه الفصل بين الحال وعاملها بأجنبي منهما، فإن أعرب «قَوْمَ فِرْعَوْنَ» عطف بيان لـ «القَوْمَ الظَّالمينَ».

والثاني: أنه على تقدير تسليم ذلك لا يجوز أيضاً؛ لأن ما بعد الهمزة لا يعمل فيما قبلها، قال: وقولك: (جئتُ أمسرعاً)[١٢]، إن جعلت (مسرعاً) معمولاً لـ (جئت) لم يجز، فإن أضمرت عاملاً جاز[١٣]. والظاهر أن «أَلاَ» للعرض[١٤].

وقال الزمخشري: إنها (لا) النافية، دخلت عليها همزة الإنكار[١٥]. وقيل: هي للتنبيه[١٦].

---

(١) انظر الكشاف ٣/١٠٨، البحر المحيط ٧/٧.

(٢) ما بين القوسين تكملة من الدر المصون ٥/١٥١.

(٣) انظر التبيان ٢/٩٩٤.

(٤) قال ابن خالويه: («ألا يتقون» بكسر النون أجازه عيسى) المختصر (١٠٦).

(٥) قال الزمخشري: قرىء «ألا يتقون» بكسر النون، بمعنى: ألا يتقونني. فحذفت النون، لاجتماع النونين، والياء للاكتفاء بالكسرة) الكشاف ٣/١٠٨.

(٦) في ب: «ألا يسجدوا» [النمل: ٢٥]، وما في الأصل قراءة الكسائي، وما في ب: قراءة الباقين.

(٧) قال الزمخشري: وفي «ألا يتقون» بالياء وكسر النون وجه آخر وهو أن يكون المعنى: ألا يا ناس اتقون، كقوله: «ألا يسجدوا». الكشاف ٣/١٠٨.

(٨) أي: في السورة التي بعدها، وهي سورة النمل.

(٩) قال أبو حيان: (وهو تخريج بعيد والظاهر أن (ألا) للعرض المضمن الحضّ على التقوى) البحر المحيط ٧/٧.

(١٠) انظر الكشاف ٣/١٠٨.

(١١) المرجع السابق.

(١٢) في النسختين: جئت مسرعاً. والتصويب من البحر المحيط.

(١٣) انظر البحر المحيط ٧/٧.

(١٤) هو قول أبي حيان. البحر المحيط ٧/٧.

(١٥) تابع ابن عادل هنا أبا حيان في النقل عن الزمخشري، وعبارة الزمخشري هي: (ويحتمل أن يكون «لا يتقون» حالاً من الضمير في «الظالمين» أي: يظلمون غير متقين الله وعقابه، فأدخلت همزة الإنكار على الحال) الكشاف ٣/١٠٨.

(١٦) فيكون المعنى: قل لهم: ألا تتقون. انظر القرطبي ١٣/٩١. وقال أبو حيان: (وقول من قال: إنها للتنبيه لا يصح) البحر المحيط ٧/٧.

فصل[١]

قوله[٢]: «نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ» حين رأى الشجرة والنار «أَن ائْتِ القَوْمَ الظَّالِمِينَ» أي: الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعصية، فحكم عليهم بالظلم من وجهين:

الأول: ظلموا أنفسهم بكفرهم.

والثاني: ظلمهم بني إسرائيل[٣] باستعبادهم وسومهم سوء العذاب[٤]. «قَوْمَ فِرْعَوْنَ» عطف «قَوْمَ فِرْعَوْنَ» على «القَوْمَ الظَّالِمِينَ» فهما يدلان لفظاً على معنى واحد[٥]. «أَلاَ يَتَّقُونَ» أي: يصرفون عن أنفسهم عقوبة الله بطاعته. ومن قرأ «تَتَّقُونَ» بالخطاب[٦] فعلى الالتفات إليهم وصرف[٧] وجوههم بالإنكار والغضب عليهم، كمن يشكو من جناية والجاني حاضر، فإذا اندفع في الشكاية، وحمي غضبه قطع بأنه يخاطب صاحبه، وأقبل على الجاني يوبخه ويعنفه ويقول له: ألم تتق الله؟ ألم تستحي من الناس؟ فإن قيل: فما الفائدة في هذا الالتفات والخطاب مع موسى ـ عليه السلام[٨] ـ في وقت المناجاة، والملتفت إليهم غائبون لا يشعرون؟. قلنا: أجري ذلك في تكليم المرسل[٩] إليهم معنى إجرائه بحضرتهم وإلقائه إلى مسامعهم، لأنه مبلغهم[١٠]، وله فيه لطف وحث على زيادة التقوى، وكم من آية نزلت في الكافرين وفيها أوفر نصيب للمؤمنين تدبراً بها، واعتباراً بمواردها[١١].

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ لما أمر موسى ـ عليه السلام[١٢] ـ بالذهاب إلى قوم فرعون طلب موسى ـ عليه السلام ـ أن يبعث معه هارون ـ عليه السلام ـ ثم ذكر[١٣] الأمور الداعية إلى ذلك السؤال[١٤]. فقوله: «أَنْ يُكَذِّبُونِ» مفعول «أَخَافُ» أي: أخاف تكذيبهم إياي.

(١) فصل: سقط من ب.
(٢) قوله: سقط من الأصل.
(٣) إسرائيل: سقط من ب.
(٤) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٢١.
(٥) المرجع السابق.
(٦) وهي قراءة عبد الله بن مسلم بن يسار، وحماد، وشقيق بن سلمة.
(٧) في النسختين: وضرب. والتصويب عن الفخر الرازي.
(٨) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٩) في النسختين: الرسل. والتصويب من الفخر الرازي.
(١٠) في النسختين: مبلغه. والتصويب من الفخر الرازي.
(١١) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٢٢.
(١٢) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٣) في ب: أمر. وهو تحريف.
(١٤) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٢٢.

قوله: «وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلاَ يَنْطَلِقُ»[١] الجمهور على الرفع، وفيه وجهان:

أحدهما: أنه مستأنف[٢]، أخبر بذلك.

والثاني: أنه معطوف على خبر «إنَّ»[٣] وقرأ زيدُ بن عليّ، وطلحة، وعيسى، والأعمش بالنصب فيهما[٤]. والأعرج بنصب الأول ورفع الثاني[٥]. فالنصب عطف على صلة «أنْ»[٦] فتكون الأفعال الثلاثة: «يُكَذِّبُونِ»[٧] وَ«يَضِيقُ»، وَ«لاَ يَنْطَلِقُ» داخلة في حيِّز الخوف.

قال الزمخشري: «والفرق بينهما[٨]، أي: الرفع والنصب، أَنَّ الرفع[٩] يفيد أن فيه ثلاث عللٍ: خوفُ التكذيب، وضيق الصدر، وامتناع انطلاق اللسان، والنصبُ على أنَّ خوفه متعلق بهذه الثلاثة. فإن قلت: في النصب تعليق الخوف بالأمور الثلاثة، وفي جُمْلَتِهَا نَفْيُ انطلاق اللسان، وحقيقه الخوف إنَّما يلحق الإنسان لأمر سيقع، وذلك كان واقعاً، فكيف جاز تعليق الخوف به؟ قلت: قد عَلَّقَ الخوف بتكذيبهم، وبما يحصل له من ضيق الصدر، والحُبْسَة في اللسان زائدة على ما كان به، على أن تلك الحُبْسَة التي كانت به زالت بدعوته. وقيل: بقيتْ منها بقيَّة يسيرة. فإن قلت: اعتذارك هذا يردّه الرفع، لأنّ المعنى: إنِّي خائفٌ ضيِّقُ الصدرِ غيرُ مُنْطَلِق اللسان؟ قلت: يجوز أن يكون هذا قبل الدعوة واستجابتها ويجوز أن يريد القدر اليسير الذي بقي»[١٠].

قوله: «فَأَرْسِلْ» أي: فأرسل جبريلَ أو الملكَ، فحذف المفعول به، أي: ليؤازرني ويظاهرني على تبليغ الرسالة[١١]. قيل: إن الله تعالى أرسل موسى[١٢].

قال السُّدِّيّ: إن موسى ـ عليه السلام[١٣] ـ سار بأهله إلى مصر، والتقى بهارون وهو لا يعرفه، فقال: أنا موسى، فتعارفا، وأمره أن ينطلق معه إلى فرعون لأداء الرسالة[١٤]. وقيل: أرسل جبريل إليه كما يرسل إلى الأنبياء ـ عليهم السلام ـ[١٥] فلما

---

(١) في ب: . . . . ولا ينطلق لساني. (٢) انظر التبيان ٢/ ٩٩٤.
(٣) انظر معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٧٨.
(٤) تفسير ابن عطية ١١/ ٩٤، البحر المحيط ٧/٧.
(٥) قال أبو حيان: (وحكى أبو عمرو الداني عن الأعرج أنه قرأ بنصب «ويضيق» ورفع «ولا ينطلق») البحر المحيط ٧/ ٧.
(٦) انظر التبيان ٢/ ٩٩٤. (٧) في ب: يكون. وهو تحريف.
(٨) في الكشاف: والفرق بينهما في المعنى.
(٩) في النسختين: أن الرفع فيه. (١٠) الكشاف ٣/ ١٠٨ ـ ١٠٩.
(١١) انظر الكشاف ٣/ ١٠٩.
(١٢) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٢٣، البحر المحيط ٧/ ٨.
(١٣) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٤) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٢٣، البحر المحيط ٧/ ٨.
(١٥) في ب: عليهما الصلاة والسلام.

كان متعيناً لهذا الأمر حذف ذكر المرسل لكونه معلوماً[١].

قوله: «وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ». أي: دعوى ذنب، وهو قتله للقبطي، أي: لهم عليَّ ذنب في زعمهم «فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ» أي: يقتلونني، فقال الله تعالى: «كَلاًّ» أي: لن يقتلوك[٢].

قوله: «فَاذْهَبَا» عطف على ما دل عليه حرف الردع من الفعل، كأنه قيل: ارتدع عما تظن فاذهب أنت وأخوك[٣] «بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ» سامعون ما تقولون قال: «مَعَكُمْ» بلفظ الجمع، وهما اثنان، أجراهما مجرى الجماعة.

وقيل: أراد معكما ومع بني إسرائيل نسمع ما يجيبكم فرعون[٤]، «فَأْتِيَا فِرْعَونَ فَقُولاَ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ العَالَمِينَ» إنما أفرد «رَسُول» إمّا لأنه مصدر[٥] بمعنى: رسالة والمصدر يُوَحَّدُ، ومن مجيء «رَسُول» بمعنى رسالة قوله[٦]:

٣٨٩٧ ـ لَقَدْ كَذَبَ الوَاشُونَ مَا فُهتُ عِندَهُمْ بِسِرٍّ وَلاَ أَرْسَلْتُهُمْ بِرَسُولِ[٧]

أي برسالة. وإما لأنهما ذَوَا شريعة واحدة فنُزِّلا منزلة رسول[٨].

وإما لأن المعنى: كل واحد منا رسول[٩]. وإما لأنه من وضع الواحد موضع التثنية لتلازمهما[١٠]، فصارا كالشيئين المتلازمين، كالعينين واليدين. وحيث لم يقصد هذه المعاني طابق في قوله: ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ [طه: ٤٧]. وقال أبو عبيد[١١]: يجوز أن يكون «الرسول» بمعنى الاثنين والجمع، تقول العرب: هذا رسولي ووكيلي، [وهذان رسولي ووكيلي][١٢]، وهؤلاء رسولي ووكيلي[١٣]، كما قال: ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ [الكهف: ٥٠]. قوله: «أَنْ أَرْسِلْ». يجوز أن تكون مفسِّرة لـ «رَسولُ»[١٤] إذا قيل: بأنه بمعنى

---

(١) انظر الفخر الرازي ٢٤/١٢٣. (٢) انظر البغوي ٦/٢٠٨.
(٣) انظر الكشاف ٣/١٠٩. (٤) انظر تفسير ابن عطية ١١/٩٥، القرطبي ١٣/٩٣.
(٥) وهو قول أبي عبيدة ٢/٨٤، وانظر البيان ٢/٢١٢، التبيان ٢/٩٩٤، البحر المحيط ٧/٨.
(٦) في ب: فقوله. وهو تحريف.
(٧) البيت من بحر الطويل، قاله كثير، وهو في ديوانه (١١٠)، ومجاز القرآن ٢/٨٤، تفسير غريب القرآن (٣١٦)، والمذكر والمؤنث ٢/٢٩٣، الكشاف ٣/١١٠، البيان ٢/٢٠٦، ٢١٢، القرطبي ١٣/٩٣، اللسان (رسل). الواشون: جمع واش، وهو الساعي بين الناس يوقع بينهم، وروي: (ما بحت) بدل (ما فهت)، وفي ب: برسولي. والشاهد فيه: قوله: (برسول)، فإنه مصدر بمعنى: رسالة.
(٨) انظر الكشاف ٣/١١٠، البحر المحيط ٧/٨.
(٩) انظر القرطبي ١٣/٩٤، البحر المحيط ٧/٨.
(١٠) أي: رسول الله موسى وأخوه هارون.
(١١) في النسختين: أبو عبيدة. والتصويب من القرطبي.
(١٢) ما بين القوسين سقط من الأصل. (١٣) انظر القرطبي ١٣/٩٤.
(١٤) انظر الكشاف ٣/١١٠.

الرسالة، شرحا الرسالة بهذا وبيَّناها به. ويجوز أن تكون المصدرية[١]، أي: رسول بكذا، والمراد من هذا الإرسال: التخلية والإرسال، كقولك: أرسل البازي[٢].

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾. اعلم أن في الكلام حذفاً، وهو أنهما أتياه وقالا ما أمر الله به، فعند ذلك قال فرعون ما قال. روي أنهما انطلقا إلى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب: إن هنا إنساناً يزعم أنه رسول رب العالمين. فقال: ائذن له لعلنا نضحك منه، فأديا إليه الرسالة، فعرف موسى، فعدد عليه نعمه أولاً ثم إساءة موسى إليه[٣]. أما النعم فهي قوله: «أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً» والوليد: الصبي، لقرب عهده من الولادة[٤]. وقيل: الغلام، تسمية له بما كان عليه[٥]. و «وَلِيداً» حال من مفعول [نُرَبِّك][٦]، وهو فعيل بمعنى مفعول[٧]. قوله: «وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ» قرأ أبو عمرو في رواية بسكون ميم «عُمْرِكَ»[٨] تخفيفاً لـ «فُعُل»، و «مِنْ عُمْرِكَ» حال من «سِنِينَ»[٩].

قيل: لبث عندهم ثلاثين سنة[١٠]، وقيل: وكَز[١١] القبطي، وهو ابن اثنتي عشرة[١٢] سنة[١٣] قوله: «وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ». قرأ الشعبي: «فِعْلَتَكَ» بالكسر على الهيئة[١٤]، لأنها نوع من القتل[١٥]، وهي الوَكْزَةُ «وَأَنْتَ مِنَ الكَافِرِينَ». يجوز أن يكون

---

(١) انظر البحر المحيط ٧/٨.
(٢) انظر الفخر الرازي ٢٤/١٢٤. والبازي: واحد البزاة التي تصيد، ضرب من الصقور. اللسان (بزا).
(٣) انظر الفخر الرازي ٢٤/١٢٥.
(٤) المرجع السابق.
(٥) أي: أنه مجاز مرسل علاقته اعتبار ما كان.
(٦) نربّك: تكملة ليست في المخطوط.
(٧) انظر البحر المحيط ٧/١٠.
(٨) رواها عنه الخفاف، وعبيد. السبعة (٤٧١)، المختصر (١٠٦)، تفسير ابن عطية ١١/٩٧، البحر المحيط ٧/١٠.
(٩) انظر التبيان ٢/٩٩٤.
(١٠) انظر الفخر الرازي ٢٤/١٢٥.
(١١) في ب: ولر. وهو تحريف.
(١٢) في النسختين: اثني عشر. والتصويب من الفخر الرازي.
(١٣) انظر الفخر الرازي ٢٤/١٢٥.
(١٤) معاني القرآن للفراء ٢/٢٧٩، المختصر (١٠٦)، المحتسب ٢/١٢٧، تفسير ابن عطية ١١/٩٧، البحر المحيط ٧/١٠.
(١٥) في ب: لا سيما من قتل. وهو تحريف.

حالاً[١]. قال ابن عباس: أي: وأنت من الكافرين لنعمتي أي[٢]: وأنت إذ ذاك ممن تكفرهم الساعة، وقد افترى عليه أو جهل أمره؛ لأنه كان يعاشرهم بالتَّقيَّة[٣]، فإن الكفر غير جائز على الأنبياء قبل النبوة[٤]. ويجوز أن يكون مستأنفاً[٥]، ومعناه وأنت ممن عادته كفران النعم، ومن كانت هذه حاله لم يستبعد منه قتل خواص ولي نعمه[٦]. وقيل: «مِنَ الكَافِرِينَ» بفرعون وإلاهيَّته، أو من الذين يكفرون في دينهم، فقد كانت لهم آلهة يعبدونها[٧] بدليل قوله: ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ [الأعراف: ١٢٧] قوله: «قَالَ فَعَلْتُهَا إِذاً وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ». «إذاً» هنا حرف جواب فقط. قال الزمخشري: إنها جوابٌ وجزاءٌ معاً قال: فإنْ قُلْتَ: (إذاً) حرف جواب وجزاءَ معاً، والكلام وقع جواباً لفرعون، فكيف وقع جزاء؟ قلت: قول فرعون: «وَفَعَلْتَ فَعْلتكَ» فيه معنى أنك جازيت نعمتي بما فعلت، فقال له موسى: نعم فعلتها مجازياً لك تسليماً لقوله، كأن نعمته كانت عنده جديرة بأن تُجَازَى بنحو ذلك الجزاء[٨]. قال أبو حيان: وهذا مذهب سيبويه، يعني: أنها للجزاء والجواب[٩] معاً، قال: ولكن شراح الكتاب فهموا أنها قد تتخلف عن الجزاء، والجواب معنى لازم لها[١٠].

فصل

واعلم أن فرعون عدد عليه نعمه من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال، ووبخه بما جرى على يده من قتل أجناده، وعظم ذلك بقوله: «وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ».

ولما ذكر فرعون التربية ذكر القتل، وكانت تربيته معلومة ما أنكرها موسى ـ عليه السلام[١١] ـ وقد تقرر في العقول أن الرسول إلى الغير إذا كان معه معجزة وحجة لم يتغير[١٢] حاله بأن يكون المرسل إليه أنعم عليه أو لم ينعم، فصار قول فرعون غير مؤثر فالإعراض عنه أولى، ولكن أجاب عن القتل بما لا شيء أبلغ منه في الجواب، فقال: «فَعَلْتُهَا إِذاً وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ» أي: من الجاهلين، أي: لم يأتني من عند الله شيء، أو من

---

(١) انظر الكشاف ٣/ ١٠٠، البحر المحيط ٧/ ١٠.
(٢) في ب: أو.
(٣) أي: يظهر لهم خلاف ما يبطن.
(٤) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٢٥.
(٥) انظر البحر المحيط ٧/ ١٠.
(٦) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٢٥.
(٧) المرجع السابق.
(٨) الكشاف ٣/ ١١١.
(٩) قال سيبويه: (وأما «إذن» فجواب وجزاء) الكتاب ٤/ ٢٣٤.
(١٠) انظر البحر المحيط ٧/ ١١. أي: أي سيبويه قال معناها الجواب والجزاء فقال الشلوبين: دائماً في كل موضع، وقال أبو علي الفارسي غالباً في أكثر المواضع كقولك لمن قال: أزورك: إذن أكرمك، فقد أجبته وجعلت إكرامه جزاء زيارته، أي: إن تزرني أكرمتك، قال: وقد تتمحض للجواب كقولك لمن قال: أحبك: إذن أصدقك. إذ لا مجازاة هنا، والشلوبين يتكلف في جعل مثل هذا جزاء، أي: إن كنت قلت ذلك حقيقة صدقتك. انظر الهمع ٢/ ٦، الأشموني ٣/ ٢٩٠ ـ ٢٩١.
(١١) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٢) في ب: يتعين. وهو تحريف.

الجاهلين بأن ذلك يؤدي إلى قتله، لأنه وكزه تأديباً، ومثل ذلك ربما حَسُن[١]. وقيل: من المخطئين، فبين أنه فعله على وجه لا تجوز المؤاخذة[٢] به، فيعد كافراً لنعمه[٣].

قوله: «فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ». العامة على تشديد ميم[٤] «لَمَّا» وهي «لَمَّا» التي هي حرف وجوب عند سيبويه[٥]. أو بمعنى «حِينَ» عند الفارسي[٦]. وروي عن حمزة بكسر اللام وتخفيف الميم[٧]، أي: لِتَخَوُّفِي مِنْكُمْ، و «ما» مصدرية. وهذه القراءة تشبه قراءته في «آل عمران»: ﴿لِمَا آتَيْتُكُم﴾[٨] [آل عمران: ٨١]. وقد تقدمت مستوفاة.

(قال الزمخشري: إنما جمع الضمير في «مِنْكُمْ» و «خِفْتُكُمْ» مع إفراده في «تَمُنُّهَا»[٩] و «عَبَّدْتَ»[٩]، لأن الخوف والفرار لم يكونا منه وحده، ولكن منه ومن ملئه المؤتمرين بقتله لقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ [القصص: ٢٠]، وأما الامتنان والتعبد فمنه[١٠] وحده)[١١].

فصل

والمعنى: إني فعلت ذلك الفعل وأنا ذاهل عن كونه مهلكاً، وكان مني في حكم السهو، فلم أستحق التخويف الذي يوجب الفرار، ومع ذلك فررت منكم لما خفتكم عن قولكم: ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ [القصص: ٢٠] فبين بذلك ألاّ نعمة له عليه في الفعلة، بل بأن يكون مسيئاً فيه أقرب[١٢].

فصل

وقد ورد لفظ «الفرار» على أربعة:

الأول: بمعنى الهرب، كهذه الآية، ومثله «لَنْ[١٣] يَنْفَعَكُمُ الفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ المَوْتِ»[١٤].

---

(١) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٢٥ ـ ١٢٦. (٢) في ب: لمن أخذه.
(٣) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٢٦. (٤) في ب: تشديدهم.
(٥) قال سيبويه: (وأما «لما» فهي للأمر الذي وقع لوقوع غيره، وإنما تجيء بمنزلة لو، لما ذكرنا، فإنما هما لابتداء وجواب) الكتاب ٤/ ٢٣٤.
(٦) قال أبو علي الفارسي: (وأما «لما»، فمثل (لم) في الجزم، قال تعالى ﴿ولما يعلم الله الذين جاهدوا﴾ [آل عمران: ١٤٢]، [التوبة: ١٦] فجزمت كما جزمت لم، وإنما هي (لم) دخلت عليها (ما) فتغيرت بدخول (ما) عن حال (لم) فوقع بعدها مثال الماضي في قولك: لما جئت جئت، فصار بمنزلة ظرف من الزمان كأنك قلت: حين جئت جئت، فمن ثم جاز أن تقول: جئتك ولما، فلا تتبعها شيئاً ولا يجوز ذلك في (لم)، ولولا دخول (ما) عليها لم يجز ذلك فيها) انظر المقتصد شرح الايضاح ٢/ ١٠٩١ ـ ١٠٩٢.
(٧) المختصر (١٠٦)، البحر المحيط ٧/ ١١، الاتحاف (٣٣١).
(٨) [آل عمران: ٨١]. (٩) من الآية التي بعدها.
(١٠) الكشاف ٣/ ١١١. (١١) ما بين القوسين سقط من الأصل.
(١٢) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٢٦. (١٣) في الأصل: ولن، وفي ب: فلن.
(١٤) في ب: «. . . . من الموت أو القتل».

الثاني: بمعنى الكراهية، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ[١] مِنْهُ﴾ [الجمعة: ٨] أي: تكرهونه.

الثالث: بمعنى اشتغال المرء بنفسه، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ﴾ [عبس: ٣٤ ـ ٣٥] أي: لا يلتفت إليهم، لاشتغاله بنفسه.

الرابع: بمعنى التباعد، قال تعالى: ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا﴾ [نوح: ٦] أي: تباعداً. ثم بين نعم الله عليه بعد الفرار[٢]، فكأنه قال: أسأتم وأحسن الله إليَّ بأن وهب لي حكماً[٣]. قرأ عيسى: «حُكُماً» بضم الكاف[٤] إتباعاً. والمراد بالحكم: العلم والفهم، قاله مقاتل: وقيل: النبوة. والأول أقرب، لأن المعطوف غير المعطوف عليه، والنبوة مفهومة من قوله: «وَجَعَلَنِي مِنَ المُرْسَلِينَ»[٥].

قوله: «وَتِلْكَ نِعْمَةٌ» فيه وجهان:

أحدهما: أنه خبر[٦] على سبيل التهكم، أي: إنْ كَانَ ثَمَّ نعمة فليست إلاَّ أنك جعلت قومي عبيداً لك[٧]. وقيل: «ثَمَّ»[٨] حرف استفهام محذوف لفهم المعنى، أي: «أَوَ تِلْكَ»، وهذا مذهب الأخفش[٩]، وجعل من ذلك:

٣٨٩٨ ـ أَفْـــرَحُ انْ أُرْزَأَ الـــكِـــرَامَ[١٠]

وقد تقدم هذا مشبعاً في النساء عند قوله: ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾[١١] [النساء: ٧٩] وفي غيره.

---

(١) في الأصل: تفكرون. وهو تحريف. (٢) في ب: اتباعاً بعد الفرار.

(٣) انظر الفخر الرازي ٢٤/١٢٦.

(٤) المختصر (١٠٦)، تفسير ابن عطية ١١/٩٩، البحر المحيط ٧/١١.

(٥) انظر الفخر الرازي ٢٤/١٢٦. (٦) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٢٧٩.

(٧) انظر القرطبي ١٣/٩٦. (٨) ثم: تكملة ليست في المخطوط.

(٩) قال الأخفش: (وقال: ﴿**وتلك نعمة تمنها عليَّ**﴾ فيقال هذا استفهام كأنه قال: أوَ تلك نعمة تمنها) معاني القرآن ٢/٦٤٥ ـ ٦٤٦.

(١٠) جزء بيت من بحر المنسرح، قاله حضرمي بن عامر، وتمامه:

.................................وأن أورث زوداً شـــصـــائـــص نـــبـــلا

وقد تقدم تخريجه. والشاهد فيه حذف همزة الاستفهام الإنكاري، والمعنى أأفرح.

(١١) [النساء: ٧٩]. وذكر هناك: وقيل في قوله «فمن نفسك» أن همزة الاستفهام محذوفة، تقديره: أفمن نفسك، وهو كثير كقوله تعالى: «وتلك نعمة تمنها علي» وقول الشاعر:

أفـــــرح أن أرزأ الـــــكـــــرام

البيت، وهذا لم يجره من النحاة إلا الأخفش، وأما غيره فلم يجره إلا قبل (أم) كقوله:

لـــعـــمـــرك مـــا أدري وإن كـــنـــت داريـــاً بـــســـبـــع رمـــيـــن الـــجـــمـــر أم بـــثـــمـــان

انظر اللباب ٣/١٢٢.

قوله: «أَنْ عَبَّدْتَ» فيه أوجه:

أحدها: أنه في محل رفع عطف بيان لـ «تِلْكَ»[١] كقوله: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ﴾ [الحجر: ٦٦].

الثاني: أنها في محل نصب مفعولاً من أجله[٢].

الثالث: أنها بدل من «نِعْمَة»[٣]

الرابع: أنها بدل من هاء «تَمُنُّهَا».

الخامس: أنها مجرورة بباء مقدرة، أي: بأَنْ عَبَّدْتَ.

السادس: أنها خبر مبتدأ مضمر، أي: هي أن عَبَّدْتَ.

السابع: أنها منصوبة بإضمار «أعني» والجملة من «تَمُنُّهَا» صفة لـ «نِعْمَة» و «تَمُنُّ» يتعدى بالباء، فقيل: هي محذوفة، أي: تَمُنُّ بها.

وقيل: ضُمِّنَ «تَمُنُّ» معنى «تَذْكُرُ»[٤]. ويقال: عبّدت الرجل وأعبدته وتعبدته واستعبدته: [إذا اتخذته عبداً][٥][٦].

فصل

اختلفوا في تأويل «أَنْ عَبَّدْتَ»: فحملها بعضهم على الإقرار، وبعضهم على الإنكار. وعلى كلا القولين فهو جواب لقوله: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا﴾ [الشعراء: ١٨].

فمن قال: هو إقرار، قال: عدها موسى نعمة منه عليه حيث رباه ولم يقتله كما قتل سائر غلمان بني إسرائيل، ولم يستعبده كما استعبد بني إسرائيل، أي: بلى و «تِلْكَ نِعْمَةٌ تمنها عليَّ أن عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيل» وتركتني فلم تستعبدني. ومن قال: هو إنكار قال: قوله: «وَتِلْكَ نِعْمَةٌ» هو على طريق الاستفهام، كما تقدم في إعرابها، يعني: أَوَ تِلْكَ نعمة، فحذفت ألف الاستفهام، كقوله: ﴿فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤] وقال الشاعر:

٣٨٩٩ ـ تَروحُ مِنَ الحَيِّ أَمْ تَبْتَكِرْ ... وَمَاذَا يَضِيرُكَ لَوْ تَنْتَظِرْ[٧]

أي: أتروح من الحي، وقال عمر[٨] بن عبد الله بن أبي ربيعة:

---

(١) انظر الكشاف ٣/١١١.
(٢) حكاه أبو حيان عن الحوفي. البحر المحيط ٧/١٢.
(٣) انظر البيان ٢/٢١٣، التبيان ٢/ ٩٩٥.
(٤) انظر التبيان ٢/ ٩٩٥. من الوجه الثاني.
(٥) انظر الفخر الرازي ٢٤/١٢٦.
(٦) ما بين القوسين سقط من ب.
(٧) البيت من بحر المتقارب، قاله امرؤ القيس، وهو في ديوانه (١٥٤)، تفسير ابن عطية ١/ ١٠٠، القرطبي ١٣/٩٦. الرواح: السير في العشي. الابتكار: الخروج مبكراً. الشاهد فيه حذف همزة الاستفهام في (تروح)؛ إذ أصلها: أتروح؟ والدليل وجود (أم) في الكلام.
(٨) في الأصل: عمرو. وهو تحريف.

٣٩٠٠ ـ لَمْ[1] أَنسَ يَوْمَ الرَّحِيلِ وَقْفَتِهَا وَطَرْفُهَا فِي دُمُوعِهَا غَرِقُ
وَقَوْلَهَا والرِّكَابُ واقِفَةٌ تَتْرُكُنِي هٰكَذَا وَتَنْطَلِقُ[2]

أي: أتتركني. يقول: تمنّ عليَّ أن ربيتني وتنسى جنايتك على بني إسرائيل بالاستعباد والمعاملة القبيحة[3]. أو يريد: كيف تَمُنُّ عليَّ بالتربية، وقد استعبدت قومي؟ ومن أُهين قومه ذلّ، فتعبّدك بني إسرائيل قد أحبط إحسانك إليّ[4].

وقال الحسن: إنك استعبدت بني إسرائيل، فأخذت أموالهم وأنفقت منها عليَّ فلا نعمة لك بالتربية[5]. وقيل: إن الذي تولى تربيتي هم الذين استعبدتهم فلا نعمة لك عليَّ، لأن التربية كانت من قبل أمي ومن قومي، ليس لك إلا مجرد الاسم، وهذا ما يعدّ إنعاماً[6]. وقيل: معناه: تَمُنُّ عليَّ بالتربية وأنت لولا استعبادك بني إسرائيل وقتلك أولادهم لما دُفِعْتُ إليك حتى ربيتني وكفلتني، فإنه كان لي[7] من أهلي من يربِّيني ويكفلني، ولم يلقوني في اليمِّ، فأيّ نعمة لك عليَّ[8]. وقيل: معناه أنك تدَّعي أن بني إسرائيل عبيدك، ولا مِنَّة للمولى على العبد في تربيته[9].

قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾

قوله تعالى: «وَمَا رَبُّ العَالَمِينَ» إنما أتى بـ «مَا» دون «مَنْ» لأنها يسأل بها عن طلب الماهية[10]، كقولك[11]: ما العنقاء[12]؟ ولما كان جواب هذا السؤال لا يمكن

---

(١) في ب: ألم.
(٢) البيتان من بحر البسيط، قالهما عمر بن أبي ربيعة، وليسا في ديوانه وهما في القرطبي ١٣/٩٦. والشاهد فيهما حذف همزة الاستفهام في (تتركني)، إذ الأصل: أتتركني. وليس في الكلام (أم).
(٣) انظر البغوي ٦/٢٠٩ ـ ٢١٠.
(٤) المرجع السابق ٦/ ٢١٠.
(٥) انظر الفخر الرازي ٢٤/١٢٦.
(٦) المرجع السابق.
(٧) لي: سقط من ب.
(٨) انظر البغوي ٦/ ٢١٠.
(٩) انظر الفخر الرازي ٢٤/١٢٦.
(١٠) ماهية الشيء: ما به الشيء هو هو وهي من حيث هي هي لا موجودة ولا كلي ولا جزئي ولا خاص ولا عام. التعريفات ١٩٥.
(١١) في الأصل: قوله.
(١٢) العنقاء: طائر متوهم لا وجود له. المعجم الوسيط (عنق) ٢/ ٦٥٥.

عدل موسى ـ عليه السلام[١] ـ إلى جواب ممكن، فأجاب بصفاته تعالى، وخصَّ تلك الصفات[٢] لأنه لا يشاركه فيها أحد، وفيه إبطال لدعواه أنه إله[٣].

وقيل: جهل السؤال فأتى بـ «ما» دون «مَنْ». وليس بشيء[٤].

وقيل: إنما سأل عن الصفات، ذكره أبو البقاء[٥].

وليس بشيء، لأن أهل البيان نَصُّوا على أنها يطلب بها الماهيات[٦]، وقد جاء بـ «من» في قوله: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٤٩].

فصل

اعلم أن فرعون لم يقل: «وَمَا رَبُّ العَالَمِينَ» إلا وقد دعاه موسى إلى طاعة رب العالمين، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦] فلا بد من أنهما قالا ذلك حين دخلا عليه، فعند ذلك قال فرعون: «وَمَا رَبُّ العَالَمِينَ»[٧] يقول: أيّ شيء رب العالمين الذي تزعم أنك رسوله إليّ يستوصفه إلاهه الذي أرسل إليه؟ وهو سؤال عن جنس الشيء، والله منزَّه عن الجنسية. فأجابه موسى ـ عليه السلام[٨] ـ بذكر أفعاله التي يعجز الخلق عن الإتيان بمثلها، فقال: «رَبُّ السَّمَواتِ والأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ» أنه خلقها.

قال أهل المعاني: كما توقنون هذه الأشياء التي تعاينوها، فأيقنوا أن إله الخلق هو الله عزَّ وجل[٩].

قوله: «وَمَا بَيْنَهُمَا» عاد ضمير التثنية على جمعين اعتباراً بالجنسين، كما فعل ذلك في قوله:

٣٩٠١ ـ بَيْنَ رِماحَيْ مَالِكٍ وَنَهْشَلِ[١٠]

---

(١) في ب: عليه الصلاة والسلام. (٢) أي: «رب المسوات والأرض. . .».

(٣) انظر البحر المحيط ٧/ ١٢.

(٤) قال أبو البقاء: (وقيل: جهل حقيقة السؤال، فجاء موسى بحقيقة الجواب) التبيان ٢/ ٩٩٥.

(٥) قال أبو البقاء: (إنما جاء بـ «ما» لأنه سأل عن صفاته وأفعاله، أي: ما صفته؟ وما أفعاله؟ ولو أراد العين لقال: «من»، ولذلك أجابه موسى ـ عليه السلام ـ بقوله: «رب العالمين») التبيان ٢/ ٩٩٥.

(٦) ماهية الشيء: حقيقته، وتطلق غالباً على الأمر المتعقل، مثل المتعقل من الإنسان وهو الحيوان الناطق مع قطع النظر عن الوجود الخارجي، والأمر المتعقل من حيث إنه مقول في جواب ما هو؟ يسمى ماهيّة. . . التعريفات ١٩٥.

(٧) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٢٧. (٨) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٩) انظر البغوي ٦/ ٢١٠ ـ ٢١١. الإيضاح (١٣٨).

(١٠) من الرجز، قاله أبو النجم العجلي، وقبله: تبقلت من أول التبقُّل. وهو في ابن يعيش ٤/ ١٥٣، ١٥٥، اللسان (بقل)، البحر المحيط ٧/ ١٢، شرح شواهد الشافية ٤/ ٣١٢. مالك: قبيلة من هوازن. نهشل: قبيلة من ربيعة. الشاهد فيه أنه جعل رماح مالك جنساً، ورماح نهشل جنساً آخر فقال: رماحي بالتثنية.

ولمّا ذكر موسى ـ عليه السلام[١] ـ هذا الجواب الحق تحير فرعون في جواب موسى، فقال لمن حوله من أشراف قومه ـ قال ابن عباس: كانوا خمسمائة[٢] ـ: «أَلا تَسْتَمِعُونَ» على سبيل التعجب من جواب موسى، يعني: أنا أطلب منه الماهية وهو يجيبني بالفاعلية[٣]. وقيل: استبعد جواب موسى وقال: «أَلاَ تَسْتَمِعُون» لأنهم كانوا يعتقدون أن آلهتهم ملوكهم، فزادهم موسى بياناً فقال: «رَبُّكُم وَرَبُّ آبَائِكُم الأَوَّلِين» فعدل عن التعريف بخالقية السموات والأرض إلى التعريف بكونه تعالى خالقاً لنا ولآبائنا، وذلك لأنه[٤] يمكن أن يعتقد أن السمٰوات والأرضين[٥] واجبة لذواتها، فهي غنية عن الخالق، ولا يمكن أن يعتقد في نفسه وفي آبائه وأجداده [كونهم واجبين لذواتهم، لأن المشاهدة دلّت على أنهم وجدوا][٦] بعد العدم، وعدموا بعد الوجود، وما كان كذلك استحال أن يكون واجباً لذاته، واستحال وجوده إلا بالمؤثر، فكان التعريف بهذا الأثر أظهر، فلهذا عدل موسى ـ عليه السلام[٧] ـ إليه، فقال فرعون: «إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ» يعني: أن المقصود من سؤالنا طلب الماهية والحقيقة، والتعريف بهذه الآثار الخارجية لا يفيد البتة تلك الخصوصية فهذا الذي يدعي الرسالة مجنون لا يفهم السؤال فضلاً عن أن يجيب عنه، فقال موسى ـ عليه السلام[٨] ـ: «رَبُّ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم تَعْقِلُونَ» فعدل إلى طريق ثالث أوضح من الثاني، وذلك أنه أراد بـ «المَشْرِق» طلوع الشمس وظهور النهار، وأراد بـ «المَغْرِب»: غروب الشمس وزوالها، والأمر ظاهر؛ لأن التدبير المستمر على الوجه العجيب لا يتم إلا بتدبير مدبر، وهذا بعينه طريقة إبراهيم ـ عليه السلام ـ مع نمروذ، فإنه استدل أولاً بالإحياء والإماتة، وهو الذي ذكره إبراهيم ـ عليه السلام ـ بقوله: «رَبُّكمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِين» فأجابه نمروذ: ﴿أَنَا أُحْيِۦ وَأُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨] فقال: «إِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بالشَّمْسِ مِنَ المَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ المَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ» وهو[٩] الذي ذكره موسى ـ عليه السلام[١٠] ـ بقوله: «رَبُّ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ».

وأما قوله: «إِنْ كُنتُم تَعْقِلُونَ» فكأنه ـ عليه السلام ـ قال: إن كنت من العقلاء عرفت أنه لا جواب عن سؤالك إلا ما ذكرت، لأنك طلبت مني تعريف حقيقته، ولا يمكن[١١] تعريف حقيقته بنفس حقيقته، ولا بأجزاء حقيقته، فلم يبق إلا أن أُعرِّف حقيقته بآثار حقيقته، وقد عرّفت حقيقته بآثار حقيقته، فمن كان عاقلاً يقطع بأنه لا جواب عن

---

(١) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٢) انظر البغوي ٦/ ٢١١.
(٣) في ب: بالفاعل.
(٤) في ب: أنه.
(٥) في ب: والأرض.
(٦) ما بين القوسين سقط من ب.
(٧) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٨) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٩) في ب: وهذا.
(١٠) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١١) في ب: ولا يكون.

سؤالك إلا ما ذكرته. وأعلم أن حقيقته غير معقولة للبشر، فيستحيل[١] من موسى ـ عليه السلام[٢] ـ أن يذكر ما تعرف (به تلك)[٣] الحقيقة، إلا أن عدم العلم بتلك الخصوصية لا يقدح في صحة الرسالة، فلما انقطع فرعون عن الجواب ولزمته الحجة تكبر عن الحق، وعدل إلى التخويف، وقال: «لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلٰهاً غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ المَسْجُونِينَ»[٤]: المحبوسين. قال الكلبي: كان سجنه أشد من القتل، لأنه[٥] كان يأخذ الرجل فيطرحه في مكان وحده فرداً لا يسمع ولا يبصر فيه شيئاً يهوي به في[٦] الأرض[٧].

وقال: «لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ المَسْجُونِينَ» ولم يقل: «لأَسْجُنَنَّكَ» وهو أخص منه؛ لأن فيه مبالغة ليست في ذاك، أو[٨] معناه: لأجعلنك ممن عرفت حاله في سجوني[٩] فعند ذلك ذكر موسى كلاماً مجملاً ليعلق قلبه به فيعدل عن وعيده، فقال «أَوَ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيءٍ مُبِينٍ» أي: هل يحسن أن يذكر هذا مع اقتداري على أن آتيك بدليلين يدلان على وجود الله، وعلى أنّي رسوله. فعند ذلك قال: «فَأْتِ بِهِ إنْ كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ». وإنما قال موسى ذلك لأن من أخلاق الناس السكون إلى الإنصاف والإجابة إلى الحق بعد البيان، فقال فرعون: «فَأْتِ بِهِ» فإنا لن نسجنك حينئذ «إنْ كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ»[١٠] فإن قيل: كيف قطع الكلام بما لا تعلق له بالأول، وهو قوله: «أَوَ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيءٍ مُبِينٍ»[١١] أي: بآيةٍ[١٢] بيِّنة، والمعجز لا يدل على الله لدلالة سائر ما تقدم؟

فالجواب: بل يدل على ما أراد أن يظهره من انقلاب العَصَا حَيَّةً على الله، وعلى توحيده، وعلى أنه صادق في ادعاء الرسالة، فالذي ختم به كلامه أقوى من كل ما تقدم[١٣]. والواو في قوله: «أَوَ لَوْ جِئْتُكَ» واو الحال، دخلت عليها همزة الاستفهام، والمعنى: أتفعل بي ذلك ولو جئتُكَ بشيء مبين؟ أي: جائياً بالمعجزة[١٤] وقال الحوفي: «هي واو العطف»[١٥]. وتقدم تحرير هذا عند قوله: «أَوَ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ»[١٦] في البقرة، وغالب الجمل هنا تقدم إعرابها.

قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ

---

(١) في ب: ليستحيل.
(٢) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٣) به تلك: تكملة من الفخر الرازي.
(٤) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٢٩ ـ ١٣٠.
(٥) في ب: لأن.
(٦) في ب: إلى.
(٧) انظر البغوي ٦/ ٢١٢.
(٨) في ب: و.
(٩) انظر الكشاف ٣/ ١١٢.
(١٠) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٣٠.
(١١) مبين: مكرر في ب.
(١٢) في ب: بأنه. وهو تحريف.
(١٣) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٣٠.
(١٤) انظر الكشاف ٣/ ١١٢.
(١٥) انظر البحر المحيط ٧/ ١٤.
(١٦) من قوله تعالى: **﴿أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون﴾** [البقرة: ١٧٠].

﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ﴾. واعلم أن قوله: «أَوَ لَو جِئْتُكَ بِشَيءٍ مُبِينٍ» يدل على أن الله تعالى عرفه قبل إلقاء العصا بأنها تصير ثعباناً، فلذلك[1] قال ما قال، فلما ألقى موسى[2] عصاه وصارت ثعباناً، روي أنها لما انقلبت حية ارتفعت في السماء قدر ميل، ثم انحطت مقبلة إلى فرعون تقول: يا موسى، مرني بما شئت، ويقول فرعون: (يا موسى)[3] أسألك بالذي أرسلك إلا أخذتها، فأخذها فعادت عصا[4]. فإن قيل: كيف قال: «ثُعْبَانٌ مُبِينٌ» وفي آية أخرى: ﴿فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٢٠] وفي آية ثالثة: ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ [القصص: ٣١] والجانّ مائل إلى الصغر، والثعبان إلى الكبر؟

فالجواب: أن الحية اسم الجنس، ثم لكبرها صارت ثعباناً، وشبهها بالجانّ لخفتها، وسرعتها[5]، فصح الكلامان. ويحتمل أنه شبهها بالشيطان لقوله: ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ [الحجر: ٢٧]. ويحتمل أنها كانت صغيرة كالجانّ ثم عظمت فصارت ثعباناً[6] ثم إن موسى ـ عليه السلام[7] ـ لما أراه آية العصا قال فرعون: «هل غيرها»؟ قال: نعم، فأراه يده، ثم أدخلها جيبه، ثم أخرجها «فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ» تضيء الوادي من شدة بياضها من غير برص، لها شعاع كشعاع الشمس. فعند هذا أراد فرعون تعمية هذه الحجة على قومه فذكر أموراً:

أحدها: قال لهم: «إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ» وكان زمانهم زمان السحرة، فأوهمهم أن هذا كبير من السحرة.

وثانيها: قال: «يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِنْ أَرْضِكُمْ بسِحْرِهِ» وهذا موجب للتنفير عنه لئلا يقبلوا قوله، والمعنى: يفرق جمعكم بما يلقيه من العداوة بينكم[8]، ومفارقة الوطن أصعب الأمور، وهذا نهاية ما يفعله المضل المنفر عن المحق.

وثالثها: قوله: «فَمَاذَا تَأْمُرُونَ» أي: ما رأيكم فيه، فأظهر لهم من نفسه أني متبع لرأيكم، ومثل هذا يوجب جذب القلوب، وانصرافها عن العدو[9] قوله: «حَوْلَهُ» حال من

---

(١) في ب: فكذلك. وهو تحريف.
(٢) موسى: سقط من ب.
(٣) يا موسى: تكملة من الفخر الرازي.
(٤) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٣١.
(٥) في ب: أو سرعتها.
(٦) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٣١ ـ ١٣٢.
(٧) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٨) بينكم: سقط من ب.
(٩) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٣٢.

«المَلأ»[١]، ومفعول القول قوله: «إنّ هٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ» وقيل: صلة «لِلْمَلأ»، فإنه بمعنى «الَّذِي». وقيل: الموصول محذوف. وهما قولان للكوفيين. قال الزمخشري: «فَإِنْ قُلْتَ: قوله تعالى: (لِلْمَلأ حَوْلَهُ) فما العامل في (حَوْلَه)؟. قلت: هو منصوب نصبين: نصب في اللفظ، ونصب في المحل. فالعامل في النصب اللفظي ما تقدم في الظرف، والعامل في النصب المحلي هو النصب على الحال»[٢].

قوله: «أَرْجِهْ وَأَخَاهُ». لما قال لهم فرعون تلك الكلمات اتفقوا على جواب واحد، وهو قولهم: «أَرْجِهْ» قرىء: «أَرْجِهْ وَأَرْجِئْهُ وَأَرْجِهِ»[٣] (بالهمز والتخفيف[٤]، وهما لغتان، يقال: أرجأته وأرجيته)[٥] إذا أخرته. والمعنى: أخره ومناظرته لوقت اجتماع السحرة. وقيل: «احبسه»[٦] «وَابْعَثْ فِي المَدَائِنِ حَاشِرِينَ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيم» أشاروا عليه بإنفاذ حاشرين يجمعون السحرة، ظنًّا منهم بأنهم إذا كثروا غلبوه وكشفوا حاله. وعارضوا[٧] قوله: «إِنَّ هٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ» بقولهم: «بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ» فجاءوا بكلمة الإحاطة، وبصيغة المبالغة ليطيِّبوا قلبه[٨].

قوله تعالى: ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَـٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَـٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾. اليوم المعلوم: يوم الزينة[٩].

قال ابن عباس: وافق ذلك يوم السبت في أول يوم من السنة، وهو يوم النيروز[١٠] وميقاته: وقت الضحى، لأنه الوقت الذي وقَّت لهم موسى ـ عليه السلام[١١] ـ من يوم الزينة في قوله: ﴿مَوْعِدُكُمْ[١٢] يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى﴾[١٣] [طه: ٥٩].

---

(١) انظر تفسير ابن عطية ١١/ ١٠٥، التبيان ٢/ ٩٩٥.
(٢) الكشاف ٣/ ١١٣.
(٣) في النسختين: أرجيه وأرجئه وأرجه.
(٤) قوله: «أرجه وأخاه» قرأه ابن كثير وهشام بهمزة ساكنة، ويصلان الهاء بواو في الوصل، وكذلك قرأ أبو عمرو، غير أنه يضمّ الهاء، ولا يصلها بواو، وقرأ ابن ذكوان بهمزة ساكنة وبكسر الهاء، من غير أن يصلها بياء، وكذلك قرأ قالون، غير أنه لم يهمز. وقرأ ورش والكسائي بغير همز، ويصلان الهاء بياء في الوصل، وقرأ حمزة وعاصم بإسكان الهاء من غير همز. والهمز في هذا الفعل وتركه لغتان، يقال: أرجيته وأرجأته بمعنى: أخرته. السبعة (٢٨٧ ـ ٢٨٩)، الكشف ١/ ٤٧٠ ـ ٤٧١، البيان ٢/ ٢١٣.
(٥) ما بين القوسين مكرر في ب.
(٦) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٣٢.
(٧) في ب: وعارضوه.
(٨) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٣٢.
(٩) انظر البغوي ٦/ ٢١٣، الفخر الرازي ٢٤/ ١٣٣.
(١٠) انظر البغوي ٦/ ٢١٣.
(١١) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٢) في ب: من عدوكم. وهو تحريف.
(١٣) انظر الكشاف ٣/ ١١٣، الفخر الرازي ٢٤/ ١٣٣.

قوله: «وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ». والمعنى: أنهم بعثوا على الحضور ليشاهدوا ما يكون من الجانبين ولمن تكون الغلبة، وكان موسى ـ عليه السلام[١] ـ يطلب ذلك ليظهر حجته عليهم عند الخلق العظيم[٢].

قوله: «لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ». أي نرجو أن تكون الغلبة لهم «إِنْ كَانُوا هُمُ الغَالِبِينَ» لموسى. وقيل: إنما قالوا ذلك على طريق الاستهزاء. وأرادوا بـ «السَّحَرَة»: موسى وهارون وقومهما[٣]. «فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لأَجْراً إِنْ كُنَّا نَحْنُ الغَالِبِينَ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذاً لَمِن المُقربينَ». [فابتدءُوا بطلب الجزاء، وهو إما المال وإما الجاه، فبذل لهم ذلك وأكّده بقوله: «وَإِنَّكُمْ إِذاً لَمِنَ المُقَرَّبِينَ»][٤] لأنّ نهاية مطلوبهم البذل ورفع المنزلة[٥].

قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ﴾. اعلم أنهم لما اجتمعوا كان لا بد من ابتداء موسى أو ابتدائهم، ثم إنهم تواضعوا فقدّموه على أنفسهم، وقالوا له: ﴿إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ﴾ [الأعراف: ١١٥] فلما تواضعوا له تواضع هو أيضاً لهم[٦] فقدمهم على نفسه، وقال: «أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ»[٧]. فإن قيل: كيف جاز لموسى ـ عليه السلام[٨] ـ أن يأمر السحرة بإلقاء الحبال والعصيّ، وذلك سحر وتلبيس وكفر، والأمر بمثله لا يجوز؟ فالجواب: ليس ذلك بأمر، لأن مراد موسى ـ عليه السلام[٧] ـ منهم أن يؤمنوا به، ولا يقدموا[٩] على ما يجري مجرى المقاتلة، وإذا ثبت ذلك وجب تأويل صيغة الأمر، وفيه وجوه:

أحدها: أن ذلك الأمر كان مشروطاً، والتقدير: ألقوا ما أنتم ملقون إن كنتم محقين، كقوله: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣] أي: إن كنتم قادرين.

وثانيها: لما تعين ذلك طريقاً إلى كشف الشبهة صار جائزاً.

وثالثها: أَنَّ هذا ليس بأمر، بل هو تهديد، أي[١٠]: إن فعلتم ذلك أتينا بما يبطله، كقول القائل: «لئن رميتني لأفعلن ولأصنعن» ثم يفوق[١١] له السهم فيقول له: «ارم» فيكون ذلك منه تهديداً.

---

(١) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٢) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٣٣.
(٣) المرجع السابق.
(٤) ما بين القوسين سقط من ب.
(٥) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٣٣.
(٦) في ب: هو لهم أيضاً.
(٧) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٣٣.
(٨) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٩) في ب: ولا يقدمون.
(١٠) في ب: أو. وهو تحريف.
(١١) فاق السهم: وضع فوقه في الوتر ليرقى به. اللسان (فوق) المعجم الوسيط (فوق) ٢/ ٧٣٢.

ورابعها: أنهم لما تواضعوا[١] (له)[٢] وقدموه على أنفسهم فقدمهم على نفسه رجاء أن يصير تواضعه سبباً لقبول الحق، ولقد حصل ببركة ذلك التواضع ذلك المطلوب[٣].

قوله: «فَأَلْقَوا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ». روي عن ابن عباس قال: كانت مطلية بالزئبق، والعصي مجوفة مملوءة من الزئبق، فلما حميت اشتدت حركتها، فصارت كأنها حيات تدب من كل جانب من الأرض[٤].

قوله: «بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ». يجوز أن يكون قَسَماً[٥]، وجوابه: «إِنَّا لَنَحْنُ الغَالِبُونَ» ويجوز أن يتعلق بـ «الغَالِبُونَ» لأن ما في حيز «إِنَّ» لا يتقدم عليها.

قوله: «فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ» تقدم خلاف القراء في «تَلْقَفُ»[٦] وقال ابن عطية هنا: وقرأ البَزِّيُّ وابنُ فُلَيح[٧] بشدِّ التَّاء وفتح اللام وشدِّ[٨] القاف[٩] ويلزم على هذه القراءة إذا ابتدأ أن يَجْلِبَ[١٠] همزة الوصل، وهمزة الوصل لا تدخل على الأفعال المضارعة، كما لا تدخل على أسماء الفاعلين[١١]. قال أبو حيان: كأنه يُخَيَّلُ إليه أنه لا يمكن الابتداء بالكلمة إلا باجتلاب همزة الوصل، [وهذا ليس بلازم (و)[١٢] كثيراً ما[١٣] يكون الوصل][١٤] مخالفاً للوقف، والوقف مخالفاً للوصل، ومن له تَمَرُّن في القراءات عرف ذلك[١٥]. قال شهاب الدين: يريد قوله: (فَإِذَا هِيَ تَلَقَّفُ) فإن البَزِّيّ يشدد التاء[١٦]، إذ الأصل: «تَتَلَقَّفُ» بتاءين، فأدغم، فإذا وقف على «هِيَ» وابتدأ «تَتَلَقَّفُ» فحقه أن يَفُكَّ ولا يدغم لئلا[١٧] يُبْتَدأ بساكن وهو غير ممكن، وقول ابن عطية: «ويلزم على هذه القراءة.... إلى آخره» تضعيف للقراءة لما ذكره هو من أن همزة الوصل لا تدخل على الفعل المضارع، ولا يمكن الابتداء بساكن، فمن ثَمَّ ضَعَّفَتْ.

---

(١) في الأصل: تواضعوه.
(٢) له: تكمله من الفخر الرازي.
(٣) انظر الفخر الرازي ٢٤/١٣٣ ـ ١٣٤.
(٤) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٣٤.
(٥) انظر الكشاف ٣/ ١١٤، تفسير ابن عطية ١١/١٠٧، التبيان ٢/ ٩٩٥.
(٦) عند قوله تعالى: **﴿وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون﴾** [الأعراف: ١١٧].
(٧) هو عبد الوهاب بن فليح بن رباح، أبو إسحاق المكي، إمام أهل مكة في القراءة في زمانه، أخذ القراءة عن داود بن شبل، والحسن، وغيرهما وروى عنه الحسين بن محمد الحداد، وغيره، مات سنة ٢٥٠هـ تقريباً. طبقات القراء ١/ ٤٨٠ ـ ٤٨١.
(٨) في ب: وتشديد.
(٩) رويت في القراءات السبعة المتواترة عن ابن كثير. السبعة (٤٧١) الإتحاف (٣٣١).
(١٠) في النسختين: يحذف. والتصويب من تفسير ابن عطية. وفي البحر المحيط كما في النسختين، فيبدو أن ابن عادل تابع أبا حيان في النقل عن ابن عطية.
(١١) تفسير ابن عطية ١١/١٠٨.
(١٢) و: تكملة ليست في المخطوط.
(١٣) في الأصل: بل ما.
(١٤) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٥) البحر المحيط ٧/١٦.
(١٦) التاء: سقط من ب.
(١٧) في ب: ولا.

وجواب الشيخ بمنع الملازمة حسن إلا أنه كان ينبغي أن يبدل لفظة الوقف بالابتداء لأنه(١) هو الذي وقع الكلام فيه، أعني: الابتداء بكلمة[«تَلَقَّفُ»](٢)(٣).

قوله: «فَأُلْقِيَ» قال الزمخشري: «فإن قلت: فاعل الإلقاء ما هو لو صرّح به؟ قلت: هو الله ـ عز وجل(٤) ـ، ثم قال: ولك ألاّ تقدّر فاعلاً، لأن «أَلْقَوْا»(٥) بمعنى: خَرُّوا وسقطوا»(٦). قال أبو حيان: وهذا ليس بشيء؛ لأنه لا يبنى الفعل للمفعول إلاّ وله فاعل ينوب المفعول به عنه، أما أنه لا يقدر له فاعل فقول ذاهبٌ عن الصواب(٧).

فصل

تقدم الكلام على نظير هذه الآية(٨)، واعلم أن السحرة لما شاهدوا أمراً خارجاً عن حدّ السحر لم يتمالكوا أن رموا بأنفسهم إلى الأرض ساجدين و «قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ العَالَمِينَ»(٩).

قوله: «رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ». عطف بيان لـ «رَبِّ العَالَمِينَ» لأن فرعون كان يدعي الربوبية فأرادوا(١٠) عزله. ومعنى إضافته إليهما في ذلك المقام: أنه الذي دعا موسى وهارون ـ عليهما السلام(١١) ـ إليه(١٢).

قوله تعالى: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾

قوله: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ الآيات. لما آمنوا بأجمعهم لم يأمن فرعون أن يقول قومه: إن هؤلاء السحرة على كثرتهم وبصيرتهم لم يؤمنوا إلا عن معرفة بصحة أمر موسى ـ عليه السلام(١٣) ـ فيسلكون(١٤) طريقهم، فلبّس على القوم وبالغ في التنفير عن موسى من وجوه:

أحدها: قوله: «قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ». والمعنى: إن مسارعتكم إلى الإيمان به دالة

(١) في ب: إلا أنه. وهو تحريف.
(٢) الدر المصون ٥/ ١٥٤.
(٣) ما بين القوسين في الأصل: ما تلقف.
(٤) في ب: هو الله تعالى.
(٥) في النسختين: ألقى.
(٦) الكشاف ٣/ ١١٤.
(٧) البحر المحيط ٧/ ١٦.
(٨) عند قوله تعالى: **﴿وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون﴾** [الأعراف: ١١٧].
(٩) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٣٤.
(١٠) في النسختين: فأراد. والتصويب من الفخر الرازي.
(١١) في ب: عليهما الصلاة والسلام.
(١٢) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٣٥.
(١٣) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٤) في ب: ويسلكون.

على ميلكم إليه فتطرّق التهمة إليهم فلعلهم قصروا في السحر حياله.

وثانيها: قوله: «إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ» وهذا تصريح بما رمز به[١] أولاً، وتعريض منه بأنهم فعلوا ذلك عن مواطأة بينهم وبين موسى، وقصروا في السحر ليظهروا أمر موسى، وإلا ففي قوة السحرة[٢] أن يفعلوا مثل ما فعل، وهذه شبهة قوية في تنفير من قَبِلَ.

وثالثها: قوله: «فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ» وهو وعيد وتهديد شديد.

ورابعها: قوله: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ وهذا الوعيد المفصل، وليس في الإهلاك أقوى منه، ثم إنهم أجابوا عن هذه الكلمات من وجهين:

الأول: قوله: «لاَ ضَيْرَ إِنَّا إِلى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ»[٣] والضير والمضرّة واحد، وليس المراد أن ذلك وقع، وإنما عنوا بالإضافة إلى ما عرفوه من دار الجزاء.

والجواب الثاني: قوله: «إِنَّا نَطْمَعُ أن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا» وهو إشارة منهم إلى الكفر والسحر وغيرهما. والطمع في هذا الموضع يحتمل اليقين، كقول إبراهيم ـ عليه السلام[٤] ـ: «وَالَّذِي أَطْمَعُ»[٥]. ويحتمل الظن، لأن المرء لا يعلم ما سيختاره من بعد[٦]. قوله: «أَنْ كُنَّا». قرأ العامة بفتح «أَنْ» أي: لأن كُنَّا بينوا القول بالإيمان وقرأ أبان بن تغلب وأبو معاذ[٧] بكسر الهمزة[٨]، وفيه وجهان:

أحدهما: أنها شرطية، والجواب محذوف لفهم المعنى[٩]، أو متقدم عند من يجيزه[١٠].
نظيره قول القائل[١١]: «إنْ كُنْتُ عملتُ فوفِّنِي حَقِّي» مقولة لمن يؤخر جعله[١٢].

والثاني: أنها المخففة من الثقيلة، واستغني عن اللام الفارقة[١٣] لإرشاد المعنى إلى الثبوت دون النص[١٤] كقوله:

---

(١) في الأصل: زمزم. وهو تحريف. (٢) في النسختين: السحر. والتصويب من الفخر الرازي.
(٣) في الأصل: لمنقلبون. وهو تحريف. (٤) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٥) من قوله تعالى: **﴿والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين﴾** الآية ٨٢ من السورة نفسها.
(٦) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٣٥ـ ١٣٦.
(٧) هو الفضل بن خالد أبو معاذ النحوي المروزي، روى القراءة عن خارجة بن مصعب، وروى عنه الليث بن مقاتل، وغيره مات سنة ٢١١هـ. طبقات القراء ٢/ ٩.
(٨) المختصر (١٠٦)، دون عزو إلى قارىء، المحتسب ٢/ ١٢٧، منسوبة إلى أبان بن تغلب، البحر المحيط ٧/ ١٦.
(٩) هذا التخريج على مذهب البصريين. انظر المحتسب ٢/ ١٢٨ ـ ١٢٩، البحر المحيط ٧/ ١٦، الهمع ٢/ ٦١.
(١٠) هذا التخريج على مذهب الكوفيين والأخفش وأبي زيد والمبرد الذين يجيزون تقديم جواب الشرط عليه. انظر البحر المحيط ٧/ ١٦، الهمع ٢/ ٦١.
(١١) في ب: العامل. (١٢) الكشاف: ٣/ ١١٥.
(١٣) في ب: العارفة. وهو تحريف. (١٤) وهو قول أبي حيان. البحر المحيط ٧/ ١٦.

٣٩٠٢ ـ وَإِنْ مَالِكٌ كَانَتْ كِرَامُ المَعَادِنِ[(١)]

وفي الحديث: «إن كان رسول (الله ـ ﷺ)[(٢)] ـ يحبُّ العسل» أي: ليحبُّه[(٣)]. والمعنى على الأول[(٤)]: لأن كنا أول المؤمنين، من الجماعة الذين حضروا ذلك الموقف، أو يكون المراد: من السحرة خاصة، أو من رعية فرعون، أو من أهل زمانهم[(٥)].

قوله تعالى: ﴿۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَـٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَـٰهُم مِّن جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَـٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾

قوله: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٓ﴾. قرىء: «أَسْرِ» بقطع الهمزة ووصلها[(٦)].

لما ظهر من أمر موسى ـ عليه السلام[(٧)] ـ ما شاهدوه أمره الله أن يخرج ببني إسرائيل، لما كان في المعلوم من تدبير الله وتخليصه من القوم وتمليكه بلادهم وأموالهم، ولم يأمن[(٨)]. وقد جرت تلك الغلبة الظاهرة أن يقع من فرعون ببني إسرائيل ما يؤدي إلى الاستئصال، فلذلك[(٩)] أمره الله تعالى أن يسري ببني إسرائيل، وهم الذين آمنوا، وكانوا

---

(١) عجز بيت من بحر الطويل قاله الطّرماح بن حكيم، وصدره:

أنا ابن أباة الضيم من آل مالك

وهو في ديوانه (٥١٢)، البحر المحيط ٧/١٦، شرح التصريح ١/٢٣١، الهمع ١/١٤١، الأشموني ١/٢٨٩، الدرر ١/١٨١. أباة: جمع آب كقضاة جمع قاض من أبى إذ امتنع، الضيم: الظلم، مالك: اسم أبي القبيلة، ومالك الثاني هو القبيلة، ولذلك قال: كانت. بتأنيث الفعل، وصرفها مراعاة للحيّ. والشاهد فيه حذف اللام الفارقة من خبر (إن) المخففة من الثقيلة لدلالة المقام عليها إذ إن المقام للمدح وتوهم النفي هنا ممتنع.

(٢) ما بين القوسين سقط من ب.

(٣) يعني بالحديث الخبر لا حديث رسول الله ـ ﷺ ـ فقد روي عن أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «كان رسول الله ـ ﷺ ـ يحب الحلواء والعسل». أخرجه البخاري (طلاق) ٣/٢٧١، (أطعمة) ٣/٢٩٨، (أشربة) ٣/٣٢٥. الترمذي (أطعمة) ٣/١٧٨، أبو داود (أشربة) ٤/١٠٧، ابن ماجة (أطعمة) ٢/١١٠٢، أحمد ٦/٥٠٩.

(٤) أي على قراءة العامة.

(٥) انظر الفخر الرازي ٢٤/١٣٦.

(٦) قرأ ابن كثير ونافع: «أن اسر» بكسر النون والراء من سريت، وقرأ الباقون «أن أسر» من أسريت. وهما لغتان. السبعة (٤٧١)، الكشف ١/٥٣٥، الإتحاف (٣٣٢).

(٧) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٨) في ب: ولم يأمره.

(٩) في ب: فكذلك. وهو تحريف.

من قوم موسى ـ عليه السلام[١] ـ. واعلم أن في الكلام حذفاً، وهو أنه أسرى بهم كما أمره الله تعالى، ثم إن قوم موسى قالوا لقوم فرعون: «إن لنا في هذه الليلة عيداً»، ثم استعاروا منهم حليهم بهذا السبب، ثم خرجوا بتلك[٢] الأموال في الليل إلى جانب البحر، فلما سمع فرعون ذلك أرسل في المدائن حاشرين[٣] يحشرون الناس، يعني الشُّرط ليجمعوا السحرة[٤]. وقيل: ليجمعوا له الجيش[٤] روي أنه كان له ألف مدينة واثنا عشر ألف قرية[٤]. و «حَاشِرِينَ» مفعول «أَرْسَلَ» ثم إنه قوى نفسه ونفس[٥] قومه بأن وصف قوم موسى بالذم، ووصف قوم نفسه بالمدح[٦]، أما وصفه قوم موسى ـ عليه السلام[٧] ـ بالذم، فقال: «إِنَّ هَؤُلاَءِ لَشِرْذِمَةٌ» [معمول لقول مضمر[٨]][٩] أي: قال: إنَّ هؤلاء، وهذا القول يجوز أن يكون حالاً، أي: أرسلهم قائلاً ذلك، ويجوز أن يكون مفسراً لـ «أَرْسَلَ». والشِّرْذِمَةُ: الطائفة من الناس[١٠] وقيل: كل بقية من شيء خسيس يقال لها: شرذمة[١١]. ويقال: ثوب شراذم، أي: أخلاق، قال:

٣٩٠٣ ـ جَاءَ الشِّتَاءُ وَقَمِيصِي أَخْلاَقْ شَرَاذِمُ تَضْحَكُ مِنْهُ الخُلاقْ[١٢]

وأنشد أبو عبيدة:

٣٩٠٤ ـ في شراذم النعال[١٣]

وجمع الشرذمة: شراذم، فذكرهم بالاسم الدال على القلة، ثم جعلهم قليلاً بالوصف، ثم جمع القليل فجعل كل حزب منهم قليلاً، واختار جمع السلامة الذي هو جمع القلة.

---

(١) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٢) في ب: تلك.
(٣) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٣٦ ـ ١٣٧.
(٤) انظر البغوي: ٦/ ٢١٥.
(٥) في الأصل: ونفسه. وهو تحريف.
(٦) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٣٧.
(٧) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٨) انظر الكشاف ٣/ ١١٥.
(٩) ما بين القوسين في ب: معمولاً لقول مضمراً.
(١٠) الصحاح (شرذم) ٥/ ١٩٦٠.
(١١) انظر مجاز القرآن ٢/ ٨٦.
(١٢) رجز مجهول القائل، وهو في معاني القرآن للفراء ١/ ٤٢٧، ٢/ ٨٧، تفسير ابن عطية ١١/ ١١١، القرطبي ١٣/ ١٠١، اللسان (توق، خلق، شرذم)، البحر المحيط ٧/ ٣. الخزانة ١/ ٢٣٤. وروي (النواق)، وهو الذي يروض الأمور ويصلحها. وروي (التواق) وهو ابن الشاعر. ويقال: نفس تواقة، أي: مشتاقة. أخلاق: جمع خلق، وهو البالي. ووصف المفرد بالجمع باعتبار أجزائه، الشراذم: جمع شرذمة، وهي الجماعة القليلة من الناس، وثياب شراذم: أخلاق متقطعة، وثوب شراذم: قطع، وجمع في البيت ثم وصف باعتبار أجزاء الثوب التي يتألف منها. وهذا موطن الشاهد.
(١٣) قال أبو عبيده: («إنّ هؤلاء لشرذمة قليلون» أي: طائفة، وكل قليلة فهي شرذمة قال:

يحذين في شراذم النعال

أي مقطع النعال وبقاياها) مجاز القرآن ٢/ ٨٦. وهذا الجزء من البيت مجهول القائل، وهو في تفسير ابن عطية ١١/ ١١١، البحر المحيط ٧/ ٣.

ويجوز أن يريد بالقلة: الذلة، لا قلة العدو، أي: إنهم لقلتهم لا يبالى بهم[١].

قال ابن عباس: كان الشرذمة الذين قللهم فرعون ستمائة ألف مقاتل لا شاب فيهم دون عشرين[٢] سنة، ولا شيخ[٣] يوفي على الستين سوى الحشم[٤]، وفرعون يقللهم لكثرة من معه[٥]. وهذا الوصف قد استعمل في الكثير عند الإضافة إلى ما هو أكثر منه، فروي أن فرعون خرج على فرس أدهم حصان وفي عسكره على لون فرسه ثمانمائة[٦] ألف[٧].

قوله: «وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ». يقال: غَاظَهُ وَأَغَاظَهُ وَغَيَّظَهُ: إذا أغضبه. والغيظ: الغضب[٨]. والمعنى: أنهم يفعلون أفعالاً تغيظنا. واختلفوا في تلك الأفعال. فقيل: أخذهم الحليّ وغيره. وقيل: خروجهم عن عبوديته. وقيل: خروجهم بغير إذنه. وقيل: مخالفتهم[٩] له في الدين. وقيل: لأنهم لم يتخذوا فرعون إلهاً[١٠].

وأما وصفه قومه فهو قوله: «وإِنَّا لَجَمِيعٌ حَذِرُونَ». قرأ الكوفيون[١١] وابن ذكوان: «حاذرون» بألف. والباقون: «حذرون» بدونها[١٢]. فقال أبو عبيدة والزجاج: هما بمعنى واحد، يقال: رجل حذر[١٣] وحاذر بمعنى[١٤].

وقيل: بل بينهما فرق، فالحذر: المتيقظ. والحاذر: الخائف[١٥]. وقيل: الحذر: المخلوق مجبولاً على الحذر. والحاذر: ما عرض له ذلك[١٦].

وقيل: الحذر: المتسلح الذي له شوكة سلاح[١٧]، وأنشد سيبويه في إعمال «حَذِر» على أنه مثال مبالغة محول من حاذر قوله:

٣٩٠٥ ـ حَـذِرٌ أُمُـوراً لاَ تَـضِـيـرُ وَآمِـنٌ ... مَـا لَـيْـسَ مُـنْـجِـيـهِ مِـنَ الأَقْـدَارِ[١٨]

---

(١) انظر الكشاف ٣/ ١١٥، الفخر الرازي ٢٤/ ١٣٧.
(٢) في ب: عشرون.
(٣) في ب: ولا ينسخ. وهو تحريف.
(٤) الحشم: خدم الرجل، سموا بذلك لأنهم يغضبون له. (اللسان: حشم).
(٥) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٣٧.
(٦) في الفخر الرازي: ثلثمائة.
(٧) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٣٧.
(٨) انظر اللسان (غيظ).
(٩) في ب: مخالفهم. وهو تحريف.
(١٠) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٣٧.
(١١) وهم عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي.
(١٢) السبعة (٤٧١)، الكشف ٢/ ١٥١، النشر ٢/ ٣٣٥، الإتحاف (٣٣٢).
(١٣) حذر: مكرر في الأصل.
(١٤) قال أبو عبيدة: (حذر وحذر، وقوم حذرون وحاذرون) مجاز القرآن ٢/ ٨٦، فكأنه يرى المعنى فيها واحداً. وقال الزجاج: (فالحاذر المستعد، والحذر المتيقظ) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٩٢.
(١٥) انظر الكشاف ٣/ ١١٥.
(١٦) انظر معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٨٠.
(١٧) انظر معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٨٠، معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/ ٩٢ التبيان ٢/ ٩٩٦.
(١٨) البيت من بحر الكامل، قيل: قاله أبان بن عبد الحميد اللاحقي، وضعه حينما سأله سيبويه عن شاهد لتعدي (فعل). وقيل: قاله عبد الله بن المقفع، وقد تقدم.

وزعم بعضهم أن سيبويه لمَّا سأله: هل يحفظ شيئاً في إعمال «فَعِل»؟ صنع له هذا البيت، فعيب على سيبويه: كيف يأخذ الشواهد الموضوعة؟

وهذا غلط، فإن هذا الشخص قد أقر على نفسه بالكذب، فلا يقدح قوله في سيبويه. والذي ادعى أنه صنع البيت هو الأخفش(١). و «حَذِر» يتعدى بنفسه، قال تعالى: ﴿يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ﴾ [الزمر: ٩]، وقال العباس بن مرداس(٢):

٣٩٠٦ ـ وَإِنِّي حَاذِرٌ أَنْمِي سِلَاحِي إِلَى أَوْصَالِ ذَيَّالٍ مَنِيعِ(٣)

وقرأ ابن السميفع وابن أبي عمار(٤): «حَادِرُونَ»(٥) بالدال المهملة(٦) من قولهم: عين حدرة، أي: عظيمة(٧)، كقولهم:

٣٩٠٧ ـ وَعَيْنٌ لَهَا حَدْرَةٌ بَدْرَةٌ(٨)

والمعنى: عظيماً. وقيل: الحادر: القوي الممتلىء، وحكي: رجل حادر، أي: ممتلىء غيظاً، ورجل حادر، أي: أحمق، كأنه ممتلىء من الحمق قال:

٣٩٠٨ ـ أُحِبُّ الغُلَامَ السُّوءَ مِنْ أَجْلِ أُمِّه وَأَبْغَضُهُ مِنْ بُغْضِهَا وَهْوَ حَادِرُ(٩)

ويقال أيضاً رجل [حَدُرٌ بزنة يقظ مبالغة في (حادر) من هذا المعنى(١٠)، فصار يقال](١١) حَذِر وحَذُر وحَاذِر بالذال المعجمة والمهملة والمعنى مختلف.

---

(١) والذي ذكره البغدادي في الخزانة نقلاً عن المازني أن الذي فعل ذلك هو أبان اللاحقي. انظر الخزانة ٨/ ١٧١ ـ ١٧٢.

(٢) هو العباس بن مرداس الصحابي ـ رضي الله عنه ـ ابن أبي عامر بن حارثة أسلم قبل فتح مكة بيسير، وأمه الخنساء الصحابية الشاعرة، وكان من المؤلفة قلوبهم. الخزانة ١/ ١٥٢ ـ ١٥٤.

(٣) البيت من بحر الوافر، وهو في مجاز القرآن ٢/ ٨٦، تفسير ابن عطية ١١/ ١١٣، واللسان (ذيل)، البحر المحيط ٧/ ١٨. وفي ب: (والى) بدل (وإنّي)، (أعني) بدل (أنمي)، (صنيع) بدل (منيع). أنمي: أزيد وأمدّ. الأوصال: جمع وصل، وهو المفصل. الذيّال: طويل الذيل المتبختر في مشيته. المنيع: القوي السريع. والشاهد فيه قوله (حاذر) فإنه اسم فاعل من (حذر) وهو متعد إلى مفعول محذوف لدلالة المقام كأنه قال: حاذر عدوي.

(٤) لم أهتد إلى ترجمة له فيما رجعت إليه من مراجع.

(٥) في ب: حاذون. وهو تصحيف.

(٦) المختصر (١٠٦)، المحتسب ٢/ ١٢٨، البحر المحيط ٧/ ١٨.

(٧) انظر البحر المحيط ٧/ ١٨.

(٨) صدر بيت من بحر المتقارب قاله امرؤ القيس، وعجزه: شقّت مآقيهما من أخر.
وهو في ديوانه (١٦٦)، القرطبي ١٣/ ١٠٢، اللسان (حدر)، المفضليات ٨٥٦.

(٩) البيت من بحر الطويل، لم أهتد إلى قائله، وهو في الكشاف ٣/ ١١٥، اللسان (حدر)، البحر المحيط ٧/ ١٨. والشاهد فيه قوله: (حادر). فإنه بمعنى ممتلىء قوي.

(١٠) حكاه أبو حيان عن صاحب اللوامح. البحر المحيط ٧/ ١٨.

(١١) ما بين القوسين سقط من الأصل.

واعلم أن الصفة إذا كانت جارية على الفعل وهو اسم الفاعل واسم المفعول كالضارب والمضروب أفادت الحدوث. وإذا لم تكن كذلك وهي المشبهة [أفادت الثبوت. فمن قرأ «حَذِرُونَ»(١)](٢) ذهب إلى معنى أنا قوم من عادتنا الحذر واستعمال الحزم ومن قرأ: «حَاذِرُون»(٣) ذهب إلى معنى: إنا قوم ما عهدنا أن نحذر إلا عصرنا هذا. ومن قرأ: «حَادِرُون» بالدال المهملة(٤)، فكأنه ذهب إلى نفي أصلاً، لأن الحادر(٥) هو السمين، فأراد: إنا قوم أقوياء أشداء، أو أراد: إنا شاكون في السلاح. والغرض من هذه التقادير ألا يتوهم أهل المدائن أنه منكسر من قوم موسى، أو خائف منهم(٦).

قوله: «فَأَخْرَجْنَاهُمْ». أي: خلقنا في قلوبهم داعية الخروج، فاستلزمت الداعية الفعل، فكان الفعل مضافاً إلى الله تعالى لا محالة(٧).

وقوله: «مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَكُنُوزٍ» أي: أخرجناهم من بساتينهم التي فيها عيون الماء وكنوز الذهب والفضة(٨). قال مجاهد: سماها كنوزاً، لأنه لم يعط حق الله منها، وما لم يعط الله منه فهو كنز وإن كان ظاهراً(٩).

قوله: «وَمَقَام». قرأ العامة بفتح الميم، وهو مكان القيام. وقتادة والأعرج بضمها(١٠) وهو مكان الإقامة. والمراد بـ «الكَرِيم»: الحسن(١١).

قال المفسرون: هي مجالس الأمراء والرؤساء التي كانت تحفها الأتباع(١٢).

وقيل: المواضع التي كانوا [يتنعمون فيها(١٣)](١٤).

قوله: «كَذَلِكَ». فيه ثلاثة أوجه: قال الزمخشري: يحتمل ثلاثة أوجه: النصب على أخرجناهم مثل ذلك الإخراج الذي وصفناه والجر على أنه وصف لـ «مَقَام»(١٥) أي: ومقام كريم مثل ذلك المقام الذي كان لهم، والرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف، أي: الأمر كذلك(١٦). قال أبو حيان: فالوجه الأول لا يسوغ، لأنه يؤول إلى تشبيه الشيء بنفسه، وكذلك الوجه الثاني؛ لأن المقام الذي كان لهم هو المقام الكريم، فلا

---

(١) وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو. (٢) ما بين القوسين تكملة من الفخر الرازي.
(٣) وهي قراءة عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي.
(٤) وهي قراءة ابن السميفع وابن أبي عمار. (٥) في ب: الحاذر. وهو تصحيف.
(٦) انظر الفخر الرازي ٢٤/١٣٧. (٧) انظر الفخر الرازي ٢٤/١٣٧.
(٨) المرجع السابق ٢٤/١٣٨.
(٩) انظر البغوي ٦/٢١٦، الفخر الرازي ٢٤/١٣٧ ـ ١٣٨.
(١٠) المختصر (١٠٧)، البحر المحيط ٧/١٩.
(١١) انظر البغوي ٦/٢١٧. (١٢) انظر الفخر الرازي ٢٤/١٣٨.
(١٣) انظر الفخر الرازي ٢٤/١٣٨. (١٤) ما بين القوسين في ب: ينتقمون. وهو تحريف.
(١٥) في ب: لقيام. وهو تحريف. (١٦) الكشاف ٣/١١٦.

يشبه الشيء بنفسه[١]. قال شهاب الدين: وليس في ذلك تشبيه الشيء بنفسه؛ لأن المراد في الأول: أخرجناهم إخراجاً مثل الإخراج المعروف المشهور، وكذلك الثاني[٢].

قوله: «وَأَوْرَثْنَاهَا» عطف على «فَأَخْرَجْنَاهُمْ» أي: وأورثناها بهلاكهم بني إسرائيل وذلك أن الله تعالى رد بني إسرائيل إلى مصر بعدما أغرق فرعون وقومه وأعطاهم جميع ما كان لفرعون وقومه من الأموال والمساكن[٣].

قول: «فَأَتْبَعُوهُمْ». قرأ العامة بقطع الهمزة من «أَتْبعه» أي: ألحقه نفسه، فحذف الثاني[٤]. وقيل: يقال: أَتْبعه بمعنى «اتبعه» بوصل الهمزة، أي: لحقه[٥].

وقرأ الحسن والحارث الذِّمَّارِيّ بوصلها وتشديد التاء[٦]، وهي بمعنى اللحاق.

وقوله: «مُشْرِقِينَ» أي: داخلين في وقت الشروق من: شَرَقت الشمس شروقاً: إذا طلعت[٧] كـ «أصبح، وأمسى»: إذا دخل في هذين الوقتين. وقيل: داخلين نحو المشرق كـ «أَنْجد، وأَتْهَم». و[٨] «مُشْرِقِين» منصوب على الحال، والظاهر أنه من الفاعل[٩]. وقيل: «مُشْرِقِين» بمعنى: مضيئين. وفي التفسير: أنّ بني إسرائيل كانوا في نور، والقبط في ظلمة، فعلى هذا يكون «مُشْرِقِين» حالاً من المفعول[١٠]. قال شهاب الدين: وعندي أنه يجوز أن يكون حالاً من الفاعل والمفعول إذا جعلنا «مُشْرِقِين»: داخلين في وقت الشروق، أو في مكان المشرق، لأن كلاً من القبيلين كان داخلاً في ذلك الزمان، أو في ذلك المكان[١١].

قوله: «فَلَمَّا تَرَاءَى الجَمْعَانِ» أي: تقابلا ورأى بعضهم بعضاً. قرأ العامة: «تَرَاءَى» بتحقيق[١٢] الهمزة. وابن وثاب والأعمش من غير همز[١٣]، بأن تكون الهمزة مخففة بين بين، لا بالإبدال المحض، لئلا يجتمع ثلاث ألفات، الأولى الزائدة بعد الراء، والثانية المبدلة من الهمزة، والثالثة لام الكلمة، لكن الثالثة لا تثبت وصلاً لحذفها لالتقاء الساكنين[١٤]. ثم اختلف القراء في إمالة هذا الحرف فنقول: هذا الحرف إما أن يوقف عليه أو لا، فإن وقف

---

(١) البحر المحيط ٧/ ١٩. (٢) الدر المصون ٥/ ١٥٥.

(٣) انظر البغوي ٦/ ٢١٧، القرطبي ١٣/ ١٠٥.

(٤) فتكون الهمزة للتعدية إلى المفعول الثاني، كقولهم: وأتبعه الشيء جعله له تابعاً. انظر اللسان (تبع).

(٥) انظر اللسان (تبع).

(٦) المختصر (١٠٧)، البحر المحيط ٧/ ١٩، الإتحاف ٣٣٢.

(٧) انظر الكشاف ٣/ ١١٦. (٨) و: سقط من ب.

(٩) انظر البحر المحيط ٧/ ١٩. (١٠) المرجع السابق.

(١١) الدر المصون ٥/ ١٥٥ ـ ١٧٦. (١٢) في ب: بتخفيف.

(١٣) أي: (تراي). قال ابن خالويه: («فلما ترات الفئتان» بلا همز الأعمش عن عاصم) المختصر (١٠٧)، البحر المحيط ٧/ ١٩، وفيه: (وقال أبو حاتم: وما روي عن ابن وثّاب والأعمش خطأ).

(١٤) حكاه أبو حيان عن أبي الفضل الرازي. انظر البحر المحيط ٧/ ١٩.

عليه فحمزة يميل ألفه الأخيرة، لأنها[١] طرف منقلبة عن ياء. ومن ضرورة إمالتها إمالة فتحة الهمزة المسهلة، لأنه إذا وقف على مثل هذه سهلها على مقتضى مذهب، وأمال الألف الأولى إتباعاً لإمالة فتحة الهمزة. ومن ضرورة إمالتها إمالة فتحة الراء قبلها، وهذا هو الإمالة لإمالة[٢]. وغيره من القراء لا يميل شيئاً من ذلك. وقياس مذهب الكسائي أن يميل الألف الأخيرة، وفتحة الهمزة قبلها[٣]، وكذا نقله ابن الباذش[٤] عنه وعن حمزة[٥].

وإن وصل فإن الألف الأخيرة تذهب لالتقاء الساكنين، ولذهابها تذهب إمالة فتحة الهمزة، وتبقى إمالة الألف الزائدة[٦]، وإمالة فتحة الراء قبلها عنده اعتداداً بالألف المحذوفة، وعند ذلك يقال: حذف السبب وبقي المسبب؛ لأن إمالة الألف الأولى إنما كان لإمالة الألف الأخيرة [كما تقدم تقريره، وقد ذهبت الأخيرة][٧] فكان ينبغي ألا تمال الأولى لذهاب[٨] المقتضي لذلك، ولكنه راعى المحذوف وجعله في قوة المنطوق[٩]؛ ولذا تجرأ عليه أبو حاتم فقال: وقراءة هذا الحرف بالإمالة محال[١٠]. وقد تقدم في الأنعام عند «رَأَى القَمَرَ»[١١] و «رَأَى الشَّمْسَ»[١٢] ما يشبه هذا العمل[١٣].

قوله: «لَمُدْرَكُونَ». العامة على سكون الدال، اسم مفعول من «أَدْرَكَ» أي: لملحقون. وقرأ الأعرج وعبيد بن عمرو[١٤] بفتح الدال مشددة وكسر الراء[١٥].

---

(١) في الأصل: لأن. وهو تحريف.
(٢) انظر الحجة لابن خالويه (٢٦٧ ـ ٢٦٨)، الكشف ١/ ١٩١ ـ ١٩٢.
(٣) انظر الحجة لابن خالويه (٢٦٨)، الكشف ١/ ١٩١.
(٤) هو أحمد بن علي بن أحمد خلف، أبو جعفر بن الباذش، الأنصاري الغرناطي، أستاذ كبير، وإمام محقق، ألف كتاب الإقناع في السبع، وكتاب الطرق المتداولة في القراءات قرأ على أبيه، وعبد الله بن أحمد الهمداني الجياني، وشريح بن محمد، وغيرهم، قرأ عليه أحمد بن علي بن حكيم الغرناطي، وأبو محمد بن عبيد الله الحجري، مات سنة ٥٤٠هـ، وقيل: سنة ٥٤٢هـ. طبقات القراء ١/ ٨٣.
(٥) قال أبو حيان (وقال الأستاذ أبو جعفر أحمد ابن الأستاذ أبي الحسن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري هو ابن الباذش في كتاب الإقناع من تأليفه: (تراءى الجمعان) في الشعراء، إذا وقف حمزة والكسائي أمالا الألف المنقلبة عن لام الفعل، وحمزة يميل (تفاعل) وصلاً ووقفاً لإمالة الألف المنقلبة، ففي قراءته إمالة الإمالة، وفي هذا الفعل وفي (راءى) إذا استقبله ألف وصل لمن أمال للإمالة حذف السبب وإبقاء المسبب، كما قالوا: صعقيّ في النسب إلى الصَّعق) البحر المحيط ٧/ ١٩ ـ ٢٠.
(٦) في ب: والزائدة. وهو تحريف.
(٧) ما بين القوسين سقط من ب.
(٨) الأولى: سقط من الأصل.
(٩) انظر الكشف ١/ ١٩١ ـ ١٩٢.
(١٠) انظر تفسير ابن عطية ١١/ ١١٦، البحر المحيط ٧/ ١٩.
(١١) من قوله تعالى: ﴿فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربّي﴾ [الأنعام: ٧٧].
(١٢) من قوله تعالى: ﴿فلمّا رأى الشَّمس بازغة قال هذا ربِّي هذا أكبر﴾ [الأنعام: ٧٨].
(١٣) انظر اللباب ٣/ ٤٥٢ ـ ٤٥٣.
(١٤) في ب: عمر. وفي المختصر، والمحتسب، وتفسير ابن عطية، والبحر المحيط: عبيد بن عمير.
(١٥) المختصر (١٠٧)، المحتسب ٢/ ١٢٩، تفسير ابن عطية ١١/ ١١٥، البحر المحيط ٧/ ٢٠، وضبطها ابن خالويه، وأبو حيان بكسر الراء، وابن جني، وابن عطية بفتح الراء.

قال الزمخشري: المعنى: متتابعون في الهلاك على أيديهم[(١)]، ومنه بيت الحماسة:

٣٩٠٩ ـ أَبَعْدَ بَنِي أُمِّي الَّذِينَ تَتَابَعُوا أُرَجِّي الحَيَاةَ أَمْ مِنَ المَوْتِ أَجْزَعُ[(٢)]

يعني: أن «ادَّرَك» على «افتعل» لازم بمعنى فني واضمحلّ، يقال: ادَّرَك الشيء يدَّرك فهو مدَّرَك، أي: فني متتابعاً[(٣)]، ولذلك كسرت الراء. وممن نص على كسرها أبو الفضل الرازي، قال: «وقد يكون «ادَّرَك» على «افتعل» بمعنى «أفعل» متعدياً، ولو كانت القراءة من هذا لوجب[(٤)] فتح الراء ولم يبلغني عنهما ـ يعني: عن الأعرج وعبيد ـ إلا الكسر»[(٥)].

فصل

المعنى «فَلَمَّا تَرَاءَى الجَمْعَانِ»، أي: رأى كل فريق صاحبه.

وقرىء «فَلَمَّا تَرَاءَتِ الفِئَتَانِ»[(٦)] قال أصحاب موسى: «إنَّا [لَمُدْرَكُونَ» أي][(٧)] لَمُلْحَقُون، وقالوا: يا موسى «أوذينا من قبل أَنْ تَأْتِيَنَا»[(٧)] كانوا يذبحون أبناءنا، ﴿وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ﴾ [الأعراف: ١٢٩] يدركوننا في هذه الساعة فيقتلوننا، ولا طاقة لنا بهم، فعند ذلك قال موسى ثقة بوعد الله إياه «كَلاّ» وذلك كالمنع مما توهموه، أي: لن يدركونا «إنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ»[(٨)] يدلني على طريق النجاة[(٩)].

قوله تعالى: ﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾

قوله: [﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ﴾. لما قال موسى: «إنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ» بين تعالى كيف هداه ونجّاه وأهلك أعداءه، فقال][(١٠)]: «فَأَوْحَيْنَا[(١١)] إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِعصَاكَ البَحْرَ فَانْفَلَقَ» ولا بد قبله من جملة محذوفة، أي: فضرب فانفلق. وزعم ابن عصفور أن المحذوف إنما هو: «ضرب» وفاء: «انفلق». وأن الفاء الموجودة

---

(١) الكشاف ٣/١١٦.

(٢) البيت من بحر الطويل، قاله أبو الحناك البراء بن ربعي الفقعسي، وهو في الكشاف ٣/١١٦، البحر المحيط ٧/٢٠، شرح شواهد الكشاف (٧٣). والشاهد فيه قوله: (تتابعوا). فهو بمعنى: انقرضوا واحداً بعد واحد.

(٣) انظر المحتسب ٢/١٢٩، اللسان (درك).

(٤) في ب: يوجب.

(٥) انظر البحر المحيط ٧/٢٠.

(٦) انظر الفخر الرازي ٢٤/١٣٨.

(٧) ما بين القوسين تكملة من الفخر الرازي.

(٨) في ب: سيهديني.

(٩) انظر الفخر الرازي ٢٤/١٣٨.

(١٠) ما بين القوسين سقط من ب.

(١١) في الأصل: وأوحينا. وهو تحريف.

هي فاء «فَضَرَبَ» فأبقى[١] من كل فعل ما يدلّ على المحذوف، أبقى الفاء من «فَضَرَبَ» ليدلّ على «ضَرَبَ» وأبقى «انْفَلَقَ» ليدل على الفاء المتصلة به[٢].

قوله: «فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ» اختلف القراء في ترقيق راء[٣] «فرق» فروي عن ورش الترقيق لأجل القاف[٤]. وقرىء: «فِلْق» بلام بدل الراء، لموافقة «فانفلق»[٥] والطود: الجبل العظيم المتطاول في السماء[٦].

فصل

قال ابن جريج: لما انتهى موسى إلى البحر هاجت الريح والبحر يرمي بموج كالجبال قال يوشع: يا مكلم الله، أين أمرت؟ فقد غشينا فرعون والبحر أمامنا، فقال موسى: ها هنا. فخاض يوشع الماء وجاز البحر ما يواري حافر دابته الماء، وقال[٧] الذي يكتم إيمانه: يا مكلم الله، أين أمرت؟ قال: هاهنا. فكبح[٨] فرسه بلجامه حتى طار الزبد من شدقيه، ثم أقحمه البحر فارتسب في الماء، وصنع القوم مثل ذلك، فلم يقدروا، فجعل موسى لا يدري كيف يصنع، فأوحى الله إليه أن اضرب بعصاك البحر، فضربه فانفلق، فإذا الرجل واقف على فرسه لا يبتلّ سرجه ولا لبده[٩]، وهذا معجز عظيم من وجوه:

أحدها: أن تفرق ذلك الماء معجز[١٠].

وثانيها: ثبت في الخبر أنه تعالى أرسل على فرعون وقومه من الرياح والظلمة ما حيرهم، فاحتبسوا القدر الذي يتكامل معه عدد بني إسرائيل، وهذا معجز ثالث.

ورابعها: أن جعل الله في تلك الجدران المائية كوى[١١] ينظر بعضهم إلى بعض، وهذا معجز رابع.

---

(١) في ب: وأبقى.

(٢) قال ابن عصفور: (وكذلك أيضاً يجوز حذف حرف العطف والمعطوف عليه لفهم المعنى، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿**فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق**﴾ وقوله تعالى: ﴿**وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست**﴾ [الأعراف: ١٦٠] وقوله تعالى: ﴿**فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر**﴾ [البقرة: ١٨٤] التقدير: فضرب فانفلق، فضرب فانبجست، و «فأفطر فعدة» فحذف ضرب وأفطر وفاء العطف مما بعدها من أيام أخر). شرح جمل الزجاجي ١/٢٥١، وانظر المقرب ٢٥٨ ـ ٢٥٩.

(٣) في ب: وا. وهو تحريف. (٤) الإتحاف ٣٣٢.

(٥) حكاه يعقوب عن بعضهم. المختصر ١٠٧، البحر المحيط ٧/ ٢٠.

(٦) انظر الكشاف ٣/١١٦. (٧) في ب: قال.

(٨) الكبح: كبحك الدابة باللجام، كبح الدابة يكبحها كبحاً وأكبحها: جذبها إليه باللجام، وضرب فاها به كي تقف ولا تجري. اللسان (كبح).

(٩) انظر البغوي ٦/٢١٨ ـ ٢١٩. (١٠) في الأصل: معجزة.

(١١) كوى: جمع كوّة، وهي الخرق في الحائط، والثقب في البيت ونحوه. اللسان (كوى).

وخامسها: أن بقّى الله تعالى تلك المسالك حتى قرب آل فرعون فطمعوا أن يتخلّصوا من البحر كما تخلّص موسى ـ عليه السلام[(١)] ـ فهو معجز خامس[(٢)].

قوله: «وَأَزْلَفْنَا» أي: قربنا من النجاة، و «ثَمَّ» ظرف مكان بعيد، و «الآخِرِينَ» هم موسى وأصحابه[(٣)]. وقرأ الحسن وأبو حيوة: «وَزَلَفْنَا» ثلاثياً[(٤)].

وقال أبو عبيدة: أَزْلَفْنَا: جمعنا، ومنه: ليلة المزدلفة، أي: ليلة الجمع[(٥)].

وفي القصة أن جبريل كان بين بني إسرائيل وقوم فرعون، وكان يسوق بني إسرائيل ويقول: ليلحق آخركم بأولكم، ويستقبل القبط، ويقول: رويدكم لكي يلحق آخركم. وقرأ أبيّ وابن عباس وعبد الله بن الحارث بالقاف[(٦)]، أي: أزللنا، والمراد بـ «الآخرين» في هذه القراءة: فرعون وقومه[(٧)]. والمعنى: جعلنا طريقهم في البحر زَلَقاً على خلاف ما جعله لبني إسرائيل يبساً فيزلقهم فيه.

قوله: «وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمْن معه أَجْمَعِينَ». والمعنى: أنه تعالى جعل البحر يبساً في حق موسى[(٨)]، حتى خرجوا عنه، وأغرق فرعون ومن معه، لأنه لما تكامل دخولهم في البحر انطبق الماء عليهم فغرقوا[(٩)].

قوله: «إنَّ في ذَلِكَ لآيَةً» أي: إن في الذي حدث في البحر آية عجيبة من الآيات العظام الدالة على قدرة الله تعالى؛ لأن أحداً من البشر لا يقدر عليه وعلى حكمته، وكون وقوعه مصلحة في الدين والدنيا، وعلى صدق موسى لكونه معجزة له، وعلى التحذير عن مخالفة أمر الله ورسوله، وفيه تسلية للنبي ـ عليه السلام[(١٠)] ـ لأنه قد يغتم بتكذيب قومه مع ظهور المعجزات عليه، فنبهه الله تعالى بهذا الذكر على أن له أسوة بموسى وغيره[(١١)].

ثم قال: «وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ» أي: من أهل مصر. قيل: لم يكن من أهل مصر إلا آسية امرأة فرعون وحزقيل المؤمن، ومريم بنت ناموشا التي دلت على عظام

---

(١) في ب: عليه الصلاة والسلام. (٢) انظر الفخر الرازي ٢٤/١٣٩.
(٣) هذا على خلاف ما جاء في كتب التفسير، قال الزمخشري: («الآخرين» قوم فرعون، أي قربناهم من بني إسرائيل، أو أدنينا بعضهم من بعض وجمعناهم حتى لا ينجو منهم أحد، أو قدمناهم إلى البحر) الكشاف ٣/١١٦. وانظر القرطبي ١٣/١٠٧، البحر المحيط ٧/٢٠.
(٤) تفسير ابن عطية ١١/١١٨، البحر المحيط ٧/٢٠.
(٥) مجاز القرآن ٢/٨٧.
(٦) المختصر (١٠٧)، المحتسب ٢/١٢٩، البحر المحيط ٧/٢٠.
(٧) قال ابن جني: (من قرأ «وأزلفنا» بالفاء فالآخرون موسى ـ عليه السلام ـ وأصحابه، ومن قرأها بالقاف فالآخرون فرعون وأصحابه أي: أهلكنا ثم الآخرين، أي فرعون وأصحابه) المحتسب ٢/١٢٩.
(٨) في الأصل: في حق موسى في حق. (٩) انظر الفخر الرازي ٢٤/١٤٠.
(١٠) في ب: عليه الصلاة والسلام. (١١) انظر الفخر الرازي ٢٤/١٤١.

يوسف ـ (عليه السلام[1])[2] ـ «وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ العَزِيزُ» في الانتقام من أعدائه «الرَّحِيمُ» بعباده، لأنه تعالى أفاض عليهم أصناف نعمه، وكان قادراً على أن [يهلكهم، فدل على كمال رحمته وسعة جوده وفضله[3].

قوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾

قوله تعالى: «وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ][4] إِبْرَاهِيمَ... الآيات».

اعلم أنه تعالى ذكر في أول السورة شدة حزن محمد ـ عليه السلام[5] ـ ثم ذكر قصة موسى ليعرِّف محمداً أن مثل تلك المحنة كانت حاصلة لموسى، ثم ذكر عقيبها قصة إبراهيم ليعرف محمد أن حزن إبراهيم بهذا السبب كان أشد من حزنه[6].

قوله: «إِذْ قَالَ» العامل في «إِذْ» «نَبَأَ»[7] أو «اتْلُ» قاله الحوفي[8] وهذا لا يتأتى إلا على كون «إِذْ» مفعولاً به[9]. وقيل: «إذ» بدل من «نبأ» بدا اشتمال، وهو يؤول إلى أن العامل فيه «اتْلُ» بالتأويل المذكور[10].

قوله: «وَقَوْمِهِ» الهاء تعود على إبراهيم[11]، لأنه المحدث عنه.

وقيل: تعود على «أَبِيهِ» لأن أقرب مذكور، أي: قال لأبيه وقوم أبيه، ويؤيده: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ﴾ [الأنعام: ٧٤] حيث أضاف القوم إليه[12].

قوله «مَا تَعْبُدُونَ» أي: أيّ شيء تعبدون؟ وهو يعلم أنهم عبدة الأصنام، ولكنه سألهم ليريهم أن ما يعبدونه لا يستحق العبادة، كما تقول (لتاجر الرقيق)[13]: ما[14] مالك؟ وأنت تعلم أن[15] ماله الرقيق، ثم تقول: الرقيق جمال وليس بمال[16].

قوله: «نَعْبُدُ أَصْنَاماً» أتوا في الجواب بالتصريح بالفعل ليعطفوا عليه قولهم:

---

(١) انظر البغوي ٦/ ٢٢٠.
(٢) ما بين القوسين في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٣) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٤١.
(٤) ما بين القوسين سقط من ب.
(٥) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٦) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٤١ ـ ١٤٢.
(٧) انظر التبيان ٢/ ٩٩٦.
(٨) انظر البحر المحيط ٧/ ٢٢.
(٩) فهذا إخراج له عن الظرفية ليصح هذا القول.
(١٠) انظر البحر المحيط ٧/ ٢٢.
(١١) واستظهره أبو حيان. البحر المحيط ٧/ ٢٢.
(١٢) انظر البحر المحيط ٧/ ٢٢.
(١٣) ما بين القوسين في النسختين: للتاجر. والتصويب من الفخر الرازي.
(١٤) ما: سقط من ب.
(١٥) أن: سقط من الأصل.
(١٦) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٤٢.

«فَنَظَلُّ» افتخاراً بذلك، وإلاّ فكان قولهم: «نَعْبُدُ أَصْنَاماً» كافياً[(١)] كقوله تعالى: «قُلِ العَفْوَ»[(٢)]، «قَالُوا خَيْراً»[(٣)].

قوله: «فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ». العكوف: الإقامة على الشيء. قال بعض العلماء: إنما قالوا: (فَنَظَلُّ) لأنهم يعبدونها بالنهار دون الليل، يقال: ظل يفعل كذا: إذا فعل بالنهار[(٤)]. فقال إبراهيم ـ عليه السلام[(٥)] ـ منبهاً على فساد مذهبهم: «هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ» لا بد من محذوف، أي: يسمعون دعاءكم[(٦)]، أو يسمعونكم تدعون[(٧)]، فعلى الأول هي متعدية لواحد اتفاقاً. وعلى الثاني هي متعدية لاثنين قامت الجملة المقدرة مقام الثاني، وهو قول الفارسي[(٨)].

وعند غيره: الجملة المقدرة حال[(٩)]. وتقدم تحقيق القولين.

وقرأ قتادة ويحيى بن يعمر بضم الياء وكسر الميم[(١٠)]، والمفعول الثاني محذوف، أي: يسمعونكم الجواب[(١١)].

قوله: «إِذْ تَدْعُونَ» منصوب بما قبله، فما قبله وما بعده ماضيان معنى وإن كانا مستقبلين لفظاً لعمل الأول[(١٢)] في «إذْ» ولعمل «إذْ» في الثاني[(١٣)].

وقال بعضهم: «إذ» هنا بمعنى: «إذا»[(١٤)] وقال الزمخشري: إنه على حكاية الحال الماضية، ومعناه: استحضروا الأحوال التي كنتم تدعونها فيها، هل سمعوكم إذا سمعوا[(١٥)]؟ وهو أبلغ في التبكيت[(١٦)]، وقد تقدم أنه قرىء بإدغام ذال «إذْ» وإظهارها في التاء[(١٧)]. وقال

---

(١) انظر الكشاف ٣/ ١١٧، البحر المحيط ٧/ ٢٢ ـ ٢٣.

(٢) من قوله تعالى: ﴿**ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو**﴾ [البقرة: ٢١٩].

(٣) من قوله تعالى: ﴿**وقيل لذين اتقوا ماذا أنزل ربُّكم قالوا خيراً**﴾ [النحل: ٣٠].

(٤) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٤٢.

(٥) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٦) انظر معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٤٦، الكشاف ٣/ ١١٧، البيان ٢/ ٢١٤، التبيان ٢/ ٩٩٦.

(٧) انظر البيان ٢/ ٢١٤، البحر المحيط ٧/ ٢٣.

(٨) قال أبو علي: (وأفعال الحواس الخمس كلها متعدية نحو رأيته وشممته وذقته ولمسته وسمعته، إلا أن سمعت يتعدى إلى مفعولين، ولا بد من أن يكون الثاني مما يسمع كقولك: سمعت زيداً يقول ذاك، ولو قلت: سمعت زيداً يضرب أخاك، لم يجز، فإن اقتصرت على مفعول واحد وجب أن يكون مما يسمع) انظر المقتصد شرح الإيضاح ١/ ٥٩٧.

(٩) انظر البحر المحيط ٧/ ٢٣.

(١٠) المختصر (١٠٧)، المحتسب ٢/ ١٢٩.

(١١) انظر المحتسب ٢/ ١٢٩، الكشاف ٣/ ١١٧، التبيان ٢/ ٩٩٧، البحر المحيط ٧/ ٢٣.

(١٢) وهو (يسمع) من «يسمعونكم».

(١٣) المقصود به جملة «تدعون» فهي في محل جر بإضافة (إذ) إليها.

(١٤) انظر البحر المحيط ٧/ ٢٣.

(١٥) في الكشاف: هل سمعوا أو أسمعوا قط.

(١٦) الكشاف ٣/ ١١٧.

(١٧) عند قوله تعالى: ﴿**وإذ تأذن ربُّك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب**﴾ [الأعراف: ١٦٧]. انظر اللباب ٤/ ١١٥ ـ ١١٦.

ابن عطية: ويجوز فيه قياس «مذكر» ونحوه، ولم يقرأ به أحد، والقياس أن يكون اللفظ به «إدَّدْعون»[(١)] والذي منع من هذا اللفظ اتصال الدال الأصلية في الفعل فكثرت المتماثلات[(٢)]، يعني: فيكون اللفظ بدال مشددة مهملة، ثم بدال ساكنة مهملة أيضاً.

قال أبو حيان: وهذا لا يجوز، لأن هذا الإبدال إنما هو في تاء الافتعال بعد الدال والذال والزاي نحو: ادَّهَن، واذَّكر، وازْدَجَر، وبعد جيم شذوذاً نحو: «اجْدَمعوا» في «اجتمعوا»، وفي تاء الضمير بعد الدال والزاي نحو: «فُزْدَ في فُزْتَ» و «جَلَدُّ في جَلَدْتُ»[(٣)] أو تاء «تَوْلَج» قالوا فيها: «دَوْلَج»[(٤)] وتاء المضارعة، ليس شيئاً مما ذكر، وقوله: «والذي منع. . . إلى آخره» يقتضي جوازه لو لم يوجد ما ذكر، فعلى مقتضى قوله يجوز أن تقول في «إذْ تَخْرُج»: «إذَّ خْرُج» ولا يقول ذلك أحد، بل يقولون: اتّخرج فيدغمون الذال في التاء[(٥)].

فصل

تقرير هذه الحجة التي ذكرها إبراهيم ـ عليه السلام[(٦)] ـ أن من عبد غيره لا بد أن يلتجىء إليه في المسألة ليعرف مراده أو يسمع دعاءه، ثم يستجيب له في بذل منفعة أو دفع مضرة، فقال لهم: إذا كان الذي تعبدونه لا يسمع دعاءكم حتى يعرف مقصودكم، ولو عرف ذلك لما صح أن يبذل النفع أو يدفع الضرر، فكيف تعبدون ما هذا صفته؟ فعند هذه الحجة الباهرة لم يجدوا ما يدفعون به حجته إلا التقليد، فقالوا: «وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ».

وهذا[(٧)] من أقوى الدلائل على فساد التقليد ووجوب التمسك بالاستدلال، إذ لو قلبنا الأمر فمدحنا التقليد وذممنا[(٨)] الاستدلال لكان ذلك مدحاً لطريقة الكفار التي ذمها الله، وذماً لطريقة إبراهيم التي مدحها الله[(٩)].

قوله: «كَذَلِكَ» منصوب بـ «يَفْعَلُونَ»[(١٠)] أي: يفعلون مثل فعلنا، و «يَفْعَلُونَ» في محل نصب مفعولاً ثانياً لـ «وَجَدْنَا».

قوله: «أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون». أراد به أن الباطل لا يتغير بأن يكون قديماً أو حديثاً، ولا بأن يكون في فاعليه كثرة أو قلة[(١١)].

قوله: «فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي» اللغة الغالبة إفراد «عَدُوّ» وتذكيره، قال تعالى: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ﴾

---

(١) في تفسير ابن عطية: «إذ تدعون».
(٢) تفسير ابن عطية ١١/ ١٢١.
(٣) في ب: وجلدت في جلدة. وهو تحريف.
(٤) انظر الممتع ١/ ٣٥٦ ـ ٣٥٩.
(٥) البحر المحيط ٧/ ٢٣. بتصرف يسير.
(٦) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٧) في ب: وهلا. وهو تحريف.
(٨) في ب: وذمينا.
(٩) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٤٢.
(١٠) انظر التبيان ٢/ ٩٩٧، البحر المحيط ٧/ ٢٣.
(١١) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٤٢.

[المنافقون: ٤] وإنما فعل به ذلك تشبيهاً بالمصادر نحو: «الوَلُوعُ، والقَبُول»[١] وقد يقال: أعداءٌ، وعَدُوَّةٌ[٢]، وقوله: «عَدُوٌّ لي» على أصله من غير تقدير مضاف ولا قلب، لأن العدو والصديق يجيئان في معنى الوحدة والكثرة[٣]، قال الشاعر:

٣٩١٠ ـ وَقَــوْمٌ عَــلَــى ذَوِي مِــئْــرَةٍ أَرَاهُــمْ عَــدُوًّا وَكَــانُــوا صَــدِيــقَــا[٤]

وتقدم الكلام في نظيره عند قوله[٥]: «إنَّا رَسُولُ»[٦].

وقيل: المعنى: «فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لي» لو عبدتهم يوم القيامة، كقوله: ﴿سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم: ٨٢]. (وقيل: الأصنام لا تُعادى لأنها جماد، والتقدير: فإن عبادهم عدو لي[٧])[٨]. وقيل: بل[٩] في الكلام قلب تقديره: فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لهم[١٠] وهذان مرجوحان لاستقامة الكلام بدونهما. فإن قيل: لم قال: «فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي» ولم يقل فإنها عدو لكم؟ فالجواب: أنه ـ عليه السلام[١١] ـ صور المسألة في نفسه، بمعنى أني فكرت في أمري فرأيت عبادتي لها عبادة للعدو فاجتنبتها، وأراهم أنها نصيحة نصح بها نفسه، فإذا تفكروا وقالوا: ما نصحنا إبراهيم إلا بما نصح به نفسه فيكون أدعى إلى القبول[١٢].

قوله: «إلاَّ رَبَّ العَالَمِينَ» فيه وجهان:

أحدهما: أنه منقطع، أي: لكن رب العالمين ليس بعدوٍّ لي[١٣]. وقال الجرجاني: فيه تقديم وتأخير، أي: أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون إلا ربّ

---

(١) انظر الكشاف ٣/ ١١٧.

(٢) عدوا من الصفات التي يستوي فيها المذكر والمؤنث فعول بمعنى فاعل، فلا تلحقها التاء للفصل بين المذكر والمؤنث غالباً لعدم الحاجة إليه، كرجل صبور، بمعنى: صابر، وامرأة صبور، بمعنى: صابرة وشذّ امرأة عدوة، لخروجه عن القاعدة، ومع ذلك فإنه محمول على صديقة، كما في عكسه، وهو حمل صديق على عدوه في قوله لم أبخل وأنت صديق. والقياس صديقة، وهم يحملون الضد على ضده، كما يحملون النظير على نظيره. انظر شرح التصريح ٢/ ٢٨٦ ـ ٢٨٧، الهمع ٢/ ١٧٠.

(٣) كالمصدر. انظر الكشاف ٣/ ١١٧.

(٤) البيت من بحر المتقارب، لم أهتد إلى قائله، وهو في الكشاف ٣/ ١١٧، والفخر الرازي ٢٤/ ١٣٤، شرح شواهد الكشاف (٨٥) المئرة: العداوة. ورُوي (مرة) وهي القوة وشدة الجدال.

(٥) في ب: قوله تعالى.

(٦) من قوله تعالى: **﴿إنا رسول رب العالمين﴾** [الشعراء: ١٦].

(٧) حكاه أبو حيان. البحر المحيط ٧/ ٢٤. (٨) ما بين القوسين سقط من الأصل.

(٩) ما بين القوسين في ب: وإن قيل: فلم لم يقل إن من يعبد الأصنام عدو لي فيكون. وهو تحريف.

(١٠) وهو قول الفراء. انظر معاني القرآن ٣/ ٣٨١.

(١١) في ب: عليه الصلاة والسلام. (١٢) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٤٣.

(١٣) قال الفراء: (أي كل آلهةٍ لكم فلا أعبدها إلا رب العالمين فإني أعبده) معاني القرآن ٢/ ٢٨١، وصرح به الزمخشري، فإنه قال: («إلا رب العالمين» استثناء منقطع كأنه قال ولكن رب العالمين) الكشاف ٣/ ١١٧، وانظر التبيان ٢/ ٩٩٦.

العالمين[١] فإنهم عدو لي، و «إلاَّ» بمعنى «دُونَ، وسِوَى»[٢].

والثاني: أنه متصل، وهو قول الزجاج[٣]، لأنهم كانوا يعبدون الله والأصنام، فقال إبراهيم: كل من تعبدون أعداء لي إلا رب العالمين.

وقال الحسن بن الفضل[٤]: معناه: إلا من عبد رب العالمين. وقيل: معناه: فإنهم غير معبود لي إلا رب العالمين. ثم وصف معبوده، وهو قوله: «الَّذِي خَلَقَنِي» يجوز فيه أوجه: النصب على النعت لـ «رَبّ العَالَمِينَ»، أو البدل، أو عطف البيان، أو على إضمار «أعني»[٥]. والرفع على خبر مبتدأ مضمر، أي: هو الذي خلقني، أو على الابتداء. و «فَهُوَ يَهْدِين»[٦] جملة اسمية في محل رفع خبراً له[٧].

قال الحوفي: ودخلت الفاء لما تضمنه المبتدأ من معنى الشرط[٨]. وهذا مردود، لأن الموصول معيَّنٌ ليس عاماً، ولأن الصلة لا يمكن فيها التجدد، فلم يشبه الشرط[٩] وتابع أبو البقاء[١٠] الحوفيَّ، ولكنه لم يتعرض للفاء، فإن عنى ما عناه الحوفي فقد تقدم ما فيه، وإن لم يعنه فيكون تابعاً للأخفش في تجويزه[١١] زيادة الفاء في الخبر مطلقاً نحو: «زيدٌ فاضربه»[١٢] وقد تقدم تجويزه.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾

واعلم أن إبراهيم ـ عليه السلام[١٣] ـ لما استثنى رب العالمين وصفه بما يستحق العبادة لأجله بأوصاف:

أحدها[١٤]: قوله: «الَّذِي خَلَقَنِي فَهُو يَهْدِين»[١٥]، وذلك لأن الله تعالى أثنى على

---

(١) في ب: إلا رب العالمين وقال الحسن بن الفضل فإنهم عدو لي.
(٢) انظر القرطبي ١٣/ ١١٠، البحر المحيط ٧/ ٢٤، وقال أبو حيان معقباً على قول الجرجاني: (فجعله مستثنى مما بعد «كنتم تعبدون» ولا حاجة إلى هذا التقدير، لصحة أن يكون مستثنى من قوله: «فإنهم عدو لي»).
(٣) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٩٣.
(٤) لعله الحسن بن أبي الفضل. وقد تقدم.
(٥) انظر البحر المحيط ٧/ ٢٤.
(٦) في النسختين: يهديني.
(٧) انظر البيان ٢/ ٢١٥، التبيان ٢/ ٩٩٧، البحر المحيط ٧/ ٢٤.
(٨) انظر البحر المحيط ٧/ ٢٤.
(٩) هذا اعتراض أبي حيان على الحوفي. انظر البحر المحيط ٧/ ٢٤.
(١٠) قال أبو البقاء: (. . . «الذي» مبتدأ، «فهو» مبتدأ ثان، و «يهدين» خبره، والجملة خبر «الذي») التبيان ٢/ ٩٩٧.
(١١) في ب: تجويز.
(١٢) انظر البحر المحيط ٧/ ٢٤.
(١٣) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٤) في ب: أهلها. وهو تحريف.
(١٥) في ب: يهديني.

نفسه بهذين الأمرين في قوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾[١] [الأعلى: ٢ ـ ٣].

وقال: «خَلَقَنِي» بلفظ الماضي، لأن خلق الذات لا يتجدد في الدنيا، بل لما وقع بقي إلى الأمد المعلوم[٢].

وقال: «فَهُوَ يَهْدِيْن»[٣] بلفظ المستقبل، لأن الهداية مما تتكرر كل حين وأوان، سواء كانت تلك الهداية من المنافع الدنياوية بتمييز النافع[٤] عن الضار، أو من المنافع الدينية بتميز الحق عن الباطل والخير عن الشر[٥].

قوله: «وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِين»[٦]. يجوز أن يكون مبتدأ وخبره محذوف[٧] وكذلك ما بعده، ويجوز أن تكون[٨] أوصافاً لـ «الَّذِي خَلَقَنِي» ودخول الواو جائز[٩]، وقد تقدم تحقيقه في أول البقرة[١٠] كقوله:

٣٩١١ ـ إلَى المَلِك القَرْمِ وَابنِ الهُمَامِ وَلَيْثِ الكَتِيبَةِ فِي المُزْدَحَمْ[١١]

وأثبت ابن أبي إسحاق ـ وتروى عن عاصم أيضاً ـ ياء المتكلم في: «يَسْقِينِ، ويَشْفِينِ، ويُحْيِينِ»[١٢].

فصل[١٣]

المعنى: يرزقني ويغذوني بالطعام والشراب، ونبه بذكر الطعام والشراب على ما عداهما.

قوله: «وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ» أضاف[١٤] المرض إلى نفسه، وإن كان المرض والشفاء كله من الله استعمالاً لحُسن الأدب كما قال الخضر[١٥]: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾

---

(١) [الأعلى: ٢، ٣]. انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٣٤.
(٢) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٤٤.
(٣) في ب: يهديني.
(٤) في ب: المنافع.
(٥) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٤٤.
(٦) في ب: ويسعين.
(٧) وقدره ابن الأنباري من جنس الأول، أي: فهو يهدين. البيان ٢/ ٢١٥، وانظر التبيان ٢/ ٩٩٧.
(٨) في الأصل: أن تكونوا.
(٩) انظر التبيان ٢/ ٧٧٩.
(١٠) عند قوله تعالى: **﴿والّذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك﴾** [البقرة: ٤]. انظر اللباب ١/ ٤٥.
(١١) البيت من بحر المتقارب مجهول القائل، وهو في معاني القرآن ١/ ١٠٥، ٢/ ٥٨، ٢٤٦، الكشاف ١/ ٢٣، الإنصاف ٢/ ٤٦٩، الخزانة ١/ ٤٥١، ٥/ ١٠٧، ٦/ ٩١. القرم بفتح القاف: السيد. الهمام: الملك العظيم الهمة، السيد الشجاع السخي. الكتيبة: الجيش. المزدحم: محل الازدحام، وأراد به المعركة. والشاهد فيه عطف بعض الصفات على بعض، فقد عطف قوله (وابن الهمام) على (القرم)، ثم عطف عليه (وليث الكتيبة) وذلك جائز، لأن الموصوف بها واحد.
(١٢) القرطبي ١٣/ ١١١، الإتحاف (٣٣٢ ـ ٣٣٣).
(١٣) فصل: سقط من الأصل.
(١٤) في ب: وأضاف.
(١٥) في ب: الخضر عليه الصلاة والسلام.

[الكهف: ٧٩]، وقال: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢].

وأجاب ابن الخطيب بأجوبة أخر، منها: أن أكثر أسباب المرض تحدث بتفريط الإنسان في مطاعمه ومشاربه وغير ذلك، ومن ثم قال الحكماء: لو قيل لأكثر الموتى: ما سبب آجالكم؟ لقالوا: التخَم. ومنها: أن الشفاء محبوب، وهو من أصول النعم، والمرض مكروه وليس من النعم وكان مقصود إبراهيم ـ عليه السلام[1] ـ تعديد النعم، ولما لم يكن المرض من النعم لا جرم لم يضفه إلى الله، فإن نقضته بالأمانة فجوابه: أن الموت ليس بضرر، لأن شرط كونه ضرراً وقوع الإحساس به، وحال حصول الموت لا يحصل الإحساس به، إنما الضرر في مقدماته، وذلك هو عين المرض، ولأن الأرواح إذا كملت في العلوم والأخلاق كان بقاؤها في هذه الأجساد عين الضرر، وخلاصتها عنها عين السعادة (بخلاف المرض[2])[3].

قوله: «وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ». والمراد منه: الإماتة في الدنيا والتخلص عن آفاتها، والمراد من الإحياء: المجازاة[4]، ولذلك أدخل «ثُمَّ» ههنا للتراخي، أي: يميتني[5] ويحيين في الآخرة.

قوله: «والَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ» قرأ العامة: «خَطِيئَتِي» بالإفراد. والحسن: «خَطَايَايَ»[6] جمع تكسير. فإن قيل: لم قال: «والَّذِي أَطْمَعُ» والطمع عبارة عن الظن والرجاء، وهو عليه السلام[7] كان قاطعاً بذلك؟ فالجواب: هذا الكلام يستقيم على مذهب أهل السنة، حيث قالوا: لا يجب على الله لأحد شيء، وأنه يحسن منه كل شيء، ولا اعتراض لأحد عليه في فعله.

وأجاب الجبائي عنه من وجهين:

الأول: أن قوله: «والَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي» أراد به سائر المؤمنين، لأنهم الذين يطمعون ولا يقطعون به.

والثاني: المراد[8] من الطمع: اليقين، وهو المروي عن الحسن[9].

وأجاب الزمخشري بأنه إنما ذكره على هذا الوجه تعليماً لأمته كيفية الدعاء[10].

قال ابن الخطيب: وهذه وجوه ضعيفة، أما الأول فإن الله تعالى حكى الثناء أولاً

---

(١) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٢) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٤٥.
(٣) ما بين القوسين سقط من ب.
(٤) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٤٥.
(٥) في ب: يميتني في الدنيا.
(٦) المختصر (١٠٧)، تفسير ابن عطية ١١/ ١٢٥، البحر المحيط ٧/ ٢٥، الإتحاف (٣٣٣).
(٧) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٨) في ب: أن المراد.
(٩) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٤٥.
(١٠) انظر الكشاف ٣/ ١١٨، الفخر الرازي ٢٤/ ١٤٥.

والمدح ثانياً، ومن أول المدح إلى آخر الدعاء كلام إبراهيم ـ عليه السلام(١) ـ فجعل الشيء الواحد وهو كقوله: «وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ» كلام غيره ممّا يبطل نظم الكلام ويفسده.

وأما قوله: إن الطمع هو اليقين (فهذا)(٢) على خلاف اللغة.

وأما الثالث وهو أن المراد تعليم الأمة فباطل أيضاً(٣)، لأن(٤) حاصله يرجع إلى أنه كذب على نفسه لغرض تعليم الأمة، وإنه باطل أيضاً(٥). فإن قيل: لم أسند إلى نفسه الخطيئة مع أن الأنبياء منزهون عن الخطايا؟ فالجواب(٦) من وجوه:

أحدها: قال مجاهد: هي قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩] وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٣] وقوله لسارة: «هذه أختي»(٧) وزاد الحسن قوله للكوكب: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾(٨) [الأنعام: ٧٦].

قال ابن الخطيب: وهذا ضعيف، لأن نسبة الكذب إليه غير جائز(٩).

وثانيها: أنه ذكره على سبيل التواضع وهضم النفس.

قال ابن الخطيب: وهذا ضعيف، لأنه إن كان صادقاً في هذا التواضع فقد لزم الإشكال، وإن كان كاذباً فحينئذ يرجع حاصل الجواب إلى إلحاق المعصية به، وهو منزه عن المعصية(١٠).

وقال: **وثالثها**، وهو الجواب الصحيح: أن يحمل ذلك على ترك الأولى، وقد يسمى ذلك خطأ، فإن من ملك جوهرة أمكنه أن(١١) يبيعها بألف ألف دينار، فباعها بدينار، قيل: إنه أخطأ، وترك الأولى على الأنبياء جائز(١٢).

فإن قيل: ما فائدة قوله: «يَغْفِرَ لِي»؟

فالجواب من وجوه: **الأول**: أن الأب إذا عفا عن ولده، والسيد عن عبده، والزوج عن زوجته فإنما يكون ذلك طلباً للثواب، أو لحسن الثناء والمحمدة، أو(١٣) دفعاً للألم الحاصل من الرقة الجنسية، وإذا كان كذلك لم يكن عفوه إلا رعاية جانب نفسه، إما لتحصيل ما ينبغي، أو لدفع ما لا ينبغي، وأما الإلّه سبحانه فإنه كامل بذاته فيستحيل أن

---

(١) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٢) فهذا: تكملة من الفخر الرازي.
(٣) أيضاً: سقط من ب.
(٤) في ب: لأنه. وهو تحريف.
(٥) الفخر الرازي ٢٤/١٤٥ ـ ١٤٦.
(٦) في ب: والجواب.
(٧) انظر الفخر الرازي ٢٤/١٤٦، القرطبي ١٣/١١٢.
(٨) [الأنعام: ٧٦]، (٧٧، ٧٨). وانظر القرطبي ١٣/١١٢.
(٩) الفخر الرازي ٢٤/١٤٦.
(١٠) المرجع السابق.
(١١) في الأصل: بأن.
(١٢) الفخر الرازي ٢٤/١٤٦.
(١٣) في ب: و.

تحدث له صفات كمال لم تكن، أو يزول عنه نقصان كان، وإذا كان كذلك لم يكن عفوه إلا رعاية لجانب المعفو عنه.

فقوله: «يَغْفِرَ لِي» معناه: أن غفرانه لي ولأجلي، لا لأجل أمر عائد إليه ألبتة[١].

وثانيها: كأنه قال: خلقتني لا لي، فإنك حين خلقتني لم أكن موجوداً، فإذا عفوت كان ذلك العفو لأجلي[٢]، فلما خلقتني أولاً مع أني ما كنت[٣] محتاجاً إلى ذلك الخلق، فلأن تغفر لي وتعفو عني حال ما أكون في أشد[٤] الحاجة إلى العفو والمغفرة كان أولى.

وثالثها: أن إبراهيم ـ عليه السلام[٥] ـ كان مع شدة استغراقه في المعرفة شديد الفرار عن الوسائط، ولذلك[٦] لما قال له جبريل: «ألك حاجة؟» قال: «أما إليك فلا» فهاهنا قال: «أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي» أي: بمجرد عبوديتي واحتياجي إليك تغفر لي خطيئتي، لا أن تغفرها بواسطة شفاعة شافع[٧]. فإن قيل[٨]: لم علق غفران الخطيئة بيوم الدين وإنما تغفر في الدنيا؟

فالجواب: لأن أثرها يظهر يوم الدين، وهو الآن خفي لا يعلم[٩].

قوله تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾

قوله تعالى[١٠]: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾. لما حكى عن إبراهيم ـ عليه السلام[١١] ـ ثناءه على الله ـ تعالى ـ ذكر[١٢] بعد ذلك دعاءه ومسألته، وذلك تنبيه على أن تقديم الثناء على الدعاء من المهمات[١٣]. فإن قيل: لِمَ لَمْ يقتصر إبراهيم على الثناء ولا سيما يروى عنه أنه قال: حسبي من سؤالي علمه بحالي؟

فالجواب: أنه عليه السلام[١٤] إنما ذكر ذلك حين اشتغاله بدعوة الخلق إلى الحق، لأنه قال: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٧٧] ثم ذكر الثناء، ثم ذكر الدعاء، لأن[١٥] الشارع لا بد له من تعليم الشرع، فأما حين (ما)[١٦] خلا بنفسه ولم يكن غرضه

---

(١) في ب: البتة إليه.
(٢) في ب: لأجل.
(٣) في الفخر الرازي: مع أني كنت.
(٤) في ب: شدة.
(٥) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٦) في ب: وكذلك. وهو تحريف.
(٧) انظر الفخر الرازي ٢٤/١٤٦.
(٨) في الأصل: علق. وهو تحريف.
(٩) انظر الكشاف ٣/١١٨، والفخر الرازي ٢٤/١٤٦.
(١٠) تعالى: سقط من ب.
(١١) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٢) في ب: ذكره.
(١٣) انظر الفخر الرازي ٢٤/١٤٧.
(١٤) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٥) في النسختين: لما أن. والتصويب من الفخر الرازي.
(١٦) ما: تكملة من الفخر الرازي.

تعلم الشرع اقتصر على قوله: «حسبي من سؤالي علمه بحالي»[١] واعلم أن قوله: «رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَأَلْحِقْنِي بالصَّالِحِينَ» أجابه الله تعالى بقوله ﴿وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[٢].

والمراد بـ «الحكم»: إدراك الحق والعلم، لأن النبوة كانت حاصلة له، وتحصيل الحاصل محال، وهذا قول مقاتل[٣]. وقال ابن عباس: معرفة حدود الله وأحكامه.

وقال الكلبي: النبوّة[٤] «وَأَلْحِقْنِي بالصَّالِحِينَ» من قبلي من النبيين في المنزلة والدرجة.

قوله: «وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ في الآخِرِينَ». أي: ثناء حسناً، وذكراً جميلاً، وقبولاً عاماً في الأمم التي تجيء بعدي. قال ابن عباس: أعطاه الله بقوله: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْءَاخِرِينَ﴾[٥] [الصافات: ١٠٨] فأهل الأديان يتولونه ويثنون عليه.

قال القتيبي: وضع اللسان موضع القول على الاستعارة، لأن القول يكون به[٦]. وقيل: المراد منه: أن يجعل في ذريته في آخر الزمان من يكون داعياً إلى الله تعالى وذلك هو محمد ـ عليه السلام[٧] ـ فالمراد من قوله: «وَاجْعَل لِي لِسَانَ صدق في الآخرين» بعثة محمد[٨] ـ ﷺ[٩] ـ.

قوله: «واجْعَلْنِي (مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيم»)[١٠] «مِنْ وَرَثَةِ» إما أن يكون مفعولاً ثانياً، أي: مستقراً أو كائناً من ورثة. وإما أن يكون صفة لمحذوف هو المفعول الثاني، أي: وارثاً من ورثة[١١]. واعلم أنه لما طلب سعادة الدنيا طلب بعدها سعادة الآخرة، وهي جنة النعيم، وشبهها بما يورث لأنه[١٢] الذي يغتنم في الدنيا، فشبه غنيمة الآخرة بغنيمة الدنيا[١٣].

قوله: «واغْفِرْ لأبي إنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالين». لما فرغ من طلب السعادات[١٤] الدنيوية والأخروية لنفسه طلبها لأشد الناس التصاقاً به، وهو أبوه، وفيه وجهان:

الأول: أن المغفرة مشروطة بالإسلام، وطلب المشروط متضمن لطلب الشرط، فقوله «واغْفِر لأَبِي» كأنه دعاء له بالإسلام.

---

(١) انظر الفخر الرازي ١٤٧/٢٤.
(٢) [البقرة: ١٣٠]، [النحل: ١٢٢]، [العنكبوت: ٢٧]. وانظر الفخر الرازي ١٤٧/٢٤.
(٣) انظر الفخر الرازي ١٤٧/٢٤.
(٤) في ب: والنبوة.
(٥) [الصافات: ١٠٨]، وتكررت في نفس السورة الآية (٧٨، ١٢٩) وانظر الفخر الرازي ١٤٩/٢٤.
(٦) انظر القرطبي ١١٣/١٣.
(٧) في ب: ﷺ.
(٨) في ب: محمداً. وهو تحريف.
(٩) انظر الفخر الرازي ١٤٩/٢٤.
(١٠) ما بين القوسين مكرر في ب.
(١١) ذكر هذا الوجه أبو البقاء. انظر التبيان ٩٩٧/٢.
(١٢) في ب: لأنه هو.
(١٣) انظر الفخر الرازي ١٤٩/٢٤ ـ ١٥٠.
(١٤) في النسختين: السؤالات. والتصويب من الفخر الرازي.

الثاني: أن أباه وعده بالإسلام لقوله: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾ [التوبة: ١١٤] فدعا له قبل أن يتبين له (أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّه)[١]، كما سبق في سورة التوبة. وقيل: إن أباه قال له: إنه على دينه باطناً وعلى دين نمروذ ظاهراً تقيَّة وخوفاً، فدعا له لاعتقاده أن الأمر كذلك، فلما تبين له خلاف ذلك تبرأ منه ولذلك قال في دعائه: «إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّين» فلولا اعتقاده فيه أنه في الحال ليس بضال لما قال ذلك[٢].

قوله: «وَلاَ تُخْزِني يَوْمَ يُبْعَثُون». (قال الزمخشري)[٣]: الإخزاء من الخزي، وهو الهوان، ومن الخزاية، وهي الحياء[٤]. وهذه الآية تدل على أنه لا يجب على الله شيء كما تقدم في قوله: «وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يومَ الدِّين». فإن قيل: لما قال أولاً: «وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَة جَنَّةِ النَّعِيم» كان كافياً عن قوله: «وَلاَ تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ». وأيضاً فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [النحل: ٢٧] فما كان نصيب الكفار فقط كيف يخافه المعصوم؟

فالجواب: أن حسنات الأبرار سيئات المقربين، فكذا درجات الأبرار خزي المقربين، وخزي كل واحد بما يليق به[٥].

قال الزمخشري: في (يبعثون) ضمير العباد لأنه معلوم، أو ضمير الضالين[٦].

قوله: «يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ... الآية». «يَوْمَ لاَ يَنْفَع» بدل من «يوم» قبله[٧] وجعل ابن عطية هذا من كلام الله تعالى إلى آخر الآيات مع إعرابه «يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ» بدلاً من «يَوْمَ يُبْعَثُون»[٨]. وردّه أبو حيان بأن العامل في البدل هو العامل في المبدل منه أو آخر مثله مقدر. وعلى كلا هذين القولين لا يصح لاختلاف المتكلمين[٩]. واعلم أن الله تعالى قد أكرمه بهذا الوصف حيث قال: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الصافات: ٨٣ ـ ٨٤].

قوله: «إلاَّ مَنْ أَتَى اللَّه» فيه أوجه:

أحدها: أنه منقطع، أي «من أَتَى اللَّهَ بِقَلْبِ سَلِيم» فإنه ينفعه ذلك.

وقال الزمخشري: ولا بد مع ذلك من تقدير المضاف، وهو الحال المراد بها سلامة

---

(١) ما بين القوسين سقط من ب.
(٢) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٥٠.
(٣) ما بين القوسين سقط من ب.
(٤) الكشاف ٣/ ١١٨.
(٥) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٥٠.
(٦) الكشاف ٣/ ١١٨.
(٧) من الآية التي قبلها. انظر التبيان ٢/ ٩٩٧.
(٨) قال ابن عطية: («يوم» بدل من الأول في قوله تعالى: ﴿**يوم يبعثون**﴾ والمعنى: يوم لا تنفع أعلاق الدنيا ومحاسنها) تفسير ابن عطية ١١/ ١٢٦.
(٩) انظر البحر المحيط ٧/ ٢٨.

القلب[(١)]، وليست من جنس المال والبنين حتى يؤول المعنى إلى أن البنين والمال لا ينفعان، وإنما ينفع سلامة القلب، ولو لم يقدر المضاف لم يتحصل للاستثناء معنى[(٢)].

قال أبو حيان: ولا ضرورة تدعو إلى حذف المضاف كما ذكر[(٣)].

قال شهاب الدين[(٤)]: إنما قدر المضاف ليتوهم دخول المستثنى في المستثنى منه لأنه متى لم يتوهم ذلك لم يقع الاستثناء، ولهذا منعوا: صَهَلَتِ الخَيْلُ إلاَّ الإِبِلَ. إلاَّ بتأويل[(٥)].

الثاني: أنه مفعول به لقوله: «لاَ يَنْفَعُ» أي: لا ينفع المال والبنون إلا هذا الشخص فإنه ينفعه ماله المصروف في وجوه البِرِّ وبنوه الصلحاء، لأنه علَّمهم وأحسن إليهم[(٦)].

الثالث: أنه بدل من المفعول المحذوف، أو مستثنى منه، (إذ التقدير: لا ينفع مال ولا بنون أحداً من الناس إلا من كانت هذه صفته[(٧)]، والمستثنى منه)[(٨)] يحذف كقوله:

٣٩١٢ ـ وَلَمْ[(٩)] يَنْجُ إلاَّ جَفْنُ سَيْفٍ وَمِئْزَرا[(١٠)]

أي: ولم ينج بشيء.

الرابع: أنه بدل من فاعل «يَنْفَعُ» فيكون مرفوعاً. قال أبو البقاء: وغلب من يعقل فيكون التقدير: إلاَّ مالُ من، أو بنون من فإنه ينفع نفسه وغيره بالشفاعة[(١١)].

قال شهاب الدين: وأبو البقاء خلط وجهاً بوجه، وذلك أنه إذا أردنا أن نجعله بدلاً من فاعل «يَنْفَعُ» قلنا: فيه طريقتان[(١٢)]:

إحداهما[(١٣)]: طريقة التغليب، أي: غلَّبنا البنين على المال، فاستثنى من البنين

---

(١) في النسختين: السلامة. وما أثبته من الفخر الرازي.

(٢) الكشاف ٣/١١٨. (٣) البحر المحيط ٧/٢٦.

(٤) الدر المصون ٥/١٥٩.

(٥) شرط الاستثناء المنقطع أن يناسب المستثنى منه، فلا يجوز قام القوم إلا ثعباناً، وأن لا يسبق ما هو نص في خروجه، فلا يجوز صهلت الخيل إلا الإبل، بخلاف صوتت الخيل إلا الإبل، فالمثال الذي ذكره شهاب الدين على ظاهره لا يجوز، لأنه قد سبق ما هو نص في خروج ما بعد (إلا)، فيصبح (إلا) لغواً لا فائدة منها، لأن الصهيل خاص بالخيل، وكأن شهاب الدين يقصد بالتأويل هنا أن يضمن (صهلت) معنى (صوتت). انظر حاشية الصبان على الأشموني ٢/١٤٣.

(٦) انظر الكشاف ٣/١١٨. (٧) انظر التبيان ٢/٩٩٨.

(٨) ما بين القوسين سقط من ب. (٩) في الأصل: ولا.

(١٠) عجز بيت من بحر الطويل، وصدره:

نجا سالم والنفس منه بشدقه

وقد تقدم تخريجه.

(١١) التبيان ٢/٩٩٨. (١٢) في النسختين: طريقان. والصواب ما أثبته.

(١٣) في الأصل: أحدهما.

فكأنه قيل: لا ينفع البنون إلا من أتى من البنين بقلب سليم فإنه ينفع نفسه بصلاحه وغيره بالشفاعة.

والطريقة الثانية: أن نقدر مضافاً محذوفاً قيل «من» أي: إلاّ مال من، أو بنو من، فصارت الأوجه خمسة[١]. ووجه الزمخشري اتصال الاستثناء بوجهين:

أحدهما: إلا حالة[٢] «مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ» وهو من قوله:

٣٩١٣ ـ تَحِيَّةُ بَيْنِهِمْ ضَرْبٌ وَجِيعُ[٣]

وما ثوابه إلا السيف، ومثاله أن يقال: هل لزيدٍ مالٌ وبنون؟ فيقال: مالُه وبنُوه سلامة[٤] قلبِهِ، يريد نَفْيَ المالِ والبنين عنه، وإثبات سلامة قلبه بدلاً عن ذلك[٥].

والثاني: قال: وإن[٦] شئت حملت الكلام على المعنى وجعلت المال والبنين في معنى الغنى، كأنه قيل: يوم لا ينفع غنى إلا من أتى الله، لأن غنى الرجل في دينه بسلامه قلبه، كما أن غناه في دنياه بماله وبنيه[٧].

فصل

وفي «السليم» ثلاثة أوجه:

قال ابن الخطيب: أصحها: أن المراد منه سلامه النفس[٨] عن الجهل والأخلاق الرذيلة[٩]. وقيل: السليم: الخالص من الشرك والشك، فأما الذنوب فليس يسلم منها أحد، وهذا قول أكثر المفسرين[١٠]. وقال سعيد بن المسيب: القلب السليم هو الصحيح، وهو قلب المؤمن، لأن قلب الكافر والمنافق مريض، قال الله تعالى: «فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ»[١١][١٢]. وقيل: السليم: هو[١٣] اللديغ من خشية الله[١٤]. وقيل: السليم: هو الذي سَلَّم وأَسْلَم وسَالَم واسْتَسْلَم[١٥].

قوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا

(١) الدرر المصون ٥/ ١٥٩. (٢) في الكشاف: حال.

(٣) عجز بيت من بحر الوافر، قاله عمرو بن معديكرب، وصدره:

وخيل قد دلفت لها بخيل

وقد تقدم.

(٤) في ب: وسلامة. (٥) الكشاف ٣/ ١١٨.

(٦) في ب: إن. (٧) الكشاف ٣/ ١١٨.

(٨) في الفخر الرازي: القلب. (٩) الفخر الرازي ٢٤/ ١٥١.

(١٠) انظر القرطبي ١٣/ ١١٤.

(١١) ورد في القرآن إحدى عشرة مرة، أولها [البقرة: ١٠]. انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن (٦٦٤).

(١٢) انظر القرطبي ١٣/ ١١٤. (١٣) هو: سقط من ب.

(١٤) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٥١. (١٥) المرجع السابق.

كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾
وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ
نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَـٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ
حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ
﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾

قوله تعالى: «وَأُزْلِفَتِ الجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ» أي: أن[1] الجنة تكون قريبة من موقف السعداء ينظرون إليها ويفرحون بأنهم المحشورون إليها[2]. «وَبُرِّزَتِ الجَحِيْمُ لِلْغَاوِين» أي: أُظْهِرَت[3].

وقرأ مالك بن دينار[4]: «وبَرَزت» بفتح الباء والراء[5] خفيفة مبنياً للفاعل مسنداً لـ «الجحيم»، فلذلك رفع[6]، والمراد بـ «الغاوين» الكافرون[7].

«وَقِيْلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُوْنَكُمْ»: يمنعونكم من العذاب بنصرتهم، أو ينفعون أنفسهم بانتصارهم.

قوله: «فَكُبْكِبُوا» أي: أُلقوا وقُلِبَ بعضهم على بعض. قال الزمخشري: الكَبْكَبَة: تكرِير الكبِّ، جعل التكرير في اللفظ دليلاً على التكرير في المعنى[8].

وقال ابن عطية نحواً منه[9]، قال: وهو الصحيح، لأن تكرير الفعل[10] بَيِّنٌ نحو: صَرَّ وَصَرْصَرَ[11]، وهذا هو مذهب الزجاج[12].

وفي مثل هذا البناء ثلاثة مذاهب:

أحدها: هذا.

والثاني: وهو مذهب البصريين أن الحروف كلها أصول.

والثالث: وهو قول الكوفيين: أن الثالث مبدل من مثل الثاني. فأصل «كَبْكَبَ»: كَبَّبَ، بثلاث باءات، ومثله «لَمْلَمَ، وَكَفْكَفَ»، هذا إذا صح المعنى بسقوط الثالث،

(١) أن: سقط من الأصل.
(٢) انظر الفخر الرازي ٢٤/١٥٢.
(٣) انظر البغوي ٦/ ٢٢٤.
(٤) تقدم.
(٥) في الأصل: الراء والباء.
(٦) تفسير ابن عطية ١١/١٢٧، البحر المحيط ٧/٢٧.
(٧) انظر القرطبي ١٣/ ١١٥ ـ ١١٦.
(٨) الكشاف ٣/ ١١٩.
(٩) قال ابن عطية: (و «كبكب» مضاعف من «كب» هذا قول الجمهور) تفسير ابن عطية ١١/ ١٢٨.
(١٠) في تفسير ابن عطية: لأن معناهما واحد والتضعيف.
(١١) تفسير ابن عطية ١١/ ١٢٨.
(١٢) قال الزجاج: (ومعنى كبكبوا طرح بعضهم على بعض، وقال أهل اللغة معناه: هوِّروا. وحقيقة ذلك في اللغة تكرير الانكباب كأنه إذا ألقي ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر فيها يستجير بالله منها) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٩٤.

فأما[١] إذا لم يصح المعنى بسقوطه كانت كلها أصولاً من غير خلاف[٢] نحو: «سِمْسِم، وخِمْخِم»[٣]. وواو «كُبْكِبُوا» قيل: للأصنام، إجراء لها مجرى العقلاء. وقيل[٤]: (لعابديها)[٥][٦].

فصل

قال ابن عباس: جمعوا[٧]. وقال مجاهد: دُهْوِرُوا[٨]. وقال مقاتل: قذفوا[٩] وقال الزجاج: طُرِحَ بعضُهم على (بعض)[١٠][١١]. وقال القتيبي: أُلْقُوا على رؤوسهم «هَمْ والغَاوُوْن» يعني: الشياطين، قاله قتادة ومقاتل. وقال الكلبي: كَفَرَةُ الجن. «وَجُنُوْدُ إِبْلِيْسَ أَجْمَعُوْن» أتباعه من الجن والإنس. وقيل: ذريته[١٢].

قوله: «وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ» جملة حالية[١٣] معترضة بين القول ومعموله ومعمول الجملة القسمية[١٤].

قوله: «إِنْ كُنَّا لَفِي». مذهب البصريين: أن «إن» مخففة، واللام فارقة. ومذهب الكوفيين: أن «إن»[١٥] نافية، واللام بمعنى «إلا»[١٦].

فصل

المعنى: قال الغاوون للشياطين والمعبودين «وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ» مع المعبودين، ويجادل بعضهم بعضاً: «تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ» يذكرون ذلك حين يروا صورها على وجه الاعتراف (بالخطأ العظيم وعلى)[١٧] وجه الندامة لا على وجه المخاطبة، لأنها جماد لا تخاطب، وأيضاً فلا ذَنْبَ لها بأن عَبَدها غيرها. ومما يدل على أن ذلك ليس

---

(١) انظر شرح الشافية ١/ ٦١ ـ ٦٢، البحر المحيط ٧/ ٣ ـ ٤.
(٢) أما: سقط من ب.
(٣) الخمخم: بالكسر، نبات تعلف حبه الإبل. اللسان (خمم).
(٤) في الأصل: وهي.
(٥) انظر البحر المحيط ٧/ ٢٧.
(٦) ما بين القوسين في ب: العائد بها. وهو تحريف.
(٧) انظر البغوي ٦/ ٢٢٤.
(٨) انظر البغوي ٦/ ٢٢٥. دهور الشيء فتدهور: قذفه ودفعه فسقط في مهواة، يقال: دهور الكلام، أي: قحم بعضه في أثر بعض، ويقال: دهور اللقم أي أدارها والتهمها. اللسان (دهر).
(٩) المرجع السابق.
(١٠) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٩٤.
(١١) ما بين القوسين في ب: بعضهم. وهو تحريف.
(١٢) انظر البغوي ٦/ ٢٢٥.
(١٣) حالية: سقط من الأصل.
(١٤) انظر البحر المحيط ٧/ ٢٧.
(١٥) في ب: نا. وهو تحريف.
(١٦) انظر الإنصاف المسألة (٩٠) ٢/ ٦٤٠ ـ ٦٤٣، البحر المحيط ٧/ ٢٧، ائتلاف النصرة (١٥٥ ـ ١٥٦).
(١٧) ما بين القوسين في النسختين: والخطأ العظيم على. والتصويب من الفخر الرازي.

بخطاب لها في الحقيقة قولهم: «وَمَا أَضَلَّنَا إِلاَّ المُجْرِمُونَ»[١] قوله: «إِذْ نُسَوِّيكُمْ». «إِذْ» منصوب إمَّا بـ «مُبِينٍ»[٢]، وإما بمحذوف، أي: ضَلَلْنَا في وقت تَسْوِيتنا لَكُم بالله في العبادة[٣]. ويجوز على ضعف أن يكون معمولاً لـ «ضَلاَلٍ»، والمعنى عليه إلا أن ضعفه صِنَاعِيّ وهو أن المصدر الموصوف لا يعمل بعد وصفه[٤].

فصل

«نُسَوِّيكُمْ» نَعْدِلُكُم «بِرَبِّ العَالَمِينَ» فنعبدكم، «وَمَا أَضَلَّنَا»: دعانا[٥] إلى الضلال «إِلاَّ المُجْرِمُونَ». قال مقاتل: يعني: الشياطين[٦].

وقال الكلبي: إلا أولونا الذين اقتدينا (بهم)[٧][٨].

قوله: «فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ» أي: من يشفع لنا؟ كما نرى المؤمنين لهم شفعاء من الملائكة والنبيين والمؤمنين، «وَلاَ صَدِيقٍ» وهو الصادق في المودة بشرط الدين. قال جابر بن عبد الله: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَقُولُ فِي الجَنَّةِ: ما فَعَلَ صَدِيْقِي فُلان؟ وصَديقُه في الجحيم، فَيَقُولُ الله تعالى: أَخْرِجُوا لَهُ صَدِيقَهُ إلى[٩] الجَنَّة. فيقول مَنْ بَقِيَ: فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلاَ صَدِيقٍ حَمِيمٍ»[١٠].

قال الحسن: «استكثروا من الأصدقاء المؤمنين، فإن لهم شفاعة يوم القيامة»[١١] والحميم: القريب، من قولهم: حامة فلان، أي: خاصته[١٢].

وقال الزمخشري: الحميم: من الاحتمام، وهو الاهتمام أو من الحامة[١٣] وهي الخاصة، وهو الصديق الخالص[١٤] والنفي هنا يحتمل نفي الصديق من أصله، أو نفي صفته فقط[١٥]، فهو من باب:

٣٩١٤ ـ عَلَىٰ لاَحِبٍ لاَ يُهْتَدَى بِمَنَارِهِ[١٦]

و «الصديق» يحتمل أن يكون مفرداً وأن يكون مستعملاً للجمع، كما يستعمل

---

(١) انظر الفخر الرازي ٢٤/١٥٢.
(٢) في الآية التي تسبقها من السورة نفسها.
(٣) انظر التبيان ٢/٩٩٨.
(٤) المرجع السابق.
(٥) في ب: ادعانا.
(٦) انظر البغوي ٦/٢٢٥.
(٧) المرجع السابق.
(٨) ما بين القوسين سقط من ب.
(٩) في الأصل: في.
(١٠) ذكره البغوي بسنده ٦/ ٢٢٥ ـ ٢٢٦.
(١١) انظر البغوي ٦/٢٢٦.
(١٢) انظر اللسان (حمم).
(١٣) في ب: الحمامة. وهو تحريف.
(١٤) الكشاف ٣/١١٩.
(١٥) لأنه إذا انتفت صفه الصديق فلا فائدة فيه، فيصير كأنه معدوم. البحر المحيط ٧/٢٨.
(١٦) صدر بيت من بحر الطويل، قاله امرؤ القيس، وعجزه:

إذا سافه العود النباطي جرجرا

وقد تقدم.

العَدو لَهُ، فيقال[١]: هم صديق، وهم عدو، وقد تقدم[٢]. وإنما جمع «الشافعين» ووحَّد «الصديق» لكثرة الشفعاء في العادة وقله الصديق[٣].

قوله: «فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً». لَوْ[٤] يجوز أن تكون المُشرَبَة معنى[٥] التمني، فلا جواب لها على المشهور، ويكون نصب «فَنَكُونَ» جواباً للتمني الذي أَفْهَمتهُ «لَوْ»[٦] ويجوز أن تكون على بابها، وجوابها محذوف، أي: لَوَجَدْنَا شفعاء وأصدقاء، أو لعملنا صالحاً[٧] وعلى هذا فنصب الفعل بـ «أن» مضمرة عطفاً على «كرة» أي: لو أَنَّ لَنَا كَرَّةً (فكوناً)[٨] كقولها:

٣٩١٥ ـ لَلُبْسُ عَبَاءَةٍ وَتَقَرَّ عَيْنِي[٩]

فصل

قال الجبائي: قولهم: «فَنَكُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ» ليس بخبر عن إيمانهم، لكنه خبر عن عزمهم، لأنه لو كان خبراً عن إيمانهم لوجب أن يكون صدقاً، لأن الكذب لا يقع من أهل الآخرة، وقد أخبر الله تعالى بخلاف ذلك في قوله: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾[١٠] [الأنعام: ٢٨] وقد تقدم في سور الأنعام بيان فساد هذا الكلام[١١].

قوله: «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً» أي: فيما ذكره من قصة إبراهيم ـ عليه السلام[١٢] ـ لآية لمن يريد أن يستدل بذلك ثم قال: «وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ» حمله أكثر المفسرين على

---

(١) في ب: يقال.

(٢) انظر المذكر والمؤنث لابن الأنباري ١/ ٢٨٨ ـ ٢٩٠، الكشاف ٣/ ١٢٠.

(٣) انظر الكشاف ٣/ ١١٨.

(٤) لو: سقط من ب.

(٥) في ب: معنى.

(٦) انظر الكشاف ٣/ ١٢٠، البيان ٢/ ٢١٥، أمالي ابن الشجري ١/ ٢٨٠، البحر المحيط ٧/ ٢٠.

(٧) انظر الكشاف ٣/ ١٢٠، التبيان ٢/ ٩٩٨، البحر المحيط ٧/ ٢٠.

(٨) فكوناً: تكملة ليست في المخطوط.

(٩) صدر بيت من الوافر قالته ميسون بنت بحدل زوج معاوية بن أبي سفيان وعجزه:

أحبُّ إليَّ من لبس الشُّفوف

وهو في الكتاب ٣/ ٤٥، المقتضب ٢/ ٢٦، أمالي ابن الشجري ١/ ٢٨٠، ابن يعيش ٧/ ٢٥، المغني ١/ ٢٦٧، ٢٨٣، ٢/ ٣٦١، ٤٧٩، ٥٥١، التصريح ٢/ ٢٤٤، الهمع ٢/ ١٧، شرح شواهد المغني ٢/ ٦٥٣، ٧٧٨، الأشموني ٣/ ٣١٣، الخزانة ٨/ ٥٩٣، الدرر ٢/ ١٠. العباءة: جبة الصوف. قرَّت عينه: بردت، كناية عن السرور والرضا. الشفوف: جمع شف ـ بكسر السين وفتحها ـ وهو الثوب الرقيق يصف البدن. والشاهد فيه نصب (تقر) بإضمار (أن) بعد الواو، ليعطف على اللبس، لأنه اسم و (تقر) فعل، فلا يمكن عطفه عليه، فحمل على إضمار (أن)، لأن (أن) وما بعدها اسم، فعطف اسماً على اسم وجعل الخبر عنهما واحداً، وهو (أحب).

(١٠) [الأنعام: ٢٨]. وانظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٥٣.

(١١) انظر اللباب ٣/ ٣٩٨ ـ ٣٩٩.

(١٢) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(قوم إبراهيم، ثم بين تعالى أن مع كل هذه الدلائل فأكثر قومه لم يؤمنوا به، فيكون هذا تسلية للرسول ـ ﷺ ـ فيما يجده)[١] من تكذيب[٢] قومه[٣]. «وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ» أي: أنه قادر على تعجيل الانتقام لكنه رحيم بالإمهال لكي يؤمنوا[٤].

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ الآيات. لما قصَّ على محمد ـ ﷺ ـ خبر موسى وإبراهيم ـ عليهما السلام[٥] ـ تسلية له مما يلقاه من قومه قص عليه أيضاً نبأ نوح، فقد كان نبؤه[٦] أعظم من نبأ غيره، لأنه دعاهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، ومع ذلك كذبه قومه[٧].

قوله: «كَذَّبَتْ» إنما أنثَ فعل القوم لأنه مؤنث بدليل تصغير «القوم» على (قُوَيْمَة)[٨] وقيل: لأن القوم بمعنى أُمَّةٍ، ولما كانت آحاده عقلاء ذكوراً وإناثاً عاد[٩] الضمير عليه باعتبار تغليب الذكور، فقيل: لهم أخوهم[١٠]. وحكى عنهم أنهم كذبوا المرسلين لوجهين:

أحدهما: أنهم[١١] وإن كذبوا نوحاً لكن تكذيبه في المعنى يتضمن تكذيب غيره، لأن طريقة معرفة الرسل لا تختلف من حيث المعنى؛ لأن كل واحد من المرسلين جاء بما جاء به الآخر، فلذلك[١٢] حكى عنهم أنهم كذبوا المرسلين.

وثانيهما: أن قوم نوح كذبوا جميع رسل الله، إما لأنهم كانوا من الزنادقة أو من البراهمة[١٣].

---

(١) ما بين القوسين بياض في الأصل، وسقط من ب، وهو من الفخر الرازي.
(٢) في ب: من كذب.
(٣) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٥٣.
(٤) المرجع السابق.
(٥) في ب: عليهما الصلاة والسلام.
(٦) نبؤه: سقط من ب.
(٧) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٥٤.
(٨) انظر الكشاف ٣/ ١٢٠، البحر المحيط ٧/ ٣٠.
(٩) في ب: أعاد.
(١٠) انظر البحر المحيط ٧/ ٣٠.
(١١) أنهم: سقط من ب.
(١٢) في ب: فكذلك. وهو تحريف.
(١٣) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٥٤.

قوله: «أَخُوهُمْ» لأنه كان منهم، من قول العرب: يا أخا بني تميم. يريدون يا[١] واحداً منهم[٢]، فهو أخوهم في النسب لا في الدين «أَلاَ تَتَّقُونَ» أي: عقاب الله، فحذف مفعول (تَتَّقُونَ)[٣].

«إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ» أي: على الوحي، وكان مشهوراً فيهم بالأمانة كمحمد ـ ﷺ ـ في قريش، فكأنه قال: كنتُ أميناً من قبل، فكيف تتهمونني اليوم[٤]؟ ثم قال: «فاتَّقُوا[٥] الله» بطاعته وعبادته «وأَطِيْعُون» فيما أمرتكم به من الإيمان والتوحيد، «وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ» أي[٦]: على ما أنا فيه من ادعاء الرسالة. لئلا يظن به أنه دعاهم رغبة في الدنيا، ثم قال: «فَاتَّقُوا اللَّهَ وأَطِيعُونِ». فإن قيل: فلماذا كرر الأمر بالتقوى؟

فالجواب: لأنه في الأول أراد: ألا تتقون[٧] مخالفتي، وأنا رسول الله، وفي الثاني: ألا تتقون[٧] مخالفتي ولست[٨] آخذاً منكم أجراً، فهو في المعنى مختلف، ولا تكرار فيه، وقد يقول الرجل لغيره: ألا تتقي الله في عقوقي وقد ربيتك صغيراً، ألا تتقي الله وقد علمتك كبيراً. وإنما قدم الأمر بتقوى الله على الأمر بطاعته، لأن تقوى الله[٩] علة لطاعته، فقدم العلة على المعلول[١٠].

قوله: «أَنُؤْمِنُ لَكَ واتَّبَعَكَ الأَرْذَلُون» «وَاتَّبَعَك» جملة حالية من كاف «لك».

قال الزمخشري: والواو للحال، وحقها أن يضمر بعدها (قد)[١١] وقرأ ابن مسعود وابن عباس وأبو حيوة: «وَأَتْبَاعُكَ» مرفوعاً[١٢] جمع تابع «كَصَاحِبٍ وَأَصْحَاب» أو تَبيع كـ «شَرِيْف وأَشْرَاف»، أو «تبع» كـ (برم[١٣] وأَبْرام)[١٤] وفي رفعه وجهان:

أحدهما: أنه مبتدأ، و «الأَرْذَلُونَ» خبره[١٥]، والجملة حالية أيضاً[١٦].

والثاني: أنه عطف على الضمير المرفوع في «نُؤْمِنُ»، وحسَّنَ ذلك الفصل بالجار، و «الأَرْذَلُونَ» صفته[١٧].

---

(١) يا: سقط من ب.
(٢) انظر الكشاف ٣/ ١٢٠.
(٣) انظر البحر المحيط ٧/ ٣٠.
(٤) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٥٤.
(٥) في ب: واتقوا.
(٦) أي: سقط من ب.
(٧) في الأصل: ألا تتقوا.
(٨) في ب: وليست. وهو تحريف.
(٩) لفظ الجلالة: سقط من ب.
(١٠) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٥٤ ـ ١٥٥.
(١١) انظر الكشاف ٣/ ١٢٠.
(١٢) قال الفراء: (وذكر أن بعض القراء قرأ: «وأتباعك الأرذلون» ولكني لم أجده عن القراء المعروفين، وهو وجه حسن) معاني القرآن ٢/ ٢٨١. وانظر المحتسب ٢/ ١٣١، تفسير ابن عطية ١١/ ١٣٢ ـ ١٣٣، البحر المحيط ٧/ ٣١، الإتحاف (٣٣٣).
(١٣) البرم: الذي لا يدخل مع القوم في الميسر، والجمع أبرام، وهو اللئيم. اللسان (برم).
(١٤) انظر البحر المحيط ٧/ ٣١.
(١٥) انظر المحتسب ٢/ ١٣٢، التبيان ٢/ ٩٩٨.
(١٦) انظر التبيان ٢/ ٩٩٨.
(١٧) انظر المحتسب ٢/ ١٣١، التبيان ٢/ ٩٩٨.

وقرأ اليمانيُّ: «وأَتْبَاعِكَ» بالجر[١] عطفاً على الكاف في «ذَلِكَ»، وهو ضعيف أو ممنوع عند البصريين[٢]، وعلى هذا فيرتفع «الأَرْذَلُونَ» على خبر ابتداء مضمر، أي: هم الأرذلون[٣] وقد تقدم مادّةُ «الأَرْذَلِ»[٤] في هود[٥].

فصل

الرذالة: الخِسَّة والذِّلة، وإنما استرذلوهم لاتّضاع نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا. وقيل: كانوا من[٦] أهل الصناعات الخسيسة كالحياكة[٧] والحِجَامَة[٨].

وهذه الشبهة في غاية الركاكة، لأن نوحاً ـ عليه السلام[٩] ـ بعث إلى الخلق كافة، فلا يختلف الحال بسبب الفقر والغنى وشرف المكاسب وخستها، فأجابهم نوح عنه بالجواب الحق، وهو قوله: «وَمَا علمي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُون»[١٠] أي: ما أعلم أعمالهم وصنائعهم، وليس عليّ من دناءة مكاسبهم وأحوالهم شيء، إنما كُلِّفت أن أدعوهم إلى الله ولي منهم ظاهر أمرهم[١١].

قوله: «وَمَا عِلْمِي» يجوز في «مَا»[١٢] وجهان:

أظهرهما: أنها استفهامية في محل رفع بالابتداء، و «عِلْمِي» خبرها[١٣]، والباء متعلقة به.

والثاني: أنها نافية، والباء متعلقة بـ «علمي» أيضاً، قاله الحوفي[١٤]. ويحتاج إلى إضمار خبر ليصير الكلام به (جملة)[١٥][١٦].

---

(١) البحر المحيط ٧/ ٣١.

(٢) ووجه ضعفه عند البصريين أو امتناعه أنه لا بد من إعادة حرف الجر مع المعطوف وحجتهم في ذلك أن الجار مع المجرور بمنزلة شيء واحد، فإذا عطفت على الضمير المجرور ـ والضمير إذا كان مجروراً اتصل بالجار، ولم ينفصل منه، ولهذا لا يكون إلا متصلاً، بخلاف ضمير المرفوع والمنصوب ـ فكأنك قد عطفت الاسم على الحرف الجار، وعطف الاسم على الحرف لا يجوز. وأجاز ذلك الكوفيون محتجين بقراءة حمزة في أول سورة النساء: ﴿**واتّقوا الله الذي تساءلون به والأرحام**﴾ بجر «الأرحام» عطفاً على الهاء في «به». انظر الإنصاف المسألة (٦٥) ٢/ ٤٦٣ ـ ٤٧٤.

(٣) انظر البحر المحيط ٧/ ٣١.

(٤) في ب: الأرذلون.

(٥) عند قوله تعالى: ﴿**وما نراك اتّبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرَّأي**﴾ [٢٧].

(٦) من: سقط من ب.

(٧) حاك الثوب يحوكه حوكاً وحياكاً وحياكة: نسجه. اللسان (حوك).

(٨) الحجامة: حرفة الحجام، والحجَّام: محترف الحجامة. المعجم الوسيط (حجم) وانظر الكشاف ٣/ ١٢٠، الفخر الرازي ٢٤/ ١٥٥.

(٩) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(١٠) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٥٥.

(١١) انظر البغوي ٦/ ٢٢٧.

(١٢) في ب: فيه.

(١٣) قال الزمخشري: («وما علمي» أيُّ شيء علمي) الكشاف٣/ ١٢٠.

(١٤) انظر البحر المحيط ٧/ ٣١.

(١٥) المرجع السابق، وهو اعتراض أبي حيان.

(١٦) ما بين القوسين في ب: جملة اسمية.

قوله: «إِن حِسَابُهُمْ إِلاَّ عَلَى رَبي» «إِنْ» نافية، أي: ما حسابهم إلا على ربي، ومعناه: لا نعتبر إلا الظاهر من أمرهم دون ما يخفى[(١)].

قوله: «لَوْ تَشْعُرُوْن» جوابها محذوف[(٢)]، ومفعول «تشعرون»[(٣)] أيضاً[(٤)]، والمعنى «لَوْ تَشْعُرُونَ» تعلمون ذلك ما عبتموهم بصنائعهم[(٥)].

قال الزجاج: الصناعات[(٦)] لا تَضُرُّ في الدِّيَانَاتِ[(٧)]. وقيل: معناه: إني لم أعلم أن الله يهديهم ويضلكم، ويوفقهم ويخذلكم[(٨)].

وقرأ الأعرج وأبو زُرعة: «لَوْ يَشْعُرُونَ» بياء الغيبة[(٩)]، وهو التفات، ولا يحسُنُ عَوْدُه على المؤمنين[(١٠)].

قوله: «وَمَا أَنَا بِطَارِدِ المؤْمِنِينَ» وذلك كالدلالة على أن القوم سألوه إبعادهم فبيّن أن الدين يمنعه عن طردهم، وقد آمنوا به، وبيَّن أن الغرض من تحمل الرسالة كونه نذيراً، فقال: «إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُبِينٌ» أي: إني أُخَوِّف من كذبني ولم يقبل مني، فمن قبل فهو القريب، ومن رد فهو البعيد، فلما أجابهم بهذا الجواب لم يكن منهم إلا التهديد، فقالوا: «لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ المَرْجُومِينَ»[(١١)].

قال مقاتل والكلبي: من المقتولين بالحجارة[(١٢)].

وقال الضحاك: من المشئومين[(١٣)]. فعند ذلك حصل اليأس لنوح من فلاحهم، وقال: «رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُون». وليس الغرض منه إخبار الله تعالى بالتكذيب لعلمه بأنه عالم الغيب والشهادة، ولكنه أراد: لا أدعوك عليهم لما آذوني، وإنما أدعوك لأجلك ولأجل دينك ولأنهم كذبوك في وحيك ورسالتك «فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحاً» أي: فاحكم بيني وبينهم[(١٤)]. و «فَتْحاً» يجوز أن يكون مفعولاً به بمعنى المفتوح، وأن يكون مصدراً مؤكداً[(١٥)]. والفَتَاحَةُ: الحكومة. والفَتَّاح: الحكم، لأنه يفتح المستغلق[(١٦)]. والمراد: إنزال العقوبة عليهم لقوله عقيبه: «وَنَجِّنِي»، ولولا أن المراد إنزال العقوبة لما كان لذكر النجاة بعده معنى[(١٧)].

---

(١) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٥٥.
(٢) انظر القرطبي ١٣/ ١٢١.
(٣) في الأصل: تحشرون. وهو تحريف.
(٤) وقدره أبو حيان: بأن المعاد حق والحساب حق. البحر المحيط ٧/ ٣١.
(٥) انظر البغوي ٦/ ٢٢٧.
(٦) في ب: الصانع. وهو تحريف.
(٧) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٩٥.
(٨) انظر البغوي ٦/ ٢٢٧.
(٩) المختصر (١٠٧)، البحر المحيط ٧/ ٣١.
(١٠) انظر القرطبي ١٣/ ١٢١.
(١١) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٥٥.
(١٢) انظر البغوي ٦/ ٢٢٧.
(١٣) انظر البغوي ٦/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨.
(١٤) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٥٥.
(١٥) انظر التبيان ٢/ ٩٩٩.
(١٦) انظر الكشاف ٣/ ١٢١.
(١٧) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٥٥.

قوله: «وَنَجِّنِي» المُنجَّى منه محذوف لفهم المعنى، أي: مما يَحِلُّ بقومي[١]، و «مِنَ المُؤْمِنِينَ» بيان لقوله: «مَنْ[٢] مَعِيَ».

قوله: «فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الفُلْكِ المَشْحُونِ».

قال الزمخشري: الفُلك: السفينة، واحدها: فُلْك، قال الله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ﴾ [النحل: ١٤] فالواحد بوزن (قُفْل)[٣] والجمع بوزن (أُسْد)[٤] وَالمَشْحُون: «المَمْلُوء المُوقَر»، يقال: شَحَنَها عليهم خَيْلاً ورجَالاً أي ملأها[٥] والشَّحْنَاء: العداوة لأنهما تملأ الصدور إحناً[٦]. والفُلْك هنا مفرد بدليل وصفه بالمفرد، وقد تقدم الكلام عليه في البقرة[٧].

فصل

دلَّت الآية على أن الذين نجوا معه كان فيهم كثرة، وأن الفلك امتلأ بهم وبما صحبهم من الحيوانات، ثم إنه تعالى بعد أن نجاهم أغرق الباقين فقال: «ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ البَاقِيْن إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العَزِيزُ الرَّحِيمْ»[٨].

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُوا ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ الآيات. الكلام في فاتحة هذه القصة كالكلام في فاتحة قصة نوح. وقوله: «تَعْبَثُون» جملة حالية من فاعل «تبنون»[٩]. والرِّيْع ـ بكسر الراء وفتحها ـ: جمع «رِيْعَة» وهو في اللغة: المكان المرتفع[١٠]، قال ذو الرمّة:

---

(١) انظر البحر المحيط ٧/ ٣٢. (٢) في ب: ومن.
(٣) في النسختين: فعل. والتصويب من الكشاف.
(٤) الكشاف ٣/ ١٢١. (٥) ما بين القوسين زيادة يظهر بها المعنى.
(٦) انظر اللسان (شحن).
(٧) عند قوله تعالى: ﴿... والفلك التي تجري في البحر بما ينفع النّاس﴾ [البقرة: ١٦٤].
(٨) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٥٥ ـ ١٥٦. (٩) انظر التبيان ٢/ ٩٩٩.
(١٠) انظر اللسان (ريع).

٣٩١٦ ـ طِرَاقُ الخَوَافِي مُشْرِقٌ فَوْقَ رِيعَةٍ نَدَىٰ لَيْلِهِ فِي رِيْشِهِ يَتَرَقْرَقُ[١]

وقال أبو عبيدة: وهو[٢] الطريق[٣]، وأنشد للمسيَّب بن علس[٤] يصف ظعناً:

٣٩١٧ ـ فِي الآلِ يَخْفِضُهَا وَيَرفَعُهَا رِيعٌ يَلُوحُ كَأَنَّهُ سَحْلُ[٥]

والرَّيع ـ بالفتح ـ: ما يحصل من الخراج.

فصل

قال الوالبي عن ابن عباس: الرِّيْع: كل شرف[٦]. وقال الضحاك ومقاتل: بكل طريق[٦] وهو رواية العوفي عن ابن عباس[٧]. وعن مجاهد قال: هو الفج بين جبلين[٨] وعنه أيضاً أنه المنظر[٨]. و «الآية»: العَلَم.

قال ابن عباس: كانوا يبنون بكل ريع علماً يعبثون فيه بمن يمر في الطريق إلى هود[٩] ـ عليه السلام[١٠] ـ. وقيل: كانوا يبنون في[١١] الأماكن المرتفعة ليعرف بذلك غناهم، فنهُوا عنه، ونسبوا إلى العبث[١٢]. وقال سعيد بن جبير ومجاهد: هي بروج الحمام، لأنهم كانوا يلعبون بالحمام[١٣].

قوله[١٤]: «وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُوْنَ» قال مجاهد: قصوراً مُشَيَّدة[١٥].

وقال الكلبي: هي الحصون[١٦]. وقال قتادة: مآخذ الماء يعني: الحياض، واحدتها مَصْنَعة[١٧]. «لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُون». العامة على تخفيفه مبنياً للفاعل. وقتادة: بالتشديد مبنياً للمفعول[١٨]، ومنه قول امرىء القيس:

٣٩١٨ ـ وَهَلْ يَنْعَمَنْ إلاَّ سَعِيدٌ مُخَلَّدٌ قَلِيلُ الهُمُوم مَا يَبِيْتُ بِأَوْجَالِ[١٩]

---

(١) البيت من بحر الطويل، قاله ذو الرمة. وقد تقدم.

(٢) في ب: هو.

(٣) مجاز القرآن ٢/٨٨.

(٤) هو زهير بن علس بن مالك، والمسيَّب لقبٌ لقِّب به ببيت، وهو من شعراء بكر بن وائل المعدودين وخال الأعشى. الخزانة ٣/ ٢٤٠.

(٥) البيت من بحر الكامل قاله المسيب بن علس، وهو في تفسير ابن عطية ١١/ ١٣٥، القرطبي ١٣/ ١٢٢، اللسان (ريع)، البحر المحيط ٧/ ٢٩ ـ ٣٠، شرح شواهد الكشاف (١٠٠) الآل: السراب. الرّيع: الطريق. وهو موطن الشاهد. يلوح: يتراءى. السحل: الثوب الأبيض.

(٦) انظر البغوي ٦/ ٢٢٩.

(٧) في ب: رضي الله عنهما.

(٨) انظر البغوي ٦/ ٢٢٩.

(٩) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٥٧.

(١٠) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(١١) في: تكملة من الفخر الرازي.

(١٢) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٥٧.

(١٣) انظر البغوي ٦/ ٢٢٩.

(١٤) قوله: سقط من الأصل.

(١٥) انظر البغوي ٦/ ٢٢٩.

(١٦) المرجع السابق.

(١٧) المرجع السابق.

(١٨) قال ابن خالويه: («لعلّكم تخلدون» قتادة، «تخلَّدون» بالتشديد أبو العالية) المختصر (١٠٧). وكذا في البحر المحيط ٧/ ٣٢، وقال ابن جني (ومن ذلك قراءة قتادة: «لعلّكم تخلدون») المحتسب ٢/ ١٣٠.

(١٩) البيت من بحر الطويل، قاله امرؤ القيس، وهو في ديوانه (٢٧)، المحتسب ٢/ ١٣٠، الحماسة =

و «لَعَل» هنا على بابها. وقيل: للتعليل. ويؤيده قراءة عبد الله: «كَيْ تَخْلِدُون»[١]. وقيل: للاستفهام، قاله زيد بن عليّ، وبه قال الكوفيون. وقيل: معناها التشبيه، أي: كأنكم تخلدون. ويؤيده ما في حرف أبيّ: «كَأَنَّكم تُخلدون» بضم التاء مخففاً ومشدداً[٢]. وقرىء: «كأَنَّكم خَالِدون»[٣] ولم يعلم من نص عليها أنها تكون للتشبيه. والمعنى: كأنكم تبقون فيها خالدين. قوله: «وَإِذَا بَطَشْتُم» أي: وإذا[٤] أردتم، وإنما احتجنا إلى تقدير الإرادة لئلا يتحد الشرط والجزاء[٥]، و «جَبَّارِين» حال. واعلم أن اتخاذ الأبنية العالية يدل على حب الدنيا، واتخاذ المصانع يدل على حب البقاء، والجبارية تدل على حب التفرد بالعلو، وهذه صفات الإلهية وهي ممتنعة الحصول للعبد[٦] ولما ذكر هود[٧] هذه الأشياء قال: «فاتَّقُوا اللَّهَ وأَطِيعُوْن» زيادة في دعائهم إلى الآخرة، وزجراً لهم عن حب الدنيا والاشتغال بالسرف والتجبر، ثم وصل هذا الوعظ بما يؤكد القبول بأن نبههم على نعم الله تعالى عليهم فقال: «واتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم [بِمَا تَعْلَمُون» أي: أعطاكم من الخير ما تعلمون، ثم فصل ذلك الإعطاء فقال][٨]: «أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَام وَبَنِينَ وَجَنَّاتٍ وَعُيون»[٩] أي: بساتين وأنهار، «إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم». قال ابن عباس: «إن عَصَيْتُمُوني»[١٠] عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيم.

قوله: «أَمَدَّكُم بِأَنْعَام» فيه وجهان:

أحدهما: أن الجملةَ الثانية بيان للأولى وتفسير لها[١١].

والثاني: أن[١٢] «بأنعام» بدل من قوله: «بِمَا تَعْلَمُون» بإعادة العامل[١٣]، كقوله: ﴿ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ (أَجْرًا)[١٤]﴾[١٥] [يس: ٢٠ ـ ٢١].

قال أبو حيان: والأكثرون لا يجعلون هذا بدلاً وإنما يجعلونه تكريراً[١٦]، وإنما يجعلون بدلاً بإعادة العامل إذا كان حرف جر من غير إعادة متعلقه نحو: «مَرَرْتُ بزيد بأخيك» ولا يقولون: «مررت بزيد مررت بأخيك» على البدل[١٧].

قوله: «أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الوَاعِظِينَ» معادل لقوله: «أَوَعَظْتَ». وإنما أتى بالمعادل كذا

= البصرية ١/ ١٢٦، البحر المحيط ٧/ ٣٣. وأتى به استئناساً لقراءة التشديد، ويعني بالمخلد المنعم المرفه الذي يلبس الخلد، وهو السِّوار أو القرط. الأوجال: جمع وجل، وهو الفزع.

(١) انظر البحر المحيط ٧/ ٣٢.
(٢) انظر البحر المحيط ٧/ ٣٢.
(٣) انظر القرطبي ١٣/ ١٢٤، البحر المحيط ٧/ ٣٢.
(٤) في ب: أي إذا.
(٥) انظر البحر المحيط ٧/ ٣٣.
(٦) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٥٧.
(٧) في ب: ولما جرد ذكر.
(٨) ما بين القوسين سقط من ب.
(٩) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٥٧.
(١٠) انظر البغوي ٦/ ٢٣٠.
(١١) انظر التبيان ٢/ ٩٩٩.
(١٢) أن: سقط من ب.
(١٣) في ب: القليل. وهو تحريف.
(١٤) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٥) [يس: ٢٠، ٢١]، وانظر البحر المحيط ٧/ ٣٣.
(١٦) قال أبو حيان: ويسمى التتبع.
(١٧) البحر المحيط ٧/ ٣٣.

دون قوله: «أم لم تعظ» لتواخي الفواصل[١]. وأبدى له الزمخشري معنى فقال: وبينهما فرق، لأن المعنى: سواء علينا أفعلت هذا الفعل الذي هو الوعظ أم لم تكن أصلاً من أهله ومباشريه، فهو أبلغ في قلة اعتدادهم بوعظه من قولك: «أم لم تعظ»[٢].

وقرأ العامة: «أَوَعَظْتَ»[٣] بإظهار الظاء قبل التاء. وروي عن أبي عمرو والكسائي وعاصم، وبها قرأ الأعمش وابن محيصن بالإدغام[٤]. وهي ضعيفة[٥]، لأن الظاء أقوى، ولا يدغم الأقوى في الأضعف، على أنه قد جاء من هذا في القرآن العزيز أشياء متواترة يجب قبولها نحو: «زُحْزِحَ عَنْ»[٦] و «لَئِنْ بَسَطْتَ»[٧].

فصل

لما وعظهم ورغبهم وخوفهم أجابوه بقولهم: «سَوَاءٌ عَلَيْنَا» أي: مستو عندنا أوعظت أم لم تكن من الواعظين أظهروا قلة اكتراثهم بكلامه[٨]، ثم قالوا: «إِنْ هٰذَا إِلاَّ خُلُقُ الأَوَّلِينَ». قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي بفتح الخاء وسكون اللام، أي: اختلاق الأولين وكذبهم، كقوله: «وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً»[٩] والباقون بضمتين[١٠]. فقيل: معناهما: الاختلاق، وهو الكذب. وكذا قرأ ابن مسعود[١١]. وقيل: عادة الأولين من قبلنا حياة وموت هو[١٢] خلق الأولين وعادتهم[١٣]. وروى الأصمعي عن نافع، وبها قرأ أبو قلابة ضم الخاء وسكون اللام[١٤]، وهي تخفيف المضمومة. ثم قالوا: «وَمَا نَحْنُ

---

(١) في النسختين: القوافي. والأدق ما أثبته. (٢) الكشاف ٣/ ١٢٢.
(٣) في ب: وعظت. (٤) انظر البحر المحيط ٧/ ٣٣.
(٥) حكم أبو حيان على هذه القراءة بأنها خلاف الأفصح، فإنه قال في معرض حديثه عنها: (وإن كان غيرها هو أفصح وأقيس) البحر المحيط ٧/ ٣٣، وسيبويه ذكر أن مثل هذا الإدغام جائز فإنه قال: (وكذلك الظاء لأنهما إذا كانا منفصلين، يعني الظاء وبعدها التاء، جاز البيان، ويترك الإطباق على حاله إن أدغمت، فلما صارا في حرف واحد ازداد ثقلاً، إذ كانا يستثقلان منفصلين، فألزموها ما ألزموا الصاد والتاء، فأبدلوا مكانها أشبه الحروف بالظاء وهي الطاء ليكون العمل من وجه واحد) الكتاب ٤/ ٤٦٨، وظاهر هذا أنها تنطق: أَوَعَطَّ. والفراء ذكر أنهم قد يحولون الظاء تاء في قوله: «أوعتَّ أم لم تكن من الواعظين». معاني القرآن ٢/ ٢٨٩. وظاهر كلام الفراء أن مثل هذا لغة من لغات العرب.
(٦) من قوله تعالى: **﴿فمن زحزح عن النَّار وأُدخل الجنَّة فقد فاز﴾** [آل عمران: ١٨٥].
(٧) من قوله تعالى: **﴿لئن بسطت إليَّ يدك لتقتلني ما أنا بباسطٍ يدي إليك لأقتلك إنِّي أخاف الله ربَّ العالمين﴾** [المائدة: ٢٨].
(٨) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٥٧.
(٩) من قوله تعالى: **﴿إنَّما تعبدون من دون الله أوثاناً وتخلقون إفكاً﴾** [العنكبوت: ١٧].
(١٠) السبعة (٤٧٢)، الكشف ٢/ ١٥١، النشر ٢/ ٣٣٥ ـ ٣٣٦، الإتحاف (٣٣٣).
(١١) انظر البحر المحيط ٧/ ٣٣ ـ ٣٤. (١٢) في ب: وهو.
(١٣) انظر البحر المحيط ٧/ ٣٤.
(١٤) المختصر (١٠٧)، تفسير ابن عطية ١١/ ١٣٧، البحر المحيط ٧/ ٣٤.

بِمُعَذَّبِينَ» أظهروا بذلك تقوية نفوسهم فيما تمسكوا به من إنكار المعاد، فعند هذا بين الله تعالى أنه أهلكهم، وقد سبق بيان كيفية الهلاك(١).

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾
إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ
رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ
طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا
تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ
ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ
لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾
فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾﴾

قوله تعالى: «كَذَّبَتْ ثَمُودُ المُرْسَلِينَ» تقدم نظيره(٢).

وقوله: «أَتُتْرَكُونَ [في ما هٰهُنَا» أي: أتظنون أنكم تتركون](٣) في دياركم «آمِنِينَ» وتطعمون في أنه لا دار [للمجازاة](٤)(٥).

وقوله: «فِي مَا هٰهُنَا» أي: في(٦) الذي استقر في هذا المكان من النعيم، ثم فسّره [بقوله: «فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ»](٧)(٨).

قوله: «فِي جَنَّاتٍ» بدل من «فِي مَا هٰهُنَا»(٩) بإعادة العامل(١٠)، فصّل بعدما أجمل كما في القصة قبلها(١١)، و «ما» موصولة وظرف المكان(١٢) صلتها(١٣).

قوله: «وَنَخْلٍ» يجوز أن يكون من باب ذكر الخاص بعد العام، لأن الجنات تشمل النخل. ويجوز(١٤) أن يكون تكريراً للشيء الواحد بلفظ آخر، فإنهم يطلقون الجنة ولا يريدون إلا النخل(١٥)، قال زهير:

---

(١) انظر الفخر الرازي ٢٤/١٥٨.
(٢) في فاتحة قصة نوح.
(٣) ما بين القوسين سقط من ب.
(٤) انظر الفخر الرازي ٢٤/١٥٩.
(٥) ما بين القوسين في الأصل: للمحاجاة.
(٦) في: سقط من ب.
(٧) انظر الكشاف ٣/١٢٢، الفخر الرازي ٢٤/١٥٩.
(٨) ما بين القوسين تكملة من الكشاف والفخر الرازي.
(٩) في ب: فيما تفريعاً.
(١٠) انظر التبيان ٢/٩٩٩، البحر المحيط ٧/٣٤.
(١١) أي: كما أجمل هود ـ عليه السلام ـ في قوله: «أمدكم بما تعلمون» ثم فصّل في قوله: «أمدّكم بأنعام وبنين». انظر الكشاف ٣/١٢٢، البحر المحيط ٧/٣٤.
(١٢) في الأصل: العامل.
(١٣) انظر البحر المحيط ٧/٣٤.
(١٤) ويجوز: سقط من ب.
(١٥) انظر الكشاف ٣/١٢٢، البحر المحيط ٧/٣٤.

٣٩١٩ ـ كَأَنَّ عَيْنَيَّ فِي غَرْبَيْ مُقَتَّلَةٍ ... مِنَ النَّوَاضِحِ تَسْقِي جَنَّةً سُحُقَا[(١)]

و «سُحُقاً»: جمع سَحُوق، ولا يوصف به إلا النخل. وقيل: المراد بـ «الجَنَّات» غيرها من الشجر، لأن اللفظ يصلح لذلك، ثم يعطف عليها النخل[(٢)]. والطلع الكفرى[(٣)] وهو: عنقود التمر قبل خروجه من الكم[(٤)]. وقال الزمخشري: الطلع: هو الذي يطلع[(٥)] من النخلة كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو[(٦)] والقنو: هو اسم للخارج من الجذع كما هو بِعُرْجُونه[(٧)]، و «الهضيم»: قال ابن عباس: هو اللطيف[(٨)]، ومنه قولهم: كشح[(٩)] هضيم. وروى عطية[(١٠)] عنه: يانع[(١١)]. وقال عكرمة: اللين[(١٢)]. وقيل: المتراكب. قال الضحاك ومقاتل: قد ركب بعضه بعضاً حتى هضم بعضه بعضاً، أي: كسره[(١٣)].

وقال[(١٤)] أهل المعاني: هو المنضم بعضه إلى بعض في وعائه قبل أن يظهر[(١٥)]. وقال[(١٦)] الأزهري: الهضيم[(١٧)]: هو الداخل بعضه في بعض من النضج والنعامة[(١٨)]. وقيل: هضيم، أي: هاضم يهضم الطعام، وكل هذا للطافته[(١٩)].

قوله: «وَتَنْحِتُونَ». العامة على الخطاب وكسر الحاء. والحسن وعيسى وأبو حيوة بفتحها. وعن الحسن أيضاً: «تَنْحَاتُونَ» بألف للإشباع. وعنه وعن أبي حيوة «يَنْحِتُونَ»

---

(١) البيت من بحر البسيط، قاله زهير، وهو في ديوانه (٣٧)، الكشاف ٣/ ١٢٢، القرطبي ١٣/ ١٢٧، اللسان (سحق، قتل)، البحر المحيط ٧/ ٣٤، شرح شواهد الكشاف (٨٢). الغرب: الراوية التي يحمل عليها الماء، أو دلو عظيم من مسك ثور. المقتلة: الناقة المذللة. النواضح: جمع ناضحة، وهي الناقة التي يستقى عليها الماء. سحقاً: جمع سحوق، وهي النخلة الطويلة. وهو موطن الشاهد.

(٢) انظر الكشاف ٣/ ١٢٢، الفخر الرازي ٢٤/ ١٥٩.

(٣) في اللسان (كفر): (الكَفَر، والكُفُرَّى، والكِفِرَّى، والكَفَرَّى، والكُفَرَّى: وعاء طلع النخل، وهو أيضاً الكافور، ويقال له: الكُفُرَّى والجُفُرَّى).

(٤) الكُمّ كُمّ الطَّلع، ولكل شجرة مثمرة كمّ، وهو برعومته. اللسان (كمم).

(٥) في الكشاف: الطلعة هي التي تطلع.

(٦) القنو: العذق بما فيه من الرطب، وجمعه أقناء وقنوان وقنيان. اللسان (قنا).

(٧) الكشاف ٣/ ١٢٢، العرجون: العذق عامة، وقيل: هو العذق إذا يبس واعوج وقيل: هو أصل العذق الذي يعوج وتقطع منه الشماريخ. اللسان (عرجن).

(٨) انظر البغوي ٦/ ٢٣٢.

(٩) الكشح: ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف، وهو من لدن السرة إلى المتن. اللسان (كشح).

(١٠) في النسختين: ابن عطية.

(١١) انظر البغوي ٦/ ٢٣٢.

(١٢) انظر البغوي ٦/ ٢٣٢.

(١٣) المرجع السابق.

(١٤) في ب: وقال هو.

(١٥) انظر البغوي ٦/ ٢٣٢، اللسان (هضم).

(١٦) في ب: قال.

(١٧) في ب: الهضم.

(١٨) التهذيب (هضم) ٦/ ١٠٥.

(١٩) انظر البغوي ٦/ ٢٣٢ ـ ٢٣٣.

بالياء من تحت[١]، وتقدم ذلك كله في الأعراف[٢].

قوله: «فَارِهِينَ». قرأ الكوفيون[٣] وابن ذكوان: «فارهين» بالألف، كما قرءوا: «حَاذِرُونَ»[٤] بها. والباقون: «فَرِهِينَ» بدون ألف[٥]، كما قرءوا: «حَذِرُونَ» بدونها[٦]. والفراهة: النشاط والقوة. وقيل: الحذق[٧]، يقال دابة فاره، ولا يقال: فارهة[٨]، وقد فره يفره فراهة[٩] و «فارهين» حال من الناحتين[١٠].

فصل[١١]

من قرأ: «فرهين» قال ابن عباس: أشِرين بطرين. وقال عكرمة: (ناعمين)[١٢]. وقال مجاهد: شرهين. وقال قتادة: معجبين بصنيعكم. وقال السدي: متجبرين. وقال الأخفش: فرحين، والعرب تعاقب بين الحاء والهاء مثل: مدحته ومدهته. وقال الضحاك: كيسين. «فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَلاَ تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ». قال ابن عباس: المشركين[١٣]. وقال مقاتل: هم[١٤] التسعة الذين عقروا الناقة[١٥] (وهم الَّذِينَ)[١٦] يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ[١٧] بالمعاصي «ولا يُصْلِحُونَ» أي: ولا يطيعون الله فيما أمرهم به. فإن قيل: ما فائدة قوله: «ولا يُصْلِحُونَ» مع قوله: «يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ»؟ فالجواب: أن فسادهم خالص ليس معه شيء من الصلاح كما يكون حال بعض المفسدين مخلوطة ببعض الصلاح[١٨]. ثم إن القوم أجابوه بقولهم: «إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ». قال مجاهد

---

(١) المختصر (١٠٧)، البحر المحيط ٧/ ٣٥.

(٢) عند قوله تعالى: ﴿وتنحتون الجبال بيوتاً﴾ [٧٤]. وذكر هناك: وقرأ الحسن «ينحتون» بفتح الياء، وزاد الزمخشري أنه قرأ «ينحاتون» بإشباع الفتحة، وقرأ يحيى بن مصرف، وأبو مالك بالياء من أسفل على الالتفات إلا أن أبا مالك فتح الحاء كقراءة الحسن. انظر اللباب ٤/ ٦٤ ـ ٦٥.

(٣) وهم: عاصم، وحمزة، وابن عامر، والكسائي.

(٤) في ب: حاذرين. [الشعراء: ٥٦].

(٥) السبعة (٤٧٢)، الكشف ٢/ ١٥١، النشر ٢/ ٣٣٦، الإتحاف (٣٣٣).

(٦) تقدّم الكلام عليها.

(٧) انظر معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٨٢.

(٨) قال ابن منظور: (وفي حديث جريج: دابة فارهة، أي: نشيطة حادة قوية) اللسان (فره)، فنرى أنه جاء فيه التأنيث.

(٩) انظر اللسان (فره).

(١٠) انظر معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٩٦، البيان ٢/ ٢١٥، التبيان ٢/ ١٠٠٠.

(١١) ينظر هذا الفصل في معالم التنزيل للبغوي ٦/ ٢٣٣.

(١٢) ما بين القوسين في ب: ناعهن. وهو تحريف.

(١٣) انظر البغوي ٦/ ٢٣٣.

(١٤) هم: سقط من الأصل.

(١٥) انظر البغوي ٦/ ٢٣٣.

(١٦) ما بين القوسين سقط من ب.

(١٧) في ب: في الأمر. وهو تحريف.

(١٨) انظر الكشاف ٣/ ١٢٣، الفخر الرازي ٦/ ٢٣٤.

وقتادة: من المسحورين: من المخدوعين، أي: ممن سحر مرة بعد مرة[١]. وروى أبو صالح عن ابن عباس: أي: من المخلوقين المعللين بالطعام والشراب[٢]. قال المؤرج: المسحَّر: المخلوق بلغة بجيلة[٣]، يريد: أنك تأكل الطعام والشراب، أي: لست[٤] بملك، بل أنت بشر مثلنا.

والمعنى: «من المسحرين» أي: ممن له سحر، وكل دابة تأكل فهي سحرة، والسحر: أعلى البطن[٥]. وعن الفراء: المسحَّر: من له جوف، أراد: وإنك تأكل الطعام والشراب[٦] «مَا أَنْتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا» فكيف تكون نبياً؟ «فَأْتِ بِآيَةٍ» على صحة ما تقول «إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ» أنك رسول الله إلينا. فقال صالح: «هٰذِهِ نَاقَةٌ لَهَا[٧] شِرْبٌ» يجوز أن يكون الوصف وحده الجار والمجرور، وهو قوله: («لَهَا شِرْبٌ»)[٨] و «شِرْبٌ» فاعل به لاعتماده[٩]. ويجوز أن يكون «لَهَا شِرْبٌ» صفة لـ «ناقة».

وقرأ ابن أبي عبلة: «شُرْبٌ» بالضم فيهما[١٠]. والشِّرْب ـ بالكسر ـ النصيب من الماء كالسِّقي، وبالضم[١١]: المصدر[١٢].

فصل

روي أنهم قالوا: نريد ناقة عشراء تخرج من الصخرة فتلد سقباً[١٣]. فتفكر صالح، فقال له جبريل ـ عليه السلام[١٤] ـ صلِّ ركعتين، وسل ربك الناقة. ففعل، فخرجت الناقة، وبركت بين أيديهم، وحصل سقب مثلها في[١٥] العظم[١٦]، ثم قال لهم صالح: «هٰذِهِ نَاقَةٌ[١٧] لَهَا شِرْبٌ» حظ ونصيب من الماء «وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ». قال قتادة: كانت يوم شربها تشرب ماءهم كلهم وشربهم في[١٨] اليوم[١٩] الذي لا[٢٠] تَشرب[٢١] هي[٢٢]. «وَلاَ

---

(١) انظر البغوي ٦/ ٢٣٣.
(٢) انظر البغوي ٦/ ٢٣٤.
(٣) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٦٠.
(٤) في ب: ليست. وهو تحريف.
(٥) السَّحر والسِّحر والسُحر: ما التزق بالحلقوم والمريء من أعلى البطن. اللسان (سحر).
(٦) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٨٢.
(٧) في ب: هذه ناقة الله.
(٨) ما بين القوسين سقط من ب.
(٩) انظر البيان ٢/ ٢١٦.
(١٠) انظر تفسير ابن عطية ١١/ ١٤١، البحر المحيط ٧/ ٣٥.
(١١) في ب: والضم.
(١٢) انظر معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٨٢.
(١٣) السقب: ولد الناقة، وقيل: الذكر من ولد الناقة، بالسين لا غير، وقيل: هو سقب ساعة تضعه أمه. اللسان (سقب).
(١٤) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٥) في ب: ثم في.
(١٦) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٦٠.
(١٧) في ب: هذه ناقة الله.
(١٨) في: تكملة من الفخر الرازي.
(١٩) في ب: يومهم.
(٢٠) لا: سقط من الأصل.
(٢١) في ب: تشرب فيه.
(٢٢) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٦٠.

تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ» بعقر أو ضرب أو غيرهما «فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ». روي أن مسطعاً[١] ألجأها إلى مضيق فرماها بسهم، فسقطت، ثم ضربها قدار[٢]. «فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ» على عقرها. فإن قيل: لم أخذهم العذاب وقد ندموا؟ فالجواب: أن ندمهم كان عند معاينة العذاب حين لا ينفع الندم. وقيل: لم يكن ندمهم ندم [التائبين، لكن ندم][٣] [الخائفين][٤] من العقاب العاجل[٥]. «فَأَخَذَهُمُ العَذَابُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العَزِيزُ الرَّحِيمُ».

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ الآيات.

قوله: «مِنَ العَالَمِينَ». يحتمل عوده إلى الآتي، أي: أنتم من جملة العالمين مخصوصون بهذه الصفة، وهي إتيان الذكران. [ويحتمل عوده إلى المأتى، أي: أنتم اخترتم الذكران][٦] من العالمين لا الإناث[٧] منهم[٨].

قوله: «مِنْ أَزْوَاجِكُمْ». يصلح أن يكون تبييناً، وأن يكون للتبعيض، ويُراد بِمَا خلق العضو المباح منهن، وكانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم[٩]. «بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ». معتدون مجاوزون الحلال إلى الحرام، والعادي: المعتدي في ظلمه.

والمعنى: أتركبون هذه المعصية على عظمها «بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ» في جميع المعاصي[١٠] «قَالُوا لَئِنْ لَم تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ المُخْرَجِينَ» أي: من جملة من أخرجناه من بلدنا، ولعلهم كانوا يخرجون من أخرجوه على أسوأ الأحوال[١١].

---

(١) في الفخر الرازي: مصدعاً.
(٢) انظر الكشاف ٣/ ١٢٣، الفخر الرازي ٢٤/ ١٦٠.
(٣) ما بين القوسين تكملة من الفخر الرازي.
(٤) في النسختين: الخائف.
(٥) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٦٠.
(٦) ما بين القوسين سقط من ب.
(٧) في ب: إلا الإناث. وهو تحريف.
(٨) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٦١.
(٩) انظر الكشاف ٣/ ١٢٣ ـ ١٢٤، الفخر الرازي ٢٤/ ١٦١.
(١٠) المرجعان السابقان.
(١١) انظر الكشاف ٣/ ١٢٤، الفخر الرازي ٢٤/ ١٦١.

قوله: «لِعَمَلِكُمْ» كقوله: ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾(١) [الأعراف: ٢١] وقد تقدم. وقيل: «مِنَ القَالِينَ» صفة(٢) لخبر محذوف، هذا الجار متعلق به، أي: إني قال «لِعَمَلِكُمْ مِنَ القَالِينَ»(٣). المبغضين. والقِلَى: البغض الشديد(٤)، كأنه بُغْضٌ يقلي الفؤاد والكبد(٥). وقوله: «مِنَ(٦) القَالِينَ» أبلغ من أن يقول: إني لعملكم قالٍ، كما تقول: فلان من العلماء، أبلغ من قولك: فلان عالم(٧).

ويجوز أن يراد: من الكاملين في قِلاكم(٨). [والقَالِي: المُبْغِض، يقال: قَلاَهُ يَقْلِيهِ قِلًى، وَيَقْلاَهُ، وهي شاذة(٩)، قال:

٣٩٢٠ ـ وَتَرْمِينَنِي بالطَّرْفِ أَيْ أَنْتَ مُذْنِبٌ وَتَقْلِينَنِي لَكِنَّ إِيَّاكِ لاَ أَقْلِي(١٠)

وقال آخر:

٣٩٢١ ـ واللهِ مَا فَارَقْتُكُمْ عَنْ قِلًى لكم وَلٰكِنَّ مَا يُقْضَىٰ فَسَوْفَ يَكُونُ(١١)

واسم المفعول فيه: «مَقْلِيّ» والأصل: «مَقْلُويٌ» فأدغم كـ «مَرْمِيٍّ» قال:

٣٩٢٢ ـ وَلَسْتُ بِمَقْلِيِّ الخِلاَلِ ولاَ قَالِي(١٢)

---

(١) [الأعراف: ٢١]. وذكر هناك: يجوز في «لكما» أن يتعلق بما بعده على أن (ال) معرفة لا موصولة، وهي مذهب أبي عثمان المازني، أو على أنها الموصولة، ولكن تسومح في الظرف وعديله ما لا يتسامح في غيرها اتساعاً فيهما لدورانهما في الكلام، وهو رأي بعض البصريين، أو أن ذلك جائز مطلقاً، وهو رأي الكوفيين، أو أنه متعلق بمحذوف على البيان، أي أعني لكما أو تعلق بمحذوف مدلول عليه بصلة (ال)، أي: إني ناصح لكما، ومثل هذه الآية الكريمة «إني لعملكم من القالين»، وجعل ابن مالك ذلك مطرداً في مسألة (ال) الموصولة إذا كانت مجرورة بـ (من). انظر اللباب ٤/ ٢٠.

(٢) صفة: سقط من ب.

(٣) انظر التبيان ٢/ ١٠٠٠.

(٤) الشديد: سقط من ب.

(٥) انظر الكشاف ٣/ ١٢٤، الفخر الرازي ٢٤/ ١٦١.

(٦) في ب: مثل. وهو تحريف.

(٧) قال الزمخشري: (لأنك تشهد له بكونه معدوداً في زمرتهم ومعرفة مساهمته لهم في العلم) الكشاف ٣/ ١٢٤.

(٨) انظر الكشاف ٣/ ١٢٤، الفخر الرازي ٢٤/ ١٦١.

(٩) انظر اللسان (قلا) وفيه: (ويقلاه لغة طيىء).

(١٠) البيت من بحر الطويل، مجهول القائل، وهو في ابن يعيش ٨/ ١٤٠، المغني ١/ ٧٦، ٢/ ٤٠٠، ٤١٣، الهمع ٢/ ٧١، شرح شواهد المغني ١/ ٢٣٤، ٢/ ٨٢٨، الخزانة ١١/ ٢٢٥، الدرر ٢/ ٨٧. ترمينني: تشيرين إليَّ. الطرف: البصر. تقلينني، يقال: قلاه يقليه قلى. ويقلاه لغة طيىء.

(١١) البيت من بحر الطويل. قاله الأفوه الأودي، وليس في ديوانه، وهو في المقاصد النحوية ٢/ ٣١٥، التصريح ١/ ٢٢٥، الهمع ١/ ١١٠، الأشموني ١/ ٢٢٥، ٢٨٤، الدرر ١/ ٨٠. والشاهد فيه قوله: «عن قلًى» أي: عن بغض.

(١٢) عجز بيت من بحر الطويل، قاله امرؤ القيس، وصدره:

صرفت الهوى عنهنَّ من خشية الرَّدى

وهو في ديوانه (٣٥)، القرطبي ١٣/ ١٣٣، البحر المحيط ٧/ ٣٦. والشاهد فيه قوله: (مقليّ) فإنه اسم=

وغلط بعضهم فجعل ذلك من قولهم: قَلَى اللَّحْمَ، أي شَوَاهُ، فكأنه قلى كبده بالبغض ووجه الغلط أن هذا من ذوات الياء، وذاك من ذوات الواو.

يقال: قَلَى اللحم يَقْلُوه قَلْواً، فهو قال كَغَازٍ، و «مَقْلُوّ»[1] كما تقدم][2]. ثم دعا فقال: «رَبِّ[3] نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ» من العمل الخبيث.

قال الله تعالى: «فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ» من عقوبة عملهم «إِلاَّ عَجُوزاً فِي الغَابِرِينَ» وهي امرأة لوط، بقيت في الهلاك والعذاب. فإنْ قيل: «فِي الغَابِرِينَ» صفة لها، كأنه قيل: إلاَّ عَجُوزاً [غابرة، وإن لم يكن الغبور صفتها وقت تنجيتهم؟ فالجواب: معناه: إلاَّ عجوزاً][4] مقدراً غبورها. قيل: إنما هلكت مع من خرج من القرية بما أمطر من الحجارة[5]. «ثُمَّ دَمَّرْنَا الآخَرِينَ» أي: أهلكناهم «وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَراً فَسَاءَ مَطَرُ المُنْذَرِينَ» والمخصوص بالذم محذوف، أي: (مَطَرُهُمْ)[6][7] قال وهب بن منبه: الكبريت والنار[8]. «إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العَزِيزُ الرَّحِيمُ».

فصل

قال القاضي عبد الجبار في تفسير قوله: «وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ» دليل على بطلان الجبر من وجوه:

الأول: أنه لا يقال: «تَذَرُونَ» إلاَّ مع القدرة على خلافه، ولذلك لا يقال للمرء: لم تذر الصعود إلى السماء، كما يقال: لم تذر (الدخول و)[9] الخروج.

الثاني: أنه قال: «مَا خَلَقَ لَكُمْ» ولو كان الفعل لله تعالى لكان الذي خلقه لهم ما خلقه فيهم وأوجبه لا ما لم يفعلوه.

الثالث: قوله تعالى: «بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ» فإن كان تعالى خلق فيهم ما كانوا يعملون، فكيف ينسبون إلى أنهم تعدوا؟ وهل يقال للأسود: إنك متعد في لونك؟ وأجيب بأن حاصل هذه الوجوه يرجع إلى أن العبد لو لم يكن موجداً لأفعال نفسه لما

= مفعول من (قلى) والأصل: مقلوي. قلبت الواو ياء، وأدغمت الياء في الياء، وكسر ما قبل الياء للمناسبة، لأنه إذا اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون تقلب الواو ياء، وتدغم الياء في الياء.

(١) قال أبو حيان: (ولا يكون (قلى) بمعنى أبغض وقلا من الطبخ والشيّ من مادة واحدة لاختلاف التركيب، فمادة (قلا) من الشيّ من ذوات الواو، تقول: قلوت اللحم فهو مقلو، ومادة (قلى) من البغض من ذوات الياء، قليت الرجل فهو مقليّ قال الشاعر: ولست بمقليّ الخلال ولا قال) البحر المحيط ٧/ ٣٦.

(٢) ما بين القوسين سقط من ب.

(٣) رب: سقط من ب.

(٤) ما بين القوسين سقط من ب.

(٥) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٦١.

(٦) انظر البحر المحيط ٧/ ٣٧.

(٧) ما بين القوسين في ب: أمطرنا عليهم.

(٨) انظر البغوي ٦/ ٢٣٥.

(٩) ما بين القوسين تكملة من الفخر الرازي.

توجه المدح والذم والأمر والنهي عليه، (وليس لهذه)[١] الآية في هذا المعنى خاصية أزيد مما ورد من الأمر والنهي والمدح والذم في قصة إبراهيم وموسى ونوح وسائر القصص، فكيف خَصَّ هذه القصة بهذه الوجوه دون سائِر القصص. وإذا[٢] ثبت أن هذه الوجوه هي ذلك الوجه المشهور فالجواب عنها هما[٣] الجوابان المشهوران:

الأول: أنَّ اللَّهَ تعالى لـمّا علم وقوع هذه الأشياء، فعدمها محال، لأَنَّ عدمها يستلزم انقلاب العلم جهلاً، وهو محال، والمفضي إلى المحال محال، وإن كان عدمها محالاً كان التكليف بالترك تكليفاً بالمحال.

الثاني: أنَّ القادر لما كان قادراً على الضدين امتنع أن يرجح أحد المقدورين على الآخر لا لمرجح، والمرجح: هو الداعي والإرادة، وذلك المرجح مرجح محدث، فله مؤثر، وذلك المؤثر إن كان هو العبد لزم التسلسل، وهو محال، وإن كان هو الله تعالى فذاك الجبر على قولك، فثبت بهذين البرهانين القاطعين سقوط ما قاله[٤].

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

قرأ نافع وابن كثير وابن عامر: «لَيْكَةَ» بلام واحدة وفتح التاء، جعلوه اسماً غير مُعَرَّفٍ بـ «أل» مضافاً إليه «أَصْحَاب» هنا وفي «ص»[٥] خاصة.

والباقون: «الأَيْكَةِ» معرفاً بـ «أل» مُوافقةً لما أُجْمِعَ[٦] عليه في الحِجْر[٧] وفي «ق»[٨]

---

(١) ما بين القوسين في الفخر الرازي: ولهذه. (٢) في ب: إذا.

(٣) في ب: هو. وهو تحريف. (٤) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٦١ ـ ١٦٢.

(٥) وهو قوله تعالى: ﴿**وثمود وقوم لوطٍ وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب**﴾ [١٣].

(٦) في ب: اجتمع.

(٧) وهو قوله تعالى: ﴿**وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين**﴾ [٧٨].

(٨) وهو قوله تعالى: ﴿**وأصحاب الأيكة وقوم تبَّع كلٌّ كذَّب الرُّسل فحقَّ وعيد**﴾ [١٤]. وانظر السبعة (٣٦٨، ٤٧٣)، الكشف ٢/ ٣٢، النشر ٢/ ٣٣٦، الإتحاف (٣٣٣).

وقد اضطربت أقوال الناس في القراءة الأولى، وتجرأ[١] بعضهم على قارئها.

وَوَجْهُهَا على ما قال أبو عُبَيد: أن (ليكة) اسم للقرية التي كانوا[٢] فيها و (الأَيْكَة): اسم للبلد كُلِّه. قال أبو عُبَيد: لا أحب مفارقة الخط في شيءٍ من القرآن إلاَّ ما يخرُجُ من كلام العرب وهذا ليس بخارج[٣] من كلامها مع صحة المعنى في هذه الحروف، وذلك أنَّا وجدنا في بعض التفاسير الفرق بين «لَيْكَة»، و «الأيكة»، فقيل: «لَيْكَةُ» هو[٤] اسمٌ للقرية التي كانوا فيها. والأَيْكَة: البلاد كلها، فصار الفرق بينهما شبيهاً بما بين (مَكَّةَ، وبكَّةَ) ورأيتهن مع هذا في الذي يقال: إنه الإمام ـ مصحف عثمان ـ مفترقان، فوجدت التي في «الحِجْر» والتي في «ق»: «الأَيْكَة»، ووجدت التي في «الشعراء» والتي في «ص» «لَيْكَة» ثم اجتمعت عليها مصاحف الأَمْصَار[٥] بعدُ، فلا نعلمها إذاً اختلفت[٦] فيها، وقرأ أهل المدينة على هذا اللفظ الذي قَصَصْنا، يعني: بغير ألف ولام[٧]، ولا[٨] إجراء[٩]. انتهىٰ ما قاله أبو عبيد[١٠]. قال أبو شامة[١١] بعد نقله كلام أبي عبيد: هذه عبارته، وليست سديدة، فإن اللام موجودة في «لَيْكَة» وصوابه: بغير ألف وهمزة[١٢]. قال شهاب الدين: بل هي سديدة، فإنه يعني بغير ألفٍ ولام مُعَرِفَةٍ لا مطلق لامٍ في الجملة[١٣].

وقد تُعقِّبَ[١٤] قول[١٥] أبي عُبيد وأنكروا عليه، فقال أبو جعفر[١٦]: أجمع القراء على خفض التي في «الحِجر» و «ق» فيجب أن يُرَدَّ ما اختلف فيه إلى ما اتفق عليه إذ كان المعنى واحداً، فأما ما حكاه أبو عُبَيد من «لَيْكَة»: اسمُ القرية[١٧]، وأنَّ «الأَيْكَة»: اسم البلد[١٨] كله، فشيء لا يثبت ولا يُعْرَفُ مَنْ قاله ولو عُرِف لكان فيه نظر، لأَنَّ أهل العلم جميعاً من المفسرين والعالمين[١٩] بكلام العرب على خلافه، ولا نعلم خلافاً بين أهل اللغة أن «الأَيْكَة» الشجر المُلْتَفُّ.

فأما احتجاج بعض من احتج لقراءة من قرأ في هذين الموضعين بالفتح، لأنه في السواد[٢٠] «لَيْكَة» فلا حجة فيه، والقول فيه: إن أصله: «الأَيْكَة» ثم خففت الهمزة،

---

(١) في ب: تجزأ.
(٢) في ب: يكون. وهو تحريف.
(٣) في ب: عن.
(٤) هو: سقط من ب. وفي إبراز المعاني: هي.
(٥) في ب: الأعصار. وهو تحريف.
(٦) في الأصل: اختلف.
(٧) في ب: فلام. وهو تحريف.
(٨) ولا: سقط من ب.
(٩) يعني بالإجراء الصرف، وقوله: بلا إجراء، أي: بالمنع من الصرف.
(١٠) انظر إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٤٩٨ ـ ٤٩٩، إبراز المعاني (٤١٨).
(١١) تقدم.
(١٢) إبراز المعاني (٤١٨).
(١٣) الدر المصون ٥/ ١٦٥.
(١٤) في ب: تعقبوا.
(١٥) في الأصل: أقوال.
(١٦) يعني النحاس.
(١٧) في ب: للقرية.
(١٨) في ب: للبلد.
(١٩) في ب: والقائلين.
(٢٠) يعني بالسواد: الخط.

فألقيت حركتها على اللام فسقطت واستغنت عن ألف الوصل، لأَنَّ اللام قد تحركت فلا يجوز على هذا إلاَّ الخفض، كما تقول: «مَرَرْتُ بِالأَحْمَر» على تحقيق الهمزة ثم تخففها فتقول: «بِلحْمَر»، فإن شئت كتبته[1] في الخط على ما كتبته[1] أولاً، وإنْ شئت كتبته[1] بالحذف، ولم يَجُزْ إلاَّ الخفض، فلذلك[2] لا يجوز في «الأَيْكَة» إلاَّ الخَفْض، قال سيبويه: واعلم أَنَّ كل ما لم ينصرف إذا دَخَلَتْهُ[3] الألف واللام أو أضفته[4] (انصرف)[5][6]. ولا نعلم أحداً خالف سيبويه في هذا[7] وقال المبرّد في كتاب الخط: كتبوا في بعض المواضع: «كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةَ» بغير ألف، لأن الألف تذهب في الوصل، ولذلك[8] غلط القارىء بالفتح فتوهم أن «لَيْكَة» اسم شيء، وأن اللام أصل فقرأ: «أَصْحَابُ لَيْكَةَ»[9].

وقال الفراء: نرى ـ والله أعلم ـ أنها كتبت في هذين الموضعين بترك الهمز[10]، فسقطت الألفُ لتحريك اللام[11]. قال مكيّ: تعقَّبَ ابن قتيبة على أبي عبيد فاختار «الأَيْكَة» بالألف والهمزة والخفض، وقال: إِنَّمَا[12] كُتِبَتْ بغير ألف على تخفيف الهمز، قال: وقد أجمع الناس على ذلك، يعني: في «الحِجْر» و «ق» فوجب أن يُلحَق ما في «الشعراء» و «ص»[13] بما[14] أجمعُوا عليه، فما أجمعوا عليه شاهد لما اختلفوا فيه[15]. وقال[16] أبو إسحاق[17]: القراءة بِجَرِّ لَيْكَةِ وأنت تريد «الأَيْكَةِ»[18] أجود من أن تجعلها «لَيْكَة» وتفتحها؛ لأَنَّها لا تتصرف لأن «لَيْكَة» لا تُعرَّفُ[19]، وإنما هي «أَيْكَة» للواحد،

---

(١) في ب: كتبت.
(٢) في ب: فكذلك. وهو تحريف.
(٣) في ب: دخلت.
(٤) أو أضفته: سقط من ب.
(٥) قال سيبويه: (وجميع ما لا ينصرف إذا أدخلت عليه الألف واللام أو أضيف انجر، لأنها أسماء أدخل عليها ما يدخل على المنصرف، وأدخل فيها الجر كما يدخل في المنصرف) الكتاب ١/ ٢٢ ـ ٢٣. وقال: (واعلم أن كل اسم لا ينصرف فإن الجر يدخله إذا أضفته أو أدخلت فيه الألف واللام، وذلك أنهم أمنوا التنوين وأجروه مجرى الأسماء) الكتاب ٣/ ٢٢١.
(٦) ما بين القوسين في ب: الصرف.
(٧) إعراب القرآن ٣/ ١٨٩ ـ ١٩٠، وانظر أيضاً إبراز المعاني (٤١٩).
(٨) في ب: وكذلك.
(٩) انظر إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٤٩٨ ـ ٤٩٩، إبراز المعاني (٤١٩).
(١٠) في ب: الهمزة.
(١١) معاني القرآن ٢/ ٩١، وانظر أيضاً إبراز المعاني (٤١٩).
(١٢) في ب: إنها.
(١٣) في الأصل: وصاد.
(١٤) في ب: وبما.
(١٥) الكشف ١/ ٣٢ ـ ٣٣. وانظر أيضاً إبراز المعاني (٤١٩).
(١٦) في ب: قال.
(١٧) يعني الزجاج.
(١٨) الأيكة: سقط من ب.
(١٩) في ب: لا تصرف.

و «أَيكٌ» للجمع، مثل: أَجمة وأَجَم. والأَيْكُ: الشجر الملتف، فأجود القراءة فيها الكسر وإسقاط الهمزة لموافقة المصحف؛ ولا أعلمه إلا قد قرىء به[(١)].

وقال الفارسي: قول من قال: «لَيْكَة» بفتح التاء مُشكِلٌ، لأنه فتح مع لحاق اللام[(٢)] الكلمة، وهذا في الامتناع كقول من قال: مَرَرْت بِلَحْمَر. فيفتح الآخر مع لحاق لام المعرفة، وإنما كتبت «لَيْكَة» على تخفيف الهمز[(٣)]، والفتح لا يصح في العربية لأنه فتح حرف الإعراب في موضع الجرّ مع لام المعرفة، فهو على قياس قول من قال: مَرَرْتُ بِلَحْمَر، ويبعد أن يفتح نافع ذلك مع ما قال عنه ورش[(٤)]. يعني أنَّ وَرْشاً نقل عن نافع نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها حيث وُجِدَ بشروط مذكورة، ومن جملة ذلك ما في سورة «الحِجْر» و «ق» من لفظ «الأَيْكَة»، فقرأ على قاعدته في السورتين بنقل الحركة وطرح الهمز وخفض التاء[(٥)]، فكذلك ينبغي أن يكون الحكم في هذين الموضعين أيضاً[(٦)].

وقال الزمخشري: قرىء «أَصْحَابُ الأَيْكَةِ» بالهمزة وبتخفيفها وبالجر على الإضافة، وهو الوجه، ومن قرأ بالنصب وزعم أنَّ «لَيْكَة» بوزن: «لَيْلَة»[(٧)] ـ اسم بلد ـ فتوهُّمٌ قاد إليه خط المصحف[(٨)].. وإنما كتبت على حكم لفظ اللافظ، كما يكتب أصحاب (النحو)[(٩)] لان ولاولى[(١٠)] على هذه الصورة لبيان لفظ المخفف. وقد كتبت في سائر القرآن على الأصل والقصة واحدة، على «أنَّ لَيْكَةَ» اسم لا يعرف، وروي أنَّ «أَصْحَابَ الأَيْكَةِ» كانوا أصحاب شجر مُلْتَفٍّ، وكان شجرهم الدَّوم[(١١)]، وهو شَجَرُ المُقْل[(١٢)]. يعني أن مادة (ل ي ك) مفقودة في لسان العرب. كذا قال الثقات ممن تتبَّع ذلك.

قال[(١٣)]: وهذا كما نصُّوا على أنَّ الخاء والذال المعجمتين لم يجامعا الجيم في لغة

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٩٨. وانظر أيضاً إبراز المعاني (٤١٩).

(٢) في ب: التاء. وهو تحريف. (٣) في ب: الهمزة.

(٤) الحجة لأبي علي الفارسي ٦/ ٤٥ ـ ٤٦ وانظر أيضاً إبراز المعاني (٤١٩).

(٥) قال ابن مجاهد: (غير أن ورشاً روى عن نافع: «الأيكة» ههنا وفي (ق) متروكة الهمزة مفتوحة اللام بحركة الهمزة، والهمزة ساقطة) السبعة (٣٦٨).

(٦) انظر إبراز المعاني (٤١٩). (٧) في ب: ليكة. وهو تحريف.

(٨) هنا سقط في عبارة الزمخشري بين قوله: (خط المصحف) وقوله: (إنما كتبت على حكم لفظ اللافظ)، وهو: (حيث وجدت مكتوبة في هذه السورة، وفي سورة (ص) بغير ألف، وفي المصحف أشياء كتبت على خلاف قياس الخط المصطلح عليه، وإنما كتبت في هاتين السورتين) الكشاف ٣/ ١٢٥.

(٩) النحو: تكملة من الكشاف.

(١٠) يريد: الآن والأولى، فلما خففت بحذف الهمزة تحركت اللام قبلها لئلا يلتقي ساكنان، وسقطت همزة الوصل لعدم الاحتياج لها.

(١١) الكشاف ٣/ ١٢٥.

(١٢) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/ ٩٧، إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٩٠.

(١٣) أي: أبو شامة شارح الشاطبية.

العرب، ولذلك[١] لم يذكرها صاحب «الصحاح»[٢] مع ذكره التفرقة المتقدمة عن أبي عبيد، ولو كانت موجودة في اللغة لذكرها مع ذكره التفرقة المتقدمة لشدة الاحتياج إليها[٣]. وقال الزجاج أيضاً: أهل المدينة يفتحون على ما جاء في التفسير أنَّ اسم المدينة التي كان فيها شعيب («لَيْكَة»[٤])[٥].

قال أبو علي: لو صح هذا فلم أجمع[٦] القراء على الهمز في قوله: ﴿وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ﴾ [الحجر: ٧٨] في «الحِجْر»، و «الأَيْكَةُ» التي ذكرت هاهنا هي «الأيْكَة» التي ذكرت هناك، وقد قال ابن عباس: الأَيْكَةُ: الغَيْضَة[٧] ولم يفسرها بالمدينة ولا البلد[٨]. قال شهاب الدين: وهؤلاء كلُّهم كأنهم زعموا أنَّ هؤلاء الأئمة الأثبات إنما أخذوا هذه القراءة من خط المصاحف دون أفواه الرجال، وكيف يظنُّ بمثل[٩] أسنِّ القرّاء وأعلاهم إسناداً، والآخذ القرآن[١٠] عن جملة من (جلّة)[١١] الصحابة أبي الدَّرداء وعثمان بن عفان وغيرهما، وبمثل[٩] إمام مكّة[١٢] ـ شرّفها الله تعالى ـ وبمثل إمام المدينة[١٣]، وكيف ينكر على أبي عبيد قوله أو يتَّهم في نقله؟ ومن حفظ حجةٌ على من لم يحفظ؛ والتواتر قطعيٌّ فلا يعارض بالظني، وأما اختلاف القراءة مع اتحاد القصة فلا يضر[١٤] ذلك، عبِّر عنها تارةً بالقرية خاصة وتارة بالمصر الجامع للقرى كلها، الشامل هو لها، وأما تفسير ابن عباس فلا ينافي ذلك، لأنَّه عبر عنها بما كثر فيها[١٥].

قوله: «إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ» ولم يقل: أخوهم؛ لأنه لم يكن من أصحاب الأيكة في النسب، فلما ذكر مدين قال: «أَخَاهُمْ»[١٦] لأنه كان منهم، وكأن[١٧] الله تعالى بعثه إلى قومه ـ أهل مدين ـ وإلى أصحاب الأيكة[١٨].

وفي الحديث: «إِنَّ شُعَيْباً أَخَا مَدْيَن أرسل إليهم وإلى أصحاب الأيكة»[١٩].

---

(١) في ب: وكذلك.
(٢) وقد تقدمت ترجمته.
(٣) إبراز المعاني (٤١٩).
(٤) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٩٨، وانظر أيضاً إبراز المعاني (٤١٩).
(٥) ما بين القوسين في ب: أيكة.
(٦) في ب: الجمع. وهو تحريف.
(٧) الغيضة: مغيض ماءٍ يجتمع فينبت فيه الشجر، وجمعها غياض. اللسان (غيض).
(٨) الحجة لأبي علي الفارسي ٦/ ٤٦ ـ ٤٨. وانظر أيضاً إبراز المعاني ٤١٩ ـ ٤٢٠.
(٩) في ب: مثل.
(١٠) في ب: للقرآن.
(١١) جلة: تكملة من الدر المصون.
(١٢) يريد: ابن كثير، أحد القراء السبعة.
(١٣) يريد: نافعاً، أحد القراء السبعة.
(١٤) في ب: فلا يضمن. وهو تحريف.
(١٥) الدر المصون ٥/ ١٦٦.
(١٦) من قوله تعالى: **﴿وإلى مدين أخاهم شعيباً﴾** [الأعراف: ٨٥].
(١٧) في الأصل: فكان.
(١٨) انظر البغوي ٦/ ٢٣٦.
(١٩) انظر الكشاف ٣/ ١٢٥، الفخر الرازي ٢٤/ ١٦٣.

[قال ابن كثير: ومن زعم من المفسرين كقتادة وغيره أنَّ أصحاب الأيكة أمة أخرى غير أهل مدين فقول ضعيف[١]، وإنما عمدتهم شيئان:

أحدهما: أنه قال: «كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ المُرْسَلِينَ. إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ» ولم يقل: «أَخُوهُمْ» كما قال: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [الأعراف: ٨٥].

والثاني: أنه ذكر عذابهم بـ «يَوْمِ الظُّلَّةِ» وذكر في أولئك «الرجفة[٢] والصيحة»[٣] والجواب عن الأول: أنه لم يذكر الأخوة بعد قوله: «أَصْحَابُ الأَيْكَةِ» لأنه وصفهم بعبادة الأيكة، فلا يناسب ذكر الأخوة هاهنا، ولما نسبهم إلى القبيلة ساغ ذكر شعيب بأنه أخوهم. وأما احتجاجهم بـ «يَوْمِ الظُّلَّةِ» فإن كان دليلاً على أنهم أمة أخرى فليكن تعداد «الرجفة، والصيحة» دليلاً على أنهما أمتان، ولا يقوله أحد.

وأيضاً فقد ذكر الله عن أهل الأيكة من المذمة ما ذكره عن أهل مدين من التطفيف في المكيال والميزان، فدلّ على أنهم أمة واحدة أهلكوا بأنواع من العذاب، وذكر في كل موضع ما يناسب ذلك الخطاب، فاجتمعوا تحت الظلّة، ورجفت بهم الأرض من تحتهم، وجاءتهم صيحة من السماء][٤].

قوله: «أَوْفُوا الكَيْلَ وَلاَ تَكُونُوا مِنَ المُخْسِرِينَ» الناقصين لحقوق الناس بالكيل والوزن. واعلم أنَّ الكيل على ثلاثة أضرب: وافٍ، وطفيف، وزائد. فأمر بالواجب الذي هو الإيفاء بقوله: «أَوْفُوا الكَيْلَ» ونهى عن المحرم الذي هو التطفيف بقوله: «وَلاَ تَكُونُوا مِنَ المُخْسِرِينَ»، ولم يذكر الزائد، لأنه إن[٥] فعله فقد أحسن، وإن لم يفعله[٦] فلا إثم عليه. ثم[٧] لما أمر بالإيفاء بين كيف يفعل، فقال: «وَزِنُوا بِالقِسْطَاسِ المُسْتَقِيمِ»[٨]. قرىء: «بالقُسْطَاس» مضموماً ومكسوراً[٩]، وهو: الميزان وقيل: القَرَسْطُون[١٠] «وَلاَ تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ». يقال بخسه حقه: إذا نقصه إياه[١١]، وهذا عام في كل

(١) انظر تفسير ابن كثير ٣/ ٣٤٥.

(٢) قال الله تعالى: **﴿فأخذتهم الرَّجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين﴾** [الأعراف: ٩١].

(٣) قال الله تعالى: **﴿ولمّا جاء أمرنا نجّينا شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منّا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين﴾** [هود: ٩٤].

(٤) ما بين القوسين سقط من ب.

(٥) في ب: لأن إنه.

(٦) في ب: يفعل.

(٧) ثم: سقط من ب.

(٨) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٦٣.

(٩) فقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم في رواية أبي بكر «بالقسطاس» بضم القاف وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم «بالقسطاس» بكسر القاف. السبعة (٣٨٠) الكشف ٢/ ٤٦.

(١٠) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٦٣. في لسان العرب: (قسطس): القسطاس والقسطاس أعدل الموازين وأقومها... الزجاج: قيل: القسطاس: القرسطون، وقيل: هوالقبان.

(١١) البخس: النقص، بخسه حقّه يبخسه بخساً إذا نقصه. اللسان (بخس).

حق[١]. «وَلاَ تَعْثَوْا في الأَرْضِ مُفْسِدِينَ» وقد تقدم[٢].

قوله: «وَالجِبِلَّةَ» العامة على كسر الجيم والباء وشد اللام. وأبو حصين[٣] والأعمش والحسن بضمّهما[٤] وشد اللام[٥]. والسُّلمي بفتح الجيم أو كسرها مع سكون الباء[٦] وهذه لغات في هذا الحرف، ومعناه: الخلق المتَّحد الغليظ، مأخوذٌ من الجبل[٧] قال الشاعر:

٣٩٢٣ ـ وَالمَوْتُ أَعْظَمُ حَادِثٍ ... مِمَّا يَمُرُّ عَلى الجِبِلَّهْ[٨]

وقال الهروي[٩]: الجِبِلُّ والجُبُلُّ[١٠] والجَبْلُ لغات، وهو الجمع الكثير العدد من الناس[١١]. وقيل: «الجِبِلَّةُ» من قولهم: جُبِلَ على كذا، أي: خُلِقَ وطُبِعَ عليه[١٢]، وسيأتي في «يس» إن شاء الله تعالى تمام الكلام على ذلك عند قوله: «جِبِلاً كَثِيراً»[١٣]. والمراد بـ «الجِبِلَّةِ الأَوَّلِينَ»: الأمم المتقدمين، أي: أنه المنفرد بخلقهم وخلق من تقدمهم.

قوله: «قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ المُسَحَّرِينَ وَمَا أَنْتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا». جاء في قصة هود[١٤] «مَا أَنْتَ»[١٥] بغير واو، وهاهنا بالواو. فقال الزمخشري: إذا دخلت الواو فقد قصد معنيان كلاهما مخالف للرسالة عندهم: التَّسحير والبشرية، وأنَّ الرسول لا يجوز أن يكون مُسَحَّراً ولا بَشَراً، وإذا تركت الواو فلم يقصد إلا معنى واحد، وهو كونه مسحَّراً،

---

(١) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٦٣.

(٢) في سورة هود عند قوله تعالى: **﴿ولا تبخسوا النَّاس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾** [٨٥]. انظر اللباب ٤/ ٣٦٤.

(٣) ذكر ابن الجزري في طبقات القراء أن أبا حصين ممن أخذ عنه الأعمش ولم يترجم له. انظر طبقات القراء ١/ ٣١٥.

(٤) في ب: بضمها. وهو تحريف.

(٥) المختصر (١٠٧)، المحتسب ٢/ ١٣، البحر الميحط ٧/ ٣٨.

(٦) نقلها بالفتح عنه ابن خالويه: المختصر (١٠٧)، وقال أبو حيان: (وقرأ السلمي «والجبلة» بكسر الجيم وسكون الباء، وفي نسخة عنه فتح الجيم وسكون الباء، وهي من جبلوا على كذا، أي: خلقوا) البحر المحيط ٧/ ٣٨.

(٧) انظر اللسان (جبل).

(٨) البيت من الكامل، لم أهتد إلى قائله، وهو في تفسير غريب القرآن (٣٢٠)، تفسير ابن عطية ١١/ ١٤٦، القرطبي ١٣/ ١٣٦، البحر المحيط ٧/ ٣٠.

(٩) تقدم.

(١٠) في ب: الجبل.

(١١) انظر البحر المحيط ٧/ ٣٠.

(١٢) انظر اللسان (جبل).

(١٣) من قوله تعالى: **﴿ولقد أضلَّ منكم جبلاً كثيراً أفلم تكونوا تعقلون﴾** [يس: ٦٢].

(١٤) كذا في النسختين. والصواب أن هذا في قصة ثمود. انظر الكشاف ٣/ ١٢٥.

(١٥) من قوله تعالى: **﴿ما أنت إلاَّ بشرٌ مثلنا فأت بآية إن كنت من الصَّادقين﴾** [الشعراء: ١٥٤].

ثم (قرر)[١] بكونه بَشَراً[٢]. ثم قالوا: «وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الكَاذِبِينَ» ومعناه ظاهر. ثم إنَّ شعيباً ـ عليه السلام[٣] ـ كان يتوعدهم بالعذاب[٤] إن لم يؤمنوا فقالوا: «فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفاً مِنَ السَّمَاءِ»[٥] وقد تقدم الكلام في «كِسَفاً» واشتقاقه في الإسراء[٦]. وإنما طلبوا ذلك لاستبعادهم وقوعه فقال شعيب: «رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ» أي: من نقصان الكيل والوزن، وهو مجازيكم بأعمالكم، وليس العذاب إليَّ، وما عليّ إلا الدعوة، فلم يدع عليهم، بل فوض الأمر فيه إلى الله تعالى.

قوله: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ﴾. وذلك أنَّه أخذهم حرّ شديد، فكانوا يدخلون الأسراب فيجدونها أشد حرًّا، فخرجوا، فأظلتهم[٧] سحابة، وهي الظُّلَّة، فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم ناراً فاحترقوا[٨]. فإن قيل: لم لا يجوز أن يقال: إنَّ العذاب النازل بعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم ما كان بسب كفرهم، بل بسبب تأثيرات الكواكب واتصالاتها على ما اتفق عليه المنجمون؟ وإذا قام هذا الاحتمال لم يحصل[٩] الاعتبار بهذه[١٠] القصص، لأنَّ الاعتبار إنما يحصل إذا علمنا أنَّ نزول العذاب كان بسبب كفرهم، وأيضاً فيحتمل أن ينزل العذاب محنة للمكلّفين[١١] كما قال: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [محمد: ٣١] وقد ابتلي المؤمنون بالبلاء العظيم في مواضع كثيرة، وإذا كان كذلك لم يدلّ نزول البلاء بهم على كونهم مبطلين؟ فالجواب[١٢]: هذا سؤال باطل، لأنه يقال: ما الاتصالات التي أوجبت نجاة بني إسرائيل من البحر وأغرقت فرعون وقومه في ساعة واحدة، وما[١٣] الاتصالات التي أوجبت الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم على القبط دون بني إسرائيل وهم معهم في بلد واحد، وما[١٤] الاتصالات التي نجّت لوطاً ومن معه وأهلكت قومه وهم قريب منهم، وما الاتصالات التي أوجبت حمل الطير الأبابيل حجارة من سجيل ورمت بها أصحاب الفيل دون غيرهم، وما الاتصالات التي فرقت البحر اثني عشر فرقاً بعدد[١٥] أسباط بني إسرائيل، وقلبت العصا حية تسعى، وتلقفت[١٦] ما صنعته السحرة، ونتقت الجبل فوق بني إسرائيل كأنه ظلّة، وأخرجت الناقة من الحجر، وأطفأت نار إبراهيم، وكل ذلك ثابت بالتواتر لا يمكن إنكاره.

---

(١) كذا في الكشاف، وفي النسختين: قدره.
(٢) الكشاف ٣/ ١٢٥.
(٣) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٤) بالعذاب: سقط من ب.
(٥) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٦٤.
(٦) عند قوله تعالى: ﴿أو تسقط السَّماء كما زعمت علينا كسفاً﴾ من الآية ٩٢.
(٧) في ب: فأظلهم.
(٨) انظر البغوي ٦/ ٣٣٨ ـ ٣٣٩.
(٩) لم يحصل: سقط من ب.
(١٠) في ب: بهذا.
(١١) في ب: للكافرين. وهو تحريف.
(١٢) في ب: والجواب.
(١٣) في ب: وهما. وهو تحريف.
(١٤) في ب: وأما.
(١٥) في ب: بعد. وهو تحريف.
(١٦) في ب: وتلقف.

وأيضاً فإنَّ الله تعالى أنزل هذه القصص على محمد ـ عليه السلام[١] ـ تسلية له وإزالة للحزن عن قلبه. فلما أخبر الله تعالى محمداً أنه هو الذي أنزل العذاب عليهم جزاءً على كفرهم علم أنَّ الأمر كذلك، وحينئذ حصل له التسلي[٢].

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾﴾

قوله تعالى[٣]: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. الهاء تعود على القرآن وإن لم يجر له ذكر للعلم به[٤]. و «تَنْزِيلٌ» بمعنى مُنَزَّلٌ[٥]، أو على حذف مضاف أي: ذُو تَنزيل، وقوله: «نَزَلَ» قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وحفص: «نَزَلَ» مخففاً، و «الرُّوحُ الأمينُ» مرفوعان على إسناد الفعل لـ «الروح» و «الأمين» نعته، والمراد به جبريل.

وباقي السبعة: بالتشديد مبنياً للفاعل، وهو الله تعالى، و[٦] «الرُّوح الأَمِين» منصوبان[٧] على المفعول به، و «الأَمِين» صفته أيضاً. وقرىء: «نُزِّلَ» مشدداً مبنياً للمفعول[٨]، و «الرُّوحُ الأَمِينُ» مرفوعان على ما لم يسم فاعله. و «بِهِ» إمَّا متعلق بـ «نَزَل» أو بمحذوف على أنه حال[٩].

قوله: «عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ». قال أبو حيان: الظاهر تعلُّق «عَلَى قَلْبِكَ» و «لِتَكُونَ» بـ «نَزَلَ»[١٠]. ولم يذكر ما يقابل هذا الظاهر. وأكثر ما يتخيَّل أنه يجوز أن يتعلقا بـ «تنزيل» أي: وإنه لتنزيل ربِّ العالمين على قلبك لتكون، ولكن فيه ضعفٌ من حيث الفصل بين المصدر ومعموله بجملة: «نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ».

وقد يجاب عنه بوجهين:

أحدهما: أنَّ هذه الجملة اعتراضية، وفيها تأكيد وتشديد، فليست بأجنبية.

والثاني: الاغتفار في الظرف وعديله. وعلى هذا فلا يبعد أن يجيء في المسألة باب[١١] الإعمال[١٢]، فإن كلاً من «تَنْزِيل» و «نَزَل» يطلب هذين الجارين.

---

(١) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٢) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٦٤.
(٣) تعالى: سقط من ب.
(٤) انظر التبيان ٢/ ١٠٠٠.
(٥) المرجع السابق.
(٦) و: تكملة ليست في المخطوط.
(٧) السبعة (٤٧٣)، الكشف ٢/ ١٥١ ـ ١٥٢، النشر ٢/ ٣٣٦، الإتحاف (٣٣٤).
(٨) قال أبو البقاء: (وعلى ترك التسمية والتشديد) التبيان ٢/ ١٠٠٠ ولم أعثر عليها عند غيره، ولم يعزها إلى من قرأ بها.
(٩) انظر الكشاف ٣/ ١٢٦، تفسير ابن عطية ١١/ ١٤٨.
(١٠) البحر المحيط ٧/ ٤٠.
(١١) في الأصل: من باب.
(١٢) وهو التنازع.

فصل

لما ذكر قصص الأنبياء لمحمد ـ عليه السلام[١] ـ أتبعه بما يدل على نبوته فقال: «وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ العَالَمِينَ» لأنه[٢] لفصاحته معجز فيكون من رب العالمين. وأيضاً فلأنه إخبار عن الأمم الماضية من غير تعلم ألبتة، وذلك لا يكون إلاً بوحي من الله تعالى. وأيضاً فقوله: «وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الأَوَّلِينَ» مؤكد لما ذكرنا، لأن ذكر هذه القصص على ما هي في زبر الأولين من غير تفاوت أصلاً مع أنه لم يشتغل بالتعلم والاستفادة دليل على أنه ليس إلا من عند الله[٣]، «نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ»[٤] عَلَى قَلْبِكَ يا محمد، أي[٥]: فهمك إياه وأثبته في قلبك كي لا تنساه كقوله: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [الأعلى: ٦] «لِتَكُونَ مِنَ المُنْذِرِينَ»: المخوِّفين. وسمي جبريل روحاً، لأنه خلق من الروح. وقيل: لأنه نجاة الخلق في باب الدين، فهو كالروح التي تستتبع الحياة. وقيل: لأنه روح كله، لا كالناس في أبدانهم روح[٦]. وسماه أميناً لأنه مؤتمن على ما يؤديه للأنبياء ـ (عليهم السلام[٧])[٨] ـ.

فصل

روي أنَّ جبريل ـ عليه السلام ـ نزل على آدم ـ عليه السلام[٩] ـ اثنتا عشرة مرة، وعلى إدريس أربع مرات، وعلى نوح خمسين مرة، وعلى إبراهيم اثنتين وأربعين مرة، وعلى موسى أربعمائة مرة، وعلى عيسى عشر مرات وعلى محمد ـ عليه السلام ـ أربع عشرة ألف مرة. فإن قيل: لم قال: «عَلَى قَلْبِكَ» وهو إنما أنزل عليه؟

فالجواب: ليؤكد أنّ ذلك المنزل محفوظ للرسول[١٠] متمكن من قبله لا يجوز عليه التغيير، ولأنَّ القلب هو المخاطب في الحقيقة لأنه موضع التمييز والاختيار، وأما سائر الأعضاء فمسخّرة له، ويدل على ذلك القرآن والحديث والمعقول، أما القرآن فقوله تعالى: ﴿نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [البقرة: ٩٧]، «نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ»، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [ق: ٣٧] واستحقاق الجزاء ليس إلاً على ما في القلب، قال تعالى[١١]: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥] ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ [الحج: ٣٧] والتقوى في القلب لقوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [الحجرات: ٣] وقوله: ﴿وَحُصِّلَ مَا فِى

---

(١) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٢) في ب: لأن.
(٣) انظر الفخر الرازي ٢٤/١٦٥.
(٤) الأمين: سقط من ب.
(٥) أي: سقط من ب.
(٦) انظر الفخر الرازي ٢٤/١٦٦.
(٧) المرجع السابق.
(٨) ما بين القوسين في ب: عليهم الصلاة والسلام.
(٩) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٠) كذا في الفخر الرازي، وفي الأصل: والمرسل، وفي ب: والرسول.
(١١) في ب: قال الله تعالى.

ٱلصُّدُورِ﴾ [العاديات: ١٠]. وحكى عن أهل النار قولهم: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠] والعقل في القلب، والسمع منفذٌ إليه، وقال: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦] والسمع والبصر لا يستفاد منهما إلا ما يؤديانه إلى القلب، وقال: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩] ولم تخن الأعين إلا بما تضمر القلوب إلى غير ذلك من الآيات.

وأما الحديث فقوله ـ عليه السلام[١] ـ: «أَلاَ وَإِنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فسد الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ»[٢].

وأما المعقول فإنَّ القلب إذا غشي عليه، فإذا قطع سائر الأعضاء لم يحصل به الشعور، وإذا أفاق[٣] القلب شعر بجميع ما ينزل بالأعضاء من الآفات.

وأيضاً فإذا فرح القلب أو حزن فإنه يتغير حال الأعضاء عند ذلك. وأيضاً فإن القلب منبع المشيئات الباعثة على الأفعال الصادرة عن سائر الأعضاء[٤].

قوله: «بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ»[٥]. يجوز أن يتعلق بـ «المُنْذِرِينَ» أي: لتكون من الذين أنذروا بهذا اللسان العربي، وهم: هود، وصالح، وشعيب، وإسماعيل، ومحمد ـ صلى الله عليه وعليهم وسلّم[٦] ـ (و)[٧] يجوز أن يتعلق بـ «نَزَلَ» أي: نزل باللسان العربي لتنذر به، لأنه لو نزل بالأعجمي لقالوا: لم نزل علينا ما لا نفهمه[٨]؟ وجوز أبو البقاء أن يكون بدلاً من «بِهِ» بإعادة العامل، قال: أي نزل بلسان عربي، أي: برسالة أو لغة[٩]. قال ابن عباس: بلسان قريش ليفهموا ما فيه[١٠].

قوله: «وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الأَوَّلِينَ». أي: وإن القرآن. وقيل: وإن[١١] محمداً ونعته «لَفِي زُبُرِ الأَوَّلِينَ» أي: كتب الأولين. وقيل: المراد وجوه[١٢] التخويف، لأن ذكر هذه الأشياء بأسرها قد تقدم[١٣]، وفيه التفات[١٤]، إذ لو جرى على ما تقدم لقيل: «وإنك لفي زبر». وقرأ الأعمش: «زُبْرِ» بسكون الباء، وهي مخففة من المشهورة[١٥].

---

(١) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٢) أخرجه البخاري (إيمان) ١/ ١٩ ـ ٢٠، ومسلم (مساقاة) ٣/ ١٢١٩، وابن ماجه (فتن) ٢/ ١٣١٨ ـ ١٣١٩، الدارمي (بيوع) ٢/ ٢٤٥، أحمد ٤/ ٢٧٠.
(٣) في ب: فاق.
(٤) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٦٦ ـ ١٦٧.
(٥) عربي: سقط من ب.
(٦) في ب: ﷺ.
(٧) و: سقط من الأصل.
(٨) انظر الكشاف ٣/ ١٢٦ ـ ١٢٧.
(٩) التبيان ٢/ ١٠٠١.
(١٠) انظر البغوي ٦/ ٢٤٠.
(١١) في ب: إن.
(١٢) في الأصل: وجود.
(١٣) انظر الكشاف ٣/ ١٢٦، الفخر الرازي ٢٤/ ١٦٩.
(١٤) انظر البحر المحيط ٧/ ٤١.
(١٥) أي أنها مخففة من (زُبُر) جمع (زبور). انظر تفسير ابن عطية ١١/ ١٤٩، البحر المحيط ٧/ ٤١.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾

قوله: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً﴾. قرأ ابن عامر[١] «تَكُنْ» بالتاء من فوقه «آيَةٌ» بالرفع. والباقون «يَكُنْ» بالياء من تحت «آيَةً» بالنصب[٢]. وابن عباس: «تَكُنْ» بالتاء من فوق «آيَةً» بالنصب[٣]. فأما قراءة ابن عامر فتكون يحتمل أن تكون تامة، وأن تكون ناقصة. فإن كانت تامة جاز أن يكون «لَهُمْ» متعلقاً بها، و «آيَةٌ» فاعلاً بها، و «أَنْ يَعْلَمَهُ» إما بدل من «آيَةٌ» وإما خبر مبتدأ مضمر، أي: أو لم تحدث لهم علامةُ علم علماء بني إسرائيل[٤]. وإن كانت ناقصة جاز فيها أربعة أوجه:

أحدها: أن يكون اسمها مضمراً فيها بمعنى[٥] القصة، و «آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ» جملة قدم فيها الخبر واقعةٌ موقع خبر «تَكُنْ»[٦].

الثاني: أن يكون اسمها ضمير القصة أيضاً و «لَهُمْ» خبر مقدم، و «آيَةٌ» مبتدأ مؤخر، والجملة خبر «تَكُنْ»، و «أَنْ يَعْلَمَهُ» إما بدل من «آيَةٌ»[٧] وإما خبر مبتدأ مضمر، أي: هي أن يعلمه.

الثالث: أن يكون «لَهُمْ» خبر «تَكُنْ» مقدماً على اسمها، و «آيَةٌ» اسمها، و «أَنْ يَعْلَمَهُ» على الوجهين المتقدمين: البدلية، وخبر ابتداء مضمر[٨].

الرابع: أن تكون «آيَةٌ» اسمها، و «أَنْ يَعْلَمَهُ» خبرها. وقد اعترض هذا بأنه يلزم جعل الاسم نكرة والخبر معرفة[٩] وقد نص بعضهم على أنه ضرورة[١٠] كقوله:

---

(١) في ب: ابن عباس. وهو تحريف.

(٢) السبعة (٤٧٣)، الكشف ٢/١٥٢، النشر ٢/٣٣٦، الإتحاف (٣٣٤).

(٣) البحر المحيط ٧/٤١. (٤) انظر التبيان ٢/١٠٠١.

(٥) في ب: يعني.

(٦) انظر الكشاف ٣/١٢٧، البيان ٢/٢١٦، التبيان ٢/١٠٠١.

(٧) انظر الكشاف ٣/١٢٧. (٨) انظر التبيان ٢/١٠٠١.

(٩) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/١٠١ والكشاف ٣/١٢٧.

(١٠) أي: أن وقوع الاسم نكرة والخبر معرفة إنما هو ضرورة في الشعر، قال المبرد: (واعلم أن الشعراء يضطرون فيجعلون الاسم نكرة والخبر معرفة، وإنما حملهم على ذلك معرفتهم أن الاسم والخبر يرجعان إلى شيء واحد، فمن ذلك قول حسان:

كَأَنَّ سُلافَةً مِنْ بَيْتِ رَاسٍ ... يَكُونُ مِزَاجَهَا عَسَلٌ وَمَاءُ)

المقتضب ٤/٩١ ـ ٩٢.

٣٩٢٤ ـ وَلاَ يَـكُ مَـوْقِـفٌ مِـنْـكِ الـوَدَاعَـا[١]

وقوله:

٣٩٢٥ ـ يَـكُـونُ مِـزَاجَـهَـا عَـسَـلٌ وَمَـاءُ[٢]

وقد اعتذر عن ذلك بأنَّ «آيَةٌ» قد تخصصت بقوله: «لَهُمْ»[٣] فإنه حال منها، والحال صفة، وبأن تعريف الخبر ضعيف لعمومه. وهو اعتذار باطل، ولا ضرورة تدعو إلى هذا التخريج، بل التخريج ما تقدم. وأما قراءة الباقين فواضحة جداً، فـ[٤] «آيَةً» خبر مقدم، و «أَنْ يَعْلَمَهُ» اسمها مؤخر، و «لَهُمْ» متعلق بـ «آيَةً» حالاً من «آية»[٥]. وأما قراءة ابن عباس فكقراءة: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتَهُم إلاَّ أَنْ قَالُوا﴾[٦] [الأنعام: ٢٣]، وكقول لبيد:

٣٩٢٦ ـ فَـمَـضَـى وَقَـدَّمَـهَـا وَكَـانَـتْ عَـادَةً ... مِـنْـهُ إِذَا هِـيَ عَـرَّدَتْ[٧] أَقْـدَامُـهَـا[٨]

إما لتأنيث الاسم لتأنيث[٩] (الخبر)[١٠]، وإما لأنه بمعنى المؤنث، ألا ترى أنَّ «أَنْ يَعْلَمَهُ» في قوة المعرفة، و «إلاَّ أَنْ قَالُوا» في قوة مقالتهم، وإِقْدَامُهَا بإقْدَامَتِهَا[١١].

وقرأ الجحدريّ: «أَنْ تَعْلَمَهُ» بالتاء من فوق[١٢]، شبَّه البنين بجمع التكسير في تغيّر واحده صورةً، فعامل[١٣] فعله المسند إليه معاملة فعله في لحاق علامة التأنيث، وهذا كقوله:

٣٩٢٧ ـ قَالَتْ بَنُو عَامِرٍ خَالُوا بَنِي أَسَدٍ ... يَـا بُـؤْسَ لِـلْـجَـهْـلِ ضَـرَّاراً لأَقْـوَامِ[١٤]

---

(١) عجز بيت من بحر الوافر، قاله القطامي، وصدره:

قِـفِـي قَـبْـلَ الـتَّـفَـرُّقِ يـا ضُـبَـاعَـا

وقد تقدم.

(٢) عجز بيت من بحر الوافر قاله حسان بن ثابت، وصدره:

كَـأَنَّ سَـبِـيـئَـةً مِـنْ بَـيْـتِ رأسٍ

رأس: موضع بالشام. والشاهد فيه نصب (مزاجها) على الخبر، وهو معرف بإضافته إلى الضمير، ورفع (عسل وماء) على أنه اسم (يكون)، وهو نكرة، وذلك على خلاف الأصل لضرورة الشعر. وقد تقدم.

(٣) انظر التبيان ٢/ ١٠٠١، المغني ٢/ ٤٥٤.

(٤) في ب: و.

(٥) انظر الكشاف ٣/ ١٢٧، البيان ٢/ ٢١٦.

(٦) [الأنعام: ٢٣]. بتاء التأنيث في «تكن» ونصب «فتنتهم» وهي قراءة نافع وأبي عمرو وعاصم في رواية أبي بكر، وروى خلف وغيره عن عبيد عن شبل عن ابن كثير كذلك. السبعة (٢٥٥)، الكشف ١/ ٤٢٦ و «فتنتهم» خبر «تكن» مقدم، و «إلاَّ أن قالوا» اسمها مؤخر.

(٧) في النسختين: عددت.

(٨) البيت من بحر الكامل، قاله لبيد. وقد تقدم.

(٩) لتأنيث: سقط من ب.

(١٠) الخبر: زيادة من البحر المحيط.

(١١) انظر البحر المحيط ٧/ ٤١.

(١٢) المختصر (١٠٧)، البحر المحيط ٧/ ٤١.

(١٣) في ب: فعامله.

(١٤) البيت من بحر البسيط، قاله النابغة الذبياني. وقد تقدم.

وكتبوا في الرسم الكريم: «عُلَمواء» بواو بين الميم والألف[١]. قيل: هو على لغة من يميل الألف نحو الواو، وهذا كما فعل في «الصَّلوٰة والزَّكوٰة»[٢].

فصل

المعنى: أو لم يكن لهؤلاء المنكرين علم بني إسرائيل علامة ودلالة على نبوة محمد ـ ﷺ ـ لأنّ العلماء الذين كانوا من بني إسرائيل كانوا يخبرون بوجود ذكره في كتبهم، كعبد الله بن سلام، وابن يامين، وثعلبة، وأسد، وأسيد[٣]. قال ابن عباس: بعث أهل مكة إلى اليهود بالمدينة فسألوهم عن محمد ـ ﷺ ـ فقالوا: إنَّ هذا لزمانه[٤]، وإنا لنجد في التوراة نعته وصفته، فكان ذلك آية على صدقه[٥].

قوله: «وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الأَعْجَمِينَ». قال صاحب التحرير: الأعجمين: جمع أعجمي بالتخفيف، ولولا هذا التقدير لم يجز أن يجمع جمع سلامة[٦].

قال شهاب الدين: وكأنَّ سبب منع جمعه أنه من باب: أفعل فعلاء، كـ «أَحْمَرَ حَمْرَاءَ». والبصريون لا يجيزون جمعه جمع سلامة إلاّ ضرورة، كقوله:

٣٩٢٨ ـ حَلائِلَ أَسْوَدِينَ وَأَحْمَرِينَا[٧]

فلذلك[٨] قدره منسوباً مخفف الياء[٩]. وقد جعله ابن عطية «أَعْجَم» فقال: الأعجمون: جمع أعجم، وهو الذي لا يفصح وإن كان عربي النسب يقال له: أعجم، وذلك يقال للحيوانات، ومنه قول النبي ـ ﷺ ـ: «العَجْمَاء جُبَار»[١٠]. وأسند الطَّبريّ عن

---

(١) في ب: وألف.
(٢) انظر الكشاف ٣/ ١٢٧، البحر المحيط ٧/ ٤١.
(٣) انظر البغوي ٦/ ٣٤٠، ٣٤١.
(٤) في ب: الزمانه. وهو تحريف.
(٥) انظر البغوي ٦/ ٢٤٠.
(٦) انظر البحر المحيط ٧/ ٤١.
(٧) عجز بيت من بحر الوافر، قاله حكيم الأعور بن عياش الكلابي. وصدره:

فما وجدت بنات بني نزار

وهو في المقرب (٤٠٣) منسوباً إلى الكميت، وديوان الكميت ٢/ ١١٦، ابن يعيش ٥/ ٦٠، الهمع ١/ ٤٥، الأشموني ١/ ٨١، الخزانة ١/ ١٧٨، ٨/ ١٨، شرح شواهد الشافية ٤/ ١٤٣، الدرر ١/ ١٩.
الحلائل: جمع حليل ـ بالحاء المهملة ـ: الزوج، والحليلة: الزوجة. والشاهد فيه قوله: (أسودين وأحمرين) حيث جمع (أسود، وأحمر) جمع المذكر السالم، وذلك شاذ لضرورة الشعر، فإن كل صفة لا تلحقها التاء فكأنها من قبيل الأسماء، ولهذا لم يجمع على هذا الجمع (أفعل فعلاء)، ولا (فعلان فعلى)، وأجاز ابن كيسان: أحمرون وسكرانون، واستدل بهذا البيت، وهو عند غيره شاذ.
(٨) في ب: فكذلك. وهو تحريف.
(٩) الدر المصون ٥/ ١٦٩.
(١٠) في ب: (جرح العجماء جبار). أخرجه البخاري (الديات) ٤/ ١٩٣ ـ ١٩٤، مسلم (الحدود) ٣/ ١٣٣٤ ـ ١٣٣٥، أبو داود (الديات) ٤/ ٧١٥ ـ ٧١٦، الترمذي (الزكاة) ٢/ ٧٧، النسائي (الزكاة) ٥/ ٤٥، ابن ماجه (الديات) ٢/ ٨٩١ الموطأ (العقول) ٢/ ٨٦٩، أحمد ٢/ ٢٢٨، ٢٣٩، ٥/ ٣٢٦.
العجماء: البهيمة من الأنعام وغيرها، الجبار: هو الهدر الذي لا يغرم. وانظر غريب الحديث لابن الأثير ٣/ ١٨٧.

عبد الله بن مطيع[١] أنه كان واقفاً بعرفة وتحته جمل، فقال: جَمَلِي هذا أَعْجَمُ، ولو أنَّه أنزل عليه ما كانوا يؤمنون[٢].

والعجميُّ: هو الذي نسبته في العجم وإن كان أفصح الناس[٣].

وقال الزمخشري: الأعجم: الذي لا يفصح، وفي لسانه عجمة واستعجام، والأعجمي مثله إلا أنَّ فيه زيادة ياء[٤] النسب توكيداً[٥]. وتقدم نحو من هذا في سورة النحل[٦] وقد صرَّح أبو البقاء بمنع أن يكون «الأَعْجَمِينَ» جمع أعجم، وإنما هو جمع أعجمي[٧] مخففاً من «أَعْجَمِيّ» «كَالأَشْعَرُون» في الأَشْعَرِيّ. قال: «الأعجمين» الأعجميِّين، فحذف ياء النسب، كما قالوا: (الأَشْعَرُونَ أي)[٨]: الأَشْعَرِيُّون، وواحده (أَعْجَمِي) ولا يجوز أن يكون جمع (أَعْجَم) لأنَّ مؤنثه (عَجْمَاء)، ومثل هذا لا يجمع جمع التصحيح[٩]. قال شهاب الدين: وفيما قاله ابن عطية نظر[١٠]، وأما الزمخشري فليس في كلامه أنه جمع (أَعْجَم) مخففاً أو غير مخفف، وإن كان ظاهره أنه جمع (أعجم) من غير تخفيف، ولكن الذي قاله ابن عطية تبع فيه الفراء فإنَّه قال: الأعجمين: جمع (أَعْجَم) أو (أَعْجَمِي) على حذف ياء النسب، كما قالوا: الأشعرين وواحدهم (أشعري)[١١] وأنشد للكميت:

٣٩٢٩ ـ وَلَوْ جَهَّزتَ قَافِيَةً شَرُوداً[١٢] ... لَقَدْ دَخَلَتْ بيُوتَ الأَشْعَرِينَا[١٣]

لكن الفراء لا يضره ذلك، فإنه من الكوفيين، وقد تقدم عنهم أنهم يجيزون جمع

---

(١) هو عبد الله بن مطيع بن الأسود، من بني عويج بن عدي بن كعب رهط عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وكان أبوه مطيع بن الأسود يسمى العاص، فسماه النبي ـ ﷺ: مطيعاً. المعارف ٣٩٥.

(٢) جامع البيان ١٩/ ٧٠.

(٣) تفسير ابن عطية ١١/ ١٥٠ ـ ١٥١.

(٤) ياء: سقط من ب.

(٥) الكشاف ٣/ ١٢٧. وفيه: إلا أن فيه لزيادة ياء النسب زيادة تأكيد.

(٦) عند قوله تعالى: ﴿... **إنَّما يعلِّمه بشرٌ لسان الَّذي يلحدون إليه أعجميٌ وهذا لسان عربيٌ مبينٌ**﴾ من الآية (١٠٣).

(٧) في الأصل: أعجم.

(٨) ما بين القوسين سقط من ب.

(٩) التبيان ٢/ ١٠٠١ ـ ١٠٠٢.

(١٠) في ب: نظر واضح.

(١١) تبع شهاب الدين أبا حيان في النقل عن الفراء، فإنهما قد نقلا معنى كلامه وعبارة الفراء: (الأعجم في لسانه، والأعجمي المنسوب إلى أصله إلى العجم وإن كان فصيحاً. ومن قال: أعجم، قال للمرأة عجماء إذا لم تحسن العربية، ويجوز أن تقول: عجمي تريد أعجمي تنسبه إلى أصله) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٨٣.

(١٢) في ب: سدوداً.

(١٣) البيت من بحر الوافر قاله الكميت، وهو في ديوانه ٢/ ١١٩، البحر المحيط ٧/ ٤٢. قوله: (قافية شروداً) أي: قافية سائرة في البلاد تشرد كما تشرد البعير والشاهد فيه قوله: «الأشعرينا» فإنه جمع (أشعري) مخفف (أشعريّ) والأصل: الأشعريينا. فخفف بحذف الياء الأولى.

(أَفْعَل فَعْلاَء)[١]. وقرأ الحسن وابن مقسم: «الأَعْجَمِيِّينَ»[٢] بياء[٣] النسب[٤] ـ وهي مؤيدة لتخفيفه منه في قراءة العامة.

فصل

قوله[٥] «وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ» يعني: القرآن على رجل ليس بعربي[٦] اللسان «فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ» بغير لغة العرب «مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ» وقالوا ما نفقه قولك، وجعلوه عذراً لجحودهم، ونظيره: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ﴾ [فصلت: ٤٤].

وقيل: معناه: ولو أنزلناه[٧] على رجل ليس من العرب لما آمنوا به أنفة من اتباعه[٨].

قوله: «كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ» أي: قيل ذلك[٩]، أو الأمر كذلك[١٠]. والضمير في «سَلَكْنَاهُ» عائد على القرآن، وهو الظاهر[١١]، أي: سلكناه في قلوب المجرمين (كما سلكناه في قلوب المؤمنين)[١٢]، ومع ذلك لم ينجع[١٣] فيهم. وقال ابن عباس والحسن ومجاهد: أدخلنا الشرك والتكذيب في قلوب المجرمين[١٤].

وهذه الآية تدل على أنّ الكل بقضاء الله وخلقه. قال الزمخشري: أراد به أنه صار ذلك التكذيب متمكناً في قلوبهم أشدّ التمكن، فصار ذلك كالشيء الجبلِّي[١٥].

والجواب: أنه إما أن يكون قد فعل الله تعالى فيهم ما يقتضي الترجيح أم لا، فإن كان الأول فقد دللنا[١٦] في سورة الأنعام على أنّ الترجيح لا يتحقق ما لم يثب[١٧] إلى حد الوجوب، وحينئذ يحصل المقصود، وإن لم يفعل فيهم ما يقتضي الترجيح البتة امتنع قوله: «كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ»[١٨].

---

(١) الدر المصون ٥/ ١٦٩.
(٢) في ب: الأعجمين.
(٣) في ب: بياي.
(٤) المختصر (١٠٧)، المحتسب ٢/ ١٣٢، البحر المحيط ٧/ ٤٢، الإتحاف (٣٣٤).
(٥) قوله: سقط من الأصل.
(٦) في ب: يعرف.
(٧) في الأصل: أنزلنا.
(٨) انظر البغوي ٦/ ٢٤١.
(٩) فتكون الكاف صفة لمصدر محذوف، أي: سلوكاً مثل. التبيان ٢/ ٧٧٧.
(١٠) فتكون الكاف في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف. المرجع السابق.
(١١) انظر البحر المحيط ٧/ ٤٢.
(١٢) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٣) في اللسان (نجع): نجع فيه القول والخطاب والوعظ: عمل فيه ودخل وأثر.
(١٤) انظر البغوي ٦/ ٢٤١ ـ ٢٤٢.
(١٥) نص عبارة الزمخشري: (فإن قلت: كيف أسند السلك بصفة التكذيب إلى ذاته. قلت: أراد به الدلالة على تمكنه مكذباً في قلوبهم أشد التمكن وأثبته فجعله بمنزلة أمر قد جبلوا عليه وفطروا) الكشاف ٣/ ١٢٨، وابن عادل تبع ابن الخطيب في النقل عن الزمخشري، فقد نقلا معنى كلامه.
(١٦) في ب: قدمنا.
(١٧) يثب: سقط من ب.
(١٨) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٧٠.

قوله: «لاَ يُؤْمِنونَ بِهِ» في الجملة وجهان:

أحدهما: الاستئناف على جهة البيان والإيضاح لما قبله.

والثاني: أنها حال من الضمير في «سَلَكْنَاهُ» أي[١]: غير مُؤْمِنٍ بِهِ[٢].

ويجوز أن يكون حالاً من «المُجْرِمِينَ» لأنَّ المضاف جزء من المضاف إليه «حَتَّى يَرَوُا العَذَابَ الأَلِيمَ» يعني: الموت[٣].

قوله: «فَيَأْتِيَهُمْ» و[٤] «فَيَقُولُوا» عطف على «يَرَوا»[٥].

وقرأ العامة بالياء من تحت. والحسن وعيسى بالتاء من فوق[٦].

أنث ضمير العذاب. لأنه في معنى العقوبة[٧]. وقال الزمخشري: أنّث على أن الفاعل ضمير[٨] الساعة[٩]. قال الزمخشري: فإن قلت: ما معنى التعقيب في قوله: «فَيَأْتِيَهُمْ»؟ قُلْت: ليس المعنى التعقيب في الوجود، بل المعنى ترتُّبها في الشدة، كأنه قيل: لا يؤمنون بالقرآن حتى تكون رؤيتهم العذاب أشدَّ منها، ومثال ذلك أن تقول: إنْ أَسأْتَ مَقَتَكَ الصَّالِحُونَ فمَقَتَكَ اللَّه[١٠] فإنك لا تقصد أنّ مَقْتَ اللَّهِ بعد مَقْتِ الصَّالِحِينَ، وإنما قصدك إلى ترتيب شدة الأمر على المسيء[١١].

وقرأ الحسن: «بَغَتَةً» بفتح الغين[١٢].

فصل

المعنى: يَأْتِيَهُمْ العذاب «بَغْتَةً» أي: فجأة «وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ» به في الدنيا، «فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ» أي: لنؤمن ونصدق، يتمنون الرجعة[١٣] والنظرة، وإنما يقولون ذلك استراوحاً عند تعذر الخلاص، لأنهم يعلمون في الآخرة ألا[١٤] ملجأ لهم[١٥]. قال مقاتل: لما وعدهم النبي ـ ﷺ ـ بالعذاب[١٦] قالوا: إلى متى توعدنا بالعذاب؟ ومتى هذا

---

(١) أي: سقط من الأصل.

(٢) انظر الكشاف ٣/١٢٨.

(٣) في ب: عند الموت.

(٤) و: سقط من ب.

(٥) انظر التبيان ٢/١٠٠٢.

(٦) المختصر (١٠٨)، المحتسب ٢/١٣٣، قال ابن جني: (الفاعل المضمر الساعة، أي: فتأتيهم الساعة «بغتة» فأضمرها لدلالة العذاب الواقع فيها عليها، ولكثرة ما تردد في القرآن من ذكر إتيانها) وانظر أيضاً البحر المحيط ٧/٤٢.

(٧) انظر البحر المحيط ٧/٤٢.

(٨) ضمير: سقط من ب.

(٩) وعبارة الزمخشري: (وقرأ الحسن: «فتأتيهم» بالتاء يعني: الساعة) الكشاف ٣/١٢٨.

(١٠) فمقتك الله: تكملة من الكشاف.

(١١) الكشاف ٣/١٢٨. بتصرف يسير.

(١٢) المختصر (١٠٨)، الكشاف ٣/١٢٨، البحر المحيط ٧/٤٣.

(١٣) في ب: الرجفة.

(١٤) في ب: لا.

(١٥) انظر الفخر الرازي ٢٤/١٧٠.

(١٦) بالعذاب: سقط من ب.

العذاب؟ قال الله تعالى: «أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ»[(١)].

قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾﴾

قوله: «أَفَرَأَيْتَ» تقدم تحقيقه[(٢)] وقد تنازع «أَفَرَأَيْتَ» و «جَاءَهُمْ» في قوله: «مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ» فإن أعملت الثاني وهو «جَاءَهُمْ» رفعت به «مَا كَانُوا» فاعلاً به، ومفعول «أَرَأَيْتَ»[(٣)] الأول ضميره، ولكنه حذف، والمفعول الثاني هو الجملة الاستفهامية في قوله[(٤)]: «مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ»، ولا بدَّ من رابط بين هذه الجملة وبين المفعول الأول المحذوف، وهو مقدر تقديره: أفرأيت ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم تمتُّعهم حين حلَّ، أي: الموعود به، ودلَّ على ذلك قوة الكلام.

وإن أعملت الأول نصبت به «مَا كَانُوا يُوعَدُونَ» وأضمرت في «جَاءَهُمْ» ضميره فاعلاً به، والجملة الاستفهامية مفعول ثانٍ أيضاً، والعائد مقدر على ما تقرر[(٥)] في الوجه قبله[(٦)]، والشرط معترض، وجوابه محذوف، وهذا كله مفهوم مما تقدم في سورة الأنعام[(٧)] وإنما ذكرناه هنا لأنه تقديرٌ (عَسِرٌ يحتاج)[(٨)] إلى تأمل. وهذا كله إنما يتأتى على قولنا: «مَا»[(٩)] استفهامية، ولا يضير تفسيرهم لها بالنفي[(١٠)]، فإن الاستفهام قد يرد بمعنى النفي. وأما إذا جعلتها نافية حرفاً، كما قاله أبو البقاء[(١١)] فلا يتأتى ذلك، لأنَّ مفعول «أَرَأَيْتَ» الثاني لا يكون إلا جملة استفهامية كما تقرر[(١٢)]. قوله: «أَفَرَأَيْتَ إِنْ

---

(١) انظر البغوي ٦/٢٤٢.

(٢) في سورة الأنعام، عند قوله تعالى: **﴿قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم السَّاعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين﴾** الآية (٤٠).

(٣) في ب: أفرأيت.

(٤) في ب: قولك. وهو تحريف.

(٥) في الأصل: ما تقدر.

(٦) انظر البحر المحيط ٧/٤٣.

(٧) عند قوله: **﴿قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم السَّاعة﴾** من الآية (٤٠). انظر اللباب ٣/٤١٣. وذكر هناك في توجيه الإعراب مثلما ذكر هنا.

(٨) ما بين القوسين في ب: غير محتاج. وهو تحريف.

(٩) في ب: إن ما.

(١٠) في ب: بأن النافية.

(١١) فإنه قال: (قوله تعالى: **﴿ما أغنى عنهم﴾** يجوز أن يكون استفهاماً فتكون (ما) في موضع نصب، وأن يكون نفياً، أي: ما أغنى عنهم شيئاً) التبيان ٢/١٠٠٢.

(١٢) قال سيبويه: (وتقول: أرأيتك زيداً أبو من هو، وأرأيتك عمراً عندك هو أم عند فلان، لا يحسن فيه إلا النصب في زيد، ألا ترى أنك لو قلت: أريت أبو من أنت، أو أرأيت أزيد ثم أم فلان، لم يحسن، لأن فيه معنى أخبرني عن زيد، وهو الفعل الذي لا يستغنى السكوت على مفعوله الأول، فدخول هذا المعنى فيه لم يجعله بمنزلة (أخبرني) في الاستغناء، فعلى هذا أجري وصار الاستفهام في=

متَّعْنَاهُمْ سِنِينَ» كثيرة في الدنيا، يعني كفار مكة، ولم نهلكهم «ثُمَّ جَاءَهُم مَا كَانُوا يُوعَدُونَ» يعني: العذاب «مَا[1] أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ» في تلك السنين، أي: إنهم وإن طال تمتعهم بنعم الدنيا، فإذا أتاهم العذاب لم يغن طول التمتع عنهم شيئاً، ويكون كأنهم لم يكونوا في نعيم قط.

قوله: «مَا أَغْنَى عَنْهُمْ»[2] يجوز أن تكون «مَا» استفهامية في محل نصب مفعولاً مقدماً، و «مَا كَانُوا» هو الفاعل[3]، و «مَا» مصدرية بمعنى: أيُّ شَيْءٍ أغنى عنهم كونهم متمتعين. وأن تكون نافية[4]، والمفعول محذوف، أي: لَمْ يُغْنِ عنهم تمتعهم شيئاً. وقرىء «يُمْتَعُونَ» بإسكان الميم وتخفيف التاء[5] من: أَمْتَعَ اللَّهُ زَيداً بكذا.

قوله: «إلاَّ لَهَا مُنْذِرُونَ» يجوز أن تكون الجملة صفة لـ «قَرْيَةٍ»[6] وأن تكون حالاً منها. وسوغ[7] ذلك سبق النفي[8]. وقال الزمخشري: فإن قلت: كيف عزلت الواو عن الجملة بعد «إلاَّ» ولم تعزل عنها في قوله: ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الحجر: ٤]؟ قلت: الأصل عزل الواو، لأنَّ الجملة صفة لـ «قَرْيَةٍ» وإذا زيدت فلتأكيد وصل الصفة[9] بالموصوف، كما في قوله[10]: ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾[11] [الكهف: ٢٢]. قال أبو حيان: ولو قدرنا «لَهَا مُنْذِرُونَ» جملة لم يجز أن تجيء صفة بعد (إلاَّ)، ومذهب الجمهور أنه لا تجيء الصفة بعد «إلاَّ» معتمدة على أداة الاستثناء[12]، نحو: مَا جَاءَنِي أحدٌ إلاَّ رَاكِبٌ. وإذا سمع مثل هذا خرّجوه على البدل، أي: إلاَّ رجل راكب، ويدل على صحة هذا المذهب أنَّ العرب تقول: ما مررت بأحدٍ إلاَّ قائماً ولا يحفظ عنهم «إلاَّ قَائِمٍ» يعني: بالجر، فلو كانت الجملة صفة بعد «إلاَّ» (لَسُمِعَ الجَرُّ)[13] في هذا[14]. وأيضاً[15] فلو كانت الجملة صفة للنكرة لجاز أن تقع صفة المعرفة بعد «إلاَّ». يعني نحو: مَا مَرَرْتُ بِزَيْدٍ إلاَّ العَاقِلِ.

= موضع المفعول الثاني) الكتاب ١/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠. وقال أبو حيان: (وتقرر في علم العربية أن أرأيت إذا كانت بمعنى أخبرني تعدت إلى مفعولين أحدهما منصوب والآخر جملة استفهامية في الغالب، تقول العرب: أرأيت زيداً ما صنع وما جاء مما ظاهره خلاف ذلك أُوّل) البحر المحيط ٧/ ٤٣، وانظر الهمع ١/ ١٥٥.

(١) في ب: فما.
(٢) عنهم: سقط من ب.
(٣) انظر البيان ٢/ ٢١٧.
(٤) انظر البيان ٢/ ٢١٧، التبيان ٢/ ١٠٠٢.
(٥) المختصر (١٠٨)، الكشاف ٣/ ١٢٨، البحر المحيط ٧/ ٤٤، ولم يعزها أحد إلى قارىء.
(٦) انظر نص الزمخشري الآتي.
(٧) في ب: ومسوغ.
(٨) انظر البحر المحيط ٧/ ٤٤.
(٩) في الأصل: الصلة.
(١٠) قوله: سقط من ب.
(١١) [الكهف: ٢٢]، الكشاف ٣/ ١٢٨ ـ ١٢٩.
(١٢) أي: مقصوداً بها وصف ما قبل (إلا).
(١٣) ما بين القوسين في ب: سمع الجر أيضاً.
(١٤) يعني في المفرد، وهو قولهم: ما مررت بأحد إلا قائماً، فكان يقال: قائم أيضاً.
(١٥) وأيضاً: سقط من ب.

ثم قال: فإن كانت الصفة غير معتمدة على الأداة[١] جاءت الصفة بعد «إلاَّ» نحو: ما جاءني أحدٌ إلاَّ زيدٌ خيرٌ من عمرٍو، والتقدير: ما جاءني أحدٌ خيرٌ من عمرٍو إلاَّ زيدٌ.

وأمَّا كون الواو تزاد لتأكيد وصل الصفة بالموصوف فغير معهود في عبارة النحويين، لو قلت: جاءني رجلٌ وعاقلٌ. لم يجز، وإنما تدخل الواو في الصفات جوازاً إذا عطف[٢] بعضها على بعض وتغاير مدلولها، نحو: «مَرَرْتُ بِزَيْدٍ الشجاع والشاعر»[٣]. وأما ﴿وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف: ٢٢] فتقدم الكلام عليه[٤].

قال شهاب الدين: أما كون الصفة لا تقع بعد (إلاَّ) معتمدةً فالزمخشري يختار غير هذا، فإنَّها مسألة خلافية[٥]، وأما كونه لم يقل (إلاَّ قائماً) بالنصب دون «قَائِم» بالجر فذلك[٦] على أحد الجائزين، وليس فيه دليل على المنع من قسيمه. وأما قوله: فغير معهود في كلام النحويين. فممنوع، هذا ابن جنِّي نصَّ عليه في بعض كتبه[٧]، وأما[٨] إلزامه أنها لو كانت الجملة صفة بعد (إلاَّ) للنكرة، لجاز أن تقع صفة المعرفة بعد (إلاَّ) فغير لازم، لأنَّ ذلك مختص بكون الصفة جملة، وإذا كانت جملة تعذر كونها صفة للمعرفة، وإنَّما اختص ذلك بكون الصفة جملة، لأنها لتأكيد وصل الصفة والتأكيد لائق بالجمل.

وأمَّا قوله: لو قلت: جاءني رجلٌ وعاقلٌ. لم يجز، فمسلَّم، ولكن إنما امتنع ذلك في الصفة المفردة لئلا يلبس أن الجائي اثنان: رجلٌ وآخر عاقلٌ، بخلاف كونها جملة فإنَّ اللبس منتفٍ، وقد تقدم (الكلام في)[٩] ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ﴾[١٠] [الكهف: ٢٢].

قوله: «ذِكْرَى» يجوز فيها أوجه:

أحدها: أنها مفعول من أجله، وإذا كانت مفعولاً من أجله ففي العامل فيها وجهان: **أحدهما**: «مُنْذِرُونَ» على أنَّ المعنى: منذرون لأجل الموعظة والتذكرة[١١].

الثاني: «أَهْلَكْنَا».

قال الزمخشري: والمعنى: وَمَا أَهْلَكْنَا من أهل قريةٍ ظالمين إلاَّ بعد ما ألزمناهم الحجَّة بإرسال المنذرين إليهم، ليكون تذكرة وعبرةً لغيرهم، فلا يعصون[١٢] مثل

---

(١) في ب: الإعادة. وهو تحريف.
(٢) في ب: عطفت.
(٣) في ب: وبالشاعر. وهو تحريف.
(٤) البحر المحيط ٧/ ٤٤ بتصرف يسير وانظر أيضاً ٦/ ١١٤ ـ ١١٥.
(٥) انظر شرح المفصل ٢/ ٩٣.
(٦) في ب: فذاك.
(٧) لم أهتد إليه في الخصائص أو في سر صناعة الإعراب.
(٨) في ب: فأما.
(٩) الكلام في: تكملة من الدر المصون.
(١٠) [الكهف: ٢٢]. الدر المصون ٥/ ١٧١.
(١١) انظر الكشاف ٣/ ١٢٨.
(١٢) في الأصل: فلا يعصوا.

عصيانهم. ثم قال: وهذا الوجه عليه المُعَوَّل[١]. قال أبو حيان: وهذا لا معوَّل عليه، فإنَّ مذهب الجمهور أنَّ ما قبل إلاَّ لا يعمل فيما بعدها إلاَّ أن يكون[٢] مستثنى أو مستثنى منه، أو تابعاً له غير معتمدٍ على الأداة نحو: ما مررتُ بأحدٍ إلاَّ زيدٌ خيرٌ من عمرٍو. والمفعول له[٣] ليس واحداً من هذه.

ويتخرَّج مذهبه على مذهب الكسائي والأخفش[٤]، وإن كانا لم ينصَّا على المفعول له بخصوصيته[٥]. قال شهاب الدين: والجواب ما تقدم قبل ذلك من أنه يختار مذهب الأخفش[٦].

الثاني من الأوجه الأول[٧]: أنها في محل رفع خبراً لمبتدأ محذوف، أي: هذه ذكرى، وتكون الجملة اعتراضية[٨].

الثالث: أنها صفة لـ «مُنْذِرُونَ» إمَّا على المبالغة، وإمَّا على الحذف، أي: مُنْذِرُونَ ذوو[٩] ذكرى[١٠]، أو على وقوع المصدر وقوع اسم الفاعل. أي: منذرون مذكِّرون. وتقدم تقريره.

الرابع: أنها في محل نصب على الحال، أي: مذكِّرين، أو ذوي ذكرى، أو جعلوا نفس الذكرى مبالغة[١١].

الخامس: أنها منصوبة على المصدر المؤكد، وفي العامل فيها حينئذ وجهان:

أحدهما: لفظ «مُنْذِرُونَ» لأنه[١٢] من معناها، فهما كـ (قَعَدْتُ جُلُوساً)[١٣].

والثاني: أنه محذوف من لفظها، أي: يُذَكِّرُونَ ذكرى[١٤]، وذلك المحذوف صفة لـ «مُنْذِرُونَ».

قوله: «وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ» في تعذيبهم، حيث قدمنا الحجة عليهم، وأعذرنا إليهم، أو: ما كنا ظالمين فنهلك قوماً غير ظالمين[١٥].

---

(١) الكشاف ٣/١٢٨. (٢) يكون: سقط من ب.
(٣) له: سقط من ب.
(٤) وذلك أن الكسائي جوز تأخير معمول ما قبل (إلا) عنها مرفوعاً كان، أو منصوباً، أو مجروراً، نحو ما ضرب إلا زيد عمراً وما مر إلا زيد بعمرو. ووافقه الأخفش في الظرف المجرور، والحال، نحو ما جلس إلا زيد عندك وما مر إلا عمرو بك، وما جاء إلا زيد راكباً. قال أبو حيان: وهو المختار، لأنه يتسامح في المذكورات ما لا يتسامح في غيرها. الهمع ١/٢٣٠ ـ ٢٣١.
(٥) البحر المحيط ٧/٤٥. (٦) الدر المصون ٥/١٧٢.
(٧) يعني الأوجه في (ذكرى). (٨) انظر الكشاف ٣/١٢٨.
(٩) في ب: و. وهو تحريف. (١٠) انظر الكشاف ٣/١٢٨.
(١١) انظر الكشاف ٣/١٢٨، البيان ٢/٢١٧، ونسبه ابن الأنباري للكسائي. البحر المحيط ٧/٤٤.
(١٢) في ب: لأن. (١٣) انظر الكشاف ٣/١٢٨، البحر المحيط ٧/٤٤.
(١٤) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/١٠٢، البيان ٢/٢١٧.
(١٥) انظر الكشاف ٣/١٢٨، الفخر الرازي ٢٤/١٧١.

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾

قوله: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾. العامة على الياء ورفع النون، وهو جمع تكسير.

وقرأ الحسن البصري وابن السميفع والأعمش بالواو مكان الياء والنون مفتوحة[١]، إجراء له مجرى جمع السلامة. وهذه القراءة (قَدْ ردَّها)[٢] جمع كثير من النحويين.

قال الفراء: غلط الشَّيخ، ظنَّ أنَّها النون التي على هجائين[٣]. فقال النضر بن شميل: إن جاز أن يحتجَّ بقول العجاج ورؤبة فهلا[٤] جاز أن يحتجَّ بقول الحسن وصاحبه ـ يعني: محمد بن السميفع ـ مع أنا نعلم أنهما لم يقرآ به إلاَّ وقد سمعا فيه[٥]. وقال النحاس: هو غلط عند جميع النحويين[٦].

وقال المهدوي: هو غير جائز في العربية[٧]. وقال أبو حاتم: هي غلطٌ منه أو عليه[٨]. وقد أثبت هذه القراءة جماعة من أهل العلم ودفعوا عنها الغلط، فإنَّ القارىء بها من العلم بمكانٍ مكينٍ. وأجابوا عنها بأجوبة صالحة.

فقال النضر بن شميل: قال يونس بن حبيب: سمعت أعرابياً يقول: دخلت بساتين من ورائها بَسَاتُون. فقلت: ما أشبه هذا بقراءة الحسن[٩].

وخرَّجها بعضهم على أنها جمع (شَيَّاطٍ) بالتشديد، مثال مبالغة. مثل: (ضَرَّاب وقَتَّال) على أن يكن مشتقاً من: شَاطَ يَشِيطُ، أي: أُحرق، ثم جُمِع جمع سلامة مع تخفيف الياء، فوزنه[١٠]: (فَعَالُونَ) مخففاً من (فَعَّالِينَ) بتشديد العين.

ويدل على ذلك أنَّهما وغيرهما قرءوا بذلك، أعني: بتشديد الياء[١١]، وهذا منقول عن مؤرج السَّدوسيّ[١٢]. ووجَّهها آخرون بأنَّ (آخره لما)[١٣] كان يشبه يبرين[١٤]، وفلسطين، أجري إعرابه تارة على النون، وتارة بالحرف، كما قالوا: هذه يبرين وفلسطين ويبرون وفلسطون[١٥]، وتقدم القول في ذلك في البقرة[١٦]. والهاء في «بِهِ» تعود على

---

(١) المختصر (١٠٨)، المحتسب ٢/ ١٣٣، البحر المحيط ٧/ ٤٦.
(٢) ما بين القوسين في الأصل: قدرها.
(٣) معاني القرآن ٢/ ٢٨٥.
(٤) في ب: فهل.
(٥) انظر الكشاف ٣/ ١٢٩، القرطبي ١٣/ ١٤٢، البحر المحيط ٧/ ٤٦.
(٦) إعراب القرآن ٣/ ١٩٤.
(٧) انظر القرطبي ١٣/ ١٤٢، البحر المحيط ٧/ ٤٦.
(٨) انظر البحر المحيط ٧/ ٤٦.
(٩) انظر تفسير ابن عطية ١١/ ١٢٥٥، القرطبي ١٣/ ١٤٢، البحر المحيط ٧/ ٤٦.
(١٠) في ب: بوزنه. وهو تحريف.
(١١) انظر القرطبي ١٣/ ١٤٢، البحر المحيط ٧/ ٤٦.
(١٢) تقدم.
(١٣) ما بين القوسين في ب: آخرها.
(١٤) في ب: ميرين.
(١٥) انظر الكشاف ٣/ ١٢٩، البحر المحيط ٧/ ٤٦.
(١٦) عند قوله تعالى: **﴿واتَّبعوا ما تتلو الشَّياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكنَّ الشَّياطين كفروا يعلِّمون النَّاس السِّحر﴾** من الآية (١٠٢).

القرآن. وجاءت هذه الجمل الثلاثة منفية على أحسن ترتيب، نَفَى أَوَّلاً تنزيل الشياطين به، لأنَّ النفي في الغالب يكون في الممكن، وإن كان الإمكان هنا منتفياً ثم نفى ثانياً ابتغاء ذلك، أي: ولو فرض الإمكان لم يكونوا أهلاً له[١]. ثم نفى ثالثاً[٢] الاستطاعة والقدرة، ثم ذكر علة ذلك وهي انعزالهم عن السماع من الملأ الأعلى، لأنهم يرجمون بالشهب لو (تَسَمَّعُوا[٣])[٤].

فصل

لما احتج على صدق محمد ـ عليه السلام[٥] ـ بكون القرآن تنزيل رب العالمين، لوقوعه في الفصاحة القصوى، ولاشتماله على قصص المتقدمين من غير تفاوت، مع أنه ـ عليه السلام ـ لم يتعلم من أحد، وكان الكفار يقولون: هذا من إلقاء الجنّ والشياطين كسائر ما ينزل به على الكهنة، فأجاب الله تعالى بأنَّ ذلك لا يتسهل للشياطين، لأنهم معزولون عن استماع كلام أهل السماء برجمهم بالشهب. فإن قيل: العلم بكون الشياطين ممنوعين عن ذلك لا يحصل إلا بخبر النبي الصادق فإذا أثبتنا كون محمد ـ عليه السلام[٦] ـ صادقاً بفصاحة القرآن، وإخباره عن الغيب، ولا يثبت كون الفصاحة والإخبار عن الغيب معجزاً إلا إذا ثبت كون الشياطين ممنوعين عن ذلك. (فلزم الدور.

فالجواب: لا نسلم أن العلم بكون الشياطين ممنوعين عن ذلك)[٧] لا يستفاد إلا من قول النبيّ ـ ﷺ ـ لأنا نعلم بالضرورة أن النبيّ ـ ﷺ ـ كان يلعن الشياطين، ويأمر الناس بلعنهم، فلو كان ذلك إنما حصل من إلقاء الشياطين لكان الكفار أولى بأن يحصل لهم مثل هذا العلم، فيجب أن يكون اقتدار الكفار على مثله أولى. ولما لم يكن كذلك علمنا أن الشياطين ممنوعون، لأنهم معزولون عن تعرف الغيوب[٨]. ثم إنه تعالى لما ذكر هذا الجواب خاطب الرسول ـ عليه السلام[٩] ـ فقال: «فَلاَ تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلٰهاً آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ المُعَذَّبِين». قال ابن عباس: يحذر به غيره، يقول: أنت أكرم الخلق عليَّ ولو اتخذت إلٰهاً غيري لعذبتك[١٠]. وقوله: «فَتَكُونَ» منصوب في جواب النهي.

قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾. روى عبد الله بن عباس عن علي بن أبي

---

(١) له: سقط من ب.
(٢) في الأصل: ثالثاً نفى.
(٣) انظر البحر المحيط ٧/٤٦.
(٤) ما بين القوسين في الأصل: قسموا.
(٥) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٦) عليه السلام: سقط من ب.
(٧) ما بين القوسين سقط من ب.
(٨) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٧١ ـ ١٧٢.
(٩) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٠) انظر البغوي ٦/ ٢٤٤.

طالب ـ رضي الله عنه[١] ـ قال: لما نزلت هذه الآية على رسول الله ـ ﷺ ـ ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ دعاني رسول الله ـ ﷺ ـ فقال: «يا عليّ، إنَّ اللَّه أمرني أَنْ أنذر عشيرتي الأقربين، وضقت بذلك ذرعاً، وعرفت أني متى أناديهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره، فصمت عليها حتى جاءني جبريل فقال: يا محمد، إلاَّ تفعل ما تؤمر يعذبك ربك، فاصنع لنا صاعاً من طعام، واجعل عليه رجل شاة، واملأ لنا عُسًّا[٢] من لبن، ثم اجمع لي بني عبد المطلب حتى أبلغهم ما أمرت به». ففعلت ما أمرني به، ثم دعوتهم له وهم يومئذٍ أربعون رجلاً، يزيدون رجلاً أو ينقصونه، فيهم أعمامه: أبو طالب، وحمزة، والعباس، وأبو لهب، فلما اجتمعوا دعاني بالطعام الذي صنعت، فجئت به، فلما وضعته تناول رسول الله ـ ﷺ ـ جَذْبَةً[٣] من اللحم، فشقها بأسنانه، ثم ألقاها في نواحي الصحفة، ثم قال: خذوا باسم الله، فأكل القوم حتى ما لهم بشيء حاجة، وأيم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليأكل مثل ما قدمت لجميعهم، ثم قال: اسْقِ القومَ. فجئت بذلك العُسّ فشربوا حتى رووا جميعاً، وأيم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله، فلما أراد رسول الله ـ ﷺ ـ أن يكلمهم بَدَرهُ[٤] أبو لهب فقال: سحركم صاحبكم. فتفرق القوم، ولم يكلمهم رسول الله ـ ﷺ ـ فقال: الغد يا علي، إن هذا الرجل قد سبقني إلى ما سمعت من القول، فتفرق القوم قبل أن أكلمهم، فأعدّ لنا من الطعام مثل ما صنعت ثم اجمعهم ففعلت، ثم دعاني بالطعام فقدمته، ففعل كما فعل بالأمس، فأكلوا وشربوا، ثم تكلم رسول الله ـ ﷺ ـ فقال: يا بني عبد المطلب: إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه، فأيكم يؤازرني[٥] على أمري ويكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟ فأحجم[٦] القوم عنها جميعها، فقلت وأنا أحدثهم سنًّا: أنا يا نبيّ الله أكون وزيرك عليه، قال: فأخذ برقبتي ثم قال: إنَّ هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا، فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لعلي وتطيع[٧].

---

(١) في ب: كرم الله وجهه.

(٢) العسُّ: القدح الضخم، وقيل: هو أكبر من الغمر، وهو إلى الطول، يروي الثلاثة والأربعة والعدَّة، والرِّفد أكبر منه والجمع عساسٌ وعسسةٌ. اللسان (عسس).

(٣) الجذبة: القطعة. ففي اللسان (جذب): يقال: بيني وبين المنزل جذبة أي: قطعة، يعني: بعدٌ، ويقال: جذبةٌ من غزلٍ، للمجذوب منه مرةً.

(٤) بدرت إلى الشيء أبدر بدوراً: أسرعت، وكذلك بادرت إليه، وتبادر القوم أسرعوا، وابتدروا السلاح: تبادروا إلى أخذه، وبادر الشيء مبادرة وبداراً وابتدره وبدر غيره إليه يبدره: عاجله، وبدرني الأمر وبدر إليّ: عجل إليّ واستبق. اللسان (بدر).

(٥) وازره على الأمر: أعانه وقواه. اللسان (وزر).

(٦) أحجم عن الأمر: كف أو نكص هيبة. اللسان (حجم).

(٧) أخرجه ابن إسحاق، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وأبو نعيم، والبيهقي. انظر البغوي ٦/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥، الدر المنثور ٥/ ٩٧.

وعن ابن عباس قال: لما نزلت: «وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ» خرج رسول الله ـ ﷺ ـ حتى صعد الصفا، فهتف: يا صَبَاحَاه، فقالوا: من هذا؟ فاجتمعوا[١] إليه، فقال: «أرأيتم إنْ أخبرتكم أن خَيْلاً تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مُصَدِّقِيَّ»؟ قالوا: ما جَرَّبْنَا عليك كذباً. قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. فقال أبو لهب: تبًّا لك[٢] ما جمعتنا إلا لهذا، ثم قام، فنزلت ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾[٣] [المسد: ١].

قوله: «وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ»: ألن جانبك «لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ المُؤْمِنِينَ». واعلم أن الطائر إذا أراد أن ينحط كسر جناحه وخفضه، وإذا أراد أن ينهض للطيران رفع جناحه، فجعل خفض الجناح كناية عن التواضع ولين الجانب[٤].

قوله: «فَإِنْ عَصَوْكَ»: في هذه الواو وجهان:

أحدهما: أنها ضمير الكفار، أي: فإن عصاك الكفار في أمرك لهم بالتوحيد.

والثاني: أنها ضمير المؤمنين، أي: فإن عصاك المؤمنون في فروع الإسلام وبعض الأحكام بعد تصديقك والإيمان برسالتك، وهذا في غاية البعد «فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ» (من الكفر وعبادة غير الله)[٥][٦].

فصل

قال الجُبَّائيّ: هذا يدل على أنه ـ عليه السلام[٧] ـ كان بريئاً من معاصيهم، وذلك يوجب أن الله تعالى أيضاً بريء من عملهم كالرسول، وإلا كان مخالفة لله، كما لو رضي عن شخص فإن الله راضٍ عنه، وإذا كان تعالى بريئاً من عملهم فلا يكون فاعلاً له. والجواب[٨]: أنه تعالى بريء من المعاصي، بمعنى أنه ما أمر بها بل نهى عنها، فأما بمعنى أنه لا يريدها فلا نسلم، بدليل أنه علم وقوعها، وكل ما كان معلوم الوقوع فهو واجب الوقوع، وإلاَّ لانقلب علمه جهلاً، وهو محال، والمفضي إلى المحال محال، وعلم ما هو واجب الوقوع لا يراد عدم وقوعه، فثبت قولنا[٩].

قوله: «وَتَوَكَّلْ». قرأ نافع وابن عامر بالفاء. والباقون بالواو[١٠].

---

(١) في ب: واجتمعوا.
(٢) التَّبُّ: الخسار، والتَّباب: الخسران والهلاك، وتبًّا له على الدعاء، نصب، لأنه مصدر محمول على فعله، كما تقول: سقياً لفلان، معناه سقي فلان سقياً. اللسان (تبب).
(٣) أخرجه البخاري (تفسير) ٣/ ١٧١، ١٧٩، ٢٢٢ الترمذي (تفسير) ٥/ ١٢١، أحمد ١/ ٢٨١، ٣٠٧.
(٤) انظر الكشاف ٣/ ١٢٩، الفخر الرازي ٢٤/ ١٧٣.
(٥) انظر البحر المحيط ٧/ ٤٧.
(٦) ما بين القوسين سقط من ب.
(٧) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٨) في ب: فالجواب.
(٩) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٧٣.
(١٠) السبعة (٤٧٣)، الكشف ٢/ ١٥٣، النشر ٢/ ٣٣٦، الإتحاف (٣٣٤).

فأما قراءة الفاء فإنه جُعِل فيها ما بعد الفاء كالجزاء لما قبلها مترتباً عليه. وقراءة الواو لمجرد عطف جملة على أخرى. والتوكل: عبارة عن تفويض الرجل أمره إلى من يكل أمره ويقدر على نفعه وضره(١). ثم قال: «عَلَىٰ العَزِيزِ الرَّحِيمِ» ليكفيك كيد(٢) الأعداء بعزته وينصرك عليهم برحمته.

قوله: «الَّذِي يَرَاكَ» يجوز أن يكون مرفوع المحل خبراً لمبتدأ محذوف(٣)، أو منصوبه على المدح(٤)، أو مجروره على النعت أو البدل أو البيان(٥).

قال أكثر المفسرين: معناه: يراك حين تقوم إلى صلاتك(٦). وقال مجاهد: يراك أينما كنت(٧). وقيل: حين تقوم لدعائهم.

قوله: «وَتَقَلُّبَكَ». عطف على مفعول «يَرَاكَ» أي: ويرى تَقَلُّبَكَ، وهذه قراءة(٨) العامة. وقرأ(٩) جناح بن حبيش بالياء من تحت مضمومة، وكسر اللام، ورفع الباء(١٠)، جعله فعلاً، مضارعْ (قَلَّبَ) بالتشديد، وعطفه على المضارع قبله، وهو «يَرَاكَ» أي: الذي يُقَلِّبُكَ.

فصل

معنى(١١) تقلبه أي: تقلبك في صلاتك في حال قيامك وركوعك وسجودك وقعودك، قال عكرمة وعطية عن ابن عباس: «فِي السَّاجِدِينَ» أي: في المصلين(١٢).

وقال مقاتل والكلبي: أي: مع المصلين في الجماعة، أي: يراك حين تقوم وحدك للصلاة، ويراك إذا صليت مع المصلين جماعة(١٣).

وقال مجاهد: يرى تقلب بصرك في المصلين، فإنَّهُ كان يبصر من خلفه كما يبصر من أمامه(١٤). قال عليه السلام(١٥): «واللَّهِ مَا يَخْفَى عَلَيَّ خُشُوعُكُمْ ولا رُكُوعُكُمْ(١٦)، وإنِّي لأرَاكُمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِي»(١٧). وقال الحسن: «تقلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ» أي: تصرفك وذهابك ومجيئك في أصحابك المؤمنين(١٨). وقال سعيد بن جبير: يعني: وتصرّفك في

---

(١) انظر الكشاف ٣/ ١٢٩، الفخر الرازي ٢٤/ ١٧٣.
(٢) في ب: ليد. وهو تحريف.
(٣) أي: هو الذي.
(٤) فيكون مقطوعاً عما قبله.
(٥) من قوله تعالى: ﴿العزيز الرحيم﴾.
(٦) انظر القرطبي ١٣/ ١٤٤.
(٧) المرجع السابق.
(٨) انظر البحر المحيط ٧/ ٤٧.
(٩) في ب: فصل وقرأ.
(١٠) المختصر (١٠٨)، البحر المحيط ٧/ ٤٧.
(١١) في ب: منى. وهو تحريف.
(١٢) انظر البغوي ٦/ ٢٤٩.
(١٣) انظر البغوي ٦/ ٢٥٠.
(١٤) المرجع السابق.
(١٥) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٦) في ب: ركوعكم ولا خشوعكم.
(١٧) أخرجه البخاري (صلاة) ١/ ٨٤، (أذان) ١/ ١٣٦، مسلم (صلاة) ١/ ٣١٩، الموطأ (سفر) ١/ ١٦٧، أحمد ٢/ ٣٠٣، ٣٦٥، ٣٧٥.
(١٨) انظر البغوي ٦/ ٢٥٠.

أحوالك كما كانت الأنبياء من قبلك. والسَّاجدون: هم الأنبياء(١).

وقال عطاء عن ابن عباس: أراد: وتقلبك في أصلاب الأنبياء من نبي إلى نبي حتى أخرجك في هذه الأمة(٢). «إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ» السميع لما تقوله، العليم بما تنويه.

قوله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ﴾ الآية. أعاد الشبهة المتقدمة وأجاب عنها من وجهين:

الأول: قوله: «تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أثيم» كما تقدم من أنَّ الكفار يدعون إلى طاعة الشيطان، ومحمد يدعو إلى لعن الشيطان والبراءة منه.

والثاني: قوله: «يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ» ومعناه: أنهم كانوا يقيسون حال النبي ـ ﷺ ـ على حال الكهنة (فكأنه قيل: إن كان الأمر على ما ذكرتم فكما أن الغالب على سائر الكهنة الكذب، فيجب أن تكون حال الرسول كذلك، فلما لم يظهر في إخبار الرسول عن المغيبات إلا الصدق علمنا أنَّ حاله بخلاف حال الكهنة)(٣)(٤).

قوله: «عَلَى مَنْ» متعلق بـ «تَنَزَّلُ» بعده. وإنما قُدِّم، لأنَّ له صدر الكلام، وهو مُعلقٌ لما قبله من فِعْل التَّنْبِئَة، لأنها بمعنى العلم.

ويجوز أن تكون هنا متعدية لاثنين، فتسد الجملة المشتملةُ على الاستفهام مسدّ الثاني، لأنَّ الأول(٥) ضمير المخاطبين. وأن تكون متعديةً لثلاثة فتسد مسدّ اثنين(٦).

وقرأ البَزِّيُّ: «عَلَى مَنْ تَّنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ تَّنَزَّلُ» بتشديد التاء من «تنزل» في الموضعين(٧) والأصل(٨): «تَتَنَزَّل» بتاءين فأدغم، والإدغام في الثاني سهل، لتحرك ما قبل المدغم، وفي الأول صُعُوبةٌ لسكون ما قبله وهو نُونُ «مَنْ». وتقدم تحقيق هذا في البقرة عند قوله: «وَلاَ تَّيَمَّمُوا الخَبِيثَ».

قوله: «يُلْقُونَ». يجوز أن يعود الضمير على «الشَّيَاطِين» فيجوز أن تكون الجملة من «يُلْقُونَ» حالاً، وأن تكون مستأنفة(٩). ومعنى إلقائهم السمعَ: إنصاتهم إلى الملأ الأعلى لِيَسْتَرِقُوا شيئاً، أو يلقون الشيء المسموع إلى الكهنة(١٠).

---

(١) انظر البغوي ٦/ ٢٥٠ ـ ٢٥١.
(٢) انظر البغوي ٦/ ٢٥١.
(٣) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٧٤.
(٤) ما بين القوسين سقط من ب.
(٥) في ب: الأولين. وهو تحريف.
(٦) انظر البحر المحيط ٧/ ٤٨.
(٧) انظر الإتحاف (٣٣٤).
(٨) في ب: وإلا. وهو تحريف.
(٩) انظر الكشاف ٣/ ١٣٠.
(١٠) انظر البحر المحيط ٧/ ٤٨.

ويجوز أن يعود على «كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيم» من حيث إنه جمعٌ في المعنى، فتكون الجملة إما مستأنفة، وأما صفة لـ «كُلِّ أَفَّاكٍ»[١]. ومعنى الإلقاء ما تقدم.

وقال أبو حيان: حال عود الضمير على «الشَّيَاطين»، وبعد ما ذكر المعنيين المتقدمين في إلقاء السمع قال: فعلى معنى الإنصات يكون «يُلْقُونَ» استئناف إخبارٍ، وعلى إلقاء المسموع إلى الكهنة يحتمل الاستئناف، واحتمل الحال من «الشَّيَاطِينَ» أي: تَنزَّلُ على كُلِّ أَفَّاكٍ أثِيم مُلْقِينَ ما سَمِعُوا[٢]. انتهى.

وفي تخصيصه الاستئناف بالمعنى الأول وتجويزه الوجهين في المعنى الثاني نظرٌ، لأنَّ جواز الوجهين جارٍ في المعنيين فيحتاج في ذلك إلى دليل. فإن قيل: كيف قال: «وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ» بعد ما حكم عليهم أنَّ كل واحد منهم أفّاك؟

فالجواب: أنَّ الأفاكين هم الذين يكثرون الكذب، لا أنهم الذين لا ينطقون إلا بالكذب، فأراد أن هؤلاء الأفاكين قلّ من يصدق منهم فيما يحكي عن الجني، وأكثرهم يفتري عليه[٣].

قوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾

قوله تعالى: «والشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الغَاوُونَ». قد تقدم أن نافعاً يقرأ بتخفيف التاء ساكنة وفتح الباء في سورة الأعراف عند قوله: «لا يَتَّبِعُوكُمْ»[٤] والفرق بين المخفف والمثقل[٥]. وسكن الحسنُ العينَ[٦]، ورويت عن أبي عمرو، وليست ببعيدة عنه كـ «يَنْصُرْكُمْ»[٧] وبابه[٨] وروى هارون[٩] عن بعضهم[١٠] نصب العين، وهي غلط[١١]،

---

(١) المرجع السابق. (٢) المرجع السابق بتصرف يسير.

(٣) انظر الكشاف ٣/ ١٣٠، الفخر الرازي ٢٤/ ١٧٥.

(٤) من قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الهُدَى لاَ يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٣].

(٥) وذكر هناك أن نافعاً قرأ بالتخفيف «يَتْبَعُوكم» وكذا هنا «يَتْبَعُهُم» والباقون بالتشديد «يَتَّبِعُهُم» قيل: هما لغتان. وقيل: تبع بمعنى اقتفى أثره واتبعه بالتشديد اقتدى به، والأول أظهر. انظر اللباب ٤/ ١٣٤.

(٦) المختصر (١٠٨)، الكشاف ٣/ ١٣١، البحر المحيط ٧/ ٤٨.

(٧) من قوله تعالى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ الله فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ من بعده﴾ [آل عمران: ١٦٠].

(٨) أي تخفيف الضم بالإسكان. انظر السبعة (١٥٦)، المختصر (١٠٨) الكشف ١/ ٢٤٠، البحر المحيط ٧/ ٤٨.

(٩) في ب: أبو هارون. (١٠) هو يعقوب كما في المختصر (١٠٨).

(١١) قال أبو حيان: (وروى هارون نصبها عن بعضهم، وهو مشكل) البحر المحيط ٧/ ٤٨ ـ ٤٩.

والقول بأن الفتحة للإتباع خطأ. والعامة على رفع «الشُّعَرَاءُ» بالابتداء، والجملة بعده الخبر(١). وقرأ عيسى بالنصب على الاشتغال(٢).

فصل

لمّا قال الكفار: لم لا يجوز أن يقال: الشياطين تنزل بالقرآن على محمد، كما أنهم ينزلون بالكهانة على الكهنة، وعلى الشعراء بالشعر؟ ثم إنه تعالى فرق بين محمد ـ عليه السلام(٣) ـ وبين الكهنة، ذكر هٰهنا ما يدل على الفرق بينه وبين الشعراء: بأن الشعراء يتبعهم الغاوون، وهم: الضالون. ثم بيَّن أنَّ ذلك لا يمكن القول به لأمرين:

الأول: «أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ» والمراد منه: الطرق المختلفة، كقولك: أنا في واد وأنت في واد، وذلك بأنهم قد يمدحون الشيء بعد أن ذمّوه، وبالعكس، وقد يعظمونه(٤) بعدما يستحقرونه(٥) وبالعكس وذلك يدل على أنهم لا يطلبون بشعرهم الحق ولا الصدق، بخلاف أمر محمد ـ عليه السلام(٦) ـ فإنه من أول أمره إلى آخره بقي على طريق واحد، وهو الدعوة إلى الله، والترغيب في الآخرة، والإعراض عن الدنيا.

والثاني: «أَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ».

وذلك أيضاً من علامات الغواية، فإنهم يرغِّبون في الجود، ويرغبون عنه، وينفرون عن البخل ويصيرون إليه، ويقدحون في الناس بأدنى شيء صدر عنهم وعن واحد من أسلافهم. ثم إنهم لا يرتكبون إلا الفواحش، وذلك يدل على الغواية والضلالة. وأما محمد ـ عليه السلام(٧) ـ فإنه بدأ بنفسه ﴿فَلَا(٨) تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٣] ثم بالأقرب فالأقرب فقال: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]. وكل ذلك خلاف طريقة الشعراء، فظهر بهذا البيان أنَّ حال محمد ـ عليه السلام(٩) ـ لم يشبه حال الشعراء(١٠).

قوله: «يَهِيمُون». يجوز أن تكون هذه الجملة خبر «أَنَّ» وهذا هو الظاهر، لأنه محط الفائدة، و «فِي كُلِّ وَادٍ» متعلق به. ويجوز أن يكون «فِي كُلِّ وَادٍ» هو الخبر، و «يَهِيمُونَ» حال من الضمير في الخبر، والعامل ما تعلق به هذا الخبر، أو نفس الجار(١١) كما تقدم في نظيره. ويجوز أن تكون الجملة خبراً بعد خبر عند من يَرَى تَعَدُّد

---

(١) انظر الكشاف ٣/ ١٣٠، البحر المحيط ٧/ ٤٨.
(٢) المختصر (١٠٨)، الكشاف ٣/ ١٣١، البحر المحيط ٧/ ٤٨.
(٣) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٤) في ب: يعظموه.
(٥) في ب: يستحقروه.
(٦) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٧) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٨) في النسختين: ولا.
(٩) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٠) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٧٥ ـ ١٧٦.
(١١) انظر التبيان ٢/ ١٠٠٢.

الخبر مطلقاً. وهذا من باب الاستعارة البليغة والتمثيل الرائع، شبَّه جَوَلاَنَهم في أفانين[١] القول، وطرائق المدح والذم، والتشبيب، وأنواع الشعر بِهَيْم الهائم في كل وجهٍ وطريقٍ[٢]. وقيل: أراد بـ «كُلِّ وَادٍ» أي: على كل حرف من حروف الهجاء يصوغون (القوافي)[٣][٤].

والهائم: الذي: يَخبِطُ في سَيْرِهِ ولا يقصد موضعاً معيناً، يقال[٥] هام على وجهه، أي: ذهب والهائم: العاشق من ذلك، والهَيْمَان: العطشان والهُيَامُ داءٌ يأخذ الإبلَ من العطش، وجَمَلٌ أَهْيَمُ وناقةٌ هَيْمَاءُ والجمع فيهما هِيمٌ قال تعالى: «شُرْبَ الهِيمِ»[٦] والهُيَامُ من الرمل: اليابس، فإنهم يخيلون فيه معنى العطش[٧].

فصل

قال المفسرون: أراد شعراء الكفار، وكانوا يهجون رسول الله ـ ﷺ ـ وذكر مقاتل أسماءهم فقال: منهم عبد الله بن الزِّبعرَى السهمي، وهبيرة بن أبي وهب المخزومي، ومسافع بن عبد مناف[٨]، وأبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحي، وأمية بن أبي الصلت الثقفي تكلموا بالكذب والباطل، وقالوا: نحن نقول كما قال محمد، وقالوا الشعر، واجتمع إليهم غواة من قومهم يسمعون أشعارهم حين يهجون رسول الله ـ ﷺ ـ وأصحابه، ويروون عنهم ذلك فذلك قوله: «يَتَّبِعُهُمُ الغَاوُونَ» وهم الرواة الذين يريدون هجاء المسلمين. وقال قتادة: هم الشياطين[٩].

ثم إنه تعالى لما وصف شعراء الكفار بهذه الأوصاف استثنى شعراء المسلمين الذين كانوا يجيبون شعراء الجاهلية، ويهجون الكفار ويكافحون عن النبي ـ ﷺ ـ وأصحابه منهم حسان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك، فقال: «إلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَات»[١٠].

روي عن كعب بن مالك أنه قال للنبي ـ ﷺ ـ إنَّ اللَّهَ قد أنزل في الشعراء ما أنزل، فقال النبي ـ ﷺ ـ: «إِنَّ المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه، والذي نفسي بيده لكأن ما ترمونهم به نضح النبل» وفي رواية قال له: «اهْجُهُمْ فوالذي نفسي بيده هو أشد عليهم من النبل»[١١].

وكان يقول لحسان: «قُلْ فإنَّ روح القدس معك»[١٢].

---

(١) في ب: أذانين. وهو تحريف.
(٢) وطريق: سقط من ب.
(٣) انظر البغوي ٦/ ٢٥٢.
(٤) ما بين القوسين في ب: قافية.
(٥) يقال: سقط من الأصل.
(٦) من قوله تعالى: ﴿فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ﴾ [الواقعة: ٥٥].
(٧) انظر اللسان (هيم).
(٨) في ب: المناف.
(٩) انظرالبغوي ٦/ ٢٥١ ـ ٢٥٢.
(١٠) انظر البغوي ٦/ ٢٥٢.
(١١) أخرجه أحمد ٣/٤٥٦، ٤٦، ٦/ ٣٨٧. (١٢) أخرجه أحمد ٤/٢٩٨، ٣٠١.

واعلم أن الله تعالى وصفهم بأمور:

الأول: الإيمان، وهو قوله: «إلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا».

وثانيها: العمل الصالح، وهو قوله: «وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ».

وثالثها: أن يكون شعرهم في التوحيد والنبوة، ودعوة الحق، وهو قوله: [«وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً».

ورابعها: أنْ لا يذكروا هجواً إلا على سبيل الانتصار ممن يهجوهم وهو][١] «وانْتَصَرُوا مِنْ بَعْد مَا ظُلِمُوا»[٢] قال الله تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ [النساء: ١٤٨]. وروي أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «إنَّ مِنَ الشِّعْرِ حِكْمَةً»[٣] وقالت عائشة[٤]: الشعر كلام فمنه حسن ومنه قبيح فخذ الحسن ودع القبيح. وقال الشعبي: كان أبو بكر يقول الشعر، [وكان عمر يقول الشعر][٥] وكان عليٌّ أشعر الثلاثة. وروي عن ابن عباس أنه كان ينشد الشعر في المسجد ويستنشده[٦].

وقوله: «وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً» أي[٧]: لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله، «وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا» أي: انتصروا من المشركين، لأنهم بدأوا بالهجاء، ثم أوعد شعراء المشركين فقال: «وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا» أشركوا وهجوا رسول الله ـ ﷺ ـ «أيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ» أيّ مرجع يرجعون بعد الموت.

قال ابن عباس: إلى جهنم والسعير[٨].

قوله: «أَيَّ مُنْقَلَبٍ» منصوب على المصدر، والناصب له «يَنْقَلِبُونَ» وقُدِّم، لتضمنه معنى الاستفهام، وهو معلق لـ «سَيَعْلَمُ» سادّاً مسدّ مفعوليها[٩].

وقال أبو البقاء: «أيَّ مُنْقَلَبٍ» صفة لمصدر محذوف، أي: ينقلبون انقلاباً أي منقلب، ولا يعمل فيه «سَيَعْلَمُ» لأنَّ الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله[١٠].

وهذا مردود بأن أيّا الواقعة صفة لا تكون استفهامية، وكذلك الاستفهامية لا تكون صفة لشيء بل كل منهما قسم برأسه.

---

(١) ما بين القوسين سقط من الأصل، والانتصار في ب: الاقتصار. وما ذكرته أصوب.

(٢) انظر الفخر الرازي ٢٤/١٧٦.

(٣) أخرجه البخاري (أدب) ٤/٧٣، أبو داود (أدب) ٥/ ٢٧٧، الترمذي (أدب) ٤/٢١٦، ابن ماجه (أدب) ٢/ ١٢٣٥، والدارمي (استئذان) ٢/ ٢٩٧، أحمد ٣/٤٥٦، ٥/ ١٢٥.

(٤) من هنا نقله ابن عادل عن البغوي ٦/ ٢٥٦ ـ ٢٥٧.

(٥) ما بين القوسين سقط من الأصل.

(٦) آخر ما نقله هنا عن البغوي ٦/ ٢٥٦ ـ ٢٥٧.

(٧) من هنا نقله ابن عادل عن البغوي ٦/ ٢٥٧ ـ ٢٥٨.

(٨) آخر ما نقله هنا عن البغوي ٦/ ٢٤٧ ـ ٢٥٨.

(٩) انظر البيان ٢/ ٢١٧، البحر المحيط ٧/ ٤٩ ـ ٥٠.

(١٠) التبيان ٢/ ١٠٠٢.

و «أي» تنقسم إلى أقسام كثيرة، وهي: الشرطية[١]، والاستفهامية[٢]. والموصولة[٣]، والصفة[٤]، والموصوفة عند الأخفش خاصة[٥]، والمناداة نحو: يا أيهذا[٦] والمُوصّلة لنداء ما فيه (أل) نحو: يا أيُّهَا الرجلُ. عند غير الأخفش[٧]، والأخفش يجعلها في النداء موصولة[٨].

وقرأ ابن عباس والحسن «أَيَّ مُنْفَلَتٍ يَنْفَلِتُونَ» بالفاء والتاء من فوق من الانفلات[٩].

روى الثعلبي في تفسيره عن ابن عباس أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «أُعْطيتُ السورة التي

---

(١) قال سيبويه: (فما يجازى به من الأسماء غير الظروف: من، وما، وأيهم) الكتاب ٣/٥٦. وانظر المغني ١/٧٧.

(٢) قال سيبويه: (وسألته ـ يعني أبا الخطاب الأخفش ـ عن أيهم، لم لم يقولوا: أَيَّهم مررتَ به؟ وإنما تُرِكت الألف استغناء فصارت بمنزلة الابتداء، ألا ترى أن حد الكلام أن تؤخِّر الفعل فتقول: أيَّهم رأيت، كما تفعل ذلك بالألف، فهي نفسها بمنزلة الابتداء) الكتاب ١/١٢٦. وانظر المغني ١/٧٧.

(٣) قال سيبويه: (وتقول: أيُّهَا تشاء لك، فـ (تشاءُ) صلةٌ لـ (أيُّهَا) حتى كمل اسماً، ثم بنيت (لك) على (أيها)، كأنك قلت: الذي تشاء لك) الكتاب ٢/٣٩٨.

(٤) قال سيبويه: (ومن النعت أيضاً: مررت برجل أيّما رجل، فأيّما نعت للرجل في كماله وَبذِّه غيره، كأنه قال: مررت برجل كامل) الكتاب ١/٤٢٢ وقال ابن هشام: (أن تكون دالة على معنى الكمال، فتقع صفة للنكرة نحو: زيد رجل أيّ رجل. أي: كامل في صفات الرجال، وحالاً للمعرفة كمررت بعبد الله أيَّ رجل) المغني ١/٧٨، ولا يوصف بـ (أي) إلا أن تكون مضافة، قال سيبويه: (... وكذلك أي، لا تقول: هذا رجل أي) الكتاب ٣/٢٥.

(٥) قال أبو حيان: (... فأي تكون شرطية واستفهامية وموصولة ووصفاً على مذهب الأخفس موصوفة بنكرة نحو: مررت بأي معجب لك) البحر المحيط ٧/٥٠. وقال ابن هشام بعد أن ذكر أن الأخفش زعم أن أيًا في (يا أيها الرجل) لا تكون وصلَة إلى نداء ما فيه (ال) وإنما هي الموصول: (.... وزاد قسماً، وهو: أن تكون نكرة موصوفة نحو: مررت بأي معجب لك، كما يقال: بمن معجب لك، وهذا غير مسموع) المغني ١/٧٩.

(٦) في ب: يا هذا.

(٧) ظاهر عبارة ابن عادل أن (أي) في النداء قسمان: مناداة وتوصف باسم الإشارة، ووصلة لنداء ما فيه (ال) وهما عند النحاة قسم واحد، قال سيبويه: (وأما قولك: يا أيها ذا الرجل، فإن (ذا) وصف لـ (أي) كما الألف واللام وصف، لأنه مبهم مثله، فصار صفةً له كما صار الألف واللام وما أضيف إليها صفة للألف واللام) الكتاب ٢/١٩٣.

(٨) وعبارة الأخفش صريحة في أنَّ (أيّ) في النداء موصوفة لا موصولة، قال في معرض حديثه عن قوله تعالى: ﴿إِنّ الله نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ﴾ [النساء: ٥٨]: (فإن قيل: كيف تكون (ما) اسماً وحدها وهي لا يتكلم بها وحدها؟ قلت: هي بمنزلة (يا أيها الرجل)، لأن (أيا) هٰهنا اسم ولا يتكلم به وحده حتى يوصف فصار (ما) مثل الموصوف هٰهنا، لأنك إذا قلت: غَسَلتُهُ غَسْلاً نعما. فإنك تريد المبالغة والجودة) معاني القرآن ١/١٩٢.

(٩) المختصر (١٠٨)، البحر المحيط ٧/٤٩.

يذكر فيها البقرة من الذكر الأول، وأعطيت طه والطواسين من ألواح موسى، وأعطيت فواتح القرآن وخواتيم السورة التي يذكر فيها البقرة من تحت العرش، وأعطيت المفصل نافلة»[١].

وعن أنس أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «إنَّ اللَّه تعالى أعطاني السبع مكان التوراة، وأعطاني الطواسين مكان الزبور، وفضلني بالحواميم والمفصل، ما قرأهن نبي قبلي».

وعن أبي أمامة عن أُبيّ بن كعب قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «من قرأ سورة الشعراء كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به، وهود[٢]، وشعيب، وصالح، وإبراهيم، وبعدد من كذب بعيسى، وصدق بمحمد ـ ﷺ ـ»[٣].

(١) ذكر البغوي في تفسيره ٥/٤٠٨، الدر المنثور ٥/٥٤٨.
(٢) كذا في الكشاف، وفي النسختين: وكذب بهود.
(٣) رواه الثعلبي وابن مردويه من حديث أبي بن كعب. انظر الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف (١٣٤). وفي ب: صلّى الله عليه وسلّم وشرف وكرم وبجل ومجد وعظم.

سورة النمل

سورة النمل مكية، وهي ثلاث وتسعون آية، وألف ومائة وتسع وأربعون كلمة، وأربعة آلاف وسبع مائة وتسعة وتسعون حرفاً.

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿طسٓ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ (١) هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ (٢) ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ (٣)﴾

قوله تعالى: ﴿طسٓ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ﴾. «تلك» إشارة إلى آيات السورة[١] أي: هذه آيات القرآن.

قوله: «وَكِتَابٍ» العامة على جره عطفاً على «القُرْآنِ»، وهل المراد به نفس القرآن فيكون من عطف بعض الصفات على بعض، والمدلول واحد[٢]، أو اللوح المحفوظ، أو نفس السورة[٣]، أقوال[٤]. وقيل: القرآن والكتاب علمان[٥] للمنزل على نبينا - ﷺ - فهما كالعباس وعباس، يعني فيكون «أل» فيهما للمح الصفة، وهذا خطأ؛ إذ لو كانا علمين لما وصفا بالنكرة[٦]، وقد وصف «قرآن» بها في قوله: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ﴾ [الحجر: ١] - في الحجر - ووصف بها[٧] «كتاب» كما في هذه الآية الكريمة. والذي يقال إنه نكر[٨] هنا لإفادة التفخيم، كقوله[٩]: ﴿فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ﴾ [القمر: ٥٥]. وقرأ ابن أبي عبلة: «وكِتَابٌ مُبِينٌ» برفعها عطفاً على «آيَاتُ» المخبر بها عن «تِلْكَ»[١٠]

---

(١) انظر الكشاف ٣/ ١٣٢. (٢) هو قول الزمخشري. الكشاف ٣/ ١٣٢.

(٣) هذان القولان لأبي حيان. البحر المحيط ٧/ ٥٢.

(٤) أقوال: تكملة ليست في المخطوط. (٥) في ب: علماً. وهو تحريف.

(٦) انظر البحر المحيط ٧/ ٥٢ - ٥٣. (٧) في ب: وصف بهما. وهو تحريف.

(٨) في ب: ذكر. وهو تحريف. (٩) في ب: لقوله. وهو تحريف.

(١٠) قال الزمخشري: (وقرأ ابن أبي عبلة «وكتاب مبين» بالرفع على تقدير: وآيات كتاب مبين، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه) الكشاف ٣/ ١٣٢، وانظر تفسير ابن عطية ١١/ ١٦٦، البحر المحيط ٧/ ٥٣.

فإن قيل: كيف صَحَّ أن يشار لاثنين أحدهما مؤنث، والآخر مذكر باسم إشارة المؤنث، ولو قلت: تلك هند وزيد لم يجز؟

فالجواب من ثلاثة أوجه:

أحدها: (أن المراد بالكتاب)[١] هو الآيات، لأن الكتاب عبارة عن آيات مجموعة، فلما كانا شيئاً واحداً، صحت الإشارة إليهما بإشارة الواحد المؤنث.

الثاني: أنه على حذف مضاف، أي: وآيات كتاب مبين.

الثالث: أنه لما ولي المؤنث ما يصح الإشارة به إليه، اكتفي به وحسن، ولو أولي المذكر لم يحسن، ألا تراك[٢] تقول: جاءتني هند وزيد، ولو حذفت (هند) أو أخّرتها لم يجز تأنيث الفعل[٣].

قوله: «هُدًى وبُشْرَى» يجوز فيهما أوجه:

أحدها: أن يكونا منصوبين على المصدر[٤] بفعل مقدر من لفظهما، أي: يهدي هدى، ويبشر بشرى[٥].

الثاني: أن يكونا في موضع الحال من «آيات» والعامل[٦] فيها ما في «تِلْكَ» من معنى الإشارة[٧].

الثالث: أن يكونا في موضع الحال من «القُرْآن» وفيه ضعف، من حيث كونه مضافاً إليه[٨].

الرابع: أن يكونا[٩] حالاً من «كِتَاب»، في قراءة من رفعه، ويضعف في قراءة من جره، لما تقدم من كونه[١٠] في حكم المضاف إليه، لعطفه عليه[١١].

الخامس: أنَّهما حالان من الضمير المستتر في «مبين» سواء رفعته (أم جررته[١٢])[١٣].

السادس: أن يكونا بدلين من «آيَاتُ»[١٤].

السابع: أن يكونا خبراً بعد خبر[١٥].

---

(١) ما بين القوسين في ب: المراد به الكتاب.
(٢) في ب: ألا ترى أنك.
(٣) انظر التبيان ٢/١٠٠٣.
(٤) انظر البحر المحيط ٧/٥٣.
(٥) في ب: أي: هدى وبشرى بشرى.
(٦) في ب: فالعامل.
(٧) انظر الكشاف ٣/١٣٢، التبيان ٢/١٠٠٣.
(٨) انظر التبيان ٢/١٠٠٣.
(٩) في النسختين: يكون. والصواب ما أثبته.
(١٠) من كونه: سقط من ب.
(١١) انظر التبيان ٢/١٠٠٣.
(١٢) المرجع السابق.
(١٣) ما بين القوسين في ب: أم جرته. وهو تحريف.
(١٤) انظر الكشاف ٣/١٣٢.
(١٥) المرجع السابق، البيان ٢/٢١٨، التبيان ٢/١٠٠٣.

الثامن: أن يكونا خبري ابتداء مضمر، أي: (هي)[١] هُدًى وبُشْرَى للمؤمنين[٢].

فصل

المراد يهديهم[٣] إلى الجنة وبشرى لهم، كقوله تعالى: («فَسَيُدْخِلُهُمْ في رَحْمَةٍ)[٤] منه وفَضْلٍ ويَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً»[٥]، ولهذا[٦] خص به المؤمنين[٧]، وقيل: المراد بالهدى: الدلالة، وإنما خصه بالمؤمنين، لأنه ذكر مع الهدى البشرى، والبشرى إنما تكون للمؤمنين، أو لأنهم تمسكوا به، كقوله: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٥]، أو أنه يزيد[٨] في هداهم، كقوله تعالى: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًىۗ﴾[٩] [مريم: ٧٦].

قوله: «الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ» يجوز أن يكون مجرور المحل، نعتاً للمؤمنين، أو بدلاً أو بياناً، أو منصوبة على المدح، أو مرفوعة على تقدير مبتدأ، أي: هم الذين، والمراد بها: الصلوات الخمس، وكذا القول في الزكاة، فإنها هي الواجبة، لأن التعريف بالألف واللام يقتضي ذلك. وإقامة الصلاة أن يؤديها بشرائطها، والزكاة بوضعها في مواضعها[١٠].

قوله: «وَهُمْ بالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ» «هم» الثاني تكرير للأول على سبيل التوكيد اللفظي، وفهم الزمخشري منه الحصر، أي: لا يوقن بالآخرة حق الإيقان إلا هؤلاء المتصفون بهذه الصفات. ويدل عليه أنه عقد جملة ابتدائية، وكرر فيها المبتدأ الذي هو «هم» حتى صار معناها: وما يوقن بالآخرة حق الإيقان إلا هؤلاء الجامعون بين الإيمان والعمل الصالح، لأن خوف العاقبة يحملهم على تحمل المشاق[١١].

و «بالآخِرَةِ» متعلق بـ «يوقنون»، ولا يضر الفصل بينهما بالتوكيد.

وهذه الجملة يحتمل أن تكون معطوفة على الصلة، داخلة في حيز الموصول، وحينئذ يكون قد غاير بين الصِّلَتين لمعنى، وهو أنه لما كان إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة مما يتكرَّر ويتجدَّد أتى بالصلتين جملة فعلية، فقال: «يُقِيمُونَ»، وَ «يُؤْتُونَ».

ولما كان الإيقان بالآخرة أمراً ثابتاً مطلوباً دوامه، أتى بالصلة جملة اسمية، مكرراً فيها المسند إليه، مقدماً الموقن به، الدال على الاختصاص، ليدل على الثبات

---

(١) هي: تكملة ليست في المخطوط.
(٢) انظر الكشاف ٣/ ١٣٢، البيان ٢/ ٢١٨ وفيه: هو هدى، التبيان ٢/ ١٠٠٣.
(٣) في ب: يهد لهم.
(٤) ما بين القوسين في النسختين: يبشرهم ربهم برحمة.
(٥) [النساء: ١٧٥].
(٦) في ب: وهذا.
(٧) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٧٧.
(٨) في ب: مزيد.
(٩) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٧٧ ـ ١٧٨.
(١٠) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٧٨.
(١١) انظر الكشاف ٣/ ١٣٢.

والاستقرار، وجاء بخبر المبتدأ في هذه الجملة فعلاً مضارعاً، دلالة على أن ذلك متجدد كل وقت، غير منقطع[١]. ويحتمل أن تكون مستأنفة غير داخلة في حيز الموصول[٢]. قال الزمخشري: ويحتمل أن تتم الصلة عنده، أي: عند قوله: «وَهُمْ»، قال: وتكون الجملة اعتراضية[٣].

يريد أن الصلة تمت عند الزكاة، فيجوز فيه[٤] ذلك، وإلا فكيف يصح ـ إذا أخذنا بظاهر كلامه ـ أن الصلة تمت عند قوله[٥]: «وَهُمْ»[٦] وتسمية هذا اعتراضاً: يعني من حيث المعنى وسياق الكلام، وإلا فالاعتراض في الاصطلاح: إنما يكون بين متلازمين من مبتدأ أو خبر، وشرط وجزاء، وقسم وجوابه، وتابع ومتبوع، وصلة وموصول، وليس هنا شيء من ذلك.

فإن قيل: إن المؤمنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة لا بد وأن يكونوا متيقنين بالآخرة، فما وجه ذكره مرة أخرى؟

فالجواب من وجهين:

الأول[٧]: أن الذي يستفاد منه طرق للنجاة هو معرفة المبدأ، ومعرفة المعاد، والعمل الصالح، وأشرفه الطاعة بالنفس والطاعة بالمال، فقوله: «لِلْمُؤْمِنِينَ»، أي[٨]: الذين يُؤْمِنُونَ بالغَيْبِ وهو إشارة إلى معرفة المبدأ، وقوله[٩]: («الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ»، إشارة إلى الطاعة بالنفس والمال، وقوله: «وَهُمْ»)[١٠] بالآخِرَة هُمْ يُوقِنُونَ» إشارة إلى علم المعاد، فكأنه تعالى جعل معرفة المبدأ طرفاً أولاً، ومعرفة المعاد طرفاً أخيراً، وجعل الطاعة بالنفس والمال متوسطاً[١١] بينهما.

الثاني: أن المؤمنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة منهم من هو جازم بالحشر والنشر، ومنهم من يكون شاكاً فيه، إلا أنه يأتي بهذه الطاعات احتياطاً، فيقول: إن كنت مصيباً فيها فقد فزت بالسعادة، وإن كنت مخطئاً فيها[١٢] لم يفتني إلا خيرات قليلة في هذه المدة اليسيرة، فمن أتى بالصلاة والزكاة على هذا الوجه، لم يكن في الحقيقة مهتدياً بالقرآن، (وأما من كان جازماً بالآخرة كان مهدياً به)[١٣]. فلهذا ذكر هذا القيد[١٤].

---

(١) انظر البحر المحيط ٧/ ٥٣٢.
(٢) المرجع السابق.
(٣) الكشاف ٣/ ١٣٢.
(٤) في النسختين: في. والصواب ما أثبته.
(٥) عند قوله: سقط من ب.
(٦) اعترض أبو حيان على الزمخشري تسميته مثل هذا اعتراضاً، ووجه ابن عادل ذلك بأنه إنما يعني الاعتراض من ناحية المعنى. انظر البحر المحيط ٧/ ٥٣.
(٧) الأول: سقط من ب.
(٨) أي: سقط من ب.
(٩) في ب: قوله.
(١٠) ما بين القوسين سقط من ب.
(١١) في ب: متوسطة.
(١٢) فيها: سقط من ب.
(١٣) ما بين القوسين سقط من الأصل.
(١٤) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٧٨.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾﴾

قوله[١]: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ﴾ الآية.

لما بيّن[٢] ما للمؤمنين من البشرى أتبعه بما للكفار من سوء العذاب، فقال: «إِنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بالآخِرَةِ زَيَّنا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ» القبيحة، حتى رأوها حسنة، «فهم يعمهون» يترددون فيها متحيرين. فإن قيل: كيف أسند تزيين أعمالهم إلى ذاته مع أنه أسنده إلى الشيطان في قوله ﴿زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [الأنفال: ٤٨]؟.

فالجواب: أما أهل السنة فأجروا الآية على ظاهرها، لأن الإنسان لا يفعل شيئاً ألبتة إلا إذا دعاه الداعي إلى الفعل والمعقول من الداعي هو العلم و[٣] الاعتقاد، أو الظن بكون الفعل مشتملاً على منفعة، وهذا الداعي لا بد وأن يكون من فعل الله تعالى لوجهين:

الأول: أنه لو كان لافتقر فيه إلى داع آخر، ولزم[٤] التسلسل، وهو محال.

الثاني: أن العلم[٥] إما أن يكون ضرورياً، أو كسبياً، فإن كان ضرورياً فلا بد من تصورين والتصور يمتنع أن يكون مكتسباً، لأن المكتسب إن كان شاعراً به، فهو متصور له، وتحصيل الحاصل محال، وإن لم يكن متصوراً، كان غافلاً عنه، والغافل عن الشيء يمتنع أن يكون طالباً له. فإن قيل: هو مشعور به من وجه[٦]، قلنا: فالمشعور به غير ما هو[٧] غير[٨] مشعور به، فيعود التقسيم[٩] المتقدم في كل واحد من هذين الوجهين.

وإذا ثبت أن التصور غير مكتسب ألبتة، والعلم الضروري هو الذي يكون مكتسباً، فإن[١٠] كل واحد من تصوُّريه كاف[١١] في حصول التصديق، فالتصورات[١٢] غير مكتسبة فهي مستلزمة التصديقات، فإذن متى حصلت التصورات البديهية، كان التصديق بها بديهياً وليس كسبياً. ثم إن التصديقات البديهية إن كانت مستلزمة التصديقات النظرية، كانت كسبية، لأن لازم الضروري ضروري، وإن لم تكن مستلزمة لها لم تكن تلك الأشياء التي فرضناها علوماً نظرية كذلك، بل هي اعتقادات تقليدية، لأنه لا معنى لاعتقاد المقلد إلا

---

(١) في ب: قوله تعالى.
(٢) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٥/١٧٩ ـ ١٨٠.
(٣) في ب: أو.
(٤) في ب: لزم.
(٥) في ب: أن العلم الثاني. وهو تحريف.
(٦) في ب: وجهين. وهو تحريف.
(٧) في ب: فالمشعور غيرها وهو.
(٨) غير: تكملة من الفخر الرازي.
(٩) كذا في الفخر الرازي، وفي الأصل: التقديم، وفي ب: التقدير.
(١٠) في ب: على.
(١١) في ب: كافياً.
(١٢) في ب: والتصورات.

اعتقاد تحسيني بفعله ابتداء من غير أن يكون له موجب، فثبت بهذا أن العلوم بأسرها ضرورية، وثبت أن مبادىء الأفعال هي العلوم، وأفعال العباد بأسرها ضرورية فالإنسان مضطر في صورة مختار، فثبت أن الله تعالى هو الذي (زين لكل عامل عمله، والمراد من التزيين هو الذي)[١] يخلق في قلبه العلم بما فيه من (المنافع واللذات، ولا يخلق في قلبه العلم بما فيه من)[٢] المضار والآفات، فثبت بهذه الدلائل[٣] العقلية القاطعة وجوب[٤] إجراء هذه الآية على ظاهرها. وأما المعتزلة فتأولوها بوجوه:

أحدها: أن المراد بينا لهم أمر الدين، وما يلزمهم أن يتمسكوا به، وزيناه بأن بينا حسنه وما لهم فيه من الثواب، لأن التزيين من الله للعمل[٥] ليس إلا وصفه بأنه حسن واجب وحميد العاقبة، وهو المراد من قوله[٦]: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ٧].

وقوله: «فَهُمْ يَعْمَهُونَ» يدل على ذلك، إذ المراد: فهم يعدلون ويتخيرون عما زينا من أعمالهم.

وثانيها: أنه تعالى لما متعهم بطول العمر وسعة الرزق، جعلوا إنعام الله عليهم بذلك ذريعة إلى اتباع شهواتهم، وعدم الانقياد لما يلزمهم من التكاليف، فكأنه[٧] تعالى زين بذلك أعمالهم، ولذلك أشارت الملائكة عليهم السلام بقولهم: ﴿وَلَـٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ﴾[٨] [الفرقان: ١٨] ﴿وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟﴾[٩] [الفرقان: ١٨] ﴿ٱلذِّكْرَ﴾ [الفرقان: ١٨].

وثالثها: أن إمهاله الشيطان وتخليته حتى يزين لهم ملابسة ظاهرة للتزيين، فأسند إليه.

والجواب عن الأول: أن قوله تعالى: ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ صيغة عموم، فوجب أن يكون الله تعالى قد زين لهم كل أعمالهم حسناً أو قبيحاً[١٠].

وعن الثاني: أن الله تعالى لما متعهم بطول العمر وسعة الرزق فهل لهذه الأمور في ترجيح فاعلية المعصية على تركها أثر، وليس لها أثر، وليس لها أثر فيه، فإن كان الأول، فقد دللنا على أن التحصيل متى حصل فلا بد أن ينتهي إلى حد الوجوب والاستلزام، وحينئذ يحصل الغرض ـ وإن لم يكن له فيه أثر ـ صارت[١١] هذه الأشياء بالنسبة إلى أعمالهم كصرير الباب ونعيق الغراب، بالنسبة إلى أعمالهم، وذلك يمنع من إسناد فعلهم

---

(١) ما بين القوسين سقط من ب.
(٢) ما بين القوسين تكملة من الفخر الرازي.
(٣) في ب: العلوم.
(٤) وجوب: سقط من ب.
(٥) في ب: الفعل.
(٦) في النسختين: وحبب.
(٧) في ب: فكأن الله.
(٨) في النسختين: بل متعت هؤلاء.
(٩) في ب: نسبوا. وهو تحريف.
(١٠) في ب: حسناً كان العمل أو قبيحاً.
(١١) في ب: فصارت.

إليها، وهذا بعينه هو الجواب عن التأويل الثالث الذي ذكروه[١].

قوله: «أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ العَذَابِ» أي: القتل والأسر يوم بدر، وقيل: المراد مطلق العذاب، سواء كان في الدنيا أو[٢] في الآخرة، وسوء العذاب: شدته[٣].

قوله: «الأَخْسَرُونَ» في (أَفْعَلَ) قولان، أظهرهما: أنها على بابها من[٤] التفضيل، وذلك بالنسبة إلى الكفار، من حيث اختلاف الزمان والمكان، يعني: أنهم أكثر خسراناً في الآخرة منهم في الدنيا، أي أن خسرانهم في الآخرة أكثر من خسرانهم في الدنيا[٥].

وقال جماعة ـ منهم الكرماني[٦] ـ هي هنا للمبالغة لا للشَّركة، لأن المؤمن لا خسران له في الآخرة ألبتة[٧]، وقد تقدم جواب ذلك، وهو أن الخسران راجع إلى شيء واحد، باعتبار اختلاف زمانه ومكانه. وقال ابن عطية: «الأَخْسَرُونَ» جمع («أَخْسَرَ»)، لأن أفعل صفة لا يجمع إلا أن يضاف، فتقوى رتبته في الأسماء، وفي هذا نظر[٨]. قال أبو حيان: ولا نظر في أنه يجمع جمع سلامة أو جمع تكسير إذا كان بـ (ال)، بل لا يجوز فيه إلا ذلك إذا كان قبله ما يطابقه في الجمعية، فيقول: الزيدون هم الأفضلون والأفاضل، والهندات هنّ الفضليات والفضل[٩]، وأما قوله: لا يجمع إلا أن يضاف) فلا[١٠] يتعين إذ ذاك جمعه، بل إذا أضيف إلى نكرة فلا[١٠] يجوز جمعه، وإن أضيف إلى معرفة جاز فيه الجمع والإفراد[١١].

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾﴾

قوله[١٢]: «وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى»[١٣]: (لقي) مخففاً يتعدى لواحد، وبالتضعيف يتعدى لاثنين، فأقيم أولهما هنا مقام الفاعل، والثاني «القرآن»[١٤]، وقول من قال: إنَّ أصله (تُلَقَّن) بالنون تفسير معنى[١٥]، فلا يتعلّق به متعلق بأن[١٦] النون أبدلت حرف علّةٍ.

---

(١) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٤/ ١٧٩ ـ ١٨٠.

(٢) في ب: و.

(٣) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٨٠.

(٤) في الأصل: على.

(٥) انظر البحر المحيط ٧/ ٥٤.

(٦) تقدم.

(٧) انظر البحر المحيط ٧/ ٥٤.

(٨) تفسير ابن عطية ١١/ ١٦٧.

(٩) في ب: والفضلى.

(١٠) في النسختين: لا. والتصويب من البحر المحيط.

(١١) البحر المحيط ٧/ ٥٤.

(١٢) قوله: سقط من الأصل.

(١٣) في ب: وإنك لتلقى القرآن.

(١٤) انظر البحر المحيط ٧/ ٥٤.

(١٥) قال الزمخشري: («لتلقى القرآن» لتؤتاه وتلقنه) الكشاف ٣/ ١٣٣.

(١٦) أن: سقط من الأصل.

فصل

المعنى لتؤتاه[١] وتلقنه من عند أي حكيم وأي عليم، وهذا معنى مجيئهما منكرتين، وهذه الآية تمهيد لما يريد أن يسوق بعدها من القصص كأنه قال على أثر ذلك: خذ من آثار حكمته وعلمه قصة موسى، فإن قيل: الحكمة إما أن تكون نفس العلم، وإما أن يكون العلم داخلاً فيها، فبعد ذكر الحكمة لم ذكر العلم؟

فالجواب: أن الحكمة هي العلم بالأمور العملية[٢] فقط، والعلم أعم منه؛ لأن[٣] العلم قد يكون عملياً وقد يكون نظرياً، والعلوم النظرية أشرف من العلوم العملية[٤]، فذكر الحكمة على العموم ثم ذكر العليم وهو البالغ[٥] في كمال العلم، وكمال العلم من جهات ثلاثة[٦]: وحدتها، وعموم تعلقها بكل المعلومات، وبقاؤها مصونة عن كل التغيرات وما حصلت هذه الكمالات الثلاثة إلا في علمه (سبحانه[٧])[٨].

قوله تعالى: «إِذْ قَالَ مُوسَى لأَهْلِهِ...» الآيات، يجوز أن يكون «إذْ» منصوباً بإضمار اذكر[٩]، أو (يعلم) مقدر مدلولاً عليه بـ «عليم»[١٠]، (أو بـ «عليم»[١١])[١٢] وفيه ضعف لتقيد الصفة بهذا الظرف[١٣].

فصل[١٤]

«إِذْ قَالَ مُوسَى لأَهْلِهِ» في مسيره من مدين إلى مصر[١٥]، قيل: إنه لم يكن مع موسى ـ عليه السلام[١٦] ـ غير امرأته ابنة شعيب ـ عليه السلام[١٧] ـ، وقد كنى الله عنها بالأهل، فتبع[١٨] ذلك ورود الخطاب بلفظ الجمع[١٩]، وهو قوله: «امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ»[٢٠]: أبصرت ناراً، وذلك أنهما كانا يسيران ليلاً وقد اشتبه الطريق عليهما، والوقت وقت برد، وفي[٢١] مثل هذا الحال تقوى النفس بمشاهدة نار لما يرجى فيها من

---

(١) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٤/ ١٨٠ ـ ١٨١.
(٢) في ب: العلمية. وهو تحريف.
(٣) لأن: مكرر في ب.
(٤) في ب: العلمية. وهو تحريف.
(٥) في ب: المبالغ. وهو تحريف.
(٦) في ب: ثلاث.
(٧) في ب: ثلاث.
(٨) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٤/ ١٨٠ ـ ١٨١.
(٩) ما بين القوسين في ب: تعالى.
(١٠) انظر الكشاف ٣/ ١٣٣، التبيان ٢/ ١٠٠٣.
(١١) بعليم: سقط من ب.
(١٢) انظر الكشاف ٣/ ١٣٣.
(١٣) ما بين القوسين سقط من الأصل.
(١٤) انظر البحر المحيط ٧/ ٥٤.
(١٥) في ب: قوله.
(١٦) انظر البغوي ٦/ ٢٥٩ ـ ٢٦٠.
(١٧) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٨) في النسختين: فيمنع. والتصويب من الكشاف والفخر الرازي.
(١٩) في ب: ورود الخطاب بالجمع.
(٢٠) انظر الكشاف ٣/ ١٣٣ ـ ١٣٤، الفخر الرازي ٢٤/ ١٨١.
(٢١) في ب: وقت برموني.

زوال الحيرة في أمر الطريق، ومن الانتفاع بالنار للاصطلاء، فلذلك[١] بشرها فقال: «آنَسْتُ[٢] نَاراً سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ»[٣] والخبر: ما يخبر به[٤] عن حال الطريق؛ لأنه كان قد ضله[٥]. ثم[٦] في الكلام حذف، وهو أنه لما أبصر النار توجه إليها، وقال: سآتيكم منها بخبر يعرف به الطريق[٧].

قوله: «أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ» قرأ الكوفيون[٨] بتنوين «شِهَابٍ»[٩]، على أن «قَبَس» بدل من «شِهَابٍ»[١٠] أو صفة له[١١]، لأنه[١٢] بمعنى مقبوس، كالقَبض[١٣] والنفض[١٤]، والباقون بالإضافة[١٥] على البيان[١٦]، لأنَّ الشِّهاب يكون قبساً وغيره.

والشِّهَابُ: الشُّعلة، والقَبَسُ: القطعة منها يكون في عودٍ وغير عود[١٧]. و «أو»: على بابها من التنويع، والطاء في «تَصْطَلُونَ»: يدل من تاء الافتعال، لأنه من صَلِيَ بالنار[١٨].

فإن قيل: قال هاهنا: «سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ»[١٩]، وفي موضع آخر: ﴿لَعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ﴾ [القصص: ٢٩] وهما كالمتدافعين، لأن أحدهما تَرَجٍّ والآخر تيقن[٢٠].

فالجواب[٢١]: قد يقول الراجي إذا قوي رجاؤه: سأفعل كذا، و[٢٢] سيكون كذا،

---

(١) في ب: فكذلك. (٢) في ب: إني آنست.
(٣) انظر الفخر الرازي ٢٥/ ١٨١. (٤) به: سقط من ب.
(٥) انظر الكشاف ٣/ ١٣٤، الفخر الرازي ٢٤/ ١٨١.
(٦) في ب: و. (٧) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٨١.
(٨) هو عاصم وحمزة والكسائي.
(٩) السبعة (٤٧٨)، الكشف ٢/ ١٥٤، النشر ٢/ ٣٣٧، الإتحاف (٣٣٥).
(١٠) انظر معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٤٧، الكشاف ٣/ ١٣٤، البيان ٢/ ٢١٨.
(١١) انظر الكشاف ٣/ ١٣٤، التبيان ٢/ ١٠٠٤.
(١٢) في ب: ولأنه.
(١٣) القبض ـ بالتحريك ـ بمعنى المقبوض، وهو ما جمع من الغنيمة قبل أن تقسم. اللسان (قبض).
(١٤) النفض ـ بالتحريك ـ ما تساقط من الورق والثمر، وهو فعل بمعنى مفعول كالقبض بمعنى المقبوض. اللسان (نفض).
(١٥) السبعة (٤٧٨)، الكشف ٢/ ١٥٤٥، النشر ٢/ ٣٣٧، الإتحاف (٣٣٥).
(١٦) أي: من إضافة النوع إلى جنسه، بمنزلة قولك: ثوب خز. مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٤٤، البيان ٢/ ٢٨٠.
(١٧) انظر مجاز القرآن ٢/ ٩٢، اللسان (قبس).
(١٨) وهو إبدال مطرد، لأن تاء (افتعل) تبدل طاء إذا كانت الفاء صاداً، أو ضاداً، أو طاء، أو ظاء، فأصل «تصطلون» «تصتليون» أبدل من التاء طاء لتوافق الطاء في الإطباق، ونقلت الضمة من الياء إلى اللام فبقيت الياء ساكنة وواو الجمع ساكنة فحذفت الياء لالتقاء الساكنين. البيان ٢/ ٢١٨، الممتع ١/ ٣٦٠. وفي اللسان (صلا): وصلى بالنار وصليها صلياً وصليًا وصلى وصلاء، واصطلى بها وتصلاها قاسى حرها.
(١٩) في ب: بقبس. وهو تحريف. (٢٠) في ب: متيقن.
(٢١) في ب: والجواب. (٢٢) و: سقط من ب.

مع تجويزه الخيبة[١]. فإن قيل: كيف جاء بسين التسويف؟

فالجواب: عدة لأهله أنه[٢] يأتيهم به، وإن أبطأ، أو كانت المسافة بعيدة[٣]، وأدخل «أو» بين الأمرين المقصودين، يعني الرجاء على أنه إن لم يظفر بهذين المقصودين، ظفر بأحدهما، إما هداية الطريق، وإما اقتباس النار، ثقة منه بعادة الله تعالى لأنه لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبده[٤]. «لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ» تستدفئون من البرد.

قوله: «نُودِيَ» في القائم مقام الفاعل ثلاثة أوجه:

أحدها[٥]: أنه ضمير موسى، وهو الظاهر، وفي «أن» حينئذ ثلاثة أوجه:

أحدها: أنها المفسرة، لتقدم ما هو بمعنى القول[٦].

والثاني: أنها الناصبة للمضارع، ولكن وصلت هنا بالماضي، وتقدم تحقيق ذلك، وذلك على إسقاط الخافض، أي: نودي موسى بأن بورك[٧].

الثالث: أنها المخففة، واسمها ضمير الشأن، و «بورك» خبرها، ولم يحتج هنا إلى فاصل، لأنه دعاء[٨]، وقد تقدم نحوه في النور، في قوله: ﴿أَنْ غَضِبَ﴾ [النور: ٩] ـ في قراءته فعلاً ماضياً[٩] ـ قال الزمخشري: فإن قلت: هل يجوز أن تكون المخففة من الثقيلة، والتقدير[١٠]: بأنه بورك، والضمير ضمير الشأن والقصة[١١]؟

قلت: لا؛ لأنَّه لا بدَّ من (قَدْ)، فإن قلت: فعلى إضمارها؟

قلت: لا يصحّ، لأنها علامة، والعلامة لا تحذف[١٢] انتهى.

فمنع أن تكون مخففة لما ذكر، وهذا بناء منه على أنَّ «بُورِكَ» خبر لا دعاء، أما إذا قلنا إنه دعاءكما تقدم في النور فلا حاجة إلى (الفاصل كما تقدم، وقد تقدم فيه استشكال، وهو أن الطلب لا يقع خبراً في هذا الباب، فكيف وقع هذا خبراً لـ (أن) المخففة، وهو دعاء.

الثاني من الأوجه الأول: أنَّ القائم مقام)[١٣] الفاعل نفس «أَنْ بُورِكَ» على حذف حرف الجرّ، أي: بأن بورك، فـ (أَنْ) حينئذ إمّا ناصبة في الأصل، وإمّا مخففة[١٤].

---

(١) انظر الكشاف ٣/ ١٣٤، الفخر الرازي ٢٤/ ١٨١.
(٢) في ب: أنهم. وهو تحريف.
(٣) انظر الكشاف ٣/ ١٣٤، الفخر الرازي ٢٤/ ١٨١.
(٤) المرجعان السابقان.
(٥) في ب: أحدهما. وهو تحريف.
(٦) انظر الكشاف ٣/ ١٣٤، التبيان ٢/ ١٠٠٤، البحر المحيط ٧/ ٥٥.
(٧) انظر التبيان ٢/ ١٠٠٤، البحر المحيط ٧/ ٥٥.
(٨) المرجعان السابقان.
(٩) وهي قراءة نافع. انظر السبعة (٤٥٤).
(١٠) في الكشاف: وتقديره نودي.
(١١) والقصة: ليس في عبارة الزمخشري.
(١٢) في الكشاف: لأنها علامة لا تحذف. الكشاف ٣/ ١٣٤.
(١٣) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٤) انظر البيان ٢/ ٢١٩، التبيان ٢/ ١٠٠٤.

الثالث: أنه ضمير المصدر[1] المفهوم من الفعل، أي: نودي النِّداء، ثم فسِّر بما بعده[2] ومثله ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ﴾ [يوسف: ٣٥].

قوله: «مَنْ في النَّارِ» مَنْ قَائمٌ مقامِ الفاعل لـ «بُورِكَ»[3]، وبَارَكَ يتعدى بنفسه، ولذلك[4] بُنِيَ للمفعول، يقال: بَارَكك اللَّهُ، وَبَارَكَ عَلَيْكَ، وبَارَكَ فِيكَ، وَبَارَكَ لَكَ[5]، وقال الشاعر:

٣٩٣٠ ـ فَبُورِكْتَ مَولُوداً وبُورِكْتَ نَاشِئاً وبُورِكْتَ عِنْدَ الشَّيبِ إذْ أَنْتَ أَشْيَبُ[6]

وقال عبد الله بن الزبير:

٣٩٣١ ـ فبُورك في بَنِيكَ وفي بَنِيهِمْ إذا ذُكِروا ونَحْنُ لَكَ الفِدَاءُ[7]

وقال آخر:

٣٩٣٢ ـ فَبُورِكَ في المَيتِ الغَرِيبِ كَمَا بُورِكَ[8] نبع الرُّمَّانِ والزَّيْتُون[9]

فصل[10]

والمراد بـ «مَنْ» إما الباري تعالى، وهو على حذف مضاف، أي من قدرته وسلطانه في النار[11]، وقيل المراد به موسى والملائكة، وكذلك بـ «مَنْ حَوْلَهَا»، وقيل المراد بـ «مَنْ» غير العقلاء وهو النور والأمكنة التي حولها[12]، فالأول مروي عن ابن عباس، وروى مجاهد عنه أنه قال: معناه بوركت النار[13]. وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس أيضاً، قال: سمعت أبيًا يقرأ: «أَنْ بُورِكَتِ النَّارُ وَمَنْ حَوْلَهَا»[14] و «مَنْ»: قد تأتي بمعنى

---

(١) في ب: المضمر.
(٢) انظر التبيان ٢/ ١٠٠٤، البحر المحيط ٧/ ٥٥.
(٣) انظر التبيان ٢/ ١٠٠٤.
(٤) في ب: وكذلك.
(٥) انظر اللسان (برك).
(٦) البيت من بحر الطويل، لم أهتد إلى قائله، وهو في القرطبي ١٣/ ١٥٨، البحر المحيط ٧/ ٥٥. والشاهد فيه بناء الفعل (بارك) للمفعول، لأنه فعل متعد.
(٧) البيت من بحر الوافر، قاله عبد الله بن الزبير، وهو في الحماسة البصرية ١/ ٤٣٩، البحر المحيط ٧/ ٥٥، والشاهد فيه كالشاهد في البيت السابق.
(٨) في ب: بورك في.
(٩) البيت من بحر الخفيف، قاله أبو طالب بن عبد المطلب في رثاء مسافر بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس، وهو في ديوانه (٢١) برواية:
بورك البيت... كما بورك نبع... والتين
وتفسير ابن عطية ١١/ ١٧١، المفضليات (١٩٣)، اللسان (برك)، وفيه (نضح) مكان (نبع) البحر المحيط ٧/ ٥٥، والشاهد فيه كالشاهد في البيت السابق.
(١٠) فصل: سقط من ب.
(١١) انظر البحر المحيط ٧/ ٥٥ ـ ٥٦.
(١٢) المرجع السابق.
(١٣) انظر البغوي ٦/ ٢٦٠.
(١٤) المرجع السابق ٦/ ٢٦١.

(ما)، كقوله: ﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ﴾ [النور: ٤٥]، و (مَا) قد تكون صلة في الكلام، كقوله[١]: «جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ»[٢]، ومعناه: بُورِكَ مَنْ في النَّارِ وفيمَنْ حَوْلَهَا وهم الملائكة وموسى عليهم السلام[٣]. وقال الزمخشري: «بُورِكَ مَنْ في النَّارِ»: بورك من في مكان النار ومن حولها: مكانها، ومكانها: هي البقعة التي حصلت فيها، وهي البقعة المذكورة في قوله تعالى[٤]: ﴿مِن شَـٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَـٰرَكَةِ﴾ [القصص: ٣٠]، وتدل عليه قراءة أبيّ[٥].

قوله: «وَسُبْحَانَ اللَّهِ» فيه أوجه:

أحدها: أنه من تتمّة النداء: أي: نودي بالبركة وتنزيه ربِّ العزَّة، أي: نودي بمجموع الأمرين[٦].

الثاني: أنه من كلام الله تعالى مخاطِباً لنبينا محمد ـ عليه الصلاة والسلام[٧] ـ، وهو على هذا اعتراض بين أثناء القصة[٨].

الثالث: أنّ معناه وبُورِكَ من[٩] سَبَّحَ اللَّهَ، يعني أنه حذف (مَنْ) وصلتها، وأبقى معمول الصلة، إذ التقدير: بُورِكَ مَنْ في النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا، ومن قال: سُبْحَانَ اللَّهِ[١٠] و «سُبْحَانَ» في الحقيقة ليس معمولاً لقال، بل لفعل من لفظه، وذلك الفعل هو المنصوب بالقول.

فصل

روي[١١] عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن في قوله: «بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ» يعني: قُدِّس من في النار، وهو الله، عنى به نفسه على معنى: أنه نادى موسى منها، وأسمعه كلامه من جهتها، كما روي أنه مكتوب في التوراة: «جاء الله من سيناء وأشرق من ساعير واستعلى من جبال فاران»، فمجيئه من سيناء بعثته موسى منها، ومن ساعير

---

(١) في ب: لقوله.

(٢) من قوله تعالى: **﴿جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب﴾** [ص: ١١]. والاستدلال بها على أن (ما) زائدة. البيان ٢/٣١٣، التبيان ٢/١٠٩٨.

(٣) انظر البغوي ٦/٢٦١. (٤) تعالى: سقط من ب.

(٥) انظر المحتسب ٢/١٣٤.

(٦) قال أبو حيان: (والظاهر أن قوله: «وسبحان الله رب العالمين» داخل تحت قوله «نودي»). البحر المحيط ٧/٥٦.

(٧) في ب: ﷺ وشرف وكرم وبجل ومجد وعظم.

(٨) انظر البحر المحيط ٧/٥٦. (٩) من: سقط من ب.

(١٠) وعليه فهو من كلام الله تعالى. حكاه القرطبي وأبو حيان عن ابن شجرة. انظر القرطبي ١٣/١٦٠، البحر المحيط ٧/٥٦.

(١١) من هنا نقله ابن عادل عن البغوي ٦/٢٦١.

بعثته المسيح، ومن جبال فاران بعثته المصطفى منها، وفاران: مكة. وهل كان ذلك نوره عز وجل؟

قال سعيد بن جبير: كانت النار بعينها، والنار إحدى حجب الله تعالى، كما جاء في الحديث: «حِجابُهُ النَّارُ لَوْ كَشَفَهَا لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ[١] ما انتهى إليه بَصَرُهُ من خلقه[٢]»[٣] والسبب الذي لأجله بوركت البقعة، وبورك من فيها وحواليها: حدوث هذا الأمر العظيم فيها، وهو تكليم موسى وجعله رسولاً، وإظهار المعجزات عليه، ولهذا جعل الله أرض الشام موسومة بالبركات في قوله: ﴿وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا﴾ [الأنبياء: ٧] وحقت أن تكون كذلك، فهي مبعث الأنبياء عليهم السلام[٤] ومهبط الوحي، وكفاتهم أحياء وأمواتاً[٥].

ولما نزه نفسه، ـ وهو المنزه من كل سوء وعيب ـ تعرف إلى موسى بصفاته في[٦] قوله: «يا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ العَزِيزُ الحَكِيمُ». في اسم «إنَّ» وجهان: أظهرهما أنَّه ضمير الشأن («وَأَنَا اللَّهُ» مبتدأ)[٧] وخبره، و[٨] «العَزِيزُ الحَكِيمُ» صفتان لله.

والثاني: أنه ضمير راجع إلى ما دلَّ عليه ما قبله، يعني: إن مكلِّمك أنا، و «الله» بيان لـ «أَنَا»، و «العَزِيزُ الحَكِيمُ»: صفتان للبيان قاله الزمخشري[٩]. قال أبو حيان: وإذا حذف الفاعل وبني الفعل للمفعول فلا يجوز أن يعود الضمير على ذلك المحذوف: إذ[١٠] قد غيِّر الفعل عن بنائه له[١١] وعزم على أن لا يكون محدَّثاً عنه، فعود الضمير إليه ممَّا ينافي ذلك؛ إذ يصير[١٢] معتنًى به[١٣]. قال شهاب الدين: وفيه نظر، لأنه قد يلتفت إليه، وقد تقدم ذلك في البقرة عند قوله: «فَمَنْ عُفِيَ لَهُ»، ثم قال: «وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ»[١٤]، قيل: إلى الذي عفي له[١٥] وهو وليُّ الدم على ما تقدم تحريره[١٦] ولئن سلِّم ذلك، فالزمخشري[١٧] لم يقل إنه عائد على ذلك الفاعل، إنما قال: راجع إلى ما دل عليه ما قبله يعني من (السِّياق[١٨])[١٩].

---

(١) وجهه: سقط من ب.
(٢) انظر تفسير ابن كثير ٣/ ٣٥٧.
(٣) آخر ما نقله هنا عن البغوي ٦/ ٢٦١.
(٤) في ب: عليهم الصلاة والسلام.
(٥) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٨٢.
(٦) في: سقط من ب.
(٧) ما بين القوسين سقط من ب.
(٨) و: سقط من ب.
(٩) انظر الكشاف ٣/ ١٣٤.
(١٠) في ب: و.
(١١) له: تكملة من البحر المحيط.
(١٢) في البحر المحيط: مقصوداً.
(١٣) البحر المحيط ٧/ ٥٦.
(١٤) من قوله تعالى: **﴿فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان﴾** [البقرة: ١٧٨].
(١٥) له: تكملة ليست في المخطوط.
(١٦) انظر اللباب ١/ ٣٥٢. ووجه التنظير بالآية ظاهر.
(١٧) في ب: قال الزمخشري. وهو تحريف.
(١٨) الدر المصون ٥/ ١٧٨.
(١٩) ما بين القوسين في ب: السياق وذلك.

وقال أبو البقاء: يجوز أن يكون ضمير ربٍّ: أي: إن الرب أنا الله، فيكون «أَنَا» فصلاً أو توكيداً أو خبر إن، والله بدل منه[١]. وقيل: الهاء في قوله «إِنَّهُ» عماد[٢]، وليست كناية، فإن قيل: هذا النداء قد يجوز أن يكون من عند غير الله، فكيف علم موسى أنه من الله؟

فالجواب: لأهل السنة فيه طريقان: **الأول**: أنه سمع الكلام المنزه عن مشابهة كلام المخلوقين، فعلم بالضرورة أنه صفة الله.

الثاني: قول أئمة ما وراء النهر[٣]، وهو أنه ـ عليه السلام[٤] ـ سمع الصوت من الشجرة، فنقول: إنما عرف أن ذلك من الله تعالى لأمور:

أحدها: أن النداء إذا حصل في النار أو الشجرة، علم أنه من قبل الله تعالى: لأن أحداً منا لا يقدر عليه، وهذا ضعيف، لاحتمال أن الشيطان دخل في النار والشجرة، ثم نادى.

والثاني: يجوز في نفس النداء أن يكون قد بلغ في العظم مبلغاً لا يكون إلا معجزاً، وهو أيضاً ضعيف، لأنا لا نعرف مقادير قوى الملائكة والشياطين، فلا قدر إلا ويجوز صدوره منهم.

وثالثها: أنه قد يقترن به معجز دل على ذلك، وقيل: إن النار كانت مشتعلة في شجرة خضراء لم تحترق، فصار ذلك كالمعجزة[٥] وهذا أيضاً في غاية الضعف والبعد، لأنه كيف تنادي النار أو[٦] الشجرة، وتقول: يا موسى إني أنا ربك، أو[٦] إني أنا الله رب العالمين!!

قوله تعالى: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾

قوله: ﴿وَأَلْقِ﴾ عطف على ما قبله من الجملة الاسمية الخبرية، وقد تقدم أن سيبويه لا يشترط تناسب الجمل، وأنه يجيز: جاء زيدٌ ومن أبوك، وتقدمت أدلته أول البقرة.

وقال الزمخشري: فإن قلت: علام عطف قوله: «وَأَلْقِ عَصَاكَ»؟ قلت: على قوله:

---

(١) التبيان: ٢/ ١٠٠٥.
(٢) قال الفراء: (وقوله: «إنه أنا الله» هذه الهاء هاء عماد، وهو اسم لا يظهر) المعاني ٢/ ٢٨٧.
(٣) في ب: ما ورد النهي. وهو تحريف.
(٤) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٥) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٨٢ ـ ١٨٣. وفيه: وهذا هو الأصح والله أعلم.
(٦) في ب: و.

«بُورِكَ»؛ لأن معنى: نودي أن بورك[١]، وقيل له: ألق عصاك، والدليل على ذلك قوله: «وأن ألق عصاك»، بعد قوله: أن يا موسى إني أنا الله على تكرير حرف التفسير، كما يقول: كتبت إليه أن حجَّ واعتمر، وإن شئت: أن حجَّ وأن اعتمر[٢]. قال أبو حيان: وقوله إنه معطوف على «بُورِكَ» مُنَافٍ لتقديره، وقيل له: ألق عصاك، لأن هذه جملة معطوفة على «بُورِكَ» وليس جزؤها الذي هو معمول، وقيل: معطوفاً على «بُورِكَ»، وإنما احتاج إلى تقدير: وقيل له: ألق، ليكون جملة خبرية مناسبة للجملة الخبرية التي عطفت عليها، كأنه يرى في العطف تناسب الجمل المتعاطفة. والصحيح أنه لا يشترط ذلك[٣]، ثم ذكر مذهب سيبويه[٤].

«فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ»، وهي الحية الصغيرة التي يكثر اضطرابها[٥]، سميت جانّاً، لأنها تستتر عن الناس[٦]. وقرأ الحسن، والزهري، وعمرو[٧] بن عبيد «جَأَنٌّ» بهمزة مكان الألف[٨]، وقد[٩] تقدم تقرير هذا عند ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] على لغة من يهرب من التقاء الساكنين، فيقول شأبّة ودأبّة. «ولّى مُدْبِراً» هرب[١٠] من الخوف، و «وَلَمْ يُعَقِّبْ»: لم يرجع، يقال: عقب فلان: إذا رجع، وكل راجع معقب.

وقال قتادة: ولم يلتفت، فقال الله[١١]: «يَا مُوسَى لاَ تَخَفْ إنِّي لاَ يَخَافُ لَدَيَّ المُرْسَلُونَ»[١٢]، يريد: إذا أَمَّنتهم لا يخافون[١٣]، وقيل: المراد إذا أمرتهم بإظهار معجز أن لا يخافوا فيما يتعلق بإظهار ذلك، وإلا فالمرسل قد يخاف لا محالة[١٤]، لأن الخوف الذي هو شرط الإيمان لا يفارقهم، قال النبي ـ ﷺ ـ: «أنا أخشاكم لله»[١٥].

قوله: «تَهْتَزُّ» جملة حالية من (هاء) «رآها»[١٦]، لأن[١٧] الرؤية بصريَّة، وقوله:

---

(١) في الكشاف: نودي أن بورك من في النار، وأن ألق عصاك كلاهما تفسير لنودي، والمعنى: قيل له: بورك من في النار.

(٢) الكشاف ٣/ ١٣٤.

(٣) البحر المحيط ٧/ ٥٦.

(٤) قال أبو حيان: (بل قوله: ﴿وألق عصاك﴾ معطوف على قوله ﴿إنه أنا الله العزيز الحكيم﴾ عطف جملة الأمر على جملة الخبر، وقد أجاز سيبويه جاء زيد ومن عمرو) البحر المحيط ٧/ ٥٦.

(٥) في ب: اضطراب، انظر البغوي ٦/ ٢٦٢.

(٦) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٨٤.

(٧) في ب: وعمر.

(٨) المحتسب ٢/ ١٣٥، الخصائص ٣/ ١٢٦، سر صناعة الإعراب ١/ ٧٢ ـ ٧٣، المنصف ١/ ١٤٩، الكشاف ٣/ ١٣٤، ابن يعيش ٩/ ١٢٩ ـ ١٣٠، البحر المحيط ٧/ ٥٦ ـ ٥٧.

(٩) قد: سقط من ب.

(١٠) من هنا نقله ابن عادل عن البغوي ٦/ ٢٦٢.

(١١) لفظ الجلالة: سقط من ب.

(١٢) في الأصل: المرسلين. وهو تحريف.

(١٣) آخر ما نقله هنا عن البغوي ٦/ ٢٦٢.

(١٤) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٨٤.

(١٥) أخرجه البخاري (نكاح) ٣/ ٢٣٧، أحمد ٦/ ٦٧، ١٥٦، ٢٢٦، ٢٤٥.

(١٦) انظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٤٥، البيان ٢/ ٢١٩، التبيان ٢/ ١٠٠٥.

(١٧) في ب: لأنه. وهو تحريف.

«كَأَنَّهَا جَانٌّ»: يجوز أن تكون حالاً[١] ثانية[٢]، وأن تكون حالاً من ضمير «تَهْتَزُّ»[٣]، فيكون حالاً متداخلة، وقوله: «وَلَمْ يُعَقِّبْ» يجوز أن يكون عطفاً على «وَلَّى»، وأن يكون حالاً أخرى، والمعنى: ولم يرجع على عقبه، كقوله:

٣٩٣٣ ـ فَمَا عَقَّبُوا إِذْ قِيلَ هَلْ[٤] مِنْ مُعَقِّبٍ وَلاَ نَـزَلُـوا يَـوْمَ الْـكَـرِيـهَـةِ مَـنْـزِلا[٥]

قوله: «إِلاَّ مَنْ ظَلَمَ» فيه وجهان:

أحدهما: أنَّه استثناء منقطع، لأنَّ المرسلين[٦] معصومون من المعاصي، وهذا هو الظاهر[٧] الصحيح، والمعنى: لكن من ظلم من سائر الناس، فإنه يخاف فإن تاب وبدل حسناً بعد سوء فإنِّي غفورٌ رحيمٌ.

والثاني: أنَّه متصلٌ[٨]، وللمفسرين فيه عبارات، قال الحسن: إنَّ موسى ظلم بقتل القبطي، ثم تاب فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ [القصص: ٢٢].

وقال ابن جريح: قال الله لموسى[٩]: أخفتك لقتلك[١٠] النفس، وقال: معنى الآية: لا يخيف الله الأنبياء إلاَّ بذنب يصيبه أحدهم، فإن أصابه أخافه حتى يتوب[١١].

وقيل: محمول على ما يصدر من الأنبياء من ترك الأفضل[١٢]. وقال بعض النحويين: «إلا» هاهنا بمعنى ولا، يعني: لا يخاف لديّ المرسلون ولا المذنبون التائبون، كقوله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [البقرة: ١٥٠]. يعني ولا الذين ظلموا[١٣]. وعن الفراء أنه متصل، لكن من جملة محذوفة تقديره: وإنما يخاف غيرهم إلاَّ من ظلم[١٤].

---

(١) في ب: حال.

(٢) انظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٤٥، البيان ٢/ ٢١٩.

(٣) انظر التبيان ٢/ ١٠٠٥.

(٤) في ب: هم.

(٥) البيت من بحر الطويل، لم أهتد إلى قائله، وهو في الكشاف ٣/ ١٣٤، البحر المحيط ٧/ ٥٧، شرح شواهد الكشاف (١٠٠).

(٦) في ب: المرسلون.

(٧) انظر إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٠٠، مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٤٦، البيان ٢/ ٢١٩، التبيان ٢/ ١٠٠٥.

(٨) انظر تفسير ابن عطية ١/ ١٧٥، البحر المحيط ٧/ ٥٧.

(٩) لموسى: سقط من ب.

(١٠) في ب: بقتلك.

(١١) انظر البغوي ٦/ ٢٦٢.

(١٢) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٨٤.

(١٣) قال ابن الأنباري: (وذهب الكوفيون إلى أن (إلا) بمعنى الواو، وليس بصحيح لاختلاف المعنى، لأن (إلا) تقتضي إخراج الثاني مما دخل فيه الأول، والواو تقتضي مشاركة الثاني للأول، فلا يقام أحدهما مقام الآخر) البيان ٢/ ٢١٩، وانظر البحر المحيط ٧/ ٥٧.

(١٤) قال الفراء: «والآخر أن تجعل الاستثناء من الذين تركوا في الكلمة، لأن المعنى: لا يخاف المرسلون إنما الخوف على غيرهم، ثم استثنى فقال: إلا من ظلم فإن هذا لا يخاف يقول: كان مشركاً فتاب وعمل صالحاً فذلك مغفور له ليس بخائف) المعاني ٢/ ٢٨٧.

وردَّه النحاس: بأنه لو جاز هذا لجاز: لا أضربُ القوم إلاَّ زيداً أي: وإنما أضرب غيرهم إلا زيداً، وهذا ضد البيان و[١] المجيء بما لا يعرف معناه[٢].

وقدره الزمخشري بـ «لكن»[٣]، وهي علامة على أنه منقطع ـ وذكر كلاماً طويلاً ـ فعلى الانقطاع يكون منصوباً فقط على لغة الحجاز، وعلى لغة تميم يجوز فيه النصب والرفع على البدل من الفاعل قبله، وأما على الاتصال: فيجوز فيه الوجهان على اللغتين، ويكون الاختيار البدل، لأن الكلام غير موجب.

وقرأ أبو جعفر وزيد بن أسلم «أَلاَ» بفتح الهمزة وتخفيف اللام[٤] ـ جعلاها حرف تنبيه ـ و «مَنْ» شرطية، وجوابها: «فَإِنِّي غَفُورٌ»[٥] والعامة على تنوين «حُسْناً»، ومحمد بن عيسى الأصبهاني[٦] غير منوّن[٧]، جعله فعلى مصدراً كرجعى، فمنعها الصَّرف لألف التأنيث، وابن مقسم بضم الحاء والسين منوناً[٨]، ومجاهد وأبو حيوة ورويت عن أبي عمرو بفتحهما[٩]، وتقدم تحقيق القراءتين في البقرة[١٠].

قوله: «تَخْرُجْ» الظاهر أنه جواب لقوله «أَدْخِلْ» أي: إن أدخلتها تَخْرُجْ على هذه الصفة[١١]، وقيل: في الكلام حذفٌ تقديره: وأَدْخِلْ يَدَكَ تَدْخُل[١٢]، وأخرجها تخرج، فحذف من الثاني ما أثبته في الأول، ومن الأول ما أثبته في الثاني[١٣]، وهذا تقدير ما لا حاجة إليه.

قوله: «بَيْضَاء» حال من فاعل «تَخْرُجْ»[١٤]، و «مِنْ غَيْرِ سُوءٍ» يجوز أن يكون حالاً أخرى أو من الضمير في «بَيْضَاءَ»، أو صفة لـ «بَيْضَاءَ»[١٥] والمراد بالجيب: جيب القميص، قال المفسرون كانت عليه مدرعة من صوف لا كم لها ولا إزار، فأدخل يده في جيبه وأخرجها، فإذا هي تبرق مثل البرق[١٦]. قوله: «في تِسْعِ» فيه أوجه:

أحدها: أنه حال ثالثة، قاله أبو البقاء يعني من فاعل «تخرج»، أي آية في تسع آيات، كذا قدره[١٧].

---

(١) و: سقط من ب.
(٢) إعراب القرآن ٣/ ٢٠٠.
(٣) الكشاف ٣/ ١٣٤.
(٤) المختصر (١٠٨)، المحتسب ٢/ ١٣٦، تفسير ابن عطية ١١/ ١٧٧، البحر المحيط ٧/ ٥٧.
(٥) في ب: «إني غفور رحيم».
(٦) تقدم.
(٧) البحر المحيط ٧/ ٥٧.
(٨) المرجع السابق.
(٩) المختصر (١٠٨)، البحر المحيط ٧/ ٥٧.
(١٠) عند قوله تعالى: ﴿.. **وقولوا للناس حسناً**﴾ [البقرة: ٨٣].
(١١) انظر البحر المحيط ٧/ ٥٨.
(١٢) تدخل: سقط من ب.
(١٣) حكاه أبو حيان. البحر المحيط ٧/ ٥٨.
(١٤) انظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٤٦، البيان ٢/ ٢٩٩.
(١٥) انظر التبيان ٢/ ١٠٠٥.
(١٦) انظر البغوي ٦/ ٢٦٢ ـ ٢٦٣.
(١٧) التبيان ٢/ ١٠٠٥.

الثاني: أنه متعلق بمحذوف، أي: اذهب[١] في تسع آياتٍ[٢]، وقد تقدم اختيار الزمخشري كذلك عند ذكر البسملة، ونظره بقول الآخر:

٣٩٣٤ ـ فَقُلْتُ إلَى الطَّعَامِ فَقَالَ مِنْهُمْ[٣]

وقولهم: بالرِّفاء والبنين[٤] وجعل هذا التقدير أقرب[٥] وأحسن[٦].

الثالث: أن يتعلق بقوله: «وألْقِ عَصَاكَ وأَدْخِلْ».

قال الزمخشري: ويجوز أن يكون المعنى: وألْقِ عَصَاكَ وَأَدْخِلْ يَدَكَ في تِسْعِ آيَاتٍ، أي: في جملة تسع آياتٍ. ولقائل أن يقول: كانت الآيات إحدى عشرة منها اثنتانَ اليد والعصا، والتِّسعُ الفَلْقُ، والطُّوفان، والجراد، والقُمَّل، والضَّفادع، والدَّم، والطَّمسة، والجدب في بواديهم، والنقصان من مزارعهم[٧] انتهى.

وعلى هذا تكون (في) بمعنى (مَعَ) أي: هذه آية مع تسع آيات[٨] أنت مرسل بهن إلى فرعون وقومه، لأن اليد والعصا حينئذ خارجتان من التسع، وكذا قال ابن عطية، أعني أنه جعل «فِي تِسْعِ» متصلاً بـ «أَلْقِ» و «أَدْخِلْ»، إلا أنه جعل اليد والعصا من جملة التسع، وقال: تقديره: تُمَهِّدُ لك ذلك وتيسِّر في تسع[٩]، وجعل الزجاج (في) بمعنى (من)[١٠]، قال كما تقول: خذ لي من الإبل عشراً فيها فحلان، أي منها فحلان[١١].

قوله: «إِلَى فِرْعَونَ» هذا يتعلق بما تعلق به «فِي تِسْعِ» إذا لم نجعله حالاً، فإن جعلناه حالاً علقناه بمحذوف، فقدّره أبو البقاء مرسلاً إلى فرعون[١٢]. وفيه نظر، لأنه كونٌ مقيَّدٌ، وسبقه إلى هذا التقدير الزجاج[١٣]، وكأنهما أرادا[١٤] تفسير المعنى دون الإعراب.

---

(١) قال الزمخشري: (و «في تسع آيات» كلام مستأنف وحرف الجرّ فيه يتعلق بمحذوف، والمعنى: اذهب في تسع آيات «إلى فرعون») الكشاف ٣/ ١٣٥.

(٢) آيات: سقط من ب.

(٣) صدر بيت من بحر الوافر، قاله سمير بن الحارث الضبي، أو تأبط شراً، وعجزه:

فريق تحسد الأنس الطعاما

وهو في الكشاف ١/ ٥، ٣/ ١٣٥، السبع الطوال ٢٩٦، البحر المحيط ٧/ ٥٨، شرح شواهد الكشاف (١٠٧). والشاهد فيه قوله: (إلى الطعام) فإنه متعلق بفعل محذوف تقديره: أدعوكم.

(٤) أي: أعرست بالرفاء والبنين. انظر مجمع الأمثال للميداني ١/ ١٧٥ ـ ١٧٦.

(٥) في النسختين: أعرب.

(٦) انظر الكشاف ١/ ٤ ـ ٥.

(٧) الكشاف ٣/ ١٣٥.

(٨) هذا تعقيب أبي حيان. البحر المحيط ٧/ ٥٨

(٩) انظر تفسير ابن عطية ١١/ ١٧٨.

(١٠) في النسختين: مع من. والصواب ما أثبته.

(١١) قال الزجاج: (ومثل قوله: «في تسع آيات» ومعناه من تسع قولهم: خذ لي عشراً من الإبل فيها فحلان، المعنى: منها فحلان) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١١٠.

(١٢) قال أبو البقاء: (و «إلى» متعلقة بمحذوف، تقديره: مرسلاً إلى فرعون) التبيان ٢/ ١٠٠٥.

(١٣) لم أجده في معاني القرآن وإعرابه للزجاج، وهو في البحر المحيط ٧/ ٥٨.

(١٤) في ب: أراد.

وجوَّز أبو البقاء أيضاً أن تكون صفة لـ «آيَاتٍ»، وقدَّره: واصلةً إلى فرعون[١]، وفيه ما تقدم.

قوله: «مُبْصِرَةً» حال، ونسب الإبصار إليها مجازاً، لأن بها يبصر[٢]، وقيل: بل هي من أبصر المنقولة بالهمزة من بصر، أي: أنها[٣] تبصر غيرها لما فيها من الظهور، ولكنه مجاز آخر غير الأول، وقيل: هو[٤] بمعنى مفعول، نحو «مَاءٌ دَافِقٌ» أي: مدفوق[٥].

وقرأ عليّ بن الحسين وقتادة بفتح الميم والصاد[٦]، أي: على وزن أرض مسبعةٌ، ذات سباع[٧]، ونصبها على الحال[٨] أيضاً، وجعلها أبو البقاء في هذه القراءة مفعولاً من أجله[٩]، وقد تقدم ذلك. ومعنى «مُبْصِرَةً»: بينة واضحة.

«قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ» ظاهر.

قوله[١٠]: «وَجَحَدُوا بِهَا» أي: أنكروا الآيات، ولم يقروا أنها من عند الله[١١].

قوله: «وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ» يجوز أن تكون هذه الجملة معطوفة على الجملة قبلها، ويجوز أن تكون حالاً من فاعل «جَحَدُوا»[١٢]، وهو أبلغ في الذم، واستفعل هنا بمعنى «تَفَعَّلَ»، نحو: استعظم واستكبر، والمعنى: أنهم علموا أنها من عند الله، وفائدة ذكر الأنفس أنهم جحدوا بألسنتهم[١٣] واستيقنوها في قلوبهم وضمائرهم، والاستيقان أبلغ من الإيقان[١٤].

قوله: «ظُلْماً وَعُلُواً» يجوز أن يكونا في موضع الحال، أي: ظالمين عالين، وأن يكونا مفعولاً من أجلهما[١٥]، أي: الحامل على ذلك الظلم والعلو.

وقرأ عبد الله وابن وثاب والأعمش وطلحة: «وَعِلِيًّا» بكسر العين واللام وقلب الواو

---

(١) قال أبو البقاء: (ويجوز أن يكون صفة لـ «تسع» أو لـ «آيات»، أي: واصلة إلى فرعون) التبيان ٢/ ١٠٠٥.
(٢) وهذا مجاز عقلي لأنه من إسناد الفعل لغير ما هو له.
(٣) في ب: بأنها.
(٤) هو: سقط من ب.
(٥) انظر البحر المحيط ٧/٥٨.
(٦) المحتسب ٢/ ١٣٦، الكشاف ٣/ ١٣٥، البحر المحيط ٧/ ٥٨.
(٧) وجعلها الزمخشري مكاناً تكثر فيها التبصرة. الكشاف ٣/ ١٣٥.
(٨) انظر البحر المحيط ٧/ ٥٨.
(٩) قال أبو البقاء: (ويقرأ بفتح الميم والصاد، وهو مصدر مفعول له، أي: تبصرة) التبيان ٢/ ١٠٠٦.
(١٠) قوله: سقط من ب.
(١١) انظر البغوي ٦/ ٢٦٣.
(١٢) قال الزمخشري: (الواو في «واستيقنتها» واو الحال وقد بعدها مضمرة) الكشاف ٣/ ١٣٥.
(١٣) في ب: بأنفسهم.
(١٤) انظر الكشاف ٣/ ١٣٥، الفخر الرازي ٢٤/ ١٨٤.
(١٥) انظر التبيان ٢/١٠٠٦.

ياء[١]، وتقدم تحقيقه في «عِتِيًّا» في مريم[٢]، ورروي عن الأعمش وابن وثاب ضم العين كما في «عِتِيًّا»[٣].

وقرىء: «وَغُلُوًّا» بالغين المعجمة[٤]، وهو قريب من هذا المعنى، وأي ظلم أفحش من ظلم من استيقن أنها آيات بينة من عند الله ثم كابر بتسميتها سحراً بيناً[٥]؟

والعلو: الترفع عن[٦] الإيمان، والشرك وعدم الإيمان بما جاء به موسى[٧]، كقوله: ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ﴾ [المؤمنون: ٤٦].

﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾. قوله: «كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ» «كَيْفَ» خر مقدم، و «عَاقِبَةُ» اسمها[٨]، والجملة في محل نصب على إسقاط الخافض لأنها معلقة لـ «انْظُرْ» بمعنى تَفَكَّرْ.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَـٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَـٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْمًا ۖ﴾ الآية.. والمراد بالعلم أي: علم القضاء ومنطق الطير والدواب وتسبيح الجبال، والمعنى: طائفة من العلم، أو علماً سنياً عزيزاً[٩].

قوله: «وَقَالاَ»، قال الزمخشري: فإن قلت: أليس هذا موضع الفاء دون الواو، كقولك: أعطيته فشكر، ومنعته فصبر؟ قلت: بلى، ولكن عطفه بالواو إشعار[١٠] بأنَّ ما قالاه بعض ما أحدث فيهما إيتاء العلم وشيءٌ من مواجبه، فأضمر ذلك ثم عطف عليه التحميد، كأنه[١١] قال: ولقد آتيناهما علماً[١٢] فعملا به وعلماه وعرفاه حقَّ معرفته، وقالا الحمد لله[١٣]، انتهى.

---

(١) المختصر (١٠٨)، البحر المحيط ٧/٥٨.
(٢) من الآية (٨) ومن الآية (٦٩).
(٣) المختصر (١٠٨)، البحر المحيط ٧/٥٨.
(٤) انظر التبيان ٢/١٠٠٦.
(٥) انظر الكشاف ٣/١٣٥، الفخر الرازي ٢٤/١٨٤.
(٦) في ب: على.
(٧) انظر الفخر الرازي ٢٤/١٨٤.
(٨) انظر التبيان ٢/١٠٠٦.
(٩) انظر الكشاف ٣/١٣٥، الفخر الرازي ٢٤/١٨٥.
(١٠) في ب: وإشعار. وهو تحريف.
(١١) في ب: كأنهما.
(١٢) في ب: علماً به. وهو تحريف.
(١٣) الكشاف ٣/١٣٥.

وإنَّما نكر «عِلْماً» تعظيماً له، أي علماً سنياً، أو دلالة على التبعيض[١]، لأنه قليل جداً بالنسبة إلى علمه تعالى.

فصل

المعنى: «وَقَالاَ الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا» بالنبوة والكتاب وتسخير الشياطين والجن والإنس «عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ المُؤْمِنِينَ»[٢]، ولم يفضلوا أنفسهم[٣] على الكل، وذلك يدل على حسن التواضع. قوله: «وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ»، قال الحسن: المال لأن النبوة عطية مبتدأة لا تورث[٤]، وقال غيره: بل النبوة والعلم والملك دون سائر أولاده[٥]، ولو تأمل الحسن لعلم أن المال لا يورث من الأنبياء، لقوله عليه السلام[٦]: «نَحْنُ مَعَاشِرَ الأَنْبِياءِ لا نُورَث مَا تَرَكْنَاهُ صدقة»[٧]، وأيضاً فإن المال إذا ورثه الولد فهو أيضاً عطية مبتدأة من الله تعالى، ولذلك يرثه الولد إذا كان مؤمناً، ولا يرث إذا كان كافراً أو قاتلاً، ولا كذلك[٨] النبوة، لأن الموت[٩] لا يكون سبباً لنبوة الولد[١٠]، وكان لداود تسعة عشر ابناً، وأعطي سليمان ما أعطي داود من الملك، وزيد له تسخير الريح وتسخير الشياطين، قال مقاتل: كان سليمان أعظم ملكاً من داود وأقضى منه، وكان داود أشد تعبداً من سليمان، وكان سليمان شاكراً لنعم الله[١١].

«وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ»، يعني صوته، سمي صوت الطير منطقاً، لحصول الفهم منه كما يفهم من كلام الناس، روي عن كعب قال: صاح ورشان[١٢] عند سليمان عليه السلام[١٣]، فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا لا، قال: إنه يقول: لدوا للموت، وابنوا[١٤] للخراب، وصاحت فاختة[١٥]، فقال: أتدرون ما تقول؟ قالوا لا، قال

---

(١) في ب: التخصيص.
(٢) انظر البغوي ٦/ ٢٦٤.
(٣) في ب: أنفسهما.
(٤) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٨٦.
(٥) المرجع السابق.
(٦) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٧) أخرجه البخاري (فرض الخمس) ٢/ ١٨٦، (فضائل أصحاب النبي) ٢/ ٣٠١، (مغازي) ٣/ ١٦، (نفقات) ٣/ ١٨٧، (فرائض) ٤/ ٢١٤، مسلم (جهاد) ٣/ ١٣٧٧، ١٣٨٢، ١٣٨٣ أبو داود (إمارة) ٣/ ٣٦٥ ـ ٣٧١، الترمذي (سير) ٣/ ٨٢، ومالك (كلام) ٢/ ٩٩٣، أحمد ١/ ٤، ٦، ٩، ١٠، ٢٥، ٤٧، ٤٨، ٢/ ٤٦٣، ٦/ ١٤٥، ٢٦٢.
(٨) في ب: وكذلك وهو تحريف.
(٩) في النسختين: النبوة. والتصويب من الفخر الرازي.
(١٠) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٨٦.
(١١) انظر البغوي ٦/ ٢٦٤.
(١٢) الورشان: طائر من الفصيلة الحمامية، أكبر قليلاً من الحمامة المعروفة، يستوطن أوربة، ويهاجر في جماعات إلى العراق والشام، ولكنها لا تمر بمصر، والجمع ورشان ووراشين. المعجم الوسيط (ورش).
(١٣) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٤) في ب: وانموا.
(١٥) الفاختة: ضرب من الحمام المطوق إذا مشى توسع في مشيه وباعد بين جناحيه وإبطيه وتمايل، والجمع: فواخت. المعجم الوسيط (فخت).

فإنها تقول: ليت ذا الخلق لم يخلقوا، وصاح[١] الطاووس[٢] فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا لا، قال: فإنه يقول: كما تدين تدان، قال: وصاح هدهد، فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا لا، قال: فإنه يقول: استغفروا الله يا مذنبين، وصاحت طيطوى[٣]، فقال أتدرون ما تقول؟ قالوا لا، قال فإنه يقول: كل حي ميت، وكل جديد بال، وصاح خطاف[٤]، فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا لا، قال: فإنه يقول: قدِّموا خيراً تجدوه، وهدرت حمامة فقال: أتدرون ما تقول؟ قالوا لا، قال: فإنها تقول: سبحان ربي الأعلى (ملء سمائه وأرضه، وصاح قمري[٥]، فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا لا، قال: فإنه يقول: سبحان ربي الأعلى)[٦]، قال: والغراب يدعو[٧] على العشّار، والحدأة تقول: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، والقطاة[٨] تقول: من سكت سلم، والببغاء[٩]: ويلٌ لِمَنِ الدُّنيا هَمُّهُ، والضفدع يقول: سبحان ربِّي القدُّوس، والبازي[١٠] يقول: سبحان ربي وبحمده[١١]. وعن مكحول[١٢] قال: صاح دُرَّاج[١٣] عند سليمان، فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا لا، قال: فإنه يقول: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾[١٤] [طه: ٥].

قوله: «وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ» تؤتى الأنبياء[١٥] والملوك، قال ابن عباس: من أمر الدنيا والآخرة[١٦]. وقال مقاتل: يعني النبوة والملك وتسخير الجن والشياطين

---

(١) في ب: وصاحت.
(٢) الطاووس: طائر حسن الشكل كثير الألوان، يبدو كأنه يعجب بنفسه وبريشه ينشر ذنبه كالطاق، يذكر ويؤنث، والجمع: طواويس وأطواس. المعجم الوسيط (طوس)
(٣) الطيطوى: ضرب من القطا طوال الأرجل. اللسان (طيط).
(٤) الخطاف: هو ضرب من الطيور القواطع، عريض المنقار دقيق الجناح طويله، منتفش الذيل والجمع: خطاطيف. المعجم الوسيط (خطف).
(٥) القمري: ضرب من الحمام مطوق حسن الصوت، والجمع: قمر. والأنثى: قمرية، والجمع: قماري المعجم الوسيط (قمر).
(٦) ما بين القوسين سقط من ب. (٧) في ب: يدعوا.
(٨) القطاة: واحدة القطا، وهو نوع من اليمام، يؤثر الحياة في الصحراء ويتخذ أفحوصه في الأرض، ويطير جماعات، ويقطع مسافات شاسعة، وبيضه مرقط، والجمع: قطا، وقطوات، وقطيات. المعجم الوسيط (قطو).
(٩) الببغاء: طائر من الفصيلة الببغاوية يطلق على الذكر والأنثى، يتميز بمنقار معقوف، وأربع أصابع في كل رجل، وله لسان لحمي غليظ، ومن أشهر أوصافه أنه يحاكي كلام الناس. المعجم الوسيط (ببغ).
(١٠) البازي: جنس من الصقور الصغيرة أو المتوسطة الحجم، من فصيلة العقاب النسرية، تميل أجنحتها إلى القصر، وتميل أرجلها وأذنابها إلى الطول، ومن أنواعه الباشق والبيدق، والجمع: بواز، وبزاة. المعجم الوسيط (بزا).
(١١) انظر البغوي ٦/ ٢٦٤ ـ ٢٦٥. (١٢) تقدم.
(١٣) الدراج: نوع من الطيور يدرج في مشيه. المعجم الوسيط (درج).
(١٤) انظر البغوي ٦/ ٢٦٥. (١٥) الأنبياء: سقط من ب.
(١٦) انظر البغوي ٦/ ٢٦٥.

والريح[١] «إِنَّ هَذَا لَهُوَ الفَضْلُ المُبِينُ»، والمراد بقوله «أُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ» كثرة ما أوتي، لأن كثرة المشاركة سبب لجواز الاستعارة، فلا جرم يطلق لفظ الكل على الكثرة، كقوله: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾[٢] [النمل: ٢٣] وقوله: «إِنَّ هَذَا لَهُوَ الفَضْلُ المُبِينُ»، أي: الزيادة الظاهرة على ما أعطي غيرنا، روي أن سليمان أعطي ملك مشارق الأرض ومغاربها، فملك سبعمائة (سنة)[٣] وستة أشهر، ملك جميع أهل[٤] الدنيا من الجن والإنس والدواب والطير والسباع، وأعطي على ذلك منطق كل شيء، وفي زمانه صنعت الصنائع العجيبة[٥].

فقوله: «إِنَّ هَذَا لَهُوَ الفَضْلُ المُبِينُ» تقرير لقوله: الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا» والمقصود منه: الشكر والمحمدة، كما قال عليه السلام[٦]: أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ ولا فَخْرَ»[٧].

فإن قيل: كيف قال[٨] «عُلِّمنا» و «أُوتِينَا»، وهو كلام المتكبر؟ فالجواب من وجهين:

الأول: أن يريد نفسه وأباه.

والثاني: أن هذه النون يقال لها نون الواحد المطاع، وكان ملكاً مطاعاً[٩].

قوله: «وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ»: وجمع لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير في مسير له، فقوله: «مِنَ الجِنِّ» وما بعده بيان لـ «جنوده» فيتعلق بمحذوف، ويجوز أن يكون هذا الجار حالاً[١٠]، فيتعلق بمحذوف أيضاً.

قوله: «فهم يُوزَعُون» أي: يمنعون ويكفُّون، والوزع: الكف والحبس، يقال: وزعه يزعه فهو وازع وموزوع[١١]، وقال عثمان ـ رضي الله عنه ـ: «مَا يَزَعُ السُّلْطَانُ[١٢] أَكْثَرُ مِمَّا يَزَعُ القُرْآنُ»[١٣]، وعنه: «لاَ بُدَّ لِلقَاضِي مِنْ وَزَعَةٍ»[١٤] وقال الشاعر:

٣٩٣٥ ـ وَمَنْ لَمْ يَزَعْهُ لُبُّهُ وحَيَاؤُهُ فَلَيْسَ لَهُ مِنْ شَيْبِ فَوْدَيْهِ وَازِعُ[١٥]

---

(١) المرجع السابق.
(٢) انظر الفخر الرازي ٢٤/١٨٦.
(٣) سنة: تكملة من البغوي.
(٤) أهل: سقط من ب.
(٥) انظر البغوي ٦/ ٢٦٥ ـ ٢٦٦.
(٦) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٧) أخرجه الترمذي (تفسير) ٤/ ٣٧٠، أبو داود (سنة) ٥/ ٥٤، أحمد ١/ ٢٨١، ١٩٥، ٢٨٣، ١٤٤.
(٨) في ب: قد. وهو تحريف.
(٩) انظر الكشاف ٣/ ١٣٦، الفخر الرازي ٢٤/ ١٨٦.
(١٠) انظر التبيان ٢/ ١٠٠٦.
(١١) انظر اللسان (وزع).
(١٢) في النسختين: الشيطان. والصواب ما أثبته.
(١٣) انظر القرطبي ١٣/ ١٦٨، البحر المحيط ٦/ ٥١، وانظر مجمع الأمثال للميداني ٤/ ٥٢.
(١٤) أي: أعوان يكفونه عن التعدي والشر والفساد. وهذا القول ليس من كلام أمير المؤمنين عثمان بن عفان، وإنما هو من كلام الحسن البصري ـ رضي الله عنه ـ لما ولي القضاء.
انظر غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام ٣/ ٢٢٨، وتفسير ابن عطية ١١/ ١٨٣، القرطبي ١٣/ ١٦٨، اللسان (وزع) البحر المحيط ٧/ ٥١.
(١٥) البيت من بحر الطويل، ولم أهتد إلى قائله، وهو في البحر المحيط ٧/ ٥١، والشاهد فيه قوله: (وازع) فإنه بمعنى الحابس والمانع.

وقوله: «أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُر» بمعنى ألهمني[١] من هذا، لأنَّ تحقيقه: اجعلني من حيث أزع نفسي عن الكفر فقوله: «فَهُمْ يُوزَعُونَ» معناه: يحبسون، وهذا لا يكون إلا إذا كان في كل قبيل منها وازع متسلط على من يرده ويكفه[٢]. قال قتادة: كان كل صنف من جنوده وزعة ترد أولها على آخرها لئلا يتقدموا في المسير[٣]، والوازع: الحابس والنقيب[٤]، وقال مقاتل يوزعون يساقون[٥]، وقال السدي: يوقفون[٦]، وقيل يجمعون[٧].

قوله: «حَتَّى إِذَا» في المُغَيَّا[٨] بـ «حتى» وجهان:

أحدهما: هو «يُوزَعُونَ»، لأنه مضمن معنى فهم يسيرون ممنوعاً بعضهم من مفارقة بعض حتى إذا.

والثاني: أنه محذوف، أي فساروا حتى[٩] وتقدم الكلام في حتى الداخلة على إذا، هل هي حرف ابتداء أو حرف جر[١٠].

قوله: «عَلَى وَادِي» متعلق بـ «أَتَوا»، وإنما عدِّي بـ «عَلَى»، لأنَّ الواقع كذا، لأنهم كانوا محمولين على الريح، فهم مستعلون. وقيل: هو من قولهم: أتيت عليه، أي استقصيته إلى آخره، والمعنى أنهم قطعوا الوادي كله وبلغوا آخره[١١].

ووقف القراء كلهم على «وَادِ» دون ياء اتباعاً للرسم، ولأنها محذوفة لفظاً لالتقاء الساكنين في الوصل، ولأنها قد حذفت حيث لم تحذف لالتقاء الساكنين (نحو ﴿جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ﴾[١٢] [الفجر: ٩] فحذفها وقفاً، وقد عهد حذفها دون التقاء الساكنين)[١٣]، فحذفها عند التقاء الساكنين أولى، إلا الكسائي، فإنه وقف بالياء، قال: لأن الموجب للحذف إنما هو التقاء الساكنين بالوصل، وقد زال، فعادت اللام، واعتذر عن مخالفة الرسم بقوة الأصل[١٤].

والنَّملُ: اسم جنس معروف واحده نملةٌ، ويقال: نُمْلَةٌ ونُمْلٌ بضم النون وسكون الميم، ونُمُلَة ونُمُل بضمّهما[١٥]، ونَمْلَة بالفتح، والضم بوزن سمرة، ونَمُل بوزن رجل، واشتقاقه من: التَّنمُّل، لكثرة حركته، ومنه قيل للواشي: المُنَمِّل، يقال: أَنْمَلَ بين القوم مُنْمِل، أي: وشَى وَنَمَّ؛ لكثرة تردده، وحركته في ذلك[١٦]، قال:

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٨٩.
(٢) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٨٧.
(٣) انظر البغوي ٦/ ٢٦٦.
(٤) انظر اللسان (وزع).
(٥) انظر البغوي ٦/ ٢٦٦.
(٦) المرجع السابق.
(٧) المرجع السابق.
(٨) أي: الذي جعل غاية.
(٩) انظر البحر المحيط ٧/ ٦٠.
(١٠) عند قوله تعالى: ﴿حتى إذا فشلتم﴾ [آل عمران: ١٥٢].
(١١) انظر الكشاف ٣/ ١٣٧.
(١٢) من قوله تعالى: ﴿وثمود الَّذين جابوا الصَّخر بالواد﴾ [الفجر: ٩].
(١٣) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٤) انظر حجة القراءات لأبي زرعة (٥٢٣)، الإتحاف (٣٣٥).
(١٥) في النسختين: بضمها.
(١٦) انظر اللسان (نمل).

٣٩٣٦ ـ وَلَسْتُ بِذِي نَيْرَبٍ فِيهِمُ وَلاَ مُنْمِشٍ مِنهُم مُنْمِلِ[(١)]

ويقال أيضاً: نَمِلَ يَنْمِلُ، فهو نَمِلٌ ونَمَّالٌ، وتَنَمَّلَ القومُ: تفرقوا للجمع تفرُّق النمل، وفي المثل: «أَجْمَعُ مِنْ نَمْلَةٍ»[(٢)] والنَّمْلَةُ أيضاً: قرحةٌ تخرج في الجنب، تشبيهاً بها في الهيئة، والنملة أيضاً شقٌّ في الحافر، ومنه: فرسٌ منمول القوائم، والأَنْمُلَة: طرف الإصبع من ذلك؛ لدقتها وسرعة حركتها. والجمع: أنامل[(٣)].

فصل

قال كعب: كان سليمان إذا سار[(٤)] بعسكره حملته الريح تهوي بهم[(٥)] فسار من اصطخر[(٦)] إلى اليمن، فمرّ على مدينة الرسول ـ ﷺ ـ، فقال سليمان: هذه دار هجرة نبي الله في آخر الزمان، طوبى لمن آمن به، وطوبى لمن اتبعه، ورأى حول البيت أصناماً تعبد من دون الله، فلما جاوز سليمان البيت بكى[(٧)] فأوحى الله إلى البيت: ما يبكيكَ؟ قال: يا رب أبكاني أن هذا نبي من أنبيائك وقوم من أوليائك مروا عليّ فلم يهبطوا ولم يصلوا عندي والأصنام تعبد حولي من دونك، فأوحى الله إليه: لا تبك، فإني سوف أملأك وجوهاً سجداً، وأنزل فيك قرآناً جديداً، وأبعث منك في آخر الزمان أحب أنبيائي إليّ وأجعل فيك عماراً من خلقي يعبدونني، وأفرض على عبادي فريضة يزفون[(٨)] إليك زفيف النسور إلى أوكارها، ويحنون إليك حنين الناقة إلى ولدها والحمامة إلى بيضها، وأطهرك من الأوثان وعبدة الشيطان، ثم مضى سليمان حتى مرّ بوادي السدير من الطائف، فأتى على وادي النمل، هكذا قال كعب إنه واد بالطائف[(٩)]، وقال مقاتل: إنه وادٍ بالشام كثير النمل[(١٠)]، وقيل وادٍ كان يسكنه الجن، وأولئك النمل مراكبهم[(١١)].

قوله: «قَالَتْ نَمْلَةٌ» هذه النملة هنا مؤنثة حقيقة، بدليل لحاق علامة التأنيث فعلها، لأن نملة تطلق على الذكر وعلى الأنثى، فإذا أريد تمييز ذلك قيل: نملة ذكر، ونملة أنثى، نحو: حَمَامَة ويَمَامة. وحكى الزمخشري عن أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ أنه وقف على قتادة وهو يقول: سلوني، فأمر من سأله عن نملة سليمان: هل كانت ذكراً أو[(١٢)]

---

(١) البيت من بحر المتقارب، مجهول القائل. وقد تقدم.

(٢) انظر مجمع الأمثال للميداني ١/ ٣٣٥. (٣) انظر اللسان (نمل).

(٤) في ب: سافر. (٥) بهم: سقط من ب.

(٦) اصطخر: أطلال مدينة إيرانية قديمة. المنجد في الأعلام (٥٢).

(٧) في ب: أبكى.

(٨) الزفيف: الإسراع ومقاربة الخطو، وزف يزف زفاً وزفيفاً وزفوفاً، وزفَّ القوم في مشيهم: أسرعوا. اللسان (زفف).

(٩) انظر البغوي ٦/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧. (١٠) انظر البغوي ٦/ ٢٦٧.

(١١) المرجع السابق. (١٢) في ب: أم.

أنثى، فلم يجب، فقيل لأبي حنيفة في ذلك، فقال: كانت أنثى، واستدل بلحاق العلامة[١].

قال الزمخشري: وذلك أن النملة مثل الحمامة والشاة في وقوعها[٢] على المذكر والمؤنث[٣]، فيميز بينهما بعلامة، نحو قولهم: حمامة ذكر وحمامة أنثى، وهو وهي[٤]، انتهى.

وقد ردَّ هذا أبو حيان، فقال: ولحاق التاء في «قالت» لا يدلّ على أن النملة مؤنثة، بل يصح أن يقال في المذكر: قالت نملة؛ لأن نملة وإن كانت بالتاء هو مما[٥] لا يتميز فيه المذكر من المؤنث، وما كان كذلك كاليمامة والقملة مما بينه في الجمع وبين واحده تاء التأنيث من الحيوان، فإنه يخبر عنه[٦] إخبار المؤنث، (ولا يدل كونه يخبر عنه إخبار المؤنث)[٧] على أنه ذكر أو أنثى، لأن التاء دخلت فيه للفرق لا للدلالة على التأنيث الحقيقي، بل دالة على الواحد من هذا الجنس، قال: وكان قتادة بصيراً بالعربية، وكونه أفحم يدل على معرفته باللسان إذ علم أن النملة يخبر عنها إخبار المؤنث وإن كانت تنطلق على الأنثى والذكر[٨] إذ لا[٩] يتميز فيه أحد هذين، ولحاق العلامة لا يدل، فلا يعلم التذكير والتأنيث إلا بوحي من الله، قال: وإنما استنباط[١٠] تأنيثه من كتاب الله[١١] بـ «قالت»[١٢]، ولو كان ذكراً لقيل: «قال» فكلام النحاة على خلافه، وأنه لا يخبر عنه إلا إخبار المؤنث، سواء كان ذكراً أم أنثى.

قال: وأما تشبيه الزمخشري النملة بالحمامة والشاة، فبينهما قدر مشترك يتميز فيهما المذكر من المؤنث فيمكن أن تقول[١٣]: حمامة ذكر، وحمامة أنثى فتميزه بالصفة، وأما تميزه بـ[١٤] «هو» و «هي» فإنه لا يجوز، لا تقول هو الحمامة، ولا هو الشاة، وأما النملة والقملة فلا[١٥] يتميز فيه[١٦] المذكر من المؤنث، ولا يجوز فيه[١٧] في الإخبار إلا التأنيث وحكمه حكم المؤنث بالتاء من الحيوان نحو: المرأة، أو[١٨] غير العاقل كالدابة، إلا إن وقع فصل بين الفعل وبين ما أسند إليه من ذلك، فيجوز أن تلحق العلامة وأن لا تلحقها، على ما تقرر في علم العربية[١٩]. انتهى.

---

(١) الكشاف ٣/ ١٣٧. بتصرف.
(٢) في ب: وقوعهما.
(٣) في ب: على الذكر والأنثى.
(٤) الكشاف ٣/ ١٣٧.
(٥) في ب: ما.
(٦) في ب: غير. وهو تحريف.
(٧) ما بين القوسين سقط من ب.
(٨) في ب: الذكر والأنثى.
(٩) في ب: ولا.
(١٠) في ب: استنبط.
(١١) في ب: الله تعالى.
(١٢) بقالت: سقط من ب.
(١٣) في ب: أن يقال.
(١٤) بـ: سقط من ب.
(١٥) في ب: و.
(١٦) في ب: فيهما.
(١٧) فيه: تكملة من البحر المحيط.
(١٨) في ب: و.
(١٩) البحر المحيط ٧/ ٦١.

قال شهاب الدين: أما ما ذكره ففيه نظر، من حيث[١] إن التأنيث إما لفظي أو معنوي[٢]، واللفظي[٣] لا يعتبر (في لحاق العلامة)[٤] البتة، بدليل أنه لا يجوز (قامت رَبْعَةٌ وأنت تعني رجلاً، وكذلك)[٤] لا يجوز: قامت طلحة، ولا حمزة ـ على مذكر ـ فتعين أن يكون اللحاق إنما هو للتأنيث المعنوي، وإنما يعتبر لفظ التأنيث والتذكير في باب العدد على معنى خاص أيضاً، وهو أنا ننظر[٥] إلى ما عاملت العرب ذلك اللفظ به من تذكير أو تأنيث من غير نظر إلى مدلوله، فهناك له هذا الاعتبار وتحقيقه هنا يخرجنا عن المقصود وإنما نبهتك على[٦] القدر المحتاج إليه.

وأما قوله: وأما النملة والقملة فلا يتميَّز، يعني لا يتوصَّلُ لمعرفة الذكر منهما ولا الأنثى بخلاف الحمامة والشاة، فإن الاطلاع على ذلك[٧] ممكن، فهو أيضاً ممنوع إذ[٨] قد يمكن الاطلاع على (ذلك، وأن الاطلاع على ذكورية الحمامة والشاة أسهل من الاطلاع على)[٩] ذكورية النملة والقملة، ومنعه أيضاً أن يقال هو الشاة وهو الحمامة ممنوع[١٠].

وقرأ الحسن وطلحة ومعتمر[١١] بن سليمان: «النَّمُلُ» و «نَمُلَة» بضم الميم وفتح النون[١٢] بزنة[١٣] رجل وسمرة، وسليمان التيمي[١٤] بضمتين فيهما[١٥]، وتقدم أن ذلك لغات في الواحد والجمع. قوله: «لاَ يَحْطِمَنَّكُم»، فيه وجهان:

أحدهما: أنه نهي.

والثاني: أنه جواب للأمر[١٦].

وإذا كان نهياً ففيه وجهان:

أحدهما: أنه نهي مستأنف لا تعلق له بما قبله من حيث الإعراب، وإنما هو نهي للجنود في اللفظ، وفي المعنى للنمل، أي لا تكونوا بحيث يحطمونكم، كقولهم: لا أَرَيَنَّك هٰهُنَا[١٧].

---

(١) في ب: حين.
(٢) المقصود به الحقيقي.
(٣) في ب: فاللفظي.
(٤) ما بين القوسين سقط من ب.
(٥) في ب: أن نظر.
(٦) في ب: عن.
(٧) أي: على ذكورة وأنوثة.
(٨) إذ: تكملة ليست في المخطوط.
(٩) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٠) الدر المصون ٥/ ١٨٢ ـ ١٨٣.
(١١) في النسختين: معمر. والصواب ما أثبته.
(١٢) المختصر (١٠٨)، البحر المحيط ٧/ ٦١.
(١٣) في ب: بوزنة. وهو تحريف.
(١٤) هو سليمان بن قتة التيمي، مولاهم البصري، ثقة، عرض على ابن عباس، وعرض عليه عاصم الجحدري. طبقات القراء ١/ ٣١٤.
(١٥) المحتسب ٢/ ١٣٧، البحر المحيط ٧/ ٦١.
(١٦) وضعفه أبو البقاء لأن جواب الأمر لا يؤكد بالنون في الاختيار. التبيان ٢/ ١٠٠٦.
(١٧) انظر البحر المحيط ٧/ ٦١.

والثاني: أنه بدل من جملة الأمر قبله، وهي «اذْخُلُوا»، وقد تعرض الزمخشري لذلك[١]، فقال[٢]: فإن قلت: لا يحطمنكم ما هو؟ قلت يحتمل أن يكون جواباً للأمر، وأن يكون نهياً بدلاً من الأمر، والذي جوَّز أن يكون بدلاً منه أنه[٣] في معنى: لا تكونوا حيث أنتم فيحطمنكم[٤]، على طريقة: لاَ أَرَيَنَّكَ هٰهُنَا، أرادت: لا يحطمنكم جنود سليمان، فجاءت بما هو أبلغ، ونحوه[٥]:

٣٩٣٧ ـ عَجِبْتُ مِن نَفْسِي وَمِنْ إشْفَاقِهَا[٦]

قال أبو حيان: أما تخريجه على أنه جواب الأمر، فلا يكون ذلك إلا على قراءة الأعمش، فإنه مجزوم مع أنه يحتمل أن يكون استئناف نهي[٧] يعني أن الأعمش قرأ: «لا يَحْطِمْكُمْ» بجزم الميم دون نون توكيد، قال: وأما مع وجود نون التوكيد فلا يجوز ذلك إلا إن كان في شعر، وإذا لم يجز ذلك في جواب الشرط إلا في الشعر فأحرى أن لا يجوز في جواب الأمر إلا في الشعر، وكونه جواب الأمر متنازع فيه على ما قرر في علم النحو. ومثال مجيء النون في جواب الشرط قول الشاعر:

٣٩٣٨ ـ نَبَتُّمْ نَبَاتَ[٨] الخَيْزُرَانَةِ[٩] في الثَّرَى[١٠] ... حَدِيثاً مَتَى مَا يَأْتِكَ الخَيْرُ يَنْفَعَا[١١]

وقول الآخر:

٣٩٣٩ ـ فَمَهْمَا تَشَأْ مِنْهُ فَزَارَةُ تُعْطِكُمْ ... وَمَهْمَا تَشَأْ مِنْهُ فَزَارَةُ تَمْنَعَا[١٢]

---

(١) في ب: كذلك وهو تحريف.
(٢) الكشاف ٣/ ١٣٧ ـ ١٣٨.
(٣) في النسختين: أن يكون نهياً بدلاً من الأمر لأنه. والتصويب من الكشاف.
(٤) في ب: يحطمنكم.
(٥) ونحوه: مكرر في ب.
(٦) رجز لم أهتد إلى قائله، وهو في الكشاف ٣/ ١٣٨، البحر المحيط ٧/ ٦٢، شرح شواهد الكشاف (١٣٧). وأتى به شاهداً على المبالغة في قوله: من نفسي ومن إشفاقها. وكان وجه الكلام أن يقول: من إشفاق نفسي.
(٧) في البحر المحيط: نفي. البحر المحيط ٧/ ٦٢.
(٨) في ب: بيان.
(٩) في ب: الخيزوانة.
(١٠) في ب: في البرى.
(١١) البيت من بحر الطويل قاله النجاشي، وهو في الكتاب ٣/ ٥١٥، المقاصد النحوية ٤/ ٣٤٤، الهمع ٢/ ٧٨، الأشموني ٣/ ٢٢٠، الخزانة ١١/ ٣٩٥، الدرر ٢/ ٩٧. وروي: (الخيزراني) مكان (الخيزرانة). الخيزراني: كل نبت ناعم. وأراد بالخير المال. والشاهد فيه قوله: (ينفعا) فإن أصله (ينفعن) بنون التوكيد الخفيفة، ثم أبدل منها الألف في الوقف، وهذا لا يجوز إلا في ضرورة الشعر، لأنَّ جواب الشرط لا يؤكد بالنون، لأنه خبر يجوز فيه الصدق والكذب، ولكنه أكد تشبيهاً بالنهي حين كان مجزوماً غير واجب.
(١٢) البيت من بحر الطويل، نسبه سيبويه إلى ابن الخرع، وهو عوف بن الخرع، وينسب أيضاً إلى الكميت بن ثعلبة، وهو في الكتاب ٣/ ٥١٥، المقاصد النحوية ٤/ ٣٣٠، التصريح ٢/ ٣٠٦، الهمع ٢/ ٧٩، الأشموني ٢/ ٢٠٢، الخزانة ١١/ ٣٨٧، الدرر ٢/ ١٠٠، والشاهد فيه قوله: (تمنعا)، والكلام فيه كالكلام في سابقه.

قال سيبويه: وهو قليل في الشعر شبهوهُ بالنهي حيث كان مجزوماً غير واجب[١]، قال: وأما تخريجه على البدل فلا يجوز، لأن مدلول «لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ» مخالف لمدلول «ادخُلُوا»، وأما قوله: لأنه بمعنى لا تكونوا حيث أنتم فيحطمنكم[٢]، فتفسير معنى لا إعراب، والبدل من صفة الألفاظ، نعم لو كان اللفظ القرآني: لا تكونوا بحيث لا يحطمنكم، لتُخُيِّل فيه البدل، لأن الأمر بدخول المساكن نهي عن كونهم بظاهر الأرض.

وأما قوله: إنه أراد لا يحطمنكم جنود سليمان إلى آخره، فيسوغ زيادة الأسماء، وهو[٣] لا يجوز، بل الظاهر إسناد الحطم[٤] إلى جنوده، وهو على حذف مضاف، أي: خيل سليمان وجنوده، إو نحو ذلك مما يصح تقديره[٥]، انتهى.

أما منعه كونه جواب الأمر من أجل النون، فقد سبقه إليه أبو البقاء، فقال: وهو ضعيف، لأن جواب الشرط لا يؤكد بالنون في الاختيار[٦]. وأما منعه البدل بما ذكر فلا نسلم تغاير المدلول بالنسبة لما يؤول إليه المعنى. وأما قوله: فيسوغ زيادة الأسماء فهو[٧] لم يسوغ ذلك، وإنما فسر المعنى ـ وعلى تقدير ذلك ـ فقد قيل به شائعاً[٨]. وجاء الخطاب في قولها «ادخلوا» كخطاب العقلاء لما عوملوا معاملتهم[٩]. وقرأ أُبَيّ: «ٱدْخُلْنَ مَساكِنَكُنَّ لاَ يَحْطمنَّكُن»[١٠] ـ بالنون الخفيفة ـ جاء به على الأصل. وقرأ شهر بن حوشب[١١]: «مَسْكَنَكم» بالإفراد[١٢] وقرأ الحسن وأبو رجاء وقتادة وعيسى الهمداني بضم الياء وفتح الحاء وتشديد الطاء والنون مضارع حطمه بالتشديد[١٣]. وقرأ الحسن أيضاً قراءتان: فتح الياء وتشديد الطاء مع سكون الحاء وكسرها[١٤] والأصل: لا يَحطمَنَّكُمْ، فأدغم وإسكان الحاء مشكل تقدم نظيره في «لا يَهِدِّي»[١٥] ونحوه، وقرأ ابن أبي إسحاق ويعقوب وأبو عمرو في رواية بسكون نون التوكيد[١٦]. والحطم: الكسرُ،

(١) الكتاب ٣/ ٥١٥.

(٢) في البحر المحيط: فيحطمنكم. وفي ب: فتحطموا.

(٣) في ب: وهي.

(٤) في النسختين: الحكم. والتصويب من البحر المحيط.

(٥) البحر المحيط ٧/ ٦٢.

(٦) التبيان ٢/ ١٠٠٦.

(٧) فهو: تكلمة ليست في المخطوط.

(٨) أي: إبدال الفعل من الفعل متى استقام ذلك من جهة المعنى.

(٩) انظر التبيان ٢/ ١٠٠٦.

(١٠) في ب: لا يحطمنكم. وفي البحر الميحط: «ادخلن مساكنكن لا يحطمنكم» ٧/ ٦١ وفي تفسير ابن عطية: (وفي مصحف أبي «لا يحطمنكم» مخففة النون التي قبل الكاف) ١١/ ١٨٧.

(١١) شهر بن حوشب، أبو سعيد الأشعري الشامي، ثم البصري، تابعي، مشهور عرض عليه أبو نهيك علباء بن أحمد، مات سنة ١٠٠هـ، وقيل غير ذلك. طبقات القراء ١/ ٣٢٩.

(١٢) المختصر (١٠٨)، البحر المحيط ٧/ ٦١. (١٣) المرجعان السابقان.

(١٤) البحر المحيط ٧/ ٦١، وفي المختصر لم ينص على سكون الحاء (١٠٨)، وفي المحتسب بفتح الياء والحاء وتشديد الطاء والنون، وروي عنه بكسر الحاء ٢/ ١٣٧.

(١٥) من قوله تعالى: ﴿أَمَّن لا يهدِّي إلاَّ أن يُهْدَى﴾ [يونس: ٣٥]. انظر اللباب ٤/ ٢٩١ ـ ٢٩٢.

(١٦) في السبعة قال ابن مجاهد: (وقرأ عبيد عن أبي عمرو «لا يحطمنكم» ساكنة النون. وهو غلط) (٤٧٩)=

يقال منه: حطمتُه، ثم استعمل لكل كسر معناه، والحطام: ما تكسر يبساً[١] وغلب على الأشياء التافهة، والحُطَم: السائق السريع، كأنه يحطم الإبل[٢]، قال:

٣٩٤٠ ـ قَدْ لَفَّهَا اللَّيلُ بسواقٍ حُطَمْ لَيْسَ بِرَاعِي إِبِلٍ وَلاَ غَنَمْ
ولا بِجَزَّارٍ ظَهْرِ وَضَمْ[٣]

والحُطَمَة: من دركات النار، ورجل حُطَمَةٌ للأكول[٤]، تشبيهاً لبطنه بالنار[٥]، كقوله:

٣٩٤١ ـ كَأَنَّمَا فِي جَوْفِهِ تَنُّورُ[٦]

وقوله: «وهُمْ لا يشعُرُونَ» جملة حالية[٧].

فصل

قال الشعبي: كانت تلك النملة ذات جناحين[٨]، فنادت «يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ٱدْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ»، ولم تقل: ادخلن، لأنها لما جعلت لهم قولاً كالآدميين خوطبوا بخطاب الآدميين[٩]، «لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ» لا يكسرنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون، فسمع[١٠] سليمان قولها، وكان لا يتكلم خلق إلا حملت الريح ذلك فألقته في مسامع سليمان. فإن قيل: كيف يتصور الحطم من سليمان وجنوده، وكانت الريح تحمل سليمان وجنوده على بساط بين السماء والأرض؟ قيل: كانت جنوده ركباناً وفيهم مشاة على الأرض تطوى بهم، وقيل يحتمل أن يكون هذا قبل تسخير الله الريح لسليمان. وقال المفسرون: علم النمل أن سليمان نبي ليس فيه جبرية ولا[١١] ظلم، ومعنى الآية: أنكم لو لم تدخلوا

= وفي الهامش: قال أبو علي الفارسي معلقاً على قول ابن مجاهد: إن هذه القراءة غلط؛ يريد أنها غلط من طريق الرواية لا أنها لا تتجه في العربية.

(١) في ب: يعساً. (٢) انظر اللسان (حطم).

(٣) رجز يروى للحطم القيسّي، أو أبي زغبة الخزرجي، أو رشيد بن رميض العنزيّ. وهو في الكتاب ٣/ ٢٢٣، المقتضب ٢/ ١٩٣، ٣/ ٣٢٣، الكامل ٢/ ٤٩٤، ٤٩٩، ٣/ ١٢٣٠، المخصص ٥/ ٢٢، ابن يعيش ٦/ ١١٣، اللسان (حطم). الحطم: الشديد السوق للإبل، كأنه يحطم ما مر عليه لشدة سوقه. وهو موطن الشاهد هنا. الوضم: كل ما قطع عليه اللحم.
وفيه شاهد آخر، وهو نعت (سواق) بـ (حطم)، لأنه نكرة، وليس بمعدول عن فاعل إلا في باب المعرفة، نحو: عمر وزفر.

(٤) في ب: أي: أكول. (٥) انظر اللسان (حطم).

(٦) شطر بيت لم أعثر له على سابق أو لاحق، ولم أهتد إلى قائله، وهو في المفردات في غريب القرآن (١٢٣).

(٧) انظر البحر المحيط ٧/ ٦٢. (٨) انظر البغوي ٦/ ٢٦٧.

(٩) المرجع السابق. (١٠) من هنا نقله ابن عادل عن البغوي ٦/ ٢٦٧.

(١١) لا: سقط من ب.

مساكنكم وطئوكم ولم يشعروا بكم، وروي أن سليمان لما دخل[١] وادي النمل حبس جنده، حتى دخل النمل بيوتهم[٢]. قال أهل المعاني: في كلام هذه النملة أنواع من البلاغة: نادت، ونبّهت، وسمت، وأمرت، ونصت، وحذرت، وخصت، وعمت، وأشارت، وأعذرت[٣]، ووجهه: نادت: «يا» نبهت: «ها»[٤] سمت: «النمل»، أمرت «ادخلوا»، نصت: «مساكنكم»، حذرت: «لا يحطمنكم»، خصت: «سليمان»، عمت: و[٥] «جنوده»، أشارت: «وَهُمْ»، أعذرت: «لا يشعرون».

قوله: «ضاحكاً» قيل: هي حال مؤكدة[٦] لأنها مفهومة من (تبسم)، وقيل: بل هي حال مقدرة، فإن التبسم ابتداء الضحك، وقيل: لما كان التبسم قد يكون للغضب، ومنه: تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الغضبان، أي تضاحكاً مسبباً له، قال عنترة:

٣٩٤٢ ـ لَمَّا رَآنِي قَدْ قَصَدْتُ أُرِيدُهُ أَبْدَىٰ نَوَاجِذَهُ لِغَيْرِ تَبَسُّمِ[٧]

وتبسَّم: تَفَعَّلَ بمعنى بَسَمَ المجرّد، قال:

٣٩٤٣ ـ وَتَبْسِمُ عَنْ أَلْمَىٰ كَأَنَّ مُنَوَّراً تَخَلَّلَ حُرَّ الرَّمْلِ دِعْصٌ لَهُ نَدِي[٨]

وقال بعض المولدين:

٣٩٤٤ ـ كَأَنَّمَا تَبْسِمُ عَنْ لُؤْلُؤٍ مُنَضَّدٍ أَوْ بَرَدٍ أَوْ أَقَاحِ[٩]

وقرأ ابن السميفع: «ضحكاً» مقصوراً[١٠]، وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه مصدر مؤكد معنى تبسم، لأنه بمعناه[١١].

---

(١) في ب: بلغ.
(٢) آخر ما نقله هنا البغوي ٦/ ٢٦٧.
(٣) وأعذرت: سقط من ب.
(٤) في ب: ما.
(٥) في ب: وعمت.
(٦) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/ ١١٢، التبيان ٢/ ١٠٠٦.
(٧) البيت من بحر الكامل، وهو من معلقة عنترة، وهو في شرح السبع الطوال لابن الأنباري (٣٥٠)، الحماسة البصرية ٢/ ٧٩، يقول: ليس إبداؤه نواجذه للضحك إنما لكراهة منه وخشية من الموت. وهذا موطن الشاهد.
(٨) البيت من الطويل، وهو من معلقة طرفة بن العبد، وهو في ديوانه (٢١) والسبع الطوال ١٤٣ ـ ١٤٤، اللسان (لما)، البحر المحيط ٧/ ٥١. قوله: عن ألمى: أي عن ثغر ألمى، فاكتفى بالنعت عن المنعوت. الألمى: أسمر الشفتين. المنور: النبات ذو الزهر. حرُّ الرمل: أحسنه لونا، الدِّعص: كثيب الرمل. النَّدي: الذي في أسفله الماء. والشاهد فيه قوله: (تبسم). فإنه من الثلاثي (بسم) وهو بمعنى (تبسَّم).
(٩) البيت من بحر السريع، قاله البحتري، وهو في ديوانه ١/ ٤٣٥، المصون (٧٩)، معاهد التنصيص ١/ ١٦٤، المنضّد: المنظم. البرد: حبيبات الثلج النازلة عن الغمام. الأقاح: جمع أقحوان، وهو نوع من الورود. والشاهد فيه قوله: (تبسم) فإنه من الثلاثي (بسم).
(١٠) المحتسب ٢/ ١٣٩، البحر المحيط ٧/ ٦٢.
(١١) المرجعان السابقان.

والثاني: أنه في موضع الحال، فهو في المعنى كالذي قبله[١].

الثالث: أنه اسم فاعل كفرح، وذلك لأن فعله على فَعِل بكسر العين، وهو لازم، فهو كفرح وبطِر[٢]. قوله: «أن أشكر» مفعول ثان لـ «أوزعني»، لأن معناه: ألهمني، وقيل[٣] معناه: اجعلني أزع شكر نعمتك، أي: أكفه وأمنعه حتى لا ينفلت مني، فلا أزال شاكراً[٤]، وتفسير الزجاج له بامنعني أن أكفر نعمتك[٥] من باب تفسير المعنى باللازم.

فصل

قال الزجاج أكثر ضحك الأنبياء التبسم[٦]، وقوله: «ضاحكاً» أي: مبتسماً، وقيل: كان أوله التبسم وآخره الضحك[٧]، قال مقاتل: كان ضحك سليمان من قول النملة تعجباً، لأن الإنسان إذا رأى ما لا عهد له به تعجب وضحك[٨]، وإنما ضحك لأمرين:

أحدهما: إعجابه بما دل من قولها على ظهور رحمته ورحمة جنوده وعلى شهرة حاله وحالهم في التقوى، وهو قولها: «وهم لا يشعرون».

والثاني: سروره بما آتاه الله ما له يؤت أحداً، من سمعه كلام النملة وإحاطته بمعناه[٩]. ثم حمد سليمان ربه على ما أنعم عليه، فقال: «رَبِّ أَوْزِعْنِي» ألهمني. «أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ».

وهذا يدل على أن دخول الجنة برحمته وفضله، لا باستحقاق العبد[١٠]، والمعنى: أدخلني في جملتهم، وأثبت اسمي في أسمائهم واحشرني في زمرتهم، قال ابن عباس: يريد مع إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ومن بعدهم من النبيين[١١]. فإن قيل: درجات الأنبياء أفضل من درجات الأولياء والصالحين، فما السبب في أن الأنبياء يطلبون جعلهم من الصالحين، فقال يوسف[١٢]: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١]، وقال سليمان: «وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ»؟.

فالجواب: الصالح الكامل هو الذي لا يعصي الله ولا يهم بمعصية، وهذه درجة عالية[١٣].

---

(١) انظر البحر المحيط ٧/ ٦٢.
(٢) انظر التبيان ٢/ ١٠٠٦.
(٣) في ب: وفعل. وهو تحريف.
(٤) انظر الكشاف ٣/ ١٣٨.
(٥) انظر معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١١٢ ـ ١١٣.
(٦) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١١٢.
(٧) انظر البغوي ٦/ ٢٦٨.
(٨) المرجع السابق.
(٩) انظر الكشاف ٣/ ١٣٨، الفخر الرازي ٢٤/ ١٨٨.
(١٠) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٨٨.
(١١) انظر البغوي ٦/ ٢٦٨.
(١٢) في النسختين: إبراهيم. والتصويب من الفخر الرازي.
(١٣) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٨٨.

قوله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ﴾ الآية «تَفَقَّدَ الطَّيْرَ»: طلبها وبحث عنها، والتفقد طلب ما فقد، والمعنى طلب ما فقد من الطير، واختلفوا فيما تفقده من أجله، فقيل: لأنه أخل بالنوبة التي كان ينوبها(١)، وقيل: لأن هندسة الماء كانت لديه، وكان يرى الماء تحت الأرض كما يرى في الزجاجة وكان يعرف قربه وبعده في عمق الأرض(٢). قال سعيد بن جبير: لما ذكر ابن عباس هذا قال له نافع بن الأزرق: يا وصاف، انظر ما يقول: إن الصبي منا يضع الفخ ويحثو عليه التراب، فيجيء الهدهد ولا يبصر الفخ، حتى يقع في عنقه، فقال له ابن عباس: ويحك إذا نزل القضاء والقدر ذهب اللب وعمي البصر(٣)، وهذا القول فيه نظر، لأن الجن أعرف بالأرض من الهدهد، فإنهم سكانها، وقيل: لأنه كان يظله من الشمس(٤).

قوله: «مَا لِيَ(٥) لاَ أَرَى الهُدْهُد»، هذا استفهام توقيف(٦) ولا حاجة إلى ادعاء القلب وأن الأصل: ما للهدهد لا أراه(٧)؟ إذ المعنى قوي دونه، والهدهد معروف، وتصغيره على هديهد، وهو القياس، وزعم بعض النحويين أنه تقلب ياء تصغيره ألفاً، فيقال: هداهد، وأنشد:

٣٩٤٥ ـ كَهُدَاهِدٍ كَسَرَ الرُّمَاةُ جَنَاحَهُ ... يَدْعُو بِقَارِعَةِ الطَّرِيقِ هَدِيلا(٨)

كما قالوا: دُوَابَّة وشُوَابَّة، في: دُوَيْبَة وشُوَيْبَة، ورده بعضم بأن الهداهد الحمام الكثير ترجيع الصوت(٩). تزعم العرب أن جارحاً في زمن الطوفان اختطف فرخ حمامة

---

(١) انظر الفخر الرازي ٢٤/١٨٩.
(٢) انظر البغوي ٦/٢٦٩.
(٣) المرجع السابق.
(٤) انظر الفخر الرازي ٢٤/١٨٩.
(٥) لي: سقط من ب.
(٦) يريد استفهاماً حقيقيًا يقصد منه السؤال عما يسأل عنه.
(٧) انظر القرطبي ١٣/١٧٩.
(٨) البيت من بحر الكامل، قاله النميري، وهو في الخصائص ٢/٩٥، المفضليات (٤٥٧) المقرب (٤٣٦)، جمهرة القرشي (١٧٥)، اللسان (هدد، هدل)، البحر المحيط ٧/٥١. الهديل المراد به هنا صوت الهدهد. والشاهد فيه أن (هداهد) تصغير (هدهد) بقلب ياء التصغير ألفاً.
(٩) انظر المقرب (٤٣٦ ـ ٤٣٧)، اللسان (هدد).

تسمى الهديل، قالوا: فكل حمامة تبكي فإنما تبكي على الهديل[١].

قوله: «أم كان»، هذه «أم» المنقطعة، وتقدم الكلام فيها، وقال ابن عطية: قوله: «مَا لِيَ لاَ أَرى الهُدْهُد» مقصد الكلام: الهدهد غاب، ولكنه أخذ اللازم عن مغيبه وهو أن لا يراه، فاستفهم على جهة التوقيف[٢] عن اللازم، وهذا ضرب من الإيجاز، والاستفهام الذي في قوله «مَا لِيَ» ناب مناب الألف التي تحتاجها «أم»[٣]، قال أبو حيان: فظاهر كلامه أن «أم» متصلة، وأن الاستفهام الذي في قوله: «ما لي» ناب مناب ألف الاستفهام، فمعناه: أغاب عني الآن فلم أره حال التفقد أم كان ممن غاب قبل، ولم أشعر بغيبته؟[٤].

قال شهاب الدين: ولا يظن بأبي محمد[٥] ذلك، فإنه لا يجهل أن شرط المتصلة تقدم همزة الاستفهام أو التسوية لا مطلق الاستفهام[٦].

قوله: «عذاباً»، أي تعذيباً، فهو اسم مصدر أو مصدر على حذف الزوائد كـ ﴿أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾ [نوح: ١٧]، وقد كتبوا: «أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ» بزيادة ألف بين لام ألف والذال، ولا يجوز أن تُقْرَأ بها، وهذا كما تقدم أنهم كتبوا: ﴿وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ﴾ [التوبة: ٤٧] بزيادة ألف بين لام ألف والواو[٧].

قوله: «أو لَيَأْتِيَنِّي»، قرأ ابن كثير بنون التوكيد المشددة بعدها نون الوقاية، وهذا هو الأصل، واتبع مع ذلك رسم مصحفه، والباقون بنون مشددة فقط[٨]، والأظهر أنها نون التوكيد الشديدة، توُصِّلَ بكسرها لياء المتكلم، وقيل: بل هي نون التوكيد الخفيفة أدغمت في نون الوقاية، وليس بشيء لمخالفة الفعلين قبله، وعيسى بن عمر بنون مشددة مفتوحة لم يصلها بالياء[٩].

فصل

قال المفسرون: معنى الآية: ما للهدهد لا أراه، تقول العرب: ما لي أراك كئيباً؟ فقال: ما لي لا أرى الهدهد، على تقدير أنه مع جنوده وهو لا يراه، ثم أدركه الشك في غيبته فقال: أم كان من الغائبين، يعني أكان من الغائبين؟ والميم صلة[١٠]، وقيل: أم

---

(١) انظر اللسان (هدل).
(٢) في ب: الوقف.
(٣) تفسير ابن عطية ١١/ ١٨٩.
(٤) البحر المحيط ٧/ ٦٤.
(٥) تفسير ابن عطية ١١/ ١٨٩.
(٦) الدر المصون ٥/ ١٨٥.
(٧) انظر تأويل مشكل القرآن (٥٨).
(٨) السبعة (٤٧٩)، الكشف ٢/ ١٥٤ ـ ١٥٥، النشر (٣٣٧)، الإتحاف (٣٣٥).
(٩) قال ابن خالويه: (أوليأتينَّن بسلطان عيسى بن عمر) المختصر (١٠٨ ـ ١٠٩) وما ذكره المؤلف في البحر المحيط ٧/ ٦٥.
(١٠) انظر البغوي ٦/ ٢٦٩.

بمعنى بل، ثم أوعد على غيبته، فقال: «لأعذبنه عذاباً شديداً»، فقيل: بنتف ريشه ووضعه لهوام الأرض، وقيل: بحبسه في القفص، وقيل: بأن يفرق بينه وبين إلفه، وقيل: بحبسه مع ضده، «أو لأذبحنّه أو ليأتيني بسلطان مبين» حُجّة ظاهرة(١).

قوله: «فَمَكَثَ» قرأ عاصم بفتح الكاف، والباقون بضمها(٢)، وهما لغتان، إلا أن الفتح أشهر، ولذلك جاءت الصفة(٣) على ماكث، دون مكيث(٤)، واعتذر عنه بأن فاعلاً قد جاء لفَعُل بالضم، نحو: حَمُضَ فهو حامض، وخَثُر فهو خاثر، وفَرُهَ فهو فاره.

قوله: «غَيْرَ بعِيدٍ»، يجوز أن يكون صفة للمصدر، أي مكثاً غير بعيد، وللزمان أي: زماناً غير بعيد(٥)، وللمكان أي: مكاناً غير بعيد(٦)، والظاهر أن الضمير في مكث للهدهد(٧)، وقيل: لسليمان(٨) ـ عليه السلام(٩) ـ فقال: «أَحطت بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ»، والإحاطة: العلم بالشيء من جميع جهاته، يقول: علمت ما لم تعلم، وبلغت ما لم تبلغه أنت ولا جنودك.

قوله: «مِنْ سَبَأ»، قرأ البزّيّ(١٠)، وأبو عمرو بفتح الهمزة(١١)، جعلاه اسماً للقبيلة أو البقعة، فمنعاه من الصرف للعلمية والتأنيث، وعليه قوله:

٣٩٤٦ ـ مِنْ سَبَأَ الحَاضِرِينَ مَأْرِبَ إِذْ ... يَبْنُونَ مِنْ دُون سَيْلِهِ العَرِمَا(١٢)

وقرأ قُنْبُل بسكون الهمزة(١٣)، كأنه نوى الوقف وأجرى الوصل مجراه، والباقون بالجر والتنوين(١٣)، جعلوه اسماً للحيِّ أو المكان، وعليه قوله:

٣٩٤٧ ـ الوَارِدُونَ وَتَيْمٌ فِي ذُرَىٰ سَبَإٍ ... قَدْ عَضَّ أَعْنَاقَهُمْ جِلْدُ الجَوَامِيسِ(١٤)

---

(١) المرجع السابق ٦/ ٢٧٠.
(٢) السبعة (٤٨٠)، الكشف ٢/ ١٥٥، النشر (٣٣٦)، الإتحاف (٣٣٥).
(٣) يقصد اسم الفاعل من هذا الفعل.
(٤) انظر الكشف ٢/ ١٥٥.
(٥) انظر البيان ٢/ ٢٢٠.
(٦) انظر التبيان ٢/ ١٠٠٦.
(٧) انظر البحر المحيط ٧/ ٦٥.
(٨) انظر تفسير ابن عطية ١١/ ١٩٠، القرطبي ١٣/ ١٨٠.
(٩) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٠) في الأصل: اليزيدي.
(١١) السبعة (٤٨٠)، الكشف ٢/ ١٥٥، النشر (٣٣٧)، الإتحاف (٣٣٥).
(١٢) البيت من بحر المنسرح، قاله النابغة الجعدي، وهو في الكتاب ٣/ ٢٥٣، الكشاف ٣/ ١٣٩، تفسير ابن عطية ١١/ ١٩١، الإنصاف ٢/ ٥٠٢، القرطبي ١٣/ ١٨١، اللسان (سبأ، عرم).
(١٣) السبعة (٤٨٠)، الكشف ٢/ ١٥٥، النشر (٣٣٧)، الإتحاف (٣٣٥ ـ ٣٣٦).
(١٤) البيت من بحر البسيط، قاله جرير في هجاء عمرو بن لجأ التيمي، وهو في معاني القرآن للفراء ٢/ ١٣٩، تفسير ابن عطية ١١/ ١٩١، أمالي ابن الشجري ٢/ ٣٨، ٣٤٣، القرطبي ١٣/ ١٨١، البحر المحيط ٧/ ٦٦ معنى: (عض أعناقهم جلد الجواميس): أن الجلود المصنوعة من جلد الجواميس قد أثرت في أعناقهم.
والشاهد فيه هنا أن (سبأ) جعل اسماً للحي أو المكان، ولهذا صرف.

وهذا الخلاف جارٍ بعينه في سورة سبأ[١].

وفي قوله: «مِنْ سَبَأٍ بِنَبَأٍ» فيه من البديع التجانس، وهو: تجنيس التصريف، وهو عبارة عن انفراد كل كلمة من الكلمتين عن الأخرى بحرف[٢] كهذه الآية، ومثله: «تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ»[٣].

وفي الحديث: «الخَيْلُ مَعْقُود بِنَواصِيهَا الخَيْرُ»[٤]، وقال آخر:

٣٩٤٨ ـ لِلَّهِ مَا صَنَعَتْ بِنَا ... تِلْكَ المَعَاجِرُ وَالمَحَاجِرْ[٥]

وقال الزمخشري: وقوله «مِنْ سَبَأٍ بِنَبَأٍ» من جنس الكلام الذي سماه المحدثون[٦] البديع، وهو من محاسن الكلام الذي يتعلق باللفظ بشرط أن يجيء مطبوعاً، أو يصنعه عالم بجوهر هذا الكلام، يحفظ معه صحة المعنى وسداده، ولقد جاء هنا زائداً على الصحة، فحسن وبدع لفظاً ومعنى، ألا ترى أنه لو وضع مكان: «بنبأ»: «بخبر» لكان المعنى صحيحاً، وهو كما جاء أصح لما في النبأ من الزيادة التي يطابقها وصف الحال[٧].

يريد بالزيادة: أن النبأ أخص من الخبر، لأنه لا يقال إلا فيما له شأن من الأخبار، بخلاف الخبر، فإنه يطلق على ما له شأن، وعلى ما لا شأن له، فكلّ نبأ خبر من غير عكس. وبعضهم يعبر عن نحو: «من سبأ بنبأ» في علم البديع بالترديد، قاله صاحب التحرير[٨]، وقال غيره[٩]: إن الترديد عبارة عن رد أعجاز البيوت على صدورها، أو ردّ كلمة من النصف الأول إلى النصف الثاني، فمثال الأول قوله:

٣٩٤٩ ـ سَرِيعٌ إِلَىٰ ابْنِ العَمِّ يَلْطِمُ وَجْهَهُ ... وَلَيْسَ إِلَىٰ دَاعِي الخَنَا بِسَرِيعِ[١٠]

---

(١) يشير إلى قوله تعالى: ﴿لقد كان لسبأ في مسكنهم آية﴾ [سبأ: ١٥].

(٢) انظر الإيضاح (٣٩٦ ـ ٣٩٧). (٣) [غافر: ٧٥].

(٤) أخرجه البخاري (مناقب) ٢/ ٦٨٣، مسلم (زكاة) ٢/ ٦٨٣، (إمارة) ٣/ ١٤٩٢ ـ ١٤٩٣، أبو داود (جهاد) ٢/ ٩٣٣. ومالك (جهاد) ٢/ ٤٦٧، أحمد ٣/ ٣٩، ٥/ ١٨١.

(٥) البيت من مجزوء الكامل، لم أهتد إلى قائله، وهو في البحر المحيط ٧/ ٦٦. المعاجر: جمع معجر: وهو غطاء الرأس من المرأة والعمامة من الرجل. المحاجر: جمع ـ محجر ـ بكسر الميم وفتحها ـ: ما دار بالعين وظهر من البرقع من جميع العين. والشاهد فيه قوله: (المعاجر والمحاجر) فإنه جناس تصريف لاختلاف اللفظين في حرف واحد.

(٦) في النسختين: النحويون. والتصويب من الكشاف. (٧) الكشاف ٣/ ١٣٩.

(٨) انظر البحر المحيط ٧/ ٦٦، وكتاب التحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير من جمع الشيخ جمال الدين أبي عبد الله محمد بن سليمان بن حسن بن حسين المقدسي، عرف بابن النقيب ـ رحمه الله تعالى ـ هو أحد مصادر أبي حيان في كتابه البحر المحيط.

(٩) هو صاحب كتاب التفريع بفنون البديع. انظر البحر المحيط ٧/ ٦٦.

(١٠) البيت من بحر الطويل، قاله الأقيشر الأسدي، وهو في الإيضاح للقزويني (٤٠٠)، البحر المحيط ٧/ ٦٦، معاهد التنصيص ٢/ ٨٢، الخزانة ٤/ ٤٨٨. ويروى: إلى داعي الندى. والخنا: من قبيح الكلام. والشاهد فيه رد العجز على الصدر، وهو قوله: (سريع.... بسريع).

ومثال الثاني قوله:

٣٩٥٠ ـ وَاللَّيَالِي إِذَا نَأَيْتُمْ طِوَالٌ   واللَّيَالِي إِذَا دَنَوْتُمْ قِصَارُ[١]

وقرأ ابن كثير في رواية: «مِنْ سَباً» مقصوراً منوناً[٢]، وعنه أيضاً: «مِنْ سَبْأَ» بسكون الباء وفتح[٣] الهمزة[٤]، جعله على فَعْل ومنعه من الصرف[٥]، لما تقدم. وعن الأعمش: «من سَبَإِ» بهمزة مكسورة غير منونة[٦]، وفيها إشكال؛ إذ لا وجه للبناء، والذي يظهر أن تنوينها لا بد وأن يقلب ميماً وصلاً، ضرورة ملاقاته للباء، فسمعها الراوي؛ فظن أنه كسر من غير تنوين[٧]. وروي عن أبي عمرو: «مِنْ سَبَا» بالألف صريحة[٨]، كقولهم: تفرقوا أيدي سبا[٩]. وكذلك قرىء «بِنَبَا» بألف خالصة[١٠]، وينبغي أن يكونا لقارىء واحد[١١] وسبأ في الأصل: اسم رجل من قحطان، واسمه: عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وسبأ لقب له، وإنما لقب به: لأنه أول من سبأ[١٢].

قوله: «إِني وَجَدْتُ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ» لما قال الهدهد لسليمان: «وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَأ بِنَبَأ يقينٍ»، قال سليمان: وما ذاك؟ قال: «إِني وَجَدْتُ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ» وكان اسمها بلقيس بنت شراحيل، وكان أبوها ملك أرض اليمن من نسل يعرب بن قحطان، وكان ملكاً عظيم الشأن، وكان يقول لملوك الأطراف: ليس أحد منكم كفؤاً لي، وأبى أن يتزوج منهم فزوجوه امرأة من الجن يقال لها: ريحانة بنت السكن، فولدت له بلقيس ولم يكن له ولد غيرها، وفي الحديث: «إن أحد أبوي بلقيس كان جنّياً» وكانت هي وقومها مجوساً يعبدون الشمس[١٣]، والضمير في «تملكهم» راجع إلى «سبأ»، فإن أريد به القوم فالأمر ظاهر، وإن أريد المدينة فمعناه: تملك[١٤] أهلها[١٥]، (قال عليه السلام لما بلغه أن أهل فارس قد ملكوا عليهم بنت كسرى: «لن يفلح قوم ولّوْا أمرهم امرأة»)[١٦][١٧].

---

(١) البيت من بحر الخفيف، ولم أهتد إلى قائله، وهو في البحر المحيط ٧/٦٦.

(٢) المختصر (١٠٩)، البحر المحيط ٧/٦٦.

(٣) في ب: وبفتح.

(٤) ذكره أبو معاذ. انظر المختصر (١٠٩)، البحر المحيط ٧/٦٦.

(٥) قال أبو حيان: (بناه على فعلى فامتنع من الصرف للتأنيث اللازم) البحر المحيط ٧/٦٦.

(٦) المختصر (١٠٩)، تفسير ابن عطية ١١/١٩١.

(٧) قال أبو حيان: (يصعب توجيهها) البحر المحيط ٧/٦٦.

(٨) قال أبو حيان: (وروى ابن حبيب عن اليزيدي «من سبا» بألف ساكنة، كقولهم: تفرقوا أيدي سبا) البحر المحيط ٧/٦٦.

(٩) مجمع الأمثال للميداني ٢/٤.

(١٠) انظر البحر المحيط ٧/٦٦.

(١١) في النسختين: واحد. والصواب ما أثبته.

(١٢) انظر البحر المحيط ٧/٦٦.

(١٣) انظر البغوي ٦/٢٧٣.

(١٤) في ب: ملك.

(١٥) انظر الكشاف ٣/١٣٩.

(١٦) أخرجه البخاري ٤/٢٢٨، النسائي (قضاة) ٨/٢٢٧.

(١٧) ما بين القوسين سقط من ب.

قوله: «وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ» يجوز أن يكون معطوفاً على «تَمْلِكُهُمْ»، وجاز عطف الماضي على المضارع، (لأن المضارع)[1] بمعناه، أي: ملكتهم، ويجوز أن يكون في موضع نصب على الحال من مرفوع «تملكهم». و «قَدْ» معها مضمرة[2] عند من يرى ذلك.

وقوله: «مِنْ كُلِّ شَيْءٍ» عام مخصوص بالعقل؛ لأنها لم تؤت ما أوتيه سليمان.

قوله: «وَلَهَا عَرْشٌ» يجوز أن تكون هذه جملة مستقلة بنفسها سيقت للإخبار بها، وأن تكون معطوفة على «أُوتِيَتْ»، وأن تكون حالاً من مرفوع «أُوتِيَتْ»، والأحسن أن يجعل الحالَ الجارُّ، «وعَرْشٌ» مرفوع به، وبعضهم يقف على «عَرْشٌ» ويقطعه عن نعته. قال الزمخشري: ومن نَوْكى[3] القُصَّاص من يقف على قوله: «وَلَهَا عَرْشٌ»، ثم يبتدىء: «عَظِيمٌ وَجَدْتها»، يريد: أمرٌ عظيم أَنْ وجدتها، فرَّ من استعظام الهدهد عرشها، فوقع في عظيم، وهي مسخ كتاب الله[4].

قال شهاب الدين: النَّوكَىٰ: الحمقى جمع أَنْوَك وهذا الذي ذكره من أمر الوقف نقله الدّاني[5] عن نافع[6] وقرره أبو بكر بن الأنباري ورفعه إلى بعض أهل العلم[7]، فلا ينبغي أن يقال (نَوْكَى القُصَّاص)، وخرجه الداني على أن يكون «عَظِيمٌ» مبتدأ، و «وَجَدْتُهَا» الخبر[8]، وهذا خطأ، كيف يبتدىء بنكرة من غير مسوِّغ، ويخبر عنها بجملة لا رابط بينها وبينه، والإعراب ما قاله الزمخشري من أن عظيماً[9] صفة لمحذوف خبراً مقدماً، و «وَجَدْتُهَا» مبتدأ مؤخراً مقدراً معه حرف مصدري أي: أمر عظيم وجداني إياها وقومها غير عابدي الله[10].

قوله: «وَجَدْتُهَا»، هي التي بمعنى[11] لقيت وأصبت، فيتعدى لواحد، فيكون «يَسْجُدُونَ» حالاً من مفعولها وما عطف عليه، فإن قيل: كيف استعظم الهدهد عرشها مع ما كان يرى من ملك سليمان، وأيضاً: فكيف سوَّىٰ بين عرش بلقيس وعرش الله في الوصف بالعظم؟.

فالجواب عن الأول: يجوز أن يستصغر حالها إلى حال سليمان، فاستعظم لها[12] ذلك العرش ويجوز أن يكون لسليمان ـ مع جلالته ـ مثله كما قد يكون لبعض الأمراء شيء لا يكون مثله للسلطان.

---

(١) ما بين القوسين سقط من ب.
(٢) انظر التبيان ٢/١٠٠٧.
(٣) النوكى: الحمقى. اللسان (نوك).
(٤) الكشاف ٣/ ١٤٠.
(٥) في ب: الثاني. وهو تحريف.
(٦) انظر المكتفى في الوقف والابتدا (٤٢٧).
(٧) انظر إيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٨١٥ ـ ٨١٦.
(٨) انظر المكتفى في الوقف والابتدا (٤٢٨) وفيه: قال المقرىء أبو عمرو: فيرتفع قوله: «عظيم» على هذا المذهب بالابتداء، والخبر في قوله «وجدتها».
(٩) في ب: عظيم.
(١٠) الدر المصون ٥/ ١٨٧، وانظر الكشاف ٣/ ١٤٠.
(١١) بمعنى: سقط من ب.
(١٢) لها: سقط من ب.

وعن الثاني: أنه وصف عرشها بالعظم بالنسبة إلى عروش أبناء جنسها من الملوك، وَوَصْفُ عرشِ اللَّهِ بالعظم تعظيمٌ له بالنسبة إلى سائر ما خلق من السموات والأرض[١].

قال المفسرون: العرش السرير الضخم كان مضروباً من الذهب مكلّلاً بالدرّ والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر وقوائمه من الياقوت والزمرد، وعليه سبعة أبواب على كل بيت باب مغلق[٢].

قال ابن عباس: كان عرشها ثلاثين ذراعاً في ثلاثين ذراعاً وطوله في السماء ثلاثون ذراعاً[٣]. واعلم أن قوله: «اللَّهُ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيم» إن قلنا: إنه من كلام الهدهد، فالهدهد قد استدرك على نفسه، واستقلّ عرشها بالنسبة إلى عظمة عرش الله، وإن قلنا: إنه من كلام الله تعالى، فالله رد عليه استعظامه لعرشها[٤].

فصل

طعنت الملاحدة في هذه القصة من وجوه:

أحدها: أَنَّ هذه الآيات اشتملت على أنَّ النملة والهدهد تكلما بكلام لا يصدر ذلك إلاَّ عن العقلاء وذلك يجر إلى السَّفْسَطَة[٥]، فإنَّا لو جوَّزنا ذلك لما أَمِنَّا من النملة التي نشاهدها في زماننا هذا[٦] أَنْ تكون أعلم بالهندسة من إقليدس[٧]، وبالنحو من سيبويه، وكذا القول في القملة والضِّئبان[٨]، ولجوزنا أن يكون فيهم الأنبياء والمعجزات والتكاليف، ومعلوم أنَّ مَنْ جوّزه كان إلى الجنون[٩] أقرب.

وثانيها: أنَّ سليمان ـ عليه السلام[١٠] ـ كان بالشام، فكيف طار[١١] الهدهد في تلك اللحظة اللطيفة من الشام إلى اليمن، ثم رجع إليه؟.

وثالثها: كيف خفي على سليمان (عليه السلام)[١٢] تلك المملكة العظيمة مع أنَّ الجن والإنس كانوا في طاعته، وأنه ـ عليه السلام[١٣] ـ كان ملك الدنيا كلها، وكان

---

(١) انظر الكشاف ٣/ ١٣٩ ـ ١٤٠، الفخر الرازي ٢٤/ ١٩٠.

(٢) انظر البغوي ٦/ ٢٧٣ ـ ٢٧٤.

(٣) انظر البغوي ٦/ ٢٧٤.

(٤) انظر البحر المحيط ٧/ ٧٠.

(٥) السَّفسطة: قياس مركب من الوهميات، والغرض منه إفحام الخصم وإسكاته (من اليونانية). المعجم الوسيط (سفسط).

(٦) هذا: سقط من ب.

(٧) إقليدس وهو رياضي يوناني، علم في الإسكندرية، وضع مبادىء الهندسة المسطحة. المنجد في الأعلام (٥٨).

(٨) الضِّئب: من دواب البحر. الضُّوبان من الجمال: السَّمين الشديد. المعجم الوسيط (ضأب).

(٩) في ب: الجواب. وهو تحريف.

(١٠) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(١١) في ب: صار.

(١٢) ما بين القوسين سقط من ب.

(١٣) في ب: عليه الصلاة والسلام.

تحت طاعة بلقيس ـ على ما يقال ـ اثنا عشر ألف تحت يد كل واحد منهم مائة ألف، مع ما يقال إنه لم يكن بين سليمان وبين بلدة بلقيس حال طيران الهدهد إلاَّ مسيرة ثلاثة أيام؟

رابعها: من أين حصل للهدهد إنكار سجودهم للشمس وإضافته للشيطان وتزيينه؟

والجواب عن الأول: أنّ ذلك الاحتمال قائم في أول العقل، وإنما يدفع ذلك بالإجماع(١). وعن البواقي: أنَّ الإيمان بافتقار العالم إلى القادر المختار يزيل هذه الشكوك(٢).

فصل(٣)

قالت(٤) المعتزلة: قوله «يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُم الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ» يدل على أنَّ فعل العبد من جهته، لأنه تعالى أضاف ذلك إلى الشيطان بعد إضافته إليهم، وأورده مورد الذم، وبين أنهم لا يهتدون.

والجواب من وجوه:

أحدها: أَنَّ هذا قول الهدهد فلا يكون حجة.

وثانيها: أنه متروك الظاهر، فإنه(٥) قال: «فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ»، وعندكم الشيطان، فإنه ما صدّ الكافر عن السبيل، إذ لو صدّه الشيطان عن السبيل لكان معذوراً ممنوعاً، فيسقط عنه التكليف فلم يبق إلاَّ التمسك بالمدح والذم، وجوابه قد تقدم(٦).

قوله: «أَلاَّ يَسْجُدُوا» قرأ الكسائي بتخفيف «أَلاَ»، والباقون بتشديدها(٧)، فأمَّا قراءة الكسائي، «أَلاَ» فيها تنبيه واستفتاح، و «يَا» بعدها حرف نداء، أو تنبيه أيضاً على ما سيأتي، و «ٱسْجُدُوا»: فعل أمرٍ، فكان(٨) حق الخط على هذه القراءة أن يكون يَا اسجُدُوا، ولكن الصحابة أسقطوا ألف «يَا» وهمزة الوصل من «ٱسْجُدُوا» خَطاً لما سقط لَفْظاً، ووصلوا الياء بسين «اسْجُدُوا»، فصارت صورته «يَسْجُدُوا» كما ترى، فاتحدت القراءتان لفظاً وخطًّا(٩)، واختلفا تقديراً(١٠). واختلف النحويون في «يَا» هذه، هل هي حرف تنبيه أو للنداء والمنادى محذوف، تقديره: يَا هَؤُلاَءِ اسْجُدُوا، وقد تقدم ذلك عند قوله في سورة النساء: «يَا لَيْتَنِي»(١١) والمُرَجَّحُ أَنْ تكون للتنبيه(١٢)، لِئَلاً يؤدي إلى حذفِ كثير من غير بقاءِ ما يدلّ على المحذوف، ألا ترى أَنَّ جملة النداء حذفت، فلو ادَّعَيْتَ

---

(١) في ب: الإجماع.
(٢) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٩٠ ـ ١٩١.
(٣) فصل: سقط من ب.
(٤) في ب: فإن قيل.
(٥) في ب: كأنه.
(٦) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٩١.
(٧) السبعة (٤٨٠)، الكشف ٢/ ١٥٦، النشر ٢/ ٣٣٧، الإتحاف (٣٣٦).
(٨) في ب: كان.
(٩) في ب: خطًّا ولفظاً.
(١٠) انظر الكشف ٢/ ١٥٧ ـ ١٥٨، البحر المحيط ٧/ ٦٨.
(١١) من قوله تعالى: ﴿يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً﴾ من الآية (٧٣).
(١٢) وهو قول الأخفش. انظر المعاني ٢/ ٦٤٩، ورجحه أبو حيان. البحر المحيط ٧/ ٦٩.

حَذْفَ المنَادى كَثُرَ الحذف، ولم يبق[1] معمولٌ يدل على عامله؛ بخلاف ما إذا جعلتَها للتنبيه. ولكن عَارَضنا هنا أَنَّ قبلها حرف تنبيه آخر، وهو «أَلا» وقد اعتُذِر عن ذلك بأنه جُمِعَ بينهما تأكيداً، وإذا كانوا قد جمعوا بين حرفين عاملين للتأكيد[2]، كقوله:

٣٩٥١ ـ فَأَصْبَحْنَ لاَ يَسْأَلْنَنِي عَنْ بِمَا[3] بِهِ[4]

فغير العاملين أولى. وأيضاً فقد جمعوا بين حرفين عاملين مُتّحدي اللفظ[5] والمعنى كقوله:

٣٩٥٢ ـ فَلاَ وَاللَّهِ لاَ يُلْفَىٰ لِمَا بِي وَلاَ لِلِمَا بِهِمْ أَبَداً دَوَاءُ[6]

فهذا أولى، وقد كثر مباشرة «يا» لفعل[7] الأمر، وقبلها «أَلاَ» التي للاستفتاح، كقوله:

٣٩٥٣ ـ أَلاَ يَا اسْلَمِي ثُمَّ اسْلَمِي ثُمَّتَ اسْلَمِي ثَلاَثَ تَحِيَّاتٍ وَإِنْ لَمْ تَكَلَّمِ[8]

وقوله:

٣٩٥٤ ـ أَلاَ يَا اسْلَمِي يا دَارَ مَيِّ عَلَى البِلَى وَلاَ زالَ مُنْهَلاً بِجَرْعَائِكِ القَطْرُ[9]

وقوله:

٣٩٥٥ ـ أَلاَ يا اسْلَمِي ذَات الدَّمَالِيجِ وَالعُقَد وذات اللثاث الحُمِّ والفَاحِمِ الجَعْدِ[10]

وقوله:

٣٩٥٦ ـ أَلاَ يا اسْلَمِي يا هِنْدُ هِنْدَ بَنِي بَكْرٍ وَإِنْ كَانَ حَيَّانا عِدَى آخِرَ الدَّهْرِ[11]

---

(١) يبق: سقط من ب.
(٢) انظر البحر المحيط ٧/ ٦٩.
(٣) في ب: با. وهو تحريف.
(٤) صدر من بيت من بحر الطويل، وقد تقدم؛ قاله الأسود بن يعفر، وعجزه:
أصعّد في علو الهوى أم تصوّبا
(٥) في ب: الملفظ.
(٦) البيت من بحر الوافر. قاله مسلم بن معبد الوالبي، وقد تقدم.
(٧) في ب: مباشرة بالفعل.
(٨) البيت من بحر الطويل، ويعزى لحميد بن ثور الهلالي، وهو في ملحق ديوانه (١١٣)، ابن يعيش ٣/ ٣٩.
(٩) البيت من بحر الطويل، قاله ذو الرمة وهو في ديوانه ٢٩٠ مجاز القرآن ٢/ ٩٤، معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٤٩، أمالي ابن الشجري ٢/ ١٥١، تفسير ابن عطية ١١/ ١٩٥، القرطبي ١٣/ ١٨٧، الإنصاف ١/ ١٠٠، البحر الميحط ٧/ ٦٩، المغني ١/ ٢٤٣، المقاصد النحوية ٢/ ٦، التصريح ١/ ١٨٥، الهمع ١/ ١١١، ٢/ ٤، ٧٠، شرح شواهد المغني ٢/ ٦١٧، الأشموني ١/ ٣٧،٢٢٨، الدرر ١/ ٨١، ٢/ ٢٣، ٨٦.
(١٠) البيت من بحر الطويل، لم أهتد لقائله، وهو في البحر المحيط ٧/ ٦٨.
(١١) البيت من بحر الطويل، قاله الأخطل، وهو في ديوانه ١٥٠ مجاز القرآن ٢/ ٩٤، معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٩٠، أمالي ابن الشجري ٢/ ١٥١، ١٥٣، تفسير ابن عطية ١١/ ١٩٥، اللسان (عدا)، البحر المحيط ٧/ ٦٩، ابن يعيش ٢/ ٢٤.

وقوله:

٣٩٥٧ ـ أَلاَ يَا اسْقِيَانِي قَبْلَ خَيْلِ أَبِي بَكْرِ لَعَلَّ مَنَايَانَا قَرُبْنَ ولاَ نَدْرِي[١]

وقوله:

٣٩٥٨ ـ أَلاَ يا اسْقِيانِي قَبْلَ غَارَةِ سنجال[٢]

[وقوله:

٣٩٥٩ ـ فَقَالَتْ أَلاَ يَا اسْمَعْ أَعِظْكَ بخطبةٍ وقلتُ سمِعْنَا فَانطِقِي وأَصِيبِي[٣]][٤]

وقد جاء ذلك وإن لم يكن قبلها «أَلاَ»، كقوله:

٣٩٦٠ ـ يا دَارَ هِنْدٍ يَا اسْلَمِي ثُمَّ اسْلَمِي بِسَمْسَمٍ أَوْ عَنْ يَمِينِ سَمْسَمِ[٥]

فعلم أن قراءة الكسائي قوية، لكثرة دَوْرِها في لغتهم، وقد سمع ذلك في النَّثْر، سُمِعَ بَعْضُهم يقول: أَلاَ يَا ارحَمُوني، أَلاَ يا تصدَّقُوا علينا[٦]، وأما قوله:

٣٩٦١ ـ يَا لَعْنَةُ اللَّهِ والأَقْوَامِ كُلِّهِم والصَّالِحِينَ عَلَى سَمْعَانَ مِنْ جَارِ[٧]

فيحتمل أن تكون «يَا» للنداء، والمنادى محذوف، وأن يكون للتنبيه، وهو الأرجح لِمَا مَرَّ. واعلم أَنَّ الوقف عند الكسائي على «يَهْتَدُونَ» تام[٨]، وله أن يقف على «أَلاَ يَا» معاً، ويبتدىء «اُسْجُدُوا» بهمزة مضمومة. وله أن يقف على «أَلاَ» وحدها[٩]، وعلى «يَا»

---

(١) البيت من بحر الطويل، لم أهتد إلى قائله، وهو في البحر المحيط ٧/ ٦٩.

(٢) صدر بيت من بحر الطويل، قاله الشماخ بن ضرار، وعجزه:

وقبل منايا قد حضرن وآجال

وهو في ملحق ديوانه (٤٥٦) برواية:

ألا يا أصيحابي قبل غارة سنجالِ وقبل منايا باكراتٍ وآجال

وهو في الكتاب ٤/ ٢٢٤، المقرب (٧٥)، ابن يعيش ٨/ ١١٥، معجم البلدان (سنجل)، اللسان (سنجل)، البحر المحيط ٧/ ٦٨، المغني ٢/ ٣٧٣، شرح شواهده ٢/ ٧٩٦. سنجال: قرية بأرمينية، وقيل: بأذربيجان.

(٣) البيت من بحر الطويل، قال النمر بن تولب، ويروى: (نعظك بخطة) بدل (أعظك بخطبة)، (سميعاً) بدل (سمعنا). وهو في معاني القرآن ٢/ ٤٠٢، ونوادر أبي زيد (١٩٢)، الكشف ٢/ ١٥٨، الإنصاف ١/ ١٠٢، أمالي ابن الشجري ١/ ١٥١، تفسير ابن عطية ١١/ ١٩٦ البحر المحيط ٧/ ٦٩.

(٤) ما بين القوسين سقط من ب.

(٥) رجز قاله العجاج، وقيل: رؤبة. وروي: يا دار سلمى. وهو في مجاز القرآن ٢/ ٩٤، الخصائص ٢/ ١٦٩، الإنصاف ٢/ ١٠٢، ابن يعيش ١٠/ ١٣، اللسان (سمم)، شرح شواهد الشافية ٤/ ٤٢٨.

(٦) قال الفراء: (وسمعت بعض العرب يقول: ألا يا ارحمانا، ألا يا تصدقا علينا. قال: يعنيني وزميلي) معاني القرآن ٢/ ٢٩٠. وانظر البحر المحيط ٧/ ٦٩.

(٧) البيت من بحر البسيط مجهول القائل، وقد تقدم.

(٨) انظر منار الهدي في بيان الوقف والابتدا (٢٨٤). (٩) انظر الكشاف ٣/ ١٤٠.

وحدها، لأنهما حرفان منفصلان، وهذان الوقفان وقفاً اخْتبارٍ لا اختيار، لأنهما حرفان لا يتم معناهما إلاَّ بما يتصلان به، وإنما فعله القراء امتحاناً وبياناً. فهذا[١] توجيه قراءة الكسائي[٢]، والخَطْبُ فيها سهل. وأما قراءة الباقين فتحتاج إلى إِمْعَان[٣] نظرٍ، وفيها أوجه كثيرة:

أحدها: أنَّ «أَلاَّ» أصلها: أَنْ لا، فَأَنْ ناصبة للفعل بعدها، ولذلك سقطت نون الرفع، و «لاَ» بعدها حرفُ نَفْي، وأَنْ وما بعدها في موضع مفعول «يَهْتَدُونَ» على إسقاط الخافض أي: إلى أَنْ لا يسجُدُوا، و «لاَ» مزيدة[٤] كزيادتها في: ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ [الحديد: ٢٩]، والمعنى: فهم لا يهتدون إلى أن يسجدوا.

الثاني[٥]: أنه بدل من «أَعْمَالَهُمْ»[٦] وما بينهما اعتراض[٧] تقديره: وزَيَّنَ لهم الشيطانُ عدم السجود لله.

الثالث: أنه بدل من «السَّبِيلِ» على زيادة «لاَ» أيضاً، والتقدير: فَصَدَّهُمْ عن السجود لله[٨].

الرابع: أَنَّ[٩] «أَلاَّ يَسْجُدُوا» مفعولاً له، وفي متعلّقه وجهان:

أحدهما: أنه «زَيَّنَ» أي: زيَّنَ لهم لأجل أَلاَّ يسجدوا.

والثاني: أنها متعلق بـ «صَدَّهُمْ»، أي: صَدَّهُمْ لأجل أن لاَ يسجُدُوا، وفي «لاَ» حينئذٍ وجهان:

أحدهما: أنها ليست مزيدة (بل باقية على معناها من النفي.

والثاني: أنها مزيدة)[١٠] والمعنى: وزيَّنَ لهم لأجل توقعه سجودهم، أو لأجل خوفه من سُجُودهم، وعدم الزيادة أظهر[١١].

الخامس: أنه خبرأ مبتدأ مضمر، وهذا المبتدأ إما أن يُقَدَّر ضميراً عائداً على «أَعْمَالَهُمْ»، التقدير هي ألا يسجدوا[١٢]، فتكون[١٣] «لاَ» على بابها من النفي، وإما أن

---

(١) في ب: فهنا.
(٢) انظر إبراز المعاني (٤٢٣ ـ ٤٢٤).
(٣) في ب: ادوان. وهو تحريف.
(٤) انظر الكشف ٢/١٥٧، مشكل إعراب القرآن ٢/١٤٧، البيان ٢/٢٢١، التبيان ٢/١٠٠٧، البحر المحيط ٧/٦٨.
(٥) في ب: والثاني.
(٦) انظر الكشف ٢/١٥٧، مشكل إعراب القرآن ٢/١٤٧، البيان ٢/٢٢١، التبيان ٢/١٠٠٧، البحر المحيط ٧/٦٨.
(٧) انظر البحر المحيط ٧/٦٨.
(٨) انظر الكشف ٢/١٥٨، مشكل إعراب القرآن ٢/١٤٧، البيان ٢/٢٢١، التبيان ٢/١٠٠٧.
(٩) أن: سقط من ب.
(١٠) ما بين القوسين سقط من ب.
(١١) انظر البحر المحيط ٧/٦٨.
(١٢) انظر البيان ٢/١٠٠٧.
(١٣) في ب: فكيف يكون. وهو تحريف.

يُقَدَّر ضميراً عائداً على «السَّبِيل»، التقدير: هو أن لا يسجدوا، فتكون «لاَ» مزيدة ـ على ما تقدم ـ ليصح المعنى.

وعلى الأوجه الأربعة المتقدمة لا يجوز الوقفُ على «يَهْتَدُونَ»، لأنَّ ما بعده إمَّا معمول له أو لِمَا قبله من «زَيَّنَ» و «صَدَّ»، أو[1] بدل مما قبله أيضاً من «أَعْمَالَهُمْ» أو من «السَّبِيل» على ما قُرِّرَ، بخلاف الوجه الخامس، فإنه[2] مَبنيٌّ على مبتدأ مضمر، وإنْ كان ذلك الضمير مُفَسراً بما سبق قبله، وقد كتبت «أَلاَّ» موصولة غير مفصولة، فلم تُكْتَبْ «أَنْ» منفصلة من «لاَ»، فمن ثَمَّ: امتنع أن يُوقَف هؤلاء في الابتلاء والامتحان على «أَنْ» وحدها، لاتصالها بلا في الكتابة[3]، بل يُوقَف لهم على «أَلاَّ» بجملتها، كذا قال القُرَّاءُ والنحويون متى سُئِلوا[4] عن مثل ذلك[5] وقفوا لأجل البيان على كل كلمةٍ على حدتها، لضرورة البيان، وكونها كُتِبَت متصلة بـ «لا» غير مانعٍ من ذلك. ثُمَّ قول القُرَّاءِ: كتبت[6] متصلة فيه تجوُّزٌ وتسامُح، لأَنَّ حقيقة هذا أن يُثْبِتُوا صورة نُونٍ ويصلونها بلا، فيكتبونها «أَنْلاَ»، ولكن لما أدغمت فيما بعدها لفظاً، وذهب لفظها إلى لفظ ما بعدها قالوا ذلك تسامحاً. وقد رتَّبَ أبو إسحاق على القراءتين حُكْماً، وهو وجوب سجود التلاوة وعدمه، فَأَوْجَبَهُ مع قراءة الكسائي، وكأنه[7] لأجل الأمرِ بِهِ، ولم يوجبه في قراءة الباقين لعدم وجود الأمر فيها[8]، إلاَّ أَنَّ الزمخشري لم يرتضه منه[9]، فإنه قال: فَإِنْ قُلْتَ: أَسَجدةُ التلاوة واجبة في القراءتين جميعاً أو في واحدة منهما؟ قُلْتُ: هي واجبة فيهما[10]، وإحدى القراءتين أمر بالسجود والأخرى ذم للتارك[11]، وما ذكره الزجاج من وجوب السجدة مع التخفيف دون التشديد مرجوع[12] إليه.

قال شهاب الدين: وكأن الزجاج أخذ بظاهر الأمر، وظاهره الوجوب وهذا لو خلينا

---

(١) أو: سقط من ب.
(٢) في ب: أنه.
(٣) في ب: الكفارة. وهو تحريف.
(٤) في ب: بيبسلوا. وهو تحريف.
(٥) انظر إبراز المعاني (٤٢٢ ـ ٤٢٣).
(٦) كتبت: سقط من ب.
(٧) في ب: كأنه.
(٨) قال الزجاج: (ومن قرأ بالتخفيف فهو موضع سجدة من القرآن، ومن قرأ «ألا يسجدوا» ـ بالتشديد ـ فليس بموضع سجدة) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١١٥، وسبق إلى ذلك الفراء فإنه قال: (ومن قرأ «ألا يسجدوا» فشدد فلا ينبغي لها أن تكون سجدة، لأن المعنى: زين لهم الشيطان ألا يسجدوا، والله أعلم بذلك) معاني القرآن ٢/ ٢٩٠.
(٩) في ب: فيه.
(١٠) في الكشاف: فيهما جميعاً، لأن مواضع السجدة إما أمر بها، أو مدح لمن أتى بها أو ذم لمن تركها.
(١١) الكشاف ٣/ ١٤٠، وبين هذه العبارة والعبارة التالية في الكشاف: وقد اتفق أبو حنيفة والشافعي رحمهما الله على أن سجدات القرآن أربع عشرة، وإنما اختلف في سجدة (ص) فهي عند أبي حنيفة سجدة تلاوة وعند الشافعي سجدة شكر، وفي سجدتي سورة الحج.
(١٢) الكشاف ٣/ ١٤٠.

الآية لكان السُّجُودُ واجباً، ولكن دلَّت السنةُ على استحبابه دون وجوبه، على أَنَّا نقول: هذا مبنيٌّ على نظر آخر، وهو أَنَّ هذا الأمر من كلام الله تعالى أو من كلام الهدهد محكيًّا عنه، فإن كان من كلام الله تعالى فيقال: يقتضي الوجوب إلاَّ أَنْ يجيء دليل يصرفه عن ظاهره، وإنْ كان من كلام الهدهد ـ وهو الظاهر ـ ففي انتهاضه دليلاً نظر[١]، وهذا الذي ذكروه ليس بشيء، لأنَّ المراد بالسجود هٰهنا عبادة الله لا عبادة الشمس، وعبادة الله واجبة وليس المراد من الآية سجود التلاوة، وأين[٢] كانت التلاوة في زمن سليمان عليه السلام[٣] ولم يكن ثم قرآن.

وقرأ الأعمش «هَلاَّ» و «هَلاَ» بقلب الهمزة هاء مع تشديد «لاَ» وتخفيفها، وكذا هي في مصحف عبد الله[٤]، (وقرأ عبد الله)[٥] «تَسْجُدُونَ» بتاء الخطاب ونون الرفع[٦]، وقرىء كذلك بالياء من تحت[٧]، فَمَنْ أَثْبَتَ نون الرفع فـ «أَلاَّ» بالتشديد أو التخفيف للتحضيض، وقد تكون المخففة للعرض[٨] أيضاً نحو أَلاَ تنزلُ عندنا فتحدَّثُ، وفي حرف عبد الله أيضاً «أَلاَ هَلْ تَسْجُدُونَ» بالخطاب[٩]. قوله: «الَّذي يُخْرِجُ الخَبْء» يجوز أن يكون مجرور المحل نعتاً «للَّه» أو بدلاً منه أو بياناً، و[١٠] منصوبة على المدح، ومرفوعة على خبر ابتداءٍ مضمر. و «الخَبْءَ» مصدر خَبَأْتُ الشيء أَخْبَؤُهُ خَبْئاً أي: سَتَرْتُهُ[١١]، ثم أطلِقَ على الشيء المَخْبُوءِ وَنَحْوُهُ ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ﴾[١٢] [لقمان: ١١] قال المفسرون: الخَبْء في السَّمٰواتِ المطر، وفي الأرض النبات[١٣]، والخَابِيَةُ[١٤] من هذا إلاَّ أَنَّهُم التزموا فيها ترك الهمزة كالبَرِيَّة والذُّرِيّة عند بعضهم[١٥]. وقيل: الخبء الغيب أي: يعلم

---

(١) الدر المصون ٥/ ١٩٠. (٢) في ب: وأن. وهو تحريف.

(٣) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٤) المختصر (١٠٩)، الكشاف ٣/ ١٤٠، تفسير ابن عطية ١١/ ١٩٦ ـ ١٩٧، البحر المحيط ٧/ ٦٨.

(٥) ما بين القوسين سقط من ب.

(٦) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٩٠، الكشاف ٣/ ١٤٠، البحر المحيط ٧/ ٦٨.

(٧) وهي قراءة الأعمش. انظر البحر المحيط ٧/ ٦٨.

(٨) والعرض والتحضيض معناهما: طلب الشيء، لكن العرض طلب بلين، والتحضيض طلب بحث، وتختص (ألا) هذه بالفعلية. انظر المغني ١/ ٦٩، ٧٤.

(٩) تفسير ابن عطية ١١/ ١٩٧، البحر المحيط ٧/ ٦٨.

(١٠) في ب: أو. (١١) انظر اللسان (خبأ).

(١٢) أي: مخلوقة، فالمصدر بمعنى اسم المفعول.

(١٣) انظر البغوي ٦/ ٢٧٤.

(١٤) الخابية: الحبُّ، أصلها الهمز من خبأت، إلا أن العرب تركت همزه، قال أبو منصور: تركت العرب الهمز في أخبيت وخبَّيت وفي الخابية، لأنها كثرت في كلامهم، فاستثقلوا الهمز فيها. انظر اللسان (خبأ).

(١٥) انظر لسان العرب (برأ).

غيب السموات والأرض[(١)]، وقرأ أبيّ وعيسى «الخَبَ»[(٢)] بنقل حركة الهمزة إلى الباء وحذف الهمزة فيصير نحو: رأيت لَبَ[(٣)]، وقرأ عبد الله وعكرمة ومالك بن دينار «الخَبَا» بألفٍ صريحةٍ[(٤)]، وجهها أنه أبدل الهمزة ألفاً فلزم تحريك الباء، وذلك على لغة مَنْ يقف من العرب بإبدال الهمزة حرفاً يجانس حركتها، فيقول: هذا الخَبُو[(٥)]، ورأيت الخبا، ومررت بالخبي[(٦)]، ثم أُجرِي الوَصْلُ مَجْرَى الوقْفِ[(٧)]، وقيل: إنه لمَّا نَقَلَ حركة الهمزة إلى الساكن قبلها لم[(٨)] يحذفها بل تركها، فَسَكَنَتْ بعد فتحةٍ فَدُبِرَتْ بحركة ما قبلها، وهي لغة ثابتة، يقولون: المراة والكماة بألف مكان الهمزة بهذه الطريقة[(٩)]. وقد طعن أبو حاتم على هذه القراءة وقال[(١٠)]: لا يجوز في العربية، لأنَّه إن حذف الهمزة أَلْقَى[(١١)] حركتها على الباء، فقال الخَبَ، وإن حوَّلَها قال الخَبْي، بسكون الباء وياء بعدها[(١٢)].

قال المبرد: كان أبو حاتم دون أصحابه في النحو، لم يَلْحَقْ بهم إلاَّ أنه إذا خرج من بلدهم لم يلق أَعْلَم منه[(١٣)].

قوله: «فِي السَّمٰوَاتِ» فيه وجهان:

أحدهما: أنه متعلق بـ «الخَبْءَ»، أي؛ المَخْبُوءُ في السموات[(١٤)].

والثاني: أنه متعلق بـ «يُخْرِجُ» على أنَّ معنى (في) بمعنى (مِنْ)، أي: يخرجه من السموات، و «مِنْ» و «فِي» يتعاقبان[(١٥)]، يقول العرب: لأستخرجن العلم فيكم، أي منكم ـ قاله الفراء[(١٦)] ـ، وقرأ عبد الله: «يُخْرِجُ الخَبْءَ مِنَ السَّمٰواتِ»[(١٧)].

قوله: «مَا تُخْفُونَ» قرأ الكسائي وحفص بالتاء من فوق فيهما[(١٨)]، والباقون بالياء

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٩١، البغوي ٦/ ٢٧٤.
(٢) المختصر (١٠٩)، تفسير ابن عطية ١١/ ١٩٧؛ البحر المحيط ٧/ ٦٩.
(٣) في النسختين: الأب.
(٤) المختصر (١٠٩)، تفسير ابن عطية ١١/ ١٩٧، البحر المحيط ٧/ ٦٩.
(٥) في ب: الخبأ. وهو تحريف.
(٦) انظر شرح الشافية ٢/ ٣١٢ ـ ٣١٣.
(٧) انظر الكشاف ٣/ ١٤٠، البحر المحيط ٧/ ٤٨.
(٨) في ب: ولم.
(٩) انظر الكتاب ٣/ ٥٤٥، وشرح الشافية ٣/ ٤١، والبحر المحيط ٧/ ٦٩.
(١٠) في ب: فقال.
(١١) في ب: التي. وهو تحريف.
(١٢) انظر إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٠٧، القرطبي ١٣/ ١٨٨، البحر المحيط ٧/ ٦٩.
(١٣) المراجع السابقة.
(١٤) واستظهره أبو حيان. انظر البحر المحيط ٧/ ٦٩.
(١٥) في ب: متعاقبان يخرج.
(١٦) قال الفراء: (وهي في قراءة عبد الله «يخرج الخبء من السَّموات» وصلحت (في) مكان (من) لأنك تقول: لأستخرجن العلم الذي فيكم منكم، ثم تحذف أيهما شئت أعني: (من) و (في) فيكون المعنى قائماً على حاله) معاني القرآن ٢/ ٢٩١.
(١٧) انظر معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٩١.
(١٨) في ب: فيها. والمقصود بقوله (فيهما): «تخفون، وتعلنون».

من تحت[١]، فالخطاب ظاهر على قراءة الكسائي، لأن ما قبله أَمرهُمْ بالسجود وخطابهم به والغيبة على قراءة الباقين غير حفص ظاهرة أيضاً، لتقدم الضمائر الغائبة في قوله: «لَهُمْ»، و «أَعْمَالَهُمْ» و «صَدَّهُمْ» و «فَهُمْ» وأما قراءة حفص فتأويلها أنه خرج إلى خطاب الحاضرين بعد أن أَتَمَّ قصة أهل سبأ، ويجوز أن يكون التفاتاً على أنه نزل الغائب منزلة الحاضر، فخاطبه ملتفتاً إليه[٢].

وقال ابن عطية: القراءة بياء الغيبة تُعْطِي أَنَّ الآية من كلام الهدهد، وبتاء الخطاب تعطي أنها من خطاب الله لأُمّة محمد ـ ﷺ[٣] ـ وقد تقدم أن الظاهر أنه[٤] من كلام الهدهد مطلقاً، وكذلك الخلاف في:

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ (٢٦) ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ (٢٧) ٱذْهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (٢٨) قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ (٢٩)﴾

قوله تعالى: «اللَّهُ لاَ إِلَٰهَ إلاَّ هُوَ» هل هو من كلام الهدهد استدراكاً منه لمَّا وصف عرش بلقيس بالعظم، أو من كلام الله تعالى رَدًّا عليه في وصفه عرشها بالعظم. والعامة على جر «العَظِيم» تابعاً للجلالة، وابن محيصن[٥] بالرفع[٦] وهو يحتمل وجهين: أن يكون نعتاً للربّ، وأن يكون مقطوعاً عن تبعيَّةِ «العرش» إلى الرفع بإضمار مبتدأ[٧].

فصل

دلّ قوله: «يُخْرِجُ الخَبْءَ فِي السَّمٰوَاتِ والأَرْضِ» (على كمال القدرة، وسمي المخبوء بالمصدر ليتناول جميع الأرزاق والأموال، فدلَّ قوله: «ويَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ»)[٨] على كمال العلم، وإذا كان قادراً على كل المقدرات عالماً بكل المعلومات، وجب[٩] أن يكون إلٰهاً، والشمس ليست كذلك، فلا تكون إلٰهاً، وإذا لم تكن إلٰهاً، لم تستحق العبادة[١٠]. فإن قيل: إنَّ إبراهيم وموسى عليهما السلام[١١] قدما دلالة الأنفس على دلالة الآفاق، فإنَّ[١٢] إبراهيم قال: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، ثم

---

(١) السبعة (٤٨١)، الكشف ٢/ ١٥٨، النشر ٢/ ٣٣٧، الإتحاف (٣٣٦).
(٢) انظر الكشف ٢/ ١٥٨ ـ ١٥٩، البحر المحيط ٧/ ٦٩ ـ ٧٠.
(٣) تفسير ابن عطية ١١/ ١٩٨.
(٤) أنه: سقط من ب.
(٥) في ب: وابن عمر. وهو تحريف.
(٦) المختصر (١٠٩)، البحر المحيط ٧/ ٧٠، الإتحاف (٣٣٦).
(٧) وعليه تستوي قراءته وقراءة الجمهور في المعنى. انظر البحر المحيط ٧/ ٧٠.
(٨) ما بين القوسين سقط من الأصل.
(٩) في ب: ويجب.
(١٠) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٩٢.
(١١) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٢) في ب: قال.

قال[١]: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، وموسى ـ عليه السلام[٢] ـ قال ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ٢٦]، ثم قال: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ [الشعراء: ٢٨] وههنا قدم خبأ السموات على خبء الأرض، فجوابه: أن إبراهيم وموسى ناظرا من ادعى إلٰهية البشر، فابتدءا بإبطال إلٰهية البشر، ثم انتقلا إلى إلٰهية السماء، وههنا الكلام مع[٣] من ادعى إلٰهية الشمس، لقوله[٤] ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [النمل: ٢٤] فلا جرم ابتدأ بذكر السماويات، ثم بالأرضيات[٥].

قوله: «أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ» الجملة الاستفهامية في محل نصب بـ «نَنْظُرُ»[٦]، لأنَّها مُعلّقة لها، و «أَمْ» هنا متصلة، وقوله: «أَمْ كُنتَ مِنَ الكَاذِبِينَ» أبلغ من قوله: «أَمْ كَذَبْتَ» ـ وإن كان هو الأصل ـ لأنّ المعنى من الذين اتصفوا وانخرطوا في سلك الكاذبين[٧]. وقوله: «سَنَنْظُرُ» من النظر الذي هو التأمل. قوله: «هٰذَا» يجوز أن يكون صفة لـ «كِتَابِي» أو بدلاً منه أو بياناً له.

قال المفسرون: إن سليمان ـ عليه السلام[٨] ـ كتب كتاباً فيه: «من عند سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ، بسم الله الرحمن الرحيم، السَّلامُ على من اتَّبع الهُدَى، أما بعد، أَلاَّ تَعْلُوا عليَّ وَأْتُوني مُسلمين»[٩]. قال ابن جريج: لم يزد سليمان على ما قصّه الله[١٠] في كتابه، ثم ختمه بخاتمه، ثم قال للهدهد: «اذْهَبْ بِكِتَابِي هٰذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ»[١١].

قوله: «فَأَلْقِهِ»، قرأ أبو عمرو وحمزة وأبو بكر بإسكان الهاء، وقالون بكسرها فقط من غير صلة بلا خلاف عنه، وهشام عنه وجهان: القصر والصلة[١٢]، والباقون بالصلة بلا خلاف، وتقدم توجيه ذلك في «آل عمران» و «النساء» وغيرهما[١٣]، عند ﴿يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ﴾ [آل عمران: ٧٥] و «نُوَلِّه مَا تَوَلَّى»[١٤]. وقرأ مسلم بن جندب[١٥] بضم الهاء موصولة بواو «فَأَلْقِهُو إِلَيْهِمْ»[١٦]، وقد تقدم أن الضم الأصل، وقال «إليهم» ـ على لفظ

---

(١) في ب: أن.
(٢) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٣) في ب: بسع. وهو تحريف.
(٤) في النسختين: رأيتها. والصواب ما أثبته.
(٥) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٩٢ ـ ١٩٣.
(٦) لأنه من النظر الذي هو التأمل والتصفح. انظر البحر المحيط ٧/ ٧٠.
(٧) انظر الكشاف ٣/ ١٤١.
(٨) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٩) انظر البغوي ٦/ ٢٧٥.
(١٠) لفظ الجلالة سقط من ب.
(١١) انظر البغوي ٦/ ٢٧٥.
(١٢) المراد بالصلة: إشباع حركة الهاء. السبعة (٤٨١)، الكشف ٢/ ١٥٩، الإتحاف (٣٣٦).
(١٣) في سورة النور عند قوله تعالى: ﴿ومن يطع اللّهَ ورسوله ويخش اللّهَ ويتّقه﴾ [النور: ٥٢].
(١٤) من قوله تعالى: ﴿نولّه ما تولّى ونصله جهنم﴾ [النساء: ١١٥]. انظر اللباب ٣/ ١٦٠.
(١٥) هو مسلم بن جندب أبو عبد الله الهذلي مولاهم، المدني القاصّ، تابعي مشهور، عرض على عبد الله بن عياش وعرض عليه نافع وغيره، مات حوالي سنة ١١٠هـ. طبقات القراء ٢/ ٢٩٧.
(١٦) المختصر (١٠٩)، البحر الميحط ٧/ ٧٠.

الجمع ـ لأنه قال: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ﴾ [النمل: ٢٤] والمعنى: فألقه إلى الذين هذا دينهم[١].

قوله: «ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ»، زعم أبو علي وغيره أن في الكلام تقديماً، وأن الأصل: فانظر ماذا يرجعون، ثم تول عنهم[٢]. ولا حاجة إلى هذا، لأن المعنى بدونه صحيح، أي: قف قريباً منهم[٣] لتنظر[٤] ماذا يكون[٥].

قوله: «مَاذَا يَرْجِعُونَ» إن جعلنا (انظر) بمعنى: تأمل وتفكر كانت «ما» استفهامية، وفيها حينئذٍ وجهان:

أحدهما: أن يجعل مع «ذا» بمنزلة اسم واحد، وتكون مفعولة بـ «يرجعون» تقديره: أي شيء ترجعون.

والثاني: أن يجعل «ما» مبتدأ، و «ذا» بمعنى الذي، و«يرجعون» صلتها، وعائدها محذوف تقديره: أي شيء الذي يرجعونه، وهذا الموصول هو خبر ما الاستفهامية، وعلى التقديرين فالجملة الاستفهامية مُعَلِّقة لـ «انظر»، فمحلّها النصب على إسقاط الخافض أي: انظر في كذا وفكر فيه وإن جعلناه بمعنى انتظر من قوله ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣] كانت «مَاذَا» بمعنى الذي، (و «يَرْجِعُونَ» صلتها وعائدها محذوف)[٦]، والعائد مقدّر كما تقرر وهذا الموصول مفعول به، أي: انتظر الذي يرجعون. قال[٧] أبو حيان: و «ماذا»[٨] إن كان معنى[٩] «فانظُر» معنى التأمل بالفكر كان انظر معلقاً، و «ماذا» إما[١٠] أن يكون كلمة[١١] استفهام في موضع نصب، وإما أن يكون «ما» استفهاماً، و «ذا» موصولة بمعنى الذي، فعلى الأول يكون «يرجعون» خبراً عن «ماذا»، وعلى الثاني يكون «ذا» هو الخبر، و «يرجعون» صلة[١٢] انتهى.

وهذا غلط إما من الكاتب، وإما من غيره؛ وذلك أن قوله: «فعلى الأول» يعني به أن «ماذا» كلمة[١٣] استفهام في موضع[١٤] نصب يمنع قوله: «يَرْجِعُونَ» خبراً[١٥] عن «ماذا»، كيف يكون خبراً عنه وهو منصوب به كما تقرر، وقد صرّح هو بأنه منصوب يعني

(١) انظر الفخر الرازي ٢٤/١٩٣.
(٢) نقله أبو حيان عن ابن زيد وأبي علي. انظر البحر المحيط ٧/ ٧٠.
(٣) منهم: سقط من ب.
(٤) في ب: انتظر.
(٥) انظر البحر المحيط ٧/ ٧٠.
(٦) ما بين القوسين في ب: و «يرجعون» صلة.
(٧) في ب: وقال.
(٨) في ب: وما. وهو تحريف.
(٩) في ب: بمعنى.
(١٠) إما: سقط من ب.
(١١) في الأصل: كله.
(١٢) البحر المحيط ٧/ ٧٠ ـ ٧١.
(١٣) في الأصل: كله.
(١٤) في ب: محل.
(١٥) في ب: بهمز. وهو تحريف.

بما بعده ولا يعمل فيه ما قبله، وهذا نظير ما تقدم في آخر السورة قبلها في قوله: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧] في كون اسم الاستفهام معمولاً لما بعده، وهو معلق لما قبله، فكما حكمت على الجملة من «يَنْقَلِبُونَ»[١] وما اشتملت عليه من اسم الاستفهام المعمول لها بالنصب على سبيل التعليق، كذلك يحكم على «يَرْجِعُونَ» فكيف تقول: إنها خبر؟

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَـٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾﴾

قوله: «إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ» العامة على كسر الهمزتين على الاستئناف جواباً لسؤال قومها، كأنهم قالوا: ممن الكتاب؟ وما فيه؟ فأجابتهم بالجوابين[٢]. وقرأ عبد الله: «وإِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ» بزيادة واو عاطفة «إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ» على قوله: «إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ»[٣]. وقرأ عكرمة وابن أبي عبلة بفتح الهمزتين، صرح بذلك الزمخشري[٤] وغيره[٥]. ولم يذكر أبو البقاء إلا الكسر في «إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ» وكأنه سكت عن الثانية، لأنها معطوفة على الأولى[٦]، وفي تخريج الفتح فيهما أوجه:

أحدهما: أنه بدل من «كِتَاب»[٧] بدل اشتمال، أو بدل كلٍّ من كلّ، كأنه قيل: ألقي إليَّ أنه من سليمان[٨]، وأنه كذا وكذا، وهذا هو الأصح.

والثاني: أنه مرفوع بـ «كَرِيم» ذكره أبو البقاء[٩].

الثالث: أنه على إسقاط حرف العلة.

قال الزمخشري: ويجوز أن يريد لأنه من سليمان ولأنه، كأنها عللت كرمه بكونه

---

(١) في ب: منقلبون. وهو تحريف.

(٢) انظر الكشاف ٣/ ١٤١.

(٣) انظر الكشاف ٣/ ١٤١، البحر المحيط ٧/ ٧٢.

(٤) نص على ذلك الزمخشري دون عزو إلى قارىء معين فإنه قال: (وقرىء «إنَّه من سليمان وأنَّه» بالفتح) الكشاف ٣/ ١٤١.

(٥) انظر المختصر لابن خالويه (١٠٩) حيث عزاها إلى عكرمة فقط، وعزاها أبو حيان إلى من نص عليه ابن عادل. البحر المحيط ٧/ ٧٢، وأجاز الفراء الفتح ولم ينص على أنها قراءة، معاني القرآن ٢/ ٢٩١.

(٦) قال أبو البقاء: (قوله تعالى: «إنَّه من سليمان» بالكسر على الاستئناف وبالفتح بدلاً من «كتاب» أو مرفوع بـ «كريم») التبيان ٢/ ١٠٠٨.

(٧) انظر الكشاف ٣/ ١٤١، التبيان ٢/ ١٠٠٨.

(٨) انظر معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٩١. (٩) انظر التبيان ٢/ ١٠٠٨.

من سليمان وتصديره باسم الله[١]. وقال مكي: وأجاز الفراء الفتح فيهما في الكلام، كأنه لم يطلع على أنها قراءة[٢] وقرأ أُبيّ: أنْ من سليمان وأنْ بسم الله بسكون النون فيهما[٣]، وفيها وجهان:

أظهرهما: أنها «أن» المفسرة، لتقدم ما هو بمعنى القول[٤].

والثاني: أنها المخففة[٥] واسمها محذوف، وهذا لا يتمشى على أصول البصريين؛ لأن اسمها لا يكون إلا ضمير شأن وضمير الشأن لا يفسر إلا بجملة مصرح بجزئيها[٦].

فصل

قال المفسرون: أخذ الهدهد هذا الكتاب، وأتى به إلى[٧] بلقيس، وكان بأرض يقال لها: «مأرب» من صنعاء، فرمى بالكتاب[٨] إليها، فأخذته بلقيس، وكانت قارئة، ومن ثم اتخذ[٩] الناس البطائق، فلما رأت الخاتم أرعدت وخضعت، لأن ملك سليمان كان في خاتمه، وعرفت أن الذي أرسل الكتاب أعظم ملكاً منها، لطاعة الطير وهيبة الخاتم، فقرأت[١٠] الكتاب وتأخر الهدهد غير بعيد، فقعدت على سرير ملكها، وجمعت الملأ من قومها، وقالت لهم: «إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ»[١١]. قال عطاء والضحاك: سمته كريماً، لأنه كان مختوماً[١٢].

وروى[١٣] ابن عباس عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «كرمه ختمه»[١٤]. وقال مقاتل والزجاج: كريم أي: حسن ما فيه[١٥]، وروي عن ابن عباس أي: شريف لشرف صاحبه[١٦].

وقيل سمته كريماً، لأنه مصدر بـ «بسم الله الرحمن الرحيم»[١٧]، ثم بينت ممن الكتاب، فقالت: «إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ»، وبينت المكتوب فقالت: «وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ». فإن قيل: لم قدم سليمان اسمه على قوله: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ»؟

---

(١) الكشاف ٣/١٤١، وقال الفراء: (وإن شئت كانتا في موضع نصب لسقوط الخافض منهما) معاني القرآن ٢/٢٩١.
(٢) مشكل إعراب القرآن ٢/١٤٨.
(٣) معاني القرآن للفراء ٢/٢٩١، المختصر (١٠٩)، الكشاف ٣/١٤١، البحر المحيط ٧/٧٢.
(٤) انظر الكشاف ٣/١٤١، البحر المحيط ٧/٧٢.
(٥) انظر البحر المحيط ٧/٧٢.
(٦) انظر الهمع ١/١٤٢.
(٧) إلى: سقط من ب.
(٨) في ب: الكتاب.
(٩) في ب: أخذ.
(١٠) في ب: فقرأ. وهو تحريف.
(١١) انظر البغوي ٦/٢٧٦.
(١٢) المرجع السابق.
(١٣) في ب: وروى عن.
(١٤) انظر البغوي ٦/٢٧٦.
(١٥) معاني القرآن وإعرابه ٤/١١٧.
(١٦) انظر البغوي ٦/٢٧٦.
(١٧) المرجع السابق.

فالجواب: حاشاه من ذلك، بل ابتدأ الكتاب بـ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ»، وإنما كتب اسمه عنواناً بعد ختمه، لأن بلقيس إنما عرفت كونه من سليمان بقراءة عنوانه كما هو المعهود، ولذلك قالت[1]: «إِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ»، أي: إنّ[2] الكتاب... فالتقديم واقع في حكاية الحال[3]. واعلم أن قوله: «بسم الله الرحمن الرحيم» مشتمل على إثبات الصانع سبحانه، وإثبات كونه عالماً قادراً[4] حياً مريداً حكيماً[5] رحيماً[6].

فصل[7]

وقد استنبط الشيخ الإمام العالم شرف الدين محمد بن سعيد الشهير بالبوصيري[8] من أسرار البسملة ما أبطل به مذهب النصارى، فقال: بلغني أن بعض النصارى انتصر لدينه، وانتزع من البسملة الشريفة دليلاً على تقوية اعتقاده في المسيح وصحة يقينه فقلب حروفها ونكر[9] معروفها وفرق مألوفها وقدم فيها وأخر وفكر وقدر فقتل كيف قدر، ثم عبس وبسر، ثم أدبر واستكبر، فقال: قد انتظم من البسملة: «المسيح ابن الله المحرر»، وظن[10] ذلك سراً في قلب البسملة مضمراً، وعلى جبين الكتاب العزيز مسطراً، فنظرت إلى ما عزاه إلى البسملة واستخرجه من حروفها المستعملة والمهملة فإذا هو: «لا ما المسيح ابن الله محرر»، فأسقط في يده[11]، ونكص على عقبيه، وقامت حجته من لسانه عليه، ثم عاد إليّ رسوله يخبر أن الذي صح له نظمه وتمت[12] عنده منها حكمه: «ألم المسيح ابن الله محرراً»، فقلت: ورسل الله كلهم ألموا وأنبياؤه، فأي خصوصية لربك بالنبوة، وأي رتبة زدته بها على النبوة، فقال: أردت بالألم إثبات ما أنكرته من الصلب، ونفيته عنه من ألم الطعن والضرب، وقد شهدت به كتب الله المنزلة، وشافهتك به حروف البسملة، فقلت: وهل شهدت لك إلا بالنقيض، ورحت منها بأخيب قداح المفيض[13]، وحيث رضيت البسملة بيننا وبينك حكماً وجوزت منها أحكاماً عليك وحكماً، فلتنصرن البسملة الأخيار منا على الأشرار، ولتفضلن أصحاب الجنة على أصحاب النار، وحيث كان مقصودك من ذكر الألم الإفصاح عما أردته من الصلب والطعن والضرب والثلب

---

(١) في ب: قال. وهو تحريف.
(٢) إن: سقط من ب.
(٣) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٩٤.
(٤) في ب: قادراً عالماً.
(٥) في ب: حكماً.
(٦) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٩٤.
(٧) في الأصل: قوله.
(٨) محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله الصنهاجي البوصيري المصري شرف الدين شاعر حسن الديباجة مليح المعاني نسبته إلى بوصير له ديوان شعر وأشهر شعره البردة، والهمزية. مات سنة ٦٩٦هـ بالاسكندرية. الاعلام ٦/ ١٣٩.
(٩) في ب: وأنكر.
(١٠) في النسختين: وظن أن، والصواب ما أثبت.
(١١) في ب: يديه.
(١٢) في ب: ثبت.
(١٣) أفاض الرجل بالقداح إفاضة: ضرب بها لأنها تقع منبثة متفرقة. اللسان (فيض).

وسقيه من الخل الممزوج بالمرار بئس الشراب فخذ الجواب عنه، والله الموفق[١] للصواب: أما دعواك النبوة فقد قالت لك البسملة بلسان حالها: لا ما المسيح ابن الله محرر، وألحقته بقولها: الحلم ربح رأس المال، لحملة الإيمان، الحلم[٢] ربح رأس مال[٣] الإيمان، ليس برًّا من أَحَلَّ ما حرم الله، المسلم له نبي حرم الراح لنبيه[٤]، سلم بالله من يحرم الراح، لله نبي مسلم حرم الراح، المسلم للرحمانية رابح، لا مرحمة للئام أبناء السحرة[٥]، رحم حر مسلم أناب إلى الله، إنما الله رب للمسيح راحم. وزعمت أنه ربك، فقالت: حرم من لا رب له إلا المسيح، وقالت أيضاً: النحر لأمم لها المسيح رب، وقلت: إنه حمل الله، فقالت: أسمي لله[٦] ابن المحرر حملاً، وقالت ما أسلم الرب حمله يسخر، وقالت: ألا يحرس الرب حمله من ألم؟ وقلت[٧]: إنه ألم، فقالت المحرر من ربه حل الألم، وقالت: سل حمرنا أربهم يحل الألم؟ وقالت: حرم حمار ينسب لله الألم، وقلت: إنه طعن بالحربة مسمراً، فقالت: من رأى المسيح ألم للحربة، وقالت: إن ربًّا حلل مسمره لحليم، وقالت: أحالل ربنا الحليم مسمره؟ وقالت: أمحالل الرب الحي من سمره، وقلت: إنه[٦] إله يحلل ويحرم، فقالت: ابن سليل رحم لا إله محرم، وقالت: سل ابن مريم أحل الحرام، وقالت: أمحلل[٨] لم حرمه رب الناس، وإن قلت: إنه رسول صدقتك، وقالت: أيل أرسل الرحمة من بلحم ويرحمه؛ أيل اسم من أسماء الله تعالى بلسان كتبهم وترجمة بلحم «بيت لحم» الذي ولد في المسيح. وقلت: إنه ركب الحمار، فقالت: سلم أن الرب لا يحمله حمار، وقالت للناس: رب لم يحمله حمار، وباهيتها ببسملتك التي لفقها الفلاسفة للأساقفة، فقالت لم نر أحبار الملة المسيح، وقالت: أحبار الملة[٩] محل مرسلين، وقالت: ما حرر إلا[١٠] المسيح الأمانة وقلت: إن النصارى لا تمسهم النار، فقالت: حر لهب النار لأمم المسيح، وكرهت الإسلام، فقالت للإسلام بحر ما أحلى نميره، الإسلام بحر حلالي منهمر، حلا الإسلام لمحرره بإيمان، وقالت: من حرم الإسلام لا ربح له، وقالت: إن المسلم لحري بالرحمة، وقالت: ما برح الله راحم المسلمين، وقالت: إن ملة الإسلام لحرم رحيب، وقالت: لا راحة لمحارب المسلمين، وقالت: الإسلام حرم لا رأي لمحاربه. وقالت: المسلم حرب للنار الحامية، وقالت: حن المسلم إلى رحمة الرب، وقالت: الأحبار رحمة للمسلمين، وقالت: المحراب راحة للمسلمين، ونَقِمْتَ قيام الدين بالسيف، فقالت: أم الحسام للنبي الرحمة، وأثنت البسملة على نفسها فقالت: البسملة لأرحم

---

(١) في ب: الموافق.
(٢) في ب: الحكم.
(٣) في ب: ماله.
(٤) في ب: حرم الراح المسلم حرم الراح لنبيه.
(٥) في ب: السحر.
(٦) في ب: الله.
(٧) في الأصل إن، والأنسب ما أثبت.
(٨) في ب: المحلل.
(٩) في ب: الملة المسيح.
(١٠) في ب: ما.

الراحمين، وقالت: الحرُّ ينال الرحمة[١] ما بسمل. فانظر[٢] إلى البسملة قد لاحت لك بارقة من أنوارها وحلت لك عقدة من إزار أسرارها تخبر أن من وراء رجلها خيولاً وليوثاً، ومن دون طلبها سيولاً وغيوثاً، وأما بسملتك فلو كان على أصل ثابت، أو لم تغرس من الكفر على أخبث المنابت، لهززت إليك بجذعها، واستدللت على طيب أصلها بخير فروعها، لكنّي وجدتها شجرة خبيثة، وثمرة لا تسوغها القديمة ولا الحديثة، ألفاظها تصم الأسماع ومعانيها تحلّ عقود الإجماع، والنظر فيها يصدىء الأفهام والعقول، ويعلم كل غائب ما يقول، ولذلك[٣] ضربت عن ذكرها صفْحاً، وعددت الإعراض عنها غنيمةً وربحاً، فكفرها قائم وقاعد، والمعترف بها سواء والجاحد، والثلاثة الآلهة فيها يوصفون بالواحد، وأما بسملة المسلمين: فإنّ الله أودعها من العلوم والحكم ما فضلهم به على سائر الأمم، وأعلم أنّ منها ألفات اختصرت، وبين الهجاء مواضعها غابت أو حضرت، وقد استعملت بعضها في بعْض المواضع؛ لأبين حكمها وأحيي رسمها، وصرفتها للمسألتين، وصارت كعبة فضلها للقبلتين، وتارة توافق حروفها في العدد والعادة، وتارة تقضي على ألفات الوصل بالزيادة، وما أخطأت ـ بحمد الله ـ منها واحدة[٤] صواباً، ولا عييت جواباً ولا خرجت عن حدها[٥] كتابة ولا حساباً، ولا تحسبني استحسنت كلمتك الباردة[٦]، فنسجت على منوالها، وقابلت الواحدة منها بعشر أمثالها، وما كان ذلك الهذيان مما يُجاب، لولا ما يداخلك من التيه والإعجاب، فتظن أنّك جِئْتَ بشيء عُجاب، أو حكمة كلمك الله بها وحياً أو من وراء حجابٍ، وتقول لإخوانك الذين يمدُّونك في الغَيّ ويحسبون أنك[٧] على شيء: قد أفحمتُ بكلمتي المسلمين، وأسكت بمسألتي فُضلاء المتكلمين، فتذر قومك في طغيانهم، وتقرهم على فساد إيمانهم، ولا أنت ممن يجري بمحاكاة كفرك قلمي[٨]، ولا أحرّك به لساني، ولا أفغر به فمي، وقد أتيتك بما يتعبك فيبهتك ويسمعك ما يصمّك عن الإجابة، ويصمتك على أسلوب رأيته في كتب أنبيائك، وتفاسير علمائك تعلم به أنّ هذه البسملة مستقر لسائر العلوم والفنون، ومستودع لجوهر سرِّها المكنون، ألاَ ترى أَنَّ البسملة إذا حصلت جُمَلها[٩] كان عدده[١٠] سبعمائة وستة وثمانين ب، س، م، ا، ل، ل، ه، ا، ل، ر، ح، م، ن، ا، ل، ر، ح، ي، م، ٢، ٦٠، ٤٠، ١، ٣٠، ٣٠، ٥، ١، ٣٠، ٢٠٠، ٨، ٤٠، ٥٠، ١، ٣٠، ٢٠٠، ٨، ١٠، ٤٠ وإذا قُلتَ إِنّ مثل عيسى كآدم[١١] وافق

---

(١) الرحمة: سقط من ب.
(٢) في ب: قوله فانظر.
(٣) في ب: كذلك.
(٤) في ب: واحدة منها.
(٥) في ب: عدها.
(٦) في ب: البارحة.
(٧) في ب: ويحسبونك.
(٨) في ب: قلبي.
(٩) في ب: جملتها.
(١٠) في ب: عددها.
(١١) في ب: لكآدم.

جملها[١] سبعمائة وستّة وثمانين، وإنْ باهيتها ببسملتك التي ترعد من كفرها الفرائص، وتجوز بالبهتان ما لا يجوز على الله من النقائص، ردت عليه وقالت: ليس لله من شريك، جملها[١] سبعمائة وستة وثمانين، بحساب الألف التي بعد لامي الجلالة، وقالت: و[٢]لا أشرك بربّي أحداً سبعمائة وستة وثمانين، وقالت: ما لِعُلُوم[٣] الفلسفة أنوار هداية، سبعمائة وستة وثمانين، وقالت: يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ: سبعمائة وستة وثمانين، بإسقاط ألف الجلالة. ولو استشهدت ببسملتك لشهدت لي بالحقّ عليك، وشكت إلى الله وإلى النّاس مما نسبت من الإفك والبهتان إليك، إذ ألفاظها ـ وحاكي الكفر ليس بكافر ـ تنافي المعقول والمنقول، وتنافر: «بسم الأب والابن وروح القدس، إله واحد»، وباطنها يقول: «ما سبح إلاّ بنور، الإله القدوس واحد»، وتقول: بسملوا بالقرآن، ووحّدُوا الله بلا جسد، فهي كافرة الظاهر مؤمنة الباطن، كَسُورٍ له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب، ونظرت في محصلها من العدد، فإذا جملته ستمائة وستة وتسعون، فإذا قلت: أُفٍّ لها بسملة ما نزّل اللّه بها من سُلطَانٍ، وافقت المعنى وطابقت العدد، وكانت ستمائة وستة وتسعون، وكذلك ما عطفته عليها من الكلام، وهو: ﴿بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحجرات: ١١] موافق للمعنى مطابق للعدد: ستمائة وستة وتسعون، وكذلك قولك: «لا بسملة بحقّ كبسملةِ المسلمين» ستمائة وستة وتسعون، وقد أجابتك البسملة بما لم تحط به خُبراً، وجاءتك بما لم تستطع عليه صبراً، على الأسلوب الذي تضمنته شريعتكم[٤]، فإنّي رأيت في إنجيلك وقد سَأَلَتْ بنو إسرائيل المسيح أن يُرِيهم آية، ليؤمنوا به وهو في بيت المقدس، فقال: تهدمون هذا الهيكل، وأنا أُقِيمُه في ثلاثة أيام، فقالوا: بيت بني في خمسة وأربعين سنة، يقيمه في ثلاثة أيام!! وعلله في الإنجيل أنه أشار إلى هيكل نفسه الذي هو هيكل آدم، وحمله خمسة وأربعون وفي هذا ردّ عليهم ليس هذا موضعه. ورأيتُ في التوراة في البشارة بإسماعيل بعد قوله: «وأكبره[٥] وأنميه بماد ماد» ومعناه بحد جدلها بل أشار بها إلى اسم محمد ـ ﷺ ـ، بطريق الحمل، إذ هو اثنان وتسعون في الموضعين، وفي قصة يعقوب إذ قال لبنيه ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى﴾ [البقرة: ١٣٣]، فقالوا له: أعلم إسرائيل (الله أحد)[٦] فطابت نفسه، وعلم أن بنيه الاثني عشر سبطاً يعبدون الله وحده، لأنّهم عَدَلُوا عن قولهم: «اللّه واحدٌ» إلى قولهم[٧]: «اللّه أَحَدٌ»، إذ جملها[٨] ثلاثة عشر، وهي إشارة إلى أنّ الاثني عشر سبطاً يعبدون الله الواحد. وفيه أنّ المصلّي إذا دخل في الصلاة تكون على رأسه طيلسان يسمى: «صيصيت»، وفي طرفه خمسة خيوط وثمان عقد ليجتمع له من جمع صيصيت وهو ستمائة ومن خمسة

---

(١) في ب: جملتها.
(٢) و: سقط من ب.
(٣) في ب: بالعلوم.
(٤) في ب: كتب شريعتكم.
(٥) وأكبره: سقط من ب.
(٦) ما بين القوسين في ب: إنه.
(٧) قولهم: سقط من ب.
(٨) في ب: جملتها.

خيوط وثمان عقد ثلاثة عشر لتتمة ما عليهم من الفرائض، وهي ستمائة، وثلاث عشرة فريضة، ليذكروا[١] بها ما كتب الله عليهم من الفرائض، والتزموا (بها)[٢][٣]. ولنرجع إلى الإعراب والتفسير.

قوله: «أَلاَّ تَعْلوا» فيه أوجه:

أحدها: أن «أَنْ» مفسرة كما تقدم في أحد الأوجه في «أَنْ» قبلها في قراءة عكرمة[٤]، ولم يذكر الزمخشري غيره[٥]، وهو وجه حسن، لما في ذلك من المشاكلة[٦]، وهو عطف الأمر عليه، وهو قوله: «وَأْتُونِي»[٧].

الثاني: أنها مصدرية في محل رفع بدلاً من «كِتَاب»، كأنّه قيل: ألقي إليَّ أن لا تعلُوا عَلَيَّ[٨].

الثالث: أنها في موضع رفع على خبر ابتداء مضمر، أي هو أن لا تعلوا[٩].

الرابع: أنها على إسقاط الخافض، أي: بأن لا تعلوا[١٠]، فيجيء في موضعها القولان المشهوران[١١].

والظاهر أن «لا» في هذه الأوجه الثلاثة للنهي، وقد تقدّم أن «أَنْ» المصدرية توصل بالمتصرف[١٢] مطلقاً. وقال أبو حيان: و «أَنْ» في قوله: «أَنْ لاَ تَعْلُوا» في موضع رفع[١٣] على البدل من «كتاب»، وقيل في موضع نصب على: «بِأَنْ لا تَعْلُوا»، وعلى هذين التقديرين تكون «أن» ناصبة للفعل[١٤]. فظاهر هذا أنّها نافية، إذ لا يتصور أن تكون ناهية بعد «أن» الناصبة للمضارع، ويؤيّد هذا ما حكاه عن الزمخشري، فإنّه قال: وقال الزمخشري: و «أن» في أن لا تَعْلُوا مفسرة[١٥]، قال: فَعَلَى هذا تكون «لا» في:

---

(١) في الأصل: يذكروا.

(٢) انظر الكليات لأبي البقاء الكفوي الحنفي (٧).

(٣) ما بين القوسين سقط من ب.

(٤) في قوله تعالى: **﴿إنَّه من سليمان وإنَّه﴾** من الآية ٣٠ من السورة نفسها؛ بفتح الهمزتين.

(٥) قال الزمخشري: (و «أن» في «ألاّ تعلوا» مفسرة أيضاً) الكشاف ٣/ ١٤١، وانظر البيان ٢/ ٢٢٢، التبيان ٢/ ١٠٠٨.

(٦) في ب: من المشاكلة كلمة.

(٧) انظر البحر المحيط ٧/ ٧٢.

(٨) انظر معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٩١، مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٤٨، البيان ٢/ ٢٢٢.

(٩) قال أبو البقاء: (موضعه رفع بدلاً من «كتاب»، أي: هو ألا تعلوا) التبيان ٢/ ١٠٠٨.

(١٠) انظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٤٨، البيان ٢/ ٢٢١.

(١١) وهما إما أن يكون في موضع نصب وذلك عند الخليل وأكثر النحويين، وجر عند الكسائي، وجوز سيبويه أن يكون المحل جراً، وتقدم الحديث عنهما عند قوله تعالى: **﴿وإنَّ هذه أمتكم أمةً واحدةً﴾** [المؤمنون: ٥٢].

(١٢) في ب: بالتصرف.

(١٣) رفع: سقط من ب.

(١٤) البحر المحيط ٧/ ٧٢.

(١٥) الكشاف ٣/ ١٤١.

«لاَ تَعْلُوا» للنهي، وهو حسن لمشاكلة عطف الأمر عليه[١] فقوله: «فعلى هذا»: إلى آخره صريح بأنّها على غير هذا يعني الوجهين المتقدمين ليس للنهي فيهما[٢]، ثم القول بأنّها للنفي لا يظهر، إذ يصير المعنى ـ على الإخبار منه عليه السلام ـ بأنّهم لا يعلون عليه، وليس هذا مقصوداً، وإنّما المقصود أن ينهاهم عن ذلك. وقرأ ابن عباس والعقيلي: «تغلوا» ـ بالغين المعجمة[٣]، من الغلو، وهو مجاوزة الحد.

فصل

قال ابن عباس: «لا تتكبروا عليَّ»[٤]، وقيل: لا تتعظموا ولا ترتفعوا عليَّ أي: لا تمتنعوا من الإجابة، فإنّ ترك الإجابة من العلوّ والتكبر، «وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ»: مؤمنين طائعين[٤]، قيل: هو من الإسلام[٤]، وقيل: من الاستسلام[٤]. فإنْ قيل: النهي عن الاستعلاء والأمر بالانقياد قبل إقامة الدلالة على كونه رسولاً حقاً يدل على الاكتفاء بالتقليد.

فالجواب: معاذ الله أن يكون هناك تقليد؛ وذلك لأنّ رسول سليمان إلى بلقيس الهدهد، ورسالة الهدهد معجزة، والمعجزة تدل على وجود الصانع وصفاته، وتدل على صدق المُدَّعِي للرسالة، فلمَّا كانت تلك الرسالة دلالة تامة على التوحيد والنبوة، لا جرم لم يذكر في الكتاب دليل آخر[٥].

قوله: «يَا أَيُّهَا المَلأ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي» أشيروا عليَّ فيما عرض لي، وأجيبوني فيما أشاوركم، والفتوى هي الجواب في الحادثة، استفتت، على طريق الاستفادة من الفتي في السن، أي: أجيبوني في الأمر الفتي، وقصدت[٦] بذلك استطلاع آرائهم وتطييب قلوبهم[٧].

«مَا كُنْتُ قَاطِعَةً» قاضية وفاصلة، «أَمْراً حتَّىٰ تَشْهَدُونِ» تحضرون. «قَالُوا» مجيبين لها، «نَحْنُ أولُوا قوَّةٍ» في القتال، «وَأُولوا بَأسٍ شَدِيدٍ»، في الحرب، قال مقاتل: أرادوا بالقوة كثرة العدد، وأرادوا بالبأس الشديد: الشجاعة[٨]، والبأس: النجدة والبلاء في الحرب، وهذا تعريض منهم بالقتال إن أمرتهم بذلك[٩]، ثم قالوا: «وَالأَمْرُ إِلَيْكِ» أيتها الملكة في القتال وتركه.

قوله: «مَاذَا تَأْمُرِينَ» ماذا هو المفعول الثاني لـ «تأمرين»، والأول محذوف تقديره:

---

(١) البحر المحيط ٧/ ٧٢.
(٢) في ب: فيها.
(٣) المختصر (١٠٩)، المحتسب ٢/ ١٣٩، البحر المحيط ٧/ ٧٢.
(٤) انظرالبغوي ٦/ ٢٧٧.
(٥) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٩٥.
(٦) في ب: وتصدقت. وهو تحريف.
(٧) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٩٥.
(٨) انظر البغوي ٦/ ٢٧٧.
(٩) المرجع السابق.

«تأمريننا»، والاستفهام معلق للنظر[١]، ولا يخفى حكمه مما تقدم قبله، والمعنى: فانظري في الرأي ماذا تأمرين تجدينا لأمرك طائعين. قالت ـ مجيبة لهم ـ عن التعريض بالقتال ـ:

قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾

قوله تعالى: «إِنَّ المُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً» بالقهر «أَفْسَدُوهَا»: خرّبوها، «وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً»، فذكرت لهم عاقبة الحرب[٢]، وحذرتهم مسير سليمان إليهم ودخوله بلادهم.

قوله: «وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ» أي: مثل ذلك الفعل يفعلون، وهل[٣] هذه الجملة من كلامها ـ وهو الظاهر ـ فتكون منصوبة بالقول، أو من كلام الله تعالى، فهي[٤] استئنافية لا محل لها من الإعراب، وهي معترضة بين قولها[٥].

قوله: «وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ»: ما بعث على وجه الإكرام، وهي اسم للمهدى، فيحتمل أن يكون اسماً صريحاً، ويحتمل أن تكون ـ في الأصل ـ (مصدراً أطلق على اسم المفعول، وليست مصدراً قياسياً، لأن الفعل منه: أهدى رباعياً، فقياس)[٦] مصدره: إهداء.

فصل

اعلم أنَّ بلقيس كانت امرأة لبيبة قد سيست وساست فقالت للملأ من قومها: «إِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ»، أي: لسليمان وقومه «بِهَدِيَّةٍ» أصانعه بها على ملكي وأختبره بها أَمَلِكٌ أم نبيّ، فإن يكن ملكاً قبل الهديّة وانصرف، وإن يكن نبيّاً لم يقبل الهديّة ولم يرضه منا إلا أن نتبعه على دينه، فذلك قولها: «فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ المُرْسَلُونَ»[٧]، (وهذا الكلام يدل على أنّها لم تثق بالقبول وجوّزت الرد، وأرادت أن ينكشف لها غرض سليمان)[٨].

قوله: «فَنَاظِرَةٌ» عطف على «مُرْسِلَة»، و «بم» متعلق بـ «يرجع»[٩]، وقد وهم

(١) انظر البحر المحيط ٧/ ٧٣. وفيه: (فهي في موضع مفعول لـ «انظري» بعد إسقاط الحرف من اسم الاستفهام).
(٢) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٩٦.
(٣) في ب: وقيل.
(٤) فهي: سقط من ب.
(٥) انظر تفسير ابن عطية ١١/ ٢٠٣، التبيان ٢/ ١٠٠٨.
(٦) ما بين القوسين سقط من ب.
(٧) انظر البغوي ٦/ ٢٧٨.
(٨) ما بين القوسين سقط من ب.
(٩) انظر البحر المحيط ٧/ ٧٣ ـ ٧٤.

الحوفي فجعلها متعلقة بـ «نَاظِرَةٌ»[١]، وهذا لا يستقيم، لأن اسم الاستفهام له صدر الكلام و «بم يرجع» معلق لناظرة[٢].

قوله: «فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ» أي: فلما جاء الرسول، أضمره لدلالة قولها «مرسِلة»، فإنه يستلزم رسولاً، والمراد به الجنس لا حقيقة رسول واحد، بدليل خطابه لهم بالجمع في قوله: «أَتُمِدُّونَنِي..» إلى آخره[٣]، وكذلك قرأ عبد الله: فلما جاءوا، وقرأ[٤]: «فارجعوا إليهم»[٥]، اعتباراً بالأصل المشار إليه.

قوله: «أَتُمِدونَنِي» استفهام إنكار، وقرأ حمزة بإدغام نون الرفع في نون الوقاية، وأما الياء فإنه يحذفها وقفاً، ويثبتها وصلاً على قاعدته في الزوائد[٦]، والباقون بنونين ـ على الأصل ـ وأما الياء فإن نافعاً وأبا عمرو كحمزة يثبتانها وصلاً ويحذفانها وقفاً، وابن كثير يثبتها في الحالين، والباقون يحذفونها في الحالين.

وروي عن نافع أنه يقرأ بنون واحدة، فتكملت ثلاث قراءات[٧] كما في: ﴿تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ﴾ [الزمر: ٦٤].

قال الزمخشري: ما الفرق بين قولك: أتمدونني[٨] بمال وأنا أغنى منكم[٩]، وبين أن تقوله بالفاء؟ قلت: إذا قلته بالواو فقد جعلت مخاطبي عالماً بزيادتي عليه في الغنى، وهو ـ مع ذلك ـ يمدني بالمال، وإذا قلته بالفاء فقد جعلته ممن خفي عليه حالي، وإنما أخبره الساعة بما لا أحتاج معه إلى إمداده، كأني أقول له[١٠]: أنكر عليك ما فعلت فإني غني عنه، وعليه ورد قوله: «فَمَا آتَانِي اللَّهُ»[١١] انتهى.

وفي هذا الفرق نظر، إذ لا يفهم ذلك بمجرد الواو والفاء، ثم إنه لم يجب عن السؤال الأول، وهو أنه: لم عدل عن قوله: وأنا أغنى منكم[١٢] إلى قوله: «فَمَا آتَانِي اللَّهُ»؟

وجوابه: أنه أسند إيتاء الغنى إلى الله، إظهاراً لنعمته عليه، ولو قال: وأنا[١٣] أغنى منكم، كان فيه افتخار[١٤] من غير ذكر لنعمة الله عليه، فأظهر ـ بهذا الكلام ـ قلة

(١) انظر البحر المحيط ٧/ ٧٤.
(٢) انظر البحر المحيط ٧/ ٧٤.
(٣) المرجع السابق.
(٤) في ب: فاقرأ.
(٥) انظر تفسير ابن عطية ١١/ ٢٠٤، البحر المحيط ٧/ ٧٤.
(٦) في الأصل: الرواية، وفي ب: الرواب. والصواب ما أثبته.
(٧) السبعة (٤٨١ ـ ٤٨٢)، الكشف ٢/ ١٦٠، الإتحاف (٣٣٦ ـ ٣٣٧).
(٨) في الكشاف: أتمدني.
(٩) في ب: عنكم.
(١٠) له: تكملة من الكشاف.
(١١) الكشاف ٣/ ١٤٣.
(١٢) في ب: عنكم.
(١٣) في ب: أنا.
(١٤) في ب: إنكار. وهو تحريف.

الاكتراث بذلك المال. قوله: «بَلْ أَنتُم» إضراب انتقال، قال الزمخشري: فإن قلت: فما وجه الإضراب؟ قلت: لما أنكر عليهم الإمداد، وعلل إنكاره، أضرب عن ذلك إلى بيان السبب الذي حملهم عليه، وهو أنهم لا يعرفون سبب رضى إلا مما يهدى إليهم من حظوظ الدنيا التي لا يعرفون غيرها، والهدية: يجوز إضافتها إلى المهدي وإلى المهدى إليه، وهي هنا محتملة للأمرين(١). قال أبو حيان: وهي هنا مضافة للمهدى إليه، وهذا هو الظاهر، ويجوز أن تكون مضافة إلى المهدي، أي: بل أنتم بهديتكم هذه التي أهديتموها تفرحون فرح افتخار(٢).

قال شهاب الدين: كيف يجعل الأول هو الظاهر، ولم ينقل أن سليمان ـ ﷺ ـ أرسل إليهم هدية في هذه الحالة، حتى يضيفها إليهم، بل الذي يتعين إضافتها إلى المهدي(٣). ومعنى الآية: «بَلْ أَنتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ»، لأنكم أهل مفاخرة بالدنيا ومكاثرة بها تفرحون بإهداء بعضكم لبعض، وأما أنا فلا أفرح بها وليست الدنيا من حاجتي، لأن الله تعالى(٤) قد مكنني فيها وأعطاني منها ما لم يعط أحداً، ومع ذلك أكرمني بالدين والنبوة(٥). قوله: «ٱرْجِعْ» الظاهر أن الضمير يعود على الرسول(٦)، وتقدمت قراءة عبد الله: «ارجعوا»، وقيل: يعود على الهدهد(٧). «فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ» وهذا جواب قسم مقدر، وكذلك قوله «ولَنُخْرِجَنَّهُم». قوله: «لاَ قِبَلَ» صفة لـ «جُنُود»، أي: لا طاقة، وحقيقته: لا مقابلة(٨) والضمير في «بها» عائد على «جنود»، لأنه جمع تكسير فيجري مجرى المؤنثة الواحدة كقولهم: الرِّجَالُ وأعضَادَها(٩). وقرأ عبد الله «بهم»(١٠) على الأصل. «ولَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا» أي من بلادهم وأرض سبأ(١١) «أَذِلَّةً» حال(١٢)، والذل: أن يذهب عنهم ما كان عندهم من العز والملك(١٣). قوله: «وَهُمْ صَاغِرُون» حال ثانية(١٢)، والظاهر أنها مؤكدة، لأن «أَذِلَّةً» تغني عنها. فإن قيل: قوله «فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ»، و «لَنُخْرِجَنَّهُمْ» قسم، فلا بد أن يقع!

---

(١) الكشاف ٣/ ١٤٣. بتصرف.
(٢) البحر المحيط ٧/ ٧٤.
(٣) الدر المصون ٥/ ١٩٤ ـ ١٩٥.
(٤) تعالى: سقط من ب.
(٥) انظر البغوي ٦/ ٢٨١.
(٦) قيل: إن الرسول هو المنذر بن عمرو أمير الوفد. انظر القرطبي ١٣/ ٢٠١.
(٧) انظر الكشاف ٣/ ١٤٣.
(٨) المرجع السابق.
(٩) انظر البحر المحيط ٧/ ٧٤. ووجه الاستشهاد بالمثل أن الرجال جمع تكسير فيصح أن يعود عليه الضمير جمعاً مذكراً أو مفرداً مؤنثاً على معنى جماعة الرجال.
(١٠) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٩٣، البحرالمحيط ٧/ ٧٤.
(١١) انظر الكشاف ٣/ ١٤٣، البحر المحيط ٧/ ٧٤.
(١٢) انظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٤٨، البيان ٢/ ٢٢٢.
(١٣) انظر الكشاف ٣/ ١٤٣.

فالجواب: أنه معلق[١] على شرطٍ حُذِفَ لفهم المعنى، أي: إن[٢] لم يأتوني مسلمين، والصغار: أن يقعوا في أسر واستعباد[٣].

فصل

قال ابن عباس: لما رجعت رسل بلقيس إليها من عند سليمان، قالت: قد عرفت والله ما هذا بملك، ولا لنا به من[٤] طاقة، وبعثت إلى سليمان: إني قادمة عليك[٥] بملوك قومي، حتى[٦] أنظر ما أمرك وما تدعو إليه من دينك ثم آذنت بالرحيل إلى سليمان، فلما قربت منه على فرسخ، فرأى سليمان رهجاً قريباً، فقال ما هذا؟ قالوا بلقيس قد نزلت منا بهذا المكان. قال ابن عباس: وكان بين الكوفة والحيرة قدر فرسخ، فأقبل سليمان حينئذٍ على جنوده[٧]، فقال «يَا أَيُّهَا المَلأ أيكمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمين»؟

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾

قال ابن عباس[٨]: طائعين، واختلفوا في السبب الذي لأجله أمر سليمان بإحضار عرشها، فقال أكثرهم: لأن سليمان علم أنها إن أسلمت يحرم عليه مالها، فأراد أن يأخذ سريرها قبل أن يحرم عليه أخذه بإسلامها، وقيل: ليريها قدرة الله تعالى وعظيم سلطانه في معجزة يأتي بها في عرشها. وقال قتادة: لأنه أعجبه صفته لما وصفه الهدهد، فأحب أن يراه. وقال ابن زيد: أراد أن يأمر بتنكيرها[٩] وتغييرها، فيختبر بذلك عقلها، ويؤيد ذلك قوله تعالى: «نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي»[١٠].

قوله: «قَالَ عِفْرِيتٌ»[١١] العامة على كسر العين وسكون الفاء[١٢] بعدها تاء مجبورة.

وقرأ أبو حيوة: بفتح العين[١٣]، وأبو رجاء وأبو السمال ـ ورويت عن أبي بكر الصديق ـ

---

(١) في ب: متعلق.
(٢) إن: سقط من ب.
(٣) انظر الكشاف ٣/ ١٤٣.
(٤) من: سقط من ب.
(٥) في ب: إليك.
(٦) حتى: سقط من ب.
(٧) انظر البغوي ٦/ ٢٨١.
(٨) من هنا نقله ابن عادل عن البغوي ٦/ ٢٨٢.
(٩) في ب: بتنكيره.
(١٠) آخر ما نقله هنا عن البغوي ٦/ ٢٨٢.
(١١) في ب: «قال عفريت من الجنّ».
(١٢) في الأصل: الياء. وهو تحريف.
(١٣) الظاهر أن المراد: عفريت. كقراءة العامة في المرسوم، أحد اللغات في هذا اللفظ، وفي المختصر قال ابن خالويه: (عفرية أبو حيوة) ١٠٩، وانظر البحر المحيط ٧/ ٧٦.

«عفرية» مفتوحة بعدها تاء التأنيث المنقلبة هاء وقفاً[١]، وأنشدوا على ذلك قول ذي الرمة:

٣٩٦٢ ـ كَأَنَّهُ كَوْكَبٌ فِي إِثْرِ عِفْرِيَةٍ مُصَوَّبٌ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ مُنْقَضِبُ[٢]

وقرأت طائفة «عِفْر» بحذف الياء والتاء[٣]، فهذه أربع قراءات قد قرىء بهن، وفيه لغتان أخريان، وهما: عُفَارِيَةٌ، وطيّيء وتميم يقولون: عِفْرَى بألف التأنيث كذكرى[٤]، واشتقاقه من العفر، وهو التراب، يقال: عافره فعفره أي: صارعه فصرعه وألقاه في العفر وهو التراب. وقيل: من العفر، وهو القوة[٥]. والعفريت من الجن المارد الخبيث، ويقال: عفريت نفريت، وهو إتباع كشيطان ليطان[٦]، وحسن بسن[٧]. ويستعار للعارم من الإنس، ولاشتهار هذه الاستعارة وصف في الآية بكونه من الجن، تمييزاً له. قال ابن قتيبة: العفرية الموثق الخلق[٨]. وعفرية الديك والحبارى للشعر الذي على رأسهما[٩]. وعَفَرْنَى للقويّ[١٠]، ورجل عِفِرٌّ ـ بتشديد الراء ـ للمبالغة، مثل: شرّ شِمِرٌّ[١١]. قيل: إنَّ الشيطان أقوى من الجن، وإن المردة أقوى من الشياطين، وإن العفريت أقوى منهما. قال بعض المفسرين: العفريت من الرجال الخبيث المنكر[١٢]، وقال ابن عباس: العفريت: الداهية[١٣]، وقال الربيع[١٤]: الغليظ[١٥]، وقال الفراء: القوي الشديد[١٦].

قوله: «أَنَا آتِيكَ بِهِ» يجوز أن يكون فعلاً مضارعاً، فوزنه أفعل، نحو: أضرب، والأصل: أأتيك ـ بهمزتين ـ فأبدلت الثانية ألفاً[١٧]، وأن يكون اسم فاعل، ووزنه فاعل،

---

(١) المختصر (١٠٩)، المحتسب ٢/ ١٤١، البحر المحيط ٧/ ٧٦.

(٢) البيت من بحر البسيط، قاله ذو الرمة وهو في ديوانه ١/ ١١، مجاز القرآن ٢/ ٩٥، الكامل ٢/ ١٠١٠، تفسير ابن عطية ١١/ ٢٠٧، القرطبي ١٣/ ٢٠٣، اللسان (قضب) البحر المحيط ٧/ ٥١، ٧٦، والبيت في وصف ثور وحشي، منقضب: منقطع. يقول: كأن الثور كوكب مصوب منقض في إثر عفرية في سواد الليل. والشاهد فيه قوله: (عفرية) فإنها لغة في (عفريت).

(٣) تفسير ابن عطية ١١/ ٢٠٧، البحر المحيط ٧/ ٧٦.

(٤) انظر البحر المحيط ٧/ ٧٦. (٥) انظر اللسان (عفر).

(٦) في ب: نيطان. (٧) انظر الإتباع والمزاوجة لابن فارس (٣٢، ٦٧).

(٨) وعبارته في تفسير غريب القرآن: (قال عفريت من الجن أي: شديد «وثيق») ٣٢٤.

(٩) مفردات غريب القرآن (٣٣٩).

(١٠) في لسان العرب (عفر): وأسد عِفر وعِفرِيَة وعَفَارِيَة وعِفْرِيت وعَفرنى: شديد قوي.

(١١) شر شِمِرّ، بكسر الشن وتشديد الراء، بوزن رجل عِفِرّ: وهو الموثق الخلق المصحّ الشديد، ومعنى شر شمر إذا كان شديداً يتشمّر فيه عن الساعدين. اللسان (شمر).

(١٢) انظر الكشاف ٣/ ١٤٣. (١٣) انظر البغوي ٦/ ٢٨٢.

(١٤) هو الربيع بن نافع الحلبي أبو توبة الطرسوسي، أخذ عن معاوية بن سلام وأبي الأحوص وابراهيم بن سعد وخلق وأخذ عنه أبو داود، مات سنة ٢٤١هـ. تذكرة الحفاظ للذهبي ٢/ ٤٧٢ ـ ٤٧٣.

(١٥) انظر البغوي ٦/ ٢٨٢. (١٦) معاني القرآن ٢/ ٢٩٤.

(١٧) لأنه إذا التقى همزتان في كلمة، وكانت الأولى متحركة والثانية ساكنة أبدلت الثانية حرف مدٍّ من جنس حركة الأولى.

والألف زائدة، والهمزة أصلية عكس الأول[١]. وأمال[٢] حمزة «آتيك» في الموضعين من هذه السورة بخلاف عن خلاد[٣].

فصل

قوله: «قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ» أي: مجلسك الذي تقضي فيه، قال ابن عباس: كان له في[٤] كل غداة مجلس يقضي فيه إلى انتصاف النهار[٥]، «وإِنِّي عليهِ» على حمله، «لَقويٌّ[٦] أَمين» به على ما فيه من الجواهر، فقال سليمان: أريد أسرع من هذا، فـ «قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنْ الكِتَابِ»، فقيل: هو جبريل ـ عليه السلام ـ وقيل: ملك من الملائكة أيَّد الله به نبيه سليمان ـ عليه السلام[٧] ـ وقال أكثر المفسرين: هو آصف بن برخياء، وكان وزير سليمان[٨]، وكان صدّيقاً يعلم اسم الله الأعظم، إذا دعا به أجيب، وقيل: بل هو سليمان نفسه[٩]، والمخاطب هو العفريت الذي كلمه، وأراد سليمان ـ عليه السلام[١٠] ـ إظهار معجزة، فتحداهم أولاً، ثم بين للعفريت أنه يتأتى له من سرعة الإتيان بالعرش ما لا يتهيأ للعفريت[١١].

(قال محمد بن المنكدر[١٢]: إنما هو سليمان قال له عالم من بني إسرائيل آتاه الله علماً وفهماً: «أَنا آتيكَ بِهِ قبل أن يرتد إليكَ طَرْفُكَ»، قال سليمان: هاتِ، قال: أنت النبي ابن النبي، وليس أحد أوجه عند الله منك، فإن دعوت الله وطلبت إليه كان عندك، قال: صدقت، ففعل ذلك، فجيء بالعرش في الوقت[١٣]. وضعف السهيلي ذلك بأنه لا يصح من سياق الكلام)[١٤][١٥]، قال ابن الخطيب: وهذا القول أقرب لوجوه:

الأول: أن لفظة «الذي» موضوعة في اللغة للإشارة إلى شخص معين عند محاولة تعريفها بقضية[١٦] معلومة، والشخص المعروف بأنه عنده علم من الكتاب هو سليمان ـ عليه السلام ـ فوجب انصرافه إليه أقصى ما في الباب أن[١٧] يقال: كان آصف كذلك

---

(١) انظر الكشاف ٣/١٤٣، تفسير ابن عطية ١١/٢١٠، التبيان ٢/١٠٠٩، البحر المحيط ٧/٧٦.
(٢) في ب: وأما. وهو تحريف.
(٣) السبعة (٤٨٢)، الإتحاف (٣٣٧).
(٤) في: سقط من ب.
(٥) انظر البغوي ٦/٢٨٣.
(٦) في ب: القوي. وهو تحريف.
(٧) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٨) في ب: سليمان عليه الصلاة والسلام.
(٩) نفسه: سقط من ب.
(١٠) في ب: عليه الصلاة السلام.
(١١) انظر الفخر الرازي ٢٤/١٩٧.
(١٢) هو محمد بن المنكدر بن عبد الله القرشي التيمي، أبو عبد الله المَدني، أحد الأئمة الأعلام، أخذ عن عائشة وأبي هريرة، وغيرهما، وأخذ عنه زيد بن أسلم، ويحيى الأنصاري والزهري، وغيرهم، مات سنة ١٣٠ هـ. خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٢/٤٦٠ ـ ٤٦١.
(١٣) انظر البغوي ٦/٢٨٣ ـ ٢٨٤.
(١٤) انظر القرطبي ١٣/٢٠٥.
(١٥) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٦) في ب: لقضية.
(١٧) أن: سقط من ب.

أيضاً، لكنا نقول: إن سليمان كان أعرف بالكتاب منه، لأنه هو النبي، فكان[١] صرف اللفظ إلى سليمان أولى.

الثاني: أن إحضار العرش في تلك[٢] الساعة اللطيفة درجة عالية، فلو حصلت لآصف دون سليمان، لاقتضى ذلك قصور حال سليمان في أعين الخلق.

الثالث: أن سليمان قال «هٰذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُر أَمْ أَكْفُر» فظاهره[٣] يقتضي أن يكون ذلك المعجز قد أظهره الله تعالى[٤] بدعاء سليمان[٥].

فصل

واختلفوا في الكتاب، فقيل: هو اللوح المحفوظ، والذي عنده علم الكتاب جبريل ـ عليه السلام ـ وقيل: كتاب سليمان، أو كتاب بعض الأنبياء، وفي الجملة فإنّ ذلك مدح، وإن لهذا الوصف تأثيراً في نقل ذلك العرش، ولذلك[٦] قيل: إنَّه اسم الله الأعظم، وإن عنده وقعت الإجابة من الله تعالى في أسرع الأوقات[٧].

قوله: «قَبْلَ أَن يرتدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ» فيه وجهان:

أحدهما: أنه الجفن عُبِّرَ[٨] به عن سرعة الأمر كما تقول لصاحبك: افعل ذلك في لحظة، وهذا قول مجاهد[٩]، وقال الزمخشري: هو تحريكك أجفانك إذا نظرت، فوضع موضع النظر[١٠].

الثاني: أنه بمعنى المطروف[١١]، أي: الشيء الذي تَنْظُره[١٢]، والأول هو الظاهر، لأن الطرف قد وصف بالإرسال في قوله:

٣٩٦٣ ـ وَكُنْتَ إِذَا أَرْسَلْتَ طَرْفَكَ رَائِداً ... لِقَلْبِكَ يَوماً أَتْعَبَتْكَ المَنَاظِرُ
رَأَيْتَ الَّذِي لا كُلُّهُ أَنْتَ قَادِرٌ ... عَلَيْهِ ولاَ عَنْ بَعْضِهِ أَنْتَ صَابِرُ[١٣]

قال[١٤] سعيد بن جبير «من قبل أن يرتد» أي: من قبل أن يرجع إليك أقصى (من

(١) في ب: فصار.
(٢) تلك: سقط من ب.
(٣) في ب: فظاهر.
(٤) تعالى: سقط من ب.
(٥) الفخر الرازي ٢٤/١٩٧ ـ ١٩٨.
(٦) في ب: وكذلك.
(٧) انظر الفخر الرازي ٢٤/١٩٨.
(٨) في ب: عر. وهو تحريف.
(٩) انظر الفخر الرازي ٢٤/١٩٨.
(١٠) الكشاف ٣/١٤٣.
(١١) في ب: الشيء المطروف.
(١٢) وهو قول ابن جبير وقتادة، انظر البحر المحيط ٧/٧٧.
(١٣) البيتان من بحر الطويل، قالتهما امرأة لم تسمّ، وهما في عيون الأخبار لابن قتيبة ٤/٢٢، الإنصاف ٢/٨٠٤، والبيت الأول في الكشاف ٣/١٤٣، البحر المحيط ٧/٧٧، وهما في شرح شواهد الكشاف (٥٣). والشاهد فيهما قوله: «أرسلت طرفك» حيث جعل الطرف مما يرسل، وهذا يؤيد أن المراد بالطرف في الآية آلة البصر مؤدى بها الفعل نفسه.
(١٤) في ب: فصل قال.

ترى، وهو أن يصل إليك من كان منك على مدّ بصرك[١]. وقال مجاهد: يعني إدامة النظر)[٢] حتى يرتد[٣] الطرف خاسئاً[٤]. وقال وهب: تمد عينيك فلا ينتهي طرفك إلى مداه، حتى أمثله بين يديك[٥]. فإن قيل: هذا يقتضي (إما القول بالطفرة)[٦][٧] أو حصول الجسم الواحد دفعة واحدة في مكانين.

والجواب[٨]: أن المهندسين قالوا: كرة الشمس مثل كرة الأرض مائة وأربعة وستين مرة ثم إن زمان طلوعها[٩] زمان قصير، فإذا قسمنا زمان طلوع تمام القرص على زمان البعد الذي بين الشام واليمن كانت تلك اللمحة كثيرة فلما ثبت عقلاً إمكان وجود هذه الحركة السريعة وثبت أنه تعالى قادر على كل الممكنات زال السؤال[١٠].

قوله: «فَلَما رآهُ» يعني سليمان، العرش «مستقراً» عنده محمولاً إليه من مأرب إلى الشام في قدر ارتداد الطرف، فـ «مُسْتَقِراً» حال، لأن الرؤية بصرية، و «عنده» معمول له[١١]، لا يقال إذا وقع الظرف حالاً وجب حذف متعلقه، فكيف ذكر هنا[١٢]؟ لأن الاستقرار هنا ليس هو ذلك الحصول المطلق، بل المراد به هنا الثابت الذي لا يتقلقل، قاله أبو البقاء[١٣]. وقد جعله ابن عطية هو العامل في الظرف الذي كان يجب حذفه، فقال: وظهر[١٤] العامل في الظرف من قوله «مُسْتَقِراً»، وهذا هو المقدر أبداً مع كل ظرف جاء هنا مظهراً، وليس في كتاب الله مثله[١٥]، وما قاله أبو البقاء أحسن[١٦] على أنه قد ظهر العامل المطلق في قوله:

٣٩٦٤ ـ فَأَنْتَ لَدَى بُحْبوحَةِ الهُونِ كَائِن[١٧]

---

(١) انظر البغوي ٦/ ٢٨٤.
(٢) ما بين القوسين سقط من ب.
(٣) في ب: يزيد. وهو تحريف.
(٤) انظر البغوي ٦/ ٢٨٤.
(٥) المرجع السابق.
(٦) الطفرة: الوثبة، وقد طفر يطفر طفراً وطفوراً: وثب في ارتفاع. وطفر الحائط: وثبه إلى ما وراءه. اللسان (طفر).
(٧) ما بين القوسين سقط من ب.
(٨) في ب: فالجواب.
(٩) في ب: طولها. وهو تحريف.
(١٠) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٩٨.
(١١) انظر البحر المحيط ٧/ ٧٧.
(١٢) في ب: عنده.
(١٣) قال أبو البقاء: («مستقرًا» أي: ثابتاً غير متقلقل، وليس بمعنى الحصول المطلق، إذ لو كان كذلك لم يذكر) التبيان ٢/ ١٠٠٩.
(١٤) في ب: فظهر.
(١٥) تفسير ابن عطية ١١/ ٢١١.
(١٦) انظر البحر المحيط ٧/ ٧٧.
(١٧) عجز بيت من بحر الطويل، مجهول القائل، وصدره:

لـكَ الـعِـزّ إن مـولاك عـزّ وإن يـهـن

وقد تقدم.

وقد تقدم ذلك محققاً في أول الفاتحة[١].

قوله[٢] «أأشكر» معلق «ليبلوني»، وأم متصلة[٣]، وكذلك قوله: «ننظر أتهتدي أم تكون»[٤]. قوله: «ومَنْ شَكَر... ومن كفر» يحتمل أن تكون «من» شرطية، أو موصولة مضمّنة معنى الشرط، فلذلك دخلت الفاء في الخبر، والظاهر أن جواب الشرط: الثاني، أو خبر الموصول قوله: «فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ» ولا بد حينئذ من ضمير يعود على «من» تقديره[٥] غني عن شكره، وقيل الجواب محذوف تقديره: فإنما كفر عليه، لدلالة مقابله، وهو قوله «فإنما يشكر لنفسه» عليه[٦].

فصل

تقدم معنى الابتلاء، وقوله: أشكر نعمته أم أكفرها فلا أشكرها، ومن شكر فإنما يشكر لنفسه، أي: يعود نفع شكره إليه وهو أن يستوجب به تمام النعمة ودوامها، لأن الشكر قيد[٧] النعمة الموجودة وصيد النعمة المفقودة، ومن كفر فإن ربي غني[٨] عن شكره كريم بالإفضال على من يكفر نعمه[٩].

قوله تعالى: ﴿قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ (٤١) فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (٤٢) وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ (٤٣)﴾

قوله تعالى: «نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا» أي: غيّروا لها سريرها إلى حال تُنْكِرُه إذا رأته، وذلك أنه إذا تُرِك على حاله عرفته لا محالة. وإذا غُيّر دلت معرفتها على فضل عقل.

قوله: «نَنْظُرْ» العامة على جزمه جواباً للأمر قبله، وأبو حيوة بالرفع[١٠]، جعله استئنافاً[١١].

فصل

روي أنه جعل أسفله أعلاه، وأعلاه أسفله، وجعل مكان الجوهر الأحمر أخضر،

---

(١) عند قوله تعالى: ﴿الحمد لله﴾ [الفاتحة: ٢].
(٢) قوله: سقط من الأصل.
(٣) قال الأخفش: (أي: لينظر أأشكر أم أكفر، كقولك: جئت لأنظر أزيد أفضل أم عمرو) معاني القرآن ٢/ ٦٥٠، وانظر أيضاً التبيان ٢/ ١٠٠٩، البحر المحيط ٧/ ٧٧ ـ ٧٨.
(٤) في ب: ... أم تكون من الذين لا يهتدون.
(٥) في ب: يقدره.
(٦) انظر البحر المحيط ٧/ ٨٧.
(٧) في ب: قيل.
(٨) في الأصل: غني حميد.
(٩) انظر البغوي ٦/ ٢٨٤.
(١٠) المختصر(١١٠)، تفسير ابن عطية ١١/ ٢١٢، البحر الميحط ٧/ ٨٧.
(١١) انظر الكشاف ٣/ ١٤٤، التيان ٢/ ١٠٠٩، البحر المحيط ٧/ ٨٧.

ومكان الأخضر أحمر[١]. «نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي» إلى عرشها فتعرفه، أم تكون من الجاهلين الذين لا يهتدون إليه، وقيل: أتعرف به نبوة سليمان ولذلك قال: «أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لاَ يَهْتَدُونَ» إليه، وذلك كالذم، ولا يليق إلا بطريق الدلالة، فكأنه ـ عليه السلام ـ أحب أن تنظر فتعرف به نبوته، حيث صار منتقلاً من المكان البعيد إلى هناك[٢]، وذلك يدل على كمال قدرة الله تعالى، وعلى صدق سليمان[٣] ـ عليه السلام[٤] ـ. ويعرف بذلك أيضاً فضل عقلها، لأنه روي أنه ألقِي إليه نقصان عقلها، لكي لا يتزوجها ـ كما ذكر وهب ومحمد بن كعب وغيرهما ـ أن الشياطين خافت أن يتزوجها سليمان فتفشي إليه أسرار الجن، وذلك أن أمّها كانت جنية، وإذا ولدت ولداً لا ينكفون من تسخير سليمان وذريته من بعده، فأساءوا الثناء عليها، ليزهّدوه فيها، وقالوا: إن في عقلها شيئاً، وإن رجلها كحافر الحمار، وإنها شعراء الساقين، فأراد سليمان أن يختبر عقلها بتنكير عرشها، وينظر إلى قدميها ببناء الصرح[٥].

قوله: «أَهَكَذَا» ثلاث كلمات ـ حرف التنبيه وكأن التشبيه واسم الإشارة ـ فُصِل (بحرف الجرِّ بيْنَ حرف التنبيه واسم الإشارة، والأصل: أَكَهَذا[٦]، أي: (أ)[٧] مِثْل هذا عرشُك، ولا يجوز ذلك في غير الكاف لو قُلت: أَبهذا مَرَرْت، وأَلهذا فعلتَ لم يجز أن تفصِل)[٨] بحرف الجرّ بين «ها» و «ذا» فتقول: أَهَا بِذَا مَرَرْتُ وأَهَا لِذَا فَعَلْتُ.

قوله[٩]: «قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ»، قال مقاتل: عرفتْه، ولكنها شبَّهت عليهم كما شبَّهوا عليها[١٠]. وقال عكرمة: كانت حكيمة لم تقل: نعم، خوفاً من أن تكذب، ولم تقل: لا، خوفاً من التكذيب[١١]، قالت كأنه هو، فعرف سليمان كمال عقلها، حيث توقفت في محل التوقف، قيل لها: فإنه عرشك، فما أغنى عنك إغلاق الأبواب عليه، وكانت قد أغلقت عليه الأبواب وأخذت مفاتيحها. قوله: «وَأُوتِينَا العِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا» فيه وجهان:

أحدهما: أنه من كلام بلقيس، فالضمير في «قَبْلِهَا» راجع للمعجزة والحالة الدَّالة عليها السياق والمعنى: وأُوتينا العلم بنبوة سليمان من قبل ظهور هذه المعجزة أو من قبل هذه الحالة، وذلك لِمَا رأَت قبل ذلك من أمر الهُدهد ورد الهدية والرسل «من قَبْلِهَا» من قبل الآية في العرش، «وَكُنَّا مُسْلِمِينَ» منقادين طائعين لأمر سليمان.

الثاني: أنه من كلام سليمان وأتباعه، فالضمير في قبلها عائد على بلقيس، فكأن سليمان وقومه قالوا: إنها قد أصابت في جوابها وهي عاقلة، وقد رزقت الإسلام، ثم

---

(١) انظر البغوي ٦/ ٢٨٥.
(٢) في ب: هنا.
(٣) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٩٩.
(٤) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٥) انظر البغوي ٦/ ٢٨٥.
(٦) في ب: أهكذا.
(٧) ما بين القوسين زيادة يقتضيها السياق.
(٨) ما بين القوسين سقط من الأصل.
(٩) في الأصل: فصل.
(١٠) انظر البغوي ٦/ ٢٨٥.
(١١) المرجع السابق.

عطفوا على ذلك قولهم[١]: وأوتينا نحن العلم بالله وبقدرته على ما يشاء من قبل هذه المرأة مثل علمها، وغرضهم من ذلك شكر الله تعالى في أن خصهم بمزيد التقدم في الإسلام، قاله مجاهد[٢].

قوله: «وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ» في فاعل «صَدَّ» ثلاثة أوجه:

أحدها: ضمير الباري[٣].

والثاني: ضمير سليمان[٤]، أي منعها ما كانت تعبد من دون الله، وهو الشمس، وعلى هذا فـ «مَا كَانَتْ تَعْبُدُ» منصوب على إسقاط الخافض، أي: وصدّها الله أو سليمان عما كانت تعبدُ من دون الله، قاله الزمخشري[٥] مجوزاً له. وفيه نظر من حيث إن حذف الجار ضرورة، كقوله:

٣٩٦٥ ـ تَمُرُّونَ الدِّيَارَ فَلَمْ تَعُوجُوا[٦]

كذا قاله أبو حيان[٧]، وقد تقدم آيات كثيرة من هذا النوع.

الثالث: أن الفاعل هو «ما كانت» أي: صدها ما كانت تعبد عن الإسلام[٨]، (أي: صدها عبادة الشمس عن التوحيد)[٩]. والظاهر أنّ الجملة من قوله: «وصدّها» معطوفة على قوله «وأُوتِينَا»[١٠]. وقيل: هي حال من قوله: أم تكون من الذين و (قد) مضمرة، وهذا بعيد جداً[١١]. وقيل: هو مستأنف إخباراً من الله تعالى بذلك[١٢].

---

(١) في ب: قوله.

(٢) انظر الكشاف ٣/ ١٤٤، الفخر الرازي ٢٤/ ١٩٩ ـ ٢٠٠، القرطبي ١٣/ ٢٠٧ ـ ٢٠٨.

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٩٥، مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٤٩، الكشاف ٣/ ١٤٥، البيان ٢/ ٢٢٢، التبيان ٢/ ١٠٠٩.

(٤) انظر معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٩٥، مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٤٩، الكشاف ٣/ ١٤٥.

(٥) قال الزمخشري: (وقيل: وصدّها الله، أو سليمان عما كانت تعبد بتقدير حذف الجار وإيصال الفعل) الكشاف ٣/ ١٤٥.

(٦) صدر بيت من بحر الوافر، قاله جرير وعجزه:

كلامكم عليَّ إذن حرام

وقد تقدم.

(٧) قال أبو حيان: (وكونه الله أو سليمان و (ما) مفعول (صدها) على إسقاط حرف الجر قاله الطبري، وهو ضعيف لا يجوز إلا في ضرورة الشعر نحو قوله:

تمرُّون الدِّيار ولم تعوجوا

أي: عن الديار، وليس من مواضع حذف حرف الجر). البحر المحيط ٧/ ٧٩.

(٨) انظر معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٩٥، مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٤٩، البيان ٢/ ٢٢٢، التبيان ٢/ ١٠٠٩.

(٩) ما بين القوسين سقط من ب.

(١٠) انظر البحر المحيط ٧/ ٧٩.

(١١) وضعّفه أبو حيان معلّلاً بقوله: (لطول الفصل بينهما، ولأن التقديم والتأخير لا يذهب إليه إلا عند الضرورة) البحر المحيط ٧/ ٧٩.

(١٢) المرجع السابق.

قوله: «إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِين» يعبدون الشمس، والعامة على كسر «إنّها» استئنافاً وتعليلاً. وقرأ سعيد بن جُبير وأبو حيوة بالفتح[(١)]، وفيها وجهان:

أحدهما: أنها بدل من «مَا كَانَتْ تَعْبُدُ» أي: وصدّها «أنّها كانت»[(٢)].

والثاني: أنها على إسقاط حرف العلة، أي: لأنّها[(٣)]، فهي قريبة من قراءة العامة.

قوله تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾

قوله: «قِيلَ لَهَا ادخُلِي الصَّرْحَ» تقدّم الخلاف في الظرف الواقع بعد «دخل» هل هو منصوب على الظرف، وشذّ ذلك مع دخل خاصة ـ كما قاله سيبويه[(٤)] ـ أو مفعول به كَهَديت البيت كما قاله الأخفش[(٥)]. والصَّرحُ: القصر، أو صحن الدار، أو بلاط متخذ من زجاج وأصله من التصريح، وهو الكشف، وكذِبٌ «صُرَاحٌ»، أي: ظاهر مكشوف، ولومٌ صُراحٌ. والصريحُ مقابل الكناية، لظهوره واستتار ضده. وقيل: الصريح الخالص من قولهم: لبنٌ صَرِيحٌ بيّن الصراحة والصروحة[(٦)]. وقال الراغب: الصَّرحُ بيت عالٍ مُزوّق، سمي بذلك اعتباراً بكونه صرحاً عن البيوت، أي: خالصاً[(٧)].

قوله: «سَاقَيْهَا» العامة على ألف صريحة، وقُنبُل روى همزها عن ابن كثير[(٨)]، وضعَّفَها أبو علي[(٩)]، وكذلك فعل قنبل في جمع ساق في: ص، وفي الفتح، همز واوه، فقرأ «بالسُّؤْقِ والأَعْنَاق»[(١٠)]، ﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُؤْقِهِ﴾ [الفتح: ٢٨] بهمزة مكان الواو، وعنه وجه آخر: السُّؤوق، وسُؤُوقِهِ ـ بزيادة واو بعد الهمز[(١١)] ـ، وروي عنه أنه كان يهمزه مفرداً في قوله: ﴿يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾[(١٢)] [القلم: ٤٢] فأما همزة الواو ففيها أوجه:

---

(١) المختصر (١١٠) تفسير ابن عطية ١١/٢١٣، البحر المحيط ٧/٧٩.

(٢) في ب: كانت تعبد.

(٣) انظر مشكل إعراب القرآن ٢/١٤٩، الكشاف ٣/١٤٥، البيان ٢/٢٢٣، التبيان ٢/١٠٠٩، البحر المحيط ٧/٧٩.

(٤) قال سيبويه: (وقد قال بعضهم: ذهبت الشام، يشبه بالمبهم، إذ كان مكاناً يقع عليه المكان والمذهب. وهذا شاذ، لأنه ليس في ذهب دليل على الشام، وفيه دليل على المذهب والمكان، ومثل ذهبت الشام: دخلت البيت) الكتاب ١/٣٥.

(٥) عند حديثه عن قوله تعالى: ﴿إلا من سفه نفسه﴾ [البقرة: ١٣٠].

(٦) انظر اللسان (صرح).

(٧) المفردات في غريب القرآن (٢٧٩).

(٨) السبعة (٤٨٣)، الكشف ٢/١٦٠ ـ ١٦١، النشر (٣٣٨)، الإتحاف (٣٣٧).

(٩) قال أبو علي: (أما الهمز في «ساقيها» و «ساق» فلا وجه له) انظر الحجة ٦/٦٨.

(١٠) من قوله تعالى: ﴿فطفق مسحاً بالسُّوق والأعناق﴾ [ص: ٣٣].

(١١) انظر السبعة (٥٥٣ ـ ٥٥٤) (٦٠٥).

(١٢) تفسير ابن عطية ١١/٢١٤، البحر المحيط ٧/٧٩.

أحدها: أن الواو الساكنة المضموم ما قبلها يقلبها بعض العرب همزة، وتقدم تحقيق هذا أول البقرة عند «يوقِنُونَ»[(١)]، وأنشد عليه:

٣٩٦٦ ـ أَحَبُّ المؤقدينَ إِلَيَّ مُؤْسَى[(٢)]

وكان أبو حيّة النميري[(٣)] يهمزُ كُلَّ واوٍ في القرآن هذا وصفها[(٤)].

الثاني: أَنَّ ساقاً على «فَعَل» كأسد، فجمع على «فُعُل» بضم العين، كأسد والواو المضمومة تطلب همزة، نحو: «وُجُوه»[(٥)]، و «وُقِّتَتْ»[(٦)] ثم بعد الهمزة سكنت.

الثالث: أن المفرد سمع همزه كما سيأتي تقريره، فجاء جمعه عليه.

وأما سؤوق ـ بالواو بعد الهمزة ـ فإن ساقاً جمع على سووق بواو، فهمزت الأولى لانضمامها وهذه الرواية غريبة عن قنبل. وأما «ساقها» فوجه الهمزة أحد أوجه: إما لغة من يقلب الألف همزة، وعليه لغة العجاج[(٧)] في: العألم و «الخأتم»، وأنشد:

٣٩٦٧ ـ وَخِنْدفُ هَامَةُ هٰذَا العَأْلَمِ[(٨)]

وسيأتي تقريره في: ﴿مِنسَأَتَهُۥ﴾ [سبأ: ١٤] ـ إن شاء الله[(٩)] ـ وتقدم طرف منه في

---

(١) من قوله تعالى: **﴿وبالآخرة هم يوقنون﴾** [البقرة: ٤]. انظر اللباب ١/ ٥١.

(٢) البيت من بحر الوافر، قاله جرير، وعجزه:

وجعدة لو أضاءهما الوقود

وقد تقدم.

(٣) هو الهيثم بن الربيع، شاعر، مجيد، متقدم، من مخضرمي دولتي بن أمية والعباس، ومن الأعراب الفصحاء كان مقصِّداً وراجزاً. الخزانة ١٠/ ٢١٧ ـ ٢٢٠.

(٤) قال أبو علي: (قال محمد بن يزيد: أخبرني أبو عثمان قال: أخبرني الأخفش قال: كان أبو حيّة النميري يهمز كل واو ساكنة قبلها ضمة، وينشد:

أحبّ المؤقدان إليّ مؤسى

وتقدير ذلك أن الحركة لما كانت تلي الواو في مؤسى صارت كأنها عليها، والواو إذا تحركت بالضمة أبدلت منها الهمزة) الحجة ١/ ١٧٩ ـ ١٨٠.

(٥) من قوله تعالى: **﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه﴾** [آل عمران: ١٠٦] وفي مواطن أخرى [الحج: ٧٢]، [الملك: ٢٧]، [القيامة: ٢٢، ٢٤]، وفي [عبس: ٣٨، ٤٠]، [الغاشية: ٢، ٨]. انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (٧٤٤).

(٦) من قوله تعالى: **﴿وإذا الرُّسل أقتت﴾** [المرسلات: ١١]. انظر ابن يعيش ١٠/ ١١، الممتع ١/ ٣٣٢ ـ ٣٣٣.

(٧) في ب: الحجاج. وهو تحريف.

(٨) رجز قاله العجاج، وهو في ديوانه (٦٠)، المقرب (٥١٧)، اللسان (علم)، شرح شواهد الشافية ٢/ ٤٢٨. خندف: امرأة الياس بن مضر. والشاهد فيه همز ألف العالم، وهو مفرد، ولم يسبق الحرف المهموز بالضم وهي لغة قليلة.

(٩) في ب: الله تعالى.

الفاتحة[١]، وإما على التشبيه برأس، وكأْسٍ، كما قالوا: حلأْتُ السَّويقَ[٢]، حملاً على حلأْته عن الماء، أي: طردته[٣] وإما حملاً للمفرد والمثنى على[٤] جمعها، وقد تقرر في جمعها الهمز.

فصل

لما حكى تعالى إقامتها على الكفر مع الدلائل المتقدمة، ذكر أنَّ سليمان[٥] أظهر أمراً[٦] آخر داعياً لها إلى الإسلام، فأمر الشياطين فبنوا صرحاً أي: قصراً من زجاج، كأنه الماء بياضاً وأجري تحته الماء، وألقى فيه كل شيء من دواب البحر من السمك والضفادع وغيرها، ثم وضع سريره في صدره وجلس عليه وعكفت عليه الطير والجن والإنس[٧]، وقيل: اتخذ صحناً من قوارير وجعل تحتها[٨] تماثيل من الحيتان والضفادع، فكان الواحد إذا رآه ظنه ماء[٩]، فلما جلس على السرير دعا بلقيس، فلما جاءت قِيل لها: ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً، وهي معظم الماء، «وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا» لتخوضه[١٠]، فقيل كان المقصود من بناء الصرح تهويل المجلس وتعظيمه، وحصل كشف الساق على سبيل التبع[١١]، وقيل: إن سليمان أراد أن ينظر إلى ساقيها من غير أن يسألها كشفها لما قالت الشياطين له[١٢] إن رجلها كحافر الحمار[١٣]، وهي شعراء الساقين، فنظر سليمان فإذا هي أحسن الناس ساقاً وقدماً، إلا أنها كانت شعراء الساقين، فلما رأى سليمان ذلك صرف بصره عنها وناداها[١٤] أنَّه صرح «مُمرَّد»، أي: مُمَلَّسٌ، ومنه الأمرد لملاسة وجهه من الشعر وبريَّةٌ مرداء لخلوها من النبات، ورملةٌ مرداء، لا تنبت شيئاً، والمارد من الشياطين من تَعَرَّى من الخير وتجرد منه[١٥]. ومارد حصنٌ معروف، وفي أمثال الزَّبَّاء: «تَمَرَّدَ مَارِدٌ وَعَزَّ الأَبْلَقُ»[١٦] قالتها في حصنين امتنع فتحهما عليها. والقوارير: جمع قارورة، وهي الزجاج الشفاف[١٧]، و «مِنْ قَوَارِيرَ» صفة ثانية لـ «صرح».

قوله: «قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي» قال مقاتل: لما رأت السرير والصرح، علمت

---

(١) عند قوله تعالى: ﴿ولا الضالين﴾ [الفاتحة: ٧]. انظر اللباب ١/ ٣٣.

(٢) همزوا ما ليس بمهموز، وقياسه: حليت السويق. انظر اللسان (حلا، علم).

(٣) حلأ الإبل والماشية عن الماء تحليئاً وتحليئةً: طردها، أو حبسها عن الورود ومنعها أن ترده. اللسان (حلأ).

(٤) في ب: عن.

(٥) في ب: سليمان عليه الصلاة والسلام.

(٦) في ب: أمر.

(٧) انظر البغوي ٦/ ٢٨٧.

(٨) في الأصل: تحته.

(٩) انظر البغوي ٦/ ٢٨٧.

(١٠) في ب: لتخرضه. وهو تحريف.

(١١) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٠١.

(١٢) لها: سقط من ب.

(١٣) في ب: حمار.

(١٤) انظر البغوي ٦/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨.

(١٥) انظر اللسان (مرد).

(١٦) انظر مجمع الأمثال ١/ ٢٢٢.

(١٧) انظر اللسان (قرر).

أن ملك سليمان من الله، فقالت ربِّ إنِّي ظلمتُ نَفْسِي بعبادة[١] غيرك، وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين، وأخلصت لك[٢] التوحيد[٣].

وقيل: إنها لما بلغت الصرح وظنته لجة قالت في نفسها إن سليمان يريد أن يغرقني وكان القتل أهون من هذا، فقولها: «ظَلَمْتُ نَفْسِي» تعني ذلك الظن[٤].

واختلفوا: هل تزوجها سليمان أم لا؟ وأنه تزوجها في هذه الحال، ومن قبل أن يكشف عن ساقيها؟ والأظهر من كلام الناس أنه تزوجها، وروي عن ابن عباس لما أسلمت، قال لها: اختاري من قومك من يتزوجك[٥]، فقالت: مثلي لا تنكح الرجال ـ مع سلطاني[٦] ـ فقال: النكاح من الإسلام، فقالت: إن كان كذلك فزوجني لتبع ملك همدان، فزوجها إياه، ثم ردهما إلى اليمن[٧].

وروي أن الملك وصل إلى سليمان وهو ابن ثلاث عشرة سنة، ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة[٨].

قوله: «مَعَ سُلَيْمَانَ» متعلق بمحذوف على أنه حال، ولا يتعلق: «أَسْلَمْتُ»، لأنَّ إسلامه سابق إسلامها بزمان، وهو وجه لطيف، وقال ابن عطية: و «مَعَ» ظرف بُني على الفتح، وأمَّا إذا أسكنت العين، فلا خلاف أنه حرفٌ[٩]. وقد تقدم القول في ذلك[١٠]، وقال مكي[١١] هنا نحواً من قول ابن عطية[١٢].

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ

(١) في ب: بعبادتك. وهو تحريف.
(٢) في ب: خلصت له.
(٣) انظر البغوي ٦/ ٢٨٨.
(٤) المرجع السابق.
(٥) في ب: يتزوجها. وهو تحريف.
(٦) في ب: مثلي مع سلطاني لا ينكح الرجال.
(٧) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٠١.
(٨) انظر البغوي ٦/ ٢٩٠.
(٩) انظر البحر المحيط ٧/ ٨٠.
(١٠) عند قوله تعالى: ﴿... **قالوا إنّا معكم إنّما نحن مستهزؤون**﴾ [البقرة: ١٤].
(١١) مكي: سقط من ب.
(١٢) قال مكي: (وقيل: هو اسم ظرف فلذلك فتح كالظرف، فإذا اسكنت العين فهو حرف لا غير) مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٥٠.

أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓا۟ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ الآية.

قوله: «أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ» أي: وحدوه، ويجوز في «أَنْ» أن تكون مفسرة[١] وأن تكون مصدرية، أي بأن اعبدوا فيجيء في محلها القولان[٢].

قوله: «فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ» تقدم الكلام في «إِذَا» الفجائية[٣]، والمراد بالفريقين قوم صالح، وأنهم انقسموا فريقين: مؤمن وكافر، وقد صرح بذلك في الأعراف في قوله: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ﴾ [الأعراف: ٧٥]. وجعل الزمخشري الفريق الواحد[٤] صالحاً وحده والآخر جميع قومه[٥]؛ وحمله على ذلك العطف بالفاء، فإنه يؤذن أنه بمجرد إرساله صاروا فريقين، ولا يصير قومه فريقين إلا بعد زمان ولو قليلاً.

و «يَخْتَصِمُونَ» صفة لـ «فَرِيقَان» على المعنى، كقوله: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟﴾ [الحج: ١٩] و ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾[٦] [الحجرات: ٩] واختير هنا مراعاة الجمع، لكونها فاصلة[٧].

قوله: «يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ» أي: قال لهم صالح يا قوم لم تستعجلون بالسيئة بالبلاء والعقوبة، أيَ أن الله قد مكنكم من التوصّل إلى رحمته وثوابه فلماذا تعدلون عنه إلى استعجال عذابه، وقيل: إنّهم كانوا يقولون إن العقوبة التي يعدّها صالح ـ إن وقعت على زعمه ـ تُبْنَا حينئذ واستغفرنا فحينئذ يقبل الله توبتنا، ويدفع العذاب عنا، فخاطبهم صالح على حسب اعتقادهم، فقال: هلاّ تستغفرون الله قبل نزول العذاب، فإن استعجال الخير أولى من استعجال الشر، ووصف العذاب بأنه سيئة مجازاً، إمّا لأنّ العقاب من

---

(١) لأن «أرسلنا» تتضمن معنى القول.

(٢) فهي على القول الأول لا محل لها من الإعراب، وعلى القول الثاني ففي موضعها خلاف أهي في موضع نصب على نزع الخافض، أم في موضع جر. انظر البحر المحيط ٧/ ٨٢.

(٣) عند قوله تعالى: ﴿... فإذا هم مبلسون﴾ [الأنعام: ٤٤].

(٤) في ب: الواحد الفريق.

(٥) وعبارته: (وقيل: أريد بالفريقين صالح عليه السلام وقومه قبل أن يؤمن منهم أحد) الكشاف ٣/ ١٤٥، وهو قول حكاه الزمخشري وليس له.

(٦) وإنما كانت الصفة على المعنى في هاتين الآيتين لأن مقتضى الظاهر في الأول أن يكون الخبر (اختصما) وفي الثانية (اقتتلتا)، ولكن لما كان المثنى في الآيتين يفهم معنى الجمع ساغ ذلك. انظر البيان ٢/ ٢٢٣، التبيان ٢/ ١٠١٠.

(٧) انظر البحر المحيط ٧/ ٨٢.

لوازمه، أو لأنه يشبهه في كونه مكروهاً. وأمّا وصف الرحمة بأنّها حسنة، فقيل: حقيقة، وقيل: مجاز[(١)]. ثم إن صالحاً عليه السلام[(٢)] لما قرّر هذا الكلام الحقّ أجابوه بكلام فاسد، فقالوا «اطَّيَّرنَا بِكَ» أي: تشاءمنا بك، لأنّ الذي يصيبنا من شدة وقحط شؤمك وشؤم من معك[(٣)]. وقرىء: «تطيّرْنَا بِكَ»[(٤)]، وهو الأصل، وأدغم، وتقدّم تقريره[(٥)]، قال الزمخشري: كان الرجل يخرج مسافراً فيمرُّ بطائر فيزجره، فإن مرّ سانحاً[(٦)] تيمّن، وإن مرَّ بارحاً تشاءم[(٧)]، فلمّا نسبوا الخير والشر إلى الطائر استعير لما كان للخير والشر، وهو قدر الله[(٨)] وقسمته، فأجاب صالح ـ عليه السلام[(٩)] ـ بقوله: طائركم عند الله، أي السبب الذي يجيء منه خيركم وشركم عند الله، وهو قضاؤه وقدره وهو مكتوب عليكم[(١٠)]. سمي طائراً لسرعة نزوله بالإنسان، لأنّه لا شيء أسرع من قضاء محتوم. قال ابن عباس: الشؤم أتاكم من عند الله بكفركم[(١١)]. وقيل طائركم: عملكم عند الله[(١٢)]، سمي طائراً لسرعة صعوده إلى السماء، وقيل: إنما قالوا ذلك لتفرق كلمتهم، وقيل: لأنه أمسك عنهم المطر في ذلك الوقت وقحطوا[(١٣)].

قوله: «تُفْتَنُونَ» جاء بالخطاب[(١٤)] مراعاةً لتقدّم الضمير، ولو روعي ما بعده لقيل «يُفْتَنُونَ» بياء الغيبة، وهو جائز ولكنه مرجوح، ويقول: أنت رجل يفعل وتفعل بالياء والتاء، ونحن قوم نقرأ ويقرأون[(١٥)]. والمراد من هذا الكلام أن صالحاً ـ عليه السلام[(١٦)] ـ بين بهذا الكلام جهلهم بقوله: «بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ»، فيحتمل أن غيرهم دعاهم إلى هذا القول، ويحتمل أن المراد أن الشيطان يفتنكم بوسوسته.

وقال[(١٧)] ابن عباس: يُخْتَبرون بالخير والشر كقوله: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]، وقال محمد بن كعب: يعذبون[(١٨)].

---

(١) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٠٢.

(٢) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٣) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٠٢ ـ ٢٠٣.

(٤) لم تعز إلى من قرأ بها. انظر الكشاف ٣/ ١٤٦، البحر المحيط ٧/ ٨٢.

(٥) عند قوله تعالى: ﴿وإن تصبهم سيئة يطيّروا بموسى ومن معه﴾ [الأعراف: ١٣١].

(٦) سانحاً: تكملة من الكشاف.

(٧) السانح: ما أتاك عن يمينك من ظبي أو طائر أو غير ذلك. والبارح: ما أتاك من ذلك عن يسارك. انظر اللسان (سنح).

(٨) في ب: وهو قضاؤه وقدره الله.

(٩) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(١٠) الكشاف ٣/ ١٤٥ ـ ١٤٦. بتصرف.

(١١) انظر البغوي ٦/ ٢٩١.

(١٢) انظر الكشاف ٣/ ١٤٦.

(١٣) في ب: فقحطوا. وانظر البغوي ٦/ ٢٩٠ ـ ٢٩١.

(١٤) في ب: الخطاب.

(١٥) انظر البحر المحيط ٧/ ٨٣.

(١٦) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(١٧) في ب: قال.

(١٨) انظر البغوي ٦/ ٢٩١.

قوله: «وكان في المدينة تسعة رهط» يعني: مدينة ثمود، والأكثر أن يتميز، والعدد مجرور بـ «من»، كقوله: «أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ»[1] وفي المسألة مذاهب:

أحدها: أنه لا يجوز إلا في قليل.

الثاني: أنه يجوز ولكن لا ينقاس.

الثالث: التفصيل بين أن تكون للقلة كرهط ونفر، فيجوز، أو للكثرة فقط، أو لها وللقلة فلا يجوز نحو: تسعة قوم[2]. ونص سيبويه على امتناع ثلاث[3] غنم[4].

قال الزمخشري: وإنما جاز تمييز التسعة بالرهط، لأنه في معنى الجمع، كأنه قيل: تسعة أنفس[5]. قال أبو حيان: وتقدير غيره[6] تسعة رجال هو الأولى[7]؛ لأنه من حيث أضاف إلى أنفس كان ينبغي أن يقول: تِسع أنفس ـ على تأنيث النفس ـ إذ الفصيح فيها التأنيث، ألا تراهم عدوا من الشذوذ قول الشاعر:

٣٩٦٨ ـ ثَــلاثَــةُ أَنْــفُــسٍ وثَــلاثُ ذَوْدٍ[8][9]

قال شهاب الدين: وإنما أراد تفسير المعنى[10]. وقال ابن الخطيب: والأقرب أن يكون المراد تسعة جمع؛ إذ الظاهر من الرهط الجماعة لا الواحد، ثم يحتمل أنهم كانوا قبائل ويحتمل أنهم دخلوا تحت العدد، لاختلاف وصفهم وأحوالهم، لا لاختلاف النسب[11].

قوله: «يُفْسِدُونَ» يجوز أن يكون نعتاً للمعدود أو[12] العدد، فيكون في موضع جر أو رفع[13].

قوله: «ولا يصلِحُون» قيل: مؤكد للأول، وقيل: ليس مؤكداً؛ لأن بعض المفسدين قد يصلح في وقت ما، فأخبر عن هؤلاء بانتفاء توهم ذلك[14]، وهم الذين اتفقوا على عقر الناقة، وهم غواة قوم صالح، ورأسهم: قُدَار بن سالف، وهو عاقر الناقة[15].

---

(١) من قوله تعالى: ﴿**قال فخذ أربعة من الطير فصرهنَّ إليك**﴾ [البقرة: ٢٦٠].

(٢) انظر البحر المحيط ٧/ ٨٣، التصريح ٢/ ٢٧٠، الهمع ١/ ٢٥٣، الأشموني ٤/ ٥.

(٣) في النسختين: ثلاثة. والصواب ما أثبته.

(٤) انظر الكتاب ٣/ ٥٦٢.

(٥) الكشاف ٣/ ١٤٦.

(٦) وهو ابن عطية. انظر تفسيره ١١/ ٢١٨.

(٧) في ب: الأول. وهو تحريف.

(٨) صدر بيت من بحر الوافر، قاله الحطيئة، وعجزه:

لـقـد جـار الـزَّمـان عـلـى عـيـالـي

وقد تقدم.

(٩) البحر المحيط ٧/ ٨٣.

(١٠) الدر المصون ٥/ ١٩٩.

(١١) الفخر الرازي ٢٤/ ٢٠٣، وفيه: السبب.

(١٢) في ب: و.

(١٣) انظر التبيان ٢/ ١٠١٠، البحر المحيط ٧/ ٨٣.

(١٤) انظر الكشاف ٣/ ١٤٦، البحر المحيط ٧/ ٨٣.

(١٥) انظر البغوي ٦/ ٢٩١.

قوله: «قَالُوا تَقَاسَمُوا» يجوز في «تَقَاسَمُوا» أن يكون أمراً، قال بعضهم لبعض: احلفوا على كذا، ويجوز أن يكون فعلاً ماضياً، وحينئذ يجوز أن يكون مفسراً لـ «قَالُوا» كأنه قيل: ما قالوا؟ فقيل: تقاسموا[١]. ويجوز أن يكون حالاً على إضمار «قد»، أي: قالوا ذلك متقاسمين، وإليه ذهب الزمخشري، فإنه قال: يحتمل أن يكون أمراً وخبراً في محل الحال بإضمار «قد»[٢]. قال أبو حيان: أما قوله: وخبراً. فلا يصح؛ لأن الخبر أحد قِسْمَي الكلام لأنه ينقسم إلى الخبر والإنشاء، وجميع معانيه إذا حققت راجعة إلى هذين القسمين[٣] قال شهاب الدين: ولا أدري عدم الصحة مماذا؟ لأنه جعل الماضي خبراً، لاحتماله الصدق والكذب، مقابلاً للأمر الذي لا يحتملهما، أما كون الكلام لا ينقسم إلا إلى خبر وإنشاء وأن[٤] معانيه إذا حققت ترجع إليهما، فأي مدخل لهذا في الرد على الزمخشري[٥].

ثم قال أبو حيان: والتقييد بالحال ليس إلا من باب نسبة التقييد، لا من نسبة الكلام التي هي الإسناد، فإذا أطلق عليها الخبر كان ذلك على تقدير أنها لو لم تكن حالاً لجاز أن تستعمل خبراً؟ وكذلك قولهم في الجملة الواقعة صلة: هي خبرية، فهو مجاز والمعنى: أنها لو لم تكن صلة لجاز أن تستعمل خبراً، وهذا فيه عوض[٦].

قال شهاب الدين: مسلم أن الجملة ما دامت حالاً أو صلة لا يقال لها خبرية، بمعنى أنها تستقلّ[٧] بإفادة الإسناد، لأنها سيقت مساق القيد في الحال ومساق حد كلمة في الصلة[٨]، وكان ينبغي أن يذكر أيضاً الجملة الواقعة صفة، فإن الحكم فيها كذلك[٩]، ثم قال[١٠]: وأما إضمار «قد» فلا يحتاج إليه، لكثرة وقوع الماضي حالاً دون «قد»، كثرة ينبغي القياس عليها[١١].

قال شهاب الدين: الزمخشري مَشَى مع الجمهور فإنّ مذهبهم أنه لا بدَّ من «قد» ظاهرةً أو مضمرةً لتقرّبه من الحال[١٢]. وقرأ ابن أبي ليلى: «تَقَسَّمُوا» ـ دون ألف مع

---

(١) انظر البيان ٢/ ٢٢٤، التبيان ٢/ ١٠١٠.

(٢) الكشاف ٣/ ١٤٦. وقال الفراء: (فمن قال «تقاسموا» فجعل «تقاسموا» خبراً فكأنه قال: متقاسمين) معاني القرآن ٢/ ٢٩٦.

(٣) البحر المحيط ٧/ ٨٣.

(٤) في ب: فإن.

(٥) الدر المصون ٥/ ١٩٩.

(٦) البحر المحيط ٧/ ٨٣ ـ ٨٤.

(٧) في ب: تنتقل.

(٨) يريد أن جملة الصلة بالنسبة إلى الموصول كالتعريف بالنسبة إلى المعرَّف.

(٩) الدر المصون ٥/ ١٥٥.

(١٠) وهو أبو حيان.

(١١) البحر المحيط ٧/ ٨٤. ومن الواضح أن أبا حيان يوافق الكوفيين على ما ذهبوا إليه من جواز وقوع الفعل الماضي حالاً دون إضمار «قد» انظر الهمع ١/ ٢٤٧.

(١٢) الدر المصون ٥/ ١٩٩.

تشديد السين[١] ـ والتَّقاسم والتقسُّم كالتَّظاهر والتَّظَهُّر[٢].

قوله: «بِاللَّهِ» إن جعلت «تَقَاسَمُوا» أمراً، تعلق به الجار قولاً واحداً، وإن جعلته ماضياً احتمل أن يتعلق به، ولا يكون داخلاً تحت القول، والمقول هو «لَنُبَيِّتَنَّهُ» (إلى آخره، واحتمل أن يتعلق بمحذوف هو فعل القسم، وجوابه: «لَنُبَيِّتَنَّهُ» فعلى هذا يكون ما بعده داخلاً تحت المقول[٣].

قوله: «لَنُبَيِّتَنَّهُ»)[٤] قرأ الأخوان[٥] بتاء الخطاب المضمومة وضم التاء[٦]، والباقون بنون المتكلم وفتح التاء[٧]. «ثُمَّ لَنَقُولَنَّ»: قرأ الأخوان بتاء الخطاب المضمومة وضم اللام والباقون بنون المتكلم وفتح اللام[٨]، ومجاهد وابن وثاب والأعمش كقراءة الأخوين[٩]. (إلا أنه بياء الغيبة في الفعلين[١٠]، وحميد بن قيس كهذه القراءة في الأول، وقراءة غير الأخوين)[١١] من السبعة في الثاني[١٢]. فأمَّا قراءة الأخوين[١٣] فإن جعلنا «تقاسموا» فعل أمرٍ، فالخطاب واضح، رجوعاً بآخر الكلام إلى أوله، وإن جعلناه ماضياً، فالخطاب على حكاية خطاب بعضهم لبعضٍ بذلك. وأمّا قراءة بقية السبعة، فإن جعلناه ماضياً أو أمراً فالأمر فيهما واضح وهو حكاية إخبارهم عن أنفسهم وأمّا قراءة الغيبة فيهما فظاهرةٌ على أن يكون «تَقَاسَمُوا» ماضياً[١٤] رجوعاً بآخر الكلام إلى أوله في الغيبة، وإن جعلناه أمراً كان «لَنُبَيِّتنهُ» جواباً لسؤال مقدر، كأنّه قيل: كيف تقاسموا؟ فقيل: لَنُبَيِّتَنَّه. وأما غيبة الأول والمتكلم في الثاني، فتعليله مأخوذ ممّا تقدّم في تعليل القراءتين، وقال الزمخشري: وقرىء «لَتُبَيِّتنَّهُ» بالتاء والياء والنون، فـ «تَقَاسَمُوا» مع التاء والنون يصح (فيه الوجهان[١٥]، يعني يصح)[١٦] في «تَقَاسَمُوا» أن يكون أمراً وأن يكون خبراً، قال: ومع الياء لا يصح إلاّ أن يكون خبراً[١٧].

قال شهاب الدين: وليس كذلك[١٨] لما تقدّم من أنه يكون أمراً وتكون[١٩] الغيبة

---

(١) المختصر (١١٠)، البحرالمحيط ٧/ ٨٣.
(٢) انظر الكشاف ٣/ ١٤٦، البحر المحيط ٧/ ٨٣.
(٣) انظر البحر المحيط ٧/ ٨٤.
(٤) ما بين القوسين سقط من ب.
(٥) حمزة والكسائي.
(٦) أي: لتبيتنه.
(٧) السبعة (٤٨٣)، الكشف ٢/ ١٦١ ـ ١٦٢، النشر ٢/ ٣٣٨، الإتحاف (٣٣٧).
(٨) المراجع السابقة.
(٩) في الأصل: الأخوان.
(١٠) المختصر (١١٠)، البحر المحيط ٧/ ٨٤.
(١١) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٢) (ليبيتنه ـ ثم لنقولنّ) انظر البحر المحيط ٧/ ٨٤.
(١٣) في الأصل: الأخوان.
(١٤) ماضياً: سقط من ب.
(١٥) لم يشر إلى ضبط الفاء في الفعل وهي لام الكلمة فإن كانت بالضم فيكون الخطاب للجمع، وإن كانت بالفتح فيكون الخطاب للواحد كما لم يعزها إلى من قرأ بها، والظاهر أن المراد به خطاب الجمع فيكون «لتبيتنه».
(١٦) ما بين القوسين سقط من الأصل.
(١٧) الكشاف ٣/ ١٤٦.
(١٨) في ب: لذلك.
(١٩) في الأصل: خبراً من قال، ومع الياء لا يصح إلا أن يكون خبراً لا أمراً.

فيما بعده جواباً لسؤال مقدر[١]. وقد تابع[٢] الزمخشريَّ أبو البقاء على ذلك فقال: «تَقَاسَمُوا» فيه وجهان:

أحدهما: هو أمرٌ[٣] أي: أمر بعضهم بذلك بعضاً، فعلى هذا يجوز في «لَنُبَيِّتَنَّهُ» النون بتقدير: قولوا لَنُبَيِّتَنَّهُ، والتاء على خطاب الأمر المأمور، ولا يجوز التاء.

والثاني: هو فعل ماض، وعلى هذا يجوز الأوجه الثلاثة[٤]. يعني بالأوجه: النون والتاء والياء، قال[٥]: وهو على هذا تفسير[٦]، أي: و[٧] تقاسموا على كونه ماضياً مفسّراً لنفس «قَالُوا» وقد سبقهما إلى ذلك مكي[٨] ـ رحمه الله ـ وتقدم توجيه ما منعوه ولله الحمد، وتنزيل هذه الأوجه بعضها على بعض مما يصعب استخراجه من كلام القوم، وتقدّم الكلام في «مَهْلِكَ أَهْلِهِ» في الكهف[٩].

فصل

من جعله[١٠] أمراً فموضع «تَقَاسَمُوا» جزم على الأمر، أي: احلفوا[١١]، ومن جعله فعلاً ماضياً[١٢] فمحله نصب أي: تحالفوا وتوافقوا لنبيتّنه لنقتلنه، بياتاً أي: ليلاً، وأهله: أي: قومه الذين أسلموا معه، «ثُمَّ لَنقُولَنَّ لِوَلِيِّه»: أي لولي دمه، «مَا شَهِدْنَا» ما حضرنا، «مَهْلِكَ أَهْلِهِ» إهلاكهم، ولا ندري من قتله، ومن فتح الميم فمعناه: هلاك أهله، «وَإِنَّا لَصَادِقُونَ»: في قولنا ما شهدنا ذلك[١٣].

قوله: «وَمَكَرُوا مَكْراً» غدروا غدراً حين قصدوا تبييت صالح والفتك به، «وَمَكَرْنَا مَكْراً» جازيناهم على مكرهم بتعجيل عقوبتهم، «وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ» فشبّه إهلاكهم من حيث لا يشعرون بمكر الماكر على سبيل الاستعارة[١٤]. وقيل: انّ الله تعالى أخبر صالحاً بمكرهم فتحرز عنهم، فذلك مكر الله في حقهم[١٥].

قوله: «فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِم أَنَّا دَمَّرناهُمْ»: قرأ الكوفيون[١٦] بفتح «أَنَّا»، والباقون بالكسر[١٧]، فالفتح من أوجه:

---

(١) الدر المصون ٥/ ٢٠٠.
(٢) في ب: بالغ. وهو تحريف.
(٣) في ب: أمراً. وهو تحريف.
(٤) التبيان ٢/ ١٠١٠.
(٥) هو أبو البقاء.
(٦) التبيان ٢/ ١٠١٠.
(٧) و: سقط من ب.
(٨) انظر الكشف ٢/«١٦٢. ومشكل إعراب القرآن ٢/ ١٥٠ ـ ١٥١.
(٩) عند قوله تعالى: ﴿**وجعلنا لمهلكهم موعداً**﴾ [الكهف: ٥٩].
(١٠) في ب: من جعل تقاسموا.
(١١) في الأصل: اختلفوا.
(١٢) في الأصل: ماضياً تقاسموا.
(١٣) انظر البغوي ٦/ ٢٩٢.
(١٤) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٠٣.
(١٥) المرجع السابق.
(١٦) وهم: عاصم وحمزة والكسائي.
(١٧) السبعة (٤٨٣ ـ ٤٨٤)، الكشف ٢/ ١٦٣، النشر ٢/ ٣٣٨، الإتحاف (٣٣٨).

أحدها: أن يكون على حذف الجر، لأنَّا دمّرناهم، و «كَانَ» تامّة، و «عَاقِبَةُ» فاعل بها، و «كَيْفَ»: حال[١].

الثاني: أن يكون بدلاً من «عَاقِبَةُ»، أي: كيف كان تدميرنا إيّاهم، بمعنى كيف حدث[٢].

الثالث: أن يكون خبر مبتدأ محذوف، أي: هي أنَّا دمَّرناهم، أي: العاقبة تدميرنا إياهم[٣]، ويجوز مع هذه الأوجه الثلاثة أن تكون كان ناقصة، ويجعل «كَيْفَ» خبرها[٤]، فتصير الأوجه ستة، ثلاثة مع تمام «كَانَ» وثلاثة مع نقصانها، ونزيد مع الناقصة وجهاً آخر، وهو أن يجعل «عَاقِبَة» اسمها، و «أَنَّا دَمَّرناهُم» خبرها، و «كَيْفَ»: حال[٥]، فهذه سبعة أوجه، والثامن: أن تكون «كان» زائدة، و «عاقبة» مبتدأ، وخبره «كَيْفَ»، و «أَنَّا دَمَّرنَاهُم» بدل من «عاقبة» أو خبر مبتدأ مضمر[٦]، وفيه تعسُّف.

التاسع: أنها على حذف الجار أيضاً، إلا أنه الباء، أي: بأنَّا دمَّرناهم، ذكره أبو البقاء[٧].

العاشر: أنها بدل من «كَيْفَ»[٨]، وهذا وهم من قائله، لأن المبدل من اسم الاستفهام يلزم معه إعادة حرف[٩] الاستفهام، نحو: كم مالكم[١٠] أعشرون أم ثلاثون[١١]؟ وقال مكي: ويجوز في الكلام نصب «عَاقِبَة» ويجعل «أَنَّا دَمَّرنَاهُم» اسم كان[١٢]. انتهى.

بل كان هذا هو الأرجح كما كان النصب في قوله: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟﴾ [العنكبوت: ٢٤] ونحوه[١٣] أرجح، لما تقدّم شبهه بالمضمر، لتأويله بالمصدر، وتقدّم تحقيق هذا[١٤]. وقرأ أُبيّ: «أَنْ دَمَّرْنَاهُمْ» وهي: أن[١٥] المصدرية التي يجوز أن تنصب المضارع، والكلام فيها كالكلام على «أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ»[١٦] وأمّا قراءة الباقين، فعلى

---

(١) انظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٥١ ـ ١٥٢، الكشاف ٣/ ١٤٧.

(٢) المرجع السابق ٢/ ١٥١، الكشاف ٣/ ١٤٧.

(٣) هذا تقدير الزمخشري. الكشاف ٣/ ١٤٧، وقدره مكي: «هو أنا...». مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٥٢. الكشف ٢/ ١٦٣. التبيان ٢/ ١٠١٠.

(٤) انظر البيان ٢/ ٢٢٥.

(٥) انظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٥٢، الكشاف ٣/ ١٤٧.

(٦) انظر البحر المحيط ٧/ ٨٦.

(٧) قال أبو البقاء: (هو في موضع نصب، أي: بأنا أو لأنا) التبيان ٢/ ١٠١١.

(٨) حكاه أبو البقاء. التبيان ٢/ ١٠١١.

(٩) في ب: حروف.

(١٠) في ب: مالك.

(١١) انظر التبيان ٢/ ١٠١١.

(١٢) وعبارته: ويجوز في الكلام نصب «عاقبة» على خبر (كان)، وتجعل «أنَّا» اسم (كان) مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٥٢.

(١٣) يريد قوله تعالى: **﴿وما كان جواب قومه﴾** [الأعراف: ٨٢].

(١٤) عند قوله تعالى: **﴿وما كان جواب قومه إلاّ أن قالوا﴾** [الأعراف: ٨٢].

(١٥) في ب: أنا. وهو تحريف.

(١٦) انظر البحر المحيط ٧/ ٨٦.

الاستئناف، وهو تفسير للعاقبة[١]، وكان يجوز فيها التمام والنقصان والزيادة، و «كَيْفَ» وما في حيّزها في محل نصب على إسقاط الخافض، لأنّه معلق للنظر، و «أَجْمَعِينَ»: تأكيد للمعطوف والمعطوف عليه.

فصل

قال ابن عباس: أرسل الله الملائكة تلك الليلة إلى دار صالح يحرسونه، فأتى التسعة دار صالح شاهرين سيوفهم فرمتهم الملائكة بالحجارة من حيث يرون الحجارة ولا يرون الملائكة، فقتلتهم[٢]. وقال مقاتل: نزلوا في سفح جبل ينتظر بعضهم بعضاً، ليأتوا دار صالح، فجثم عليهم الجبل فأهلكهم وأهلك الله قومهم بالصيحة[٣].

قوله: «فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً» العامة على نصب «خَاوِيَةً» حالاً، والعامل فيها معنى اسم الإشارة[٤]، وقرأ عيسى: «خَاوِيَةٌ» بالرفع[٥]، إمّا على خبر «تلك»، و «بُيُوتُهُمْ» بدل من «تِلْك»، وإمّا خبر ثان، و «بُيُوتُهُم» خبر أول[٦]، وإمّا على خبر مبتدأ محذوف، أي: هي خاوية[٧]، وهذا إضمار مستغنًى عنه، و «بِمَا ظَلَمُوا» متعلق بـ «خاوية»، أي بسبب ظلمهم. و «خَاوِيَةً» أي: خالية «بِمَا ظَلَمُوا» بظلمهم وكفرهم، «إنَّ في ذلك لآية» لَعِبْرَةً، «لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ» قدرتنا. «وأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ» قيل: كان الناجون منهم أربعة آلاف[٨].

قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ﴾ الآية، «ولُوطاً» إمّا منصوب عطفاً على

---

(١) انظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٥١، البيان ٢/ ٢٢٤، التبيان ٢/ ١٠١٠.

(٢) انظر البغوي ٦/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣. (٣) انظر البغوي ٦/ ٢٩٣.

(٤) انظر الكشاف ٣/ ١٤٧، البيان ٢/ ٢٢٥، التبيان ٢/ ١٠١١.

(٥) قال ابن خالويه: («فتلك بيوتهم خاوية» بالرفع حكاه أبو معاذ) المختصر (١١٠) الكشاف ٣/ ١٤٧، البحر الميحط ٧/ ٨٦.

(٦) انظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٥٢، البيان ٢/ ٢٢٥.

(٧) انظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٥٢، الكشاف ٣/ ١٤٧، البيان ٢/ ٢٢٥. وجوز مكي وابن الأنباري وجهين آخرين، وهما: أن تجعل «خاوية» بدلاً من «البيوت»، وأن تجعل «بيوتهم» عطف بيان على «تلك» و «خاوية» خبر «تلك». انظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٥٢ ـ ١٥٣، البيان ٢٢٥.

(٨) انظر البغوي ٦/ ٢٩٣.

«صالحاً» أي: وأرسلنا لوطاً[(١)]، وإمّا عطفاً على «الَّذِينَ آمَنُوا»، أي: وأنجينا لوطاً[(٢)]، وإمّا «باذْكُر» مضمرة[(٣)]، و «إِذْ قَالَ»: بدل اشتمال من «لُوطاً»[(٤)]، وتقدّم نظيره في مريم[(٥)] وغيرها.

«أَتَأْتُونَ الفَاحِشَةَ» استفهام على وجه الإنكار، والتوبيخ بمثل هذا اللفظ أبلغ، و «الفَاحِشَة»: الفعلة القبيحة.

قوله: «وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ» جملة حالية من فاعل «تَأْتُونَ» أو من «الفَاحِشَةَ»، والعائد محذوف، أي: وأنتم تبصرونها لستم عُمياً عنها جاهلين بها، وهو أشْنَعُ. وقيل: المعنى يرى بعضكم بعضاً، وكانوا لا يستترون، عتوّاً منهم[(٦)]. فإن قيل: إذا فسرت «تُبْصِرُونَ» بالعلم، وبعده: «بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ» فكيف يكون علماً جهلاً؟ فالجواب:

تفعلون فعل الجاهلين بأنها فاحشة مع علمكم بذلك، أو تجهلون العاقبة، أو أراد بالجهل: السفاهة والمجانة التي كانوا عليها[(٧)].

قوله: «شَهْوَةً»: مفعول من أجله[(٨)]، أو في موضع الحال، وقد تقدّم[(٩)].

قوله: فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ: خبر مقدم، و «إلاَّ أَنْ قَالُوا» في موضع الاسم. وقرأ الحسن وابن أبي إسحاق برفعه اسماً، و «إلاَّ أَنْ قَالُوا» خبر[(١٠)] وهو ضعيف، لما تقدّم تقريره[(١١)]. وتقدّم قراءتا «قَدَّرْنَا» تشديداً وتخفيفاً[(١٢)]، والمخصوص بالذم محذوف في قوله: «فَسَاءَ مَطَرُ المُنْذَرِينَ» أي: مَطَرُهُمْ[(١٣)].

فصل

لما بيَّن تعالى جهلهم، بيّن أنهم أجابوا بما لا يصلح أن يكون جواباً، فقال:

---

(١) انظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٥٣، الكشاف ٣/ ١٤٧، البيان ٢/ ٢٢٥، البحر المحيط ٧/ ٨٦.
(٢) انظر البحر المحيط ٧/ ٨٦.
(٣) انظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٥٣، الكشاف ٣/ ١٤٧، البيان ٢/ ٢٢٥، البحر المحيط ٧/ ٨٦.
(٤) انظر الكشاف ٣/ ١٤٧.
(٥) عند قوله تعالى: **﴿ذكر رحمت ربّك عبده زكريا إذ نادى ربّه نداءً خفياً﴾** [مريم: ٢، ٣].
(٦) انظر الكشاف ٣/ ١٤٧.
(٧) انظر الكشاف ٣/ ١٤٧، الفخر الرازي ٢٤/ ٢٠٤.
(٨) انظر البحر المحيط ٧/ ٨٦.
(٩) عند قوله تعالى: **﴿إنّكم لتأتون الرّجال شهوةً من دون النّساء﴾** [الأعراف: ٨١].
(١٠) المحتسب (١٤١)، البحر المحيط ٧/ ٨٦.
(١١) وذلك أن علة الضعف فيه أن قوله: «أن قالوا» يشبه المضمر في أنه لا يوصف والمضمر أعرف من هذا المظهر.
(١٢) بالتخفيف قرأ أبو بكر عن عاصم، والباقون بالتشديد. السبعة (٤٨٤)، الإتحاف ٣٣٨.
(١٣) انظر البحر المحيط ٧/ ٨٧. وفي ب: أمطرهم.

«فَمَا[١] كان جَوَابَ قَوْمِهِ إلاَّ أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ»، أي: يتطهرون من هذا الصنيع الفاحش[٢]. وقيل: قالوا ذلك على وجه الهزء[٣].

«فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا» قضينا عليها وجعلناها بتقديرنا «مِنَ الغَابِرِينَ»، أي: الباقين في العذاب، و «أَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَراً»، وهو الحجارة «فَسَاءَ مَطَرُ المُنْذَرِينَ»[٤].

قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾

قوله تعالى[٥]: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الآية، العامة على كسر لام قل، لالتقاء الساكنين، وأبو السمال بفتحها[٦] تخفيفاً، وكذا في قوله: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [النمل: ٩٣]، «وَسَلامٌ»: مبتدأ، سوَّغ الابتداء به كونه دعاء.

فصل

المعنى: «الحمد لله» على هلاكهم، وهذا خطاب لرسول الله ـ ﷺ ـ أمر أن يحمد الله على هلاك كفار الأمم الخالية، و «سَلامٌ على عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى» بأن أرسلهم ونجّاهم[٧]. وقيل: هذا كلام مبتدأ، فإنه تعالى لما ذكر أحوال الأنبياء ـ عليهم السلام[٨] ـ وكان محمد ـ عليه السلام[٩] ـ كالمخالف لمن قبله ـ في العذاب؛ لأن عذاب الاستئصال مرتفع عن قومه ـ أمره الله تعالى بأن يشكر ربّه على ما خصّه به من هذه النعم، وبأن يسلم على الأنبياء الذين صبروا على مشاق الرسالة[١٠].

قوله: «وَسَلامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى» قال مقاتل: هم الأنبياء والمرسلون، بدليل قوله تعالى: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[١١] [الصافات: ١٨١]. وقال ابن عباس ـ في رواية أبي مالك ـ هم أصحاب محمد ـ ﷺ[١٢] ـ وقال الكلبي: هم أمة محمد[١٣]. وقيل: هم كل المؤمنين من السابقين واللاحقين[١٤].

(١) في النسختين: وما.
(٢) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٠٤.
(٣) المرجع السابق ٢٤/ ٢٠٤ ـ ٢٠٥.
(٤) انظر البغوي ٦/ ٢٩٤.
(٥) تعالى: سقط من ب.
(٦) انظر تفسير ابن عطية ١١/ ٢٢٤، البحر المحيط ٧/ ٨٨.
(٧) انظر البغوي ٦/ ٢٩٤.
(٨) في ب: عليهم الصلاة والسلام.
(٩) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٠) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٠٥.
(١١) انظر البغوي ٦/ ٢٩٤ ـ ٢٩٥.
(١٢) انظر البغوي ٦/ ٢٩٥.
(١٣) المرجع السابق.
(١٤) المرجع السابق.

قوله: «أَمَّا» أَمْ هذه متصلة عاطفة، لاستكمال شروطها[١]، والتقدير: أَيُّهُمَا خَيْرٌ، و «خَيْرٌ» إمَّا تفضيل ـ على زعم الكفار ـ وإلزام[٢] الخصم، أو صفةٌ لا تفضيل فيها[٣]. و «مَا» في «أَمْ مَا» بمعنى الذي، وقيل: مصدرية، وذلك على حذف مضاف من الأول، أي: أتوحيد الله خير أم شرككم[٤]؟ وقرأ أبو عمرو وعاصم: «أَمَّا يُشْرِكُونَ» بالغيبة حملاً على ما قبله من قوله: «وَأَمْطَرنَا عَلَيْهِم»، وما بعده من قوله: «بَلْ أَكْثَرُهُمْ»، والباقون على الخطاب[٥]، وهو التفات للكفار، بعد خطاب نبيه ـ عليه السلام[٦] ـ وهذا تبكيت للمشركين بحالهم، لأنهم آثروا عبادة الأصنام على عبادة الله تعالى، ولا يؤثر عاقل شيئاً على شيء إلا لزيادة خير ومنفعة، فقيل لهم هذا الكلام تنبيهاً لهم على نهاية ضلالهم وجهلهم[٧]، وروي أنّ رسول ـ ﷺ ـ كان إذا قرأها قال: «بل الله خير وأبقى وأجل وأكرم»[٨].

قوله: «أَمَّن خَلَقَ» «أَمْ» هذه منقطعة[٩]، لعدم تقدّم همزة الاستفهام ولا تسوية، و «مَنْ خَلَقَ» مبتدأ وخبره محذوف، فقدَّره الزمخشري: خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ[١٠]، فقدر ما[١١] أثبت في الاستفهام الأوّل، وهو حَسَنٌ، وقَدَّرَهُ ابن عطية: يُكْفَر بنعمته ويُشْرك به، ونحو هذا من المعنى[١٢]. وقال أبو الفضل الرازي: لا بُدَّ من إضمار جملة معادلة، وصار ذلك المضمر كالمنطوق لدلالة الفحوى عليه، وتقدير تلك الجملة: أم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأَرض كَمَنْ لَمْ يخْلُقْ؟ وكذلك أخواتها، وقد أُظْهِرَ في غير هذه المواضع ما أُضْمِر فيها[١٣]، كقوله: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ [النحل: ١٧]. وقال أبو حيان: وتسمية هذا المقدر جملة إن أراد أنّها جملة من جهة الألفاظ فصحيح[١٤]، وإن أراد الجملة المصطلح عليها في النحو، فليس بصحيح، بل هو مضمر من قبيل المفرد[١٥]. وقرأ الأعمش: «أَمَنْ» بتخفيف الميم[١٦] جعلها (مَنْ) الموصولة داخلة عليها همزة الاستفهام، وفيها وجهان:

---

(١) لأن «أم» المتصلة هي الواقعة بعد همزة التسوية، أو همزة يطلب بها وبـ «أم» التعيين، وسميت متصلة لأن ما قبلها وما بعدها لا تستغني بأحدهما عن الآخر، وتسمى معادلة لمعادلتها للهمزة في إفادة التسوية في النوع الأول والاستفهام في النوع الثاني. انظر المغني ١/ ٤١، الهمع ٢/ ١٣٢.

(٢) في ب: والدام. وهو تحريف.

(٣) انظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٥٣، البيان ٢/ ٢٢٥.

(٤) انظر تفسير ابن عطية ١١/ ٢٢٥ ـ ٢٢٦، البحر المحيط ٧/ ٨٨.

(٥) الكشف ٢/ ١٦٣ ـ ١٦٤، الإتحاف (٣٣٨).

(٦) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٧) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٠٥.

(٨) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٠٥، القرطبي ١٣/ ١٢١.

(٩) انظر الكشاف ٣/ ١٤٨.

(١٠) المرجع السابق.

(١١) في ب: فقدرنا.

(١٢) تفسير ابن عطية ١١/ ٢٢٧.

(١٣) انظر البحر المحيط ٧/ ٨٩.

(١٤) في ب: صحيح.

(١٥) البحر المحيط ٧/ ٨٩.

(١٦) المختصر (١١٠)، المحتسب ٢/ ١٤٢.

أحدهما: أن يكون مبتدأ والخبر محذوف وتقديره ما تقدم من الأوجه، قاله أبو حيان[١].

والثاني: أنها بدل من «الله»، كأنه قيل: أمن[٢] خلق السموات والأرض خَيْر أمَّا يشركون، ولم يذكر الزمخشري غيره[٣]. ويكون قد فصل بين البَدَل والمُبْدَل منه بالخبر وبالمعطوف على المبدل[٤] منه، وهو نظير قولك: أَزيدٌ خَيْرٌ أَمْ عَمْرٌو أأخوك[٥]، على أن يكون أأخوك[٦] بدلاً من: أزيد، وفي جواز مثل هذا نظر[٧].

قوله: «فَأَنْبَتْنَا» هذا التفات من الغيبة إلى المتكلم، لتأكيد معنى اختصاص الفعل بذاته، والإيذان بأنَّ إنبات الحدائق المختلفة الألوان والطعوم - مع سقيها بماءٍ واحدٍ - لا يقدر عليه إلاّ هو وحده، ولذلك رشحه بقوله: «مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا»[٨]. فإن الإنسان ربما يقول: أنا الذي ألقي البذر في الأرض وأسقيها الماء وأسعى في تشميسها، وفاعل السبب فاعل المسبب، فإذن أنا المنبت للشجرة، فلمّا كان هذا الاحتمال قائماً، لا جرم أزال الله تعالى هذا الاحتمال، فرجع من لفظ الغيبة إلى لفظ المتكلم. والحدائق: جمع حديقةٍ وهي البستان، وقيل القطعة من الأرض ذات الماء[٩]. قال الراغب: سُمِّيَتْ بذلك تشبيهاً بحَدقةِ العين في الهيئة وحصول الماء فيه[١٠]. وقال غيره: سُمِّيت بذلك لإحداق الجدران بها[١١].

وليس بشيء، لأنها يطلق[١٢] عليها ذلك مع عدم الجدران[١٣] ووقف القراء على «ذَات» من «ذَاتِ بَهْجَة» بتاء مجهورة، والكسائي بها، لأنها تاء تأنيث[١٤]. وقيل:

---

(١) قال أبو حيان: (وقرأ الأعمش بتخفيفها جعلها همزة الاستفهام أدخلت على (من) و «من» في القرائتين مبتدأ وخبر) البحر المحيط ٢/ ٨٩.

(٢) في الأصل: أما.

(٣) قال الزمخشري: (وقرأ الأعمش «أمن» بالتخفيف، ووجهه أن يجعل بدلاً من «الله» كأنه قال: أمن خلق السموات والأرض خير أم ما تشركون) الكشاف ٣/ ١٤٨.

(٤) في ب: البدل. وهو تحريف.

(٥) في ب: أم أخوك. وهو تحريف.

(٦) في ب: أخوك.

(٧) ما ذكره ابن عادل عن الفصل لا يضر، لأنهم قد فصلوا بين المتلازمين كالمبتدأ والخبر بجملة الاعتراض، والفصل هنا بجزء من المبدل منه وهو الخبر وما عطف عليه.

(٨) انظر الكشاف ٣/ ١٤٨.

(٩) المرجع السابق.

(١٠) المفردات في غريب القرآن (١١١).

(١١) قال الفراء: (إنّما يقال: حديقة لكل بستان عليه حائط، فما لم يكن عليه حائط لم يقل له حديقة) معاني القرآن ٢/ ٢٩٧.

(١٢) في ب: مطلق.

(١٣) قال أبو حيان: (الحديقة: البستان كان عليه جدار أو لم يكن) البحر المحيط ٧/ ٨١.

(١٤) انظر إبراز المعاني (٢٤٧).

«ذات»، لأنه بمعنى جماعة حدائق ذات بهجة كما تقول[١]: النساء ذهبت، و «البهجة»: الحسن، لأن حسّ الناظر يبتهج به[٢]. وقرأ ابن أبي عبلة: «ذَوَاتِ بَهَجَةٍ» بالجمع، وفتح هاء «بَهَجَةٍ»[٣]. قوله: «مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنبِتُوا»، «أَنْ تُنبِتُوا» اسم كان و «لَكُمْ» خبر مقدم، والجملة المنفية يجوز أن تكون صفة لـ «حدائق»[٤]، وأن تكون حالاً: لتخصصها بالصفة.

قوله: «أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ» استفهام بمعنى الإنكار، هل معبود سواه أعانه على صنعه، بل ليس معه إله، وقرىء: أإلهاً مَعَ اللَّهِ، أي: تدعون أو تشركون[٥]، «بَلْ هُمْ قَوْمٌ»: يعني كفار مكة، يَعْدِلُون: يشركون، أي: يعدلون بالله[٦] سواه، وقيل يعدلون عن هذا الحق الظاهر، ونظير هذه الآية أول سورة الأنعام[٧].

قوله تعالى: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾

قوله: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾، قال الزمخشري: «أَمَّنْ» وما بعده بدل من «أَمَّنْ خَلَقَ»، وحكمها حكمه[٨]. ومعنى قراراً: لا تميد بأهلها[٩]، فإنها لو كانت متحركة لما استقر أحد بالسكنى على الأرض. قوله: «خِلاَلَهَا»: يجوز أن يكون ظرفاً، لـ «جعل» بمعنى خلق المتعدية لواحد، وأن يكون في محلّ المفعول الثاني[١٠] على أنها بمعنى صيّر، وخلالها[١١]: وسطها أنهاراً. واعلم[١٢] أنّ المياه المنبعثة في الأرض أربعة:

الأوّل: مياه العيون السيالة، قال ابن الخطيب: وهي تنبعث من أبخرة كثيرة المادة قوية الاندفاع تفجر الأرض بقوة[١٣].

الثاني: ماء العيون الراكدة، وهي تحدث من أبخرة بلغت قوتها إلى وجه الأرض، ولم يبلغ من قوتها وكثرة مادتها أن يطرد (تاليها سابقها)[١٤].

---

(١) في ب: يقال.
(٢) انظر الكشاف ٣/١٤٨.
(٣) انظر البحر المحيط ٧/٨٩.
(٤) انظر التبيان ٢/١٠١٢. وفي ب: الحدائق.
(٥) انظر الكشاف ٣/١٤٨، البحر المحيط ٧/٨٩، وفيهما: أتدعون أو أتشركون.
(٦) في ب: الله.
(٧) وهو قوله تعالى: **﴿الحمد لله الذي خلق السّموات والأرض وجعل الظُّلمات والنُّور ثمّ الّذين كفروا بربّهم يعدلون﴾** [١]. انظر اللباب ٣/٣٧١.
(٨) الكشاف ٣/١٤٨.
(٩) انظر البغوي ٦/٢٩٦.
(١٠) انظر التبيان ٢/١٠١٢.
(١١) في ب: وإخلالها.
(١٢) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٤/٢٠٧.
(١٣) الفخر الرازي ٢٤/٢٠٧.
(١٤) ما بين القوسين تكملة من الفخر الرازي.

الثالث: ماء القنى والأنهار، وهي متولدة من أبخرة ناقصة القوة عن أن تشق الأرض، فإذا أزيل عن وجهها ثقل التراب صار حينئذ لتلك الأبخرة منفذاً يندفع إليه بأدنى حركة.

الرابع: مياه الآبار، وهي منبعثة كمياه الأنهار إلاّ أنه لم يحصل لها ميل إلى موضع تسيل إليه. ونسبة القنى إلى الآبار نسبة العيون السيالة إلى العيون الراكدة[١].

قوله: «وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ» وهي الجبال ثوابت.

قوله: «بَيْنَ البَحْرَيْنِ»: يجوز فيه ما جاز في «خِلاَلَهَا»[٢]، والحاجز: الفاصل، حجز بينهم يحجز أي: منع وفصل، والمراد بالبحرين: العذب والملح. «أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ» قرىء «أَإِلٰهٌ» بتحقيق الهمزتين وتخفيف الثانية، وإدخال ألف بينهما تخفيفاً وتسهيلاً[٣]، وهذا كله معروف من أوّل هذا الكتاب، «بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ» توحيد ربهم.

قوله: «أَمَّن يُجِيبُ المُضطرَّ إِذَا دَعَاهُ» المضطر: اسم مفعول مأخوذ من اضطر، ولا يستعمل إلا مبنياً للمفعول، وإنّما كرر الجعل هنا، ولم يشرك[٤] بين المعمولات[٥] في عامل واحد، لأن كل واحدة من هذه مِنّة مستقلة، فأبرزها في جملة مستقلة بنفسها، قال الزمخشري الضرورة الحال المحوجة إلى الالتجاء، والاضطرار: افتعال منها، فيقال: اضطُرّ إلى كذا والفاعل والمفعول مضطر[٦]. فإن قيل: هذا يعم المضطرين، وكم من مضطر يدعو فلا يجاب، فالجواب:

أنه ثبت في أصول الفقه أن المفرد المعرّف لا يفيد العموم، وإنما يفيد الماهية فقط، والحكم المثبت للماهية يكفي في صدقه ثبوته في فرد واحد من أفراد الماهية فقط، فإنه تعالى وعد بالاستجابة، ولم يذكر أنه يستجيب في الحال[٧].

قوله: «وَيَكْشِفُ السُوءَ» كالتفسير للاستجابة، فإنّه لا يقدر أحد على كشف ما دفع إليه من فقر إلى غنى ومرض إلى صحة، إلاّ القادر الذي لا يعجز، والقاهر الذي لا ينازع[٨]، «وَيَجْعَلُكُم خُلَفَاء الأَرضِ» أي: يورثكم سكناها[٩] والتصرف فيها قرناً بعد قرن، وأراد بالخلافة الملك والتسليط[١٠]. قوله: «قَلِيلاً مَا تَذكرُونَ» قرأ أبو عمرو

---

(١) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٤/٢٠٧.

(٢) انظر التبيان ٢/١٠١٢.

(٣) قال ابن خالويه: («أإله» بهمزتين بينهما مدة عبد الرحمن الأعرج) المختصر (١١١) وانظر أيضاً البحر المحيط ٧/٨٩، ولم يعز أبو حيان هذين الوجهين إلى من قرأ بهما.

(٤) لم يشرك: سقط من ب.

(٥) في ب: المعمولان.

(٦) الكشاف ٣/١٤٩.

(٧) انظر الفخرالرازي ٢٤/٢٠٨ - ٢٠٩.

(٨) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢٠٩.

(٩) في ب: من سكانها.

(١٠) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢٠٩.

وهشام: «يَذكرُونَ» بالغيبة والباقون بالخطاب[١]، وهما واضحتان، وأبو حيوة: «تتَذكرون» بتاءين[٢].

قوله تعالى: ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾

قوله: ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ يهديكم بالنجوم في السماء والعلامات[٣] في البحر[٤] إذا سافرتم بالليل في البر والبحر[٥]. و «مَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رحْمَتِهِ»، وهي المطر، وتقدّم الكلام في «بُشْراً» في الأعراف[٦]، «أإلٰهٌ مَعَ اللَّه تَعَالَى اللَّهُ عَمّا يُشْرِكُونَ».

قوله: «أَمَّنْ يَبدأُ الخَلْقَ ثم يُعِيدُهُ» لما عدد نعم الدنيا أتبع ذلك بنعم الآخرة، وهي لا تتم إلا بالإعادة بعد الابتداء والإبلاغ إلى حد التكليف، فقد تضمن الكلام كل نعم الدنيا والآخرة، وهي لا تتمّ إلا بالإرزاق، فلذلك قال: «وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ»[٧] «مِنَ السَّمَاءِ»: المطر، ومن الأرض: النبات، «أَإِلٰهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ» حجتكم على قولكم: إن مع الله إلٰهاً آخر، «إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» ولا برهان لكم، فإذاً أنتم مبطلون.

فإن قيل: كيف قيل لهم: أم من يبدؤ الخلق ثم يعيده، وهم ينكرون الإعادة؟ فالجواب: كانوا معترفين بالابتداء، ودلالة الابتداء على الإعادة دلالة ظاهرة قوية، فلما كان الكلام مقروناً بالدلالة الظاهرة، صاروا كأنهم لم يبق لهم عذر في الإنكار[٨].

قوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾

قوله (تعالى: «قُلْ)[٩] لاَ يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ الغَيْبَ إلاَّ اللَّهُ» لما بين أنه مختص بالقدرة، بين أنه المختص بعلم الغيب، وإذا ثبت ذلك، ثبت أنه الإلٰه المعبود[١٠].

---

(١) السبعة (٤٨٤)، الكشف ٢/ ١٦٤، النشر ٣٣٨ ـ ٣٣٩، الإتحاف ٣٣٨.
(٢) المختصر (١١٠)، البحر المحيط ٧/ ٩٠.
(٣) في النسختين: والولايات. والتصويب من الفخر الرازي.
(٤) في ب: الأرض.
(٥) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٠٩.
(٦) عند قوله تعالى: ﴿وهو الّذي يرسل الرِّياح بشراً بين يدي رحمته﴾ [الأعراف: ٥٧].
(٧) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢١٠.
(٨) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢١١.
(٩) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٠) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢١١.

وفي هذا الاستثناء أوجه:

أحدها: أنه فاعل «يعلم»، و «من» مفعوله، و «الغيب» بدل من «من في السموات» أي: لا يعلم غيب من في السموات والأرض إلا الله، أي: الأشياء الغائبة التي تحدث في العالم، وهو وجه غريب ذكره أبو حيان[١].

الثاني: أنه مستثنى متصل من «من»، ولكن لا بد من الجمع بين الحقيقة والمجاز في كلمة واحدة على هذا الوجه، و[٢]بيانه أن الظرفية المستفادة من «مَنْ في» حقيقة بالنسبة إلى غير الله تعالى، ومجاز بالنسبة إلى الله تعالى بمعنى[٣]: أن علمه في السموات والأرض فيندرج (في)[٤] «مَنْ في السَّمَواتِ والأَرْضِ» بهذا الاعتبار، وهو مجاز، وغيره من مخلوقاته في السموات والأرض حقيقة، فبذلك الاندراج المؤول استثني من «مَنْ»، وكان الرفع على البدل أولى، (لأن الكلام غير موجب[٥]، قال مكي: الرفع في اسم الله - عز وجل - على البدل)[٦] من من[٧].

ورد الزمخشري هذا بأنه جمع بين الحقيقة والمجاز وأوجب أن يكون منقطعاً، فقال: فإن[٨] قلت: لم رفع اسم الله، والله يتعالى أن يكون ممن في السموات والأرض؟ قلت: جاء على لغة بني تميم، حيث يقولون: ما في الدار أحد[٩] إلا حمار، يريدون: ما فيها إلا حمار، كأنَّ أحداً لم يذكر، ومنه قوله:

٣٩٦٩ - عَشِيَّةَ مَا تُغْنِي الرِّمَاحُ مَكَانَهَا وَلاَ النَّبْلُ[١٠] إلاَّ المَشْرَفِيُّ المُصَمِّمُ[١١]

وقولهم: ما أتاني زيد «إلا عمرو»، وما أعانني[١٢] إخوانكم إلا إخوانه، فإن قلت: ما الداعي إلى اختيار المذهب التميمي على الحجازي؟ قلت: دعيت إليه نكتة سرية، حيث أخرج المستثنى مخرج قوله: إلاَّ اليَعَافِيرُ، بعد قوله: لَيْسَ بِهَا أَنِيس[١٣]: ليؤول

---

(١) انظر البحر المحيط ٧/ ٩١.
(٢) و: سقط من ب.
(٣) في ب: معنى.
(٤) في: تكلمة ليست في المخطوط.
(٥) انظر البيان ٢/ ٢٢٦.
(٦) ما بين القوسين سقط من ب.
(٧) مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٥٣، وانظر التبيان ٢/ ١٠١٢.
(٨) في ب: وإن.
(٩) في ب: واحد.
(١٠) في ب: السبيل.
(١١) البيت من بحر الطويل، قاله الحصين بن الحمام، ويروى لضرار بن الأزور. وقد تقدم.
(١٢) في الكشاف: وما أعانه.
(١٣) جزءان من بيتين من الرجز وتمامهما:

وبلدة ليس بها أنيس إلا اليعافير وإلا العيس

قالهما جران العود، وهما في الكتاب ١/ ٢٦٣، ٢/ ٣٢٢، معاني القرآن للفراء ١/ ٤٧٩، ٢/ ١٥، المقتضب ٢/ ٣١٨، ٣٤٦، ٤/ ٤١٤، الإنصاف ١/ ٢٧١، ٣٧٧، ابن يعيش ٢/ ٨٠، ١١٧، ٧/ ٢١، ٨/ ٥٢، شذور الذهب (٢٦٥)، المقاصد النحوية ٣/ ١٠٧، التصريح ١/ ٣٥٣، الهمع ١/ ٢٢٥، ٢/ =

المعنى إلى قولك: إن كان الله ممن في السموات والأرض، فهم يعلمون الغيب يعني أن علمهم الغيب ـ في استحالته ـ كاستحالة أن يكون الله منهم، كما أن معنى «ما في البيت» إن كانت اليعافير أنيساً ففيها أنيس بتًّا للقول بخلوها من الأنيس. فإن قلت: هلا زعمت أن الله ممن في السموات والأرض، كما يقول المتكلمون: «إن الله في كل مكان» على معنى: أن علمه في الأماكن كلها، فكأن ذاته فيها حتى لا يحمل على مذهب بني تميم؟ قلت: يأبى ذلك أن كونه في السموات والأرض مجاز، وكونهم فيهن حقيقة، وإرادة المتكلم بعبارة واحدة حقيقة ومجازاً غير صحيح، على أن قولك: من في السموات والأرض، وجمعك بينه وبينهم في إطلاق اسم واحد فيه إيهام وتسوية، والإيهامات مزالة عنه وعن صفاته، ألا ترى كيف قال عليه السلام[1] لمن قال: ومن يعصهما فقد غوى: «بِئْسَ خَطِيبُ القَوْمِ أَنْتَ[2]»[3].

فقد رجح الانقطاع، واعتذر عن ارتكاب مذهب التميميين بما ذكر، وأكثر العلماء أنه لا يجمع بين الحقيقة والمجاز[4] في كلمة واحدة، وقد قال به الشافعي.

فصل

نزلت هذه الآية في المشركين، حيث سألوا رسول الله ـ ﷺ ـ عن وقت قيام الساعة[5]. و «مَا يَشْعُرُونَ» صفة لأهل السموات والأرض نفى أن يكون لهم علم بالغيب، وذكر في جملة الغيب: متى[6] البعث؛ بقوله: «أَيَّانَ يُبْعَثُونَ»، و «أَيَّانَ» بمعنى متى[7]، وهي كلمة مركبة من: أي والآن، وهو[8] الوقت. وقرىء: «إِيّان» بكسر

= ١٤٤، الأشموني ٢/ ١٤٧، الخزانة ١٠/ ١٥، الدرر ١/ ١٩٢، ٢/ ٢٠٢، الواو في (وبلدة) واو (رب)، و (بلدة) مجرورة بـ (رب) المحذوفة. والبلدة: القطعة من الأرض، ومطلق الأرض. الأنيس: من يؤنس به من الناس اليعافير: جمع يعفور، وهو ولد الظبية، وولد البقرة الوحشية أيضاً. وقال بعضهم: اليعفور: تيس الظباء.

والعيس: إبل بيض يخالط بياضها شقرة، جمع أعيس، والأنثى عيساء. والشاهد فيه قوله: (إلا اليعافير وإلا العيس) بالرفع بدل من (أنيس) وإن لم يكن من جنسه على لغة بني تميم، وأهل الحجاز يوجبون في هذا النصب.

(١) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٢) أخرجه مسلم (جمعة) ٢/ ٥٩٤، أبو داود (صلاة) ١/ ٦٦٠، النسائي (نكاح) ٦/ ٩٠، أحمد ٤/ ٢٥٦، ٣٧٩.

(٣) الكشاف ٣/ ١٤٩ ـ ١٥٠.

(٤) الحقيقة لغة: ذات الشيء اللازمة له، وفي الاصطلاح: اللفظ المستعمل فيما وضع له في الاصطلاح الذي به التخاطب، ولها أقسام بحسب الوضع. والمجاز لغة: اللفظ المستعمل في غير ما وضع له في الاصطلاح الذي به التخاطب لعلاقة ما، وله أقسام. انظر الإيضاح ٢٧٢ ـ ٢٧٤.

(٥) انظر البغوي ٦/ ٣٠٠.

(٦) في ب: من. وهو تحريف.

(٧) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢١١.

(٨) في ب: وهي.

الهمزة، قرأ بها السلمي[١]، وهي لغة قومه بني سليم[٢]، وهي منصوبة بـ «يُبْعَثُونَ» ومعلقة لـ «يَشْعُرُونَ» فهي مع ما بعدها في محل نصب[٣] بإسقاط الباء، أي ما يشعرون بكذا.

قوله: «ادّارَكَ»[٤] قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: «أَدْرَكَ» كأكرم[٥]، والباقون من السبعة «ادَّارَكَ» بهمزة وصل وتشديد الدال المفتوحة بعدها ألف[٦] ـ والأصل (تدارك) وبه قرأ أبي[٧]، فأريد إدغام التاء في الدال، فأبدلت دالاً وسكنت، فتعذر[٨] الابتداء بها، لسكونها، فاجتلبت[٩] همزة الوصل، فصار: «ادَّارك» كما ترى ـ وتقدم تحقيق هذا في قوله: ﴿فَٱدَّٰرَءۡتُمۡ فِيهَاۖ﴾[١٠] [البقرة: ٧٢]. وقراءة ابن كثير، قيل: يحتمل[١١] أن يكون «أفعل» فيها بمعنى «تفاعل»[١٢]، فتتحد القراءتان، وقيل: أدرك[١٣]، بمعنى بلغ وانتهى[١٤].

وقرأ سليمان وعطاء ابنا[١٥] يسار: «بَل ادّرك»[١٦] بفتح لام «بَلْ» وتشديد الدال دون ألف بعدها[١٧] وتخريجها: أن الأصل: (ادْتَرَكَ) على وزن افْتَعَل، فأبدلت تاء الافتعال دالاً، لوقوعها بعد الدال[١٨]، قال أبو حيان: فصار فيه قلب الثاني للأول، كقولهم: اثَّرَدَ، وأصله[١٩]: اثترد[٢٠] من الثرد[٢١]، انتهى.

قال شهاب الدين: ليس هذا مما قلب فيه الثاني للأول لأجل الإدغام، كاثَّرَدَ[٢٢]

---

(١) المحتسب ٢/ ١٤٢.
(٢) انظر البحر الميحط ٧/ ٩٢.
(٣) انظر البحر المحيط ٧/ ٩١ ـ ٩٢.
(٤) في ب: ادرك.
(٥) في ب: كالرمك. وهو تحريف.
(٦) السبعة (٤٨٥)، الكشف ٢/ ١٦٤، النشر ٢/ ٣٣٩، الإتحاف (٣٣٩).
(٧) المختصر (١١٠)، المحتسب ٢/ ١٤٢.
(٨) في ب: وتعذر.
(٩) في ب: فانقلبت. وهو تحريف.
(١٠) وذكر هناك: أن أصل «ادارأتم» تفاعلتم من الدرء وهو الدفع فاجتمعت التاء مع الدال، وهما متقاربان في المخرج فأريد الإدغام فقلبت التاء دالاً وسكنت لأجل الإدغام، ولا يمكن الابتداء بساكن فاجتلبت همزة الوصل ليبتدأ بها فبقي اذّارأتم فأدغم. انظر اللباب ١/ ١٨٠.
(١١) في ب: يحمل.
(١٢) انظر البحرالمحيط ٧/ ٩٢.
(١٣) في ب: ادراك. وهو تحريف.
(١٤) انظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٥٤.
(١٥) في ب: ابن وهو تحريف. وهما سليمان بن يسار أبو أيوب الهلالي المدني مولى ميمونة أم المؤمنين، وهو أخو عطاء، وعبد الملك، وعبد الله، تابعي جليل، وردت عنه الرواية في حروف القرآن. مات سنة ١٠٧ هـ. وقيل غير ذلك. طبقات القراء ١/ ٣١٨، وعطاء بن يسار أبو محمد الهلالي المدني، مولى ميمونة أم المؤمنين وردت عنه الرواية في حروف القرآن. مات سنة ١٠٣ هـ. طبقات القراء ١/ ٥١٣.
(١٦) في ب: بل ادراك. وهو تحريف.
(١٧) المحتسب ٢/ ١٤٢، البحر المحيط ٧/ ٩٢.
(١٨) انظر الممتع ١/ ٣٥٧.
(١٩) في ب: والأصل.
(٢٠) في ب: اتترد.
(٢١) البحر المحيط ٦/ ٩٢.
(٢٢) في ب: كما ترد. وهو تحريف.

في اثترد، لأن تاء الافتعال تبدل دالاً بعد أحرف منها الدال، نحو: ادَّانَ في افْتَعَلَ من الدين، فالإبدال لأجل كون الدال فاء لا للإدغام، فليس مثل اثَّرَدَ[١] في شيء، فتأمله فإنه حسن، فلما أدغمت الدال في الدال أدخلت همزة الاستفهام، فسقطت همزة الوصل، فصار اللفظ، أَدْرَكَ بهمزة قطع مفتوحة، ثم نقلت حركة هذه الهمزة إلى لام «بَلْ» فصار اللفظ: «بَلْ دَّرَكَ»[٢]. وقرأ أبو رجاء وشيبة والأعمش والأعرج وابن عباس وتروى عن عاصم كذلك إلا أنه بكسر لام «بَلْ» على أصل التقاء الساكنين، فإنهم لم يأتوا بهمزة استفهام[٣].

وقرأ عبد الله[٤] بن عباس والحسن وابن محيصن «آدَّرَكَ» بهمزة ثم ألف بعدها[٥]، وأصلها همزتان أبدلت ثانيهما ألفاً تخفيفاً، وأنكرها أبو عمرو[٦]. وقد تقدم أول البقرة أنه قرىء «أَأَنْذَرْتَهُمْ»[٧] بألف[٨] صريحة ـ فلهذه بها أسوة[٩].

وقال أبو حاتم: لا يجوز الاستفهام بعد «بَلْ»، (لأن «بَلْ»)[١٠] إيجاب، والاستفهام في هذا الموضع[١١] إنكار بمعنى: «لَمْ يَكُنْ» كقوله تعالى: ﴿أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْۚ﴾ [الزخرف: ١٩] أي: لم يشهدوا، فلا يصح وقوعهما معاً للتنافي الذي بين الإيجاب والإنكار[١٢]. قال شهاب الدين: وفي منع هذا نظر، لأنَّ «بَلْ» لإضراب الانتقال، فقد أضرب عن الكلام الأول، وأخذ في استفهام ثانٍ، وكيف ينكر[١٣] هذا والنحويون يقدرون «أَمْ» المنقطعة ببل والهمزة، وعجبت من الشيخ ـ يعني أبا حيان ـ كيف قال هنا: وقد أجاز بعض المتأخرين الاستفهام بعد «بَلْ»، وشبهه بقول القائل: أَخُبْزاً أَكَلْتَ بَلْ أَمَاءً شَرِبْتَ؟ على ترك الكلام الأول، والأخذ في الثاني[١٤] انتهى. فتخصيصه ببعض المتأخرين يؤذن بأن المتقدّمين وبعض المتأخرين يمنعونه، وليس كذلك لما حكيت عنهم في «أم» المنقطعة[١٥]. وقرأ ابن مسعود: «أَأَدْرَكَ»[١٦] بتحقيق الهمزتين[١٧]، وقرأ ورش في رواية: «بَلِ ادْرَكَ» بالنقل[١٨]، وقرأ ابن عباس أيضاً: «بَلَى أَدْرَكَ» بحرف الإيجاب أخت

---

(١) في ب: مثل أن تتردد. وهو تحريف. (٢) الدر المصون ٥/ ٢٠٥.
(٣) المختصر (١١٠) المحتسب ٢/ ١٤٢، البحر المحيط ٧/ ٩٢.
(٤) عبد الله: سقط من ب.
(٥) المختصر (١١٠) المحتسب ٢/ ١٤٢، البحر المحيط ٧/ ٩٢.
(٦) انظر البحر المحيط ٧/ ٩٢.
(٧) من قوله تعالى: ﴿سواءٌ عليهم أأنذرتهم﴾ [البقرة: ٦]. انظر اللباب ١/ ٥٣ ـ ٥٤.
(٨) في ب: بالألف. (٩) في ب: فلهذه استوت. وهو تحريف.
(١٠) ما بين القوسين سقط من ب. (١١) في ب: في هذه المواضع.
(١٢) انظر البحر المحيط ٧/ ٩٢. (١٣) في ب: أنكر.
(١٤) البحر المحيط ٧/ ٩٢. (١٥) الدر المصون ٥/ ٣٠٥.
(١٦) في ب: بل أدرك. (١٧) المختصر (١١٠)، البحر الميحط ٧/ ٩٢.
(١٨) المختصر (١١٠)، البحر المحيط ٧/ ٩٢.

نعم[١]، و «بَلَى آأدْرَكَ» بألف بين همزتين[٢]، وقرأ أبي ومجاهد «أن» بدل («بَلْ»[٣])[٤] وهي مخالفة للسواد.

قوله: «فِي الآخِرَةِ» فيه وجهان:

أحدهما: أن «فِي» على بابها و «أدْرَكَ» وإن كان ماضياً لفظاً فهو[٥] مستقبل معنى، لأنه كائن قطعاً، كقوله: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١]، وعلى هذا فـ «فِي» متعلق بـ «أدْرَكَ»[٦].

والثاني: أنّ «فِي» بمعنى الباء، أي: بالآخرة، وعلى هذا فيتعلق بنفس علمهم، كقولك: على يزيد كذا[٧]. وأمّا قراءة من قرأ «بَلَى»، فقال الزمخشري: لمّا جاء ببلى بعد قوله: «وَمَا يَشْعُرُونَ» كان معناه: بلى يشعرون، ثم فسر الشعور بقوله: «أدْرَكَ علمهم في الآخِرَةِ» على سبيل التهكم الذي معناه المبالغة في نفي العلم[٨]، ثم قال: وأمّا قراءة: «بَلَى أأدْرَكَ»[٩] على الاستفهام فمعناه: بَلَى[١٠] يشعرون متى يبعثون، ثم أنكر علمهم[١١] بكونها، وإذا أنكر علمهم بكونها لم يتحصّل لهم شعور بوقت كونها، لأن العلم بوقت الكائن[١٢] تابع للعلم بكون الكائن[١٣]، ثم قال: فإن قلت ما معنى هذه الإضرابات الثلاثة؟ قلت: ما هي إلا تنزيل لأحوالهم[١٤]، وصفهم أولاً بأنهم لا يشعرون وقت البعث، ثم بأنّهم لا يعلمون أن القيامة كائنة، ثم بأنهم يخبطون في شك ومرية[١٥] انتهى.

فإن قيل: (عَمِيَ) يتعدى بـ (عَنْ) تقول: عَمِي فلان عن كذا، فلم عدي بـ (مِنْ)[١٦] وقوله «مِنْهَا عَمُونَ»؟ فالجواب: أنّه جعل الآخرة مبدأ عَمَاهُم ومنشأه[١٧].

فصل

المعنى على قراءة ابن كثير: «أَدْرَكَ» أي بلغ ولحق، كما تقول: أدركه علمي، إذَا لحقه وبلغه يريد: ما جهلوا في الدنيا وسقط علمه عنهم علموه في الآخرة[١٨]. قال[١٩] مجاهد: يدرك علمهم في الآخرة ويعلمونها إذا عاينوها، حين لا ينفعهم علمهم[٢٠].

---

(١) انظر البحر المحيط ٧/ ٩٢.
(٢) المحتسب ٢/ ١٤٢.
(٣) المختصر (١١٠) البحر المحيط ٧/ ٩٢.
(٤) ما بين القوسين سقط من ب.
(٥) فهو: سقط من ب.
(٦) انظر البحر المحيط ٧/ ٩٢.
(٧) انظر تفسير ابن عطية ١١/ ٢٣٥، مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٥٤.
(٨) الكشاف ٣/ ١٥٠.
(٩) في ب: بل أدرك.
(١٠) في ب: بل.
(١١) في ب: عليهم.
(١٢) في ب: مؤقت كائن.
(١٣) الكشاف ٣/ ١٥٠.
(١٤) في ب: إلا لأحوالهم.
(١٥) الكشاف ٣/ ١٥٠.
(١٦) في ب: من.
(١٧) انظر الكشاف ٣/ ١٥٠.
(١٨) انظر البغوي ٦/ ٣٠١.
(١٩) في ب: وقال.
(٢٠) انظر البغوي ٦/ ٣٠١.

وقال مقاتل: بل[١] علموا في الآخرة حين عاينوها ما شكّوا وعمُوا عنه في الدنيا، كقوله: «بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا»، أي هم اليوم في شك من الساعة[٢]. وعلى قراءة «ادَّارَكَ»: تتابع[٣] علمهم في الآخرة أنها كائنة «وَهُمْ فِي شَكٍّ» في وقتهم[٤]. وقيل استفهام معناه: هل تدارك وتتابع بذلك في الآخرة يعني لم يتتابع، وضلّ وغاب علمهم به، فلم يبلغوه ولم يُدركوه، لأنّ في الاستفهام ضرباً من الجحد[٥]. وقال علي بن عيسى: بل ههنا لو أدركوا في الدنيا ما أدركوا في الآخرة لم يشكُّوا بل هُم مِنهَا عَمُونَ جمع عمٍ، وهو الأعمى القلب[٦].

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾﴾

قوله: «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا» يعني مشركي مكة، «أَئِذَا» تقدم الكلام في الاستفهامين إذا اجتمعا في سورة الرعد[٧]. والعامل في «إِذَا» محذوف يدلّ عليه «لَمُخْرَجُونَ» تقديره: نبعث ونخرج، ولا يجوز أن يعمل فيها «مُخْرَجُونَ» لثلاثة موانع: الاستفهام، وأنّ، ولام الابتداء، وفي لام الابتداء في خبر إنّ خلاف[٨]، وذكر الزمخشري هنا عبارة حُلوة، فقال: لأنّ بين يدي عمل اسم الفاعل فيه عقاباً، وهي همزة الاستفهام، وإن، ولام الابتداء، وواحدة منها كافية، فكيف إذا اجتمعن[٩]؟ وقال أيضاً: فإنْ قلت: لم قَدّم في هذه الآية «هٰذَا» على «نَحْنُ وَآبَاؤُنَا» وفي آية أخرى قدّم «نَحْنُ وَآبَاؤُنَا»[١٠] على «هَذَا»؟ قلت: التقديم دليل على أن المقدّم هو المعنى المعتمد بالذكر وأن الكلام إنّما سيق لأجله، ففي إحدى الآيتين دلّ على اتخاذ البعث الذي هو يعمد بالكلام، وفي الأخرى

---

(١) بل: سقط من ب.
(٢) انظر البغوي ٦/ ٣٠١.
(٣) في ب: يبالغ.
(٤) انظر البغوي ٦/ ٣٠١.
(٥) انظر البغوي ٦/ ٣٠١ ـ ٣٠٢.
(٦) المرجع السابق ٦/ ٣٠٢.
(٧) يشير إلى قوله تعالى: **﴿وإن تعجب فعجبٌ قولهم أئذا كنّا تراباً﴾** [٥].
(٨) انظر الهمع ١/ ١٤٠.
(٩) الكشاف ٣/ ١٥١. وقول الزمخشري: عمل اسم الفاعل. فيه نظر، لأن الذي في الآية اسم مفعول هو «لمخرجون».
(١٠) يشير إلى قوله تعالى **﴿لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا إلاّ أساطير الأولين﴾** [المؤمنون: ٨٣].

على اتخاذ[١] المبعوث بذلك الصدد[٢]. و «آبَاؤُنَا» عطف على اسم كان[٣]، وقام الفصل بالخبر مقام الفصل بالتوكيد[٤].

فصل

«إِنَّا لَمُخْرَجُونَ» من قبورنا أحياء، «لَقَدْ وُعِدْنَا هٰذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ» أي: من قبل محمد، وليس ذلك بشيء، «إِنْ هٰذَا» مَا هٰذَا، «إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ» أحاديثهم وأكاذيبهم التي كتبوها، «قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ المُجْرِمِينَ». فإن قيل: لِمَ لَمْ يقل (كيف كانت)[٥] عاقبة[٦] المجرمين؟ فالجواب أنّ[٧] تأنيثها غير حقيقي، ولأنّ المعنى: كيف كان آخر أمرهم؟[٨]. فإن قيل: لِمَ لَمْ يقل عاقبة الكافرين؟ فالجواب: أنّ هذا[٩] يحصل في التخويف لكل العصاة[١٠]. ثم إنّه تعالى صبّر رسوله ـ ﷺ ـ على ما يناله من الكفار، فقال: «ولاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ» على تكذيبهم إيّاك، «ولاَ تَكُن فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ» نزلت في المستهزئين الذين اقتسموا أعقاب مكة[١١]، و «الضِّيقُ»: الحرج، يقال: ضاق الشيء ضَيقاً وضِيقاً بالفتح والكسر[١٢]. «ويَقُولُونَ مَتَى هٰذَا الوَعْدُ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ» ذكروا ذلك على سبيل السخرية فأجاب[١٣] الله تعالى بقوله: «عَسَى أَن يَكُونَ رَدِفَ»[١٤].

قوله: «رَدِفَ لَكُمْ» فيه أوجه:

أظهرها: أنَّ «رَدِفَ» ضُمّن معنى فعلٍ يتعدى باللام، أي: دَنا وقرب وأزف[١٥]، و[١٦] بهذا فسّره ابن عباس[١٧]، و «بَعْضُ الَّذِي» فاعلٌ به[١٨]، وقد عدّي بـ (من) أيضاً على تضمنه معنى «دَنَا»[١٩]، قال:

٣٩٧٠ ـ فَلَمَّا رَدِفْنَا مِن عُمَيْرٍ وَصَحْبِهِ ... تَوَلَّوْا سِرَاعاً وَالمَنِيَّةُ تَعْنِقُ[٢٠]

---

(١) في الأصل: إيجاب.
(٢) الكشاف ٣/ ١٥١.
(٣) وهو الضمير في «كنا».
(٤) انظر التبيان ٢/ ٢٠١٣.
(٥) ما بين القوسين سقط من ب.
(٦) في الأصل: عاقب.
(٧) أن: سقط من ب.
(٨) انظر الكشاف ٣/ ١٥١، الفخر الرازي ٢٤/ ٢١٤.
(٩) في ب: بهذا.
(١٠) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢١٤.
(١١) انظر البغوي ٦/ ٣٠٣، القرطبي ١٣/ ٢٢٩.
(١٢) انظر اللسان (ضيق).
(١٣) في ب: وأجاب.
(١٤) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢١٤.
(١٥) في ب: وادف. وهو تحريف.
(١٦) و: سقط من ب.
(١٧) انظر تفسير ابن عطية ١١/ ٢٣٧، البحر المحيط ٧/ ٩٥.
(١٨) انظر التبيان ٢/ ١٠١٣.
(١٩) انظر الكشاف ٣/ ١٥١.
(٢٠) البيت من بحر الطويل، لم أهتد إلى قائله، وهو في الكشاف ٣/ ١٥١، البحر المحيط ٧/ ٩٥، شرح شواهد الكشاف (٨٥). والشاهد فيه تعدّي الفعل (ردف) بـ (من) لتضمنه معنى دنا، أي: دنونا من عمير.

أي: دنونا من عمير[١].

والثاني: أنّ مفعوله محذوف واللام للعلّة، أي: ردف الخلق لأجلكم ولشؤمكم[٢].

الثالث: أنّ اللام مزيدة في المفعول تأكيداً[٣] كزيادتها في قوله:

٣٩٧١ ـ أَنَخْنَا لِلْكَلاَكِلِ فَارْتَمَيْنَا[٤]

وكزيادتها في قوله: ﴿لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤] وكزيادة الباء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٥] وعلى هذه الأوجه الوقف على «تَسْتَعْجِلُونَ».

الرابع: أن فاعل «رَدِفَ» ضمير الوعد، أي: ردف الوعد، أي: قرب ودنا مقتضاه و «لَكُمْ» خبر مقدّم، و «بَعْضُ» مبتدأ مؤخر، والوقف على هذا على «رَدِفَ» وهذا فيه تفكيك للكلام[٥].

والخامس: أنّ الفعل محمول على مصدره، أي: الردافة لكم، وبعض على تقرير ردافة بعض، يعني: حتى يتطابق الخبر والمخبر عنه، وهذا أضعف مما قبله[٦].

وقرأ الأعرج: «رَدَفَ» بفتح الدال[٧]، وهي لغة، والكسر أشهر[٨]. «بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ» من العذاب حل بهم ذلك يوم بدر.

قوله: «إِنَّ رَبَّكَ لَذو فَضْلٍ عَلَىٰ النَّاسِ» قال مقاتل: على أهل مكة، حيث لم يعجل[٩] عليهم العذاب[١٠]. والفضل: الإفضال ومعناه أنه متفضل، وهذه الآية تبطل قول من قال: إنه لا نعمة لله على الكفار[١١].

قوله: «لاَ يَشْكُرُونَ» يجوز أن يكون مفعوله محذوفاً، أي: لا يشكرون نعمه[١٢]، ويجوز أن لا يقدر بمعنى: لا يعترفون بنعمةٍ، فعبّر عن انتفاء معرفتهم بالنعمة بانتفاء ما يترتب على معرفتها، وهو الشكر[١٣].

---

(١) انظر الكشاف ٣/ ١٥١.

(٢) حكاه أبو حيان فإنه قال: (وقيل: اللام في «لكم» داخلة على المفعول من أجله والمفعول به محذوف تقديره: ردف الخلق لأجلكم، وهذا ضعيف) البحر المحيط ٧/ ٩٥.

(٣) انظر معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٥١، معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٠٠، البيان ٢/ ٢٢٧.

(٤) عجز بيت من بحر الوافر، لم أهتد إلى قائله، وصدره:

فلمّا أن توقفنا قليلاً

وقد تقدم.

(٥) انظر البحر المحيط ٧/ ٩٥.

(٦) المرجع السابق.

(٧) المحتسب ٢/ ١٤٣، ولم يعزها ابن خالويه إلى قارىء. المختصر (١١٠).

(٨) انظر الكشاف ٣/ ١٥١.

(٩) في ب: يجعل. وهو تحريف.

(١٠) انظر البغوي ٦/ ٣٠٣.

(١١) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢١٥.

(١٢) انظر البحر المحيط ٧/ ٩٥.

(١٣) المرجع السابق.

قوله: «وإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ» العامة على ضم تاء المضارعة من: أَكَنَّ، قال تعالى: «أَوْ أَكْنَنْتُمْ»(١)، وابن محيصن وابن السميفع وحُميد بفتحها وضم الكاف(٢)، يقال: كَنَنْتُهُ وَأَكْنَنْتُهُ، بمعنى: أخفيت وسترت(٣).

قوله: «وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ» في هذه التاء قولان:

أحدهما: أنّها للمبالغة، كراويةٍ وعلاّمة، وقولهم: ويل للشاعر من راوية السوء، كأنه تعالى قال: وما من شيء شديد الغيبوبة والخفاء إلا وقد عَلِمه الله(٤).

والثاني: أنها كالتاء الداخلة على المصادر نحو: العافية والعاقية، قال الزمخشري: ونظيرها الذبيحة والنطيحة والرّمية في أنها أسماء غير صفات(٥). «إلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ» أي: في اللوح المحفوظ والمبين: الظاهر المبين لمن ينظر فيه من الملائكة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾

قوله(٦): ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ الآية، لما تمَّمَ الكلام في إثبات المبدأ والمعاد، ذكر بعده ما يتعلق بالنبوة، ولمَّا كانت العمدة(٧) الكبرى في إثبات نبوة(٨) محمد ـ ﷺ ـ هي القرآن لا جرم بيّن الله تعالى أولاً كونه معجزة من وجوه:

أحدها: أنّ الأقاصيص المذكورة في القرآن موافقة للمذكور في التوراة والإنجيل، مع العلم بأنه ـ عليه السلام(٩) ـ كان أُمّيًّا ـ ولم يخالط العلماء، ولم يشتغل بالاستفادة والتعلّم، فإذن لا يكون ذلك إلاّ من قِبَل الله تعالى، وأراد ما اختلفوا فيه وتباينوا، وقيل ما حرّفه(١٠) بعضهم، وقيل: إخبار الأنبياء.

وثانيها: قوله «وإنّه لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ»، وذلك لأنّا تأملنا في القرآن فوجدنا فيه من الدلائل العقلية على التوحيد والحشر والنشر والنبوّة وشرح صفات الله ما لم نجده

---

(١) من قوله تعالى: ﴿أو أكننتم في أنفسكم﴾ [البقرة: ٢٣٥].

(٢) المختصر (١١٠)، المحتسب ٢/ ١٤٤، الكشاف ٣/ ١٥١، البحر الميحط ٧/ ٩٥.

(٣) انظر الكشاف ٣/ ١٥١، البحر المحيط ٧/ ٩٥.

(٤) المرجعان السابقان.

(٥) الكشاف ٣/ ١٥٢.

(٦) في ب: قوله تعالى.

(٧) في ب: العهدة. وهو تحريف.

(٨) نبوة: سقط من ب.

(٩) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(١٠) في النسختين: ما حرم على. والتصويب من الفخر الرازي.

في كتاب من الكتب، ووجدناه مبرءاً من النقص والتهافت، فكان هدى ورحمة من هذه الوجوه، ووجدنا القوى البشرية قاصرة عن جمع كتاب على هذا الوجه، فعَلمنا أنه ليس إلا من عند الله تعالى، فكان القرآن معجزاً من هذه الجهة[١].

وثالثها: «إِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ» لبلوغه في الفصاحة إلى حيث عجزُوا عن معارضته وذلك معجزة[٢].

قوله: «بِحُكْمِهِ» العامة على ضم الحاء وسكون الكاف، وجناح بن حبيش بكسرها وفتح الكاف[٣]، جمع حكمة، أي: نقضي بين المختلفين[٤] يوم القيامة بحكمة الحق «وَهُوَ العَزِيزُ» والمنيع فلا يرد له أمر، «العَلِيمُ» بأحوالهم فلا يخفى عليه شيء. فإنْ قيل: القضاء والحكم شيء واحد، فقوله: «يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِ» كقوله يقضي بقضائه ويحكم بحكمه!!

فالجواب: معنى قوله: «بِحُكْمِهِ» أي: بما يحكم به وهو عدله لا يقضي إلا بالعدل، أو أراد بحكمه على القراءة بكسر الحاء[٥].

قوله: «فَتَوَكَّلْ عَلَىٰ اللَّهِ إِنَّكَ عَلَىٰ الحَقِّ المُبِينِ» أي البيّن، «إِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ المَوْتَى» يعني الكفار، وإنّما حسن جعله سبباً للأمر بالتوكل، لأن الإنسان ما دام يطمع في أخذ شيء فإنه لا يقوى قلبه على إظهار مخالفته، فإذا قطع طمعه عنه[٦] قوي قلبه على إظهار مخالفته، فاللَّه تعالى قطع طمع محمد ـ عليه السلام[٧] ـ بأن بيَّن أنهم كالموتى وكالصم[٨] والعمي فلا يسمعون ولا يفهمون ولا يبصرون ولا يلتفتون إلى شيء من الدلائل، وهذا سبب لقوة قلبه ـ عليه السلام[٩] ـ على إظهار الدين كما ينبغي[١٠].

قوله: «وَلاَ تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ» قرأ ابن كثير: «لا يَسْمَعُ» بالياء مفتوحة، وفتح الميم «الصُّمُّ» رفع وكذلك في سورة الروم[١١]، وقرأ الباقون بالتاء وضمها وكسر الميم «الصُّمَّ» نصب[١٢] «إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ»: معرضين. فإن قيل: ما معنى قوله: «وَلَّوْا مُدْبِرِينَ» وإذا كانوا صمًّا لا يسمعون[١٣] سواء ولوا أو لم يولوا؟ قيل ذكره تأكيداً ومبالغة، وقيل: الأصم إذا كان حاضراً قد يسمع برفع الصوت ويفهم بالإشارة، فإذا ولّى مُدبراً لم يسمع ولم يفهم[١٤]. قال قتادة: الأصم إذا ولّى مُدبراً ثم ناديته لم يسمع، كذلك الكافر لا

---

(١) في الأصل: الجملة.

(٢) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢١٦.

(٣) المختصر (١١١)، البحر المحيط ٧/ ٩٦.

(٤) في ب: المختلفين في الدين.

(٥) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢١٦.

(٦) في ب: عند.

(٧) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٨) في ب: كالصم.

(٩) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(١٠) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢١٦.

(١١) يشير إلى قوله تعالى: ﴿**فإنّك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصُّمّ الدُّعاء إذا ولّوا مدبرين**﴾ [الروم: ٥٢].

(١٢) السبعة (٤٨٦، ٥٠٨)، الكشف ٢/ ١٦٥، النشر ٢/ ٣٣٩، الإتحاف (٣٣٩).

(١٣) في ب: لا ينتفعون.

(١٤) انظر البغوي ٦/ ٣٠٤ ـ ٣٠٥.

يسمع ما يدعى إليه من الإيمان[١]. والمعنى: إنهم لفرط إعراضهم عما يدعون[٢] إليه كالميّت الذي لا سبيل إلى إسماعه والأصم الذي لا يسمع[٣]. قوله: «وَمَا أَنتَ بِهَادِي العُمْيِ»[٤] العامة على «بِهَادِي» مضافاً لـ العُمْيِ»، وحمزة «تَهْدِي» فعلاً مضارعاً، و «العُمْيَ» نصب على المفعول به[٥]. وكذلك التي في الروم[٦]. ويحيى بن الحارث وأبو حيوة «بِهَادٍ» منوناً «العُمْيَ» منصوب[٧] به وهو الأصل. واتفق القراء على أن يقفوا على «هَادِ» في هذه السورة بالياء، لأنها رُسمت في المصحف ثابتةً، واختلوا في الروم، فوقف الأخوان عليها بالياء أيضاً كهذه، أما حمزة، فلأنه يقرأها «تَهْدِي» فعلاً مضارعاً مرفوعاً فياؤه ثابتة[٨]. قال الكسائي: من قرأ «تَهْدِي» لزمه أن يقف بالياء، وإنّما لزمه ذلك لأن الفعل لا يدخله تنوين في الوصل تحذف له الياء، فيكون في الوقف كذلك، كما يدخل التنوين على «هَادٍ» ونحوه[٩]، فتذهب الياء في الوصل، فيجري الوقف على ذلك لمن وقف بغير ياء[١٠] انتهى. ويلزم على ذلك أن يوقف على «يقضي الحقّ»[١١] و ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [الإسراء: ١١] بإثبات الياء والواو، ولكن يلزم حمزة مخالفة الرسم دون القياس، وأمّا الكسائي فإنه يقرأ «بِهَادِي» اسم فاعل كالجماعة، فإثباته للياء بالحمل على «هَادِي» في هذه السورة، وفيه مخالفة الرسم السلفي[١٢].

قوله: «عَنْ ضَلالَتِهِمْ» فيه وجهان:

أحدهما: أنه متعلق بـ «تَهْدِي» وعدي بـ (عن) لتضمنه معنى تصرفهم.

الثاني: أنه متعلق بالعمي، لأنك تقول: عمى[١٣] عن كذا ذكره أبو البقاء[١٤].

فصل

المعنى: ما أنت بمرشد من أعماه الله عن الهدى وأعمى قلبه عن الإيمان أن يسمع «إلا من يؤمن بآياتنا» إلا من يصدق بالقرآن أنه من الله، «فَهُم مُسْلِمُونَ» مخلصون لله[١٥].

---

(١) انظر البغوي ٦/ ٣٠٥. (٢) في ب: يدعونه.
(٣) انظر البغوي ٦/ ٣٠٥ (٤) العمي: سقط من ب.
(٥) السبعة (٤٨٦)، الكشف ٢/ ١٦٦، النشر ٢/ ٣٣٩، الإتحاف (٣٣٩).
(٦) يشير إلى قوله تعالى: **﴿وما أنت بهاد العمي عن ضلالتهم﴾** [الروم: ٥٣].
(٧) المختصر (١١١)، البحر المحيط ٧/ ٩٦.
(٨) انظر الكشف ٢/ ١٦٦، إبراز المعاني (٤٢٦).
(٩) ونحوه: سقط من ب. (١٠) انظر الكشف ٢/ ١٦٦.
(١١) من قوله تعالى: **﴿والله يقضي بالحق﴾** [غافر: ٢٠].
(١٢) انظر إبراز المعاني ٦٣١ ـ ٦٣٢. (١٣) عمي: سقط من ب.
(١٤) قال أبو البقاء: (و «عن» يتعلق بـ «هادي»، وعداه بـ «عن»، لأن معناه تصرف، ويجوز أن تتعلق بالعمى، ويكون المعنى: أن العمى صدر عن ضلالتهم) التبيان ٢/ ١٠١٤.
(١٥) انظر البغوي ٦/ ٣٠٥.

«مَنْ» في قوله[١]: «مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ» يعني سالماً لله خالصاً لله[٢].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾﴾

قوله: «وَإِذَا وَقَعَ القَوْلُ عَلَيْهِمْ» أي: مضمون القول، أو أطلق المصدر على المفعول، أي: المقول[٣]. ومعنى وقع القول عليهم: وجب العذاب عليهم، وقال قتادة: إذا غضب الله عليهم «أخرجنا لهم دابة من الأرض».

قوله: «تُكَلِّمُهُمْ» العامة على التشديد، وفيه وجهان:

أظهرهما: أنه من الكلام والحديث، ويؤيده قراءة أُبيّ: «تُنَبِّئُهُمْ»[٤] وقراءة يحيى بن سلام[٥]: «تحدثهم»[٦] ـ وهما تفسيران لها.

الثاني: «تجرحهم» ويدل عليه قراءة ابن عباس وابن جبير ومجاهد وأبي زرعة والجحدري «تَكْلُمُهُم» ـ بفتح التاء وسكون الكاف وضم اللام[٧] ـ من الكَلْم وهو الجرح[٨]، وقد قرىء «تجرحهم»[٩] وجاء في الحديث: أنها تسم الكافر.

قوله: «أَنَّ النَّاسَ» قرأ الكوفيون[١٠] بفتح «أن» والباقون بالكسر[١١]، فأما الفتح فعلى تقدير الباء، أي: بأن الناس، ويدل عليه التصريح بها في قراءة عبد الله «بأَنَّ النَّاسَ»[١٢]. ثم هذه الباء يحتمل أن تكون معدية وأن تكون سببيّة، وعلى التقديرين يجوز أن تكون «تُكَلِّمُهُمْ» بمعنييه من الحديث والجرح أي: تحدثهم بأن الناس أو بسبب أن الناس أو تجرحهم بأن الناس، أي: تسمهم بهذا اللفظ أو تسمهم بسبب انتفاء الإيمان[١٣]. وأما

---

(١) في النسختين: في قراءة.
(٢) في ب: يعني: سأل الله إخلاصاً. انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢١٦ ـ ٢١٧.
(٣) انظر البحر الميحط ٧/ ٩٦.
(٤) المختصر (١١٠)، البحر المحيط ٧/ ٩٧.
(٥) هو يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، أبو زكريا البصري، له اختيار في القراءة عن طريق الآثار، وكان ثقة، ذا علم بالكتاب والسنة ومعرفة العربية توفي سنة ٢٠٠ هـ. طبقات القراء ٢/ ٣٧٣.
(٦) انظر البحر المحيط ٧/ ٩٧.
(٧) المحتسب ٢/ ١٤٤، البحر الميحط ٧/ ٩٧.
(٨) انظر اللسان (كلم).
(٩) المختصر (١١٠)، البحر المحيط ٧/ ٩٧.
(١٠) وهم: عاصم، وحمزة، والكسائي.
(١١) السبعة (٤٨٧)، الكشف ٢/ ١٦٧، الإتحاف (٣٣٩ ـ ٣٤٠).
(١٢) المختصر (١١٠)، الكشف ٢/ ١٦٧، البحر المحيط ٧/ ٩٧.
(١٣) انظر البحر المحيط ٧/ ٩٧.

الكسر فعلى الاستئناف، ثم هو يحتمل أن يكون من كلام الله تعالى ـ وهو الظاهر ـ وأن يكون من كلام[١] الدابة، فيعكر عليه «بِآيَاتِنَا»، ويجاب عنه إما باختصاصها صح إضافة الآيات إليها، كقولك: اتباع الملوك ودوابنا وخيلنا وهي لملكهم[٢]، وإما على حذف مضاف أي: بآيات ربنا[٣]، و «تُكَلِّمُهُمْ» إن كان من الحديث فيجوز أن يكون إما لإجراء «تُكَلِّمُهُمْ» مجرى تقول لهم[٤]، وإما على إضمار القول أي: فتقول كذا، وهذا القول تفسير لتكلمهم[٥].

فصل

قال السدي: تكلمهم ببطلان الأديان سوى دين الإسلام[٦]. وقيل: تقول للواحد هذا مؤمن وهذا كافر[٧]. وقيل كلامهم ما قال «أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لاَ يُوقِنُونَ» تخبر الناس أن أهل مكة لم يؤمنوا بالقرآن والبعث[٨]. قال ابن عمر: وذلك حين لا يؤمر بمعروف ولا ينهى عن منكر[٩]. قال[١٠] رسول الله ـ ﷺ ـ «بَادِرُوا بالأَعْمَالِ ستًّا: طلوعَ الشمس من مغربها، والدجالَ، والدخانَ والدابةَ وخاصةَ أحدكم، وأمرَ العامة»[١١] وقال عليه السلام[١٢]: «إنّ أولَ الآياتِ خروجاً طلوعُ الشمس من مغربها، وخروجُ الدابة على الناس ضحًى، فأيتهما[١٣] ما كانت قبل صاحبتها، فالأخرى على أثرها»[١٤]. وقال عليه السلام[١٥]: يكون للدابة ثلاث خرجات من الدهر، فتخرج خروجاً في[١٦] أقصى اليمن، فيفشو ذكرها بالبادية، ولا يدخل ذكرها القرية ـ يعني مكة ـ ثم تكمن[١٧] زماناً طويلاً، ثم تخرج خرجة أخرى قريباً من مكة، فيفشو ذكرها بالبادية، ويدخل ذكرها القرية ـ يعني مكة ـ ثم بينا الناس يوماً في أعظم المساجد على الله حرمه، وأكرمها على الله عزَّ وجلَّ يعني المسجد الحرام، ثم لم يرعهم إلا وهي في ناحية المسجد تدنو وتدنو» ـ قال الراوي: ما بين الركن الأسود إلى باب بني مخزوم عن يمين الخارج في وسط من ذلك ـ «فارفضّ الناس عنها، وثبت لها عصابة عرفوا أنهم لم يعجزوا الله، فخرجت عليهم تنفض رأسها من التراب فمرت بهم فجلت عنهم عن وجوههم، حتى تركتها كأنها الكواكب

(١) كلام: سقط من ب.
(٢) في ب: ملكهم. وانظر الكشاف ٣/ ١٥٣. البحر المحيط ٧/ ٩٧.
(٣) انظر البحر المحيط ٧/ ٩٧.
(٤) في ب: القول.
(٥) انظر الكشاف ٣/ ١٥٣، البحر المحيط ٧/ ٩٧.
(٦) انظر البغوي ٦/ ٣٠٥.
(٧) المرجع السابق.
(٨) انظر البغوي ٦/ ٣٠٥ ـ ٣٠٦.
(٩) انظر البغوي ٦/ ٣٠٦.
(١٠) في ب: وقال.
(١١) أخرجه مسلم (فتن) ٤/ ٢٢٦٧، وأحمد ٢/ ٣٣٧، ٣٧٢، ٤٠٧، ٥١١.
(١٢) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٣) فأيتهما: سقط من ب.
(١٤) أخرجه أبو داود (ملاحم) ٤/ ١١٤.
(١٥) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٦) في ب: من.
(١٧) في ب: تمكث.

الدرية، ثم ولت في الأرض لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب، حتى إن الرجل ليقوم فيتعوذ منها بالصلاة، فتأتيه من خلفه، فتقول: يا فلان الآن تصلي، فيقبل عليها بوجهه فتسمه في وجهه، فيتجاور الناس في ديارهم، ويصطحبون في أسفارهم ويشتركون في الأموال، يُعرَف الكافر من المؤمن، فيقال للمؤمن يا مؤمن، وللكافر يا كافر»(١). وقال عليه السلام(٢): «تخرج الدابة ومعها عصا موسى وخاتم سليمان، فتجلو وجه المؤمن بالعصا، وتخطم(٣) أنف الكافر بالخاتم، حتى إن أهل الخوان(٤) ليجتمعون(٥)، فيقول هذا: يا مؤمن، ويقول هذا: يا كافر»(٦) وروي عن عليّ قال: ليس بدابة لها ذَنَب، ولكن لها لحية، كأنه يشير إلى أنها رجل(٧)، والأكثرون على أنها دابة(٨)، لما روى ابن جريج(٩) عن أبي الزبير أنه وصف الدابة فقال: رأسها رأس الثور، وعينها عين الخنزير، وأن لها أذناً، قيل: وقرنها قرن أيل(١٠) وصدرها صدر أسد، ولونها لون النمر، وخاصرتها خاصرة هر، وذنبها ذنب كبش، وقوائمها قوائم بعير، بين كل مفصلين اثني عشر ذراعاً، معها عصا موسى وخاتم سليمان، وذكر باقي الحديث(١١). وروى حذيفة بن اليمان(١٢) قال(١٣): ذكر رسول الله ـ ﷺ ـ الدابة، قلت: يا رسول الله: من أين تخرج؟ قال: «من أعظم حرمة المساجد على الله بينما عيسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون إذ تضطرب الأرض تحتهم وينشق الصفا مما يلي المشعر، وتخرج الدابة من الصفا أول ما يبدو منها رأسها ملمعة ذات وبر وريش لن يدركها طالب ولن يفوتها هارب تسم الناس مؤمناً وكافراً، أما المؤمن فتترك(١٤) وجهه كأنه كوكب دري، وتكتب بين عينيه مؤمن، وأما الكافر فتنكت بين عينيه نكتة سوداء وتكتب بين عينيه: كافر»(١٥). وروي عن ابن عباس أنه قرع الصفا بعصا ـ وهو محرم ـ وقال: إن الدابة لتسمع قرع عصاي هذه(١٦) وروى أبو هريرة عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «بئس الشعب جياد»،

---

(١) أخرجه الطيالسي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في البعث عن حذيفة بن أسيد الغفاري. انظر البغوي ٦/ ٣٠٧ ـ ٣٠٨ الدر المنثور ٥/ ١١٦ ـ ١١٧.

(٢) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٣) أي: تسمه بها، من خطمت البعير إذا كويته خطًّا من الأنف إلى أحد خدّيه، ومعناه أنها تؤثر في أنفه سمة يعرف بها. اللسان (خطم).

(٤) الخوان: المائدة معرب. اللسان (خون).

(٥) في ب: يجتمعون.

(٦) البغوي ٦/ ٣٠٨، الدر المنثور ٥/ ١١٦.

(٧) انظر البغوي ٦/ ٣٠٨.

(٨) المرجع السابق.

(٩) في ب: ابن جرير، والتصويب من البغوي.

(١٠) الأيل: الوعل، والجمع أيايل وأيائل. المعجم الوسيط (أيل).

(١١) انظر البغوي ٦/ ٣٠٨ ـ ٣٠٩.

(١٢) تقدم.

(١٣) في ب: فقال.

(١٤) في ب: فتنزل.

(١٥) أخرجه ابن جرير عن حذيفة بن اليمان. انظر البغوي ٦/ ٣٠٩، الدر المنثور ٥/ ١١٦٧.

(١٦) انظر البغوي ٦/ ٣٠٩.

مرتين أو ثلاثاً، قيل: ولم ذاك يا رسول الله؟ قال: «تخرج منه الدابة، فتصرخ ثلاث صرخات يسمعها من بين الخافقين»[١]. وقال وهب: وجهها وجه الرجل، وسائر خلقها خلق الطير فتخبر من رآها[٢] أن أهل مكة كانوا بمحمد والقرآن لا يوقنون[٣]. قوله: «وَيَوْمَ نَحْشُر مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً»، أي من كل قرن جماعة. و «مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ» يجوز أن يكون متعلقاً بالحشر، و «مِنْ» لابتداء الغاية، وأن يتعلق بمحذوف على أنه حال من «فَوْجاً» لأنه يجوز أن يكون صفة له في الأصل، والفوج الجماعة كالقوم، وقيدهم الراغب فقال: الجماعة المارة المسرعة[٤]. وكأن هذا هو الأصل ثم انطلق، ولم يكن مرور ولا إسراع، والجمع: أفواج وفووج، و «مِمَّن يُكَذِّبُ» صفة له، و «مِنْ» في «مِنْ كُلِّ» تبعيضية، وفي «مِمَّن يُكَذِّبُ» تبيينية[٥].

قوله: «فَهُمْ يُوزَعُونَ» أي يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا ثم يساقون إلى النار، «حَتَّى إِذَا جَاءُوا»[٦] يوم القيامة، قَالَ لَهُمُ اللَّهُ: «أكَذَّبْتُم بآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْماً» ولم تعرفوها حتى معرفتها. والواو في «وَلَمْ تُحِيطُوا» يجوز أن تكون العاطفة وأن تكون الحالية[٧]، و «عِلْماً» تمييز. قوله: «أمَّاذَا» أم هنا منقطعة، وتقدم حكمها، و «مَاذَا» يجوز أن يكون برمته استفهاماً منصوباً بـ «تَعْملون» الواقع خبراً عن «كُنتُم»، وأن تكون «ما» استفهامية مبتدأ، و «ذَا» موصول خبره، والصلة: «كُنتُمْ تَعمَلُونَ»، وعائده محذوف، أي: أي شيء الذي كنتم تعملونه[٨]؟ وقرأ أبو حيوة «أَمَا» بتخفيف الميم، جعل همزة الاستفهام داخلة على اسمه تأكيداً[٩] كقوله:

٣٩٧٢ ـ أَهَلْ رَأَوْنَا بِوَادِي القُفِّ ذِي الأَكَمِ[١٠]

(١) أخرجه ابن مردويه والبيهقي في البعث عن أبي هريرة. انظر البغوي ٦/٣٠٩، الدر المنثور ٥/١١٧.
(٢) في ب: وراها.
(٣) انظر البغوي ٦/٣٠٩.
(٤) المفردات في غريب القرآن ٣٨٦.
(٥) انظر الكشاف ٣/١٥٣.
(٦) في ب: إذا ما جاءوا.
(٧) انظر الكشاف ٣/١٥٣.
(٨) انظر البحر المحيط ٧/٩٨ ـ ٩٩.
(٩) انظر البحر المحيط ٧/٩٩.
(١٠) عجز بيت من بحر الطويل، قاله زيد الخيل، وصدره:

سائل فوارس يربوع بشدتنا

وهو في المقتضب ١/١٨٢، ٣/٢٩١، الخصائص ٢/٤٦٣، أمالي ابن الشجري ١/١٠٨، ٢/٣٣٤، ابن يعيش ٨/١٥٢، ١٥٣، المغني ٢/٣٥٢، شرح شواهده ٢/٧٧٢، الهمع ٢/٧٧، ١٣٣، الخزانة ١١/٢٦١عرضاً، الأكم جمع أكمة وهي التل.
والشاهد فيه دخول همزة الاستفهام على «هل» التي للاستفهام لتأكيد معنى الاستفهام.

قوله: «أَمَّاذَا كُنتُم تَعْمَلُونَ» حين لم يتفكروا فيها، كأنه قال: ما لم تشتغلوا بذلك العمل المهم فأي شيء كنتم تعملونه بعد ذلك ثم قال: «وَوَقَعَ القَوْلُ عَلَيْهِمْ»، أي: وجب العذاب الموعود عليهم «بِمَا ظَلَمُوا»، أي بسبب ظلمهم وتكذيبهم بآيات الله[١]، ويضعف جعل «مَا» بمعنى الذي «فَهُمْ لاَ يَنطِقُونَ»، قال قتادة[٢]: كيف ينطقون ولا حجة لهم، نظيره قوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات: ٣٥ ـ ٣٦]، وقيل: «لاَ يَنْطِقُونَ»[٣] لأن أفواههم مختومة[٤]. ثم إنه تعالى لما خوّفهم بأحوال القيامة ذكر كلاماً يصلح أن يكون دليلاً على التوحيد وعلى الحشر وعلى النبوة، مبالغة في الإرشاد إلى الإيمان والمنع من الكفر، فقال: «أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ والنَّهَارَ مُبْصِراً»[٥] مضيئاً يبصر فيه. قوله: «لِيَسْكُنُوا فِيهِ» قيل: فيه حذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني، ومن الثاني ما أثبت نظيره في الأول، إذ التقدير: جعلنا الليل مظلماً ليسكنوا فيه، والنهار مبصراً ليتصرفوا فيه، فحذف «مظلماً» لدلالة «مبصراً» و «لتتصرفوا» لدلالة «ليسكنوا»[٦]. وقوله: «مُبْصِراً» كقوله: ﴿ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ١٢]، وتقدم تحقيقه في الإسراء[٧]، قال الزمخشري: فإن قلت: ما للتقابل لم يراع في قوله: «لِيَسْكُنُوا» و «مُبْصِرَةً» حيث كان أحدهما علة[٨]، والآخر حالاً؟ قلت: هو مراعى من حيث المعنى وهكذا النظم المطبوع غير المتكلف[٩] يريد لم لا قال: والنهار لتتصرفوا فيه، وأجاب[١٠] غيره[١١] بأن السكون في الليل هو المقصود (من الليل وأما الإبصار في النهار فليس هو المقصود)[١٢] لأنه وسيلة إلى جلب المنافع الدينية والدنيوية[١٣]. «إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» يصدقون فيعتبرون، وخص المؤمنين بالذكر ـ وإن كانت الأدلة للكل ـ لأن المؤمنين هم المنتفعون[١٤]، كقوله: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢].

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾﴾

قوله: «وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ» هذه العلامة الثانية لقيام القيامة، والصور: قرن ينفخ

---

(١) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢١٨ ـ ٢١٩.
(٢) من هنا نقله ابن عادل عن البغوي ٦/٣١١.
(٣) لا ينطقون: سقط من ب.
(٤) آخر ما نقله هنا عن البغوي ٦/٣١١.
(٥) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢١٩.
(٦) انظر البحر المحيط ٧/٩٩.
(٧) عند قوله تعالى: ﴿وجعلنا اللَّيل والنَّهار آيتين فمحونا آية اللَّيل وجعلنا آية النَّهار مبصرةً﴾ [الإسراء: ١٢].
(٨) في ب: جملة. وهو تحريف.
(٩) الكشاف ٣/١٥٤.
(١٠) في ب: فأجاب.
(١١) وهو ابن الخطيب.
(١٢) ما بين القوسين تكملة من الفخر الرازي.
(١٣) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢١٩.
(١٤) المرجع السابق.

فيه إسرافيل، فإذا سمع الناس ذلك الصوت يصيحون ثم يموتون، وهذا قول الأكثرين[١]. وقال الحسن: الصور هو الصوَر[٢]، وأول بعضهم كلامه أن الأرواح تجتمع في القرن ثم ينفخ فيه فتذهب الأرواح إلى الأجساد، فتحيا الأجساد[٣]. قوله[٤]: «فَفَزِعَ مَن فِي السَّمٰوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ» قال: «فَفَزِعَ» بلفظ الماضي ولم يقل[٥] فيفزع لتحققه وثبوته وأنه كائن لا محالة، لأن الفعل الماضي يدل على وجود الفعل، كقوله: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾[٦] [النحل: ١]. والمعنى: يلقى عليهم الفزع إلى أن يموتوا، قيل: ينفخ إسرافيل في الصور ثلاث نفخات: نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة القيام لرب العالمين[٧].

قوله: «إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ» فالمراد إلا من ثبّت الله قلبه من الملائكة، قالوا: وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت[٨]، وجاء في الحديث: أنهم الشهداء متقلدون أسيافهم حول العرش[٩]، قال سعيد بن جبير وعطاء عن ابن عباس هم الشهداء، لأنهم[١٠] أحياء عند ربهم[١١]. وعن الضحاك: هم رضوان والحور وخزنة النار وحملة العرش[١٢]. و «كُلٌّ أَتَوْهُ» أي الذين أُحْيُوا بعد الموت. قوله: «أَتَوْهُ» قرأ حمزة وحفص: «أَتَوْهُ» فعلاً ماضياً ومفعوله الهاء، والباقون: «آتوه»: اسم فاعل مضافاً للهاء[١٣]، وهذا حمل على معنى «كُلّ» وهي مضافة تقديراً، أي: وكلهم. وقرأ قتادة: «أتَاهُ» ماضياً مسنداً لضمير «كلّ» على اللفظ، ثم حمل على معناها، فقرأ «دَاخِرِين»[١٤]، والحسن[١٥] والأعرج «دَخِرِينَ» بغير ألف[١٦] أي: صاغرين.

قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾

قوله[١٧]: «وتَرَى الجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً» هذه العلامة الثالثة لقيام القيامة، وهي

---

(١) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٢٠.
(٢) انظر البغوي ٦/ ٣١١.
(٣) انظر البغوي ٦/ ٣١١.
(٤) قوله: سقط من ب.
(٥) يقل: سقط من ب.
(٦) [النحل: ١]. ووجه الاستشهاد بالآية أنه أمر متحقق الوقوع في المستقبل فصار كأنه قد كان. وانظر البحر المحيط ٧/ ٩٩.
(٧) انظر البغوي ٦/ ٣١٢.
(٨) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٢٠.
(٩) ذكره البغوي عن أبي هريرة. انظر البغوي ٦/ ٣١٢.
(١٠) في ب: إلا أنهم.
(١١) انظر البغوي ٦/ ٣١٢.
(١٢) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٢٠.
(١٣) السبعة (٤٨٧)، الكشف ٢/ ١٦٧، النشر ٢/ ٣٣٩، الإتحاف (٣٤٠).
(١٤) المختصر (١١١)، المحتسب ٢/ ١٤٥، البحر المحيط ٧/ ١٠٠.
(١٥) والحسن: سقط من ب.
(١٦) المختصر (١١١)، البحر المحيط ٧/ ١٠٠.
(١٧) في ب: قوله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ﴾ [الكهف: ٤٧] «جَامِدَةً» قائمة واقعة، و «تَحْسَبُهَا جَامِدَةً» هذه الجملة حالية من فاعل «تَرَى» أو من مفعوله[١]، لأن الرؤية بصرية.

قوله: «وَهِيَ تَمُرُّ» الجملة حالية[٢] أيضاً، وهكذا الأجرام العظيمة تراها واقفة وهي مارة[٣] قال النابغة الجعدي[٤] يصف جيشاً كثيفاً:

٣٩٧٣ ـ بِأَرْعَنَ مِثْلِ الطَّوْدِ تَحْسِبُ أَنَّهُمْ ... وُقُوفٌ لِحَاجٍ وَالرِّكَابُ تُهَمْلِجُ[٥]

و «مَرَّ السَّحَابِ»: مصدر تشبيهي[٦]، قوله: «صُنْعَ اللَّهِ» مصدر مؤكد لمضمون الجملة السابقة عامله مضمر، أي: صنع الله ذلك صنعاً، ثم أضيف بعد حذف عامله[٧]، وجعله الزمخشري مؤكداً للعامل في «يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ» وقدره: ويوم ينفخ وكان كيت وكيت أثاب الله المحسنين وعاقب المسيئين في كلام طويل جرياً على مذهبه[٨]. وقيل منصوب على الإغراء، أي: انظروا صنع الله وعليكم به[٩]. والإتقان: الإتيان بالشيء على أكمل حالاته، وهو من قولهم: تقن أرضه إذا ساق إليها الماء الخاثر بالطين[١٠] لتصلح للزراعة، وأرض تقنة، والتقن فعل ذلك بها، والتقن أيضاً: ما رمي به في الغدير من ذلك أو الأرض[١١]، ومعنى «أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ» أي: أحكمه. «إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ» قرأ

---

(١) انظر التبيان ٢/ ١٠١٤.

(٢) قال أبو البقاء: («وهي تمرُّ» حال من الضمير المنصوب في «تحسبها»، ولا يكون حالاً من الضمير في «جَامِدة»، إذ لا يستقيم أن تكون جامدة مارة مرّ السحاب والتقدير: مرًّا مثل مر السحاب) التبيان ٢/ ١٠١٥.

(٣) انظر الكشاف ٣/ ١٥٤.

(٤) هو قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة الجعدي العامري، أبو ليلى، شاعر من المعمرين، اشتهر في الجاهلية، وسمي النابغة، لأنه أقام ثلاثين سنة لا يقول الشعر ثم نبغ فقاله، وكان ممن هجر الأوثان، ونهى عن الخمر قبل ظهور الإسلام، ووفد على النبي ﷺ. الخزانة ٣/ ١٦٧ ـ ١٧٣.

(٥) البيت من بحر الطويل، قاله النابغة الجعدي، وهو في الكشاف ٣/ ١٥٤، والسبع الطوال لابن الأنباري (٤٦١)، تفسير ابن عطية ١١/ ٢٤٢، القرطبي ١٣/ ٢٤٢، البحر المحيط ٧/ ١٠٠، شرح شواهد الكشاف (٢١). الأرعن: الجبل العالي. الطود: الجبل العظيم، فاستعار الأرعن للجيش ثم شبهه بالطود ليفيد المبالغة في الكثرة. «لحاج» اسم جمع واحدته حاجة، والرّكاب: المطي لا واحد له من لفظه. والهملجة: السير الرهو السهل، والهملاج السريع. يقول: حاربنا العدو بجيش عظيم تظنهم واقفين لحاجة لكثرتهم، والحال أن ركابهم تسرع السير. وهو موطن الشاهد.

(٦) يعني أن المعنى: تمر مراً كمر السحاب. فحذف المشبه به وأداة التشبيه، وهذا معنى كلام الزمخشري. انظر الكشاف ٣/ ١٥٤.

(٧) انظر التبيان ٢/ ١٠١٥، البحر المحيط ٧/ ١٠٠.

(٨) قال الزمخشري: («صنع الله» من المصادر المؤكدة كقوله «وعد الله» و «صبغة الله» إلا أن مؤكده محذوف وهو الناصب لـ «يوم ينفخ في الصُّور»، وكان كيت وكيت، أثاب الله المحسنين وعاقب المجرمين، ثم قال: صنع الله يريد به الإثابة والمعاقبة) الكشاف ٣/ ١٥٤.

(٩) انظر تفسير ابن عطية ١١/ ٢٥٢. (١٠) المقصود: بالطمي.

(١١) انظر اللسان (تقن).

ابن كثير وأبو عمرو وهشام بالغيبة جرياً على قوله «وَكُلٌّ أَتَوْهُ»، والباقون بالخطاب جرياً على قوله «وتَرَى»، لأن المراد النبي ـ ﷺ ـ وأمته[١].

قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾﴾

قوله[٢]: «مَنْ جَاءَ بالحَسنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا» في «خَيْر» وجهان:

أحدهما: أنها للتفصيل باعتبار زعمهم، أو على حذف مضاف، أي: خير من قدرها واستحقاقها «مِنْهَا» في محل نصب، وألا يكون للتفصيل، فيكون (مِنْهَا) في موضع رفع صفة لها[٣]. قوله «وَهُم مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ» قرأ أهل الكوفة[٤] «مِنْ فَزَعٍ» بالتنوين، «يَوْمَئِذٍ» بفتح الميم، وقرأ الآخرون بالإضافة[٥]، لأنه أعم[٦] فإنه يقتضي الأمن من جميع فزع ذلك اليوم وبالتنوين كأنه فزع دون فزع، ويفتح أهل المدينة الميم من «يومَئذ» وتقدم في هود فتح «يَوْم» وجره[٧] و «إِذْ» مضافة للجملة حذفت وعوض عنها التنوين، والأحسن أن تقدر يومئذ جاء بالحسنة، وقيل: يومئذ ترى الجبال، وقيل: يومئذ ينفخ في الصور، والأول أولى، لقرب ما قدر منه[٨].

فصل

لما تكلم في علامات القيامة شرح ـ بعد ذلك ـ أحوال المكلفين بعد قيام القيامة، والمكلف إما أن يكون مطيعاً أو عاصياً، أما (المطيع، فهو)[٩] الذي جاء بالحسنة[١٠]، وهي كلمة الإخلاص قال أبو معشر[١١] يحلف ما استثنى: إنّ الحسنة لا إله إلا الله[١٢]، وقيل: كل طاعة[١٣]. «فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا»، قال ابن عباس: يعني له من تلك الحسنة خير يوم القيامة، وهو: الأمن من العذاب، أما أن يكون له شيء خير من الإيمان، فإنه ليس شيء

---

(١) السبعة (٤٨٧)، الكشف ٢/ ٣٣٩ ـ ٣٤٠، الإتحاف (٣٤٠).

(٢) في ب: قوله تعالى.

(٣) انظر التبيان ٢/ ١٠١٥.

(٤) وهم: عاصم، وحمزة، والكسائي.

(٥) السبعة (٤٨٧)، الكشف ٢/ ١٦٩، النشر ٢/ ٣٤٠، الإتحاف (٣٤٠).

(٦) في ب: أتم.

(٧) عند قوله تعالى: ﴿فلمَّا جاء أمرنا نجَّينا صالحاً والَّذين آمنوا معه برحمةٍ منَّا ومن خزي يومئذٍ﴾ [هود: ٦٦]. .

(٨) انظر البحر المحيط ٧/ ١٠٢.

(٩) ما بين القوسين سقط من ب.

(١٠) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٢١.

(١١) يوسف بن يزيد أبو معشر البصري العطار، أخذ عن أبي حازم، وأخذ عنه محمد بن أبي بكر المقدمي. خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ١٣.

(١٢) انظر البغوي ٦/ ٣١٤. وفيه: قال أبو معشر: كان إبراهيم يحلف ولا يستثني أن الحسنة لا إله إلا الله.

(١٣) انظر البغوي ٦/ ٣١٤.

خيراً من قوله لا إله إلا الله[١]، وقيل: خير منها يعني رضوان الله، قال تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[٢] [التوبة: ٧٢]، وقال محمد بن كعب وعبد الرحمن بن زيد: خير منها يعني الأضعاف، أعطاه الله بالواحدة عشراً، فصاعداً، وهذا حسن، لأن للأضعاف خصائص[٣] وقيل: إن الثواب خير من العمل، لأن الثواب دائم والعمل منقض، ولأن العمل فعل العبد، والثواب فعل[٤] الله. «وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ» أي: آمنون من كل فزع، فإن قيل: أليس قال ـ في أول الآية ـ «فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمٰواتِ وَمَن فِي الأَرْضِ»؟ فكيف نفى[٥] الفزع هٰهنا؟ فالجواب: أن الفزع الأول ما لا يخلو منه أحد عند الإحساس بشدة تقع أو هول يفجأ، وإن كان المحسن يأمن وصول ذلك الضرر إليه، وأما الثاني: فهو الخوف من العذاب[٦].

وأما من قرأ «مِنْ فَزَعٍ» بالتنوين[٧]، فهو محتمل معنيين: من فزع واحد، وهو خوف العذاب، وإما ما يلحق الإنسان من الرعب عند مشاهدته، فلا ينفك عنه أحد[٨]. فإن قيل: الحسنة لفظة مفردة معرفة، وقد ثبت أنها لا تفيد العموم، بل يكفي في تحققها حصول فرد من أفرادها، وإذا كان كذلك فلنحملها على أكمل الحسنات شأناً، وأعلاها درجة وهو الإيمان، ولهذا قال ابن عباس: الحسنة كلمة الشهادة، وهذا يوجب[٩] القطع بأنه لا يعاقب أهل الإيمان، فالجواب: ذلك الخير هو أن لا يكون عقابه مخلداً[١٠]. و «أمن» يتعدى بالجار وبنفسه، كقوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ٩٩].

قوله: «وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ» يعني الإشراك «فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ»، يجوز أن يكون ذكر الوجه[١١] إيذاناً بأنهم يكبون على وجوههم فيها منكبين[١٢]، يقال: كببت الرجل إذا ألقيته على وجهه فأكب[١٣] وانكب[١٤].

قوله: «هَلْ تُجْزَوْنَ» على إضمار قول، وهذا القول حال مما قبله، أي كُبَّتْ وجوههم مقولاً لهم ذلك القول[١٥].

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَاْ ٱلْقُرْءَانَ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن

(١) انظر البغوي ٦/ ٣١٤.
(٢) انظر البغوي ٦/ ٣١٤.
(٣) انظر البغوي ٦/ ٣١٤.
(٤) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٢١.
(٥) نفى: سقط من ب.
(٦) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٢١.
(٧) وهي قراءة أهل الكوفة كما سبق.
(٨) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٢١.
(٩) في ب: موجب.
(١٠) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٢١.
(١١) في النسختين: الوحدة.
(١٢) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٢١.
(١٣) في ب: فأكبه.
(١٤) انظر اللسان (كبب).
(١٥) انظر التبيان ٢/ ١٠١٥.

ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾

قوله: «إِنَّمَا أُمِرْتُ» أي: قل يا محمد إنما أمرت (أي: أمرت)[1] أن أخص الله وحده بالعبادة، ثم إنه تعالى وصف نفسه بأمرين:

أحدهما: أنه رب هذه البلدة، والمراد مكة، وإنما خصها من بين سائر البلاد بإضافة اسمه إليها لأنها أحب بلاده إليه وأكرمها عليه، وأشار إليها إشارة تعظيم لها دالاً على أنها وطن نبيه ومهبط وحيه[2].

قوله: «الَّذِي حَرَّمَهَا» هذه قراءة الجمهور صفة للربِّ، وابن مسعود وابن عباس «الَّتِي» صفة للبلدة[3]، والسياق إنما هو للرب لا للبلدة، فلذلك[4] كانت قراءة[5] العامة واضحة. والمعنى: جعلها الله حرماً آمناً لا يسفك فيها دم[6]، ولا يظلم فيها أحد[7]، ولا يصطاد صيدها ولا يختلأ خلاؤها، وله كل شيء خلقاً وملكاً، وإنما ذكر ذلك لأن العرب كانوا معترفيق[8] بكون مكة محرمة، وعلموا أن تلك الفضيلة ليست من الأصنام بل من الله فكأنه قال: لما علمت وعلمتهم أنه سبحانه هو المتولي[9] لهذه النعم وجب عليّ أن أخصه بالعبادات، و «أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ» لله[10].

قوله: «وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ» العامة على إثبات الواو بعد اللام، وفيها تأويلان:

أظهرهما: أنه من التلاوة وهي القراءة، وما بعده يلائمه.

والثاني: من التلو وهو الاتباع[11] كقوله: ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾ [يونس: ١٠٩].

وقرأ عبد الله: «وَأَنِ اتْلُ» أمراً له[12] عليه السلام[13]، فـ «أنْ» يجوز أن تكون المفسرة وأن تكون المصدرية، وصلت بالأمر[14]، وتقدم ما فيه.

فصل

المعنى: وأمرت أن أتلوَ القرآن، ولقد قام بذلك صلوات الله عليه وسلامه أتم قيام «فَمَنِ ٱهْتَدَى» فيما تقدم من المسائل، وهي التوحيد والحشر والنبوة، «فَإِنَّمَا يَهْتَدِي

---

(١) ما بين القوسين سقط من ب.
(٢) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٢٢.
(٣) انظر المختصر (١١١)، التبيان ٢/ ١٠١٥، البحر المحيط ٧/ ١٠٢.
(٤) في ب: فلهذا.
(٥) قراءة: سقط من الأصل.
(٦) في ب: دماً.
(٧) في ب: أحداً.
(٨) في ب: بمعترفين.
(٩) في ب: الولي.
(١٠) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٢٢.
(١١) انظر الكشاف ٣/ ١٥٥، البحر المحيط ٧/ ١٠٢.
(١٢) المختصر (١١١)، البحر المحيط ٧/ ١٠٢، وفي ب: أمر.
(١٣) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٤) انظر البحر المحيط ٧/ ١٠٢.

لِنَفْسِهِ»، أي منفعة اهتدائه راجعة إليه، «ومَنْ ضَلَّ» عن الإيمان وأخطأ طريق الهدى، «فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ المُنْذِرِينَ» المخوفين فليس عليَّ إلا البلاغ، نسختها آية القتال[١].

قوله: «وَمَنْ ضَلَّ» يجوز أن يكون الجواب قوله: «فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا»[٢]، ولا بد من حذفِ عائدٍ على اسم الشرط أي: مِنَ المُنْذِرِينَ لهُ[٣]، لما تقدم في البقرة وأن يكون الجواب محذوفاً أي: فَوَبَالُ ضَلالَهِ عليه[٤].

قوله: «وَقُلِ الحَمْدُ لِلَّهِ» على ما أعطاني من نعمة العلم والحكمة والنبوة، أو[٥] على ما وفقني من القيام بأداء الرسالة والإنذار، «سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ» القاهرة، «فَتَعْرِفُونَهَا»[٦] يعني يوم بدر من القتل والسبي، وضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم، نظيره قوله تعالى: ﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾[٧] [الأنبياء: ٣٧]. وقال مجاهد: «سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فِي السَّمٰواتِ والأَرْضِ وَفِي أَنْفُسِكُم»، كما قال: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾[٨] [فصلت: ٥٣] «فتعرفونها» أي تعرفون الآيات والدلالات، «وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ» قرىء بالتاء والياء[٩]، وهذا وعيد لهم بالجزاء على أعمالهم.

روى أُبيّ بن كعب قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «من قرأ طسّ النمل كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق سليمان، وكذب به، وهود وشعيب وصالح وإبراهيم عليهم السلام[١٠]، ويخرج من قبره وهو ينادي: لا إله إلا الله»[١١].

---

(١) انظر البغوي ٦/ ٣١٥ ـ ٣١٦.
(٢) أنا: سقط من ب.
(٣) إذ أداة الشرط اسم وليس ظرفاً فلا بد في جملة الجواب من ذكر يعود عليه ملفوظ أو مقدر. انظر البحر المحيط ٧/ ١٠٢ ـ ١٠٣.
(٤) وحذف جواب «من ضل» لدلالة جواب ما قبله عليه. انظر البحر المحيط ٧/ ١٠٢.
(٥) في ب: و.
(٦) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٢٣.
(٧) انظر البغوي ٦/ ٣١٦.
(٨) انظر البغوي ٦/ ٣١٦.
(٩) فقرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم بالتاء، والباقون وأبو بكر عن عاصم بالياء. السبعة (٣٤٠، ٤٨٨)، الكشف ١/ ٥٣٨، الإتحاف (٣٤٠).
(١٠) في ب: عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.
(١١) أخرجه الثعلبي وابن مردويه من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه. انظر الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف (١٢٦).

سورة القصص

سورة القصص مكية إلا قوله عزَّ وجلَّ ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ [القصص: ٥٢] إلى قوله: ﴿لَا نَبْتَغِى ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾[١] [القصص: ٥٥]، وفيها آية نزلت بين مكة والمدينة وهي قوله[٢]: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾[٣] [القصص: ٨٥] وهي ثمان وثمانون آية، وألف وأربعمائة وإحدى وأربعون كلْمة، وخمسة آلاف وثمانمائة حرف[٤].

ولقائل أن يقول: لم لا سميت سورة موسى، لاشتمالها على قصة موسى فقط من حين وُلِدَ إلى أن أهلك الله فرعون وخَسَفَ بقارون، كما سميت سورة نوح، وسورة يوسف، لاشتمالها على قصتهما، ولا يقال: سميت (بذلك لذكر)[٥] القصص فيها في قوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ﴾ [القصص: ٢٥]، لأنَّ سورة[٦] يوسف فيها ذكر القصص مرتين، الأولى ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣]، والثانية قوله: «لَقَدْ كَان فِي قَصَصِهِمْ»[٧] فكانت سورة يوسف أولى بهذا الاسم، وأيضاً فكانت[٨] سورة هود أولى بهذا الاسم، يعني: بسورة القصص؛ لأنه ذكر فيها قصص (سبعة أنبياء)[٩] وهذه ليس فيها إلاَّ قصة واحدة، فكان ينبغي العكس، أن[١٠] تسمى سورة هود سورة[١١] القصص، وهذه سورة موسى.

قوله تعالى: ﴿طسٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٣ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٤ وَنُرِيدُ

---

(١) وهو قول مقاتل. انظر تفسير ابن عطية ١١/٢٥٧، القرطبي ١٣/٢٤٧، البحر المحيط ٧/١٠٤.

(٢) وهي قوله: سقط من الأصل.

(٣) انظر البغوي ٦/٣١٦. وهو قول ابن سلام. انظر تفسير ابن عطية ١١/٢٥٧، القرطبي ١٣/٢٤٧. وقال الحسن وعطاء وعكرمة السورة مكية كلها. انظر القرطبي ١٣/٢٤٧، البحر المحيط ٧/١٠٤.

(٤) في الأصل: حرفاً.

(٥) ما بين القوسين في ب: بذكر.

(٦) سورة: سقط من ب.

(٧) في ب: ﴿**لقد كان في قصصهم عبرة**﴾ [يوسف: ١١١].

(٨) في ب: كانت.

(٩) ما بين القوسين في ب: متعددة.

(١٠) في الأصل: وإنما. وفي ب: وأن.

(١١) في ب: وسورة.

﴿أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ ۝٦﴾

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى[١]: «نَتْلُو عَلَيْكَ» يجوز أن يكون مفعول «نَتْلُو» محذوفاً دَلَّت عليه صفته وهي: «مِنْ نَبَأ مُوسَىٰ» (تقديره: نَتْلُو عَلَيْكَ شَيْئاً مِنْ نَبَأ مُوسَى[٢]، ويجوز أَنْ تكونَ «مِنْ» مزيدة على رأي الأخفش أي: نتلو عليك نبأ موسى)[٣].

قوله: «بِالحَقِّ» يجوز أن يكون حالاً من فاعل «نَتْلُو»، أو[٤] من مفعوله، أي نَتْلُو عَلَيْكَ بَعْضَ خبرهما مُتلبسين أو مُتَلبساً بالحق[٥] أو متعلقاً[٦] بنفس «نَتْلُو» بمعنى: نَتْلُوه بسبب الحق و[٧] «لِقَوْم» متعلق بفعل التلاوة أي: لأجل هؤلاء. و «يُؤْمِنُونَ» يصدقون، وخَصَّهُمْ بالذكر لأنهم قَبِلوا وانتفعوا[٨].

قوله: «إِنَّ فِرْعَوْنَ» هذا هو المتلوّ جيء به في جملة مستأنفة[٩] مؤكدة[١٠].

وقرىء «فِرْعَونَ» بضم الفاء وكسرها، والكسر أحسن[١١] وهو الفسطاط[١٢]، «عَلاَ فِي الأَرْضِ» استكبر وتجبَّر «وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً» فرقاً وأصنافاً في الخدمة والتسخير، يتبعونه على ما يريد ويطيعونه[١٣].

قوله: يَسْتَضْعِفُ[١٤] يجوز فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه مستأنفٌ بيان لحال الأهل الذين جعلهم فرقاً وأصنافاً.

الثاني: أنه حال من فاعل «جَعَلَ» أي: جعلهم كذا حال كونه[١٥] مستضعفاً طائفة منهم.

الثالث: أنه صفة لـ «طَائِفَةٍ»[١٦].

قوله: «يُذَبِّحُ» يجوز فيه الثلاثة الأوجه: الاستئناف تفسيراً لـ «يَسْتَضْعِف»[١٧]. أو

---

(١) تعالى: سقط من ب.
(٢) انظر التبيان ٢/١٠٢٦.
(٣) ما بين القوسين سقط من ب.
(٤) في ب: و.
(٥) انظر التبيان ٢/١٠١٦، البحر المحيط ٧/١٠٤.
(٦) في النسختين: «متعلق» والصواب ما أثبت.
(٧) و: سقط من ب.
(٨) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢٢٥.
(٩) في ب: مبتدأ.
(١٠) انظر الكشاف ٣/١٥٦.
(١١) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢٢٥.
(١٢) في ب: الفسطاس.
(١٣) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢٢٥.
(١٤) في ب: ويستضعف.
(١٥) في ب: كون.
(١٦) الصواب أنه صفة لـ «شيعاً». انظر الأوجه الثلاثة في الكشاف ٣/١٥٧. التبيان ٢/١٠١٦، البحر المحيط ٧/١٠٤.
(١٧) قال الزمخشري: (و «يذبح» بدل من «يستضعف») الكشاف ٣/١٥٧.

الحال من فاعله أو صفة ثانية لـ «طَائِفَة»[١]. والعامة على التشديد في «يُذَبِّح» للتكثير. وأبو حيوة وابن محيصن «يَذْبَح» مفتوح الياء والباء مضارع «ذَبَحَ» مخففاً[٢].

فصل

المراد بالطائفة بنو إسرائيل، ثم فسَّرَ الاستضعاف فقال: «يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ»، سمَّى هذا استضعافاً؛ لأنهم عجزوا وضعفوا عن دفعه عن أنفسهم[٣]، «إِنَّهُ كَانَ من المُفْسِدِينَ» ذكروا في سبب ذبح الأبناء وجوهاً:

قيل: إنَّ كاهناً قال له يُولَدُ مَوْلُود في بني إسرائيل في ليلة كذا (يذهب ملكك)[٤] على يده، فولد تلك الليلة اثنا عشر غلاماً، فقتلهم وبقي هذا العذاب في بني إسرائيل سنين كثيرة. قال وهب: قتل القبط[٥] في طلب موسى تسعين ألفاً[٦] من بني إسرائيل. وقال السدي: إنَّ فرعون رأى في منامه أنَّ ناراً أقبلت من بيت المقدس إلى مصر فأحرقت القبط دون بني إسرائيل. فسأل عن رؤياه فقيل له: يخرج من هذا البلد من بني إسرائيل رجل يكون هلاك مصر على يده، فأمر بقتل الذكور، وقيل: إن الأنبياء الذين كانوا قبل موسى عليه السلام[٧] بشروا بمجيئه فسمع فرعون بذلك فأمر بذبح أبناء بني إسرائيل[٨].

قوله: «وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ» فيه وجهان:

أظهرهما: أنه عطفٌ على قوله: «إِنَّ فِرْعَوْنَ» عطفُ فعلية على اسمية، لأن كلتيهما تفسير للنبأ[٩].

الثاني: أنه حالٌ من فاعل «يَسْتَضْعِفُ» وفيه[١٠] ضعف من حيث الصناعة ومن حيث المعنى، أما الصناعة فلكونه (مضارعاً)[١١] مثبتاً فحقه أن يتجرد من الواو وإضمار مبتدأ قبله، أي: ونحن نريك، كقوله:

٣٩٧٤ ـ نَـجَـوْتُ وأَرْهَـنُـهُـم مَـالِـكـا[١٢]

---

(١) انظر الأوجه في التبيان ٢/١٠١٦، البحر المحيط ٧/١٠٥.
(٢) انظر تفسير ابن عطية ١١/٢٦٠، البحر المحيط ٧/١٠٤، الإتحاف (٣٤١).
(٣) انظر البغوي ٦/٣١٧ ـ ٣١٨.
(٤) ما بين القوسين في الأصل: يذبح هب ملكه. وهو تحريف.
(٥) في النسختين: من القبط. والتصويب من الفخر الرازي.
(٦) في ب: سبعين ألفاً.
(٧) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٨) قال ابن الخطيب: (وهذا الوجه هو الأولى بالقبول) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢٢٥.
(٩) انظر الكشاف ٣/١٥٧، البحر المحيط ٧/١٠٤.
(١٠) انظر الكشاف ٣/١٥٧.
(١١) مضارعاً: تكملة ليست من المخطوط.
(١٢) عجز بيت من بحر المتقارب، قاله عبد الله بن همام، وصدره:

فـلـمـا خـشـيـت أظـافـيـرهـم

تقدم تخريجه والشاهد فيه.

وهذا تكلُّفٌ لا حاجة إليه. وأما المعنى فكيف يجتمع استضعاف فرعون، وإرادة المنّة من الله[١]، لأنه متى مَنَّ اللَّهُ عليهم تعذَّر استضعاف فرعون إياهم.

وقد أجيب عن ذلك بأنه[٢] لما كانت المِنَّةُ بخلاصهم من فرعون سريعة الوقوع جعل إرادة وقوعها كأنها مقارنة لاستضعافهم[٣].

قوله: «وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً» قال مجاهد: دعاة إلى الخير، وقال قتادة: ولاة وملوكاً كقوله تعالى: «وَجعَلَكُمْ مُلُوكاً»[٤]، وقيل: يهتدى بهم في الخير[٥]، «وَنَجْعَلَهُم الوَارِثِينَ» يعني لملك فرعون وقومه يخلفونهم في مساكنهم[٦].

قوله: «وَنُمَكِّنَ» العامة على ذلك من غير لام علَّة، والأعمش: وَلِنُمَكِّنَ» بلام العلة[٧] ومتعلقها محذوف، أي: ولنمكن فعلنا ذلك[٨]، والمعنى: نوطىء لهم في أرض[٩] مصر والشام، ونجعلها[١٠] لهم مكاناً يستقرون فيه[١١]، وننفذ[١٢] أمرهم ونطلق أيديهم، يقال: مكَّن له إذا جعل له مكاناً يقعد عليه وأوطأه ومهده[١٣].

قوله: «وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنودَهُمَا» قرأ الأخوان[١٤]: «وَيَرَى» بفتح الياء والراء[١٥] مضارع (رأى) مسنداً إلى «فِرْعَوْنَ» وما عطف عليه فلذلك رفعوا، والباقون بضم النون وكسر الراء مضارع (أَرَىٰ)، فلذلك نصب «فِرْعَونَ» وما عطف عليه[١٦] مفعولاً أول، «وَمَا كَانُوا» هو الثاني[١٧]. و «مِنْهُم» متعلق بفعل الرُّؤية أو الإرادة[١٨]، لا بـ «يَحْذَرُونَ» لأَنَّ ما بعد الموصول لا يعمل فيما قبله[١٩]، ولا ضرورة بنا إلى أَنْ نقولَ اتسع فيه، والحذر هو التوقي من الضَّرر[٢٠]، والمعنى: وما كانوا خائفين منه.

قوله: «أَنْ أَرْضِعِيهِ» يجوز أن تكون المفسرة والمصدرية[٢١]، وقرأ عمر بن عبد

---

(١) في ب: من الله تعالى.
(٢) في ب: لأنه.
(٣) انظر الكشاف ٣/١٥٧، البحر المحيط ٧/ ١٠٤.
(٤) من قوله تعالى: ﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً﴾ [المائدة: ٢٠].
(٥) انظر: البغوي ٦/ ٣١٨.
(٦) المرجع السابق.
(٧) في ب: علة. وانظر البحر المحيط ٧/ ١٠٥.
(٨) انظر البحر المحيط ٧/ ١٠٥.
(٩) في ب: الأرض.
(١٠) في ب: ونجعل.
(١١) انظر البغوي ٦/ ٣١٨.
(١٢) في ب: ونبعد.
(١٣) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٢٦.
(١٤) حمزة والكسائي.
(١٥) والراء: سقط من ب.
(١٦) السبعة (٤٩٢)، الكشف ٢/ ١٧٢، النشر ٢/ ٣٤١، الإتحاف (٣٤١).
(١٧) انظر البيان ٢/ ٢٢٩.
(١٨) في ب: الإرادة.
(١٩) انظر التبيان ٢/ ١٠١٦.
(٢٠) انظر البغوي ٦/ ٣١٨.
(٢١) انظر التبيان ٢/ ١٠١٦، البحر المحيط ٧/ ١٠٥.

العزيز وعمر بن عبد الواحد[١] بكسر النون على التقاء الساكنين، وكأنه حذف همزة القطع على غير قياس فالتقى ساكنان، فكسر[٢] أولهما[٣].

فصل

قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾

قوله: «وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى» وحي إلهام لا وحي نبوة، قال قتادة: قذفنا في قلبها، واسمها يوخابز[٤]، وقيل أيادخا، وقيل أيارخت قاله ابن كثير، بنت لاوي بن يعقوب، «أَنْ أَرْضِعِيْهِ» قيل[٥]: أرضعته ثمانية أشهر، وقيل أربعة أشهر، وقيل ثلاثة أشهر، كانت ترضعه في حجرها وهو لا يبكي ولا يتحرك. «فَإِذَا خِفْت عَلَيهِ» يعني من الذبح، «فَأَلْقِيهِ فِي اليَمِّ»، واليم البحر وأراد هنا النيل، «وَلاَ تَخَافِي ولاَ تَحْزَنِي» قيل: ولا تخافي عليه من الغرق وقيل: من الضيعة، «ولا تحزني» على فراقه، فـ «إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ»[٦] لتكوني أنت المرضعة «وَجَاعِلُوهُ مِنَ المُرْسَلِينَ» إلى أهل مصر والشام. قال المفسرون: إنها لما خافت عليه من الذبح، وضعته في تابوت، وألقته في النيل ليلاً[٧]، قال[٨] ابن كثير: وقيل إنها ربطت التابوت في حبل[٩] وكانت دارها[١٠] على حافة النيل، فكانت[١١] ترضعه، فإذا خشيت من أحد وضعته في ذلك التابوت، وأرسلته في البحر، وأمسكت طرف الحبل عندها، فإذا ذهبوا استرجعته إليها، وكان[١٢] لفرعونَ قوابل معهم رجال يطوفون على الحوامل، فمن وضعت ذكراً ذبحوه، فأرسلت أم موسى التابوت يوماً. وذهلت عن ربطه فذهب مع النيل[١٣]. قال ابن عباس وغيره: وكان لفرعون يومئذ بنت لم يكن له ولد غيرها، وكانت من أكرم الناس عليه، وكان بها برص شديد، فقال له

---

(١) هو عمر بن عبد الواحد بن قيس أبو حفص الدمشقي، عرض على يحيى بن الحارث الذماري، وروى عنه اختياره الذي خالف فيه عبد الله بن عامر، وروى عنه هشام بن عمار، مات سنة ٢٠٠هـ. طبقات القراء ١/ ٥٩٤.

(٢) في ب: فكسروا.

(٣) انظر المحتسب ٢/ ١٤٧، البحر المحيط ٧/ ١٠٥.

(٤) انظر البغوي ٦/٣١٨ ـ ٣١٩.

(٥) من هنا نقله ابن عادل عن البغوي ٦/ ٣١٩.

(٦) آخر ما نقله هنا عن البغوي ٦/ ٣١٩.

(٧) انظر البغوي ٦/ ٣٢٠.

(٨) في الأصل: قاله.

(٩) في ب: وأرسلته في حبل.

(١٠) في ب: وكان ذراعاً. وهو تحريف.

(١١) في ب: وكانت.

(١٢) في ب: فكان.

(١٣) انظر تفسير ابن كثير ٣/ ٣٨٠.

الأطباء: أيها الملك إنها لا تبرأ إلا من قبل البحر يؤخذ منه[١] شبه الإنس، فيؤخذ[٢] من ريقه فيلطخ به برصها، فتبرأ من ذلك، وذلك يوم كذا وساعة كذا من[٣] شهر كذا حين تشرق الشمس، فلما كان ذلك اليوم غدا فرعون من مجلسٍ له كان على شفير[٤] النيل، ومعه آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد الذي[٥] كان فرعون مصر في زمن يوسف الصديق، وهي امرأة فرعون.

وقيل: كانت من بني إسرائيل من سبط موسى، وقيل: كانت عمته؛ حكاه السهيلي. وأقبلت بنت فرعون في جواريها حتى جلست على شاطىء النيل، إذ أقبل النيل بتابوت تضربه الأمواج، فتعلق بشجرة، فقال فرعون: ائتوني به، فابتدروا بالسفن من كل جانب فوضعوه[٦] بين يديه، فعالجوا[٧] فتحه، فلم يقدروا عليه، فنظرت آسية فرأت نوراً في جوف التابوت لم يره غيرها، فعالجته ففتحته، فإذا هو بصبي صغير في مهده، و[٨] إذا نور بين عينيه، فألقى الله محبته في قلوب القوم، وعمدت ابنة فرعون إلى ريقه، فلطخت به برصها، فبرأت، فقالت الغواة من قوم فرعون: إنّا[٩] نظن أن هذا هو الذي نحذر منه، رُمِيَ في البحر فرقاً منك فاقتله، فهمّ فرعون بقتله، فاستوهبته امرأة فرعون فترك قتله[١٠].

وقوله: «فَالتَقَطَهُ آلُ فِرْعونَ» أي: جواريه.

قوله: «لِيَكُونَ» في اللام الوجهان المشهوران: العلية المجازية بمعنى أن ذلك لما كان نتيجة فعلهم وثمرته شبه بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل لأجله[١١]، أو[١٢] الصيرورة[١٣].

وقوله: «وَحَزَناً» قرأ[١٤] العامة[١٥] بفتح الحاء والزاي، وهي لغة قريش[١٦]، والأخوان بضم وسكون[١٧] وهما لغتان بمعنى واحد كالعَدَم والعُدْم[١٨]. «إنَّ فِرْعونَ وهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ» العامة على الهمز، مأخوذٌ من الخَطأ ضد الصواب،

---

(١) في ب: يومئذ. وهو تحريف.
(٢) في الأصل: ويؤخذ.
(٣) في ب: و.
(٤) شفير الوادي: حدّ حرفه.
(٥) في ب: و.
(٦) في ب: ووضعوه.
(٧) في ب: فعالجوه.
(٨) و: سقط من ب.
(٩) في ب: إننا.
(١٠) انظر البغوي ٦/ ٣٢٠ ـ ٣٢١، الفخر الرازي ٢٤/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨.
(١١) انظر الكشاف ٣/ ١٥٧ ـ ١٥٨.
(١٢) في ب: و.
(١٣) الصيرورة: اصطلاح الكوفيين، ويسميها البصريون لام العاقبة. انظر البيان ٢/ ٢٢٩، التبيان ٢/ ١٠١٦.
(١٤) في ب: وقرأ.
(١٥) غير حمزة والكسائي.
(١٦) انظر البحر المحيط ٧/ ١٠٥، اللسان (حزن).
(١٧) السبعة (٤٩٢)، الكشف ٢/ ١٧٢، النشر ٢/ ٣٤١، الإتحاف (٣٤١).
(١٨) الكشف ٢/ ١٧٢، الكشاف ٣/ ١٥٨، التبيان ٢/ ١٠١٦.

وقرىء بياء دون هَمْز، فاحتمل أن يكون كالأول، ولكن خُفِّفَ، وأن يكون من خَطَا يَخْطُو أي: تَجاوز الصَّوابَ[١].

قوله: «قُرَّةُ عينٍ لي ولَكَ» فيه وجهان:

أظهرهما: أنه خبر مبتدأ مضمر، أي: هُو قُرَّة عينٍ.

الثاني ـ وهو بعيد جداً ـ أن يكون مبتدأ والخبر «لاَ تَقْتُلُوهُ»[٢]. وكان هذا[٣] القائل حقه أن لا[٤] يُذكِّر، فيقول: «لاَ تَقْتُلُوها»، إلا أنه لما كان المراد مذكراً ساغ ذلك، والعامة من القراء والمفسرين وأهل العلم يقفون على «ولَكَ»[٥]. ونقل ابن الأنباري بسنده إلى ابن عباس عنه أنه وقف على «لاَ» أي: هو «قُرَّةُ عَيْنٍ لِي» فقط، «وَلَكَ لاَ»، أي: ليس هو لك قرة عين، ثم يبتدىء بقوله «تَقْتُلُوه»، وهذا لا ينبغي أن يصحَّ عنه، وكيف يبقى «تَقْتُلُوه» من غير نون رفع، ولا مُقْتَضى لحذفها؟ ولذلك[٦] قال الفراء: هو لحن[٧].

قوله: «عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً». كانت لا تلد، فاستوهبت موسى من فرعون، فوهبه لها[٨]، وقال[٩] فرعون: أَمَّا أنا فلا حاجة لي به[١٠]، قال رسول الله ﷺ: «لو قال يومئذ قرة عين لي كما هو لَكِ، لهداه الله كما هداها»[١١] وقال[١٢] لآسية سميه، قالت[١٣]: سميته موسى لأنا وجدناه في الماء والشجر، (فَمُو هو الماء، و (شا) هو البحر، فذلك قوله: «فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَونَ». والالتقاط: هو وجود الشيء)[١٤][١٥].

قوله: «وَهمَ لاَ يَشْعُرُونَ» جملة حالية[١٦]، وهل هي من كلام الباري تعالى[١٧]

---

(١) انظر البحر المحيط ٧/ ١٠٥.

(٢) فيكون قد عرف أنه قرة عين. انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/ ١٣٣، الكشاف ٣/ ١٥٨، البحر المحيط ٧/ ١٠٦، وذكر الوجهين ابن الأنباري، انظر البيان ٢/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠.

(٣) في ب: هو.

(٤) لا: تكملة ليست في المخطوط.

(٥) في ب: ذلك.

(٦) في ب: وكذلك. وهو تحريف.

(٧) قال الفراء: (وفي قراءة عبد الله «لا تقتلوه قرة عين لي ولك» وإنما ذكرت هذا لأني سمعت الذي يقال له ابن مروان السدي يذكر عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أنه قال: إنها قالت: «قرة عين لي ولك لا» وهو لحن، ويقويك على رده قراءة عبد الله) معاني القرآن ٢/ ٣٠٢، وانظر المختصر (١١١ ـ ١١٢) وابن الأنباري في كتابه إيضاح الوقف والابتداء (٨٢٢) نقل عبارة الفراء معزوة إليه ولم يزد عليها شيئاً.

(٨) انظر القرطبي ١٣/ ٢٥٤.

(٩) في ب: قال. وهو تحريف.

(١٠) في ب: فيه.

(١١) انظر الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف (١٢٦).

(١٢) في ب: فقال.

(١٣) في ب: قال. وهو تحريف.

(١٤) انظر البغوي ٦/ ٣٢١.

(١٥) ما بين القوسين في ب: من غير طلب.

(١٦) وصاحب الحال: «آل فرعون» وتقدير الكلام: فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً وقالت امرأة فرعون كذا وهم لا يشعرون أنهم على خطأ عظيم في التقاطه ورجاء النفع منه وتبنِّيه. الكشاف ٣/ ١٥٨.

(١٧) أي: لا يشعرون أن هلاكهم بسببه وعلى يده. وهذا قول مجاهد وقتادة والضحاك ومقاتل. وقال ابن =

وهو الظاهر، أو من كلام امرأة فرعون؟ كأنها لما رأت ملأه أشاروا بقتله، قالت له كذا؛ أي: افعل أنت ما أقول لك وقومك لا يشعرون أنا التقطناه ـ قاله الكلبي[١]، وجعل الزمخشري الجملة من قوله: «وَقَالَت امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ» معطوفة على «فَالتَقَطَهُ» والجملة من قوله: «إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ» إلى «خَاطِئِينَ» مُعترضة[٢] بين المتعاطفين، وجعل متعلق الشعور من جنس الجملة المعترضة أي: لا يشعرون أنهم على خطأ في التقاطه، أو أن هلاكهم على يديه[٣]، قال أبو حيان: ومتى أمكن حَمْلُ الكلام على ظاهره من غير فصل كان أحسن[٤].

قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَـٰرِغًاۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾﴾

قوله: «وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً» (قال الحسن: فَارِغاً)[٥] من كل همٍّ إلاَّ همَّ موسى[٦]. وقال أبو مسلم[٧]: فراغ[٨] الفؤاد هو الخوف والإشغاف، كقوله: ﴿وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾[٩] [إبراهيم: ٤٣].

وقال الزمخشري: فارغاً صفراً من العقل، والمعنى أنها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها من فرط الجزع والخوف[١٠]. وقال الحسن ومحمد بن إسحاق: فارغاً من الوحي الذي أوحينا إليها أن ﴿فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ﴾ [القصص: ٧] فجاءها الشيطان وقال لها: كرهت أن يقتل فرعون ولدك فيكون لك أجراً وثواباً، وتوليت أنتِ قتله، فألقيته في البحر، وأغرقتيه[١١]، ولمَّا[١٢] أتاها خبر موسى أنه وقع في يد فرعون فأنساها عظيم البلاء ما كان من عهد الله إليها[١٣]. وقال أبو عبيدة: فارغاً من الحزن لعلمها[١٤] بأنه لا يقتل، اعتماداً على تكفل الله بمصلحته[١٥]. قال ابن قتيبة: وهذا من العجائب، كيف يكون فؤادها فارغاً من الحزن، والله تعالى يقول: «لَوْلاَ

= عباس: يريد لا يشعرون إلى ماذا يصير أمر موسى عليه السلام. الفخر الرازي ٢٤/ ٢٢٩، البحر المحيط ٧/ ١٠٦.

(١) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٢٩، البحر المحيط ٧/ ١٠٦.
(٢) في النسختين: معترضاً. والصواب ما أثبته.
(٣) انظر الكشاف ٣/ ١٥٨.
(٤) البحر المحيط ٧/ ١٠٦.
(٥) ما بين القوسين سقط من ب.
(٦) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٢٩.
(٧) في ب: أبو موسى. وهو تحريف.
(٨) في الأصل: فراق.
(٩) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٢٩.
(١٠) الكشاف ٣/ ١٥٨.
(١١) في ب: أغرقته.
(١٢) في ب: فلما.
(١٣) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٢٩.
(١٤) في ب: يعلمها.
(١٥) انظر مجاز القرآن ٢/ ٩٨.

أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا»؟ وهل يُرْبَط إلا على قلب الجازع المحزون[١]؟ ويمكن أن يجاب عنه بأنه لا يمتنع أنها لشدة ثقتها بوعد الله جاز عندها إظهار عدم الحزن، وأيقنت أنها ـ وإن أظهرت ذلك ـ فإنه يسلم لأجل ذلك الوعد. إلا أنه كان في المعلوم أن الإظهار (يضر فربط)[٢] الله على قلبها[٣]. قال المعربون: «فارغاً» خبر أصبح أي: فارغاً من العقل[٤]، أو من الصبر[٥]، أو من الحزن[٦]، وهو أبعدها، ويردُّه قراءاتٌ تُخَالفُه. فقرأ فضالة[٧] والحسن «فَزِعاً» بالزاي من الفزع[٨]، وابن عباس «قَرِعاً» بالقاف وكسر الراء وسكونها[٩]، من قَرَعَ رأسهُ إذا انحسر شعرُهُ، (والمعنى: خلا من كُلِّ شيء، وانحَسَرَ عنهُ كُلُّ شَيءٍ إلا ذِكر موسى[١٠]، وقيل: الساكن الراء مصدر قَرَعَ يَقْرَع[١١]، أي: أُصيب، وقرىء «فِرغاً» بكسر الفاء وسكون الراء، والغين معجمة أي: هدراً[١٢]، كقوله)[١٣]:

٣٩٧٥ ـ فَإِنْ يَكُ قَتْلَى قَدْ أُصِيبَتْ نُفُوسُهُمْ فَلَنْ يَذْهَبُوا فِرْغاً بِقَتْلِ حِبَالِ[١٤]

فِرْغاً حال من «بِقَتْلِ»[١٥]، وقرأ الخليل «فُرُغاً» بضم الفاء وإعجام الغين[١٦] من هذا المعنى، ومنه قولهم دماهم بينهم فرغ أي: هدر[١٧].

قوله: «إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي» «إِنْ» إما مخففة، وإما نافية، واللام إمَّا فارقة وإمَّا بمعنى إلاَّ[١٨] والباء[١٩] في «بِهِ» (مزيدة في المفعول، أي: لتُظْهِرَهُ، وقيل: ليست زائدة بل سببية، والمفعول محذوف، أي: لتُبْدِي القَولَ بسبب موسى أو بسبب الوحي. فالهاء يجوز أن تكون)[٢٠] راجعة إلى موسى[٢١]، أي: إن كادت لتبدي به أنه[٢٢] ابنها من شدة

---

(١) انظر تفسير غريب القرآن (٣٢٨ ـ ٣٢٩).
(٢) ما بين القوسين في الأصل: يعتبر بربط. وفي ب: يعتبرا بربط.
(٣) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢٢٩.
(٤) انظر الكشاف ٣/١٥٨.
(٥) انظر البحر المحيط ٧/١٠٦.
(٦) انظر: مجاز القرآن ٢/٩٨.
(٧) هو فضالة بن عبد الله الليثي، وقيل: ابن بجرة بن بجيرة، ويعرف بالزهراني. الإصابة ٣/٣٠٣.
(٨) انظر المختصر (١١)، المحتسب ٢/١٤٧ ـ ١٤٨، البحر المحيط ٧/١٠٧.
(٩) انظر المختصر (١١١)، المحتسب ٢/١٤٨، البحر المحيط ٧/١٠٧.
(١٠) انظر البحر المحيط ٧/١٠٧.
(١١) المرجع السابق.
(١٢) حكاها قطرب عن بعض أصحاب النبي ـ ﷺ ـ المحتسب ٢/١٤٨، تفسير ابن عطية ١١/٢٦٧ ـ ٢٦٨.
(١٣) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٤) البيت من بحر الطويل، قاله طلحة بن خويلد الأسدي. وقد تقدّم.
(١٥) في ب: بقتلى.
(١٦) انظر تفسير ابن عطية ١١/٢٨٦، البحر المحيط ٧/١٠٧.
(١٧) انظر الكشاف ٣/١٥٨.
(١٨) وهو قول الكوفيين. انظر البحر المحيط ٧/١٠٧.
(١٩) في النسختين: والهاء. والصواب ما أثبته.
(٢٠) ما بين القوسين سقط من ب.
(٢١) انظر القرطبي ١٣/٢٥٦، البحر المحيط ٧/١٠٧.
(٢٢) في ب: أن. وهو تحريف.

وجدها. وقال عكرمة عن ابن عباس: كادت تقول: واابناه حين رأت الموج يرفع التابوت ويضعه.

وقال الكلبي: كادت تظهر أنه ابنها حين سمعت الناس يقولون: إنه ابن فرعون.

وقال السدي: لما أُخِذ من الماء كادت تقول: هو ابني، فعصمها الله[١].

وقال بعضهم: الهاء[٢] عائدة إلى الوحي، أي كادت تبدي بالوحي الذي أوحى الله إليها أنه يرُدُّهُ عليها[٣].

قوله: «لَوْلاَ أَنْ رَبَطْنَا» جوابها محذوف، أي لأبدت[٤]، كقوله: ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف: ٢٤] والمعنى: لولا أن ربطنا على قلبها بالعصمة والصبر والتثبت. «ولِتكُونَ مِنَ المُؤْمِنينَ» متعلق بـ «رَبَطْنَا»[٥]، والمعنى: لتكون من المؤمنين المصدِّقين بوعد الله، وهو قوله: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ﴾ [القصص: ٧].

قوله: «وَقَالَتْ لأُخْته قُصِّيهِ» أي: قُصِّي أثر موسى، تتبَّعي أمره حتى تعلمي خبره: وكانت أخته لأبيه وأمه واسمها مريم[٦]. قال «فَبَصُرَتْ بِهِ» أي: أبصرتهُ، وقرأ قتادة «بَصَرَتْ» بفتح الصاد وعيسى بكسرها[٧]. قال المبرد: أبصرته وبصرت به بمعنى[٨]، وتقدم معناه في طه[٩]. و «عَنْ جُنبٍ» في موضع الحال إمَّا من الفاعل أي: بصرت به مُسْتَخفيةً كائنةً عن جُنُبٍ، وإمَّا من المجرور أي: بعيداً منها[١٠].

وقرأ العامة «جُنُبٍ» بضمتين وهو صفة لمحذوف، أي: عن مكان بعيد[١١]، وقال أبو عمرو بن العلاء: أي: عن شوقٍ، وهي لغة جُذَامٍ، يقولون: جَنَبْتُ إليك أي: اشتقت[١٢].

(وقرأ قتادة والحسن والأعرج وزيد بن علي بفتح الجيم وسكون النون)[١٣][١٤]، وعن قتادة أيضاً بفتحهما[١٥]، وعن الحسن «جُنْب» بالضم والسكون[١٦]، وعن

---

(١) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٣٠.
(٢) في ب: أنها. وهو تحريف.
(٣) انظر القرطبي ١٣/ ٢٥٦.
(٤) انظر التبيان ٢/ ١٠١٧، البحر المحيط ٧/ ١٠٧.
(٥) انظر التبيان ٢/ ١٠١٧.
(٦) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٣٠.
(٧) المختصر (١١٢).
(٨) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٣٠.
(٩) عند قوله تعالى: **﴿قال بصرت بما لم يبصروا به﴾** [طه: ٩٦].
(١٠) انظر التبيان ٢/ ١٠١٧.
(١١) حكاه أبو حيان عن الكرماني. البحر المحيط ٧/ ١٠٧.
(١٢) انظر القرطبي ١٣/ ٢٥٧، البحر المحيط ٧/ ١٠٧.
(١٣) انظر المختصر (١١٢)، المحتسب ٢/ ١٤٩، البحر المحيط ٧/ ١٠٧.
(١٤) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٥) انظر البحر المحيط ٧/ ١٠٧.
(١٦) المرجع السابق.

النعمان بن سالم[١] «عَنْ جَانِبٍ» وكلها بمعنى واحد. ومثله الجِنَاب والجَنَابَة[٢].

«وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ» جملة حالية، ومتعلق الشعور[٣] محذوف أي: أنها تَقُصُّه، أو[٤] أنه سيكُونَ لهم عدواً وحزناً، أو أنها أخته، أو أنها ترقبه[٥].

قوله تعالى: ﴿۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾

قوله: «وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ المَرَاضِع»[٦] قيل: يجوز أن يكون جمع مُرْضِع وهي المرأة، وقيل: جمع مَرْضَع بفتح الميم والضاد، ثم جَوَّزوا فيه أن يكون مكاناً أي: مكان الإرضاع وهو الثَّدي وأن يكون مصدراً أي: الإرْضَاعاتُ، أن: أنواعها[٧]، و «مِنْ قَبْلُ» أي: من قبل قصِّهَا أَثرهُ[٨]، أو من قبل مجيء أخته، ومن قبل ولادته في حكمنا وقضائنا[٩]. والمراد من التحريم المنع، لأن التحريم بالنهي تعبّد وذلك لا يصح، فلا بُدَّ من فِعْل سواه، فيحتمل أن ـ تعالى ـ غيَّر طبعه عن لبن سائر النساء، فلذلك لم يرتضع أو أحدث في لبنهن طعماً ينفر عنه طبعه، أو وضع في لبن أمه لذة تعود بها، فكان يكره لبن غيرها[١٠].

فصل

قال ابن عباس: إن امرأة فرعون كان همَّها من الدنيا أن تجد له مرضعة، فكل ما أتوه بمرضعة لم يأخذ ثديها؛ فذلك قوله عزَّ وجلَّ «وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ المَرَاضِعَ»[١١]، فلمَّا رأت أخت موسى التي أرسلتها أمّه في طلبه ذلك «قالت هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْل بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ» أي: يرضعونه لكم[١٢] ويضمنونه، وهي امرأة قد قُتِلَ ولدها فأحبُّ شيءٍ إليها أن تجد صغيراً ترضعه[١٣].

قوله: «وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ» الظاهر أنه ضمير موسى، وقيل لفرعون[١٤]. قال ابن

---

(١) في النسختين: عن سالم. والتصويب من المحتسب ٢/١٤٩، تفسير ابن عطية ١١/٢٧٠، البحر المحيط ٧/١٠٧. وهو النعمان بن سالم الطائفي، روى عن أوس بن أوس، وعبد الله بن عمر، وروى عنه سماك، وداود بن هند، خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٤٠٢٠.

(٢) جناب: مصدر جانبه مجانبة وجناباً صار إلى جنبه، وجنابة مصدر جنب، انظر اللسان (جنب)، والبحر المحيط ٧/١٠٧.

(٣) أي: معمول الفعل.

(٤) في ب: و. وهو تحريف.

(٥) انظر البغوي ٦/٣٢٣.

(٦) في ب: «وحرمنا عليه المراضع من قبل».

(٧) انظر الكشاف ٣/١٥٩، البحر المحيط ٧/١٠٧ ـ ١٠٨.

(٨) المرجعان السابقان.

(٩) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢٣٠.

(١٠) المرجع السابق.

(١١) انظر البغوي ٦/٣٢٣.

(١٢) لكم: سقط من ب.

(١٣) انظر البغوي ٦/٣٢٤.

(١٤) انظر البحر المحيط ٧/١٠٨.

جُريج والسُّديّ: لما قالت أخت موسى «وَهُمْ له نَاصِحُونَ» استنكروا حالها وتفرّسوا أنها قرابتُه، فقالت: إنَّمَا أَرَدْتُ وهم للملك ناصِحُونَ، فتخلَّصَت منهم[١]، وهذا يُسمى عند أهل البيان الكلام الموجَّه[٢] ومثله: لما سُئِل بعضهم وكان بين أقوام بعضهم يحب عليّاً دون غيره، وبعضهم أبا بكر وبعضهم عمر وبعضهم عثمان، فقيل له: أيهم أحبّ إلى رسول الله؟ فقال[٣]: من كانت ابنته تحته. وقيل لما تفرّسوا أنه قرابتُهُ قالت: إنما قلت هذا رغبة في سرور الملك، واتصالنا به[٤]. وقيل: إنها لما قالت: «هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بيتٍ»، قالوا لها: مَنْ؟ قالت: أمي. قالوا: ولأمك ابن؟ قالت: نعم، هارون، وكان هارون ولد في سنة لا يقتل فيها. قالوا: صدقت، فائتينا بها، فانطلقت إلى أمه فأخبرتها بحال ابنها، وجاءت بها إليهم، فلما وجد الصبي ريح أمه قبل ثديها وجعل يمصّه حتى امتلأ جنباه ريًّا[٥].

والنصح: إخلاص العمل من سائر الفساد[٦].

قوله: «فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا» بردِّ موسى إليها، «وَلاَ تَحْزَنَ» عطف على «تَقَرَّ»[٧]، ودمعةُ الفرح قارّةٌ، ودمعةُ التَّرَح حارَّةٌ. قال أبو تمام[٨]:

٣٩٧٦ ـ فَأَمَّا عُيُونُ العَاشِقِينَ فَأَسْخَنَتْ ... وَأَمَّا عُيُونُ الشَّامِتِينَ فَقَرَّتِ[٩]

وتقدم تحقيق هذا في مريم[١٠].

---

(١) انظر البغوي ٦/ ٣٤٤، القرطبي ١٣/ ٢٥٧، البحر المحيط ٧/ ١٠٨.

(٢) المعروف في علم البديع أن مثل هذا يسمى التوجيه، وهو إيراد الكلام محتملاً لوجهين مختلفين كقول من قال لأعور يسمى عمراً:

خاط لي عمرو قباء ... ليت عينيه سواء

وقيل: عبارة عن وجه ينافي كلام الخصم، ومنه المثال الذي أتى به ابن عادل، أما الموجَّه فهو أن يمدح بشيء يقتضي المدح لشيء آخر. انظر الإيضاح (٣٨٧ ـ ٣٨٨).

(٣) في ب: فقالت.

(٤) انظر البغوي ٦/ ٣٢٤.

(٥) المرجع السابق.

(٦) انظر الكشاف ٣/ ١٥٩.

(٧) انظر التبيان ٢/ ١٠١٨.

(٨) تقدم.

(٩) البيت من بحر الطويل، قاله أبو تمام وهو في ديوانه ١/ ٣٠٠، البحر المحيط ٧/ ١٠٨ والشاهد فيه أن قوله: (فأسخنت) دالّ على أن دمعة الحزن حارة ساخنة، وقوله: (قرّت) من القرّ أو القرة: البرد، والعين قارّة إذا كان دمعها بارداً من فرح وسرور.

(١٠) عند قوله: ﴿فكلي واشربي وقرّي عيناً﴾ [مريم: ٢٦].

وذكر ابن عادل هناك: والعامة على فتح القاف من قرّي أمر من قرت عينه تقر بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع، وقرئ بكسر القاف، وهي لغة نجد، يقولون قرت عينه تقر بفتح العين في الماضي وكسرها في المضارع، وفي وصف العين بذلك تأويلان أحدهما: أنه مأخوذ من القر، وهو البرد، وذلك أن العين إذا فرح صاحبها كان دمعها قاراً، أي: بارداً، وإذا حزن كان دمعها حاراً ولذلك قالوا في الدعاء عليه: أسخن الله عينه.

والثاني: أنه مأخوذ من الاستقرار والمعنى أعطاه الله ما يسكن عينه فلا تطمح إلى غيره. انظر اللباب ٥/ ٤١٢.

«ولِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ» بردّه إليها وكانت[١] عالمة بذلك ولكن ليس المخبَر كالمعاين فتحققت بوجود الموعود[٢]، «وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ» أن الله وعدها ردّه إليها. قال الضحاك: لمّا قَبِلَ ثديها قال هامان: إنك لأمه، قالت: لا، قال: فما بالك قبل ثديك من بين النسوة[٣]؟ قالت: أيها الملك، إني امرأة طيبة الريح، حلوة اللبن، فما شم ريحي صبيّ إلا أقبل[٤] على ثديي. قالوا: صدقت. فلم يبق أحد من آل فرعون إلا أهدى إليها وأتحفها بالذهب والجواهر[٥].

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾

قوله: «وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ» تقدم الكلام عليه[٦]، «وَاسْتَوَى» أي: بلغ أربعين سنة ـ (قاله ابن عباس ـ)[٧][٨] وقيل: استوى: انتهى شبابه[٩]، «آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً» أي: الفقه والعقل والعلم في الدين، فعلم موسى وحكم قبل أنْ يبعث نبياً[١٠]، «وكَذَلِكَ نَجْزِي المُحْسِنِينَ»، وهذا يدل على أنه ليس المراد بالحكم النبوة، لأنه جعل إيتاءه الحكم والعلم مجازاة على إحسانه، والنبوة لا تكون جزاء على العمل[١١].

قوله: «وَدَخَلَ المَدِينَة» أي: ودخل موسى المدينة. قال السدي: مدينة منف من أرض مصر[١٢]، وقال مقاتل: قرية تدعى حانين على (رأس)[١٣] فرسخين من مصر[١٤]، وقيل: عين شمس[١٥]، قوله: «عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ» في موضع الحال إمّا من الفاعل أي: كائناً على حين غَفْلَة، أي: مُستخفياً، وإمَّا من المفعول[١٦]، وقرأ أبو

(١) في ب: وقد كانت.
(٢) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٣١.
(٣) في ب: النساء.
(٤) في ب: قبل.
(٥) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٣١.
(٦) عند قوله تعالى: **﴿ولما بلغ أشده آتيناه حكماً وعلماً﴾** [يوسف: ٢٢].
(٧) انظر البغوي ٦/ ٣٢٥، القرطبي ١٣/ ٢٥٨.
(٨) ما بين القوسين سقط من ب.
(٩) انظر البغوي ٦/ ٣٢٥.
(١٠) المرجع السابق.
(١١) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٣٣.
(١٢) انظر البغوي ٦/ ٣٢٥.
(١٣) رأس: سقط من ب.
(١٤) انظر البغوي ٦/ ٣٢٥، الفخر الرازي ٢٤/ ٢٣٣.
(١٥) وهو قول الضحاك. انظر البغوي ٦/ ٣٢٥، الفخر الرازي ٢٤/ ٢٣٣.
(١٦) انظر التبيان ٢/ ١٠١٨.

طالب القارىء[١] «عَلَى حِينَ» بفتح النون، وتكلَّفَ أبو حيان تخريجها على أنه حمل المصدر على الفعل في أنه إذا أضيف الظرف إليه جاز بناؤه على الفتح[٢]، كقوله:

٣٩٧٧ ـ عَلَى حِينَ عَاتَبْتُ المَشِيبَ عَلَى الصِّبَا[٣]

و «مِنْ أَهْلِهَا» صفة لـ «غَفْلَةٍ»، أي: صادرة من أهلها.

فصل

اختلفوا في السبب الذي لأجله دخل موسى المدينة على حين غفلة من أهلها، فقال السُّدِّيّ: إن موسى كان يسمى ابن فرعون، فكان يركب في مراكب فرعون، ويلبس مثل ملابسه، فركب فرعون يوماً وليس عنده موسى، فلما جاء موسى قيل له: إن فرعون قد ركب، فركب في أثره، فأدركه المقيل بأرض منف، فدخلها نصف النهار وليس في طرقها أحد، فذلك «عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا»[٤]. وقال ابن إسحاق: كان لموسى شيعة من بني إسرائيل يسمعون منه ويقتدون به، فلما عرف ما هو عليه من الحق فارق فرعون وقومه وخالفهم في دينهم حتى ذكر ذلك منه، وأخافوه وخافهم، فكان لا يدخل قرية إلا خائفاً مستخفياً[٥].

وقال ابن زيد: إنَّ موسى ضرب رأس فرعون ونتف لحيته، فأراد فرعون قتله، فقالت امرأته: هو صغير، جِيءْ بجمرة فأخذها[٦] فطرحها في فيه، فبها عقد لسانه، فقال فرعون: لا أقتله، ولكن أخرجوه عن الدار والبلد، فأخرج ولم يدخل عليهم حتى كبر، فدخل «عَلَى حِين غَفْلَةٍ»[٧].

قوله «يَقْتَتلانِ» صفة لـ «رَجُلَيْنِ»[٨]، وقال ابن عطية: حالٌ منهما[٩]، وسيبويه ـ وإن كان جوَّزها من النكرة مطلقاً[١٠] ـ إلاَّ أنَّ الأكثر يشترطون فيها ما يُسَوِّغُ الابتداء بها[١١].

---

(١) في النسختين: أبو طالب الفارسي، والتصويب من المختصر (١١٢)، البحر المحيط ٧/ ١٠٩. ولم أقف له على ترجمة.

(٢) قال أبو حيان: (ووجهه أنه أجرى المصدر مجرى الفعل كأنه قال: على حين غفل أهلها فبناه كما بناه حين أضيف إلى الجملة المصدرة بفعل ماض كقوله:

على حين عاتبت المشيب على الصبا

وهذا توجيه شذوذ) البحر المحيط ٧/ ١٠٩.

(٣) صدر بيت من بحر الطويل، قاله النابغة الذبياني، وعجزه:

وقلت ألمّا أصح والشّيب وازع

وقد تقدم.

(٤) انظر البغوي ٦/ ٣٢٥ ـ ٣٦٦، الفخر الرازي ٢٤/ ٢٣٣.

(٥) انظر البغوي ٦/ ٣٢٦.

(٦) فأخذها: مكرر في ب.

(٧) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٣٣.

(٨) انظر البحر المحيط ٧/ ١٠٩.

(٩) قال ابن عطية: (وقوله تعالى: «يقتتلان» في موضع الحال، أي: مقتتلين) تفسير ابن عطية ١١/ ٢٧٤.

(١٠) فإنه قال: (ومثل ذلك مررت برجل قائماً، وإذا جعلت المرور به في حال قيام) الكتاب ٢/ ١١٢.

(١١) انظر الهمع ١/ ٢٤٠، الأشموني ٢/ ١٧٤ ـ ١٧٦.

وقرأ نعيمُ بن ميسرة[١] «يقتلان» بالإدغام[٢]، نقل فتحة التاء الأولى إلى القاف وأدغم. قوله «هٰذا مِنْ شِيعَتِهِ» مبتدأ وخبر في موضع الصفة لـ «رَجُلَيْنِ»[٣]، أو الحال من الضمير في «يَقْتتلانِ» وهو بعيدٌ لعدمِ انتِقالِهَا.

وقوله: «هٰذَا»[٤] و «هذا» على حكاية الحال الماضية، فكأنهما حاضران[٥]، أي: إذا نظر الناظر إليهما، قال: هذا من شيعته وهذا من عدوه[٦]. وقال المبرد: العرب تشير بهذا إلى الغائب، وأنشد لجرير:

٣٩٧٨ ـ هٰذَا ابنُ عَمِّي في دِمَشْقَ خَلِيفَة لَوْ شِئْتُ سَاقَكُمْ إِلَيَّ قَطِينَا[٧]

(فصل)[٨]

«هٰذَا مِنْ شِيعَتِهِ» من بني إسرائيل، «وهٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ» من القبط. قال مقاتل: كانا كافِرين إلا أنَّ أحدهما من القبط والآخر من بني إسرائيل، لقول موسى عليه السلام[٩] له: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾[١٠] [القصص: ١٨]. والمشهور أَنَّ الإسرائيلي كان مسلماً، قيل: إنه السامري، والقبطي طبَّاخ فرعون[١١]. قال سعيد[١٢] بن جبير عن ابن عباس: لمَّا بلغ موسى أشده لم يكن أحد من آل فرعون يخلُص إلى أحد من بني إسرائيل بظلم حتى امتنعوا كل الامتناع. وكان بنو[١٣] إسرائيل قد عزوا بمكان موسى، لأنهم كانوا يعلمون أنه منهم[١٤].

قوله «فَاسْتَغَاثَهُ» هذه قراءة العامة من الغوث أي طلب غوثه ونصره، وقرأ سيبويه وابن مقسم والزعفراني بالعين المهملة والنون من الإِعانة[١٥]. قال ابن عطية: هي[١٦] تصحيف[١٧] وقال ابن جبارة صاحب الكامل: الاختيار قراءة ابن مقسم، لأنَّ الإِعانة أَوْلَى

---

(١) هو نعيم بن ميسرة أبو عمرو الكوفي النحوي، روى عن أبي عمرو بن العلاء وعاصم بن أبي النجود، وروى عنه علي بن حمزة الكسائي. مات سنة ١٧٤هـ. طبقات القراء ٢/٣٤٢ ـ ٣٤٣.

(٢) المختصر (١١٢).

(٣) انظر التبيان ٢/١٠١٨.

(٤) هذا: سقط من ب.

(٥) انظر البحر المحيط ٧/١٠٩.

(٦) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/١٣٦.

(٧) لم أجد ما قاله المبرد في المقتضب والكامل، وهو في البحر المحيط ٧/١٠٩.
والبيت من بحر الكامل، وهو في ديوانه ١/٣٨٨، والكامل ٣/١٠٧٤، ١٠٧٥، أمالي ابن الشجري ٢/٢٧٦، البحر المحيط ٧/١٠٩، القطين: الخدم والمماليك والشاهد فيه استعمال (هذا) في الإشارة إلى غائب غير حاضر.

(٨) ما بين القوسين بياض في الأصل.

(٩) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(١٠) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢٣٣.

(١١) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢٣٣.

(١٢) في ب: عبيد. وهو تحريف.

(١٣) في ب: بني.

(١٤) انظر البغوي ٦/٣٢٦.

(١٥) انظر المختصر (١١٢)، البحر المحيط ٧/١٠٩.

(١٦) في الأصل: هو.

(١٧) تفسير ابن عطية ١١/١٠٩.

في هذا الباب[١] قال شهاب الدين: نسبة التصحيف إلى هؤلاء غير محمودة (كما أن تغالي)[٢] الهذلي في اختيار الشاذة غير محمود[٣].

قوله: «فَوَكَزَهُ» أي: دفعه بجميع كَفِّه[٤]، والفرق بين الوَكْزِ واللَّكْزِ: أَنَّ الأول بجميع الكف والثاني: بأطراف الأصابع، وقيل بالعكس، وقيل: اللكز في الصدر، والوكز في الظهر[٥]، والنَّكْزُ كاللَّكْزِ قال:

٣٩٧٩ ـ يَا أَيُّهَا الجَاهِلُ ذُو التَّنَزِّي لا تُوعِدني حَيَّةً بِالنَّكْزِ[٦]

وقرأ ابن مسعود «فَلَكَزَهُ»[٧] و «فَنَكَزَهُ»[٨] باللام والنون.

قوله: «فَقَضَى» أي: موسى، أو الله تعالى، أو ضمير الفعل أي[٩]: الوكز[١٠] «فَقَضَى عَلَيْهِ» أي: أماته، وقتله، وفرغ من أمره، وكل شيء فرغت منه فقد قضيته وقضيت عليه، فندم موسى ولم يكن قصده القتل، فدفنه في الرمل[١١]، و «قال: هٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ» فقوله: «هٰذَا» إشارة إلى القتل الصادر منه، و «مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ» أي: من وسوسته وتسويله.

فصل

احتج بهذه الآية من طعن في عصمة الأنبياء من وجوه:

أحدها: أن ذلك القبطي إما أن يكون مستحق القتل أو لم يكن كذلك، فإن استحق القتل فلم قال: «هٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ»؟ ولم قال: «ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي، فَغَفَرَ لَهُ»؟ وقال في سورة أخرى ﴿فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الشعراء: ٢٠]. وإن لم يستحق القتل كان قتله معصيةً وذنباً.

وثانيها: أنّ قوله: «هٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ» يدل على أنه كان كافراً حربياً، فكان دمه مباحاً،

---

(١) انظر البحر المحيط ٧/ ١٠٩. (٢) ما بين القوسين سقط من ب.
(٣) الدرالمصون ٥/ ٢١٣. (٤) انظر اللسان (وكز).
(٥) انظر الكشاف ٣/ ١٦٠، القرطبي ١٣/ ٢٦٠، البحر المحيط ٧/ ١٠٣.
(٦) رجز قاله رؤبة، وهو في ديوانه (٦٣)، الكتاب ٢/ ١٩٢، المقتضب ٤/ ٢١٨، أمالي ابن الشجري ٢/ ١٢١، ابن يعيش ٦/ ١٣٨، اللسان (نكز)، المقاصد النحوية ٤/ ٢١٩.
التنزي: خفة الجهل، وأصل التنزي: التوثب. النكز: الضرب والدفع، وهو موضع الشاهد هنا. واستشهد به النحاة على أن (ذو التنزي) نعت الجاهل مرفوع مع أنه مضاف، لأن الجاهل غير منادى فليس في موضع نصب حتى تنصب صفته على المحل.
(٧) انظر المختصر (١١٢)، الكشاف ٣/ ١٦٠، تفسير ابن عطية ١١/ ٢٧٥، البحر المحيط ٧/ ١٠٩.
(٨) انظر تفسير ابن عطية ١١/ ٢٧٥، البحر المحيط ٧/ ١٠٩.
(٩) في ب: إلى. وهو تحريف. (١٠) انظر البحر المحيط ٧/ ١٠٩.
(١١) انظر البغوي ٦/ ٣٢٧.

فَلِمَ استغفر عنه؟ والاستغفار من الفعل المباح غير جائز لأنه يوهم في المباح كونه حراماً.

وثالثها: أَنَّ الوكز لا يحصل عنه القتل ظاهراً. فكان ذلك قتل خطأ، فَلِمَ استغفر منه؟

والجواب عن الأول: لم لا يجوز أن يقال إنه لكفره مباح الدم؟ وأما قوله «هٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ» ففيه وجوه:

الأول: أنَّ الله تعالى وإن أباح قتل[1] الكفار، إلاَّ أنه كان الأَولى تأخير قتلهم[2] إلى زمان آخر، فلما قتل ترك ذلك المندوب؛ وهو قوله: «هٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ».

الثاني: أنَّ قوله: «هٰذَا» إشارة إلى عمل المقتول لا إلى عمل نفسه.

(**الثالث**: أنَّ قوله: «هَذَا» إشارة إلى المقتول)[3]. (يعني أنه من حزب الشيطان)[4] وجنده، يقال: فلان من عمل الشيطان أي من أحزابه[5]. وأما قوله «رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِر لِي» (فعلى نهج[6] قول آدم عليه السلام)[7] ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف: ٢٣] والمراد أحد وجهين: إما على سبيل الانقطاع إلى الله، والاعتراف بالتقصير عن القيام بحقوقه وإِنْ لم يكن هناك ذنب قط أو من حيث حرم نفسه الثواب بترك المندوب.

وأما قوله «فَاغْفِرْ لِي» أي: فاغفر لي ترك هذا المندوب. وفيه وجه آخر، وهو أنْ يكون المراد «رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي» حيث قتلت هذا الملعون، فإنَّ فرعون لو عرف ذلك لقتلني به، «فَاغْفِرْ لِيْ»، فاستره عليَّ ولا توصل خبره إلى فرعون، «فَغَفَرَ لَهُ» أي: ستره عن الوصول إلى فرعون، ويدل على هذا قوله «رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فلن أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ» فلو[8] كانت إعانة المؤمن هنا سبباً للمعصية لما قال ذلك، وأما قوله[9]: ﴿فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الشعراء: ٢٠] فلم يقل إني صرت بذلك ضالاً، بل اعترف أنه كان ضالاً أي: متحيراً لا يدري ما يجب عليه.

وأما قوله: إنْ كان كافراً حربياً فَلِمَ استغفر من قتله؟ قلنا: كون الكافر مباح الدم أمر يختلف باختلاف الشرائع، فلعلّ قتلهم كان حراماً في ذلك الوقت، أو[10] كان مباحاً لكن الأولى تركه على ما قررناه.

وأما قوله: كان قتل خطأ، قلنا: لا نسلم، فلعل الرجل إن كان ضعيفاً، وموسى عليه السلام[11] كان في نهاية الشدة فوكزه[12] كان قاتلاً قطعاً، ثم إن سلمنا

---

(١) في ب: عن قتل.
(٢) في ب: قتله.
(٣) ما بين القوسين تكملة من الفخر الرازي.
(٤) ما بين القوسين سقط من ب.
(٥) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٣٤.
(٦) نهج: تكملة من الفخر الرازي.
(٧) ما بين القوسين في ب: فقيل قول موسى ـ ﷺ ـ.
(٨) في ب: فلما.
(٩) فعلتها: سقط من ب.
(١٠) في ب: و.
(١١) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٢) في ب: فوكزه موسى.

ذلك[١] ولكنه ـ عليه السلام[١] ـ كان يمكنه أن يخلص الإسرائيلي من يده بدون الوكز الذي كان الأولى تركه، فلهذا أقدم على الاستغفار. على أنَّا وإن سلمنا دلالة هذه الآية على صدور المعصية، لكنَّا بيَّنَّا أنهُ لا دلالة البتة فيه، لأنه لم يكن رسولاً في ذلك الوقت فيكون ذلك قبل النبوة لا نزاع فيه[٢].

فصل

قالت المعتزلة: الآية تدل على بطلان قول من نسب المعاصي إلى الله، لأنه ـ عليه السلام[٣] ـ قال: «هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ»، فلو كانت بخلق الله لكانت من الله لا من الشيطان، وهو كقول يوسف ـ عليه السلام[٤] ـ ﴿مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ﴾ [يوسف: ١٠٠]، وقول فتى موسى ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الكهف: ٦٣]، وقوله تعالى: ﴿لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾[٥] [الأعراف: ٢٧]، وتقدم الكلام على ذلك.

قوله: «بِمَا أَنْعَمْتَ» يجوز في الباء أن تكون (قسماً و)[٦] الجواب مقدراً: لأَتوبنَّ، وتفسيره: فَلَنْ أكُون[٧]، قال القفال: كأنه أقسم بما أنعم الله عليه أن لا يظاهر مجرماً، أي: بنعمتك عليَّ[٨]، وأنْ تكون متعلقة بمحذوف ومعناها السببية، أي: اعصمني بسبب ما أنعمتَ به[٩] عليَّ[١٠]، ويترتب عليه قوله: «فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً»، و «مَا» مصدرية أو بمعنى الذي، والعائد محذوف، وقوله: «فَلَنْ» نفيٌ على حقيقته[١١]، وهذا يدل على أنه قال: لِمَ[١٢] أنعمت عليَّ بهذا الإنعام فإني لا أكون معاوناً لأحد من المجرمين بل أكون معاوناً للمسلمين، وهذا يدلّ على أَنَّ ما أقدم عليه من إعانة الإسرائيلي على القبطي كان طاعة لا معصية، إذ لو كان معصية لنزل الكلام منزلة قوله: «إنك لمَّا أنعمت عليَّ بقبول[١٣] توبتي من تلك المعصية[١٤]».

وقال الكسائي[١٥] والفراء[١٦]: إنه خبر ومعناه الدعاء، وإنَّ «لَنْ» واقعة موقع «لا»،

---

(١) ذلك: تكملة من الفخر الرازي.
(٢) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٣) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥.
(٤) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٥) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٣٥.
(٦) ما بين القوسين في الأصل: فيها.
(٧) انظر الكشاف ٣/ ١٦٠، التبيان ٢/ ١٠١٨، البحر المحيط ٧/ ١٠٩.
(٨) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٣٥.
(٩) به: سقط من ب.
(١٠) انظر الكشاف ٣/ ١٦٠، التبيان ٢/ ١٠١٨، البحر المحيط ٧/ ١٠٩ ـ ١١٠.
(١١) قال الأخفش: (وقال: «فلن أكون ظهيراً» كما تقول: لن يكون فلان في الدار مقيماً، أي: لا يكونن مقيماً) معاني القرآن ٢/ ٦٥٢.
(١٢) في ب: لما.
(١٣) بقبول: تكملة من الفخر الرازي.
(١٤) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٣٥.
(١٥) انظر إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٣٢.
(١٦) معاني القرآن ٢/ ٣٠٤.

كأنه قال: ولا تجعلني ظهيراً، قال الفراء: في حرف عبد الله «وَلاَ تَجْعَلْنِي ظَهِيراً»[١] قال الشاعر:

٣٩٨٠ ـ لَنْ تَزَالُوا كَذلِكُم ثُمَّ لا زِلْـ ـتَ لَهُمْ خَالِداً خُلُودَ الجِبَالِ[٢]

قال شهاب الدين: وليس في الآية والبيت دلالة على وقوع «لن» موقع «لا»، لظهور النفي فيهما من غير تقدير دعاء[٣].

فصل

قال ابن عباس: «بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ» بالمغفرة، «فَلَنْ أَكُوْنَ ظَهِيراً» عوناً «لِلْمُجْرِمينَ»، أي: للكافرين وهذا يدل على أن الإسرائيلي الذي أعانه موسى كان كافراً، وهو قول مقاتل، وقال قتادة: لن أعين بعدها على خطيئة.

قال ابن عباس: لم يستثن فابتلي به في اليوم الثاني[٤]، (وهذا ضعيف، لأنه في اليوم الثاني ترك الإعانة، وإنما خاف منه ذلك العدو، فقال: ﴿إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا﴾ [القصص: ١٩] إلاّ أنه لم يقع منه)[٥][٦].

قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾﴾

قوله: «فَأَصْبَحَ فَي المَدِينَةِ» التي قتل فيها القبطي «خَائِفاً» الظاهر أنه خبر «أصبح»، و «فِي المَدِينَةِ» مفعول به، ويجوز أن يكون حالاً، والخبر «فِي المَدِينَةِ»[٧]، ويضعف تمام «أَصْبَحَ» أي: دخل في الصباح.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) البيت من بحر الخفيف قاله الأعشى وهو في ديوانه ١٦٩، البحر المحيط ٧/ ١١٠، المغني ١/ ٢٨٤، شرح التصريح ٢/ ٢٣٠، الهمع ١/ ١١١، ٤١٢، شرح شواهد المغني ٢/ ٦٨٤، الأشموني ٣/ ٢٧٨، الدرر ١/ ٨٠. والشاهد فيه أن (لن) أتت للدعاء كما أن (لا) كذلك والدليل عطف الدعاء عليه، وهو قوله: (ثم لا زلت...) وفاقاً لجماعة منهم ابن السراج وابن عصفور، والأكثرون أن (لن) تفيد النفي فقط، فالكلام معها على الإخبار.

(٣) الدر المصون ٥/ ٣١٤.

(٤) انظر البغوي ٦/ ٢٢٧.

(٥) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٣٥.

(٦) ما بين القوسين سقط من ب.

(٧) انظر البيان ٢/ ٢٣٠.

قوله: «يَتَرَقَّبُ» يجوز أن يكون خبراً ثانياً، وأن يكون حالاً ثانية، وأن يكون بدلاً من الحال (الأولى)[١][٢]، أو الخبر الأول، أو حالاً من الضمير في «خَائِفاً»[٣] فتكون متداخلة، ومفعول «يَتَرَقَّبُ» محذوف، أي: يترقب المكروه، أو الفرج، أو الخبر: هل وصل لفرعون أم لا؟[٤] قوله: «فَإِذَا الَّذِي» «إِذَا» فجائية، و «الَّذِي» مبتدأ وخبره إمَّا «إِذَا» فـ «يَسْتَصْرِخُهُ» حال، وإمَّا «يَسْتَصْرِخُهُ» فـ «إِذَا» فضلة على بابها[٥]، و «بِالأَمْسِ» معرب، لأنه متى دخلت عليه «ال» أو[٦] أضيف أعرب، ومتى عَرِيَ منها فحاله معروفٌ، الحجاز[٧] يبنونه، والتميميون يمنعونه الصرف[٨]، كقوله:

٣٩٨١ ـ لَقَدْ[٩] رَأَيْتُ عَجَباً مُذْ أَمْسَا[١٠]

على أنه قد بُنِيَ مع «ال» ندوراً، كقوله:

٣٩٨٢ ـ وَإِنِّي حُبِسْتُ اليَوْمَ والأَمْسِ قَبْلَهُ ... إِلَى الشَّمْسِ حَتَّى كَادَتِ الشَّمْسُ تَغْرُبُ[١١]

يروى بكسر السين.

قوله: «قَالَ لَهُ مُوسَى» الضمير قيل للإسرائيلي، لأنه كان سبباً في الفتنة الأولى، وقيل للقبطي[١٢]، وذلك أنَّ موسى لما أصبح خائفاً من قتل القبطي «يَتَرَقَّب» ينتظر سوءاً، والترقب انتظار المكروه. قال الكلبي: ينتظر متى يؤخذ به، «فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بالأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ» يستغيثه ويصيح به من بعد[١٣]، قال ابن عباس: أتى فرعون فقيل له: إنَّ بني

---

(١) انظر التبيان ٢/١٠١٨.
(٢) ما بين القوسين في ب: الأول.
(٣) انظر التبيان ٢/١٠١٨.
(٤) انظر البحر المحيط ٧/ ١٠١.
(٥) انظر البيان ٢/ ٢٣٠ ـ ٢٣١، التبيان ٢/١٠١٨.
(٦) في ب: و.
(٧) في ب: أهل الحجاز.
(٨) انظر الكتاب ٣/ ٣٨٣ ـ ٢٨٥، ابن يعيش ٤/١٠٦ ـ ١٠٧، شرح التصريح ٢/ ٢٢٥ ـ ٢٢٦، الهمع ١/ ٢٠٨ ـ ٢٠٩.
(٩) لقد: سقط من الأصل.
(١٠) رجز ينسب للعجاج وهو في الكتاب ٣/ ٢٨٥، أمالي ابن الشجري ٢/ ٢٦٠، ابن يعيش ٤/١٠٦، شذور الذهب ٩٩، المقاصد النحوية ٤/٣٥٧، شرح التصريح ٢/ ٢٢٦، الهمع ١/ ٢٠٩ الخزانة ٧/ ١٦٧، الدرر ١/ ١٧٥. والشاهد فيه أعراب (أمس) مع منعها من الصرف للعلمية والعدل عن (الأمس) عند بني تميم.
(١١) البيت من بحر الطويل، قاله نصيب بن رباح، شاعر إسلامي، وهو في الخصائص ٣/ ٥٧، المحتسب ٢/ ١٩٠، الإنصاف ١/ ٣٢٠، اللسان (أمس)، شذور الذهب ١٠١، الهمع ١/ ٢٠٩ الدرر ١/ ١٧٥. والشاهد فيه قوله: (الأمس) بكسر السين، فهو مبني، والأصل فيه الإعراب لأنه اقترن بـ (أل) فكان الواجب فيه النصب إعراباً.
وروي بفتح السين على الأصل، لأنه معطوف على (اليوم) وهو منصوب، والمعطوف على المنصوب منصوب.
(١٢) انظر البحر المحيط ٧/ ١١٠.
(١٣) انظر البغوي ٦/ ٣٢٧.

إسرائيل قتلوا مِنَّا رجلاً فخذ لنا بحقنا، فقال ابغوا[١] لي قاتله ومن يشهد عليه (فلا تنسبوني أن أقضي)[٢] بغير بينة، فبينما هم يطوفون لا يجدون بيّنة إذ مَرَّ مُوسَى من الغد، فرأى ذلك الإسرائيلي يقاتل فرعونياً، فاستغاثه على الفرعوني، فصادف موسى وقد ندم على ما كان منه بالأمس من قتل القبطي، فقال موسى للإسرائيلي: «إِنَّكَ لمغويّ مُبِينٌ» (أي: ظاهر الغواية)[٣][٤]. قال أهل اللغة: «لَغَوِيٌّ» يجوز أن يكون فَعِيلاً بمعنى مفعل، أي: إنَّك لمغويّ، فإنِّي وقعتُ بالأمس فيما وقعت فيه بسببك. ويجوز أن يكون بمعنى الغاوي[٥]: قاتلت رجلاً بالأمس فقتلته بسببك، وتقاتل اليوم آخر، وتستغيثني عليه، وقيل: إنما قال موسى للفرعوني: «إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ» بظلمك، والأكثرون على الأول[٦].

قوله: «فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ» الظاهر أنَّ الضميرين[٧] لموسى، وقيل للإسرائيلي[٨]، والعدو: هو القبطي، والضمير في «قَالَ يَا مُوسَى» للإسرائيلي، كأنه توهم من موسى مخاشنة، فَمِنْ ثَمَّ قال ذلك، وبهذا فشا خبره وكان مشكوكاً في قاتله[٩]. و «أَنْ» تطرد زيادتها في موضعين:

أحدهما: بعد لمَّا كهذه.

والثاني: قبل «لَوْ» مسبوقة بقسم كقوله:

٣٩٨٣ ـ أَمَا وَاللَّهِ أَنْ لَوْ[١٠] كُنْتُ حُراً[١١]

٣٩٨٣ م ـ فَأُقْسِمُ أَنْ لَو التَقَيْنَا وَأَنْتُمُ لَكَانَ لَكُمْ يَوْمٌ مِنَ الشَّرِّ مُظْلِمُ[١٢]

والعامة على «يَبْطِش» بالكسر، وضمَّها أبو جعفر[١٣]، وقيل: إن القائل «يَا مُوسَى» هو القبطي، وكان قد عرف القصة من[١٤] الإسرائيلي. قال ابن الخطيب: وهذا هو الظاهر، لقوله: «فَلَمَّا[١٥] أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى»، فهذا

---

(١) يريد: اطلبوا إلى.
(٢) ما بين القوسين في الأصل: لن يقضي.
(٣) انظر البغوي ٦/٣٢٧.
(٤) ما بين القوسين مكرر في ب.
(٥) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢٣٦.
(٦) انظر البغوي ٦/٣٢٧ ـ ٣٢٨.
(٧) في ب: الضمير. وهو تحريف.
(٨) انظر البحر المحيط ٧/١١٠.
(٩) انظر القرطبي ١٣/٢٦٥.
(١٠) في ب: لو أن. وهو تحريف.
(١١) صدر بيت من بحر الوافر لم أهتد إلى قائله، وعجزه:

وما بالحر أنت ولا العتيق

وهو في الإنصاف ١/٢٠٠، المقرب ٢٢٥، المغني ١/٣٣، شرح شواهده ١/١١١، شرح التصريح ٢/٢٣٣، الخزانة ٤/١٤١، ١٤٣، الحر: يطلق على ضد الرقيق وعلى الكريم، وكذلك العتيق. والشاهد فيه زيادة (أن) بعد القسم، وبعدها (لو).
(١٢) البيت من بحر الطويل، قاله المسيب بن علس. والشاهد فيه زيادة (أن) بعد القسم وبعدها (لو) وقد تقدم.
(١٣) انظر البحر المحيط ٧/١١٠، الإتحاف ٣٤٢.
(١٤) من: سقط من ب.
(١٥) فلما: سقط من ب.

القول منه لا من غيره، وأيضاً قوله: «إِنْ تُرِيدُ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ جَبَّاراً فِي الأَرْضِ» لا يليق إلا بقول الكافر[١]، والجبار: هو الذي يفعل ما يريده من الضرب والقتل بظلم، ولا ينظر في العواقب، وقيل: المتعظم[٢]، «وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ المُصْلِحِينَ»، قال المفسرون: فلما سمع القبطي قول الإسرائيلي علم أَنَّ موسى هو الذي قتل ذلك الفرعوني، فانطلق إلى فرعون فأخبره بذلك، وأمر[٣] فرعون بقتل موسى. قال ابن عباس: أرسل فرعون الذباحين لقتل موسى فأخذوا الطريق الأعظم[٤]. قوله: «وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا المَدِينَةِ يَسْعَى»، أي: من آخر المدينة اسمه: حزقيل مؤمن آل فرعون، وقيل اسمه[٥] شمعون، وقيل: (شمعان)[٦][٧]: «يَسْعَى» قال الزمخشري: «يَسْعَى» يجوز ارتفاعه وصفاً لـ «رَجُلٌ» وانتصابه حالاً عنه، لأنه قد تخصص بالوصف بقوله: «مِنْ أَقْصَى المَدِينَةِ»، فإن جعلت «مِنْ أَقْصَى» متعلقاً بـ «جَاءَ» فـ «يَسْعَى» صفة ليس إلا[٨]. وهذا بناء منه على مذهب الجمهور، وقد تقدَّم أَنَّ سيبويه يجيز ذلك من غير شَرْط[٩].

وفي آية يس[١٠] قدَّمَ «مِنْ أَقْصَى» على «رَجُل»، لأنه لم يكن من أقصاها وإنما جاء منها[١١] وهنا وصفه بأنه من أقصاها، وهما رجلان مختلفان وقضيتان متباينتان.

(قوله)[١٢] «يَأْتَمِرُونَ» أي: يتآمرون بمعنى يتشاورون، كقول النمر بن تولب:

٣٩٨٤ ـ أَرَى النَّاسَ قَدْ أَحْدَثُوا شبهَةً وَفِي كُلِّ حَادِثَةٍ مُؤْتَمَرْ[١٣]

وعن ابن قتيبة: يأمر بعضهم بعضاً[١٤]. أخذه من قوله تعالى ﴿وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾ [الطلاق: ٦]. (قوله)[١٥] «فَاخْرُجْ» أي: من المدينة، «إِنِّي لَكَ مِنَ[١٦] النَّاصِحِينَ» في الأمر بالخروج، فقوله «لَكَ»، يجوز أن يتعلق بما يدلُّ «النَّاصِحِينَ» عليه، أي؛ ناصحٌ لك من الناصحين، أو بنفس «النَّاصِحِينَ» للاتساع في الظرف، أو على جهة البيان أي: أعني

---

(١) الفخر الرازي ٢٤/ ٢٣٧.
(٢) المرجع السابق.
(٣) في ب: فأمر.
(٤) انظر البغوي ٦/ ٣٢٨.
(٥) اسمه: سقط من ب.
(٦) انظر البغوي ٦/ ٣٢٨.
(٧) ما بين القوسين في ب: يسمعون. وهو تحريف.
(٨) الكشاف ٣/ ١٦١، وفيه: وإذا جعل صلة لـ «جاء» لم يجز في (يسعى) إلا الوصف.
(٩) تقدم قريباً.
(١٠) يشير إلى قوله تعالى: **﴿وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين﴾** [يس: ٢٠]. وفي ب: ليس. وهو تحريف.
(١١) في النسختين: منه.
(١٢) ما بين القوسين بياض في الأصل.
(١٣) البيت من بحر المتقارب قاله النمر بن تولب، شاعر مخضرم، وهو في مجاز القرآن ٢/ ١٠٠، تفسير ابن عطية ١١/ ٢٨٠، القرطبي ١٣/ ٢٦٦، البحر المحيط ٧/ ١١١.
(١٤) تفسير غريب القرآن (٣٣٠ ـ ٣٣١).
(١٥) ما بين القوسين بياض في الأصل.
(١٦) في الأصل: لمن. وهو تحريف.

لك[١]. «فَخَرَجَ مِنْهَا» موسى «خَائِفاً يَتَرَقَّبُ» هِدَايَتَهُ وغَوْثَ الله إيَّاهُ، «قَالَ رَبِّ نَجِّني مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» أي؛ الكافرين وهذا يدلُّ على أن قتله لذلك القبطي لم يكن ذنباً وإلا لكانَ هو الظالم لهم، وما كانوا ظالمين له بسبب طلبهم له ليقتلوه قصاصاً[٢].

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ
(٢٢) وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ
ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ
(٢٣) فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (٢٤)
فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا
فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ (٢٥) قَالَتْ
إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ (٢٦) قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ
أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ
وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (٢٧) قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى
وَبَيْنَكَ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (٢٨)﴾

قوله: «وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ» أي: قصد نحوها ماضياً إليها، يقال: داره تلقاء دار فلان، إذا كانت محاذيتها وأصله من اللقاء. قال الزجاج: أي: سلك الطريق الذي تلقاء مدين فيها[٣]. قال ابن عباس: خرج وما قصد مدين ولكنه سلم نفسه إلى الله ومشى من غير معرفة فأسلمه الله إلى مدين[٤]، وقيل: وقع في نفسه أن بينهم وبينه قرابة؛ لأنهم من ولد مدين بن إبراهيم وكان من بني إسرائيل، سميت البلدة باسمه فخرج ولم يكن له علم بالطريق بل اعتمد على الله[٥]، وقيل: جاءه[٦] جبريل عليه السلام، وعلمه الطريق[٧].

قال ابن إسحاق: خرج من مصر إلى مدين خائفاً[٨] بلا زاد ولا ظهر وبينهما مسيرة ثمانية أيام ولم يكن له طعام إلا ورق الشجر[٩]. «قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ»، أي: قصد الطريق إلى مدين.

قوله: «وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ» وهو الماء الذي يستقون منه وهو بئر، وورده: مجيئه، والوصول إليه، «وَجَدَ عليه» أي: على شفيره («أُمَّةً» جماعة كثيفة العدد «مِنَ

---

(١) انظر البحر المحيط ١١١/٧.
(٢) انظر الفخر الرازي ٢٣٧/٢٤.
(٣) معاني القرآن وإعرابه ١٣٨/٤.
(٤) انظر الفخر الرازي ٢٣٨/٢٤.
(٥) المرجع السابق.
(٦) في ب: جاءهم.
(٧) انظر الفخر الرازي ٢٣٨/٢٤.
(٨) في الأصل: حافياً.
(٩) انظر الفخر الرازي ٢٣٨/٢٤.

النَّاسِ» مختلفين «يَسْقُونَ» منها مواشيهم)[١]، «وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِم» أي: سوى الجماعة، وقيل: في مكان أسفل من مكانهم[٢].

قوله: «امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ» فـ «تذودان» صفة لـ «امْرَأَتَيْنِ» لا مفعول ثان، لأنَّ «وَجَدَ» بمعنى: لقي، والذَّوْدُ: الطرد[٣] والدفع[٤]، قال:

٣٩٨٥ ـ فَقَامَ يَذُودُ النَّاسَ عَنْهَا بِسَيْفِهِ[٥]

وقيل: حبس[٦]، ومفعوله محذوف، أي: يَذُودانِ النَّاسَ عن غَنمهما[٧]، أو عن مزاحمة الناس[٨]، وقال[٩] الزمخشري: لم ترك المفعول غير مذكور في «يَسْقُونَ» و «تَذُودَانِ» و «لاَ نَسْقِي»، قُلتُ: لأنَّ الغرض هو الفعل لا المفعول، وكذلك قَوْلهُمَا: «لاَ نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاء» المقصود منه السَّقي لا المَسْقِيّ[١٠].

(فصل)

واختلفوا في السبب المقتضي لذلك الحبس، فقال الزجاج: لئلا تختلط أغنامهما بأغنامهم[١١]، وقيل: لئلا يختلطن بالرجال، وقيل: كانتا تذودان عن وجوههما نظر الرجال لتسترهما[١٢]، وقيل: تذودان الناس عن غنمهما[١٣]، وقال الفراء: يحبسانها لئلا تتفرق وتتسرب[١٤]، وقيل: تذودان أي: معهما قطيع من الغنم، والقطيع من الغنم يسمى: ذوداً، وكذلك قطيع البقر وقطيع الإبل. قال عليه السلام: «لَيْسَ فِيمَا دُونَ خَمْسِ ذَوْدٍ صَدَقَة»[١٥] وقال الشاعر:

٣٩٨٦ ـ ثَلاَثَةُ أَنْفُسٍ، وَثَلاَثُ ذَوْدٍ ... لَقَدْ جَارَ الزَّمَانُ عَلَى عِيَالِي[١٦])[١٧]

---

(١) ما بين القوسين سقط من ب. (٢) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٣٩.
(٣) في ب: الطرف. وهو تحريف. (٤) انظر الكشاف ٣/ ١٦١.
(٥) صدر بيت من بحر الطويل، لم أهتد إلى قائله، وعجزه:

وقال ألا لا من سبيل إلى هند

وقد تقدم.
(٦) انظر معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٠٥. (٧) وهو قول قتادة. انظر القرطبي ١٣/ ٢٦٨.
(٨) وهو قول ابن عباس. المرجع السابق. (٩) في الأصل: قال.
(١٠) الكشاف ٣/ ١٦٢.
(١١) لم أجد ما قاله الزجاج في معاني القرآن وإعرابه وهو في الفخر الرازي غير منسوب.
(١٢) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٣٩. (١٣) وهو قول قتادة. القرطبي ١٣/ ٢٦٨.
(١٤) معاني القرآن ٢/ ٣٠٥.
(١٥) أخرجه البخاري (زكاة) ١/ ٢٥١، ٢٥٤، ٢٥٩، ومسلم (زكاة) ٢/ ٦٧٤ ـ ٦٧٥.
(١٦) البيت من بحر الوافر، قاله الحطيئة، وتقدم تخريجه.
(١٧) ما بين القوسين سقط من ب.

قوله: «مَا خَطْبكُمَا» تقدم في طه[١]، وقال الزمخشري: هنا حقيقته: مَا مخطُوبُكما؟ أي: ما مطلُوبُكُمَا من الذياد؟ فسمي المخطُوب خطباً كما سمي المشئُونُ شأناً في قولك: ما شأْنُكَ؟ يقال: شَأَنْتُ شَأْنَهُ، أي: قَصَدْتُ قَصْدَه[٢]. وقال ابن عطية: السؤال بالخطب[٣] إنما هو في مُصَاب أو مُضطهد أو مَنْ يُشْفقُ عليه أو يأتي بمنكر من الأمر[٤]. وقرأ شَمِر[٥] «خِطْبَكُمَا» بالكسر أي: ما زوجكما؟ أي: لِمَ تَسْقِيَانِ وَلَمْ يَسْقِ زَوْجُكُمَا؟ وهي شاذة جداً[٦].

قوله: «حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ» قرأ أبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر بفتح الياء وضم الدال من صَدَرَ يَصْدُرُ وهو قاصر، أي: حتى يرجع الرعاء: أي[٧]: يرجعون بمواشيهم، والباقون[٨] بضم الياء وكسر الدال مضارع أَصدرَ[٩] مُعدًّى بالهمزة، والمفعول محذوف، أي: يُصدرُونَ مواشِيهم[١٠]، والعامة على كسر الراء[١١] من «الرِّعَاء»، وهو جمع تكسير غير مقيس لأنَّ فاعلاً الوصف المعتل اللام كقاضٍ قياسه (فُعَلَة) نحو قُضَاة ورُمَاة[١٢]. وقال الزمخشري[١٣]: وأما الرِّعَاء بالكسر فقياس كصِيام وقِيام[١٤]. وليس كما ذكر (لِمَا ذَكَرْنَاهُ)[١٥]. وقرأ أبو عمرو ـ في رواية[١٦] ـ بفتح الراء. قال أبو الفضل: هو مصدر

---

(١) يريد قوله تعالى: ﴿قال فما خطبك يا سامري﴾ [طه: ٩٥]. ولم يذكر هناك معنى الخطب وإنما ذكره عند قوله تعالى: ﴿قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه﴾ [يوسف: ٥١] وذكر هناك: والخطب الأمر والشأن الذي فيه خطر، وهو في الأصل مصدر خطب يخطب وإنما يخطب في الأمور العظام. انظر اللباب ٥/ ٤٢.

(٢) الكشاف ٣/ ١٦١.

(٣) في الأصل: بالخطاب.

(٤) تفسير ابن عطية ١١/ ٢٨٥.

(٥) هو شمر بن حمدويه الهروي، أبو عمرو اللغوي، الأديب، أخذ عن الفراء والأصمعي وأبي حاتم وغيرهم، ألف كتاباً كبيراً في اللغة لم ينسخ في حياته ففقد بعد موته إلا يسيرًا. بغية الوعاة ٢/ ٤ ـ ٥.

(٦) انظر البحر الميحط ٧/ ١١٣.

(٧) في ب: أو.

(٨) في ب: والثاني. وهو تحريف.

(٩) السبعة (٤٩٢)، الكشف ٢/ ١٧٢ ـ ١٧٣، النشر ٢/ ٣٤١، الإتحاف (٣٤٢).

(١٠) انظر البيان ٢/ ٢٣١.

(١١) الراء: سقط من ب.

(١٢) انظر الأشموني ٤/ ١٣٢.

(١٣) الزمخشري: سقط من ب.

(١٤) أي: جمع صائم وقائم. الكشاف ٣/ ١٦١. ورد أبو حيان على الزمخشري في هذه المسألة، قال: (وليس بقياس لأنه جمع راع، وقياس (فاعل) الصفة التي للعاقل أن تكسر على (فعلة) كقاضٍ وقضاة، وما سوى جمعه هذا فليس بقياس) البحر المحيط ٧/ ١١٣، وقد جاء في اللسان ما يوافق قول الزمخشري، قال ابن منظور: (وراعي الماشية حافظها. صفة غالبة غلبة الأسم والجمع رعاة، مثل قاضٍ وقضاة، ورعاء مثل جائع وجياع، ورعيان مثل شابٌ وشبّان كسَّروه تكسير الأسماء كحاجر وحجران، لأنها صفة غالبة، وليس في الكلام اسم على فاعل يعتور عليه فعلة وفعال إلا هذا، وقولهم: آسٍ وأساةٌ وإساءٌ) اللسان (رعى).

(١٥) ما بين القوسين في ب: كما ذكرنا.

(١٦) في رواية عياش. حكاها أبو حيان عن أبي الفضل الرازي. انظر البحر المحيط ٧/ ١١٣.

أقيم مقام الصفة فلذلك استوى فيه الواحد والجمع أو على حذف مضاف[١]، وقرىء بضمها[٢]، وهو اسم جمع كرخال[٣] وثُنَاء[٤]. وقرأ ابن مصرف «لا نُسْقِي» بضم النون[٥] من أَسْقَى، وتقدم الفرق بين سَقَىٰ وأَسْقَى في النحل[٦]، والمعنى لا نسقي حتى يرجع الرّعاء عن الماء، والرّعاء جمع راع مثل تاجر وتِجَار[٧]، أي: نحن امرأتان لا نطيق أن نزاحم الرجال فإذا صدروا سقينا مواشينا ما أفضلت مواشيهم في الحوض، و «أَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ» لا يقدر أن يسقي مواشيه ولذلك احتجنا نحن إلى سقي الغنم[٨].

فصل

قال مجاهد والضحاك والسدي والحسن: أبوهما[٩] هو شعيب النبي ﷺ[١٠]. (وإنه عاش عمراً طويلاً بعد هلاك قومه حتى أدركه موسى عليه السلام، وتزوج بابنته)[١١]. وقال وهب وسعيد بن جبير: هو يثرون ابن أخي شعيب (وكان شعيب)[١١] قد مات بعد[١٢] ذلك بعدما كف بصره فدفن بين المقام وزمزم[١٣]. وقيل: رجل ممن آمن بشعيب[١٤]. قالوا: فلما سمع[١٥] قولهما رحمهما فاقتلع صخرة من رأس بئر أخرى كانت بقربهما لا يطيق رفعها إلا جماعة من الناس[١٦]، وقال ابن إسحاق: إنَّ موسى زاحم القوم ونحاهم عن رأس البئر فسقى غنم المرأتين[١٧]. وروي أن القوم لمَّا رجعوا بأغنامهم غطوا رأس البئر بحجر لا يرفعه إلا عشر[١٨] نفر، فجاء موسى فرفع الحجر وحده، وسقى غنمهما[١٩]، ويقال: إنه نزع ذنوباً واحداً ودعا فيه بالبركة فروي منه جميع الغنم[٢٠].

قوله: «فَسَقَى لَهُمَا» مفعوله محذوف أي: غنمهما لأجلهما[٢١]، «ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ» أي: إلى ظل شجرة فجلس في ظلها من شدة الحر وهو جائع. قال الضحاك: لبث سبعة أيام لم يذق طعاماً إلا بقل الأرض[٢٢].

---

(١) انظر البحر المحيط ٧/ ١١٣.
(٢) انظر المختصر (١١٢)، الكشاف ٣/ ١٦١.
(٣) الرِّخال: جمع رخل، الأنثى من أولاد الضأن. اللسان (رخل).
(٤) ثناء: جمع ثنية، وهي الناقة التي ولدت بطنين. اللسان (ثنى).
(٥) انظر المختصر (١١٢).
(٦) عند قوله تعالى: ﴿**وإنَّ لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم ممَّا في بطونه**﴾ من الآية (٦٦).
(٧) انظر القرطبي ١٣/ ٢٦٩. وفي ب: وتجار أي تجار.
(٨) انظر البغوي ٦/ ٣٣٠.
(٩) في ب: وأبوهما.
(١٠) انظر البغوي ٦/ ٣٣٠.
(١١) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٢) في ب: قبل.
(١٣) انظر البغوي ٦/ ٣٣٠.
(١٤) المرجع السابق.
(١٥) في ب: أسمع.
(١٦) انظر البغوي ٦/ ٣٣٠.
(١٧) المرجع السابق.
(١٨) في ب: عشرة.
(١٩) انظر البغوي ٦/ ٣٣٠.
(٢٠) المرجع السابق.
(٢١) انظر البحر المحيط ٧/ ١١٣.
(٢٢) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٤٠.

فصل

«لِمَا أَنْزَلْتَ» متعلق بـ «فَقِير» قال الزمخشري: عُدِّي فقير[١] باللام لأنه ضمن معنى سائل وطالب ويحتمل إني فقير من الدنيا لأجل ما أنزلتَ إليَّ من خير[٢] الدين، وهو النجاة من الظالمين[٣]. يعني أن افتقر يتعدى بـ «مِنْ»، فإمَّا أن نجعله من باب التضمين، وإمّا أَنَّ[٤] متعلقه محذوفٌ و «أَنْزَلْتَ» قيل ماض على أصله، ويعني بالخير ما تقدم من خير الدين، وقيل: بمعنى المستقبل[٥]. قال أهل اللغة: اللام بمعنى إلى، يقال: فقير له، وفقير إليه، فإنْ قيل: كيف ساغ بنبي الله شعيب أن يرضى لابنتيه[٦] السعي بالماشية فالجواب: أنَّ الناس اختلفوا فيه: هل هو شعيب أو غيره كما تقدم، وإن سلمنا أنه شعيب[٧] لكن لا مفسدة فيه، لأن الدين لا يأباه، وأحوال أهل[٨] البادية غير أحوال أهل الحضر[٩] سيما إذا كانت الحالة حالة[١٠] ضرورة[١١].

فصل

قال ابن عباس: سأل الله تعالى فلقة خبز يقيم بها صلبه[١٢]. قال الباقر[١٣]: لقد قالها وإنه لمحتاج إلى شق تمرة[١٤]، وقال سعيد بن جبير: قال[١٥] ابن عباس: لقد قال[١٦] «رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِير» وهو أكرم خلقه عليه، ولقد افتقر إلى شق تمرة[١٧]، وقيل: إنما قال ذلك في نفسه مع ربه، وهو اللائق بموسى عليه السلام[١٨]. فلما رجعتا إلى أبيهما سريعاً قبل الناس وأغنامهما حُفّل بِطَان[١٩] قال لهما: ما أعجلكما؟ قالتا: وجدنا رجُلاً صالِحاً رحيماً فسقى لنا أغنامنا، فقال لإحداهما: اذهبي فادعيه لي[٢٠]، قوله «فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا» قرأ ابن محيصن: «فَجَاءَتْهُ حْدَاهمَا» بحذف الهمزة تخفيفاً[٢١] على غير قياس، كقولهم: يا با فلان، وقوله:

---

(١) في ب: فقيراً.
(٢) في ب: من خير فقير.
(٣) الكشاف ٣/ ١٦٢.
(٤) في ب: وإما أن يكون.
(٥) انظر القرطبي ١٣/ ٢٧٠.
(٦) لابنته: سقط من ب.
(٧) في ب: لا شعيب. وهو تحريف.
(٨) في ب: أهلي. وهو تحريف.
(٩) في ب: و. وهو تحريف.
(١٠) في ب: حال.
(١١) انظر الكشاف ٣/ ١٦٢، الفخر الرازي ٢٤/ ٢٤٠.
(١٢) انظر البغوي ٦/ ٣٣٠ ـ ٣٣١.
(١٣) هو محمد بن علي زين العابدين الباقر الإمام الخامس للشيعة ولد وتوفي بالمدينة. مات سنة ١١٤هـ. المنجد ١٠٦ ـ ١٠٧.
(١٤) انظر البغوي ٦/ ٣٣١.
(١٥) في ب: عن.
(١٦) في ب: لقد قال موسى.
(١٧) انظر البغوي ٦/ ٣٣١.
(١٨) المرجع السابق.
(١٩) أي: ممتلئة البطن.
(٢٠) انظر الكشاف ٣/ ١٦٢.
(٢١) انظر المحتسب ٢/ ١٥٠، البحر المحيط ٧/ ١١٤.

٣٩٨٧ ـ يَا بَا المُغيرة رُبَّ أمْرٍ مُعْضِلٍ فَرَّجْتهُ بِالنُّكْرِ عَنِّي وَالدَّهَا[١]

وَوَيْلُمِّه أي: ويلٌ لأُمِّهِ. قال:

٣٩٨٨ ـ وَيلُمِّهَا حَالُه[٢] لَوْ أَنَّهَا صَدَقَتْ[٣]

و «تَمْشِي» حال، و «اسْتِحْيَاءٍ» حال أخرى، إما من «جَاءَتْ» وإما من «تَمْشِي»[٤].

فصل

قال عمر بن الخطاب: ليست بسلفع[٥] من النساء خرَّاجة ولاَّجة، ولكن جاءت مستترة وضعت كم درعها على وجهها استحياء[٦]. «قَالَتْ[٧] إِنَّ أَبِي يَدْعُوك لِيَجْزِيكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا» صرحت[٨] بهذا لئلا يوهم كلامها ريبة، وهذا من تمام حيائها وصيانتها، وقيل: ماشية على بُعْد، مائلة عن الرجال[٩]. وقال عبد العزيز بن أبي حازم[١٠]: على إجلال له[١١]، ومنهم من يقف على قوله «تَمْشِي»، ثم يبتدىء «على استِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ»[١٢] أي: إنها على استحياء قالت هذا القول، لأن الكريم إذا دعا[١٣] غيره إلى الضيافة يستحي لا سيما المرأة[١٤]. قال ابن إسحاق: اسم الكبرى صَفورا والصغرى لبنا، وقيل ليا[١٥]، وقال غيره: صَفُورا وصَفِيرا[١٦]. وقال الضحاك: صافُورا[١٧]، قال

---

(١) البيت من بحر الكامل، ونسبه في التصريف الملوكي (٣٨) إلى أبي الأسود الدؤلي، وليس في ديوانه. والشاهد فيه حذف الهمزة في قوله (يا با)، وهذا الحذف للتخفيف وليس بقياس. وفيه أيضاً قصر (الدها) والأصل فيه المد.

(٢) في ب: حال.

(٣) لم أعثر على تتمة لهذا البيت، ولا قائله، والشاهد فيه قوله (ويلمها) الأصل: ويل لأمها فحذفت الهمزة من الأم تخفيفاً، ثم تبعتها لام الجر المعدية للمصدر حتى لا تلتقي مع اللام قبلها.

(٤) انظر البيان ٢/ ٢٣١.

(٥) السلفع من النساء: الجريئة على الرجال.

(٦) انظر البغوي ٦/ ٣٣١، الفخر الرازي ٢٤/ ٢٤٠.

(٧) في ب: وقالت.

(٨) في ب: خرجت.

(٩) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٤٠.

(١٠) هو عبد العزيز بن أبي حازم، يكنى أبا تمام. مات بالمدينة فجأة سنة ١٨٤هـ. المعارف لابن قتيبة ٤٧٩.

(١١) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٤٠.

(١٢) لعله جعل قوله «على استحياء» حالاً مقدمة من «قالت»، أي: قالت مستحيية، لأنها كانت تريد أن تدعوه إلى ضيافتها، وما تدري أيجيبها أم لا، وهو وقف جيد، والأجود وصله. انظر منار الهدى في الوقف والابتدا (٢٩٠).

(١٣) في الأصل: دعاه.

(١٤) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٤٠.

(١٥) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٤٠.

(١٦) المرجع السابق.

(١٧) المرجع السابق.

الأكثرون: التي جاءت إلى موسى الكبرى[١]. وقال الكلبي: هي الصغرى[٢]. قال ابن الخطيب: وفي الآية إشكالات.

أحدها: كيف ساغ لموسى عليه السلام[٣] أن يعمل بقول امرأة، (وَأَنْ يَمْشِي مَعَهَا)[٤] وهي أجنبية، فإن ذلك يورث التهمة العظيمة؟ وقال[٥] ﷺ: «اتَّقُوا مَوَاضِع التُّهَم».

وثانيها[٦]: أنه سقى أغنامها تقرباً إلى الله تعالى[٧]، فكيف يليق به أخذ الأجرة عليه، وذلك غير جائز في الشريعة؟.

وثالثها: أنه عرف فقرَهُنَّ، وفَقْرَ أبيهنّ، وأنه عليه السلام[٨] كان في نهاية القوة بحيث يمكنه الكسب بأقل سعي، فكيف يليق بمروءة مثله طلب الأجرة على ذلك القدر من الشيخ الفقير والمرأة الفقيرة؟

ورابعها: كيف يليق بالنبي شُعَيب عليه السلام[٩] أن يبعث ابنته الشابة إلى رجلٍ شابٍّ قبل العلم بكون الرجل عفيفاً أو فاسقاً؟

والجواب عن الأول: أما[٩] العمل بقول امرأة فإن الخبر يعمل فيه بقول الواحد حراً كان أو عبداً ذكراً كان أو أنثى، وهي ما كانت إلاَّ مخبرة عن أبيها.

وأما المشي مع المرأة فلا بأس به مع الاحتياط والتورع.

وعن الثاني: أن المرأة لما قالت ذلك، فموسى عليه السلام[١٠] ما ذهب إليهم طالباً للأجرة، بل للتبرك بذلك الشيخ، لِما رُوِي أنه لما دخل على شعيب إذا هو بالعَشاء تهيَّأ، فقال: اجلس يا شاب فتعش، فقال موسى: أعوذُ بالله، فقال شُعَيْب: ولم ذلك؟ ألست بجائع؟ فقال: بلى، ولكن أخاف أن يكون هذا عوضاً لما سقيت لهما، وأنا من أهل بيت لا نطلبُ على عملٍ من أعمال الآخرة عوضاً من الدنيا، وفي رواية: لا نبيع ديننا بالدُّنيا، ولا نأخذ بالمعروف ثمناً. فقال شُعيب: لا والله يا شاب ولكنها عادتي وعادة آبائي نقري الضيف، ونطعم الطعام، فجلس موسى[١١]، فأكل. وأيضاً فليس بمنكر أن الجوع قد بلغ به إلى حيث ما كان يطيق تحمله، فقبل ذلك اضطراراً[١٢]، وهو الجواب عن الثالث، فإن الضرورات تبيح المحظورات.

وعن الرابع: لعله عليه السلام[١٣] كان قد علم بالوحي طهارتها وبراءتها، فكان يعتمد عليها[١٤].

---

(١) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٤٠ ـ ٢٤١.
(٢) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٤١.
(٣) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٤) ما بين القوسين سقط من ب.
(٥) في ب: قال.
(٦) في ب: وثالثها. وهو تحريف.
(٧) تعالى: سقط من ب.
(٨) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٩) أما: سقط من ب.
(١٠) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١١) في ب: موسى عليه الصلاة والسلام.
(١٢) في ب: يقبل ذلك أضرار.
(١٣) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٤) الفخر الرازي ٢٤/ ٢٤١.

فصل

قال عمر بن الخطاب: فقام يمشي[١] والجارية أمامه، فعبثت الريح، فوصفت[٢] ردفها، فكره موسى أن يرى ذلك منها، فقال موسى عليه السلام[٣]: إني من عنصر إبراهيم، فكوني خَلْفي حتى لا ترفع الريح ثيابك، فأرى ما لا يَحِل[٤]، وفي رواية: كوني خلفي ودليني على الطريق برمي الحَصَى، لأن صوت المرأة عورة.

فإن قيل: لِمَ خشي موسى ـ عليه السلام[٥] ـ أن يكون ذلك أجرة له عن عمله، ولم يكره مع الخضر ذلك حين قال: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف: ٧٧]؟.

فالجواب: أن أخذ الأجرة على الصدقة لا يجوز، وأما الاستئجار ابتداء (فـ)[٦] غير مكروه[٧]. قوله: «فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ القَصَصَ»[٨] مصدر كالعلل سمي به المقصوص، قال الضَّحاك: قال له: مَنْ أنت يا عبد الله؟ قال له: أنا موسى بن عمران بن يصهر بن فاهث بن لاوي بن يعقوب، وذكر له جميع أمره من لدن[٩] ولادته وأمر القوابل والمراضع والقذف في اليم وقتل القبطي، وأنهم يطلبوه فيقتلوه، فقال شعيب عليه السلام[١٠]: «لاَ تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ القَوْمِ الظَّالِمِين» أي: لا سلطان له بأرضنا[١١]، فإن قيل إن المفسرين قالوا: إن فرعون يوم ركب خلف موسى، ركب في ألف ألف وستمائه[١٢]، والملك الذي هذا شأنه كيف يعقل ألا يكون في ملكه قرية على بُعْد ثمانية أيام من دار مملكته؟ فالجواب: هذا وإن كان نادراً إلا أنَّه ليس بمحال[١٣].

قوله: «قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ» اتخذه أجيراً ليرعى أغنامنا، «إِنَّ خَيْرَ مَن اسْتَأْجَرْتَ القَوِيُّ الأَمِينُ» أي: خير من استعملت مَنْ قَوِي على العمل، وأداء الأمانة، وإنما جعل «خَيْرَ مَن اسْتَأْجَرْتَ» اسماً و «القَوِيُّ الأَمِينُ» خبراً مع أن العكس أولى، لأن العناية سبب[١٤] للتقديم[١٥]. فإن قيل: القوة والأمانة لا يكفيان في حصول المقصود ما لم ينضم إليهما العطية والكتابة، فلم أهمَل أمرَ الكتابة؟ فالجواب[١٦] أنهما داخِلان في الأمانة.

---

(١) في ب: موسى.
(٢) في ب: وصفت.
(٣) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٤) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٤١.
(٥) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٦) فـ: تكلمة ليست في المخطوط.
(٧) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٤١.
(٨) القصص: سقط من الأصل.
(٩) في ب: من ولد.
(١٠) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١١) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٤٢.
(١٢) في ب: وثمانمائة.
(١٣) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٤٢.
(١٤) في ب: بسبب.
(١٥) انظر الكشاف ٣/ ١٦٣، الفخر الرازي ٢٤/ ٢٤٢.
(١٦) في ب: والجواب.

قال ابن مسعود: أفرسُ الناس ثلاثة: بنتُ شعيب، (وصاحب يوسف)[١]، وأبو بكر في[٢] عمر[٣].

فقال لها أبوها: وما علمك بقوته وأمانته؟ قالت: أما قوتُه، فإنه رفع حجراً من رأس البئر لا يرفعه إلا عشرة، وقيل: إلا أربعون، وأمَّا أمانته، فإنه قال لي: امشي خلفي حتى لا تصف الريح بدنك[٤]. قال شعيب عند ذلك: «إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ». قال أكثر المفسرين: إنه زوجه الصغيرة منهما، وهي التي ذهبت لطلب موسى واسمها صفورة[٥]. قوله: «أَنْ أُنْحِكَكَ إِحْدَى»[٦] روي عن أبي عمرو «أُنْكِحَكَ حدى» بحذف همزة «إِحدَى»[٧]، وهذه تشبه قراءة ابن محيصن «فَجَاءَتْهُ حْدَاهُما»، وتقدم التشديد في نون «هَاتَيْنِ» في سورة النساء[٨].

قوله «عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي» في محل نصب على الحال، إما من الفاعل أو من المفعول، أي: مشروطاً على أو عليك ذلك[٩]. و «تَأْجُرَنِي» مضارع أَجَرْتُه، كنتُ له أجيراً، ومفعوله[١٠] الثاني محذوف، أي: وتأجُرنِي نفسَك[١١]، و «ثَمَانِيَ حِجَجٍ» ظرف له[١٢]. ونقل أبو حيّان عن الزمخشري أنها هي المفعول الثاني[١٣]. قال شهابُ الدين: الزمخشري لم يجعلها مفعولاً ثانياً على هذا الوجه، وإنَّما جعلها مفعولاً ثانياً على وجه آخر، وأما[١٤] على هذا الوجه فلم[١٥] يجعلها غير ظرف، وهذا نصه ليتبين لك، قال: «تَأْجُرَنِي» من أجرته إذا كنت له أجيراً، كقولك[١٦]: أبوته إذا كنت له أَباً، و «ثَمَانِيَ حِجَجٍ» ظرف[١٧]، أو مِنْ أجرته[١٨] إذا أثبته، ومنه تعزية رسول الله ﷺ: «آجركُم اللَّهُ ورحِمَكُمْ»[١٩]، و «ثماني حججٍ» مفعول به، ومعناه رعية ثماني حججٍ[٢٠]. فنقل الشيخ[٢١] عنه الوجه الأول من المعنيين المذكورين في «تأجُرنِي» فقط، وحكى عنه أنه أعرب «ثَمَاني حِجَجٍ» مفعولاً به، وكيف يستقيم ذلك أو يتجه؟ وانظر إلى الزمخشري

---

(١) ما بين القوسين سقط من ب.
(٢) في النسختين: و. والتصويب من الفخر الرازي.
(٣) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٤٢.
(٤) انظر البغوي ٦/ ٣٣٣.
(٥) المرجع السابق.
(٦) في ب: إحدى ابنتي.
(٧) انظر المختصر (١١٢)، البحر المحيط ٧/ ١١٥.
(٨) عند قوله تعالى: ﴿**والّلذان يأتيانها منكم فآذوهما**﴾ من الآية (١٦).
(٩) انظر التبيان ٢/ ١٠١٩.
(١٠) في ب: ومفعول. وهو تحريف.
(١١) انظر البحر المحيط ٧/ ١١٥.
(١٢) انظر البيان ٢/ ٢٣١، التبيان ٢/ ١٠١٩.
(١٣) البحر المحيط ٧/ ١١٥.
(١٤) في الأصل: أما.
(١٥) في ب: فلا.
(١٦) في ب: كقوله.
(١٧) في الكشاف: ظرفه.
(١٨) في الكشاف: أو من أجرته كذا.
(١٩) انظر الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف (١٢٦).
(٢٠) الكشاف ٣/ ١٧٣.
(٢١) في ب: النسخ. وهو تحريف.

كيف قدر مضافاً ليصح[١] المعنى به، أي: رَعْيُ ثَمَانِي حِجَج، لأن العمل هو الذي تقع به الإثابة لا نفس الزمان، فكيف يوجه الإجارة على الزمان[٢]؟

(قوله)[٣] «فَمِنْ عِنْدِكَ» يجوز أن يكون في محل رفع خبراً لمبتدأ محذوف تقديره: فهي من عندك، أو نصب أي: فقد زدتها أو تفضلت بها من عندك[٤].

فصل

معنى الآية: أريدُ أن أنكِحَكَ إحدى ابنتيَّ هاتين على أن تكون أجيراً لي ثمانِ سنين قال الفراء[٥]: أي تجعل ثوابي من تزويجها أنْ ترعى غنمي ثماني حجج[٦]، تقول العرب: أَجَرَكَ اللَّه بأجْرِكَ، أي: أثابك والحِجَج: السِّنُون، واحدها حِجَّة.

«فإنْ أتْمَمْتَ عَشْراً» أي: عشر سنين «فَمِنْ عِنْدِك» أي: ذلك تفضل منك وتبرع ليس بواجب[٧] عليك[٨]. واعلم أن هذا اللفظ ـ وإن كان على الترديد ـ فلا شبهة أنه عند التزويج عين، ولا شبهة في أن العقد وقع على أقل الأجلين، والزيادة كالتبرع[٩]. ودلت الآية على أنَّ العمل قد يكون مهراً كالمال، وعلى أن إلحاق الزيادة بالثمن والمثمَّن جائز، ولكنه[١٠] شرع من قبلنا[١١]، ودلَّت أيضاً على أنه يجوز أن يشرط الوليُّ، وعلى أنَّ عقد النكاح لا تفسده الشروط التي لا يوجبها العقد[١٢]. (واستدل بعض الحنفية بهذه الآية على صحة بيع أحد هذين العبدين، أو الثوبين، وفيه نظر، لأنها مراضاة لا معاقدة. ودلت الآية أيضاً على صحة الإجارة بالطعمة والكسوة، كما جرت به العادة، ويؤيده قوله عليه السلام: «إنَّ مُوسَى أَجَّر نَفْسه ثَمَانِيَ سِنَ أوْ عَشْرَة على عفة فرجه وطعام بطنه». وهو مذهب الحنابلة قاله ابن كثير[١٣].

فصل

قال النووي: الإجارة بكسر الهمزة هو المشهور، وحكى الرافعي[١٤] أن الجياني[١٥] حكى في الشامل أيضاً ضم الهمزة، قال أهل اللغة: وأصل الأجر الثواب،

---

(١) في الأصل: يصح.
(٢) الدر المصون ٥/٢١٦.
(٣) ما بين القوسين بياض في الأصل.
(٤) انظر التبيان ٢/١٠١٩.
(٥) قال الفراء: سقط من الأصل.
(٦) معاني القرآن ٢/ ٣٠٥.
(٧) في ب: بواحد. وهو تحريف.
(٨) انظر البغوي ٦/ ٣٣٣ ـ ٣٣٤.
(٩) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢٤٢.
(١٠) في ب: ولكن.
(١١) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢٤٢.
(١٢) المرجع السابق.
(١٣) انظر تفسير ابن كثير ٣/ ٣٨٥.
(١٤) هو عبد الكريم بن محمد الرافعي، فقيه شافعي قزويني، تضلع في المذهب والعلوم الإسلامية وله مشاركة في التاريخ واللغة، من كتبه: فتح العزيز في شرح الوجير للغزالي، والتدوين في أخبار قزوين. مات سنة ٦٢٣هـ. المنجد في الأعلام (٢٦٠).
(١٥) في النسختين: الحار. والتصويب من تهذيب الأسماء واللغات للنووي ص ٤.

يقال: أجرت فلاناً عن عمله كذا أي: أثبته، والله يأجر العبد أي؛ يثيبه، والمستأجر يثيب المأجور عوضاً عن بذل المنافع. قال الواحدي: قال المبرد: يقال أجرت داري ومملوكي غير ممدود، وآجرت ممدود قال المبرد: والأول أكثر)[١][٢].

قوله: «وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ» أي؛ ألزمك تمام العشر. وأَنْ أَشُقَّ، مفعول «أريد» وحقيقة قولهم[٣]: شَقَّ عليه أي: شقَّ ظنَّه نصفين فتارة يقول أطيق، وتارة لا أطيق، وهو من أحسن مجاز[٤].

قوله «سَتَجِدُني إنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ» قال عمر: أي في حسن[٥] الصحبة والوفاء ولين الجانب[٦]. وقيل: أراد الصلاح على العموم، وإنما قال «إنْ شَاءَ اللَّهُ» للاتكال على توفيقه ومعونته[٧]، فإنْ قيل: كيف ينعقد العقدُ بهذا الشَّرط، ولو قلت: أنْتِ طَالِقٌ إنْ شَاءَ الله لا تطلَّق؟ فالجواب: هذا مما يختلف بالشرائع[٨].

قوله: «ذَلِكَ» مبتدأ، والإشارة به إلى ما تعاقدا[٩] عليه، والظرف خبره[١٠]، وأضيفت «بَيْنَ» لمفرد لتكررها عطفاً بالواو، فإن قلت: المالُ بَيْن زيد فعمرو لم يجز، وأما قوله:

٣٩٨٩ ـ بَــيْــنَ الــدَّخُــولِ فَــحَــوْمَــلِ[١١]

فكان[١٢] الأصمعي يأباها، ويروي «وحومل» بالواو، والصحيح بالفاء، وأول البيت على أن الدَّخُول وحَوْمَل مكانان كل منهما مشتمل على أماكن، نحو قولك: دارِي بين مصر، لأنه يريد به المكان الجامع[١٣]، والأصل ذلك بيننا ففرق بالعطف.

قوله: «أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ» أي شرطية وجوابها «فَلاَ عُدْوَانَ عَلَيَّ»[١٤]. وفي «مَا» هذه قولان:

أشهرهما: أنها زائدة[١٥]، كزيادتها في أخواتها من أدوات الشرط.

---

(١) انظر تهذيب الأسماء واللغات (٤).
(٢) ما بين القوسين سقط من ب.
(٣) في ب: قوله.
(٤) انظر الكشاف ٣/ ١٦٤.
(٥) في الأصل: جنس.
(٦) انظر البغوي ٦/ ٣٣٤.
(٧) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٤٢.
(٨) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٤٣.
(٩) في الأصل: تعاقد.
(١٠) انظر الكشاف ٣/ ١٠١٩، البحر المحيط ٧/ ١١٥.
(١١) جزء بيت من بحر الطويل قاله امرؤ القيس، وهو مطلع معلقته، وتمامه:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ... بسقط اللوى بين الدَّخول فحومل

وقد تقدم.
(١٢) في الأصل: كان.
(١٣) يريد على التأويل: داري بين قرى مصر.
(١٤) انظر البيان ٢/ ٢٣١، التبيان ٢/ ٢٣١.
(١٥) انظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٥٩، البيان ٢/ ٢٣١.

والثاني: أنها نكرة، و «الأَجَلَيْنِ» بدل منها[١].

وقرأ الحسن وأبو عمرو في رواية «أَيْمَا» بتخفيف الياء[٢] كقوله:

٣٩٩٠ ـ تَنَظَّرْتُ نَسْراً والسِّمَاكَيْنِ أَيْهُمَا عَلَيَّ مِنَ الغَيْثِ اسْتَهَلَّتْ مَوَاطِرُه[٣]

وقرأ عبد الله «أيَّ الأَجَلَيْنِ مَا قَضَيْت» بإقحام «مَا» بين «الأَجَلَيْن» و «قَضَيْتُ»[٤].

قال الزمخشري[٥]: فإن قلت: ما الفرق بين موقع زيادة «مَا»[٦] في القراءتين[٧]؟ قلت: وقعت في المستفيضة مؤكدة لإبهام، «أيْ» زيادة في شياعها، وفي الشاذة تأكيداً للقضاء كأنَّه قال: أي الأجلين صمَّمْت على قضائه وجرَّدتُ عزيمتي له[٨].

وقرأ أبو حيوة وابن قُطَيب «عِدْوانَ»[٩]. قال الزمخشري: فإن قلت: تصوُّر العدوان إنما هو في أحد[١٠] الأجلين الذي هو أقصرهما، وهو المطالبة بتتمة العشر[١١]، فما معنى تعلق العدوان بهما جميعاً؟ قلت: معناه: كما أني إن طولبت بالزيادة على العَشْر (كان عدواناً)[١٢] لا شك فيه، فكذلك إن طولبت بالزيادة على الثماني[١٣]، أراد بذلك تقرير أمر الخيار، وأنه[١٤] ثابت مستقر، وأنَّ الأجلين على السواء إما هذا وإما هذا، ويكون اختيار الأقل والزائد موكولاً[١٥] إلى رأيه من غير أن يكون لأحدهمَا عليه إجبار. ثم قال: وقيل: معناه فلا أكون متعدِّياً، وهو في نفي العدوان عن نفسه كقولك: لا إثم عليَّ ولا تبعة[١٦].

قال أبو حيان: وجوابه الأول فيه تكثير[١٧]. قال شهاب الدين: كأنه أعجبه الثاني[١٨]. والثاني[١٩] لم يرتضه الزمخشري، لأنه ليس جواباً في الحقيقة، فإن السؤال

---

(١) ونسب لابن كيسان. انظر إعراب القرآن ٢/ ١٥٩، القرطبي ١٣/ ٢٧٩.
(٢) انظر المختصر (١١٢)، المحتسب ٢/ ١٥٠، البحر المحيط ٧/ ١١٥، الإتحاف (٣٤٢).
(٣) البيت من بحر الطويل قاله الفرزدق، وهو في ديوانه ١/ ٢٨١، المحتسب ١/ ٤١، ٢/ ١٥٢ الكشاف ٣/ ١٦٤، شرح الكافية الشافية ١/ ٣٢٨، المغني ١/ ٧٧، البحر المحيط ٧/ ١١٥، شرح شواهد المغني ١/ ٣٢٦.
(٤) انظر معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٠٥، المختصر (١١٢)، الكشاف ٣/ ١٦٤، البحر المحيط ٧/ ١١٥.
(٥) قال الزمخشري: مكرر في ب.
(٦) في الكشاف: ما الفرق بين موقعي (ما) المزيدة.
(٧) في ب: الموضعين.
(٨) الكشاف ٣/ ١٦٤.
(٩) بكسر العين. المختصر (١١٢)، البحر المحيط ٧/ ١١٥.
(١٠) في ب: إحدى.
(١١) في ب: وهو للطالب تتمة للعشر.
(١٢) ما بين القوسين تكملة من الكشاف.
(١٣) في ب: الثمان.
(١٤) في ب: امر الخيار أنه.
(١٥) في ب: مأكولاً.
(١٦) الكشاف ٣/ ١٦٤. بتصرف يسير.
(١٧) البحر المحيط ٧/ ١١٦.
(١٨) في ب: الباقي. وهو تحريف.
(١٩) يشير بقوله: (الثاني) إلى قول الزمخشري: وقيل: معناه فلا أكون متعدياً . . .

باق أيضاً، ولذلك نقله عن غيره[١]، وقال المبرد: وقد علم أنه لا عدوان عليه في أيهما، ولكن جمعهما ليجعل الأول كالأتَمّ في الوفاء[٢].

فصل

قال المفسرون: المعنى «أيّ الأَجَلَيْن قَضَيْتُ» أتممتُ وفرغت منه الثماني أو العشر، «فَلا عُدْوَانَ عَلَيَّ» لا ظلم عليَّ بأن أطالب بأكثر «واللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيل» قال مقاتل[٣]: شهيد فيما بيني وبينك، وقيل: حفيظ[٤]، ولما استعمل الوكيل بمعنى الشاهد عُدِّي بـ (عَلَى)[٥] قال سعيد بن جبير: سألني يهودي من أهل الحيرة: أيَّ الأَجلينِ قَضَى مُوسَى؟ قلت: لا أدري حتى أقدم على حَبْر العرب فأسأله، فقدمتُ فسألتُ ابن عباس فقال: قَضَى أكثرهما وأطيبهما، إن رسول الله ﷺ إذا قال فعل[٦]. وروي عن أبي ذر مرفوعاً «إذَا سُئِلْتَ أيَّ الأَجلينِ قَضَى مُوسَى؟ فقل[٧] خيرهُما وأبرَّهما، وإذا سئلت أيَّ المرأتين تزوَّج موسى؟ فقل الصغرى منهما[٨]، وهي التي جاءت فقالت: «يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ» فتزوج صغراهما، وقضى أوفاهما»[٩]. وقال[١٠] وهب: أنكَحَه الكُبْرى[١١]. ولمَّا تعاقدا العقد بينهما أمر شعيب ابنته أن تعطي موسى عصا يدفع[١٢] بها السباع عن غنمه، واختلفوا في تلك العصا.

فقال عكرمة: عرج بها آدم من الجنة، فأخذها جبريل بعد موت آدم، فكانت معه حتى لقي بها موسى ليلاً، فدفعها إليه، وقيل: كانت من آس الجنة حملها آدم من الجنة، فتوراثتها الأنبياء، وكان لا يأخذها غير نبي، فصارت من آدم إلى نوح، ثم إلى إبراهيم حتى وصلت إلى شعيب، فكانت عصا الأنبياء عنده فأعطاها موسى[١٣]، وقال السُّدي: كانت تلك العصا استودعها إياه ملك في صورة رجل فأمر ابنته أن تأتيه بعصا، فدخلت، فأخذت العصا فأتته بها، فلما رآها شعيب قال لها: رُدِّي هذه العصا، وأتيه بغيرها، فدخلت وألقتها، وأرادت أن تأخذ غيرها، فلا تقع[١٤] في يدها إلا هي، حتى فعلت ذلك ثلاث مرات، فأعطاها موسى، وأخرجها موسى معه[١٥]، ثم إن الشيخ ندم وقال: كانت وديعة فذهب في أثره فطلب أن يرد العصا، فأبى موسى أن يعطيه وقال: ﴿هِيَ عَصَايَ﴾

---

(١) الدر المصون ٥/ ٣١٧.
(٢) انظر البحر المحيط ٧/ ١١٥.
(٣) في ب: قال ابن عباس ومقاتل.
(٤) انظر البغوي ٦/ ٣٣٤.
(٥) انظر الكشاف ٣/ ١٦٤.
(٦) أخرجه البخاري (شهادات) ٢/ ١٠٩، وانظر البغوي ٦/ ٣٣٤ ـ ٣٣٥.
(٧) في ب: فقيل.
(٨) في ب: فقيل أصغرهما.
(٩) انظر البغوي ٦/ ٣٣٥، تفسير ابن كثير ٣/ ٣٨٦.
(١٠) وقال: سقط من ب.
(١١) انظر البغوي ٦/ ٣٣٥.
(١٢) في ب: فدفع. وهو تحريف.
(١٣) انظر البغوي ٦/ ٣٣٥ ـ ٣٣٦.
(١٤) في ب: تمنع. وهو تحريف.
(١٥) في ب: معها. وهو تحريف.

[طه: ١٨]، فرضي أن يجعلا بينهما أول رجل يلقاهما، فلقيهما ملك في صورة رجل، فحكم أن تطرح العصا فمن حملها فهي له فطرح موسى العصا فعالجها الشيخ ليأخذها، فلم يطقها، فأخذها موسى بيده، فرفعها فتركها له الشيخ[١] ثم إن موسى لما أتم الأجل وسلم شعيب ابنته إليه[٢]، قال مجاهد: لما قضى موسى الأجل مكث بعد ذلك (عند صهره عشراً)[٣] أخرى فأقام[٤] عنده عشرين سنة، ثم استأذنه في العود إلى مصر، فأذن له فخرج بأهله إلى جانب الطور[٥].

قوله تعالى: ﴿۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًاۖ قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْـَٔامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾

«آنَسَ» أي: أبصر «مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَاراً» وكان في[٦] البرية في ليلة مظلمة شديدة البرد وأخذ امرأته الطلقُ، فقال «لأَهْلِهِ امْكثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَعلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ» عن الطريق لأنه كان قد أخطأ الطريق[٧].

قوله «أَوْ جُذْوَةٍ» قرأ حمزة[٨] بضم الجيم، وعاصم بالفتح، والباقون بالكسر[٩] وهي لغات في العُود الذي في رأسه نار[١٠]، هذا هو المشهور، قال السُّلَمِي[١١]:

٣٩٩١ ـ حَمَا حُبُّ هذي النَّارِ حُبَّ خَلِيلَتِي ... وَحُبُّ الغَوَانِي فهو دُونَ الحُبَاحِبِ
وَبُدِّلْتُ بعدَ المِسْكِ وَالبَانِ شِقْوَةً ... دُخَانَ الجذَا في رأسِ أشْمَطَ شَاحِبِ[١٢]

---

(١) انظر البغوي ٦/ ٣٣٦.
(٢) انظر البغوي ٦/ ٣٣٦ ـ ٣٣٧.
(٣) ما بين القوسين في ب: عنده عشر.
(٤) في الأصل: وأقام.
(٥) انظر البغوي ٦/ ٣٣٨.
(٦) في: سقط من ب.
(٧) انظر البغوي ٦/ ٣٣٨.
(٨) حمزة: سقط من ب.
(٩) السبعة (٤٩٣)، الكشف ٢/ ١٧٣، النشر ٢/ ٣٤١، الإتحاف (٣٤٢).
(١٠) قال الزمخشري: (الجذوة باللغات الثلاث، وقرىء بهن جميعاً العود الغليظ كانت في رأسه نار أو لم تكن) الكشاف ٣/ ١٦٥، وانظر التبيان ٢/ ١٠١٩.
(١١) هو أشجع بن عمرو السلميّ، ويكنى أبا الوليد، من ولد الشريف بن مطرود السلمي. الخزانة ١/ ٢٩٦ ـ ٢٩٩.
(١٢) البيتان من بحر الطويل، قالهما أشجع بن عمرو السُّلمي، وهما في تفسير ابن عطية ١١/ ٢٩٥، البحر المحيط ٧/ ١٠٣.

وقيده بعضهم فقال: في رأسه نار من غير[(١)] لهب[(٢)]. قال ابن مُقبل[(٣)]:

٣٩٩٢ ـ بَاتَتْ حَوَاطِبُ لَيْلَى يَلْتَمِسن لَهَا جِـزَالَ الـجِـذَا غَـيـرَ خَـوَّارِ وَلاَ دَعِـرِ[(٤)]

الخوَّار الذي يتقصف، والدَّعِرُ الذي فيه لهب. وقد ورد ما يقتضي وجود اللهب فيه، قال الشاعر:

٣٩٩٣ ـ وَأَلْقَى عَلَى قَبسٍ من النار جُذْوَةً شـديـداً عـلَـيـهـا حَـرُهـا والـتِـهَـابُـهَـا[(٥)]

وقيل: الجذوة: العودُ الغليظُ سواء كان في رأسه نار أو لم يكن[(٦)]، وليس المراد هنا إلا ما يكون[(٧)] في رأسه نارٌ.

قوله «مِنَ النَّارِ» صفة لـ «جَذْوَة» ولا يجوز تعلقها بـ «آتِيكُم»، كما تعلق بها «مِنْهَا»، لأن هذه النار ليست النار المذكورة، والعرب إذا تقدَّمت نكرة وأرادت[(٨)] إعادَتَها أعادَتْها مضمرةً أو معرَّفةً بأل العهدية، وقد جُمِعَ الأمران هنا. «لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ» تستدفئون.

قوله «مِنْ شَاطِىءِ» «مِنْ» لابتداء الغاية[(٩)]، و «الأَيْمَنِ» صفة للشاطىء أو للوادي، والأَيْمَنُ من اليُمْنِ، وهو البَرَكة، أو مِنَ اليمين المعادل لليسار من العضوين، ومعناه على هذا بالنسبة إلى موسى، أي: الَّذي على يمينك دون يسارِك[(١٠)]، والشاطىء صفة الوادي[(١١)] والنهرِ أي: حافته وطرفه، وكذلك الشَّطُّ والسيف والساحل كلها بمعنى، وجمع الشاطىء «أَشْطاءٌ» قاله الراغب[(١٢)]، وشاطأت فلاناً: ماشيته على الشاطىء[(١٣)].

(١) غير: سقط من ب.

(٢) وهو أبو عبيدة فإنه قال: («أو جذوةٍ من النَّار» أي: قطعة غليظة من الحطب ليس فيها لهب) مجاز القرآن ٢/ ١٠٢.

(٣) هو تميم بن أبي بن مقبل، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، وكان يبكي أهل الجاهلية وبلغ مائة وعشرين سنة. الخزانة ١/ ٢٣١ ـ ٢٣٣.

(٤) البيت من بحر البسيط قاله ابن مقبل، وهو في ديوانه (٩١) ونسبه الزمخشري في الكشاف إلى كثيِّر، انظر الكشاف ٣/ ١٦٥ وهو في مجاز القرآن ٢/ ١٠٣، الكامل ٢/ ٦٨٣، تفسير ابن عطية ١١/ ٢٩٤، القرطبي ١٣/ ٢٨١، اللسان (جذا) البحر المحيط ٧/ ١٠٣، شرح شواهد الكشاف (٥٣) الحواطب: جمع حاطبة، وهي صفة نابت عن موصوفها، والأصل: أمة حاطبة أي: تجمع الحطب. الجزل: ما عظم من الحطب ويبس.
الجذا: جمع جذوة، والعود الذي في طرفه نار بدون لهب. وهو موطن الشاهد.
الخوار: الذي يتقصف. الدعر: الذي فيه لهب.

(٥) البيت من بحر الطويل، لم أهتد إلى قائله، وهو في الكشاف ٣/ ١٦٥، القرطبي ١٣/ ٢٨١، البحر المحيط ٧/ ١٠٣، شرح شواهد الكشاف (١٣٦).

(٦) انظر الكشاف ٣/ ١٦٥.

(٧) يكون: سقط من ب.

(٨) في ب: وأعادت. وهو تحريف.

(٩) انظر الكشاف ٣/ ١٦٥.

(١٠) انظر البحر المحيط ٧/ ١١٦.

(١١) في ب: للوادي.

(١٢) المفردات في غريب القرآن (٢٦١).

(١٣) في اللسان (شطأ): وشاطأت الرجل إذا مشيت على شاطىء ومشى هو على الشاطىء الآخر.

قوله: «فِي البُقْعَةِ» متعلق (بـ «نُودِيَ» أي)[١] بمحذوف على أنه حال من الشاطىء[٢]، وقرأ العامة بضم الباء، وهي اللغة الغالبة، وقرأ مسلمة[٣] والأشهب العقيلي بفتحها[٤] وهي لغة حكاها أبو زيد قال: سمعتهم يقولون: هذه بقعةٌ طيبة[٥]، (ووصف البقعة بكونها مباركة لأنه حصل فيها ابتداء الرسالة، وتكليم الله تعالى إياه)[٦][٧].

قوله: «مِنَ الشَّجَرَةِ» هذا[٨] بدل من «شَاطِىء» بإعادة العامل، وهو بدل اشتمال، لأن الشجرة كانت ثابتة على الشاطىء كقوله[٩]: ﴿لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ﴾[١٠] [الزخرف: ٣٣].

قوله «أَنْ يَا مُوسَى» هي المفسرة[١١]، وجوِّز فيها أن تكون هي المخففة[١٢]، واسمها ضمير الشأن، وجملة النداء مفسرة له، وفيه بُعد[١٣].

قوله «إِنِّي أَنَا اللَّهُ» العامة على الكسر على إضمار القول، أو على تضمين النداء معناه، وقرىء بالفتح[١٤]، وفيه إشكال، لأنَّهُ إنْ جعلت «أَنْ» تفسيرية، وجب كسر «إنِّي»[١٥] للاستئناف المفسر للنداء بماذا كان، وإن جعلتها مخففة لزم تقدير «أَنِّي» بمصدر، والمصدر مفرد، وضمير الشأن لا يفسر بمفرد، والذي ينبغي أن تُخرَّج عليه هذه القراءة أن تكون «أَنْ» تفسيرية و «أَنِّي»[١٦] معمولة لفعل مضمر تقديره أَنْ يا موسى اعلم أَنِّي أنا الله[١٧]، واعلم أنه تعالى قال في سورة النمل ﴿نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [النمل: ٨] وقال ها هنا: نُودِي أَنِّي أنا اللَّه ربُّ العالمين، وقال في سورة طه ﴿نُودِىَ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ [طه: ١١ ـ ١٢]، ولا منافاة بين هذه الأشياء، فهو تعالى ذكر الكلّ إلا أنه تعالى حكى في كل سورة بعض ما اشتمل عليه بعض ذلك النداء[١٨].

قوله: «وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ» تقدم الكلام على ذلك[١٩].

---

(١) ما بين القوسين سقط من الأصل.
(٢) انظر البحر المحيط ٧/١١٦.
(٣) في ب: مسلم.
(٤) المختصر (١١٢)، البحر المحيط ٧/١١٦.
(٥) لم أجد ما قاله أبو زيد في النوادر، وهو في البحر المحيط ٧/١١٦.
(٦) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٤٤.
(٧) ما بين القوسين سقط من ب.
(٨) في ب: وهذا.
(٩) في ب: لقوله.
(١٠) انظر الكشاف ٣/ ١٦٥.
(١١) انظر التبيان ٢/ ١٠٢٠، البحر المحيط ٧/ ١١٦.
(١٢) انظر البيان ٢/ ٢٣٢، التبيان ٢/ ١٠٢٠، البحر المحيط ٧/ ١١٦.
(١٣) من حيث أنَّ ضمير الشأن لا يفسر إلا بجملة خبرية فلا يفسَّر بالإنشائية كالنداء ولا الطلبية ولا بد أن يصرح بجزئيها، فلا يجوز حذف جزء منها، فإنه جيء به لتأكيدها وتفخيم مدلولها، والحذف مناف لذلك. الهمع ١/ ٦٧.
(١٤) انظر تفسير ابن عطية ١١/ ٢٩٦، البحر المحيط ٧/ ١١٧.
(١٥) في ب: أن.
(١٦) في الأصل: وأنا.
(١٧) انظر البحر المحيط ٧/ ١٧.
(١٨) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٤٥، البحر المحيط ٧/ ١١٧.
(١٩) عند قوله تعالى: **﴿وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك﴾** [الأعراف: ١١٧].

وقوله: «اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ» فقد عبّر عن هذا المعنى بثلاث عبارات: إحداها هذه، وثانيها «واضْمُمْ يَدَكَ إلى جَنَاحِكَ»[1]، وثالثها ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ [النمل: ١٢] قوله «مِنَ الرَّهْبِ» متعلق بأحد أربعة أشياء، إمّا بـ «وَلَّى»[2]، وإمَّا بـ «مُدْبراً»[3]، وإمَّا بـ «اضمم»، ويظهر هذا الثالث إذا فسَّرنا الرَّهب بالكمِّ، وإمّا[4] بمحذوف أي: تسكن من الرهب[5] وقرأ حفص بفتح الراء وإسكان الهاء. والأخوان وابن عامر وأبو بكر بالضم والإسكان، والباقون بفتحتين[6]، والحسن[7] وعيسى والجحدري وقتادة بضمتين[8] وكلها لغات[9] بمعنى الخوف وقيل[10] هو بفتحتين الكُمُّ بلغة حمير وحنيفة[11]، قال الزمخشري «هُو من بدِع التفاسير» قال: وليت شعري كيف صحته في اللغة، وهل سُمِعَ من الثقات الأثبات التي تُرْتَضى عربيتهم، أم ليت شعري كيف موقعه في الآية، وكيف تطبيقه المفضل[12] كسائر كلمات التنزيل، على أن موسى صلوات الله عليه ليلة المناجاة ما كان عليه إلاَّ زُرْمانِقَة[13] من صُوفٍ لا كُمّ لها[14].

الزُّرمانقة: المدرعةُ. قال أبو حيان: هذا مروي عن الأصمعي، وهو ثقة، سمعتهم يقولون أعطني ما في رهبك أي كُمِّكَ، وأما قوله: كيف موقعه؟ فقالوا: معناه: أخرج يدكَ من كُمِّكَ[15].

قال شهاب الدين: كيف يستقيم هذا التفسير، يُفَسِّرُون «اضْمُمْ» بمعنى أَخْرِج[16].

وقال الزمخشري: فإن قُلْتَ: قد جعل الجناح وهو اليَدُ في أحد الموضعين مضموماً، وفي الآخر مضموماً إليه، وذلك قوله: «واضْمُمْ إليكَ جَنَاحَكَ» وقوله ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ [طه: ٢٢] فما التوفيق بينهما؟ قلت: المراد بالجناح المضموم: هو اليد اليمنى، وبالجناح المضموم إليه هو اليد اليسرى، وكل واحدة من يمنى اليدين ويسراهما جناح[17].

---

(١) في النسختين: واسلك.
(٢) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٤٧.
(٣) في الآية السابقة.
(٤) في الأصل: أو.
(٥) انظر التبيان ٢/ ١٠٢٠.
(٦) السبعة (٤٩٣)، الكشف ٢/ ١٧٢، النشر ٢/ ٣٤١، الإتحاف (٣٤٢).
(٧) في الأصل: وحسن.
(٨) المختصر (١١٢).
(٩) انظر الكشف ٢/ ١٧٣، التبيان ٢/ ١٠٢٠.
(١٠) قيل: سقط من ب.
(١١) انظر القرطبي ١٣/ ٢٨٤، البحر المحيط ٧/ ١١٧.
(١٢) في ب: الفصل.
(١٣) الزُّرمانقة: جبَّة من صوف وهي عجمية معرَّبة. اللسان (زرمق).
(١٤) الكشاف ٣/ ١٦٦.
(١٥) البحر المحيط ٧/ ١١٨.
(١٦) الدر المصون ٥/ ٢١٩.
(١٧) الكشاف ٣/ ١٦٦.

فصل

قال الزمخشري[١]: في «وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ» معنيان:

أحدهما: أنّ موسى عليه السلام[٢] لمَّا قلب الله له العصا حيَّةً فزع واضطرب واتقاها[٣] بيده كما يفعل الخائف من الشيء، فقيل له: إنَّ اتقاءك بيدك فيه[٤] غضاضة عند الأعداء فإذا ألقيتها وقد انقلبت[٥] حية فأدخل يدك[٦] مكان اتقائك بها، ثم أخرجها بيضاء ليحصل الأمران: اجتناب ما منه[٧] غضاضة عليك، وإظهار معجزة أخرى، والمراد بالجناح اليد، لأن يد الإنسان بمنزلة جناح الطائر، وإذا أدخل يده اليمنى تحت عضد[٨] اليسرى، فقد ضم جناحه إليه[٩].

(الثاني: أن يراد بضم جناحه[١٠] تجلده وضبطه نفسه وتشدده عند انقلاب العصا حيَّة حتى لا يضطرب)[١١] ولا يرهب، استعارة من فعل الطائر لأنه إذا خاف نَشَرَ جناحيه[١٢] وأرخاهُما، وإلا فجناحاه منضمان إليه مستمران ومعنى قوله «مِنَ الرَّهْبِ» أي: من أجل الرهب إذا[١٣] أصابك الرهب عند رؤية الحية فاضمم إليك جناحك (ومعنى «واضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ»)[١٤] وقوله «اسْلُكْ يَدَكَ» على أحد التفسيرين واحد، وإنما[١٥] خُولِفَ بين العبارتين وكرَّر المعنى[١٦] لاختلاف الغرضين، وذلك أنَّ الغرض في أحدهما خروج اليد بيضاء، وفي الثاني إخفاء الرهب[١٧]. قال البغوي: المعنى[١٨] إذا هَالَك أمر يدك وما ترى من شعاعها، فأدخِلْها في جيبك تعد إلى حالتها الأولى، والجناح اليد كلها وقيل: العضد. وقال عطاء عن ابن عباس: أمره الله (أن يَضُمَّ)[١٩] يده إلى صدره فيذهب عنه ما ناله من الخوف عند معاينة الحية. وقال: ما من خائف بعد موسى إلا إذا وضع يده على صدره زال خوفه.

وقال مجاهد: كل من فزع فضم جناحه إليه ذهب عنه الفزع، وقيل: المراد من ضم الجناح السكون، أي: سكّن روعَك واحفظ عليك جأشك[٢٠]، لأن من شأن الخائف أن يضطرب عليه قلبه وترتعد يداه[٢١]، ومثله قوله: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾

---

(١) في ب: قال الزمخشري في قوله.
(٢) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٣) في ب: والواها.
(٤) فيه: سقط من الأصل.
(٥) في الكشاف: فكما تنقلب.
(٦) في الكشاف: يدك تحت عضدك.
(٧) في الكشاف: ما هو.
(٨) في الكشاف: عضد يده.
(٩) في ب: إليها.
(١٠) في الكشاف: جناحه إليه.
(١١) ما بين القوسين سقط من الأصل.
(١٢) في ب: جناحه.
(١٣) في الكشاف: أي إذا.
(١٤) ما بين القوسين تكملة من الكشاف.
(١٥) في الكشاف: ولكن.
(١٦) في الكشاف: وإنما كرر المعنى الواحد.
(١٧) الكشاف ٣/ ١٦٥ ـ ١٦٦.
(١٨) في ب: معناه.
(١٩) ما بين القوسين سقط من ب.
(٢٠) في الأصل: واخفض عليك جناحك.
(٢١) في الأصل: يديه.

[الإسراء: ٢٤] يريد: المرفق، وقوله: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ﴾ [الشعراء: ٢١٥] أي: ارفق بهم وأَلِنْ جانبك لهم، وقال الفراء: أراد بالجناح العصا[١]، معناه: واضمُمْ إليك عَصَاكَ[٢].

قوله: «فَذانك» تقدم قراءة[٣] التخفيف والتثقيل في النساء[٤]، وقرأ ابن مسعود وعيسى وشبل وأبو نوفل[٥] بياء بعد نون مكسورة، وهي لغة هذيل[٦]، وقيل تميم[٧]، وروى شبل عن كثير بياء بعد نون مفتوحة[٨]، وهذا على لغة من يفتح نون التثنية، كقوله:

٣٩٩٤ ـ عَلَى أَحْوَذِيَّيْنَ اسْتَقَلَّتْ عَشِيَّةً ... فَمَا هِيَ إلاَّ لَمْحَةٌ وتَغِيبُ[٩]

والياء بدل من إحدى النونين (كَتَظَنَّيْتُ)[١٠][١١].

وقرأ عبد الله بتشديد النون وياء بعدها، ونسبت لهذيل[١٢]. قال المهدوي: بل لغتهم تخفيفها[١٣]، وكأن الكسرة هنا إشباع كقراءة هشام ﴿أفئيدةً مِنَ النَّاسِ﴾[١٤] [إبراهيم: ٣٧]. و «ذَانِكَ» إشارة إلى العصا واليد، وهما مؤنثتان، وإنما ذكّر ما أشير به[١٥] إليهما لتذكير خبرهما وهو «بُرْهَانَان»، كما أنه قد يؤنث لتأنيث خبره كقراءة ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتَهُم إلاَّ أَنْ قَالُوا﴾ [الأنعام: ٢٣] فيمن أَنَّثَ ونصب «فِتْنَتَهُمْ»[١٦] وكذا قوله:

---

(١) معاني القرآن ٢/٣٠٦. (٢) انظر البغوي ٦/٣٣٩ ـ ٣٤٠.

(٣) قراءة: سقط من الأصل.

(٤) عند قوله تعالى: ﴿واللذان يأتيانها منكم فآذوهما﴾ من الآية (١٦) فقرأ ابن كثير وأبو عمرو «فذانّك» مشددة النون، والباقون بالتخفيف. انظر السبعة (٢٢٩) الكشف ١/٣٨١. وانظر اللباب ٣/٣٧.

(٥) هو أبو نوفل بن أبي عقرب العرنجي اسم مسلم، أو عمرو بن مسلم، أخذ عن عائشة، وابن عمر، وأخذ عنه عبد الملك بن عمير وابن جدعان.

(٦) انظر البحر المحيط ٧/١١٨. (٧) المرجع السابق.

(٨) المختصر (١١٣)، البحر المحيط ٧/١١٨.

(٩) البيت من بحر الطويل قاله حميد بن ثور، وهو في ديوانه (٥٥) ابن يعيش ٤/١٤١ المقرب (٤٠٠)، البحر المحيط ٧/١١٨، المقاصد النحوية ١/١٧٧، شرح التصريح ١/٧٨، الهمع ١/٤٩، الأشموني ١/٩٠، الدرر ١/٢١.

الأحوذيّ: الخفيف في المشي، وأراد بهما ههنا جناحي قطاة يصفهما لخفتهما، استقلت: ارتفعت في الهواء. فما هي: فما مشاهدتها، ثم حذف المضاف فانفصل الضمير وارتفع. والشاهد فيه فتح نون المثنى في قوله: (أحوذيّين) وهي لغة أسد حكاها الكسائي والفراء.

(١٠) انظر البيان ٢/٢٣٣، التبيان ٢/١٠٢٠. (١١) ما بين القوسين سقط من ب.

(١٢) انظر البحر المحيط ٧/١١٨. (١٣) المرجع السابق.

(١٤) انظر البحر المحيط ٥/٤٣٢. (١٥) في ب: بهما.

(١٦) وهي قراءة نافع، وأبي عمرو، وأبي بكر عن عاصم وخلف وغيره عن عبيد عن شبل عن ابن كثير. السبعة (٢٥٥)، الكشف ١/٤٢٦، البحر المحيط ٧/١١٨.

٣٩٩٥ ـ وَقَدْ خَابَ مَنْ كَانَتْ سَرِيرَتُهُ الغَدْرُ[١]

وتقدم إيضاح هذا في الأنعام[٢]. والبرهان تقدم اشتقاقه[٣]، وهو الحجة، وقال الزمخشري هنا: فإنت قُلتَ: لم سميت الحجةُ برهاناً؟ قلت: لبياضها وإنارتها من قولهم (للمرأة البيضاء)[٤] برهرهة، بتكرير العين واللام، والدليل على زيادة النون قولهم أَبْره[٥] الرجلُ إذا جاء بالبرهان، ونظيره تسميتهم إياها سلطاناً من السَّليط وهو الزيت لإنارتها[٦].

قوله «إِلَى فِرْعَوْنَ» متعلق بمحذوف، فقدره أبو البقاء مرسلاً إلى فرعون[٧]، وغيره: اذْهَبْ[٨] إلى فرعون، وهذا المقدر ينبغي أن يكون حالاً من «بُرْهَانَانِ» أي: مرسلاً بهما إلى فرعون، والعامل في هذه الحال ما في اسم الإشارة.

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَـٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَـٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾﴾

قوله: «قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ» اعلم أنه تعالى لمَّا قال: «فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُم كَانُوا قَوْماً فاسِقِين»[٩] تضمن ذلك أن يذهب موسى بهذين البرهانين إلى فرعون وقومه، فعند ذلك طلب من يقوِّي قلبه فقال: «رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ وَأخي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً»، لأنه كان في لسانه حبسة إما[١٠] في أصل الخلقة وإما لأنه وضع الجمرة في فيه عندما (نتف لحية)[١١] فرعون[١٢].

---

(١) عجز بيت من بحر الطويل قاله أعشى تغلب، وصدره:

ألم يك غدراً ما فعلتم بشمعل

وقد تقدم.

(٢) عند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لم تكن فتنتهم إلاَّ أن قالوا﴾ من الآية (٢٣).

(٣) عند قوله تعالى: ﴿قل هاتوا برهانكم﴾ [البقرة: ١١١].

(٤) ما بين القوسين سقط من ب.

(٥) في ب: ابن. وهو تحريف.

(٦) في النسختين: لإنارته، والتصويب من الكشاف. انظر الكشاف ٣/١٦٦.

(٧) التبيان ٢/١٠٢٠، وسبقه إلى هذا التقدير ابن الأنباري. البيان ٢/٢٣٣.

(٨) في ب: ذهب. وهو تحريف.

(٩) من الآية السابقة.

(١٠) إما: سقط من ب.

(١١) ما بين القوسين في النسختين: تيقظ. والتصويب من الفخر الرازي.

(١٢) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢٤٩.

قوله «هُوَ أَفْصَحُ» الفصاحة لغةً الخلوصُ، ومنه: فصُحَ وأَفْصَحَ فهو مفصِحٌ وفصيحٌ[١]، أي: خلُصَ من الرِّغوة، ومنه قولهم:

٣٩٩٦ ـ وَتَحْتَ الرِّغْوَةِ اللَّبَنُ الفَصِيحُ[٢]

ومنه: فصُحَ الرَّجُلُ جادت لغته، وأفصح: تكلَّم بالعربية، وقيل: بالعكس[٣]، وقيل: الفصيح: الذي ينطق، والأعجم: الذي لا ينطق، ومن هذا استعير أفصحَ الصُّبحُ، أي: بَدَا ضوؤُهُ، وأفصح النصراني: دنا فصحُه بكسر الفاء، وهو عيد لهم[٤].

وأما في اصطلاح أهل البيان، فهو خُلُوص الكلمة من تنافر الحروف[٥]، كقوله: تَرْعَى الهُعْخُعَ[٦]، ومن[٧] الغرابة[٨] كقوله:

٣٩٩٧ ـ وَمَرْسِناً مُسَرَّجا[٩]

ومن مخالفة القياس اللُّغوي كقوله:

---

(١) في ب: فصيح ومفصح.

(٢) عجز بيت من بحر المقتضب، قاله نضلة السلمي، وصدره:

فلم يخشوا مصالته عليهم

وهو في الحماسة البصرية ١/٢٢٧، اللسان (فصح) والشاهد فيه قوله: (الفصيح) فإنه هنا بمعنى الخالص، ويروى: الصريح.

(٣) أي: الذي يتكلم بغير العربية، ويفهم عنه سامعه.

(٤) انظر اللسان (فصح).

(٥) التنافر منه تكون الكلمة بسببه متناهيةً في الثقل على اللسان، وعسر النطق بها، كما روي: أن أعرابيًّا سئل عن ناقته، فقال: تركتها ترعى الهعخع ومنه ما دون ذلك كلفظ مستشزر في قول امرىء القيس:

غدائره مستشزراتٌ إلى العلا

انظر الإيضاح (٥ ـ ٦).

(٦) الهعخع: اسم نبات. وهذه الكلمة تنافرت حروفها فهي ثقيلة على اللسان. الإيضاح (٥).

(٧) في ب: وأما.

(٨) الغرابة: أن تكون الكلمة وحشيَّةً، لا يظهر معناها، فيحتاج في معرفته إلى أن ينقَّر عنها في كتب اللغة المبسوطة، كما روي عن عيسى بن عمر النحوي أنه سقط عن حمار، فاجتمع عليه الناس فقال: (ما لكم تكأكأتم عليَّ تكأكؤكم على ذي جنَّة؟ افرنقعوا عنِّي) أي: اجتمعتم تنحوا أو يخرج لها وجه بعيد، كالبيت الذي استشهد به المؤلف. انظر الإيضاح (٦).

(٩) جزء رجز قال العجاج في وصف شعرِ محبوبته، وتمامه:

وفاحماً ومرسناً مسرَّجا

وهو في الإيضاح للقزويني (٦)، معاهد التنصيص ١/٦، الفاحم: الأسود، و (فاحماً) أي: شعراً فاحماً، فحذف الموصوف اكتفاء بالصفة. المرسن: بكسر السين وفتحها: الأنف، وجمعه المراسين، وأصله في ذوات الحوافر ثم استعمل للإنسان. وقوله: (مسرَّجا) اختلف في تخريجه: فقيل: نسبة إلى السيوف السريجية، فيكون قد وصفه بالاستقامة والاستواء، وإما من سرجه تسريجاً، أي: حسنه، فيكون موصوفاً بالحسن، ولهذا كان استعماله غريباً بدون قرينة. وهو موطن الشاهد.

٣٩٩٨ ـ الـــعَـــلِـــيِّ الأَجْـــلَـــلِ[١]

وخلوص الكلام من ضعف التأليف كقوله:

٣٩٩٩ ـ جَـزَى رَبُّـهُ عَـنِّـي عَـدِيَّ بْـنَ حَـاتِـمٍ[٢]

ومن تنافر الكلمات[٣] كقوله:

٤٠٠٠ ـ وَقَـبْـرُ حَـرْبٍ بِـمَـكَـانٍ قَـفْـرِ وَلَـيْـسَ قُـرْبَ قَـبْـرِ حَـرْبٍ قَـبْـرُ[٤]

ومن التعقيد وهو إما إخلال نظم الكلام فلا يُدْرَى كيف يتوصل إلى معناه، كقوله:

٤٠٠١ ـ وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إلاَّ مُمَلَّكاً أَبُـو أُمِّـهِ حَـيٌّ أَبُـوهُ يُـقَـارِبُـه[٥]

وإما عدم انتقال الذهن من المعنى الأول إلى المعنى الثاني الذي هو لازمه والمراد به ظاهراً كقوله:

٤٠٠٢ ـ سَأَطْلُبُ بُعْدَ الدَّارِ عَنْكُمْ لِتَقْرُبُوا وَتَسْكُبُ عَيْنَايَ الدُّمُوعَ لِتَجْمُدَا[٦]

---

(١) جزء رجز قاله أبو النجم، وتمامه: الحمد للَّه العليّ الأجلل. وهو في الخصائص ٣/ ٨٧، ٩٣، المنصف ١/ ٣٣٩، اللسان (جلل) الإيضاح للقزويني (٦) المقاصد النحوية ٤/ ٥٩٥، شرح التصريح ٢/ ٤٠٣، الهمع ٢/ ١٥٧، الأشموني ٤/ ٣٤٩، معاهد التنصيص ١/ ٧. والشاهد فيه قوله: (الأجلل) بدون إدغام، فهو مخالف للقياس، فإن القياس (الأجل) بالإدغام.

(٢) صدر بيت من بحر الكامل، ينسب لأبي الأسود، أو النابغة، أو عبد الله بن همارق، وعجزه:

جـــزاء الـــكـــلاب الـــعـــاويـــات وقـــد فـــعـــل

وهو في الخصائص ١/ ٢٩٤، أمالي ابن الشجري ١/ ١٠٢، ابن يعيش ١/ ٧٦، المقاصد النحوية ٢/ ٤٨٧، الإيضاح للقزويني (٧)، التصريح ١/ ٢٨٣، الهمع ١/ ٦٦، الأشموني ٢/ ٥٩، الخزانة ١/ ٢٧٧، الدرر ١/ ٤٤. والشاهد فيه عود الضمير في «ربُّه» على متأخر لفظاً ورتبة وهو (عديّ) والأخفش وابن جني أجازاه خلافاً للجمهور، وفي البيت تخريج آخر: وهو أن الضمير يعود على المصدر المفهوم، أي: الجزاء.

(٣) التنافر منه ما تكون الكلمات بسببه متناهية في الثقل على اللسان وعسر النطق بها متتابعة كما في البيت الذي أنشده المؤلف، ومنه ما دون ذلك كما في قول أبي تمام:

كـريـم مـتـى أمـدحـه أمـدحـه والـورى مـعـي وإذا مـا لـمـتـه لـمـتـه وحـدي

انظر الإيضاح (٧ ـ ٨).

(٤) البيت من بحر الرجز، لم أهتد إلى قائله. وهو في الإيضاح (٥)، معاهد التنصيص ١/ ٣٤ والشاهد فيه عدم فصاحة الكلام لثقلها على اللسان وعسر النطق بها متتابعة.

(٥) البيت من بحر الطويل، قال الفرزدق، وهو في الخصائص ١/ ١٤٦، ٣٢٩، ٢/ ٣٩٣، الإيضاح (٨) معاهد التنصيص ١/ ١٦.

والشاهد فيه التعقيد في النظم، وهو عدم فهم المراد من الكلام على الوضوح، وذلك لخلل في نظم الكلام، فكان حقه أن يقول: وما مثله في الناس حي يقاربه إلاَّ مملكاً أبو أمه أبوه، ففصل بين (أبو أمه) وهو مبتدأ، و(أبوه) وهو خبره بـ (حيّ) وهو أجنبي، وكذلك فصل بين (حيّ) و (يقاربه) وهو نعت (حيّ) بـ (أبوه) وهو أجنبي، وقدم المستثنى على المستثنى منه، فهو كما تراه في غاية التعقيد.

(٦) البيت من بحر الطويل قاله العباس بن الأحنف، وليس في ديوانه، وهو في الإيضاح (٩)، معاهد=

وخلوص (المتكلم من)[١] النطق بجميع ذلك، فصارت الفصاحة يوصف بها ثلاثة أشياء: الكلمةُ والكلامُ والمتكلمُ، بخلاف البلاغة فإنه لا يوصف بها إلا الأخيران، وهذا ليس (موضع) إيضاحه وإنما ذكرناه تنبيهاً على أصله[٢]، ولساناً: تمييز.

قوله «رِدْءاً» (منصوب)[٣] على الحال[٤]، والرِّدْءُ: العَوْنُ[٥] وهو فعل بمعنى مفعول كالدِّفء بمعنى المدفوء به[٦]، وَرَدَأْتُهُ على عدوه أي[٧]: أَعنتُهُ عليه[٨]، وردأْتُ الحائط: دعمتُهُ بخشبةٍ لِئلاً يسقط[٩]، وقال النحاس: يقال: رَدَأْتُهُ وَأَرْدَأْتُهُ[١٠]، وقال سلامة بن جندل[١١]:

٤٠٠٣ ـ وَرِدْئِي كل أَبْيَضَ مَشْرَفيٍّ شَحِيذَ الحدِّ أبيض ذِي فُلُولِ[١٢]

وقال آخر:

٤٠٠٤ ـ ألم تر أنَّ أَصْرَمَ كان رِدْئِي وَخَيْرُ النَّاسِ في قُلٍّ ومَالِ[١٣]

وقرأ نافع بغير همزة «رِداً» بالنقل، وأبو جعفر كذلك إلا أنه لم ينوِّنه، كأنه أجرى الوصل مجرى الوقف[١٤]، ونافع ليس من قاعدته النقل[١٥] في كلمة إلاَّ هُنا، وقيل: ليس نَقْلٌ وإنما هو من أردى على كذا، أي: زَادَ[١٦]، قال:

= التنصيص ١/ ١٩. والشاهد فيه أنه أراد أن يكني عما يوجبه دوام التلاقي من السرور بالجمود، لظنه أن الجمود خلو العين من البكاء مطلقاً من غير اعتبار شيء آخر، وليس الأمر كذلك، لأن الجمود خلو العين من البكاء في حال إرادة البكاء منها، فلا يكون كناية عن المسرة، وإنما يكون كناية عن البخل.

(١) ما بين القوسين سقط من ب.
(٢) انظر هذه المباحث في الإيضاح للقزويني (٥ ـ ١١).
(٣) منصوب: سقط من ب.
(٤) انظر التبيان ٢/ ١٠٢٠.
(٥) في ب: القرن.
(٦) انظر الكشاف ٣/ ١٦٦، البحر المحيط ٧/ ١٠٣.
(٧) أي: سقط من ب.
(٨) انظر مجاز القرآن ٢/ ١٠٤.
(٩) انظر اللسان (ردأ).
(١٠) قال النحاس: (مشتق من أردأته، أي: أعنته، وقد حكي ردأته ردءاً) إعراب القرآن ٣/ ٢٣٨.
(١١) هو سلامة بن جندل، شاعر جاهلي من الفرسان اشتهر بوصف الخيل. المنجد ٣٠٤.
(١٢) البيت من بحر الوافر وهو في الكشاف ٣/ ١١٦، البحر المحيط ٧/ ١٠٣، شرح شواهد الكشاف (١٠٠). مشرفيّ: نسبة إلى مشارف اليمن، قرى منها، وقيل: من الشام. شحيذ الحد: من شحذ شحذاً: أحدَّ سنانه، الفلول: جمع فلّ ـ بالفتح ـ وهو كسر في حد السيف، أي: به فلول من قراع الكتائب.
(١٣) البيت من بحر الوافر لم أهتد إلى قائله، وهو في القرطبي ١٣/ ٢٨٦. أصرم: يقال: رجل أصرم إذا افتقر وبقي متماسكاً.
(١٤) السبعة (٤٩٤) الحجة لابن خالويه (٢٧٨)، البحر المحيط ٧/ ١١٨، الإتحاف (٣٤٢).
(١٥) في ب: الفعل. وهو تحريف.
(١٦) ونسب هذا القول إلى مسلم بن جندب. انظر القرطبي ١٣/ ٢٨٦.

٤٠٠٥ ـ وَأَسْمَرَ خَطِّيًا كَأَنَّ كُعُوبَهُ نَوَى القَسْبِ قَدْ أَرْدَى ذِرَاعاً على العَشْرِ[(١)]

أي: زاد، وأنشده الجوهري (قد أَرْبَى)[(٢)]، وهو بمعناه.

قوله: «يُصَدِّقُنِي» قرأ حمزة وعاصم بالرفع على الاستئناف أو الصفة لـ «رِدْءاً» أو[(٣)] الحال من (هاء) «أَرْسِلْهُ»، أو من الضمير في «رِدْءاً»، أي: مصدِّقاً، والباقون بالجزم جواباً للأمر[(٤)]، وزيد بن علي وأُبيّ «يُصَدِّقُونِي»، أي: فرعون وملأه، قال ابن خالويه: هذا شاهد لِمَنْ جزم، لأنه لو كان رفعاً، لقال: «يُصَدِّقُونَنِي»[(٥)]. يعني بنونين، وهذا سهو من ابن خالويه، لأنه متى اجتمعت نون الرفع مع نون الوقاية جازت أوجه: أحدها: الحذف، فهذا يجوز أن يكون مرفوعاً، وحذفت نونه[(٦)]، فمن رفع القاف فالتقدير ردءاً يصدقني، ومن جزم كان على معنى الجزاء، يعني: إن أرسلته صدَّقني، ونظيره: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي﴾ [مريم: ٥ ـ ٦]، وروى السُّدِّي عن بعض شيوخه: «ردءاً كَيْمَا[(٧)] يُصَدِّقني»[(٨)].

والتصديق لهارون في قول الجميع، وقال مقاتل: لكي يُصدِّقنِي فرعون «إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ» يعني فرعون وقومه[(٩)]، وقال[(١٠)] ابن الخطيب: ليس الغرض بتصديق هارون أن يقول له صدقت أو يقول الناس: صَدَقَ مُوسَى، وإنما هو أن يخلص بلسانه الفصيح وجوه الدلائل ويجيب عن الشبهات ويجادل به الكفار فهذا هو التصديق المفيد ألا ترى إلى قوله «وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ»، وفائدة الفصاحة إنما تظهر فيما ذكرناه لا مجرد قوله: «صَدقت»[(١١)].

فصل

قال السُّدِّيّ: إنَّ[(١٢)] نبيَّيْن وآيتين أقوى من نبيٍّ واحدٍ وآية واحدة قال القاضي:

---

(١) البيت من بحر الطويل عزي في اللسان (ردى) إلى أوس، وفي اللسان (قسب): (قال ابن بري: هذا البيت يذكر أنه لحاتم الطائي ولم أجده في شعره) ونسبه البغدادي في الخزانة إلى عتبة بن مرداس. وقد تقدم.

(٢) انظر الصحاح (ربى) ٦/٢٣٦٢.

(٣) في ب: إذ. وهو تحريف.

(٤) السبعة ٤٩٤، الكشف ٢/١٧٣، البيان ٢/٢٣٣، التبيان ٢/١٠٢٠، البحر المحيط ٧/١١٨ النشر ٢/٣٤١، الإتحاف (٣٤٣).

(٥) المختصر (١١٤)، وانظر أيضاً البحر المحيط ٧/١١٨.

(٦) على خلاف بين النحاة في المحذوف النون الأولى أو الثانية، فمذهب سيبويه أنها نون الرفع ورجحه ابن مالك، وذهب أكثر المتأخرين إلى أن المحذوف نون الوقاية، وعليه الأخفش الأوسط والصغير والمبرد، وأبو علي وابن جني. والوجه الثاني: الفك. والثالث: الإدغام. انظر الهمع ١/٥١ ـ ٥٢.

(٧) في ب: فيما.

(٨) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢٤٩.

(٩) المرجع السابق.

(١٠) في ب: قال.

(١١) الفخر الرازي ٢٤/٢٤٩.

(١٢) إنَّ: تكملة من الفخر الرازي.

والذي قاله من جهة العادة أقوى، فأمَّا مِنْ حيث الدلالة فلا فرق بين معجز ومعجزين(١).

قوله «عَضُدَكَ» العامة على فتح العين وضم الضاد، والحسن وزيد بن علي (بضمهما)(٢)(٣) وعن الحسن بضمة وسكون(٤)، وعيسى بفتحهما(٥)، وبعضهم بفتح العين وكسر الضاد(٦)، وفيه لغة سادسة فتح(٧) العين وسكون الضاد(٨)، وهذا كناية عن التقوية له(٩) بأخيه وكان هارون يومئذ بمصر.

قوله: «وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطاناً» أي: حُجَّةً وبرهاناً «فَلاَ يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا». فإن قيل: بيَّن تعالى أن السلطان هو بالآيات فكيف لا يصلون إليهما لأجل الآيات، أو ليس فرعون قد وصل إلى صلب السحرة؟ فإن كانت هذه الآيات ظاهرة فالجواب: أن الآية التي هي قلب العصا حيَّة كما أنها معجزة فهي أيضاً تمنع من وصول ضرر فرعون إلى موسى وهارون، لأنهم علموا أنه(١٠) متى ألقاها صارت حية عظيمة، وإن أراد إرسالها عليهم أهلكتهم زجرهُم ذلك عن الإقدام عليها، فصارت مانعة من الوصول إليهما بالقتل وغيره وصارت آية ومعجزة وجمعت بين الأمرين، وأما صلب السَّحرة(١١) ففيه خلاف، فقيل: إنهم ما صُلِبوا، وليس في القرآن ما يدل على ذلك، وإن سلم فوصول الضرر لغيرهما لا يقدح في عدم الوصول إليهما(١٢).

قوله: «بآيَاتِنَا» يجوز فيه أوجه أن يتعلق بـ «نَجْعَلُ» أو بـ «يَصِلُونَ» أو بمحذوف، أي: اذهبا، أو على البيان فيتعلق بمحذوف أيضاً، أو بـ «الغَالِبُونَ» على أن (أل)(١٣) ليست موصولة أو موصُولة، واتِّسع فيه ما لا يتسع في غيره، أو قسمٌ وجوابه متقدم، وهو «فَلاَ يَصِلُونَ»، أو من لغو القسم، قالهما الزمخشري(١٤)، ورد عليه أبو حيان بأن جواب

---

(١) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٤٩.

(٢) المحتسب ٢/ ١٥٢، البحر المحيط ٧/ ١١٨.

(٣) ما بين القوسين في ب: بضمها. وهو تحريف.

(٤) انظر البحر المحيط ٧/ ١١٨.

(٥) المرجع السابق.

(٦) المرجع السابق.

(٧) في ب: بفتح.

(٨) قال أبو حيان: (ولا أعلم أحداً قرأ به) البحر الميحط ٧/ ١١٨، وقال ابن جني معقباً على قراءة الحسن بضمتين: (فيها خمس لغات: عَضُد، وعُضْد، وعُضُد، وعُضْد وعَضِد، وأفصحها وأعلاها عضد بوزن رجل) المحتسب ٢/ ١٥٢، وفي اللسان (عَضَدَ): العَضُد والعَضْد والعُضْد والعَضِد من الإنسان وغيره: الساعد وهو ما بين المرفق إلى الكتف، والكلام الأكثر العضد، وحكى ثعلب: العضد بفتح العين والضاد.

(٩) له: سقط من ب.

(١٠) أنه: سقط من ب.

(١١) في ب: الشجرة. وهو تحريف.

(١٢) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٥٠.

(١٣) أل: سقط من ب.

(١٤) قال الزمخشري: («بآياتنا» متعلق بنحو ما تعلق له «في تسع آياتٍ» أي: اذهبا بآياتنا، أو بـ «نجعل لكما سلطاناً» أي: أو بـ «لا يصلون» أي: تمتنعون منهم بآياتنا، أو هو بيان للغالبون لا صلة لامتناع تقديم الصلة على الموصول، ولو تأخر لم يكن إلا صلة له، ويجوز أن يكون قسماً جوابه «لا يصلون» مقدَّماً عليه، أو من لغو القسمِ) الكشاف ٣/ ١٦٧.

القسم لا تدخله الفاء عند الجمهور[١]. ويريد: بلغو القسم أن جوابه محذوف أي: وحقِّ آياتِنَا[٢] لَتَغْلِبُنَّ[٣]، ثم قال: «أَنْتُما وَمَن اتَّبَعَكُمَا الغَالِبُون» أي: لكما ولأتباعكما الغلبة.

قوله: «فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بيّنَاتٍ» واضحات وقد تقدم كيفية إطلاق لفظ الآيات ـ وهو جمع ـ على العصا واليد في سورة طه. «قَالُوا مَا هٰذا إلاَّ سِحْرٌ مُفْتَرًى» مختلق، ثم ضموا إليه ما يدل على جهلهم، وهو قولهم «مَا سَمِعْنَا بِهٰذَا فِي آبائنا الأَوَّلِين» أي: ما حُدِّثنا بهذا الذي تدعونا إليه.

قوله: «وقَالَ مُوسَى» هذه قراءة العامة بإثبات واو العطف، وابن كثير حذفها[٤]. وكل وافق مصحفه، فإنها ثابتة في المصاحف غير مصحف مكة؛ وإثباتها وحذفها واضحان، وهو الذي يسميه أهل البيان: الوَصْلُ والفَصْلُ[٥]. قوله[٦] «رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالهُدَى مِنْ عِندِهِ» بالمحق من المبطل.

قوله: «وَمَنْ تَكُونُ» قرأ العامة «تكون» بالتأنيث، و «لَهُ» خبرها، و «عَاقِبَةُ» اسمها، ويجوز أن يكون اسمها ضمير القصة، والتأنيث لأجل ذلك.

و «لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ» جملة[٧] في موضع الخبر، وقرىء[٨] بالياء من تحت[٩] على أن تكون «عَاقِبَةُ» اسمها، والتذكير[١٠] للفصل، ولأنه تأنيث مجازي، ويجوز أن يكون اسمها ضمير الشأن[١١]، والجملة خبر كما تقدم[١٢]، ويجوزُ أن تكون تامة وفيها ضمير يرجع إلى «مَنْ» والجملة في موضع الحال، ويجوز أن تكون ناقصة واسمها ضمير «مَنْ» والجملة خبرها[١٣]، والمعنى: «مَنْ يَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ» أي: العاقبة[١٤] المحمودة في الدار الآخرة لقوله[١٥] تعالى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ جَنَّٰتُ عَدۡنٍ﴾ [الرعد: ٢٢ ـ ٢٣]، والمراد من الدار: الدُّنيا. وعاقبتها[١٦] وعقباها أنْ يُخْتَم للعبد بالرحمة والرضوان[١٧]، «إنَّهُ[١٨] لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ»، أي: الكافرون.

---

(١) البحر المحيط ٧/ ١١٨.
(٢) في ب: وحقِّ أنا كاننا. وهو تحريف.
(٣) انظر البحر المحيط ٧/ ١١٩.
(٤) السبعة (٤٩٥)، الحجة لابن خالويه (٢٧٨) الكشف ٢/ ١٧٤، النشر ٢/ ٣٤١، الإتحاف (٣٤٣).
(٥) الوصل: عطف بعض الجمل على بعض، والفصل: تركه. انظر الإيضاح (١٥١).
(٦) قوله: سقط من الأصل.
(٧) في ب: وجملة. وهو تحريف.
(٨) في الأصل: وهي.
(٩) قرأ بها حمزة والكسائي وخلف. السبعة (٤٩٤)، الكشف ١/ ٤٥٣، النشر ٢/ ٣٤١، الإتحاف (٣٤٣).
(١٠) في ب: والتذكر. وهو تحريف.
(١١) في ب: البيان. وهو تحريف.
(١٢) في ب: كما تقدم والجملة خبر.
(١٣) انظر التبيان ٢/ ١٠٢١.
(١٤) في ب: العقبى.
(١٥) في ب: كقوله.
(١٦) وعاقبتها: سقط من ب.
(١٧) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٥١.
(١٨) إنه: سقط من ب.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ (٣٨) وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ (٣٩) فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ (٤٠) وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ (٤١) وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ (٤٢) وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٤٣)﴾

قوله[١]: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ فتضمن كلامه نفي إلٰهيَّة غيره وإثبات إلٰهية نفسه[٢]، «فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ» فاطبخ لي الآجُرَّ[٣]، قيل: إنَّه أول من اتخذ الآجُرَّ وبنَى به[٤]، «فَاجْعَل لي صَرْحاً» أي[٥]: قصراً عالياً. وقيل: منارة، واختلفوا في ذلك فقيل: إنه بَنَاه حتى بلغ ما لَمْ يبلغه بنيان أحد من الخلق، وإنه صَعِدَ وَرَمَى بسهم وأن السهم عاد إليه ملطخاً بدم، وبعث الله جبريل عليه السلام فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع[٦]، وقيل: إنه لم يَبْن الصرح لأنه يبعد في العقل أنهم بصعود الصرح يقربون من السماء مع علمهم[٧] بأنّ مَنْ عَلاَ أعلى الجبال الشاهقة يرى السماء كما كان يراها وهو في قرار الأرض، ومن شكَّ في ذلك خرج عن حد العقل، وهذا القول في أنه رمى السهم إلى السماء وأن من حاول ذلك كان من الخائبين، ولا يليق بالعقل، وإنما قال ذلك على سبيل التهكم[٨].

قوله: «لَعَلّي أطَّلِعُ إلى إلَه مُوسَى» أنظر إليه. والطُّلوع والاطِّلاع[٩] واحد، يقال: طَلَعَ الجبل واطَّلَعَ واحد[١٠]، «وَإنِّي لأظُنُّهُ» يعني موسى «من الكاذبين» في زعمه أنَّ للأرض والخلق إلٰهاً غيري وأنه رسوله. «وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ في الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ» واعلم أن الاستكبار بالحق إنما هو لله تعالى، وهو المتكبر في الحقيقة، قال عليه السلام[١١] فيما حكاه عن ربه: «الكِبْرِيَاءُ رِدَائِي والعَظَمَةُ إزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي واحداً مِنْهُمَا

(١) في ب: قوله تعالى.
(٢) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٥٢.
(٣) الآجرّ: طبيخ الطين، والواحدة بالهاء آجرّة. اللسان (أجر).
(٤) انظر البغوي ٦/ ٢٤٣.
(٥) أي: سقط من الأصل.
(٦) انظر البغوي ٦/ ٤٣٤.
(٧) في ب: لعلمهم.
(٨) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٥٣.
(٩) الصعود.
(١٠) انظر الكشاف ٣/ ١٦٩.
(١١) في ب: عليه الصلاة والسلام.

ألقيته في النَّار»[١] وكل[٢] مستكبر سواه فاستكباره بغير الحق[٣].

قوله: «بِغَيْرِ الحَقِّ» حال، أي: استكبروا متلبسين بغير الحق، «وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لاَ يُرْجَعُونَ» قرأ نافع والأخوان[٤] ويعقوب «يَرْجِعُونَ» مبنياً للفاعل، والباقون للمفعول[٥].

قوله: ﴿فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾ وهذا من الكلام المفحم الذي يدل على عظمة شأنه وكبرياء سلطانه، شبههم ـ استحقاراً لهم واستقلالاً لعددهم ـ وإن كانوا الجم الغفير ـ كحصيات[٦] أخذهن آخذ[٧] في كفه وطرحهُنَّ في البحر، ونحو ذلك قوله ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَـٰمِخَـٰتٍ﴾ [المرسلات: ٢٧] ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الحاقة: ١٤] ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]. وليس الغرض منها إلا تصوير أنَّ كلَّ مقدور وإن عظم[٨] فهو حقير بالنسبة إلى قدرته[٩] «فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ». قوله[١٠]: «وَجَعَلْنَاهُمْ» أي: صيَّرنَاهُم وقال الزمخشري: دعوناهم[١١]، كأنه فر من نسبة ذلك إلى الله تعالى، أعني[١٢]: التصيير لأنه لا يوافق مذهبه[١٣]، ويدعون صفة لـ «أَئِمَّة» وقال الجبائي: وجعلناهم: أي بيَّنا ذلك من حالهم وسميناهم به، ومنه قوله: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا﴾[١٤] [الزخرف: ١٩]. وقال أبو مسلم: معنى الإمامة التقدم، فلما عجَّل الله[١٥] لهم العذاب صاروا متقدّمين لمن وراءهم من[١٦] الكافرين[١٧]. ومعنى دعوتهم إلى النار: دعوتهم إلى موجباتها من الكفر والمعاصي، فإن أحداً لا يدعو إلى النار ألبتة، وإنما جعلهم الله أئمةً في هذا الباب، لأنهم بلغوا في هذا الباب إلى أقصى النهايات ومن كان كذلك استحق أن يكون إماماً يقتدى به في ذلك الباب[١٨].

قوله: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ لا يمنعون من العذاب، كما تنصر الأئمة الدعاة إلى الجنة، «وَاتَّبَعُوا في هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً» خزياً وعذاباً.

قوله: «وَيَوْمَ القِيَامَةِ»[١٩] فيه أوجه:

---

(١) أخرجه أبو داود (لباس) ٤/ ٥٩، أحمد ٢/ ٢٤٨، ٣٧٦، ٤١٤، ٤٢٧، ٤٤٢.

(٢) في ب: كل.

(٣) انظر الكشاف ٣/ ١٦٩، الفخر الرازي ٢٤/ ٢٥٣.

(٤) حمزة والكسائي.

(٥) السبعة (٤٩٤)، الكشف ٢/ ١٧٤، الإتحاف (٣٤٣).

(٦) في ب: لحصيات. وهو تحريف.

(٧) في ب: أخذهن من أحد.

(٨) في ب: أن كل مقدورات عظم.

(٩) انظر الكشاف ٣/ ٦٩ ـ ١٧٠، الفخر الرازي ٢٤/ ٢٥٤.

(١٠) في ب: قوله تعالى.

(١١) الكشاف ٣/ ١٧٠.

(١٢) في ب: عن.

(١٣) لأن (جعل) إذا كانت بمعنى (صيَّر) فيكون الله قد خلق ذلك لهم، والمعتزلة لا يجوزون ذلك.

(١٤) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٥٤.

(١٥) لفظ الجلالة سقط من ب.

(١٦) في ب: من الكفار.

(١٧) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٥٤.

(١٨) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٥٤.

(١٩) في ب: «ويوم القيامة هم».

أحدها: أن تتعلق[١] بـ «المَقْبُوحِينَ»[٢] على أن (أل) ليست موصولة[٣] أو موصولة واتسَّع فيه، وأن تتعلق بمحذوف يفسره «المَقْبُوحِينَ»[٤]، كأنه قيل[٥]: وقبِّحُوا يوم القيامة، نحو: ﴿لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٨]، أو يعطف على موضع «في الدُّنْيَا»، أي: وأتبعناهم لعنة يوم القيامة[٦]. أو معطوفة على «لَعْنَة» على حذف مضاف، أي[٧]: ولعنةَ يوم القيامة[٨].

والوجه الثاني أظهرهما، والمَقْبُوحُ: المطرود قبحه الله: طرده[٩]، قال:

٤٠٠٦ ـ أَلاَ قَبَّحَ اللَّهُ البَرَاجِمَ كُلَّهَا وَجَدَّعَ يَرْبُوعاً وَعَفَّرَ دَارِمَا[١٠]

وسُمِّي ضد الحسن قبحاً لأنَّ العين[١١] تنبو عنه، فكأنها تطرده[١٢]، يقال: قبح قباحةً، وقيل: «مِنَ المَقْبُوحِينَ»: من الموسومين بعلامة منكرة، كزرقة العيون وسواد الوجوه، قاله ابن عباس[١٣]، يقال: قَبَحَهُ الله وقَبَّحَه، إذا جعله قبيحاً، قال الليث: قَبَحَهُ الله أي: نحاه من كل خير[١٤]، والقبيح أيضاً: عظم الساعد مما يلي النصف منه إلى المرفق[١٥]، وقال أبو عبيدة: «مِنَ المَقْبُوحِينَ» من المهلكين[١٦].

قوله[١٧]: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ﴾ قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم والمراد بالكتاب: التوراة، بيَّن تعالى أنَّ الذي يجب التمسك به ما جاء به موسى[١٨]، ووصفه بأنه بصائر للنَّاس من حيث يستبصر به في باب الدين[١٩].

قوله: «بَصَائر» يجوز أن يكون مفعولاً له[٢٠]، وأن يكون حالاً[٢١] إما على حذف

---

(١) يريد بالتعلق هنا أن يكون معمولاً له.
(٢) في ب: أن يتعلق بـ «المقبوحين» كأنَّه وقبِّحوا يوم القيامة نحو «إني لعملكم من القالين».
(٣) انظر التبيان ٢/ ١٠٢١.
(٤) انظر البيان ٢/ ٢٣٤، التبيان ٢/ ١٠٢١.
(٥) في ب: كأنه قال.
(٦) انظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٣٤، التبيان ٢/ ١٠٢١.
(٧) أي: سقط من ب.
(٨) انظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٦٢، البيان ٢/ ٢٣٣، التبيان ٢/ ١٠٢١.
(٩) انظر الكشاف ٣/ ١٧٠، اللسان (قبح).
(١٠) البيت من بحر الطويل، قاله امرؤ القيس، وهو في ديوانه (١٣٠)، المفضليات (٤٣٧)، القرطبي ١٣/ ٢٩٠، البحر المحيط ٧/ ١٠٣. البراجم: مفاصل الأصابع، والمقصود بالبراجم هنا: أحياء من بني تميم، وذلك أن أباهم قبض أصابعه، وقال لهم: كونوا كبراجم يدي هذه ويربوع ودارم: حيان منهم. جدّع: قطع، يدعو عليهم بالقبح والذلة. والشاهد فيه قوله: «قبّح» أي: جعلهم مقبوحين مطرودين.
(١١) في ب: المعنى.
(١٢) في ب: تطردهم.
(١٣) انظر البغوي ٦/ ٣٤٤.
(١٤) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٥٥.
(١٥) انظر اللسان (قبح).
(١٦) مجاز القرآن ٢/ ١٦٠.
(١٧) في ب: قوله تعالى.
(١٨) في ب: موسى عليه الصلاة والسلام.
(١٩) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٥٥.
(٢٠) انظر التبيان ٢/ ١٠٢١.
(٢١) انظر الكشاف ٣/ ١٧٠، البيان ٢/ ٢٣٤، التبيان ٢/ ١٠٢١.

مضاف أي: ذا بصائر، أو على المبالغة، و «هُدًى» من حيث يستدل به[(١)]، ومن حيث أن المتمسك به يفوز بطلبته من الثواب، ووصفه بأنه «رَحْمَةً»، لأنه من نعم الله على من تعبد به[(٢)].

روى أبو سعيد الخدري عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: ما أهلك الله قرناً من القرون بعذاب من السماء ولا من الأرض منذ أنزل التوراة غير أهل القرية التي مسخها الله قردة[(٣)]. وقوله: «لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ» بما فيه من المواعظ والبصائر.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾

قوله: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ﴾ (قال قتادة والسدي: وما كنت بجانب الجبل الغربي[(٤)])[(٥)] فيكون من حذف الموصوف، وإقامة صفته قيامه[(٦)] أو أن يكون من إضافة الموصوف لصفته، وهو مذهب الكوفيين، ومثله: بَقْلَةُ الحَمْقَاءِ[(٧)]، وَمَسْجِدُ الجَامِعِ[(٨)].

قوله: «إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الأَمْرَ» أي: عهدنا إليه وأحكمنا الأمر معه بالرسالة إلى فرعون وقومه، والمعنى: وما كنت الحاضر المكان الذي أوحينا فيه إلى موسى ولا كنت من جملة الشاهدين للوحي إليه أو على الوحي إليه وهم نقباؤه الذين اختارهم للميقات[(٩)]. فإن قيل: لمَّا قال: «وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الغَرْبِيّ» ثبت أنه لم يكن شاهداً،

---

(١) به: سقط من ب.
(٢) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٥٥.
(٣) أخرجه البزار وابن المنذر، والحاكم وصححه وابن مردويه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. انظر الدر المنثور ٥/ ١٢٩.
(٤) انظر البغوي ٦/ ٣٤٥.
(٥) ما بين القوسين سقط من ب.
(٦) انظر التبيان ٢/ ١٠٢٢، البحر المحيط ٧/ ١٢٢.
(٧) البقلة الحمقاء: الرجلة، وهي بقلة حولية عشبية لحمية لها بزور رقاق يؤكل ورقها مطبوخاً ونيئاً، وسميت حمقاء، لأنها تنبت على طرق الناس فتداس. اللسان (بقل، رجل)، المعجم الوسيط (رجل).
(٨) اشترط الكوفيون لجواز إضافة الموصوف لصفته اختلاف لفظ المضاف والمضاف إليه، ومنع البصريون ذلك، لأن الصفة عين الموصوف، ولأن المضاف إليه كالشيء الواحد، ولا يضاف الشيء إلى نفسه، وتأولوا هذه الأشياء على حذف مضاف تقديره: بقلة الحبة الحمقاء، ومسجد المكان الجامع. انظر الهمع ٢/ ٤٨ ـ ٤٩، الأشموني ٢/ ٢٤٩ ـ ٢٥٠.
(٩) انظر الكشاف ٣/ ١٧١، الفخر الرازي ٢٤/ ٢٥٦.

لأن الشاهد لا بد وأن يكون حاضراً فما[١] الفائدة في إعادة قوله: «وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ».

فالجواب: قال ابن عباس التقدير لم تحضر ذلك الموضع ولو حضرت ما شاهدت تلك الوقائع[٢]، فإنه يجوز أن يكون هناك، ولا يشهد ولا يرى[٣].

قوله: «وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُوناً» وجه الاستدراك أن المعنى: وَمَا كُنْتَ شَاهِداً لموسى وما جرى عليه ولكِنَّا أوحيناه إليك، فذكر سبب الوحي الذي هو إطالة الفترة ودل به على[٤] المسبب على عادة[٥] الله في اختصاراته، فإن هذا الاستدراك هو شبيه[٦] بالاستدراكين بعده، قاله الزمخشري[٧]، وهذا تنبيه على المعجز[٨]، كأنه[٩] قال: إن في إخبارك بهذه الأشياء من غير حضور ولا مشاهدة ولا تعلم من أهله دلالةً ظاهرةً على نبوتك كقوله: ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾[١٠] [طه: ١٣٣].

قوله: «وَمَا كُنْتَ ثَاوِياً» أي: مقيماً، يقال: ثَوَى يَثْوِي ثَوَاءً وثُوِياً، فهو[١١] ثاوٍ ومثويّ، قال ذو الرمة:

٤٠٠٧ ـ لَقَدْ كَانَ في حَوْلٍ ثَوَاءٍ ثَوَيْتُه تَقَضِّي لُبَانَاتٍ وَيَسْأَمُ سائِمُ[١٢]

وقال:

٤٠٠٨ ـ طَالَ الثَّوَاءُ عَلَى رَسُولِ المَنْزِلِ[١٣]

وقال العجاج:

٤٠٠٩ ـ وَبَاتَ حَيْثُ يَدْخُلُ الثَّوِيُّ[١٤]

يعني الضيف المقيم.

قوله: «تَتْلُو» يجوز أن يكون حالاً من الضمير في «ثَاوِياً»، وأن يكون خبراً

---

(١) في ب: و.
(٢) في ب: المواضع والوقائع.
(٣) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢٥٧.
(٤) في الأصل: على أن.
(٥) في ب: إعادة.
(٦) في ب: يشبه.
(٧) الكشاف ٣/ ١٧١.
(٨) في ب: العجز. وهو تحريف.
(٩) في ب: فإنه. وهو تحريف.
(١٠) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٥٧.
(١١) فهو: سقط من ب.
(١٢) البيت من بحر الطويل، وهو للأعشى، لا كما نسبه ابن عادل إلى ذي الرمة. وقد تقدم.
(١٣) صدر بيت من بحر الكامل، قاله عنترة بن شداد العبسي في هجاء قيس بن زيد، وعجزه:

بين اللكيك وبين ذات الحوامل

وهو في ديوانه (٥٦). والشاهد فيه قوله: (الثواء) فإنه مصدر بمعنى الإقامة من الفعل ثوى.
(١٤) من الرجز قاله العجاج، وهو في ديوانه (٣٢٥)، مجاز القرآن ٢/١٠٧، القرطبي ١٣/ ٢٩١ البحر المحيط ٧/ ١٠٣. الثوى: بيت في جوف بيت يقيم فيه الضيف فهو مكان إقامة. وهو موطن الشاهد.

ثانياً[١]، وأن يكون هو الخبر، و «ثَاوِياً» حال[٢] وجعله الفراء منقطعاً مما قبله[٣]. أي: مستأنفاً[٤] كأنَّه قيل: وها أنت تتلو على أمَّتك، وفيه بعد.

فصل

المعنى: «وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُوناً» خلقنا أمماً من بعد موسى «فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ العُمُرُ»، أي: طالت عليهم المهلة، فنسوا عهد الله وتركوا أمره، وذلك أن الله عهد إلى موسى وقومه عهوداً في محمد ـ ﷺ ـ والإيمان به، فلما طال عليهم العمر وخلقت القرون من بعد القرون نسوا[٥] تلك العهود وتركوا الوفاء بها، «وَمَا كُنْتَ» مقيماً «في أَهْلِ مَدْيَنَ» كمقام موسى وشعيب فيهم «تَتْلُو عَلَيْهِم آيَاتِنَا» تذكرهم بالوعد والوعيد[٦].

قال[٧] مقاتل: يقول لم تشهد أهل مدين فتقرأ على[٨] أهل مكة خبرهم[٩] «وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسلين» في كل زمان رسولاً[١٠] يعني: أرسلناك رسولاً، وأنزلنا عليك كتاباً فيه هذه الأخبار فتتلوها عليهم ولولا ذلك ما علمتها، ولم تخبرهم بها[١١]، «وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ» بناحية الجبل الذي كلَّم[١٢] الله عليه موسى «إِذْ نَادَيْنَا» أي: نادينا موسى: خذ الكتاب بقوَّةٍ. وقال ابن عباس: إذ نادينا أمتك في أصلاب آبائهم: (يا أمة محمدٍ أجبتكم[١٣] قبل أن تدعوني، وأعطيتكم قبل أن تسألوني، وغفرت لكم قبل أن تستغفروني)، قال: وإنما قال ذلك حين اختار موسى سبعين رجلاً لميقات ربه[١٤]. وقال وهب: لما ذكر الله لموسى فضل أمة محمد[١٥] قال موسى: يا رب أرني محمداً، قال: إنك لن تصل إلى ذلك، وإن شئت ناديت أمته وأسمعتك صوتهم، قال: بلى يا رب، قال الله تعالى: يا أمة محمد، فأجابوه من أصلاب آبائهم[١٦].

قوله: «ولَكِن رَحْمَةً مِنْ رَبكَ» أي: أَرْسَلْنَاكَ رَحْمَةً، أو أعلمناك[١٧] بذلك رحمةً[١٨]، أو لكن رحمناكَ رحمة بإرسالك وبالوحي إليك وإطلاعك على الأخبار الغائبة عنك[١٩].

---

(١) ذكر هذين الوجهين أبو البقاء. انظر التبيان ٢/ ١٠٢٢.
(٢) حكاه أبو حيان. البحر المحيط ٧/ ١٢. (٣) مما قبله: سقط من ب.
(٤) قال الفراء: (أي: إنك تتلو على أهل مكة قصص مدين وموسى، ولم تكن هناك ثاوياً مقيماً فتراه وتسمعه) معاني القرآن ٢/ ٣١٣.
(٥) في ب: ونسوا.
(٦) انظر البغوي ٦/ ٣٤٦.
(٧) في ب: وقال.
(٨) في ب: علماً.
(٩) انظر البغوي ٦/ ٣٤٦، الفخر الرازي ٢٤/ ٢٥٧.
(١٠) رسولاً: سقط من ب.
(١١) انظر البغوي ٦/ ٣٤٦.
(١٢) في ب: يكلم.
(١٣) في ب: جئتكم. وهو تحريف.
(١٤) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٥٧.
(١٥) في ب: محمد ﷺ.
(١٦) انظر البغوي ٦/ ٣٤٦، الفخر الرازي ٢٤/ ٢٥٧.
(١٧) في الأصل: أو علمناك.
(١٨) انظر التبيان ٢/ ١٠٢٢.
(١٩) انتصب «رحمة» على المصدر عند الأخفش، فإنه قال: (فنصب «رحمة» على: ولكن رحمك ربُّك=

وقرأ عيسى بن عمر وأبو حيوة: «رَحْمَةٌ» بالرفع[١]، أي: أنت رحمة[٢].

قوله: «مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ» في موضع الصفة لـ «قَوْماً»، والمعنى: لتنذر أقواماً ما أتاهم من نذير من قبلك، يعني أهل مكة، «لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ».

قوله[٣]: «وَلَوْلاَ أَنْ تُصِيبَهُمْ» هي الامتناعية، و (أَنْ) وما في حيزها في موضع رفع بالابتداء[٤]، أي: ولولا أصابتهم مصيبة[٥]، وجوابها محذوف، فقدره الزجاج: ما أرسلنا إليهم رسلاً[٦]. يعني أن الحامل على إرسال الرسل إزاحة عللهم بهذا القول، فهو كقوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾[٧] [النساء: ١٦٥]، وقدره ابن عطية: لعاجلناهم[٨]، ولا معنى لهذا. «فَيَقُولُوا» عطف على «تصيبهم» و «لَوْلاَ» الثانية تحضيض[٩]، و «فنتبع» جوابه[١٠]، فلذلك نصب بإضمار «أَنْ».

قال الزمخشري: فإن قلت كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هي السبب، لا القول لدخول حرف الامتناع عليه دونه؟ قلت: القول هو المقصود بأن[١١] يكون سبباً للإرسال، ولكن العقوبة لما كانت هي السبب للقول وكان وجوده بوجودها جعلت العقوبة كأنها سبب للإرسال بواسطة القول، فأدخلت عليها (لولا)[١٢]، وجيء بالقول معطوفاً عليها بالفاء المعطية معنى السبب، ويؤول معناه[١٣] إلى قولك: ولولا قولهم هذا إذا أصابتهم مصيبة لما أرسلنا، ولكن اختيرت هذه الطريقة لنكتة وهي أنهم لو لم[١٤] يعاقبوا مثلاً على كفرهم عاينوا ما الجئوا به إلى العلم اليقيني ببطلان[١٥] دينهم لم

= رحمة) معاني القرآن ٢/ ٦٥٣. ومفعول لأجله عند الزجاج فإنه قال: (والنصب على معنى: فعلنا ذلك للرحمة، كما تقول: فعلت ذلك ابتغاء الخير، أي: فعلته لابتغاء الخير، فهو مفعول له) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٤٧. وقال الكسائي: هي خبر (كان) مضمرة بمعنى: ولكن كان ذلك رحمةً من ربك. انظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٦٤، البيان ٢/ ٢٣٤.

(١) المختصر (١١٣) البحر المحيط ٧/ ١٢٣. (٢) انظر الكشاف ٣/ ١٧١، البحر المحيط ٧/ ١٢٣.

(٣) في ب: قوله تعالى. (٤) في ب: الابتداء.

(٥) في ب: المصيبة.

(٦) قال الزجاج: (أي: لولا ذلك لم يحتج إلى إرسال الرسل، ومواترة الاحتجاج) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٤٧، وابن عادل تابع لأبي حيان في هذا النقل. انظر البحر المحيط ٧/ ١٢٣.

(٧) انظر البحر المحيط ٧/ ١٢٣.

(٨) قال ابن عطية (وجواب لولا محذوف تقديره: لما أرسلنا الرسل) تفسير ابن عطية ١١/ ٣٠٧ وابن عادل تابع لأبي حيان في هذا النقل. انظر البحر المحيط ٧/ ١٢٣.

(٩) قال أبو عبيدة: («لولا أرسلت إلينا رسولاً» مجازه: هلاّ) مجاز القرآن ٢/ ١٠٧.

(١٠) انظر الكشاف ٣/ ١٧١، البحر المحيط ٧/ ١٢٣.

(١١) في الأصل: لأن. (١٢) في ب: الواو. وهو تحريف.

(١٣) في ب: معناها. (١٤) في ب: لولا.

(١٥) في ب: سلطان.

يقولوا: لَوْلاَ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً. بل إنما يقولون إذا نالهم العقاب، وإنما السبب في قولهم هذا هو العقاب لا غير التأسف على ما فاتهم من الإيمان بخالقهم، وهو كقوله[1]: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨].

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ (٤٨) قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٤٩) فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥٠) ۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٥١) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ (٥٢) وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ (٥٣) أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٥٤) وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ (٥٥)﴾

قوله: «فَلَمَّا جَاءَهُمْ» يعني محمداً الحق[2] من عندنا قالوا يعني كفار مكة (لَوْلاَ) هلاّ «أُوتِيَ مُحَمَّدٌ» مثل ما أُوتِيَ موسى من الآيات كاليد البيضاء، والعصا، وفلق البحر، وتظليل الغمام، وانفجار الحجر بالماء والمنِّ و[3] السَّلْوَى وكلام الله وغيرها[4].

وقيل: مثل ما أُوتي موسى كتاباً جملةً واحدةً[5]. قال الله عزّ وجلّ: «أَوَ لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ»، واختلفوا في الضمير[6] في قوله: أَوَ لَمْ يَكْفُرُوا[7]، فقيل: إن اليهود أمروا قريشاً[8] أن يسألوا محمداً أن يؤتى[9] مثل ما أُوتِيَ مُوسَى ـ عليه السلام[10] ـ فقال تعالى: «أَوَ لَمْ يَكْفُرُوا» هؤلاء اليهود «بِمَا أُوتِيَ مُوسَى» بجميع[11] تلك الآيات الباهرة؟ وقيل: إنّ الذين اقترحوا هذا هم كفار مكة، والذين كفروا بموسى هم الذين كانوا في زمن موسى إلاّ أنه تعالى جعله كالشيء الواحد، لأنهم في الكفر والتعنت كالشيء الواحد. وقال الكلبي: إنَّ مشركي مكة بعثوا رهطاً إلى يهود المدينة يسألونهم[12]

---

(١) الكشاف ٣/ ١٧١ ـ ١٧٢.
(٢) في ب: بالحق. وهو تحريف.
(٣) و: سقط من ب.
(٤) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٦٠.
(٥) انظر البغوي ٦/٣٤٨.
(٦) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٤/ ٢٦٠ ـ ٢٦١. بتصرف يسير.
(٧) في ب: أو لم يكفروا بما أوتي موسى من قبل.
(٨) قريشاً: تكملة من الفخر الرازي.
(٩) أن يؤتى: تكملة من الفخر الرازي.
(١٠) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١١) في ب: مع.
(١٢) في الأصل: يسألوهم.

عن محمد وشأنه، فقالوا: إنا نجده في التوراة بنعته وصفته، فلما رجع الرَّهط وأخبروهم[١] بقول اليهود، و[٢] قالوا: إنَّه كان ساحراً كما أن محمداً ساحر، فقال تعالى في حقهم: «أَوَ لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ».

وقال الحسن: كان للعرب أصل في أيام موسى ـ عليه السلام[٣] ـ فمعناه على هذا: أو لم يكفر آباؤهم، وقالوا: موسى وهارون ساحران، وقال قتادة: أو لم يكفر اليهود في عصر محمد بما أوتي موسى من قبل من البشارة بعيسى ومحمد فقالوا ساحران، وقيل[٤]: إن كفار قريش كانوا منكرين لجميع النبوات ثم إنهم لما طلبوا من الرسول معجزات موسى ـ عليه السلام[٥] ـ قال تعالى: «أَوَ لَمْ يَكْفرُوا بما أُوْتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ»، بل بما[٦] أوتي جميع الأنبياء من قبل، أي: لا غرض لهم من هذا الاقتراح إلا التعنت، ثم حكى كيفية كفرهم بما أوتي موسى[٧]، وهو قولهم: «سَاحِرَانِ تَظَاهَرا»[٨].

قوله: «مِن قَبْلُ» إمَّا أن يتعلق بـ «يَكْفُرُوا»، أو بـ «أُوتِيَ» أي[٩] من قبل ظهورك[١٠]..

قوله: «سَاحِرَانِ» قرأ الكوفيون[١١] «سِحْرَان» أي هما، أي: القرآن والتوراة، أو موسى وهارون، وذلك على المبالغة، جعلوهما[١٢] نفس السحر، أو على حذف مضاف، أي: ذوا سِحْرَين، ولو صحَّ هذا لكان ينبغي أن يفرد سحر، ولكنَّه ثني تنبيهاً على التنويع، وقيل المراد: موسى ومحمد ـ عليهما السلام[١٣] ـ أو[١٤] التوراة والإنجيل، والباقون: «سَاحِرَانِ» أي: موسى وهارون أو موسى ومحمد[١٥] كما تقدم.

قوله: «تَظَاهَرَا» العامة على تخفيف الظاء فعلاً ماضياً صفة لـ «سِحْرَان» أو «سَاحِرَانِ» أي: تعاوَنَا[١٦]. وقرأ الحسن ويحيى بن الحارث الذِّمَّاري وأبو حيوة واليزيدي بتشديدها[١٧]، وقد لحنهم الناس، قال ابن خالويه تشديده[١٨] لحن، لأنه فعل ماض، وإنَّما يُشَدَّد في المضارع[١٩]، وقال الهذلي: لا معنى له[٢٠]، وقال أبو الفضل: لا أعرف

---

(١) في ب: وأخبروه.
(٢) و: سقط من ب.
(٣) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٤) في ب: فقالوا.
(٥) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٦) في ب: بل إنما.
(٧) في ب: موسى من قبل.
(٨) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٤/ ٢٦٠ ـ ٢٦١.
(٩) أي: سقط من الأصل.
(١٠) انظر الكشاف ٣/ ١٧٢.
(١١) وهم: عاصم وحمزة والكسائي. السبعة (٤٩٥).
(١٢) في ب: جعلوها.
(١٣) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٤) في ب: و.
(١٥) السبعة (٤٩٥)، الكشف ٢/ ١٧٤ ـ ١٧٥، النشر ٢/ ٣٤١، ٣٤٢، الإتحاف (٣٤٣).
(١٦) انظر مجاز القرآن ٢/ ١٠٧، تفسير غريب القرآن (٣٣٣).
(١٧) المختصر (١١٣)، البحر المحيط ٧/ ١٢٤.
(١٨) في الأصل: بتشديده.
(١٩) المختصر (١١٣).
(٢٠) انظر البحر المحيط ٧/ ١٢٤.

وجهه[١]. وهذا عجيب من هؤلاء، وقد حذفت نون الرفع في مواضع حتى في الفصيح كقوله عليه السلام[٢]: «لاَ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتى تُؤْمِنُوا، وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابّوا»[٣] ولا فرق بين كونها بعد واو، أو ألف، أو ياء، فهذا[٤] أصله تتظاهران فأدغم وحذفت نونه تخفيفاً[٥]، وقرأ الأعمش وطلحة وكذا في مصحف عبد الله «اظَّاهَرا» بهمزة وصل وشد الظاء[٦] وأصلها تظاهرا كقراءة العامة، فلما أريد الإدغام سُكِّن الأول فاجتلبت[٧] همزة الوصل[٨]، واختار أبو عبيدة القراءة بالألف[٩]، لأن المظاهر[١٠] بالناس وأفعالهم أشبه منها بأن المراد الكتابين[١١]، لكن لما كان كل واحد من الكتابين يقوي الآخر لم يبعد أن يقال على سبيل المجاز تعاونا، كما يقال: تظاهرت الأخبار[١٢].

قوله: «وَقَالُوا إنَّا بكُلٍّ كَافِرُونَ» أي بما أنزل على محمد وموسى وسائر الأنبياء، وهذا الكلام لا يليق إلا بالمشركين إلا باليهود[١٣]، ثم قال: قل لهم يا محمد: «فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا» يعني من التوراة والقرآن، وهو مؤيد لقراءة «سِحْرَانِ» أو[١٤] من كتابيهما على حذف مضاف، وهو مؤيد لقراءة «سَاحِرَان»، «أَتَّبِعْهُ»، وهذا تنبيه على عجزهم عن الإتيان بمثله.

قوله: «أَتَّبِعْهُ» جواب للأمر وهو: «فَأْتُوا»، وقرأ زيد بن علي أَتَّبِعُهُ[١٥] بالرفع استئنافاً، أي: فأنا أتبعه[١٦].

قوله: «فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ» استجاب[١٧] بمعنى أجاب، قال ابن عباس: يريد فإن لم يؤمنوا بما جئت به من الحجج[١٨]، وقال مقاتل: فإن لم يمكنهم أن يأتوا بكتاب أفضل منهما، وهذا أشبه بالآية[١٩]، قال الزمخشري: فإن قلت ما الفرق بين فعل الاستجابة في الآية وبينه في قوله:

---

(١) المرجع السابق.
(٢) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٣) وهو قول ابن مالك، انظر شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح (١٧٢ ـ ١٧٣)، شرح الكافية الشافية ١/ ٢٠٩ ـ ٢١٠. والحديث أخرجه مسلم (إيمان) ١/ ٧٤، الترمذي (إستئذان) ٤/ ١٥٦، أحمد ١/ ١٦٧، ٢/ ٣٩١، ٤٤٢، ٤٧٧، ٤٩٥.
(٤) في ب: وهذا.
(٥) انظر البحر المحيط ٧/ ١٢٤.
(٦) المختصر ١١٣، البحر المحيط ٧/ ١٢٤.
(٧) في ب: فاختلف. وهو تحريف.
(٨) المختصر (١١٣)، البحر المحيط ٧/ ١٢٤.
(٩) أي: «ساحران».
(١٠) في الأصل: الظاهر.
(١١) في ب: بالكتابين.
(١٢) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٦١.
(١٣) المرجع السابق.
(١٤) في ب: و.
(١٥) في ب: تبعه.
(١٦) انظر معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٠٧، البحر المحيط ٧/ ١٢٤.
(١٧) في ب: فاستجاب.
(١٨) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٦١.
(١٩) المرجع السابق.

٤٠١٠ ـ فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَاكَ مُجِيبُ[١]

حيث عدِّي بغير لام[٢]؟ قلت: هذا الفعل يتعدى إلى الدعاء بنفسه وإلى الداعي باللام، ويحذف الدعاء إذا عُدِّي إلى الداعي في الغالب، فيقال: استجاب الله دعاءه أو: استجاب له، ولا يكاد يقال: استجاب له دعاءه، وأما البيت فمعناه: فلم يستجب دعاءه على حذف المضاف[٣]. وقد تقدم تقرير هذا في البقرة[٤]، وأنَّ استجاب بمعنى أجاب، والبيت الذي أشار إليه هو:

٤٠١١ ـ وَدَاعٍ دَعَا يَا مَنْ يجِيبُ إلى النَّدَا فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَاكَ مُجِيبُ[٥]

والناس ينشدونه على تعدِّيه بنفسه، فإن قيل: الاستجابة تقتضي دعاء، فأين الدعاء هنا؟ قيل: «فَأْتُوا بِكِتَابٍ» أمر، والأمر دعاء إلى الفعل[٦]، وقال: «فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ» أي صاروا ملتزمين طريقه، ولم يبق شيء[٧] إلا اتباع الهوى، ثم زيّف طريقهم بقوله: «وَمَنْ أَضَلُّ ممَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بغَيْرِ هُدى» وهذا من أعظم الدلائل على فساد التقليد، وأنه لا بد من الحجة والاستدلال[٨] «إنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ».

قوله[٩]: «وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُم القَوْلَ» العامة على تشديد «وَصّلْنَا» إما من الوصل ضد القطع أي: تابعنا بعضه ببعض[١٠]. قال الفراء: أنزلنا آيات القرآن يتبع بعضها بعضاً[١١]، وأصله من وصل الحبل، قال:

٤٠١٢ ـ فَقُلْ لِبَنِي مَرْوَانَ ما بَالُ ذِمَّتِي بِحَبْلٍ ضَعِيفٍ لاَ يَزَالُ يُوصَّلُ[١٢]

---

(١) سيأتي تخريجه بعد. (٢) في الكشاف: بغير اللام.

(٣) الكشاف ٣/ ١٧٣.

(٤) عند قوله تعالى: ﴿وإذا سألك عبادي عنّي فإنّي قريبٌ أجيب دعوة الدَّاع إذا دعاني فليستجيبوا لي....﴾ [البقرة: ١٨٦]. انظر اللباب ١/ ٣٧٤.

(٥) البيت من بحر الطويل قاله كعب بن سعد الغنوي، وهو في مجاز القرآن ١/ ٦٧، ٢/ ١٠٧، الأصمعيات ٩٦، الاقتضاب ٣/ ٣٩٩، المسائل العسكرية للفارسي (١٥٥)، أمالي ابن الشجري ١/ ٦٢، اللسان (جوب). البحر المحيط ٧/ ١٢٤، شرح شواهد الكشاف (١٠)، والشاهد فيه قوله: (فلم يستجبه) فإنه بمعنى (لم يجبه) وهو متعد بدون حرف الجر.

(٦) انظر الكشاف ٣/ ١٧٣، الفخر الرازي ٢٤/ ٢٦١.

(٧) في ب: نبي. وهو تحريف. (٨) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٦١.

(٩) في ب: قوله تعالى.

(١٠) انظر مجاز القرآن ٢/ ١٠٨، تفسير غريب القرآن (٣٣٣).

(١١) معاني القرآن ٢/ ٣٠٧.

(١٢) البيت من بحر الطويل، قاله الأخطل، وهو في ديوانه (٢٧١)، مجاز القرآن ٢/ ١٠٨، القرطبي ١٣/ ٢٩٥، البحر المحيط ٧/ ١٢٥. والشاهد فيه قوله: (يوصّل)، أي: أن العلاقة بيني وبينكم غير قوية.

وإمّا[(١)]: جعلناه أوصالاً أي: أنواعاً من المعاني ـ قاله مجاهد[(٢)] ـ وقرأ الحسن بتخفيف الصاد[(٣)] وهو قريب مما تقدم، قال ابن عباس ومقاتل: وَصَّلْنَا: بيَّنا لكفار مكة ـ بما في القرآن من أخبار الأمم الخالية ـ كيف عذبوا بتكذيبهم[(٤)]، وقال ابن زيد: وصلنا لهم القول: خبر الدنيا بخبر الآخرة، حتى كأنهم عاينوا الآخرة في الدنيا[(٥)] «لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُون»، ثم لما أقام الدلالة[(٦)] على النبوة أكد ذلك بقوله: «الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ»[(٧)].

قوله: «الَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ» مبتدأ و «هُمْ» مبتدأ ثان و «يُؤْمِنُونَ» خبره، والجملة خبر الأول[(٨)]، و «بِهِ» متعلق بـ «يُؤْمِنُونَ»، وقد يُعَكِّرُ[(٩)] على الزمخشري وغيره من أهل البيان، حيث قالوا: التقديم يفيد الاختصاص وهنا لا يتأتى ذلك، لأنهم لو خصُّوا إيمانهم بهذا الكتاب فقط لزم كفرهم بما عداه وهو عكس المراد وقد أبدى أهل البيان هذا في قوله: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [الملك: ٢٩] فقالوا: لو قدِّم «به» لأوهم الاختصاص بالإيمان بالله وحده دون ملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وهذا بعينه جارٍ هنا، والجواب: أن الإيمان بغيره معلوم فانصبَّ الغرض إلى الإيمان بهذا.

فصل

قوله: «الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ» أي من قبل محمد ـ ﷺ ـ وقيل: من قبل القرآن «هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ»، قال قتادة: نزلت في (أناسٍ من)[(١٠)] أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه[(١١)]. وقال مقاتل: هم أصحاب السفينة الذين قدموا من الحبشة أربعين رجلاً من أهل الإنجيل وآمنوا بمحمد ـ ﷺ[(١٢)] ـ.

قال سعيد بن جبير: قدموا مع جعفر من الحبشة على النبي ﷺ[(١٣)] فلما رأوا ما بالمسلمين من الخصاصة قالوا: يا نبيَّ الله إن لنا أموالاً فإن أذنت لنا انصرفنا فجئنا بأموالنا فواسينا المسلمين بها، فأذن لهم فانصرفوا فأتوا بأموالهم فواسوا بها المسلمين فنزل فيهم «الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَاب» إلى قوله: «ومِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ»[(١٤)]، وعن ابن عباس قال: نزلت[(١٥)] في ثمانين من أهل الكتاب أربعون من نجران واثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية

---

(١) في ب: وإما من.
(٢) انظر البحر المحيط ٧/ ١٢٥.
(٣) المختصر (١١٣).
(٤) انظر البغوي ٦/ ٣٤٩ ـ ٣٥٠.
(٥) انظر البغوي ٦/ ٣٥٠.
(٦) في ب: الدلائل.
(٧) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٦٢.
(٨) انظر التبيان ٢/ ١٠٢٢.
(٩) في ب: تفكر. وهو تحريف.
(١٠) في النسختين: موسى. والتصويب من الفخر الرازي.
(١١) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٦٢.
(١٢) انظر البغوي ٦/ ٣٥٠.
(١٣) في ب: ﷺ وشرف وكرم ومجد وعظم.
(١٤) انظر البغوي ٦/ ٣٥٠.
(١٥) في ب: أنها نزلت.

من الشام[(١)]، وقال رفاعة[(٢)]: نزلت في عشرة أنا أحدهم، وصفهم الله فقال: «إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ» يعني: القرآن، قالوا: «آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الحَق مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِين»، وذلك أنّ النبي ـ ﷺ ـ كان مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، أي كنا من قبل القرآن مسلمين مخلصين لله التوحيد مؤمنين بمحمد ـ ﷺ ـ أنه نبي حق[(٣)].

قوله: «أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ» منصوب على المصدر[(٤)]، و «بِمَا صَبَرُوا» ما مصدرية[(٥)] والباء متعلق بـ[(٦)] يؤتون[(٧)] (أَوْ بنفس الأجر. ومعنى «مَرَّتَيْنِ» أي: بإيمانهم بمحمد قبل بعثته[(٨)]، وقيل: يُؤْتَوْن أَجْرَهُمْ)[(٩)] مرتين لإيمانهم بالكتاب الأول وبالكتاب الآخر[(١٠)]، وقيل: لإيمانهم بالأنبياء الذين كانوا قبل محمد ـ عليه السلام[(١١)] ـ ومرَّة بإيمانهم بمحمد ـ ﷺ[(١٢)] ـ وقال مقاتل: لما آمنوا بمحمد ـ ﷺ ـ شتمهم المشركون، فصفحوا عنهم فلهم[(١٣)] أجران، أجر على الصفح وأجر على الإيمان[(١٤)]، وقوله «بِمَا صَبَرُوا» أي على دينهم، قال مجاهد: نزلت في قوم من أهل الكتاب أسْلَمُوا فأوذُوا[(١٥)].

قوله: «وَيَدْرَءُونَ بالحَسَنَةِ السَّيِّئَة» أي بالطاعة المعصية المتقدمة، قال ابن عباس: يدفعون بشهادة أن لا إله إلا الله الشرك[(١٦)]، وقال مقاتل[(١٧)]: يدفعون ما سمعوا من الأذى والشتم من المشركين بالصفح والعفو[(١٨)]، وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُون، في الطاعة. قوله: وإذا سمعوا اللَّغو وهو القبيح من القول أعرضوا عنه، وذلك أن المشركين كانوا يسبُّون مؤمني[(١٩)] أهل الكتاب، ويقولون تبًّا لكم تركتم دينكم فيعرضون عنهم ولا يردّون عليهم[(٢٠)]، «وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ»، لنا ديننا ولكم دينكم، «سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ»، ليس المراد سلام التحية ولكنه سلام المتارك، ومعناه: سَلِمْتُمْ مِنَّا لا نعارِضُكُمْ بالشتم والقبح، ونظيره ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣]. ثم أكد ذلك تعالى بقوله حاكياً عنهم «لاَ نَبْتَغِي الجَاهِلِين»، أي: دين الجاهلين، أي: لا نحب دينكم الذي

---

(١) انظر البغوي: ٦/ ٣٥٠.

(٢) هو رفاعة بن خديج، صحب النبي ـ ﷺ ـ وعمه ظهير بن رافع وابنه أسيد بن ظهير قد رويا عن النبي ـ ﷺ ـ المعارف لابن قتيبة (٣١٧).

(٣) انظر البغوي ٦/ ٣٥١.

(٤) انظر التبيان ٢/ ١٠٢٣.

(٥) ما: سقط من ب.

(٦) في ب: بنفس.

(٧) في ب: يؤتون أجرهم مرتين.

(٨) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٦٢.

(٩) ما بين القوسين سقط من ب.

(١٠) انظر البغوي ٦/ ٣٥١.

(١١) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(١٢) في ب: عليه الصلاة السلام، وانظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٦٢.

(١٣) في ب: فلم.

(١٤) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٦٢.

(١٥) انظر البغوي ٦/ ٣٥١.

(١٦) المرجع السابق.

(١٧) في ب: وقال تعالى. وهو تحريف.

(١٨) انظر البغوي ٦/ ٣٥١.

(١٩) في ب: يسمعون موسى.

(٢٠) انظر البغوي ٦/ ٣٥٢.

أنتم عليه[١]، وقيل: لا نريد أن نكون من أهل الجهل والسفه[٢]، قيل: نسخ ذلك بالأمر بالقتال، وهو بعيد، لأن ترك المسافهة مندوب، وإن كان القتال (واجباً[٣])[٤]. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ أي: أحببت هدايته، وقيل: أحببته لقرابته، قال المفسرون: نزلت في أبي طالب قال له النبي ـ ﷺ ـ قل: لا إله إلاّ الله أشهد لك بها يوم القيامة، قال: لولا أن تعيِّرني قريش، تقول: إنما حمله على ذلك الجزع لأقررت بها عينيك، فأنزل الله هذه الآية[٥].

فصل

قال في هذه الآية: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾، وقال في آية أخرى ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، ولا تنافي فإن الذي أثبته وأضافه إليه الدعوة، والذي نفاه عنه هداية التوفيق وشرح الصدور، وهو نور يقذف في القلب فيجيء به القلب كما قال[٦] سبحانه ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾[٧] [الأنعام: ١٢٢].

فصل

احتج أهل السنة بهذه الآية في مسألة الهدى والضلال، فقالوا: قوله: «إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ» يقتضي أن تكون الهداية في الموضعين بمعنى واحد لأنه لو كان المراد من الهداية في قوله «إِنَّكَ لاَ تَهْدِي» شيئاً، وفي قوله: «ولَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ» شيئاً آخر لاختلّ النظم، ثم إما أن يكون المراد من الهداية بيان الأدلة

---

(١) انظر البغوي ٦/٣٥٢.
(٢) المرجع السابق.
(٣) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢٦٢.
(٤) ما بين القوسين في ب: واجب. وهو تحريف.
(٥) أخرجه البخاري (جنائز) ١/٢٣٥، مسلم (إيمان) ١/٥٥، أحمد ٣/٤٣٤، ٥٤٤١ وانظر أسباب النزول للواحدي (٢٥١ ـ ٢٥٢).
(٦) في ب: قاله.
(٧) انظر الفخر الرازي ٢٥/٣.

والدعوة إلى الجنة، أو تعريف طريق الجنة أو خلق المعرفة على سبيل الإلجاء، (أو خلق المعرفة في القلوب لا على سبيل الإلجاء)[١] لا جائز أن يكون المراد (بيان الأدلة، لأنه عليه السلام هدى الكل بهذا المعنى فهي غير)[٢] الهداية التي نفى الله عمومها وكذا القول في الهداية بمعنى الدعوة إلى الجنة، وأما الهداية بمعنى تعريف الجنة فهي أيضاً غير مرادة، لأنه تعالى علّق هذه الهداية على المشيئة. فمن وجب عليه أداء عشرة دنانير لا يقول أعطي عشرة دنانير إن شئت، وأما الهداية بمعنى الإلجاء والقسر فغير جائز. لأن ذلك عندهم قبيح من الله تعالى في حق المكلف، وفعل القبيح مستلزم[٣] للجهل أو الحاجة وهما محالان، ومستلزم[٤] المحال محال، فذلك محال من الله والمحال لا يجوز تعليقه على المشيئة، ولما بطلت الأقسام لم يبق إلاَّ أن المراد أنه تعالى يخصُّ البعض بخلق الهداية والمعرفة ويمنع البعض منها ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ [الأنبياء: ٣] وإذا أورد الكلام[٥] على هذا الوجه سقط ما أورده[٦] القاضي عذراً عن ذلك[٧].

قوله: «وَهُوَ أَعْلَمُ بالمُهْتَدِينَ» أي أنه المختص بعلم الغيب فيعلم من[٨] يهتدي ومن لا يهتدي، ثم إنه تعالى حكى عنهم شبهة أخرى متعلقة بأحوال الدنيا وهي قولهم: إن نَتَّبِع الهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ من أرْضِنَا[٩]، قال المبرد: الخطف الانتزاع بسرعة[١٠] نزلت في الحارث بن نوفل بن عبد مناف قال للنبي ـ ﷺ ـ إنَّا لنعلم أنَّ الذي تقوله حقٌّ ولكنا إن اتَّبعناك على دينك خفنا أن تخرجنا العرب من أرضنا مكة، فأجاب الله[١١] عنه من وجوه الأول: قوله: «أَوَ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَماً آمِناً»، أي أعطاكم مسكناً لا خوف لكم فيه، إما لأن العرب يحترمون الحرم ولم يتعرضوا لسكانه، فإنه يروى أن العرب خارج الحرم كانوا لا يتعرَّضون لسكان الحرم[١٢].

قوله: «نُتَخَطَّفُ» العامة على الجزم جواباً للشرط، والمنقريّ بالرفع[١٣]، على حذف الفاء، كقوله:

٤٠١٣ ـ مَنْ يَفْعَلِ الحَسَنَاتِ اللَّهُ يَشْكُرُهَا[١٤]

---

(١) ما بين القوسين سقط من ب.
(٢) ما بين القوسين تكملة من الفخر الرازي.
(٣) في الأصل: ملتزم.
(٤) في الأصل: وملتزم.
(٥) في ب: هذا الكلام.
(٦) في ب: ما أورد.
(٧) انظر الفخر الرازي ٢٥/ ٣ ـ ٤.
(٨) في ب: بمن.
(٩) انظر الفخر الرازي ٢٥/ ٤.
(١٠) المرجع السابق.
(١١) في ب: الله تعالى.
(١٢) انظر الفخر الرازي ٢٥/ ٤، وأسباب النزول للواحدي ٢٥٢.
(١٣) انظر البحر المحيط ٧/ ١٢٦.
(١٤) صدر بيت من بحر البسيط، قاله حسان بن ثابت، أو عبد الرحمن بن حسان، وعجزه:

والشـرّ بالشـرّ عنـد الله مثـلان

=

وكقراءة «يُدْرِكُكُمْ»[(١)] بالرفع[(٢)]، أو على التقديم وهو مذهب سيبويه[(٣)].

قوله: «أَوَ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَماً» قال أبو البقاء عدَّاه بنفسه لأنه بمعنى «جَعَل» وقد صرحَّ به في قوله ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا﴾[(٤)] [العنكبوت: ٦٧] و «مَكَّنَ» متعد بنفسه من غير أن يضمَّن معنى «جَعَلَ» كقوله «مَكَّنَّاهُمْ»[(٥)]، وتقدم تحقيقه في الأنعام وآمناً قيل بمعنى مؤمن أي: يؤمن من دخله[(٦)]، وقيل: هو على حذف مضاف، أي: آمناً أهله، وقيل فاعل بمعنى النسب أي، ذا أمن[(٧)].

قوله: «يُجْبَى» قرأ نافع بتاء التأنيث مراعاة للفظ ثمرات، والباقون بالياء[(٨)] للفصل ولأن تأنيثه مجازي والجملة صفة لـ «حَرَماً» أيضاً[(٩)]، وقرأ العامة.«ثَمَرَاتُ» بفتحتين[(١٠)] وأبان بضمتين[(١١)] جمع ثُمُر بضمتين، وبعضهم بفتح وسكون[(١٢)].

قوله: «رِزقاً» إن جعلته مصدراً جاز انتصابه على المصدر المؤكِّد، لأن معنى «يُجبَى إليه» يرزقهم وأن ينتصب على المفعول له[(١٣)]، والعامل محذوف، أي يسوقه[(١٤)] إليه رزقاً، وأن يكون في موضع الحال من «ثَمَراتٍ» لتخصصها بالإضافة، (كما ينتصب عن النكرة المخصصة)[(١٥)]، وإن جعلته اسماً للمرزوق[(١٦)] انتصب على الحال من

= وتقدم تخريجه. والشاهد فيه هنا قوله: (الله يشكرها) حيث حذفت الفاء من جواب الشرط للضرورة، والأصل: فالله يشكرها.

(١) في النسختين: يدركُم. من قوله تعالى: **﴿أينما تكونوا يدرككم الموت﴾** [النساء: ٧٨].

(٢) وهي قراءة طلحة بن حسان. المختصر (٢٧).

(٣) قال سيبويه: (وسألته عن قوله: «إن تأتني أنا كريمٌ»، فقال: لا يكون هذا إلا أن يضطر شاعر، من قبل أنا كريمٌ يكون كلاماً مبتدأ، والفاء وإذا لا يكونان إلا متعلقتين بما قبلهما فكرهوا أن يكون هذا جواباً حيث لم يشبه الفاء) الكتاب ٣/ ٦٤، وقال: (. . . فإن قلت: إن تأتني زيدٌ يقل ذاك، جاز على قول من قال: زيداً ضربته، وهذا موضع ابتداء، ألا ترى أنك لو جئت بالفاء فقلت: إن تأتني فأنا خيرٌ لك، كان حسناً، وإن لم يحمله على ذلك رفع وجاز في الشعر كقوله: الله يشكرها) الكتاب ٣/ ١١٤.

(٤) [العنكبوت: ٦٧]. وانظر التبيان ٢/ ١٠٢٤.

(٥) من قوله تعالى: **﴿ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكنّاهم في الأرض ما لم نمكّن لكم﴾** [الأنعام: ٦].

(٦) انظر معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٠٨، التبيان ٢/ ١٠٢٤.

(٧) انظر التبيان ٢/ ١٠٢٤، القرطبي ١٣/ ٣٠.

(٨) السبعة (٤٩٥)، الكشف ٢/ ١٧٥، النشر ٢/ ٣٤٢، الإتحاف ٣٤٣.

(٩) أيضاً: سقط من ب.

(١٠) في الأصل: بالفتحتين.

(١١) المختصر (١١٣)، المحتسب ٢/ ١٥٣، البحر المحيط ٧/ ١٢٦.

(١٢) «ثَمْرات» المختصر (١١٣)، البحر المحيط ٧/ ١٢٦، ولم تعز إلى قارىء معين.

(١٣) له: سقط من ب.

(١٤) في ب: يسوق.

(١٥) ما بين القوسين سقط من ب.

(١٦) في: للمرزق.

«ثَمَرات»[١] ومعنى «يُجْبَى»، أي يجلب ويجمع، يقال: جبيت الماء في الحوض أي: جمعته[٢] قال مقاتل: يحمل إلى الحرم «ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقاً مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُم لاَ يَعْلَمُونَ» أن ما نقوله حق.

قوله: «وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ» أي: من أهل قرية «بَطِرَتْ معيشتها»، قال الزمخشري: البطر سوء احتمال الغنى، وهو أن لا يحفظ حق الله تعالى[٣]، وانتصب «مَعِيشَتَهَا» إما بحذف الجار واتصال الفعل[٤] كقوله: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ﴾ [الأعراف: ١٥٥]، أو بتقدير حذف ظرف الزمان، أصله: بطرت أيَّام معيشتها[٥]، وإما بتضمين «بَطِرَتْ» معنى كفرت أو خسرت[٦] أو على التمييز[٧] أو على التشبيه بالمفعول به[٨]، وهو قريب من «سَفِهَ نَفْسَه»[٩]. قال عطاء: عاشوا في البطر فأكلوا رزق الله، وعبدوا غيره[١٠].

قوله: «فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلاَّ قَلِيلاً» قال ابن عباس لم يسكنها إلا المسافرون، ومارُّ الطريق يوماً أو ساعة[١١]. معناه: لم تسكن من بعدهم إلا سكوناً يسيراً قليلاً، وقيل: لم يعمَّر منها إلا أقلها وأكثرها خراب[١٢]، فقوله: «لَمْ تُسْكَنْ» جملة حالية، والعامل فيها معنى تلك[١٣]، ويجوز أن يكون خبراً ثانياً[١٤]، و «إلا قليلاً» أي: إلا سكنى قليلاً[١٥]، أو[١٦] إلا زماناً قليلاً[١٧]، أو إلا مكاناً قليلاً[١٨]. «وكُنَّا نَحْنُ الوَارِثِينَ» كقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ [مريم: ٤٠].

قوله: «وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ القُرَى بِظُلْم» يعني القرى الكافرة أهلها حتى نبعث في أمِّها رسولاً، أي في أكثرها وأعظمها رسولاً ينذرهم وخصّ الأعظم ببعثة الرسول فيها لأن الرسول يبعث إلى الأشراف، والأشراف يسكنون المدائن والمواضع التي هي أم ما

---

(١) انظر الكشاف ٣/ ١٧٤، البحر المحيط ٧/ ١٢٦.
(٢) انظر الفخر الرازي ٢٥/ ٤.
(٣) انظر الكشاف ٣/ ١٧٤.
(٤) المرجع السابق.
(٥) انظر الكشاف ٣/ ١٧٤، وعزاه أبو حيان إلى الزجاج. انظر البحر المحيط ٧/ ١٢٦.
(٦) أي: خسرت معيشتها. وعزاه أبو حيان إلى أكثر البصريين. انظر البحر المحيط ٧/ ١٢٦.
(٧) على مذهب الكوفيين، انظر معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٠٨، البحر المحيط ٧/ ١٢٦.
(٨) وعزاه أبو حيان إلى بعض الكوفيين. انظر البحر المحيط ٧/ ١٢٦.
(٩) من قوله تعالى: ﴿ومن يرغب عن ملَّة إبراهيم إلا من سفه نفسه﴾ [البقرة: ١٣٠].
(١٠) انظر البغوي ٦/ ٣٥٥.
(١١) انظر الكشاف ٣/ ١٧٥، الفخر الرازي ٢٥/ ٦.
(١٢) انظر البغوي ٦/ ٣٥٥.
(١٣) في ب: تلك معنى تلك.
(١٤) انظر التبيان ٢/ ١٠٢٣.
(١٥) انظر الكشاف ٣/ ١٧٥.
(١٦) في ب: و.
(١٧) انظر التبيان ٢/ ١٠٢٣.
(١٨) فيكون الاستثناء من المساكن. البحر المحيط ٧/ ١٢٦.

حولها[(١)]، وهذا بيان لقطع عذرهم، لأن عدم البعثة يجري مجرى العذر للقوم، فوجب ألا يجوز إهلاكهم إلا بعد البعثة.

وقوله: «يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا» أي: يؤدّي ويبلِّغ، قال مقاتل: يخبرهم الرسول أنَّ العذاب نازل بهم إن لم يؤمنوا[(٢)]، «وما كُنَّا مهلكي القرى إلاَّ وأهلها ظالمون»: مشركون أي: أهلكهم بظلمهم، وأهل مكة ليسوا كذلك، فإن بعضهم قد آمن وبعضهم قد علم الله منهم أنَّهم وإن لم يؤمنوا لكنه يخرج من نسلهم من يؤمن[(٣)].

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَاۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَۖ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾

قوله[(٤)]: «وَمَا[(٥)] أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْء فمَتَاع الحَيَاةِ الدُّنْيَا»، أي فهو متاع، وقرىء فمتاعاً الحياة بنصب «مَتَاعاً»[(٦)] على المصدر، أي: يتمتَّعون[(٧)] متاعاً، «والحَيَاةَ» نصب على الظرف[(٨)]، والمعنى: يتمتعون بها أيام حياتهم ثم هي إلى فناء وانقضاء[(٩)] «وَمَا عِنْدَ اللَّه خَيْرٌ وَأَبْقَى»، هذا[(١٠)] جواب عن شبهتهم فإنهم إن قالوا تركنا[(١١)] الدِّين لئلا تفوتنا الدنيا، فبيَّن تعالى أن ذلك خطأ عظيم، لأن ما عند الله خيرٌ وأبقى (أمَّا أنَّه خير)[(١٢)] فلوجهين[(١٣)]: الأول: أن المنافع هناك أعظم، والثاني: أنها خالصة عن الشوائب ومنافع الدنيا مشوبة بالمضار، بل المضار فيها أكثر، وأما أنَّها[(١٤)] أبقى، فلأنها[(١٥)] دائمة غير منقطعة ومتى قوبل المتناهي بغير المتناهي كان عدماً فظهر بذلك أن منافع الدنيا لا نسبة لها إلى منافع الآخرة، فلا جرم نبه على ذلك فقال: «أَفَلاَ تَعْقِلُونَ» أن الباقي خيرٌ من

---

(١) انظر البغوي ٦/٣٥٥.
(٢) المرجع السابق.
(٣) انظر الفخر الرازي ٢٥/٦.
(٤) في ب: قوله تعالى.
(٥) في الأصل: فما.
(٦) المختصر (١١٣)، البحر المحيط ٧/١٢٧، غير معزوة إلى قارىء.
(٧) في ب: يتمتعوا.
(٨) انظر البحر المحيط ٧/١٢٧.
(٩) انظر البغوي ٦/٣٥٦.
(١٠) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٥/٧.
(١١) في ب: إن تركنا.
(١٢) ما بين القوسين تكملة من الفخر الرازي.
(١٣) في النسختين من وجهين والتصويب من الفخر الرازي.
(١٤) في ب: لأنها. وهو تحريف.
(١٥) في ب: فإنها. وهو تحريف.

الفاني يعني أن من لا يرجح منافع الآخرة على منافع الدنيا كأنه يكون خارجاً عن حد العقل، ورحم الله الشافعي حيث قال: من أوصى بثلث ماله لأعقل الناس صرف ذلك الثلث إلى المشتغلين بطاعة الله ـ تعالى ـ لأن أعقل الناس من أعطي القليل وأخذ الكثير وما هم إلا المشتغلين بالطاعة، فكأنه رحمه الله إنما أخذه من هذه الآية[١]. وقرأ أبو عمرو «أَفَلاَ يَعْقِلُونَ» بالياء من تحت التفاتاً، والباقون بالخطاب[٢] جرياً[٣] على ما تقدم.

قوله[٤]: «أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ» قرأ طلحة «أَمَنْ وَعَدْنَاهُ» بغير فاء[٥] «وَعْداً حَسَناً» يعني الجنة «فَهُوَ لاَقِيهِ» مصيبه ومدركه وصائرٌ إليه «كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتاعَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا» وتزول عن قريب «ثُمَّ هُوَ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنَ المُحْضَرِينَ» النار[٦]، وقرأ الكسائي وقالون: «ثُمَّ هْوَ» بسكون الهاء إجراءً لها مجرى الواو والفاء، والباقون بالضم على الأصل[٧]، وتخصيص لفظ «المُحْضَرِينَ» بالذين أحضروا للعذاب أمر عرف من القرآن، قال تعالى ﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ [الصافات: ٥٧] ﴿فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ [الصافات: ١٢٧] وفي اللفظ إشعار به، لأن الإحضار يشعر بالتكليف والإلزام، وذلك لا يليق بمجالس اللذة، وإنما يليق بمجالس الضرر والمكاره[٨]. قوله[٩]: «وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِي الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ» في الدنيا أنهم شركائي وتزعمون أنها تشفع فتخلصكم من هذا الذي نزل بكم، وتزعمون مفعولاه محذوفان[١٠] أي: (تزعمونهم شركاءه[١١])[١٢]، «قال الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ القَوْلُ» أي: وجب عليهم العذاب وهم رؤوس الضلالة وقيل: الشياطين[١٣].

قوله: «هَؤُلاء الَّذِينَ أَغْوَيْنَا» فيه وجهان:

أحدهما: أن هؤلاء مبتدأ، والَّذِينَ أَغْوَيْنَا صفته والعائد محذوف، أي أغويناهم، والخبر «أَغْوَيْنَاهم»[١٤]، و «كَمَا غَوَيْنَا» نعت لمصدر محذوف، ذلك المصدر مطاوع لهذا الفعل أي فغووا غيًّا كما غوينا، قاله[١٥] الزمخشري[١٦]، وهذا الوجه منعه أبو علي،

---

(١) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٥/ ٧.
(٢) السبعة (٤٩٥) الكشف ٢/ ١٧٥، النشر ٢/ ٣٤٢، الإتحاف ٣٤٣.
(٣) في الأصل: جواباً.
(٤) في ب: قوله تعالى.
(٥) انظر البحر المحيط ٧/ ١٢٧.
(٦) انظر البغوي ٦/ ٣٥٦.
(٧) السبعة (١٥١) الكشف ١/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥، الكشاف ٣/ ١٧٥ ـ ١٧٦، التبيان ٢/ ١٠٢٤.
(٨) انظر الفخر الرازي ٢٥/ ٧.
(٩) في ب: قوله تعالى.
(١٠) في ب: مفعولاً محذوفاً. وهو تحريف.
(١١) انظر الكشاف ٣/ ١٧٦، البيان ٢/ ٢٣٥، البحر المحيط ٧/ ١٢٨.
(١٢) ما بين القوسين في ب: تزعمونه شركاء.
(١٣) انظر الكشاف ٣/ ١٧٦، الفخر الرازي ٢٥/ ٨.
(١٤) في ب: أغوينا.
(١٥) في النسختين: قال. والصواب ما أثبته.
(١٦) انظر الكشاف ٣/ ١٧٦.

قال: لأنه ليس في الخبر زيادة فائدة على ما في صفته، قال: فإن قلت: قد أوصل بقوله كما غوينا وفيه زيادة، قلت: الزيادة في الظرف[١] لا يصيِّره أصلاً في الجملة لأنَّ الظروف[٢] صلاتٌ[٣]، ثم أعرب هو «هَؤُلاَءِ» مبتدأ و «الَّذِينَ أَغْوَيْنَا» خبره، و «أغْوَيْناهم» مستأنف، وأجاب أبو البقاء وغيره عن الأول بأن الظرف قد يلزم كقولك زيدٌ عمرو في داره[٤].

فصل

المعنى: هؤلاء الذين دعوناهم إلى الغي وهم الأتباع «أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا» أضللناهم كما ضللنا «تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ» منهم.

قوله: «مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ» إِيَّانَا مفعول «يَعْبُدُونَ» قُدِّم لأجل الفاصلة[٥] وفي «ما» وجهان:

أحدهما: هي نافية (أي تبرأ الذين اتُّبعوا من الذين اتَّبعوا)[٦].

والثاني[٧]: مصدرية ولا بدَّ من تقدير[٨] حرف جرٍّ أي: تبرأنا مما كانوا أي من عبادتهم إيانا، وفيه بعدٌ[٩].

قوله: «وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ» أي: وقيل للكافرين ادعوا شركاءكم، أي: الأصنام لتخلصكم من العذاب «فَدَعَوْهُمْ» (فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا)[١٠] لَهُمْ لم يجيبوهم، والأقرب أن هذا على سبيل التقريع، لأنهم يعلمون أنه لا فائدة في دعائهم لهم[١١].

قوله: «لو أنهم كَانُوا» جوابها محذوف أي: لما رأوا العذاب، أو لدفعوه، قال الضحاك[١٢] ومقاتل: يعني المتبوع والتابع يرون العذاب ولو أنهم كانوا يهتدون في الدنيا ما أبصروا في الآخرة، وقيل: لو أنهم كانوا مهتدين في الدنيا لعلموا أنَّ العذاب حق، وقيل: لو كانوا[١٣] يهتدون لوجه من وجوه الحيل لدفعوا به العذاب. وقيل قد آن لهم أن

---

(١) في ب: الظرف. وهو تصحيف. (٢) في الأصل: الظرف.

(٣) انظر التبيان ٢/ ١٠٢٤، البحر المحيط ٧/ ١٢٨.

(٤) قال أبو البقاء: (وقال غيره، وهو الوجه الثاني: لا يمتنع أن يكون «هؤلاء» مبتدأ و «الذين» صفة، و «أغويناهم» الخبر من أجل ما اتصل به، وإن كان ظرفاً، لأن الفضلات في بعض المواضع تلزم كقولك: زيد «عمرو» في داره). التبيان ٢/ ١٠٢٤.

(٥) في ب: المفاصلة. (٦) ما بين القوسين سقط من ب.

(٧) في النسختين: والثانية. (٨) في ب: تقدم. وهو تحريف.

(٩) ذكر الوجهين ابن الأنباري في البيان، وعقب بقوله: (والوجه الأول أوجه الوجهين)، البيان ٢/ ٢٣٥، وانظر التبيان ٢/ ١٠٢٤.

(١٠) ما بين القوسين في ب: فليستجيبوا. (١١) انظر الفخر الرازي ٢٥/ ٩.

(١٢) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٥/ ٩.

(١٣) في ب: لو أنهم.

يهتدوا لو أنهم كانوا يهتدون إذا رأوا العذاب ويؤكد ذلك قوله «لاَ يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَروا العَذَابَ الأَلِيمَ»[١] قال ابن الخطيب: وعندي أن الجواب غير محذوف وفي تقديره وجوه:

أحدها: أن الله تعالى لما خاطبهم بقوله ﴿ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ﴾ فهاهنا يشتد الخوف عليهم ويصيرون بحيث لا يرون شيئاً، فقال تعالى: ﴿وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ﴾ شيئاً ولما صاروا من شدة الخوف لا يبصرون شيئاً لا جرم ما رأوا العذاب.

وثانيها: أن الله تعالى لما ذكر عن الشركاء وهم الأصنام الذين لا يجيبون الذين دعوهم، قال في حقهم: «وَرَأَوا[٢] العَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ» مشاهدين العذاب، وكانوا من الأحياء لاهتدوا، ولكنها ليست كذلك، فلا جرم ما رأت العذاب فإن قيل: قوله: «ورأوا العَذَابَ» ضمير[٣] لا يليق إلا بالعقلاء، وكيف يصح[٤] عوده للأصنام، قلنا: هذا كقوله: فَدَعوهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ»، وإنما أورد ذلك على حسب اعتقاد القوم فكذا هاهنا.

وثالثها: أن يكون المراد من الرؤية رؤية القلب[٥]، أي: والكفار علموا حقيقة هذا[٦] العذاب في الدنيا لو كانوا يهتدون، قال: وهذه الوجوه عندي خير من الوجوه المبنية على أن جواب «لو» محذوف، فإن ذلك يقتضي تفكيك نظم[٧] الآية[٨].

قوله: «وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ» أي: يسأل الله الكفار «مَاذَا أَجَبْتُمُ المُرْسَلِينَ»، فعميت، العامة على تخفيفها، وقرأ الأعمش وجناح بن حبيش بضم العين وتشديد الميم[٩]، وتقدمت القراءتان للسبعة في هود[١٠]، والمعنى: خفيت واشتبهت «عَلَيْهِم الأَنْبَاءُ» وهي الأخبار والأعذار، وقال مجاهد: الحجج يومئذ فلا يكون لهم عذر ولا حجة[١١]، فهم لا يتساءلون لا يجيبون وقال قتادة: لا يحتجون[١٢]، وقيل: يسكتون[١٣] لا يسأل بعضهم بعضاً[١٤] وقرأ طلحة «لا يسّاءلون» بتشديد السين على إدغام التاء في السين[١٥]، كقراءة ﴿تَسَّآءَلُونَ بِهِ وَٱلْأَرْحَامَ﴾[١٦] [النساء: ١].

---

(١) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٥/٩.
(٢) في ب: رأوا.
(٣) ضمير: تكملة من الفخر الرازي.
(٤) في الأصل: يليق.
(٥) في الأصل: العذاب.
(٦) هذا سقط من ب.
(٧) في ب: النظم.
(٨) الفخرالرازي ٢٥/٩.
(٩) المختصر (١١٣)، تفسير ابن عطية ١١/٣٢١ ـ ٣٢٢، البحر المحيط ٧/١٢٩.
(١٠) عند قوله تعالى: ﴿فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون﴾ [هود: ٢٨].
(١١) انظر البغوي ٦/٣٥٨.
(١٢) المرجع السابق.
(١٣) في ب: لا يسكتون.
(١٤) انظر البغوي ٦/٣٥٨.
(١٥) المختصر (١١٣)، البحر المحيط ٧/١٢٩.
(١٦) قرأ بها ابن كثير ونافع وابن عامر وأبو عمرو في رواية، وذلك لإدغام التاء الثانية في السين. السبعة (٢٢٦)، الكشف ١/٢٧٥.

فصل[(١)]

قال القاضي: هذه الآية تدل على بطلان قول الجبرية، لأن فعلهم لو كان خلقاً من الله ويجب وقوعه بالقدرة والإرادة لما عميت عليهم الأنباء ولقالوا إنَّما كذَّبنا الرسل من جهة خلقك فينا بتكذيبهم والقدرة الموجبة لذلك فكانت حجتهم على الله تعالى ظاهرة وكذلك القول فيما تقدم، لأن الشيطان كان له أن يقول إنما أغويت بخلقك[(٢)] فيّ الغواية، والجواب: أنَّ علم الله بعدم الإيمان مع وجود الإيمان متنافيان لذاتهما، فمع العلم بعدم الإيمان إذا أمرنا بإدخال الإيمان في الوجود فقد أمرنا بالجمع بين الضِّدين، واعلم أنَّ القاضي لا يترك آية من الآيات المشتملة على المدح والذم والعقاب إلا يعيد استدلاله بها، كما أن وجه[(٣)] استدلاله في الكل هذا الحرف، فكذا وجه جوابنا حرف واحد، وهو كما ذكرنا.

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾

قوله: «فَأَمَّا مَنْ تَابَ وآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ المُفْلِحِينَ» لمّا بيَّن حال المعذبين أتبعه بذكر من يتوب منهم في الدنيا ترغيباً في التوبة[(٤)]، وزجراً عن الثبات على[(٥)] الكفر، وفي «عَسَى» وجوه:

أحدها: أنه من الكرام حقيق، والله أكرم الأكرمين.

وثانيها: أنَّها للترجي للتائب وطمعه[(٦)]، كأنه قال: فليطمع في الفلاح.

وثالثها: عسى أن يكونوا كذلك إذا داموا على التوبة والإيمان، لجواز أن لا يدوموا[(٧)].

قوله: «وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ويَخْتَارُ» نزلت هذه الآية جواباً للمشركين حين قالوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١]، يعني الوليد بن المغيرة، أو عروة بن مسعود الثقفي، أخبر الله تعالى أنه لا يبعث الرسل باختيارهم[(٨)].

---

(١) هذا الفصل نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٥/ ١٠.
(٢) في ب: خلقك.
(٣) وجه: سقط من ب.
(٤) في ب: في بالتوبة. وهو تحريف.
(٥) في ب: في.
(٦) في ب: وطعمه. وهو تحريف.
(٧) انظر الفخر الرازي ٢٥/ ١٠.
(٨) انظر الفخر الرازي ٢٥/ ١٠، أسباب النزول للواحدي (٢٥٢).

قوله: «مَا كَانَ لَهُم الخِيرَةُ» فيه وجوه:

أحدها: أنَّ ما نافية، فالوقف على «يَخْتَارُ»[١].

والثاني: ما مصدرية أي يختار اختيارهم، والمصدر[٢] واقع موقع المفعول، أي مختارهم[٣].

الثالث: أن يكون بمعنى «الذي» والعائد محذوف، أي ما كان لهم الخيرة فيه[٤] كقوله: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣] أي منه[٥]، وجوَّز ابن عطية أن تكون كان تامة، ولهم الخيرة جملة مستأنفة، قال: ويتجه عندي أن يكون ما مفعول إذا قدَّرنا كان[٦] التامة، أي: إن الله يختار كلَّ كائن، ولهم الخيرة مستأنف معناه: تعديد النعم عليهم في اختيار الله لهم لو قبلوا[٧]. وجعل بعضهم[٨] في كان ضمير الشأن، وأنشد:

٤٠١٤ ـ أمِنْ سُمَيَّةَ دَمْعُ العَيْنِ تَذْرِيفُ   لَوْ كَانَ ذَا مِنْكَ قَبْلَ اليَوْمِ مَعْرُوفُ[٩]

ولو كان ذا اسمها لقال معروفاً، وابن عطية منع ذلك في الآية، قال: لأن تفسير الأمر والشأن لا يكوْن بجملة فيها محذوف[١٠]، كأنه يريد أن الجار متعلق بمحذوف وضمير الشأن لا يفسر إلا بجملة مصرح بجزئيها[١١] إلا أنَّ في هذا نظراً[١٢] إن أراده، لأن هذا الجار قائم مقام الخبر ولا أظن أحداً يمنع: هو السلطان في البلد، وهي الدار، والخيرة: من التخير كالطيرة من التطير فيستعملان استعمال المصدر[١٣]، وقال الزمخشري «مَا كَانَ لَهُم الخِيرَةُ» بيان لقوله «وَيَخْتَارُ»، لأن معناه: ويختار ما يشاء ولهذا

---

(١) ورجحه مكي قال: (لأن كونها للنفي يوجب عموم جميع الأشياء في الخير والشر، أنها حدثت بقدر الله واختياره، وليس لمخلوق فيها اختيار غير اكتسابه بقدر من الله له) مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٦٤، والوقف على «يختار» تام. انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/ ١٥١ ـ ١٥٢، إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٤١، منار الهدى في بيان الوقف والابتدا (٢٩٣).

(٢) في ب: والمصدر فيه.

(٣) حكاه أبو البقاء. التبيان ٢/ ١٠٢٤.

(٤) قاله الطبري. انظر جامع البيان ٢٠/ ٦٣.

(٥) انظر الكشاف ٣/ ١٧٧.

(٦) في ب: كانت.

(٧) تفسير ابن عطية ١١/ ٣٢٥.

(٨) نقله الطبري عن الفراء، وليس في معاني القرآن للفراء، انظر جامع البيان ٢٠/ ٦٣ ـ ٦٤.

(٩) البيت من بحر البسيط، وهو مطلع قصيدة لعنترة يقولها في امرأة أبيه، وهو في الديوان (٥٣)، جامع البيان ٢٠/ ٦٤، تفسير ابن عطية ١ ـ/ ٣٢٤، والسبع الطوال لابن الأنباري (٣٥٣)، البحر المحيط ٧/ ١٢٩، وفي الديوان (سهية) بدل (سمية) وهو اسمها. تذريف: من ذرفت عليه عينه تذرف تذريفاً، وهو الدمع الذي يكاد يتصل في نزوله. والشاهد فيه أن في (كان) على هذه الرواية ـ وهي من إنشاء القاسم بن معن ـ ضمير شأن اسمها، و(ذا) خبرها، و (معروف) مبتدأ مؤخر، وما قبله خبر، تنزيلاً لـ (كان) منزلة (إن). ورواية الديوان: (لو أنَّ ذا منك)، وعليها فلا شاهد في البيت.

(١٠) تفسير ابن عطية ١١/ ٣٢٥.

(١١) يجزئيها: سقط من ب.

(١٢) في ب: نظر.

(١٣) انظر الكشاف ٣/ ١٧٦.

لم يدخل العاطف، والمعنى أن الخيرة لله في أفعاله وهو أعلم بوجوه الحكمة[(١)] فيها ليس لأحد من خلقه أن يختار عليه[(٢)].

قال شهاب الدين: لم يزل الناس يقولون: إن الوقف على «يَخْتَار» والابتداء بما[(٣)] على أنها نافية هو مذهب أهل السنة[(٤)]، ونقل ذلك عن جماعة كأُبيٍّ وغيره[(٥)]، وأن كونها موصولة متصلة «يَخْتَارُ» غير موقوف عليه هو مذهب المعتزلة، وهذا الزمخشري قد قرر كونها نافية وحصل غرضه في كلامه وهو موافق لكلام أهل السنة ظاهراً وإن كان لا يريده، وهذا الطبري من كبار أهل السنة منع أن تكون نافية، قال: لئلا يكون المعنى: أنه إن لم يكن لهم الخيرة فيما مضى وهي لهم فيما يستقبل، وأيضاً فلم يتقدم نفي[(٦)]، وهذا الذي قاله ابن جرير[(٧)] مرويّ عن ابن عباس[(٨)]، وقال بعضهم: ويختار لهم ما يشاؤه من الرسل فـ «ما» على هذا واقعة على العقلاء[(٩)].

فصل

إن قيل: «ما» للإثبات فمعناه: ويختار الله ما كان لهم الخيرة، أي: يختار ما هو الأصلح والخير، وإن قيل: ما للنفي أي: ليس إليهم الاختيار، أو ليس لهم أن يختاروا على الله كقوله ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[(١٠)] [الأحزاب: ٣٦] ثم قال منزِّهاً نفسه سبحانه وتعالى «عَمَّا يُشْرِكُونَ» أي: إن الخلق والاختيار والإعزاز والإذلال مفوض إليه ليس لأحد فيه شركة ومنازعة ثم أكد ذلك بأنه «يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورهُمْ» من عداوة رسول الله ﷺ «وَمَا يُعْلِنُونَ» من مطاعنهم فيه، وقولهم: هلا اختير غيره في النبوة[(١١)]. ولما بيَّن علمه بما هم[(١٢)] عليه من الغل والحسد والسفاهة قال: «وَهُوَ اللَّهُ لاَ إِلَٰه إلا هُوَ لَهُ الحَمْدُ في الأُوْلَى والآخرة»، وهذا تنبيه على كونه قادراً على كل الممكنات عالماً بكل المعلومات منزهاً عن النقائص والآفات[(١٣)] «لَهُ الحَمْدُ في الأُوْلَى والآخِرَةِ» وهذا ظاهر على مذهب أهل السنة لأن الثواب غير واجب عليه بل يعطيه فضلاً وإحساناً، و «لَهُ الحَمْد في الأُولَى والآخرة» ويؤكد قول أهل الجنة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [فاطر: ٣٤]. ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ [الزمر:

---

(١) في ب: الجملة. وهو تحريف.
(٢) الكشاف ٣/ ١٧٦ ـ ١٧٧.
(٣) في ب: بما كان.
(٤) انظر القرطبي ١٣/ ٣٠٥.
(٥) انظر إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٤١.
(٦) انظر جامع البيان ٢٠/ ٦٣ ـ ٦٤.
(٧) في ب: ابن جريج.
(٨) انظر القرطبي ١٣/ ٣٠٦، البحر المحيط ٧/ ١٢٩.
(٩) الدر المصون ٥/ ٢٢٦، وانظر أيضاً القرطبي ١٣/ ٣٠٦.
(١٠) [الأحزاب: ٣٦]. وانظر البغوي ٦/ ٣٥٨ ـ ٣٥٩.
(١١) انظر الفخر الرازي ٢٥/ ١١.
(١٢) في ب: كونهم. وهو تحريف.
(١٣) انظر الفخر الرازي ٢٥/ ١١.

٧٤] ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[١] [يونس: ١٠] «ولَهُ الحُكْمُ» وفصل القضاء بين الخلق، قال ابن عباس: حكم لأهل طاعته بالمغفرة ولأهل المعصية بالشقاء[٢] «وإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» أي: إلى حكمه وقضائه.

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا﴾ الآية، لما بيَّن[٣] بقوله: «وَهُوَ اللَّهُ لاَ إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الحَمْدُ في الأُولَى والآخِرَةِ وَلَهُ الحُكْمُ وإِلَيْهِ تُرْجَعُون» فصل عقيب ذلك ببعض[٤] ما يجب أن يحمد عليه بما[٥] لا يقدر عليه سواه، فقال: «قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً»، نبَّه بذلك على كون الليل والنهار نعمتان متعاقبتان على الزمان، ووجهه أن المرء في الدنيا مضطرٌ إلى أن يتعب لتحصيل ما يحتاج إليه ولا يتم ذلك إلا براحة وسكون بالليل ولا بد منها والحالة هذه، فأما في الجنة فلا نصب ولا تعب[٦] ولا حاجة بهم إلى الليل، ولذلك يدوم لهم الضياء واللذات، فبيَّن بذلك أن القادر على ذلك ليس إلاّ الله[٧] فقال: «قُلْ[٨] أَرَأَيْتُمْ» أخبروني يا أهل مكة «إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُم اللَّيلَ سَرْمَداً» دائماً «إِلَى يَوْم القِيَامَةِ» لا نهار معه «من إلٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأتِيكُمْ بضِياءٍ» بنهار تطلبون فيه المعيشة «أَفَلاَ تَسْمَعُون» سماع فهم وقبول؟

قوله[٩]: أَرَأَيْتُم، وجعل تنازعا في «اللَّيْل» وأعمل الثاني ومفعول «أَرَأَيْتُمْ» هي جملة الاستفهام بعده والعائد منها على الليل محذوف تقديره: بضياء بعده[١٠]، وجواب الشرط محذوف، وتقدم تحرير هذا في الأنعام[١١]، وسرمداً مفعول ثان إن كان

---

(١) انظر الفخر الرازي ٢٥/ ١١. (٢) انظر البغوي ٦/ ٣٥٩.
(٣) في الفخر الرازي: لما بيَّن من قبل استحقاقه للحمد على وجه الإجمال.
(٤) في ب: بعض. (٥) في ب: ما.
(٦) في ب: فلا تعب ولا نصب. (٧) انظر الفخر الرازي ٢٥/ ١٢.
(٨) في ب: هل. وهو تحريف. (٩) في ب: فصل قوله.
(١٠) انظر البحر المحيط ٧/ ١٣٠.
(١١) يشير إلى قوله تعالى: ﴿**قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم**...﴾ [الأنعام: ٤٦]. انظر اللباب ٣/ ٤١٣، ٤١٧.

الجعل[١] تصييراً، أو حال إن كان خلقاً وإنشاء[٢]، والسَّرمد: الدائم الذي لا ينقطع[٣] قال طرفة[٤]:

٤٠١٥ ـ لَعَمْرُكَ مَا أَمْرِي عَلَيَّ بِغُمَّةٍ ... نَهَارِي وَلاَ لَيْلِي عَلَيَّ بِسَرْمَدِ[٥]

والظاهر أن ميمه أصلية، ووزنه فعلل كجعفر[٦]، وقيل: هي زائدة واشتقاقه من السَّرد، وهو تتابع الشيء على الشيء[٧]، إلا أنَّ زيادة الميم وسطاً وآخراً لا تنقاس نحو: دُلاَمِص[٨]، وزُرْقُم[٩]، من الدلاص والزُّرقة.

قوله: «إِلَى يَوْمِ» متعلق بـ «يَجْعَلَ» أو بـ «سَرْمَداً» أو بمحذوف على أنه صفة لـ «سَرْمَداً»[١٠] وإنما قال: «أَفَلاَ تَسْمَعُونَ»، «أَفَلاَ تُبْصِرُونَ»، لأن الغرض من ذلك الانتفاع بما يسمعون ويبصرون من جهة التدبر، فلما لم ينتفعوا أنزلوا منزلة من لا يسمع ولا يبصر[١١]، قال المفسِّرون: «أَفَلاَ تَسْمَعُونَ» سماع فهم «أَفَلاَ تُبْصِرُون» ما أنتم عليه من الخطأ والضلال[١٢].

وقال الزمخشري: فإن قيل[١٣] هلاَّ قيل بنهار يتصرَّفون فيه كما قيل بليل تسكنون فيه، قلنا[١٣]: ذكر الضياء وهو ضوء الشمس لأن المنافع التي تتعلق بها متكاثرة ليس التصرف في المعاش وحده[١٤] والظلام ليس بتلك المنزلة، وإنما قرن بالضياء «أَفَلاَ تَسْمَعُونَ» لأنَّ السمع يدرك ما لا يدركه البصر من درك منافعه ووصف فوائده، وقرن بالليل «أَفَلاَ تُبْصِرُونَ» لأن غيرك يدرك من منفعة الظلام ما تبصره[١٥] أنت من السكون ونحوه[١٦].

---

(١) في ب: جعل.
(٢) انظر التبيان ٢/ ١٠٢٥.
(٣) لأنه من السرد، وهو المتابعة. انظر الكشاف ٣/ ١٧٧، اللسان (سرد).
(٤) تقدم.
(٥) البيت من بحر الطويل، وقد تقدم.
(٦) هذا معنى كلام أبي حيان فإنه قال: («سرمد» قيل: من السرمد، فميمه زائدة ووزنه فعمل، ولا يزاد وسطاً ولا آخراً بقياس، وإنما هي ألفاظ تحفظ) البحر المحيط ٧/ ١٣٠.
(٧) انظر الكشاف ٣/ ١٧٧.
(٨) الدلامص: الدِّرع البراقة اللينة، بمعنى الدَّليص والدُّلاص وقد دلصت الدرع، أي: لانت. اللسان (دلص ـ دلمص).
(٩) الزرقم: الأزرق الشديد الزرق، والمرأة زرقم أيضاً، والذكر والأنثى في ذلك سواء، وقال اللحياني: رجل أزرق وزرقم، وامرأة زرقاء بينة الزرق، وزرقمة. اللسان زرق.
(١٠) انظر التبيان ٢/ ١٠٢٥.
(١١) انظر الفخر الرازي ٢٥/ ١٢ ـ ١٣.
(١٢) انظر البغوي: ٦/ ٣٦٠.
(١٣) في الكشاف: فإن قلت: .... قلت.
(١٤) في ب: فيه.
(١٥) في ب: ما تبصرون.
(١٦) الكشاف ٣/ ١٧٧.

قوله: «لِتَسْكُنُوا فِيهِ» أي في الليل «وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ» أي: في النهار وهذا من باب اللف والنشر[١] ومنه:

٤٠١٦ ـ كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْباً وَيَابِساً لَدَى وَكْرِهَا العِنَّابُ والحَشَفُ البَالِي[٢]

قوله: «لَعَلَّكُمْ تشْكرون» أي: نعم الله، وقيل: أراد الشكر على المنفعتين معاً، واعلم أنه وإن كان السكون في النهار ممكناً (وابتغاء فضل الله بالليل ممكناً)[٣] إلا أن الأليق بكل واحد منهما ما ذكره الله تعالى، فلهذا خصه به[٤]، وقوله: «وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ» كرّر ذلك النداء للمشركين لزيادة التقريع والتوبيخ.

قوله: «وَنَزَعْنَا» أخرجنا[٥] «مِنْ كُلِّ أمَّةٍ شَهِيداً» يعني رسولهم الذي أرسل إليهم، كما قال: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾[٦] [النساء: ٤١] أي: يشهد عليهم بأنهم بلغوا القوم الدلائل، وأوضحوها لهم ليعلم أن التقصير منهم، فيزيد ذلك في غمهم، وقيل المراد الشهداء الذين يشهدون على الناس، ويدخل في جملتهم الأنبياء «فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُم» حجتكم بأن معي شريكاً «فَعَلِمُوا» حينئذ «أَنَّ الحَقَّ» التوحيد «لِلَّهِ»، «وَضَلَّ عَنْهُمْ» غاب عنهم «مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ» من الباطل والكذب.

قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾ الآية، قال المفسرون كان ابن عمه،

---

(١) اللف والنشر هو ذكر متعدد على جهة التفصيل أو الإجمال، ثم ذكر ما لكل واحد من غير تعيين ثقة بأن السامع يرده إليه. الإيضاح (٣٦٦).

(٢) البيت من بحر الطويل، قاله امرؤ القيس، والشاهد فيه أنه شبَّه شيئاً واحداً في حالتين مختلفتين بشيئين مختلفين، فالعنَّاب وهو نوع من الثمار رائق المنظر راجع إلى القلوب الرطبة، والحشف وهو أردأ التمر راجع إلى القلوب اليابسة وهو ما يسميه علماء البيان باللف والنشر.

وفيه شاهد آخر وهو أن (رطباً ويابساً) حالان العامل فيهما حرف التشبيه، وهو (كأن) فلذا وجب تأخيرهما. البالي: العتيق. وقد تقدم.

(٣) ما بين القوسين تكملة من الفخر الرازي.

(٤) انظر الفخر الرازي ٢٥/١٣.

(٥) في ب: وأخرجنا.

(٦) [النساء: ٤١]. وانظر البغوي ٦/٣٦٠

لأنه قارون بن يصهر[١] بن قاهث بن لاوي بن يعقوب، وموسى ابنُ عمران بن قاهث[٢] وقال ابن إسحاق: كان قارون عم موسى كان أخا عمران وهما ابنا يصهر ولم يكن في بني إسرائيل أقرأ للتوراة من قارون، ولكنه نافق كما نافق السَّامري[٣] وكان يسمى المنوَّر[٤] لحسن صورته[٥].

وقال[٦] ابن عباس: إنه كان ابن خالته[٧]، فبغى عليهم، وقيل: كان عاملا[٨] لفرعون على بني إسرائيل، وكان يبغي عليهم ويظلمهم[٩]، وقال قتادة: «بَغَى عَلَيْهِمْ» بكثرة المال[١٠] (ولم يرع لهم حق الإيمان بل استخف بالفقراء)[١١].

وقال الضحاك: بغى عليهم بالشرك[١٢]، وقال القفال: طلب الفضل عليهم وأن يكونوا تحت يده[١٣]، وقال ابن عباس: تكبّر عليهم وتجبر[١٣]، وقال الكلبي: حسد هارون على الحبورة[١٣]، وروي أن موسى عليه السلام[١٤] لما قطع الله له البحر، وأغرق فرعون جعل الحبورة لهارون فحصلت له النبوة والحبورة وكان له القربان والمذبح وكان لموسى الرسالة، فوجد قارون لذلك في نفسه، وقال يا موسى لك الرسالة ولهارون الحبورة، ولست في شيء، لا أصبر أنا على هذا، فقال موسى: والله ما صنعت ذلك لهارون بل جعله الله فقال قارون له: فوالله لا أصدِّقك أبداً حتى تأتيني بآية[١٥] يعرف بها أن جعل ذلك لهارون، قال: فأمر موسى رؤساء بني إسرائيل أن يجيء كلُّ رجل منهم بعصاه فجاءوا بها، فألقاها موسى عليه السلام[١٦] في قبة له وكان ذلك بأمر الله ودعا موسى ربه أن يريهم بيان ذلك، فباتوا يحرسون عصيهم، فأصبحت عصا هارون تهتز لها ورق أخضر[١٧] وكانت من شجر اللوز، فقال موسى لقارون: ألا ترى ما صنع الله لهارون، فقال: والله ما هذا بأعجب مما تصنع من السحر، فاعتزل قارون ومعه ناس كثير وولي هارون الحبورة والمذبح والقربان، وكانت بنو إسرائيل يأتون بهَدَايَاهُمْ إلى هارون[١٨] فيضعها في المذبح وتنزل نار من السماء فتأكلها، واعتزل قارون بأتباعه وكان كثير المال والتَّبَع من بني إسرائيل، فما كان يأتي موسى ولا يجالسه.

---

(١) في ب: بصرم.
(٢) انظر البغوي ٦/ ٣٦٠ ـ ٣٦١، الفخر الرازي ٢٥/ ١٤.
(٣) انظر البغوي ٦/ ٣٦١.
(٤) في النسختين: النور.
(٥) انظر الفخر الرازي ٢٥/ ١٤.
(٦) في ب: وعن.
(٧) انظر الفخر الرازي ٢٥/ ١٤.
(٨) في ب: غلاماً.
(٩) وهو قول يحيى بن سلاّم وابن المسيب. انظر القرطبي ١٣/ ٣١٠.
(١٠) انظر البغوي ٦/ ٣٦١.
(١١) ما بين القوسين سقط من الأصل.
(١٢) انظر البغوي ٦/ ٣٦١.
(١٣) انظر الفخر الرازي ٢٥/ ١٥.
(١٤) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٥) في ب: بحجة.
(١٦) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٧) أخضر: تكملة من الفخر الرازي.
(١٨) في ب: قارون.

وروي عن النبي ـ ﷺ ـ «إنَّ قارُونَ كانَ من السَّبْعِينَ المُخْتَارَة الَّذِينَ سَمِعُوا كلامَ اللَّه»[١].

قوله: «وَآتَيْنَاهُ مِنَ الكُنُوزِ ما إنَّ مَفَاتِحَهُ» ما موصولة بمعنى الذي صلتها (إنَّ) وما في حيّزها ولهذا كسرت[٢] ونقل الأخفش الصغير عن الكوفيين منع الوصل بإنَّ وكان يستقبح ذلك عنهم، يعني لوجوده في القرآن[٣]، والمفاتح جمع مفتح بفتح الميم وهو الذي يفتح به الباب قاله قتادة ومجاهد وجماعة[٤]، وقيل: مفاتحه خزائنه كقوله ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ [الأنعام: ٥٩] أي: خزائنه.

قوله: «لَتَنُوءُ بِالعُصْبَةِ» فيها وجهان:

أحدهما: بأن الباء للتعدية، كالهمزة ولا قلب في الكلام، والمعنى: لتُنيء المفاتح العصبة الأقوياء كما تقول: أَجَأْتُهُ وَجِئْتُ به، وأَذْهَبْتُه وَذَهَبْتُ به[٥]، ومعنى ناء بكذا: نهض به بثقل، قال:

٤٠١٧ ـ تَنُوءُ بِأُخْرَاهَا فَلأْياً قِيَامُهَا ... وَتَمْشِي الهُوَينَا[٦] عن قَرِيبٍ فَتَبْهَرُ[٧]

وقال أبو زيد: نُؤْتُ بالعمل أي: نهضت به[٨]، قال:

٤٠١٨ ـ إِذَا وَجَدْنَا خَلْفاً بِئْسَ الخَلَفْ ... عَبْداً إذَا مَا نَاءَ بِالحِمْلِ وَقَفْ[٩]

وفسره الزمخشري بالأثقال، قال: يقال: ناء به الحمل حتى أثقله[١٠]

---

(١) انظر الفخر الرازي ٢٥/ ١٥.

(٢) انظر البيان ٢/ ٢٣٦، التبيان ٢/ ١٠٢٥.

(٣) قال النحاس: (وسمعت عليّ بن سليمان يقول: ما أقبح ما يقول الكوفيون في الصلات إنه لا يجوز أن يكون صلة الذي وإخوته (أنَّ)، وما علمت فيه وفي القرآن «ما إنَّ مفاتحه») إعراب القرآن ٣/ ٢٤٢.

(٤) انظر البغوي ٦/ ٣٦١.

(٥) انظر إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٤٢، التبيان ٢/ ١٠٢٥، البحر المحيط ٧/ ١٣٢.

(٦) الهوينا: سقط من النسختين.

(٧) البيت من بحر الطويل قاله ذو الرُّمة في وصف الناقة وهو في ديوانه ٢/ ٦٢٤ القرطبي ١٣/ ٣١٢، اللسان (نوأ)، البحر المحيط ٧/ ١٣٢، المفضليات (٣٤٢)، تنوء: يقال: ناء بالحمل، إذا نهض به مثقلاً، وناء به الحمل، إذا أثقله. لأياً، يقال: ألأى يلأى لأياً، والتأى يلتأي إذا أبطأ. ومعناه: إن آخرها وهي عجيزتها، تنيئها إلى الأرض لضخمها وكثرة لحمها في أردافها.

(٨) لم أعثر عليه في النوادر، وهو في القرطبي ١٣/ ٣١٢، البحر المحيط ٧/ ١٣٢.

(٩) بيتان من الرجز لم أهتد إلى قائلهما، وهما في الكامل ٣/ ١٣١١، أساس البلاغة (خصف) والرواية فيهما: أنشدني الرياشي لأعرابي يذم رجلاً اتخذ وليمة:

إنَّا وجدنا خلفاً بئس الخلف ... أغلق عنّا بابه ثمَّ حلف

لا يدخل البوَّاب إلاَّ من عرف ... عبداً إذا ما ناء بالحمل خضف

والقرطبي ١٣/ ٣١٢، البحر المحيط ٧/ ١٣٢. والشاهد فيه قوله: (ناء بالحمل) أي: نهض به.

(١٠) في ب: حين أفعله. وهو تحريف.

وأماله[١]، وعليه ينطبق المعنى أي: لتثقل[٢] المفاتح العصبة.

والثاني: قال أبو عبيدة[٣] إنَّ في الكلام قلباً، والأصل: لتنوء العصبة بالمفاتح أي: لتنهض بها[٤] لقولهم: عرضت الناقة على الحوض[٥]، وتقدم الكلام في القلب وأن فيه ثلاثة مذاهب، وقرأ بديل بن ميسرة[٦]: لينوء بالياء من تحت والتذكير[٧]، لأنه راعى المضاف المحذوف، إذ التقدير حملها أو ثقلها[٨]، وقيل الضمير في «مَفَاتِحَه» لـ «قَارُون» فاكتسب المضاف من المضاف إليه التذكير، كقولهم: ذهبت أهل اليمامة، قاله الزمخشري[٩]؛ يعني كما اكتسب «أَهْل» التأنيث اكتسب هذا التذكير، و «العُصْبَةُ»: الجماعة الكثيرة، والعصابة مثلها، قال مجاهد: ما بين العشرة إلى الأربعين[١٠]؛ لقول إخوة يوسف ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ [يوسف: ٨] وكانوا عشرة لأن يوسف وأخاه لم يكونا معهم وقيل: أربعون رجلاً[١١] وقيل سبعون[١٢] روي عن ابن عباس: كان يحمل مفاتحه أربعون رجلاً أقوى ما يكون من الرجال[١٣]، وروى جرير[١٤] عن منصور[١٥] عن خيثمة[١٦] قال: وجدت في الإنجيل أن مفاتيح خزائن قارون وقر ستين بغلاً ما يزيد مفتاح منها على إصبع لكل مفتاح منها كنز[١٧]، وطعن بعضهم في هذا القول من وجهين الأول: أنَّ مال الرجل الواحد لا يبلغ هذا المبلغ ولو أنا قدرنا بلدة مملوءة من الذهب والجواهر لكان لها أعداد قليل من المفاتيح، فأي حاجة إلى تكثير هذه المفاتيح؟ الثاني: أن المكنوز هي الأموال[١٨] المدخرة في الأرض فلا يجوز أن يكون لها مفاتح.

---

(١) والعبارة في الكشاف: (ويقال: ناء به الحمل إذا أثقله حتى أماله) الكشاف ٣/ ١٧٨.

(٢) في ب: اشتغل. وهو تحريف.

(٣) قال أبو عبيدة: سقط من الأصل.

(٤) وعبارة أبي عبيدة: (ما إنَّ العصبة ذوي القوة لتنوء بمفاتح نعمه...) مجاز القرآن ٢/ ١١١.

(٥) انظر مجاز القرآن ٢/ ١١١.

(٦) لم أقف له على ترجمة.

(٧) المحتسب ٢/ ١٥٣، الكشاف ٣/ ١٧٨، البحر المحيط ٧/ ١٣٢.

(٨) انظر البحر المحيط ٧/ ١٣٢.

(٩) انظر الكشاف ٣/ ١٧٨. بتصرف.

(١٠) وهو قول قتادة. انظر البغوي ٦/ ٣٦١.

(١١) انظر البغوي ٦/ ٣٦١.

(١٢) المرجع السابق.

(١٣) المرجع السابق.

(١٤) هو جرير بن حازم الأزدي، أبو النصر البصري، أحد الأعلام، أخذ عن الحسن، وابن سيرين، وطاووس، وغيرهم، وأخذ عنه أيوب، وابن عون، وابنه وهب بن جرير، وغيرهم، مات سنة ١٧٠هـ. تهذيب التهذيب ٢/ ٦٩ ـ ٧٢.

(١٥) هو منصور بن زاذان الثقفي مولاهم أبو المغيرة الواسطي، أخذ عن أنس وأبي العالية، وجماعة، وأخذ عنه جرير بن حازم، وخلف بن خليفة وطائفة، مات سنة ١٣١هـ. تهذيب التهذيب ١٠/ ٣٠٦.

(١٦) هو خيثمة بن أبي خيثمة البصري، أبو نصر، أخذ عن أنس، والحسن البصري، وأخذ عنه الأعمش، ومنصور، وجابر الجعفي. تهذيب التهذيب ٣/ ١٧٨.

(١٧) أخرجه سعيد بن منصور وابن منذر عن خيثمة ـ رضي الله عنه ـ انظر الدر المنثور ٥/ ١٣٦.

(١٨) في ب: هذه الأمور. وهو تحريف.

وأجيب عن الأول أن المال إذا كان من جنس (العروض لا من جنس النقد)[١] جاز أن يبلغ في الكثرة إلى هذا الحد، وأيضاً أن قولهم تلك المفاتح بلغت ستين حملاً ليس مذكوراً في القرآن، فلا تقبل هذه الرواية، وعن الثاني أن الكنز وإن كان من جهة العرف ما قالوا فقد يقع على المال المجموع في المواضع التي عليها أغلاق[٢] وحمل ابن عباس والحسن المفاتح على نفس[٣] المال وهذا أبين، قال ابن عباس كانت خزائنه يحملها أربعون رجلاً أقوياء[٤]، وقال أبو مسلم المراد من المفاتح العلم والإحاطة، كقوله تعالى ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩] والمراد: آتيناه من الكنوز لكثرتها واختلاف أصنافها ما يتعب القائمين أن يحفظوها[٥].

قوله: «إِذْ قَالَ» فيه أوجه: أن يكون معمولاً لـ «تَنُوءُ» قاله[٦] الزمخشري[٧]، أو لـ «بَغَى» قاله ابن عطية[٨]، وردَّه أبو حيان بأن المعنى ليس على التقييد بهذا الوقت[٩] أو لـ «آتَيْنَاهُ» قاله أبو البقاء[١٠] وردَّه أبو حيان بأن الإيتاء لم يكن ذلك الوقت[١١]. أو لمحذوف، فقدَّره[١٢] أبو البقاء: بغى عليهم[١٣] وهذا ينبغي أن يردّ بما ردَّ به قول ابن عطية. وقدَّره الطبري: اذكر[١٤] وقدره أبو حيان أظهر الفرح[١٥] وهو مناسب، واعلم أنه كان في قومه من وعظه بأمور:

أحدها: قوله: لاَ تَفْرَح إنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الفَرِحِينَ، وقرى الفارحين ـ حكاها عيسى الحجازي[١٦] ـ والمراد لا يلحقه من البطر والتمسك بالدنيا ما يلهيه عن أمر الآخرة، قال

---

(١) ما بين القوسين تكملة من الفخر الرازي.
(٢) انظر الفخر الرازي ٢٥/ ١٦ ـ ١٧.
(٣) في ب: تفسير. وهو تحريف.
(٤) انظر الفخر الرازي ٢٥/ ١٧.
(٥) انظر الفخر الرازي ٢٥/ ١٧.
(٦) في ب: قال.
(٧) قال الزمخشري: (ومحل «إذ» منصوب بـ «تنوء») الكشاف ٣/ ١٧٨.
(٨) قال ابن عطية: (وقوله تعالى: «إذ قال له قومه» متعلق بقوله: «فبغى») تفسير ابن عطية ١١/ ٣٣٥.
(٩) يعني وقت قوله له: «لا تفرح»، فإنه قال ردًّا على الزمخشري: (وهذا ضعيف جداً، لأن أثقال المفاتح ليس مقيداً بوقت قول قومه له: لا تفرح)، وقال رداً على ابن عطية: (وهو ضعيف أيضاً، لأن بغيه عليهم لم يكن مقيداً بذلك). البحر المحيط ٧/ ١٣٢.
(١٠) قال أبو البقاء: (و: «إذ قال له» ظرف لـ «آتيناه») التبيان ٢/ ١٠٢٥.
(١١) البحر المحيط ٧/ ١٣٢.
(١٢) في ب: أو بمحذوف قدره.
(١٣) وعبارته: (ويجوز أن يكون ظرفاً لفعلٍ محذوفٍ دل عليه الكلام، أي: بغى إذ قال له قومه) التبيان ٢/ ١٠٢٥.
(١٤) لم يذكر الطبري هذا، وإنما هو قول الحوفي نقله عنه أبو حيان. البحر المحيط ٧/ ١٣٢.
(١٥) قال أبو حيان: (ويظهر أن يكون تقديره: فأظهر التفاخر والفرح بما أوتي من الكنوز إذ قال له قومه لا تفرح) البحر المحيط ٧/ ١٣٢.
(١٦) المختصر (١١٤)، البحر المحيط ٧/ ١٣٣.

بعضهم: إنه لا يفرح بالدنيا إلا من رضي بها واطمأن إليها، وأمَّا من يعلم أنَّه سيفارق الدنيا عن قريب لم يفرح. وما أحسن قول المتنبي:

٤٠١٩ ـ أَشَدُّ الغَمِّ عِنْدِي في سُرُورٍ تَيَقَّنَ عَنْهُ صَاحِبُهُ انْتِقَالا[(١)]

(وأحسن وأوجز منه ما قال تعالى)[(٢)] ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣] قال ابن عباس: كان فرحه ذلك شركاً، لأنه ما كان يخاف معه عقوبة الله تعالى[(٣)].

وثانيها: قوله: «وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ». يجوز أن يتعلق «فِيمَا آتَاكَ» بـ «ابْتَغِ»، وأن يتعلق بمحذوف على أنه حال، أي: متقلباً «فِيمَا آتَاكَ». و «مَا» مصدرية أو بمعنى الذي[(٤)]. والمراد[(٥)] أن يصرف المال إلى ما يؤديه إلى الجنة، والظاهر أنه كان مقرًّا بالآخرة[(٦)].

وثالثها: قوله: «وَلاَ تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا» قال مجاهد وابن زيد لا تترك أن تعمل في الدنيا للآخرة[(٧)] وقال السُّدِّي: بالصدقة وصلة الرحم[(٨)] وقال علي ألاَّ تنسى صحتك وقوة شبابك وغناك أن تطلب بها الآخرة، قال عليه السلام[(٩)] لرجل وهو يعظه: «اغْتَنِمْ خَمْساً قبلَ خَمْسٍ شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِك، وصحَّتك قبل سَقَمِكَ، وغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وفَرَاغك قَبْلَ شُغْلِكَ، وحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ»[(١٠)].

قوله: «وأحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إلَيْكَ»: أي: إحساناً[(١١)] كإحسانه إليك، أي: أحسن بطاعة الله كما أحسن إليك بنعمته[(١٢)]، وقيل: أحسن إلى الناس كما أحسن الله إليك[(١٣)]، وقيل[(١٤)] إنه لما أمره بالإحسان بالمال أمره بالإحسان مطلقاً، ويدخل فيه الإعانة بالمال والجاه وطلاقة الوجه وحسن اللقاء[(١٥)].

---

(١) البيت من بحر الوافر، قاله المتنبي، وهو في ديوانه ٣/ ٢٢٤، الكشاف ٣/ ١٧٨، الفخر الرازي ٢٥/ ٢٦، البحر المحيط ٧/ ١٣٢، شرح شواهد الكشاف (١٠٠). يقول: أشدُّ الغم عندي وقف السرور الذي تيقن صاحبه الانتقال عنه وهكذا سرور الدنيا كله.

(٢) كذا في الفخر الرازي، وفي النسختين: وقال.

(٣) انظر الفخر الرازي ٢٥/ ١٦.

(٤) قاله أبو البقاء. التبيان ٢/ ١٠٢٦.

(٥) في الأصل: والمعنى.

(٦) انظر الفخر الرازي ٢٥/ ١٦.

(٧) انظر البغوي ٦/ ٣٦٢.

(٨) المرجع السابق.

(٩) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(١٠) أخرجه البغوي بسنده عن عمرو بن ميمون الأزدي. انظر البغوي ٦/ ٣٦٢.

(١١) إحساناً: سقط من ب.

(١٢) انظر البغوي ٦/ ٣٦٢. فتكون الكاف للتشبيه، وهو أن يكون في بعض الأوصاف، لأن مماثلة إحسان العبد لإحسان الله من جميع الصفات يمتنع أن تكون، فالتشبيه وقع في مطلق الإحسان. البحر المحيط ٧/ ١٣٣.

(١٣) انظر البغوي ٦/ ٣٦٢. فتكون الكاف للتعليل. البحر المحيط ٧/ ١٣٣.

(١٤) في ب: واعلم.

(١٥) انظر الفخر الرازي ٢٥/ ١٦ ـ ١٧.

قوله: «وَلاَ تَبْغِ الفَسَادَ في الأَرْضِ» ولا تطلب الفساد في الأرض[(١)]، وكل من عصى الله فقد طلب الفساد في الأرض[(٢)]، وقيل المراد ما كان عليه من الظلم والبغي[(٣)]، و «في الأَرْضِ» يجوز أن يتعلق بـ «تَبْغِ» أو بـ «الفَسَادِ» أو بمحذوف على أنه حال وهو بعيد. ثم قال: «إنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ المُفْسِدِينَ»، قيل: إن هذ القائل هو موسى[(٤)] عليه السلام[(٥)]؛ وقيل: بل مؤمنو قومه[(٦)].

وقوله: «عِنْدِي» إما ظرف لـ «أُوتِيته»، وإما صفة[(٧)] للعلم[(٨)].

فصل

قال قارون: «إنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي» أي: على فضل وخير علمه الله عندي فرآني[(٩)] أهلاً لذلك ففضلني بهذا المال عليكم كما فضلني بغيره[(١٠)]، وقال سعيد بن المسيب والضحاك: كان موسى عليه السلام[(١١)] يعلم علم الكيمياء (أنزل الله عليه علمه من السماء)[(١٢)] فعلّم يوشع بن نون ثلث ذلك العلم وعلم كالب بن يوقناء ثلثه وعلم قارون ثلثه، فخدعهما قارون حتى أضاف علمهما إلى علمه[(١٣)]. وكان ذلك سبب أمواله.

وقيل: «عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي» بالتصرف في التجارات والزراعات وأنواع المكاسب[(١٤)] ثم أجاب الله عن كلامه بقوله: «أَوَ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ القُرُونِ» الكافرة «مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعاً» للأموال أو أكثر جماعة وعدداً. فقوله «أَوَ لَمْ يَعْلَمْ» يجوز أن يكون هذا إثباتاً[(١٥)] لعلمه بأن الله قد أهلك قبله من القرون من هو أقوى منه وأغنى، لأنه قرأه في التوراة وأخبر به موسى وسمعه من حفاظ التواريخ؛ كأنه قيل: أو لم يعلم في جملة ما عنده من العلم هذا حتى لا يغتر بكثرة ماله وقوته. ويجوز أن يكون نفياً لعلمه بذلك لأنه لما قال: «أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي» فتصلف[(١٦)] بالعلم وتعظم به قيل مثل ذلك العلم الذي ادعاه ورأى نفسه به مستوجبة لكل نعمة ولم يعلم هذا العلم النافع[(١٧)] حتى يقي به نفسه. والمعنى أنه تعالى إذا أراد إهلاكه لم ينفعه ذلك ولا ما[(١٨)] يزيد عليه أضعافاً[(١٩)].

---

(١) في الأرض: سقط من ب.
(٢) انظر البغوي ٦/ ٣٦٢.
(٣) انظر الفخر الرازي ٢٥/ ١٧.
(٤) انظر الكشاف ٣/ ١٧٨، الفخر الرازي ٢٥/ ١٧.
(٥) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٦) انظر الفخر الرازي ٢٥/ ١٧.
(٧) صفة: سقط من ب.
(٨) انظر التبيان ٢/ ١٠٢٦.
(٩) في ب: وإني.
(١٠) انظر البغوي ٦/ ٣٦٣.
(١١) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٢) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٣) انظر الكشاف ٣/ ١٧٨، الفخر الرازي ٢٥/ ١٧.
(١٤) المرجعان السابقان.
(١٥) في ب: استئنافاً.
(١٦) الصلف: مجاوزة القدر في الظُّرف والبراعة والادِّعاء فوق ذلك تكبراً. اللسان (صلف).
(١٧) في ب: الباقي.
(١٨) ما: سقط من ب.
(١٩) انظر الكشاف ٣/ ١٧٨ ـ ١٧٩، الفخر الرازي ٢٥/ ١٧.

قوله: «مَنْ هُوَ أَشَدُّ» من موصولة أو نكرة موصوفة وهو في موضع المفعول بـ «أهلك»، و «مِنْ قَبْلِهِ» متعلق به، و «مِنَ القُرُونِ» يجوز فيه ذلك ويجوز أن يكون حالاً من «مَنْ هُوَ أَشَدُّ»[١].

قوله: «وَلاَ يُسْأَلُ» هذه قراءة العامة على البناء للمفعول وبالياء من تحت، ورفع الفعل، وقرأ أبو جعفر «وَلاَ تُسْأَل» بالتاء من فوق والجزم[٢] وابن سيرين وأبو العالية كذلك إلا أنه مبني للفاعل وهو المخاطب، قال ابن أبي إسحاق: لا يجوز ذلك حتى ينصب «المُجْرِمِين»[٣]، قال صاحب اللوامح: هذا هو الظاهر إلاَّ أنَّه لم يبلغني فيه شيء، فإن تركاه مرفوعاً فيحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون «المُجْرِمُونَ» خبر مبتدأ محذوف أي هم المجرمون.

الثاني: أن يكون بدلاً من أصل الهاء والميم في «ذُنُوبِهِمْ» لأنهما مرفوعا المحل، يعني أن «ذُنُوباً» مصدر مضاف لفاعله، قال فحمل المجرمون[٤] على الأصل كما تقدم في قراءة «مَثَلاً مَا بَعُوضَةٍ» بجر بعوضة، وكان قد خرجها على أن الأصل: يضرب مثل بعوضةٍ، وهذا تعسف كثير فلا ينبغي أن يقرأ ابن سيرين وأبو العالية إلا «المُجْرِمِينَ» بالياء فقط وإنما ترك نقلها[٥] لظهوره[٦].

قوله: «وَلاَ يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ المُجْرِمُونَ» قال قتادة: يدخلون النار بغير حساب ولا سؤال[٧]، وقال مجاهد يعني لا تسأل الملائكة عنهم، لأنهم يعرفونهم بسيماهم[٨]، وقال الحسن: لا يسألون سؤال استعلام وإنما يسألون سؤال تقريع وتوبيخ[٩]، وقيل: إن المراد أن الله تعالى[١٠] إذا عاقب المجرمين فلا حاجة به إلى أن يسألهم[١١] عن كيفية ذنوبهم وكنيتها[١٢]، لأن الله تعالى عالم بكل المعلومات فلا حاجة إلى السؤال[١٣]، فإن قيل: كيف الجمع بينه وبين قوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا

---

(١) انظر التبيان ٢/١٠٢٦.

(٢) قال أبو حيان: (وقرأ أبو جعفر في روايته «ولا تسأل» بالتاء والجزم، «المجرمين» نصب) البحر المحيط ٧/١٣٤.

(٣) قال أبو حيان: (وقرأ ابن سيرين وأبو العالية كذلك في «ولا تسأل» على النهي للمخاطب، وكان ابن أبي إسحاق لا يجوز ذلك إلا أن يكون «المجرمين» بالياء في محل النصب بوقوع الفعل عليه) البحر المحيط ٧/١٣٤.

(٤) في ب: المجرمين.

(٥) نقلها: سقط من ب.

(٦) انظر البحر المحيط ٧/١٣٤. بتصرف.

(٧) انظر البغوي ٦/٣٦٤.

(٨) المرجع السابق.

(٩) المرجع السابق.

(١٠) تعالى: سقط من ب.

(١١) في ب: يسأل.

(١٢) في ب: ويكنيتها.

(١٣) انظر الفخر الرازي ٢٥/١٧.

يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣] فالجواب: يحمل ذلك على وقتين كما قررناه(١).

وقال أبو مسلم: السؤال قد يكون للمحاسبة، وقد يكون للتقريع والتوبيخ، وقد يكون للاستعتاب، وأليق الوجوه بهذه الآية الاستعتاب لقوله ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [النحل: ٨٤] ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات: ٣٥، ٣٦].

قوله: «فِي زِينَتِهِ» إما متعلق بـ «خَرَجَ»، وإما بمحذوف على أنه حال من فاعل خرج(٢).

فصل

قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾

دلت الآية على أنه خرج بأظهر زينة وأكملها، وليس في القرآن إلا هذ القدر والناس ذكروا وجوهاً مختلفة، والأولى ترك هذه التقديرات لأنها متعارضة، ثم إن الناس لمَّا رأوه على تلك الزينة قال من كان منهم(٣) يرغب في الدنيا: «يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّه لَذُو حظٍّ عَظِيم» من الحال، وهؤلاء الراغبون يحتمل أن يكونوا من الكفار، وأن يكونوا من المسلمينَ الذين يحبُّون الدنيا، فأما الذين أوتوا العلم ـ وهم أهل الدين ـ قال ابن عباس: يعني الأحبار من بني إسرائيل(٤)، وقال مقاتل: أوتوا العلم بما وعد الله في الآخرة(٥). فقالوا للذين تمنوا: «وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ» من هذه النعم، أي: ما عند الله من الجزاء والثواب «خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ» وصدَّق بتوحيد الله وعمل صالحاً، لأن للثواب منافع عظيمة خالصة عن شوائب المضار دائمة، وهذه النِّعم على الضد في هذه الصفات(٦).

قوله(٧): «وَيْلَكُمْ»: منصوب بمحذوف، أي: «أَلْزَمَكُمُ اللَّهُ وَيْلَكُمْ»(٨)، قال الزمخشري: ويلك أصله الدعاء بالهلاك، ثم استعمل في الزجر والرَّدع والبعث على ترك ما يضر(٩).

قوله: «وَلاَ يُلَقَّاهَا» أي: هذه الخصلة وهي الزهد في الدنيا والرغبة فيما عند الله. وقيل: الضمير يعود إلى ما دل عليه قوله: «آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً» يعني هذه الأعمال لا يؤتاها إلا الصَّابرون(١٠) (وقال الزجاج: ولا يُلَقَّى هذه الكلمة وهي قولهم: «ثَوَابُ اللَّه

---

(١) انظر الفخر الرازي ٢٥/١٧.
(٢) انظر التبيان ٢/١٠٢٦.
(٣) في ب: قال منهم من كان.
(٤) انظر البغوي ٦/٣٦٤.
(٥) المرجع السابق.
(٦) انظر الفخر الرازي ٢٥/١٨.
(٧) في الأصل: فصل.
(٨) انظر التبيان ٢/١٠٢٦.
(٩) في الكشاف: على ترك ما لا يرضى. الكشاف ٣/١٧٩.
(١٠) انظر الفخر الرازي ٢٥/١٨.

خَيْر» إلا الصَّابِرُون[١])[٢] على أداء الطاعات والاحتراز عن المحرمات، وعلى الرِّضا بقضاء الله في[٣] كل ما قسم من المنافع والمضار[٤].

قوله: «فَخَسَفْنَا بِهِ وبِدَارِهِ الأَرْضَ» المشهور كسر هاء الكناية في بِهِ وبِدَارِهِ لأجل كسر ما قبلها. وقرىء بضمها[٥] وقد تقدم أنها الأصل، وهي لغة الحجاز.

فصل

قيل: لما أشر[٦] وبطر وعتا خسف الله به وبداره الأرض جزاءً على عتوه وبطره، والفاء تدل على ذلك، لأن الفاء تشعر بالعلية. وقيل: إن قارون كان يؤذي نبي الله موسى عليه السلام[٧] كل وقت وهو يداريه للقرابة التي بينهما، حتى نزلت الزكاة فصالحه عن كل ألف دينار على دينار، وعن كل ألف درهم على درهم، وعن كل ألف شاة على شاة، فحسبه[٨] فاستكثره[٩] فشحت به نفسه، فجمع بني إسرائيل وقال إنّ موسى يريد أن يأخذ أموالكم، فقالوا: أنت كبيرنا فمرنا بما شئت فقال: ائتوا بفلانة البغيّ فنجعل لها جعلاً حتى تقذف موسى بنفسها، فإذا فعلت ذلك خرج عليه بنو إسرائيل ورفضوه فدعوها فجعل لها قارون طشتاً من ذهب مملوءاً ذهباً[١٠]، وقال لها: إني أموّلك وأخلطك بنسائي على أن تقذفي موسى بنفسك غداً إذا حضر بنو إسرائيل، فلما كان من الغد جمع قارون بني إسرائيل، ثم أتى موسى فقال إن بني إسرائيل ينتظرون خروجك فتأمرهم وتنهاهم، فخرج إليهم[١١] موسى وهم في براح[١٢] من الأرض، فقام فيهم فقال: يا بني إسرائيل من سرق قطعنا يده ومن افترى جلدناه ثمانين جلدة، ومن زنى وليست له امرأة جلدناه مائة، (ومن زنى وله)[١٣] امرأة رجمناه حتى يموت، فقال له قارون: وإن كنت أنت؟ قال: وإن كنت أنا، قال: فإن بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة، قال: ادعوها فإن قالت فهو كما قالت، فلما جاءت قال لها موسى: يا فلانة أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء؟ وناشدها بالذي فلق البحر وأنزل التوراة أن تصدق فتداركها الله فقالت في نفسها: أحدث اليوم توبة أفضل من أن أؤذي رسول الله، فقالت: لا، كذبوا بل جعل[١٤] لي قارون جعلاً على أن أقذفك بنفسي، فخر موسى ساجداً يبكي، وقال: يا رب إن كنت رسولك فاغضب لي، فأوحى الله[١٥] إليه أن مر الأرض بما شئت فإنها مطيعة لك، قال: يا بني

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٤/١٥٦.
(٢) ما بين القوسين سقط من ب.
(٣) في ب: و.
(٤) انظر الفخر الرازي ٢٥/١٨.
(٥) انظر الحجة لأبي علي ١/١٣٢.
(٦) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٥/١٩.
(٧) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٨) فحسبه: سقط من ب.
(٩) في ب: فاستكثر.
(١٠) في ب: من ذهب.
(١١) في الأصل: إليه.
(١٢) في ب: وهي في مراح.
(١٣) ما بين القوسين في ب: أوله.
(١٤) في ب: جعلا.
(١٥) لفظ الجلالة: سقط من ب.

إسرائيل إن الله بعثني إلى قارون كما بعثني إلى فرعون. فمن كان معه[١] فليلزم مكانه، ومن كان معي فليعتزل، فاعتزلوا جميعاً ولم يبق مع قارون إلا رجلان، ثم[٢] قال: يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى الأوساط ثم قال: خذيهم فأخذتهم إلى الأعناق وقارون وأصحابه يتضرعون إلى موسى ويناشدونه بالله والرَّحم وهو لا يلتفت إليهم لشدة غضبه، ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم فأوحى الله إلى موسى[٣]: ما أفظَّك استغاثوا بك مراراً فلم ترحمهم، أما وعزتي لو دعوني مرة واحدة لوجدوني قريباً مجيباً[٤]، فأصبحت بنو إسرائيل يتناجون بينهم: إنما دعا موسى على قارون ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله حتى خسف الله بداره وأمواله الأرض، ثم إن قارون يخسف به كل يوم قامة[٥].

قال القاضي: إذا هلك بالخسف فسواء نزل عن ظاهر الأرض إلى الأرض السابعة أو دون ذلك، وإن كان لا يمتنع على وجه المبالغة في الزجر، وأما قولهم[٦]: إنه ـ تعالى ـ قال[٧]: لو استغاثوا بي لأغثتهم، فإن صح حمل على استغاثة[٨] مقرونةٍ بالتوبة، فأما وهو ثابت على ما هو عليه مع أنه تعالى هو الذي حكم بذلك الخسف، لأن[٩] موسى ما فعله إلا عن إذن فبعيد، وقولهم إنهم يتجلجلون في الأرض فبعيد، لأنه لا بد له من نهاية، وكذا القول فيما ذكر من عدو القامات[١٠] والذي عنده في أمثال[١١] هذه الحكايات أنها قليلة الفائدة، لأنها من باب أخبار الآحاد فلا تفيد اليقين وليست المسألة عملية حتى يكفي فيها الظنّ ثم إنها في أكثر الأمر متعارضة مضطربة فالأولى طرحها والاكتفاء بما دل عليه نص القرآن وتفويض سائر التفاصيل إلى عالم الغيب[١٢].

قوله: «مِنْ فِئَةٍ» يجوز أن يكون اسم كان إن كانت ناقصة، و «له» الخبر أو «يَنْصُرونَهُ» وأن تكون فاعلة إن كانت تامة و «يَنْصُرُونَهُ» صفة لـ «فِئَةٍ» فيحكم على موضعها بالجر لفظاً وبالرفع معنى، لأن «مِنْ» مزيدة فيها، ثم قال «وَمَا كَانَ مِنَ المُنْتَصِرين» أي الممتنعين مما نزل من الخسف، يقال: نصره من عدوه فانتصر أي: منعه فامتنع[١٣].

قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ

(١) معه: سقط من ب.
(٢) ثم: سقط من ب.
(٣) في ب: موسى عليه الصلاة والسلام.
(٤) مجيباً: سقط من ب.
(٥) في الفخر الرازي: مائة قامة.
(٦) في ب: قوله.
(٧) قال: سقط من ب.
(٨) في الأصل: الاستغاثة.
(٩) في ب: أن.
(١٠) في ب: الغايات.
(١١) في ب: في إنفاذ.
(١٢) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٥/١٩.
(١٣) المرجعان السابقان.

ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾

قوله: «وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ» أي: صار[١] أولئك الذين تمنوا[٢] ما رُزق من[٣] المال والزينة يتندمون على ذلك التمني[٤]، والعرب تعبِّر عن[٥] الصيرورة بأصبح وأمسى وأضحى، تقول: أصبح فلانٌ عالماً، وأضحى معدماً، وأمسى حزيناً، والمعنى صار ذلك زاجراً لهم عن حب الدنيا ومخالفة موسى وداعياً إلى الرضا بقضاء الله وقسمته[٦].

قوله: «وَيْكَأَنَّ اللَّه. . . . وَيْكَأَنَّهُ» فيه مذاهب منها: أن وَيْ كلمة برأسها وهي اسم فعلٍ معناها أعجب[٧] أي أنا والكاف للتعليل، و «أنْ» وما في حيّزها مجرورة بها، أي: أعجَب لأنَّه لا يفلح الكافرون، وسمع كما أنَّه لا يعلم غفر الله له[٨]، وقياس هذا القول أن يوقف على «وَيْ» وحدها، وقد فعل ذلك الكسائي، إلا أنه ينقل عنه أنه يعتقد في الكلمة أن أصلها «وَيْلَكَ» كما سيأتي، وهذا ينافي وقفه، وأنشد سيبويه[٩]:

٤٠٢٠ ـ وَيْ كَأَنْ مَنْ يَكُنْ لَهُ نَشَبٌ يُحْـ ـبَبْ وَمَنْ يَفْتَقِرْ يَعِشْ عَيْشَ ضُرِّ[١٠]

الثاني: قال بعضهم «كَأَنَّ» هنا للتشبيه إلا أنه ذهب منها معناه، وصارت للخبر والتيقن[١١]، وأنشد:

---

(١) في ب: صاروا.

(٢) في ب: الَّذين تمنَّوا مكانه بالأمس.

(٣) في ب: بـ.

(٤) في ب: الغنى. وهو تحريف.

(٥) في ب: عن ذلك.

(٦) انظر الفخر الرازي ٢٥/ ٢٠.

(٧) في ب: معناه وأعجب. وهو تحريف.

(٨) هذا قول الخليل، قاله سيبويه: (وسألت الخليل ـ رحمه الله تعالى ـ عن قوله: «ويكأنّه لا يفلح» وعن قوله تعالى جده: «ويكأنَّ الله» فزعم أنها «وي» مفصولة من «كأنَّ»، والمعنى: وقع على أن القوم انتبهوا فتكلموا على قدر علمهم أو نبِّهوا فقيل لهم: أما يشبه أن يكون هذا عندكم هكذا. والله تعالى أعلم) الكتاب ٢/ ١٥٤. وانظر الكشاف ٣/ ١٨٠، البيان ٢/ ٢٣٧، التبيان ٢/ ١٠٢٧، البحر المحيط ٧/ ١٣٥.

(٩) الكتاب ٢/ ١٥٥.

(١٠) البيت من بحر الخفيف قاله زيد بن عمرو بن نفيل، أو نبيه بن الحجاج، وهو في الكتاب ٢/ ١٥٥، معاني القرآن للفراء ٢/ ٣١٢، مجالس ثعلب ١/ ٣٢٢، معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/ ١٥٧، المحتسب ٢/ ١٥٥، الخصائص ٢/ ٤١، ١٦٩، الكشاف ٣/ ١٨٠. تفسير ابن عطية ١١/ ٣٤٤، البيان ٢/ ٢٣٧، ابن يعيش ٤/ ٧٦، اللسان (ويا)، البحر المحيط ٧/ ١٣٥، المغني ٢/ ٣٦٩، شرح شواهده ٢/ ٧٨٦، الهمع ٢/ ١٠٦، الأشموني ٣/ ١٩٩، الخزانة ٦/ ٤٠٥. النشب: المال. والشاهد فيه (ويكأنَّ) فهي عند الخليل وسيبويه مركبة من (وي) للتنبيه، و (كأن) للتشبيه.

(١١) قال ابن جني: (وهو أن (وي) على قياس مذهبهما (الخليل وسيبويه) اسم سمي به الفعل في الخبر، فكأنه اسم أعجب، ثم ابتدأ فقال: «كأنَّه لا يفلح الكافرون» و «وي كأنَّ الله يبسط الرزق لمن يشاء من =

٤٠٢١ ـ كَأَنَّنِي حِينَ أُمْسِي لاَ يُكَلِّمُنِي مُتَيَّمٌ يَشْتَهِي مَا لَيْسَ مَوْجُودا[١]

وهذه أيضاً يناسبه الوقف على «وَيْ».

الثالث: أن «وَيْكَ» كلمة برأسها والكاف حرف خطاب، وأنَّ معمولة لمحذوف، أي: اعلم أنَّه لا يفلح، قاله الأخفش[٢]، وعليه قوله:

٤٠٢٢ ـ أَلاَ وَيْكَ الْمَسَرَّةُ لاَ تَدُومُ وَلاَ يَبْقَى عَلَى الْبُؤْسِ النَّعِيمُ[٣]

وقوله عنترة[٤]:

٤٠٢٣ ـ وَلَقَدْ شَفَى نَفْسِيَ وَأَبْرَأَ سُقْمَهَا قِيلُ الْفَوَارِسِ وَيْكَ عَنْتَرَ أَقْدِمِ[٥]

وحقه أن تقف على «وَيْكَ» وقد فعله أبو عمرو بن العلاء[٦].

الرابع: أن أصلها «وَيْلَكَ» فَحُذِفَ[٧]، وإليه ذهب الكسائي ويونس وأبو حاتم[٨]،

= عباده»، فـ (كأنَّ) إخبار عار من معنى التشبيه، ومعناه إنَّ الله يبسط الرزق لمن يشاء) المحتسب ٢/ ١٥٥. وردَّ هذا بأنه(وي) للتنبيه، وليست بمعنى: أعجب، وأما قوله: (إن كأنَّ عارية من معنى التشبيه)، فقول سيبويه: (أما يشبه أن يكون هذا عندكم هكذا) انظر الخزانة ٦/ ٤٠٤ ـ ٤٠٨.

(١) البيت من بحر البسيط قاله عمر بن أبي ربيعة، وهو في ديوانه (٥٣)، الخصائص ٣/ ٧٠، المحتسب ٢/ ١٥٥، البيان ٢/ ٢٣٧، ابن يعيش ٤/ ٧٧، اللسان (عود) ونسب فيه إلى يزيد بن الحكم يمدح سليمان بن عبد الملك، المغني ٢/ ٣٦٩، شرح شواهده ٢/ ٧٨٨. والشاهد فيه أنَّ (كأنَّ) هنا ليست للتشبيه فكأنها زائدة قال ابن جني في المحتسب: (وممَّا جاءت فيه (كأنَّ) عارية من معنى التشبيه ما أنشدناه أبو علي: . . . البيت. أي: أنا حين أمسي (متيَّم) من حالي كذا وكذا) المحتسب ٢/ ١٥٥.

(٢) كذا نقل عنه ابن جني في الخصائص ٣/ ٤٠ ـ ٤١، ١٧٠، وابن الأنباري في البيان ٢/ ٢٣٧، وكلام الأخفش في المعاني لا يفهم منه ذلك، فإنَّه قال في معرض حديثه عن هذه الآية: (المفسرون يفسرونها: ألم تر أنم الله، وقال: (ويكأنّه لا يفلح الكافرون) وفي الشعر:

سالتاني الطَّلاق أن رأتا ما لي قليلاً قد جئتماني بنكر

ويكأنَّ من يكن له نشبٌ يحـ ـبب ومن يفتقر يعش عَيشَ ضرّ

المعاني ٢/ ٦٥٤ ـ ٦٥٥.

(٣) البيت من بحر الوافر، لم أهتد إلى قائله، وهو في البحر المحيط ٧/ ١٣٥. والشاهد فيه قوله: (ويك) فإن الكاف فيه حرف خطاب لا محل له من الإعراب، ومعناه: اعلم أن المسرَّة.

(٤) تقدم.

(٥) البيت من بحر الكامل، وهو من معلقته، وهو في المحتسب ١/ ١٦، ٢/ ١٥٦د أمالي ابن الشجري ٢/ ٥، ٦، السبع الطوال لابن الأنباري ٣٥٩، ٣٦٠، ابن يعيش ٤/ ٧٧، المغني ٢/ ٣٦٩، شرح التصريح ٢/ ١٩٧، شرح شواهد المغني ٢/ ٧٨٧، الأشموني ٣/ ١٩٨، الخزانة ٦/ ٤٢١. عنتر: منادى مرخم. والشاهد فيه قوله: (ويك) فهي كلمة برأسها غير مركبة من كلمتين، ومعناها هنا التعجب، والكاف حرف خطاب.

(٦) نسب الأشموني هذا القول لأبي عمرو بن العلاء. انظر الأشموني ٣/ ١٩٨ ـ ١٩٩.

(٧) في ب: محذوف. (٨) انظر البحر المحيط ٧/ ١٣٥.

وحقهم[(١)] أن يقفوا على الكاف كما فعل أبو عمرو، ومن قال بهذا استشهد بالبيتين المتقدمين، فإنه يحتمل أن يكون الأصل فيهما «وَيْلَكَ» فحذف ولم يرسم في القرآن إلا «وَيْكَأَنَّ» «وَيْكَأَنَّهُ»[(٢)] متصلة في الموضعين[(٣)]. فعامَّة القرَّاء اتبعوا الرسم، والكسائي وقف على «وَيْ» وأبو عمرو على «وَيْكَ»[(٤)] وهذا كله في وقف الاختيار دون الاختبار كنظائر تقدمت[(٥)].

الخامس: أنَّ وَيْكَأَنَّ كلها كلمة مستقلة بسيطة ومعناها «أَلَمْ تَرَ»[(٦)] وربَّما نقل ذلك عن ابن عباس[(٧)]، ونقل الكسائي والفراء أنها بمعنى: أما ترى إلى صنع الله، قال الفراء: هي كلمة تقرير، وذكر أنه أخبره[(٨)] من سمع أعرابية تقول لزوجها: أين ابنك؟ قال: وَيْ كأنَّه وراء البيت، يعني: أما ترينه وراء البيت[(٩)]، وحكى ابن قتيبة أنها بمعنى: رحمة لك في لغة حمير[(١٠)].

قوله: «لَوْلاَ أَنْ مَنَّ اللَّهُ» قرأ الأعمش «لَوْلاَ مَنَّ» بحذف «أَنْ» وهي مرادة، لأن لولا هذه لا يليها إلا المبتدأ[(١١)]، وعنه «مَنُّ» برفع النون وجر الجلالة، وهي واضحة[(١٢)].

قوله: «لَخَسَفَ» قرأ حفص: «لَخَسَفَ» مبنياً للفاعل أي الله تعالى، والباقون ببنائه للمفعول[(١٣)]، و «بِنَا» هو القائم مقام الفاعل، وعبد الله وطلحة لانْخُسِفَ بِنَا[(١٤)] أي: المكان، وقيل: «بِنَا» هو القائم مقام الفاعل كقولك: انقطع بنا[(١٥)]، وهي عبارة رديئة وقيل: الفاعل[(١٦)] ضمير المصدر أي: لانخسف الانخساف[(١٧)] وهي عنه أيضاً، وعن

---

(١) في ب: فحذف اللام، وإنما جاز هذا الحذف لكثرتها في الكلام، وجعل (أن) مفتوحة بفعل مضارع مضمر كأنه قال: ويلك اعلم، وحقهم.

(٢) في ب: إلا ويكأن مكانه. وهو تحريف.

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ٢/ ٣١٢. (٤) انظر تفسير ابن عطية ١١/ ٣٤٥.

(٥) في ب: وهذا كله في وقف الاختيار كنظائره وتقدمت.

(٦) عزاه ابن خالويه إلى أبي زيد فإنه قال: (وقال أبو زيد: «ويكأنَّ» حرف واحد) المختصر (١١٤).

(٧) انظر البحر المحيط ٧/ ١٣٥. (٨) في ب: أخبر.

(٩) معاني القرآن ٢/ ٣١٢. (١٠) انظر تأويل مشكل إعراب القرآن (٥٢٧).

(١١) في ب: بالمبتدأ.

(١٢) المختصر (١١٤)، تفسير ابن عطية ١١/ ٣٤٤، البحر المحيط ٧/ ١٣٥.

(١٣) السبعة (٤٩٥)، الكشف ٢/ ١٧٥ ـ ١٧٦، النشر ٢/ ٣٤٢، الإتحاف ٣٤٤.

(١٤) المختصر (١١٤)، تفسير ابن عطية ١١/ ٣٤٥، البحر المحيط ٧/ ١٣٥.

(١٥) قال أبو حيان: (وابن مسعود، وطلحة، والأعمش: «لانْخُسِف بنا» كقولك: انقطعَ بنا، كأنَّه فعل مطاوع، والمقام مقام الفاعل هو «بنا») البحر المحيط ٧/ ١٣٥.

(١٦) الفاعل: سقط من ب.

(١٧) قال أبو حيان: (ويجوز أن يكون المصدر، أي: لانخسف الانخساف، ومطاوع فعل لا يتعدى إلى مفعول به، فلذلك بني إما لـ «بنا»، وإما للمصدر) البحر المحيط ٧/ ١٣٥ ـ ١٣٦.

عبد الله «لَتُخُسِّفَ» بتاء من فوق وتشديد السين مبنياً للمفعول، وبنا قائم مقامه[١].

قوله: «وَيْكَأَنَّ» كلمة مستعملة عند التنبيه للخطاب وإظهار التندم[٢]، فلما قالوا: ﴿يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ﴾ [القصص: ٧٩] ثم شاهدوا الخسف تنبهوا لخطئهم، ثم قالوا: كأنه «يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ» بحسب مشيئته وحكمته لا لكرامته عليه، ويضيق على من يشاء لا لهوان من يضيِّق عليه، بل لحكمته وقضائه ابتلاء وفتنة[٣]، قال سيبويه: سألت الخليل عن هذا الحرف، فقال: «وَيْ» مفصولة[٤] من «كَأَنَّ» وأن القوم تنبهوا وقالوا متندمين على ما سلف منهم[٥].

قوله تعالى[٦]: «تِلْكَ الدَّارُ» مبتدأ وصفته، و «نَجْعَلُهَا» هو الخبر، ويجوز أن يكون «الدَّارُ» هو الخبر «ونجعَلُهَا» خبراً آخر، وحال[٧] والأولى أحسن، وهذا تعظيم[٨] لها وتفخيم لشأنها، يعني: تلك التي سمعت بذكرها وبلغك وصفها[٩] «لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُواً في الأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً» كرَّر «لاَ» ليفيد أن كلاً منهما مستقل في بابه لا مجموعهما، «والعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ».

قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾

قوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾، لمَّا بيَّن أن الدار الآخرة ليست إلا للمتقين بيَّن[١٠] بعد ذلك ما يحصل لهم فقال: «مَنْ جَاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنهَا»، والمعنى: أنهم يزادون على ثوابهم، وقوله: «وَمَنْ جَاءَ بالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» وظاهره أنهم لا يزادون على ما يستحقون[١١].

فقوله: «فَلاَ يُجْزَى الَّذِينَ» من إقامة الظاهر مقام المضمر تشنيعاً عليهم، وقوله: «إلاَّ مَا كَانُوا» أي: إلاَّ مثل ما كانوا، قال الزمخشري: إنما كرر ذكر السيئات، لأن في

---

(١) المختصر (١١٤)، البحر المحيط ٧/١٣٦.
(٢) في ب: الندم.
(٣) انظر الفخر الرازي ٢٥/٢٠.
(٤) في ب: مفعول. وهو تحريف.
(٥) انظر الكتاب ٢/١٥٤.
(٦) تعالى: سقط من ب.
(٧) انظر البيان ٢/٢٣٨ ـ ٢٣٩.
(٨) في ب: عظيم.
(٩) انظر الكشاف ٣/١٨٠، الفخر الرازي ٢٥/٢٠.
(١٠) في ب: وبيَّن.
(١١) انظر الفخر الرازي ٢٥/٢١.

إسناد عمل السيئة إليهم مكرراً فضل تهجين لحالهم، وزيادة تبغيض للسيئة إلى السامعين، وهذا من فضله العظيم أنه لا يجزي بالسيئة إلا مثلها، ويجزي بالحسنة بعشر[١] أمثالها[٢].

فإن قيل: قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧] كرر ذكر الإحسان واكتفى في ذكر الإساءة بمرة واحدة، (وفي هذه الآية كرر الإساءة واكتفى في ذكر الإحسان بمرة واحدة)[٣] فما السبب؟

والجواب[٤]: أن هذا المقام مقام الترغيب في الدار الآخرة فكانت المبالغة في النهي[٥] عن المعصية مبالغة في الدعوة إلى الآخرة، وأما الآية الأخرى فهي في شرح حالهم فكانت المبالغة في ذكر محاسنهم أولى[٦]. فإن قيل: كيف لا تجزى السيئة إلا بمثلها مع أن المتكلم بكلمة الكفر إذا مات في الحال عذب أبد الآباد؟ فالجواب: لأنه كان على عزم أنه لو عاش أبداً لقال ذلك فعومل بمقتضى عزمه[٧].

قوله[٨]: «إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ» قال أبو علي[٩]: فرض عليك أحكامه وفرائضه «لَرَادُّكَ» بعد الموت «إِلَى مَعَادٍ» وتنكير المعاد لتعظيمه، كأنه قال: مَعَادٍ وأي معاد، أي ليس لغيرك من البشر مثله، وقيل: المراد به مكة وترداده إليها يوم الفتح، ووجه تنكيره إياها كانت في ذلك اليوم معاداً لها شأن عظيم لاستيلاء رسول الله ـ ﷺ ـ عليها، وقهره لأهلها وإظهار[١٠] عز الإسلام وإذلال[١١] حزب الكفرة، والسورة مكية، فكأن الله تعالى وعده وهو بمكة حين أوذي وهو في غلبة من أهلها أنه يهاجر منها، ويعيده إليها ظاهراً ظافراً، وقال مقاتل: إنَّه ﷺ خرج من الغار وسار في غير الطريق مخافة الطلب فلما رجع إلى الطريق نزل بالجحفة[١٢] بين مكة والمدينة، وعرف الطريق إلى مكة واشتاق إليها وذكر مولده ومولد أبيه، فنزل جبريل فقال: أتشتاق إلى بلدك ومولدك؟ فقال رسول الله ﷺ: «نَعَمْ» فقال جبريل إنَّ الله[١٣] يقول: «إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إلى مَعَادٍ»[١٤]. يعني مكة ظاهراً عليهم قال المحققون: وهذا حد ما يدل على نبوته، لأنه أخبر عن الغيب ووقع ما أخبر به فيكون معجزاً[١٥].

---

(١) في ب: عشر.
(٢) انظر الكشاف ٣/ ١٨١. بتصرف.
(٣) ما بين القوسين سقط من ب.
(٤) في ب: فالجواب.
(٥) في ب: المنهي.
(٦) انظر الفخر الرازي ٢٥/ ٢٢.
(٧) المرجع السابق.
(٨) في ب: قوله تعالى.
(٩) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٥/ ٢٢.
(١٠) في ب: فإظهار.
(١١) في ب: إذلال.
(١٢) الجحفة: موضع بين مكة والمدينة. المعجم الوسيط (جحف).
(١٣) في ب: الله تعالى.
(١٤) انظر الدر المنثور ٥/ ١٣٩.
(١٥) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٥/ ٢٢.

قوله: «مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى» منصوب بمضمر، أي: يَعْلَمُ[١] أو «أَعْلَم» إن جعلناها بمعنى عالم وأعملناها إعماله[٢]، ووجه تعلقه بما قبله أنَّ الله تعالى لما وعد رسوله ـ ﷺ ـ الرد إلى معاد قال: قل للمشركين «رَبِّي أَعْلَم مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى» يعني نفسه وما يستحقه من الثواب في المعاد والإعزاز بالإعادة إلى مكة «وَمَنْ هُوَ في ضَلاَلٍ مُبِين» يعنيهم وما يستحقونه من العذاب في معادهم[٣].

قوله[٤]: «وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الكِتَاب» أي: يوحى إليك القرآن «إلاَّ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ» قال الفراء هذا استثناء منقطع[٥]، أي: لكن رحمة من ربك فأعطاك القرآن وقيل: متصل. قال الزمخشري: هذا كلام محمول على المعنى، كأنه قيل: وما ألقي إليك[٦] الكتاب إلا رحمة[٧]. فيكون استثناء من الأحوال ومن المفعول له[٨]، «فَلاَ تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِلْكَافِرِينَ» أي: معيناً لهم على دينهم، قال مقاتل: وذلك حين دعي إلى دين آبائه فذكره الله نعمه ونهاه عن مظاهرتهم على ما هم عليه[٩].

قوله: «وَلاَ يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ» قرأ العامة بفتح الياء وضم الصاد، من: صدَّه يصُدُّه، وقرىء بضم الياء وكسر الصاد، من: أصده بمعنى صَدَّه، حكاها أبو زيد عن كلب[١٠]. قال الشاعر:

٤٠٢٣ ـ أُنَاسٌ أَصَدُّوا النَّاسَ بِالسَّيْفِ عَنْهُم ... صُدُودَ السَّوَاقِي عَنْ أُنُوفِ الحَوَائِمِ[١١]

(١) قال ابن الأنباري: (ووجه التقدير لامتناع الإضافة، ولأن «أعلم» لا يعمل في المفعول لأنه من المعاني، والمعاني لا تنصب المفعول) البيان ٢/ ٢٣٩، وانظر البحر المحيط ٧/ ١٣٦.
(٢) قال أبو حيان: (ومن أجاز أن يأتي أفعل بمعنى فاعل، وجاز مع ذلك أن ينصب به جاز أن ينتصب به إذ يؤوله بمعنى عالم ويعطيه حكمه) البحر المحيط ٧/ ١٣٦.
(٣) انظر الكشاف ٣/ ١٨١، الفخر الرازي ٢٥/ ٢٢.
(٤) في ب: قوله تعالى.
(٥) معاني القرآن ٢/ ٣١٣، وقال الأخفش: (استثناء خارج من أول الكلام في معنى لكن) المعاني ٢/ ٦٥٥.
(٦) في الكشاف: عليك.
(٧) الكشاف ٣/ ١٨١.
(٨) انظر البحر المحيط ٧/ ١٣٧.
(٩) انظر البغوي ٦/ ٣٧٢.
(١٠) لم أعثر على ذلك في النوادر، وفي المختصر: قال ابن خالويه: («ولا يصدَّنّك» حكاه أبو زيد عن رجل من كلب، وقال: هي لغة قومه) ١١٤، وانظر البحر المحيط ٧/ ١٣٧.
(١١) البيت من بحر الطويل، قاله ذو الرُّمة، وهو في ديوانه ٢/ ٧٧١، الكشاف ٣/ ١٨١. القرطبي ١٣/ ٣٢٢، اللسان(صدد) البحر المحيط ٧/ ١٣٧، وروي:
صدود السّواقي عن رؤوس المخارم
السواقي: مجاري الماء. المخرم: منقطع أنف الجبل، يقول: صدوا الناس عنهم بالسيف كما صدّت هذه الأنهار عن المخارم، فلم تستطع أن ترتفع إليها. الحوائم: الجمال العطاش، لأنها تحوم حول الماء جمع حائم. والشاهد فيه قوله: (أصدُّوا) فإنه بمعنى صدوا.

وأصل «يَصُدُّنكَ» «يَصُدُّونَنَّكَ»، ففعل فيه ما فعل في ﴿لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ﴾[١] [هود: ٨]، والمعنى لا تلتفت إلى هؤلاء ولا تركن إلى قولهم فيصدوك عن اتباع آيات الله[٢] يعني القرآن. «بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ[٣] إِلَيْكَ، وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ» أي: إلى دين ربك وإلى معرفته وتوحيده «وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» قال ابن عباس: الخطاب في الظاهر للنبي ﷺ والمراد به: أهل دينه[٤]، أي: لا تظاهروا الكفار ولا توافقوهم ومثله: «وَلاَ تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهاً آخَرَ» وهذا وإن كان واجباً على الكلِّ إلا أنه تعالى خاطبه به خصوصاً لأجل (التعليم[٥])[٦]، فإن قيل: الرسول كان معلوماً منه أنه لا يفعل شيئاً من ذلك ألبتة، فما فائدة ذلك النهي؟ فالجواب: أنَّ الخطاب وإن كان معه لكن المراد غيره، ويجوز أن يكون المعنى: لا تعتمد على غير الله ولا تتخذ غيره وكيلاً في أمورك، فإن وثق بغير الله فكأنَّه لم يكمل طريقه في التوحيد[٧]، ثم بيَّن أنه لا إله إلاَّ هو أي: لا نافع ولا ضار ولا معطي ولا مانع إلاَّ هو كقوله: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: ٩] فلا يجوز اتخاذ إلهٍ سواه[٨].

قوله: «كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إلاَّ وَجْهَهُ» من جعل شيئاً يطلق[٩] على الباري تعالى ـ وهو الصحيح ـ قال: هذا استثناء متصل، والمراد بالوجه الذات، وإنَّما جرى على عادة العرب في التعبير بالأشرف عن الجملة[١٠]، ومن لم يطلق عليه جعله متصلاً أيضاً، وجعل الوجه ما عمل لأجله أو الجاه الذي بين الناس، أو يجعله منقطعاً أي: لكن هو تعالى لم يهلك[١١].

فصل

استدلت المعتزلة على أن الجنة والنار غير مخلوقتين بأنَّ هذه الآية تقتضي فناء الكل، فلو كانتا مخلوقتين لكان هذا يناقض قوله تعالى في صفة الجنة ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾ [الرعد: ٣٥]، والجواب: هذا معارض بقوله تعالى (في صفة الجنة)[١٢] ﴿أُعِدَّتْ

---

(١) يعني بذلك أن الفعل هنا وفي سورة «هود» معرب لأن النون مفصولة تقديراً، إذ الأصل: يصدونَنَّك، ليقولوننَّ، النون الأولى للرفع وبعدها نون مشددة فاستثقل توالي الأمثال، فحذفت نون الرفع، لأنها لا تدل من المعنى على ما تدل عليه نون التوكيد، فالتقى ساكنان، فحذفت الواو التي هي ضمير الفعل، لالتقائها ساكنة مع النون. انظر اللباب ٤/ ٣٣١.

(٢) انظر الفخر الرازي ٢٥/ ٢٣.

(٣) في ب: أنزل. وهو تحريف.

(٤) انظر البغوي ٦/ ٣٧٢ ـ ٣٧٣.

(٥) انظر الفخر الرازي ٢٥/ ٢٣.

(٦) في الفخر الرازي: التعظيم.

(٧) انظر الفخر الرازي ٢٥/ ٢٣.

(٨) انظر الفخر الرازي ٢٥/ ٢٣.

(٩) في ب: ينطلق.

(١٠) ويسمى هذا مجازاً مرسلاً علاقته الجزئية حيث أطلق الجزء وأراد الكل.

(١١) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/ ١٥٨، تفسير ابن عطية ١١/ ٣٥٠، البيان ٢/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠، التبيان ٢/ ١٠٢٨.

(١٢) ما بين القوسين تكملة من الفخر الرازي.

﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣] وفي صفة النار: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤] ثم إما أن يحمل قوله: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ﴾ على الأكثر كقوله: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٢٤] أو يحمل على الفناء القليل كقوله: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾ [الرعد: ٣٥] على أن فناءها لما كان قليلاً بالنسبة إلى زمان بقائها لا جرم أطلق لفظ الدوام عليها[١].

قوله: «وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» أي[٢]: في الآخرة، والعامة على بنائه للمفعول، وعيسى على بنائه للفاعل[٣]، روى الثعالبي في تفسيره عن أُبَيِّ بن كعب قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «مَنْ قَرَأَ طَسَمَ القصص لم يبق في السموات والأرض إلا شهد له يوم القيامة أنَّه كان مصدِّقاً أن كلَّ شيءٍ هالكٌ إلاَّ وجهه له الحكم وإليه ترجعون»[٤].

---

(١) انظر الفخر الرازي ٢٥/٢٥ ـ ٢٦.

(٢) أي: سقط من الأصل.

(٣) أي: يرجعون. انظر تفسير ابن عطية ١١/٣٥١، البحر المحيط ٧/١٣٧، الإتحاف (٣٤٤).

(٤) انظر الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف (١٢٧).

سورة العنكبوت

مكية[1] إلا عشر آيات من أولها إلى قوله: «وَلَيَعْلَمَنَّ المُنَافِقِينَ». قال الشَّعْبِيّ[2]: فإنها مدنية. وهي تسع وستون آية، وألف وتسعُمائةٍ وإحدى وثَمَانُونَ كلمةً، وأربعةُ آلافٍ ومائة وخمسة وتسعون (حرفاً)[3].

قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾.

اعلم أن منكري الحشر يقولون لا فائدة في التكاليف، فإنها مشاق في الحال، ولا فائدةَ لها في المآل؛ إذ لا مآل ولا مرجع بعد الهلاك والزوالِ، فلما بين الله تعالى أنهم إليه يرجعون في آخر السورة قبلها[4] بين أن الأمر ليس على ما حسبوه، بل (حسن التكليف)[5]، لأنه يهذب الشكور ويعذب الكفور، فقال: «أحسب الناس أن يتركوا» غير مكلفين من غير عمل يرجعون به إلى ربهم.

فصل في حكمة افتتاح هذه السُوَرِ[6] بحروف التَّهَجِّي

ولنذكرْ كلاماً كُلِّيًا في افتتاح السور بالحروف.

اعلم أن الحكيم إذا خاطب من يكون محل الغفلة، أو من يكون مشغول البال بشغل يشغله يقدم على الكلام المقصود سبباً غيره ليلتفت المخاطب (إليه)[7] بسببه، ويقبل بقلبه عليه، ثم يشرع في المقصود.

واعلم أن ذلك المتقدم على الكلام (المقصود[8] قد يكون كلاماً له معنى مفهوماً، كقول القائل: «زَيْدُ، ويَا زَيْدُ» و «أَلاَ زَيْدُ».

---

(١) أحد ثلاثة أقوال في كونها مكية أو مدنية، فمن قائل: إنها مكية كلها، ومن قائل: إنها مدنية كلها ومن قائل: هذا القول الأعلى ومنهم الشعبي، وينظر: فتح القدير للشوكاني ٤/ ١٩١ دار إحياء التراث العربي ببيروت، والقرطبي ١٣/ ٣٢٣ الهيئة العامة للكتاب ٨٧، والبحر المحيط لأبي حيان دار الفكر الطبعة الثانية ١٩٨٣ (٧/ ١٣٨، ١٣٩).

(٢) تقدم.

(٣) سقط من ب.

(٤) [القصص: ٨٨] ﴿له الحكم وإليه ترجعون﴾.

(٥) سقط من «ب» وينظر: في تفسير الرازي ٢٥/ ٢٥.

(٦) في «ب» السورة بالإفراد.

(٧) سقط من «ب».

(٨) سقط من «ب» بسبب انتقال النظر.

وقد يكون المقدم صوتاً) غير مفهوم، كمن يُصَفِّرُ خلف إنسان ليلتفتَ وقد يكون الصوت بغير الفم، كتصفيق الإنسان بيده، ليقبل السامع عليه.

ثم إن توقع[١] الغفلة (كلما كان أتم، والكلام المقصود كان أهم)[٢]، كان المقدم على الكلام المقصود أكثر ولهذا ينادى القريب «بالهمزة» فيقال: «أَزَيْدُ»، والبعيد بـ «يَا»، فيقال: «يَا زَيْدُ»، والغافل ينبه أولاً، فيقال: «أَلاَ يَا زَيْدُ».

إذا تقرر هذا فنقول: النبي ـ ﷺ ـ وإن كان يَقْظَانَ الجَنانِ[٣] لكنه إنسان يَشغله شأن عن شأن، فحسن من الحكيم أن يقدم على الكلام المقصود حروفاً هي كالمنبِّهات.

وتلك الحروف إذا لم يفهم معناها تكون أتم في إفادة المقصود الذي هو التنبيه من تقديم الحروف المفهومة، لأن الحروف إذا كانت مفهومة المعنى، وذكرت لإقبال السامع على المتكلم لكي يسمع ما بعد ذلك فربما يظن السامع أنه كل المقصود و «لا»[٤] كلام بعد ذلك فيقطع الالتفات عنه أما إذا سمع صوتاً بلا معنى فإنه يقبل عليه ولا يقطع نظره عنه ما لم يسمع غيره، لجزمه بأن ما سمعه ليس هو المقصود.

فإذن تقديم الحروف التي لا يفهم معناها على الكلام المقصود فيه حكمة بالغة[٥].

فإن قيلَ: فما الحكمة في اختصاص بعض السور بهذه الحروف؟

فالجواب: قال ابن الخطيب: عقل[٦] البشر يعجز عن إدراك الأشياء الكُلِّيَّة على تفاصيلها، لكن نذكر ما يوفقنا الله له فنقول: كل سورة في أوائلها (حروف التهجي فإن في أوائلها)[٧] ذكر الكتاب أو التنزيل، أو القرآن كقوله تعالى: ﴿الٓمٓ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ [البقرة: ١ ـ ٢]، ﴿الٓمٓ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [آل عمران: ١ ـ ٣]، ﴿الٓمٓصٓ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ﴾ [الأعراف: ١ ـ ٢]، ﴿يسٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ﴾ [يس: ١ ـ ٢]، ﴿الٓمٓ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [السجدة: ١ ـ ٢]، ﴿حمٓ تَنزِيلُ﴾ [غافر: ١ ـ ٢]، ﴿قٓ

---

(١) في الرازي موقع.

(٢) ساقط من «ب» فهو بياض فيها ولا كذلك في الرازي ونسخة «أ».

(٣) الجنان ـ بالفتح ـ القلب، لاستتاره في الصدر، وقيل: لوعيه الأشياء وجمعه لها، وقيل: هو روع القلب، وذلك أذهب في الخفاء، وينظر: اللسان «ج ن ن» ٧٠٢.

(٤) لا: ساقط من «أ». (٥) ينظر: تفسير الرازي ٢٥/٢٦.

(٦) كذا هي في الرازي كما في «أ» هنا وفي «ب» اتيان البشر.

وابن الخطيب هو: محمد بن عمر بن الحسين بن الحسين بن علي، الإمام فخر الدين الرازي، القرشي، البكري، من ذرية أبي بكر الصديق، الشافعي، المفسر، المتكلم، فريد عصره، ونسيج وحده، له من الكتب التفسير الكبير وغير ذلك، مات سنة ٦٢٢هـ، وينظر: طبقات المفسرين للسيوطي ١١٥/١١٦.

(٧) ما بين القوسين ساقط من «ب». وهو في الرازي كما في «أ».

﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ [ق: ١ ـ ٢]. ﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ [ص: ١ ـ ٢] (إلا ثلاث سُوَر)[١] ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ [مريم: ١] ﴿الٓمٓ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ﴾ [العنكبوت: ١ ـ ٢] ﴿الٓمٓ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ [الروم: ١ ـ ٢].

والحكمة في افتتاح السور التي فيها الكتاب والتنزيل والكتاب بالحروف (و)[٢] هي أن القرآن عظيم، والإنزال له أثقل، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥]، فكذلك قدم عليها تنبيه يُوجِبُ ثبات المخاطب لاستماعه.

لا يُقَالُ: كل سورة قرآن، واستماعها استماع للقرآن، سواء كانْ فيها ذكر الكتاب أو التنزيل أو القرآن أو لم يكن فيجب أن يكون في أول كل سورة (منبه)[٣]، وأيضاً فقد وردت سور فيها ذكر الإنزال، والكتاب، وليس فيها حروف، كقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾ [الكهف: ١] ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا﴾ [النور: ١] ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١] ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١] لأنا نقول جواباً عن الأول: (لا ريب)[٤] في أن كل سورة من القرآن، لكن السورة التي فيها ذكر القرآن والكتاب ـ مع أنهما من القرآن ـ فيها تنبيه على كل القرآن، فإن قوله تعالى: ﴿طه مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ [طه: ١ ـ ٢] مع أنها بعض القرآن فيها ذكر جميع القرآن، فيصير مثاله كتاب يَردُ من مَلِكٍ على مملوكه فيه شُغْلٌ ما، وكتاب آخر يرد منه عليه فيه: «إنَّا كَتبنا إليك كتاباً فيه[٥] أمرُنا فامتثلْه» فلا شك أن هذا الكتاب الآخر أكثر ثقلاً من الأول.

وعن الثاني: أن قوله: «الحمد لله، وتبارك الذي» تسبيحات مقصودة، وتسبيح الله لا يَغْفَلُ عنه العبد، فلا يحتاج إلى منبه، بخلاف الأوامر والنواهي، وأما ذكر الكتاب فيها فلبيان وصف عظمةِ مَنْ له التسبيح، و «سورة أنزلناها» قد بينا أنها بعض من القرآن فيها ذكر إنزالها، وفي السورة التي ذكرناها ذكر جميع القرآن فهو أعظم وأثقل[٦].

وأما قوله تعالى: «إنا أنزلناه» فهذا ليس وُرُوداً[٧] على مشغول القلب بشيء غيره، بدليل أنه ذكر الكتابة فيها وهي ترجع إلى مذكور سابق أو معلوم عند النبي ـ ﷺ ـ فكان منبهاً له فلم يُنَبَّهْ.

واعلم أن التنبيه قد حصل في القرآن بغير الحروف التي لا يفهم معناها، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾ [التحريم: ١] لأنها أشياء هائلة

---

(١) ما بين القوسين سقط من «ب». (٢) زيادة من «ب».
(٣) ساقط من «ب». (٤) ساقط من «ب».
(٥) في الرازي: أنا كتبنا إليك كتباً فيها أوامرنا فامتثلها.
(٦) في الرازي: أعظم في النفس وأثقل. (٧) في النسختين «ورود» بالرفع، وفي الرازي وارداً على... الخ.

عظيمة، فإن تقوى الله حق تقاته أمر عظيم فقدم عليها النداء الذي يكون للبعيد الغافل عنها. وأما هذه السور افتتحت بالحروف وليس فيها الابتداء بالكتاب والقرآن، وذلك لأن ثِقَلَ القرآن هو ما فيه من التكاليف والمعاد، وهذه السورة فيها ذكر جميع التكاليف حيث قال: «أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنّا» يعني لا يتركون بمجرد ذلك، بل لا بدّ وأن يؤمنوا بأنواع التكاليف، ففيها المعنى الذي في السورة التي ذكر فيها القرآن المشتمل على الأوامر والنواهي.

فإن قيل: فهذا المعنى ورد في سورة التوبة وهو قوله: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١٦] ولم يقدم عليه حروف التهجي!

فالجواب: أن هذا ابتداء كلام، ولهذا وقع الاستفهام بالهمزة، فقال: «أَحَسِبَ»، وذلك وسط كلام بدليل وقوع الاستفهام تاماً، والتنبيه (يكون)[١] في أول الكلام، لا في أثنائه.

وأما «الٓمٓ غلبت الروم» فسيجيء في موضعه إن شاء الله تعالى[٢].

قوله تعالى: «أَن يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا».

قوله: «أن يتركوا» سد مسد مفعولي «حسب» عند الجمهور[٣]، ومسد أحدهما عند الأخفش[٤].

قوله: «أن يقولوا» فيه أوجه:

أحدها: أنه بدل من «أن يتركوا»[٥]، أبدل مصدراً مؤولاً من مثله.

الثاني: أنها على إسقاط الخافض[٦]، وهو الباء واللام، أي: بأن يقولوا، أو لأنْ يَقُولُوا.

---

(١) سقط من «ب».

(٢) وانظر كل هذا في تفسير الإمام الفخر الرازي ٢٥/ ٢٧، و٢٦ بالمعنى.

(٣) قال ابن الأنباري في البيان: «أن وصلتها في موضع نصب «بحسب»، وقد سدت بصلتها مسدّ مفعولي حسب. البيان ٢/ ٢٤١، الهيئة العامة للكتاب تحقيق د/ طه عبد الحميد طه ومراجعة مصطفى السقا ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠م، وانظر أيضاً التبيان لأبي البقاء العكبري تحقيق على محمد البجاوي دار إحياء الكتب العربية، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٤٧ تحقيق د/ زهير غازي زاهد عالم الكتب ط ثانية ـ ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/ ١٥٩ ط أولى ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م عالم الكتب بيروت تحقيق عبد الجليل شلبي.

(٤) هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة، من مشهوري نحويي البصرة، وله كتب كثيرة في النحو والعروض مات سنة ٢١٨هـ؛ انظر أخبار النحويين البصريين ٣٩ ط أولى ١٣٧٤ هـ/ ١٩٥٥م تحقيق طه الزيني ومحمد عبد المنعم خفاجي، ونزهة الألباء ١٦٨ جمعية إحياء مآثر علماء العرب بدون تاريخ. وانظر رأيه في الدر المصون ٤/ ٢٩١ رسالة دكتوراه إعداد / مصطفى خليل خاطر، إشراف د/ إبراهيم حسن ١٩٨٥م، وآخر مخطوط بمكتبة البلدية بالإسكندرية.

(٥) وقد أنكره الفارسي فيما نقله ابن الأنباري في البيان ٢/ ٢٤١.

(٦) مشكل إعراب القرآن لمكي ٢/ ١٦٦، دار المأمون للتراث، تحقيق / ياسين محمد السواس ط الثانية.

قال ابن عطية[١] وأبو البقاء: إذا قدرت الباء كان حالاً.

قال ابن عطية: والمعنى في الباء واللام مختلف، وذلك أنه في الباء، كما تقول: تركت زيداً بحاله وهي في اللام بمعنى من أجل، أي: أحسبوا أنَّ إيمانهم علةٌ للترك انتهى.

وهذا تفسير معنى، ولو فسر الإعراب لقال: أحسبانهم الترك لأجل تلفظهم بالإيمان.

وقال الزمخشري[٢]: فإن قلت: فأين الكلام الدال على المضمون الذي يقتضيه الحسبان[٣] (في الآية)[٤]؟

قلت: هو في قوله: «أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون»، وذلك أن تقديره: أحسبوا تركهم غير مَفْتُونِينَ لقولهم: آمنا، فالترك أولى مفعولي «حسب»، وقولهم آمنا هو الخبر، وأما غير مفتونين فتتمة الترك، لأنه من الترك الذي هو بمعنى التصيير، كقوله:

٢٠٢٤ ـ فَتَرَكْتُهُ جَزَرَ السِّبَاعِ يَنُشْنَهُ ....[٥]

ألا ترى أنك قبل المجيء بالحسبان تقدر أن تقول: (تركهم)[٦] غير مفتونين لقولهم آمنا، على تقدير حاصل ومستقر قبل اللام.

فإن قلت: أن يقولوا هو علة تركهم غير مفتونين فكيف يصح أن يقع خبر مبتدأ؟

قلت: كما تقول: خُرُوجُه لمخافة الشر، وضربه للتأديب وقد كان التأديب والمخافة في قولك: خرجت (مخافة)[٧] الشر وضربته تأديباً تعليلين. وتقول أيضاً: حسبت خروجه لِمَخَافَةِ الشَّرِّ، وظننت ضربه للتأديب فتجعلهما مفعولين كما جعلتهما مبتدأ وخبراً[٨].

قال أبو حيان: وهذا كلام فيه اضطراب، ذكر أولاً أن تقديره غير مفتونين تتمة يعني أنه

---

(١) تقدم.
(٢) تقدم.
(٣) كذا في «أ» والكشاف وفي «ب» الحساب.
(٤) زيادة من الكشاف.
(٥) صدر بيت من الكامل لعنترة، عجزه:

مـا بـيـن قـلـة رأسـه والـمـعـصـم

ويروى غادرته، والجزر جمع جزرةٍ، وهي الشاة التي تذبح وتنحر، وينشنه: يتناولنه بالأكل، والشاهد: أن ترك بمعنى صير ومعناه صيرته بقتلي إياه جزرة للسباع.

وانظر: ديوان عنترة ٢٦ تعليق كرم البستاني، دار صادر، شرح الكافية للرضي، دار الكتب بيروت ٢/ ٢٨٧، والحماسة البصرية، السبع الطوال لابن الأنباري ٣٤٧، ٣٤٩ تحقيق عبد السلام هارون دار المعارف ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، والبحر المحيط ٧/ ١٣٩، والكشاف ٣/ ١٩٥.

(٦) ما بين القوسين ساقط من النسختين وزيادة من الكشاف.
(٧) كذا في الكشاف وفي النسخ: خرجت للشر.
(٨) كذا في الكشاف للزمخشري ٣/ ١٩٥، دار الفكر بحاشية السيد الشريف وكتاب الإنصاف لابن المنير المالكي.

حال، لأنه سَبَك ذلك من قوله: «وهم لا يفتنون» وهي[١] جملة حالية، ثم ذكر «أن يتركوا» هنا من الترك الذي هو تصيير[٢]، وهذا لا يصح، لأن مفعول «صير» الثاني لا يستقيم أن يكون لقولهم، إذ يصير التقدير: أن يصيروا لقولهم وهم لا يفتنون وهذا كلام لا يصحّ.

وأما ما مثله به من البيت فإنه يصح أن يكون «جزر السباع» مفعولاً ثانياً لترك ـ بمعنى صير ـ بخلاف ما قدر في الآية.

وأما تقديره: تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا على تقدير حاصل ومستقر قبل اللام فلا يصح؛ إذ كان تركهم بمعنى تصييرهم كان غير مفتونين حالاً، إذ لا ينعقد من تركهم بمعنى تصييرهم ولقولهم[٣] مبتدأ وخبر لاحتياج تركهم بمعنى تصييرهم إلى مفعول ثان، لأن غير مفتونين عنده حال، لا مفعول ثان.

وأما قوله: فإن قلت: أن يقولوا إلى آخره فيحتاج إلى فضلة[٤] (فهم)[٥]، وذلك أن قوله: أن يقولوا هو علة تركهم، فليس كذلك، لأنه لو كان علة لكان به متعلِّقاً كما يتعلق بالفِعْلِ، ولكنه علة الخبر المحذوف الذي هو مستقر أو كائن، والخبر غير المبتدأ، ولو كان «لقولهم» علة للترك لكان من تمامه فكان يحتاج إلى خبر.

وأما قوله: كما تقول: خروجه لمخافة الشرّ، فلِمَخَافَةِ ليس علةً للخروج، بل للخبر المحذوف الذي هو مستقر أو كائن[٦] انتهى.

قال شهاب الدين[٧]: «ويجاب الشيخ بأن الزمخشري إنما نظر إلى جانب المعنى، وكلامه عليه صحيح.

وأما قوله: ليس علة للخروج ونحو ذلك، يعني في اللفظ، فأما في المعنى فهو علة قطعاً، ولولا خوف الخروج فات المقصود»[٨].

فصل

معنى الآية: أحسب الناس أن يتركوا بغير اختبار ولا ابتلاء أن يقولوا آمنا «وهم لا يفتنون» وهم لا يُبْتَلَوْنَ في أموالهم وأنفسهم، كلا لنختبرنهم، ليتبين المخلص من المنافق، والصادق من الكاذب[٩].

---

(١) في البحر وهذه.
(٢) وفيه: من التصيير.
(٣) في البحر: تقولهم.
(٤) في النسختين فصل وما هو مذكور موافق لما في البحر.
(٥) ساقط من النسختين وهو تكملة من البحر.
(٦) انظر: البحر المحيط ٧/ ١٤٠.
(٧) هو أحمد بن يوسف بن عبد الدائم بن محمد الحلبي، شهاب الدين المقرىء، نزيل القاهرة المعروف بالسمين، تعانى النحو فمهر فيه، ولازم أبا حيان إلى أن فاق أقرانه، له تفسير القرآن وغير ذلك مات سنة ٧٥٦هـ، انظر: بغية الوعاة ١/ ٤٠٢.
(٨) الدر المصون ٤/ ٢٩٢.
(٩) انظر: فتح القدير للشوكاني ٤/ ١٩٢.

واختلفوا في سبب نزول هذه الآية، قال الشعبي: نزلت في ناس كانوا بمكة قد أقروا بالإسلام، فكتب إليهم أصحاب النبي ـ ﷺ ـ لا يقبل منكم إقرار باللسان حتى تهاجروا، فخرجوا عامدين إلى المدينة، فاتبعهم المشركون فقاتلوهم، فقتل بعضهم ونجا بعضهم، فأنزل الله هاتين الآيتين[(١)].

وقال ابن عباس[(٢)]: نزلت في الذين آمنوا بمكة، وكانوا يعذبون سلمة بن هشام[(٣)] وعياش بن أبي ربيعة، والوليد بن الوليد، وعمار بن ياسر[(٤)] وغيرهم.

وقال مقاتل[(٥)]: نزلت في مهجع بن عبد الله، مولى عمر بن الخطاب، كان أول قتيل من المسلمين يوم بدر فقال النبي ـ ﷺ ـ: «سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ مِهْجَع، وهو أول من يدعى إلى باب الجنة من هذه الأمة»[(٦)]، فجزع أبواه وامرأته، فأنزل الله فيه هذه الآية، وقيل: وهم لا يفتنون بالأوامر والنواهي، وذلك أن الله تعالى أمرهم في الابتداء بمجرد الإيمان، ثم فرض عليهم الصلاة والزكاة وسائر الشرائع فشق على بعض فأنزل الله هذه الآية.

ثم عزاهم فقال: «ولقد فتنا الذين من قبلهم» يعني الأنبياء والمؤمنين، فمنهم من نُشِرَ بمِنْشَارٍ، ومنهم من قتل، وابتلي بنو إسرائيل بفرعون، فكان يسومُهُمْ سوء العذاب.

قوله: «فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا» العامة على فتح الياء مضارع «عَلِمَ» المتعدية لواحد كذا قالوا وفيه إشكال تقدم وهو أنها إذا تعدت لمفعول كانت بمعنى عرف، وهذا المعنى لا يجوز إسناده إلى الباري تعالى، لأنه يستدعي سبق حصل ولأنه يتعلق بالذات فقط، دون ما عليه من الأحوال[(٧)].

وقرأ عليٌّ وجَعْفَرُ بنُ مُحَمّد[(٨)] بضم الياء[(٩)] مضارع «أعلم»، (ويحتمل[(١٠)] أن

---

(١) أخرجه السيوطي في أسباب النزول عن الشعبي عن ابن أبي حاتم ص ١٣٣، التحرير القاهرة ١٣٨٢هـ، وانظر القرطبي ١٣/ ٣٢٣.

(٢) تقدم.

(٣) سلمة بن هشام بن المغيرة القرشي المخزومي، أسلم قديماً، وكان من خيار الصحابة وهاجر إلى الحبشة ومات مقتولاً، انظر: أسد الغابة ٣/ ٣٤٠ دار إحياء التراث العربي بيروت.

(٤) ابن عامر بن مالك حليف بني مخزوم، وأمه سمية، روى عن النبي ـ ﷺ ـ عدة أحاديث، انظر الإصابة في معرفة أخبار الصحابة ٤/ ٥٧٥ دار نهضة مصر الفجالة القاهرة.

(٥) مقاتل بن سليمان بن كثير الأزدي المفسر، روى عن مجاهد وعطاء وعنه عبد الرزاق وغيره، انظر: طبقات الداودي ٢/ ٣٢٩ و٣٣٠ دار الكتب العلمية ط ١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

(٦) الكشاف ٣/ ١٩٦ وانظر هذه الأقوال في الرازي ٢٥/ ٢٨، والبحر المحيط ٧/ ١٣٩.

(٧) البحر المحيط السابق والدر المصون ٤/ ٢٩٣.

(٨) تقدم.

(٩) ذكرها ابن جني في المحتسب ٢/ ١٥٩، نشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٣٨٩هـ. وابن خالويه في مختصر الشواذ ط المتنبي ١١٤، وانظر كذلك القرطبي ١٣/ ٣٢٦ بدون نسبة.

(١٠) ما بين القوسين كله ساقط من «ب».

يكون من علم بمعنى عرف(١)، فلما جيء بهمزة النقل أكسبتها مفعولاً آخر، فحذف.

ثم هذا المفعول) يحتمل أن يكون هو الأول، أي ليعلمن اللَّهُ النَّاسَ الصَّادِقِينَ وليعلمهم الكاذبين أي بشهرة(٢) يعرف لها هؤلاء من هؤلاء، وأن يكون الثاني، أي ليعلمن هؤلاء منازلهم، وهؤلاء منازلهم في الآخرة، ويحتمل أن يكون من العلامة، وهي السِّيمَا، فلا يتعدى إلا لواحد أي ليجعلن لهم علامة يعرفون بها(٣).

وقرأ الزُّهْرِيُّ(٤) الأولى كالمشهورة والثانية كالشاذة(٥).

فصل

المعنى: فليعلمن الله الذين صدقوا في قولهم: آمَنَّا، وليعلمن الكاذبين.

قال المفسرون: ظاهر الآية يدل على تجدد العلم، والله تعالى عالم بهم قبل الاختبار. ومعنى الآية: فليظهرن الله الصادقين من الكاذبين حتى يوحد معلومه.

وقال مقاتل: فليُرِيَنَّ الله. وقيل: ليميز الله، كقوله: «لِيَمِيزَ الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ».

وقال ابن الخطيب: الآية محمولة على ظاهرها، وذلك أن علم الله صِفة يظهر فيها كل ما هو واقع كما هو واقع، فَقَبْلَ التكليف كان الله تعالى يعلم أنَّ زَيْداً مثلاً سيُطِيعُ وعَمْراً سيعصي ثم وقت التكليف بالإتيان يعلم أنه أطاع، والآخر عصى، ولا يتغير علمه في شيء من الأحوال، وإنما المتغير المعلوم.

ومثال ذلك في الحِسِّيَّاتِ أن المرآة الصافية الصقيلة إذا علقت في موضع، وقوبل بوجهها جهة (ولم تحرك) ثم عبر عليها زيد لابساً ثوباً أبيض يظهر فيها زيد في ثوب أبيض، وإذا عبر عليها «عمرو» في ثوب أصفر يظهر فيها كذلك. فهل يقع في ذهن أحد أن المرآة في كونها حديداً تغيرت، أو يقع له أنها في تدويرها تبدلت أو أنها في صقالتها اختلفت، أو يخطر بباله أنها عن مكانها انتقلت؟ لا يقع لأحد شيء من هذه الأشياء ويقطع بأن المتغير إنما هو الخارجات.

فعلم الله من هذا المثال بل أعلى من هذا المثال، فإن المرآة ممكنة التغيير، وعلم الله غير ممكن التغيير، فقوله: «فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ» من هذا المثال يعني يعلم من علم الله أنه يأتي بالطاعة فيعلم أنه مطيع بذلك العلم. وليعلمن الكاذبين، يعني من قال: أنا مؤمن،

---

(١) الدر المصون ٤/ ٢٩٣. (٢) في «ب» بشهوة.

(٣) باللفظ من الدر المصون السابق وبالمعنى من البحر المحيط ٧/ ١٤٠.

(٤) الزهري أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب المدني أحد الأعلام، وعالم الحجاز والشام روى عن ابن عمر، وسهل بن سعد وغيرهم، وعنه أبان بن صالح وإبراهيم وغيرهما مات سنة ١٢٤هـ. انظر خلاصة الكمال ٣٥٩.

(٥) المحتسب والمختصر السابقين.

وكان كذاباً فبفرض العبادات عليه يظهر منه ذلك ويعلم.

وفي قوله: «الَّذِينَ صَدَقُوا» بصيغة الفعل، وفي قوله: «الكَاذِبِينَ» فائدة مع أن الاختلاف في اللفظ أدل على الفصاحة وهي أن اسم الفاعل يدل في كثير من المواضع على ثبوت المصدر في الفاعل ورسوخه فيه، والفعل الماضي لا يَدُلُّ عليه، كما يقال: فُلاَن شَرِبَ الخَمْرَ، وفلانٌ شَارِبُ الخَمْرَ، وفلان نفذ أَمْرُهُ، وفلان نافذ أمره، لا يفهم من صيغة الفعل التكرار والرسوخ، ويفهم من اسم الفاعل ذلك إذا ثبت هذا فنقول: وقت نزول الآية كانت الحكاية في قوم قرباءِ العهد بالإسلام في أوائل إيجاب التكاليف، وعن قوم قديمين في الكفر، مستمرين فيه. فقال في حق المؤمنين: «الذين صدقوا» بصيغة الفعل أي وُجِدَ منهم الصدق وقال في حق الذين كفروا: «الكاذبين» بالصيغة المفهمة للثبات والدوام، فلهذا قال: ﴿يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة: ١١٩] بلفظ اسم الفاعل، لأن في اليوم المذكور يكون الصدق قد رسخ في المؤمن وهو اليوم الآخر[١].

قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾﴾

قوله تعالى: «أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ» «أم» هذه منقطعة[٢]، فتقدر ببل والهمزة عند الجمهور[٣]، والإضراب انتقال لا إبطال.

قال ابن عطية: أم معادلة[٤] للألف في قوله: «أحسب» وكأنه عزّ وجلّ قرر الفريقين، قرر المؤمنين أنهم لا يفتنون، وقرر الكافرين أنهم يسبقون نقمات الله[٥].

---

(١) وانظر في هذا كله تفسير الإمام الرازي ٢٥/ ٢٩.

(٢) معنى أم المنقطعة التي لا يفارقها الإضراب ثم تارة تكون له مجرداً، وتارة تتضمن مع ذلك استفهاماً إنكارياً أو استفهاماً طلبياً. والآية التي معنا من العنكبوت من النوع الثاني أي التي تتضمن استفهاماً إنكارياً، وهي شبيهة بقوله تعالى: **﴿ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيدٍ يبطشون بها﴾** [الأعراف: ١٩٥].

(٣) هذا هو رأي البصريين أنها أبداً بمعنى بل والهمزة، وقد خالفهم الكوفيون في ذلك.

(٤) مقصوده أن أم هنا متصلة، فالمعادلة هي التي تعادل الهمزة في إفادة التسوية أو الاستفهام، أو يقال: هي التي لا يستغني ما بعدها عما قبلها.

(٥) البحر المحيط ٧/ ١٤٠، والدر المصون ٤/ ٢٩٣.

قال أبو حيان: «ليست معادلة»؛ إذ لو كانت كذلك لكانت متصلة، ولا جائز أن تكون متصلة لفقد شرطين:

أحدهما: أن ما بعدها ليس مفرداً، ولا ما في قوته.

والثاني: أنه لم يكن هنا ما يجاب به من أحد شيئين أو أشياء(١).

وجوز الزمخشري في «حسب» هذه أن تتعدى لاثنين، وجعل «أن» وما في خبرها سادةً مسدهما، كقوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٢١٤]، وأن تتعدى لواحدٍ على أنها مضمنة معنى «قدر»(٢)، إلا أن التضمين لا ينقاس(٣).

قوله: «ساء ما يحكمون» يجوز أن تكون «ساء» بمعنى بئس فتكون «ما» إما موصولة بمعنى الذي، و «يحكمون» صلتها، وهي فاعل ساء، والمخصوص بالذم محذوف أي حكمهم(٤).

ويجوز أن تكون «ما» تمييزاً، و «يحكمون» صفتها، والفاعل مضمر يفسره «ما» والمخصوص أيضاً محذوف(٥).

ويجوز أن تكون ساء بمعنى قَبُحَ، فيجوز في «ما» أن تكون مصدرية، وبمعنى الذي، ونكرة موصوفة(٦)، وجيء بـ «يحكمون» دون «حكموا» إما للتنبيه على أن هذا ديدنهم وإما لوقوعه موقع الماضي لأجل الفاصلة.

ويجوز أن تكون ما مصدرية وهو قول ابن كَيْسَانَ(٧) فعلى هذا يكون التمييز محذوفاً، والمصدر المؤوّل مخصوص بالذم أي ساء حكماً حكمُهُمْ(٨).

---

(١) بالمعنى من البحر له ٧/ ١٤٠ وباللفظ من الدر المصون ٤/ ٢٩٣.

(٢) وعلى هذا فأم منقطعة قال في الكشاف ٣/ ١٩٦: فإن قلت: أين مفعولا حسب؟ قلت: اشتمال صلة أن على مسند ومسند إليه سد مسد مفعولين، كقوله تعالى: **﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة﴾** ويجوز أن يضمن حسب معنى قدر وأم منقطعة.

(٣) قاله السمين في الدر ٤/ ٢٩٣.

(٤) نقله في التبيان ٢/ ١٠٢٩ وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٤٨، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/ ١٦٠.

(٥) الدر المصون ٤/ ٢٩٣.

(٦) المرجع السابق ومشكل إعراب القرآن ٢/ ١٦٦.

(٧) هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن كيسان النحوي، كان أحد المشهورين بالعلم، والمعروفين بالفهم أخذ عن المبرد، وثعلب، وكان قيماً بمذهب البصريين والكوفيين، له المهذب في النحو، وشرح السبع الطوال إلى غير ذلك، مات سنة ٢٩٩هـ، انظر: النزهة ١٦٢، ١٦١.

(٨) إعراب النحاس ٢/ ٢٤٨، والمشكل المرجع السابق، والبحر المحيط ٧/ ١٤١، والقرطبي ١٣/ ٣٢٧.
وقد نقل القرطبي قولاً عن ابن كيسان: قال أبو الحسن بن كيسان: وأنا أختار أن أجعل لـ «ما» موضعاً في كل ما أقدر عليه نحو قوله عز وجل فبما رحمة من الله لنت لهم، وكذا: فبما نقضهم ميثاقهم، وكذا «أيما الأجلين قضيت» القرطبي ١٣/ ٣٢٧.

وقد تقدم حكم «ما» إذا اتصلت ببئس مشبعاً في البقرة[(١)].

فصل

لما بين حسن التكليف بقوله: «أَحَسِبَ النَّاسُ أنْ يُتركوا» بين أن من كلف بشيء ولم يأت به يعذب، وإن لم يعذب في الحال فسيعذب في الاستقبال، ولا يفوت الله شيء في الحال ولا في المآل.

فقوله: «أم حسب الذين يعملون السيئات» يعني الشرك «أن يسبقونا» أي يعجزونا ويفوتونا، فلا نقدر على الانتقام منهم «ساء ما يحكمون» بئس ما حكموا حين ظنوا ذلك.

قوله: «مَنْ كَانَ يَرْجُو» يجوز أن تكون من شرطية، وأن تكون موصولة ودخلت الفاء لشبهها بالشرطية.

فإن قيل: المعلق بالشرط عُدِمَ عند عَدَم الشرط، فمن لا يرجو لقاء الله لا يكون أجل الله آتياً له، وهذا باطل، لأن أجل الله آت لا محالة من غير تقييد بشرط؟

فالجواب: أن قوله: «فإن أَجَلَ الله لآتٍ» ليس بجواب، بل الجواب محذوف، أي فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً كما قد صرح به.

وقال ابن الخطيب: المراد من ذكر إتيان الأجل وعد المطيع بما يعده من الثواب أي من كان يرجو لقاء الله فإن أجره لآتٍ بثواب الله، أي يُثَابُ على طاعته، ومن لا يرجو لقاء الله آتياً له على وجه الثواب.

فصل

قال ابن عباس ومقاتل: من كان يخشى البعث والحساب[(٢)]. والرجاء بمعنى الخوف. وقال سعيد بن جبير[(٣)]: من كان يطمع في ثواب الله فإن أجل الله يعني ما وعد الله من الثواب والعقاب.

---

(١) يشير إلى الآية ٩٠ من البقرة وهي قوله: ﴿**بئسما اشتروا به أنفسهم**﴾ وقد بين هناك أن «ما» إما أن تكون في موضع رفع فاعل بئس، وعليه فيجوز أن تكون اسماً تامًّا معرفة ويكون الفعل وصفاً لموصوف محذوف هو المخصوص أو تكون موصولة، والفعل بعدها صلة لها، والمخصوص محذوف، أو يكتفى بها عن المخصوص وأن تكون مصدرية أو نكرة موصوفة والمخصوص محذوف. والوجه الثاني: أن تكون «ما» كافة كما في طال، وكثر وغير ذلك. والوجه الثالث: أن تكون تمييزاً فموضعها نصب وعليه فهي إما أن تكون نكرة موصوفة بالفعل بعدها أو نكرة ثابتة، وانظر: اللباب بتصرف ٣٠١ ب.

(٢) في «ب» والعقاب.

(٣) مولى بني والبة بن الحارث من بني أسد، كان فقيهاً ورعاً، قرأ القرآن على ابن عباس، وقرأ عليه أبو عمرو، والمنهال بن عمرو، مات سنة ١٧٥هـ مقتولاً، وانظر: طبقات المفسرين للداودي دار الكتب العلمية ط ١/ ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

وقال مقاتل: يعني أن يوم القيامة لكائن[١] والمعنى: أن من يخشى الله ويأمله فليستعد له، وليعمل لذلك[٢] اليوم، كقوله: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا﴾ [الكهف: ١١٠] الآية كما تقدم.

«وهو السميع العليم» ولم يذكر صفة غيرهما، لأنه سبق القول في قوله: «أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا» وسبق القول بقوله: «وهم لا يفتنون» وبقوله: «فليعلمن الله الذين صدقوا» وقوله: «أم حسب الذين يعملون السيئات» ولا شك أن القول يدرك بالسمع والعمل منه ما يدرك بالبصر، ومنه ما لا يدرك به، والعلم يشملهما، فقال: «وهو السَّمِيعُ العَلِيمُ» أي يسمع ما قالوه، ويعلم من صدق فيما قال، ومن كذب أو عليم بما يعمل فيثيب ويعاقب.

قوله: «وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّما يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ» أي له ثوابه، والجهاد هو الصبر على الشدة، ويكون ذلك في الحرب، وقد يكون على مخالفة النفس.

فإن قيل: هذه الآية تدل على أن الجزاء على العمل واجب، فإن قوله: «فإنما يجاهد لنفسه» يفهم منه أن من جاهد ربح بجهاده ما لولاه لما ربح.

فالجواب: هو كذلك ولكن بحكم الوعد لا بالاستحقاق.

فإن قيل: قوله: «فإنما» يقتضي الحصر، فيكون جهاد المرء لنفسه فقط ولا ينتفع به غيره وليس كذلك، فإن من جاهد ينتفع به هو، ومن يريد نفعه حتى إن الوالد والولد ببركة المجاهد وجهاده ينتفعون به.

فالجواب: أن ذلك نفع له، فإن انتفاع الولد انتفاع للأب، والحصر هنا معناه أن جهاده لا يصل إلى الله منه نفع، ويدل عليه قوله: «إنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ»[٣] أي عن أعمالهم وعبادتهم.

قوله: «والَّذِينَ آمَنُوا» يجوز أن يكون مرفوعاً بالابتداء والخبر جملة القسم المحذوفة وجوابها أي: والله لنكفرن. ويجوز أن يكون منصوباً بفعل مضمر على الاشتغال، أي: وليخلص الذين آمنوا من سيئاتهم[٤].

والتكفير: إذهاب السيئة بالحسنة، والمعنى: لَنُذْهِبَنَّ سيئاتهم حتى تصير بمنزلة من لم يعمل.

فإن قيل: قوله: فلنكفرن (عنهم سيئاتهم يستدعي وجود السيئات حتى تكفر، «والذين آمنوا وعملوا الصالحات» بأسرها من أين يكون) لهم سيئة؟

فالجواب: ما من مكلف إلا وله سيئة، أما غير الأنبياء فظاهر، وأما الأنبياء فلأن

(١) انظر: فتح القدير ٤/ ١٩٢. (٢) قاله الرازي في التفسير الكير ٢٥/ ٣٢.
(٣) الرازي ٢٥/ ٣٢.
(٤) قاله العكبري في التبيان ١٠٣٠ والسمين في الدر المصون ٤/ ٢٩٤.

ترك الأفضل منهم كالسيئة من غيرهم، ولهذا قال تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣].

قوله: «أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا»، قيل: على حذف مضاف، أي: ثواب الذي فالمراد بأحسن هنا مجرد الوصف[١]

قيل: لئلا يلزم أن يكون جزاؤهم مسكوتاً عنه[٢]، وهذا ليس بشيء[٣]، لأنه من باب الأولى إذا جازاهم بالأحسن جازاهم بما دونه فهو من التنبيه على الأدنى بالأعلى.

قال المفسرون: يجزيهم بأحسن أعمالهم وهو الطاعة[٤].

وقيل: يعطيهم أكثر مما عملوا وأحسن، كما قال: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠].

قوله: «حُسْناً» فيه أوجه:

أحدها: أنه نعت مصدر محذوف أي (إيصَاءً)[٥] حسناً، إما على المبالغة جعل نفس الحسن، وإما على حذف مضاف (أي: ذا حُسنٍ)[٦].

الثاني: أنه مفعول به[٧]، قال ابن عطية: «وفي ذلك تجوز»، والأصل ووصينا الإنسان بالحسن في فعله مع والديه[٨]، ونظير ذلك قول الشاعر:

٤٠٢٥ ـ عَجِبْتُ مِنْ دَهْمَاءَ إذْ تَشْكُونَا وَمِنْ أَبِي دَهْمَاءَ إذْ يُوصِينَا
خَيْراً بِهَا كَأَنَّمَا خَافُونَا[٩]

ومنه قول الحطيئة:

٤٠٢٦ ـ (وَصَّيْتَ[١٠] مِنْ بَرَّةَ قَلْباً حَرًّا بِالْكَلْبِ خَيْراً وبِالحَمَاةِ شَرًّا)[١١]

---

(١) في ب: الوقف وهو خطأ وتحريف.
(٢) بالمعنى من البحر المحيط ٧/١٤١، ١٤٢ وباللفظ من الدر المصون ٤/ ٢٩٥.
(٣) المرجع السابق. وفي ب: مشكوراً وليس مسكوتاً وهو تحريف.
(٤) نقله ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٢٥٦ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ دمشق ط ٣، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
(٥) سقط من ب. (٦) سقط من ب كذلك.
(٧) وانظر هذا في مشكل إعراب القرآن ٢/١٦٦ والبحر المحيط ٧/١٤٢، والدر المصون ٤/ ٢٩٥.
(٨) البحر المحيط ٧/ ١٤١.
(٩) أرجاز مجهولة القائل والشاهد: يوصينا خيراً بها» حيث تعدى الفعل إلى المفعول الثاني بالباء وهو الأصل في تعدية هذا الفعل وأشباهه حيث لا يقال: وصيته خيراً، وانظر: القرطبي ١٣/٣٢٩، والبحر المحيط ٧/ ١٤٢ ومعاني الفراء، تحقيق محمد علي النجار ـ الهيئة العامة للكتاب ٢/ ١٢٠، وفتح القدير ٤/ ١٩٣، والدر المصون ٤/ ٢٩٥.
(١٠) البيت كله سقط من ب.
(١١) الرواية المشهورة في الشطر الثاني: «والحماة شرّا» بدون الباء. وقد نسب إلى الحطيئة خطأ، وإنما هو لأبي النجم العجلي وبعده: =

وعلى هذا فيكون الأصل: وصيناه بحسن في بر والديه، ثم جر «الوالدين» بالهاء فانتصب حسناً وكذلك البيتان. والباء في الآية والبيتين في هذه الحالة للظرفية[١].

الثالث: أن «بوالديه» هو المفعول الثاني، فنصب «حسناً» بإضمار فعل، أي يحْسُن حسناً، فيكون مصدراً مؤكداً كذا قيل[٢].

وفيه نظر، لأنَّ عامل المؤكد لا يحذف[٣].

الرابع: أنه مفعول به على التضمين أي من ألزمناه حسناً[٤].

الخامس: أنه على إسقاط الخافض أي «بحُسْنٍ»[٥].

وعبر صاحب التحرير[٦] عن ذلك بالقطع[٧].

السادس: أن (بعض)[٨] الكوفيين قدره ووصينا الإنسان أن يفعل بوالديه حسناً[٩]. وفيه حذف «أن» وصلتها، وإبقاء معمولها، ولا يجوز عند البصريين[١٠].

السابع: أن التقدير: وصيناه بإيتاء والديه حسناً[١١]. وفيه حذف المصدر وإبقاء معموله ولا يجوز[١٢].

الثامن: أنه منصوب انتصاب «زيداً» في قولك لمن رأيته متهيئاً للضرب «زَيْداً» أي اضرب زيداً، والتقدير هنا: أَوْلهما حسناً، أو افعل بهما حسناً. قالهما الزمخشري[١٣].

= لا تسأمي نهكاً لها وضرّا والحيَّ عُمّيهم بشرٍّ طرّا

وشاهده: «وصيت من برة» حيث عدى الفعل «وصى» إلى المفعول الثاني بالباء. ويروى: «أوصيت» وهو فرق لفظي لا معنوي. وانظر: الكامل للمبرد ٢/ ٩٤، ٩٥ تحقيق محمد أبو الفضل نهضة مصر ١٩٨١م والمسائل العسكرية للفارسي ١٦٣ تحقيق د/محمد الشاطر ط المدني ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م، ومعاهد التنصيص للعباسي البهية ١٣١٦ هـ (١/ ٩) والدر المصون (٤/ ٢٩٥).

(١) قاله أبو حيان في البحر بالمعنى والسمين في الدر باللفظ ٤/ ٢٩٥.

(٢) وهو رأي ابن عطية فيما نقله أبو حيان في البحر المرجع السابق.

(٣) قاله السمين في الدر ٤/ ٢٩٥.

(٤) قيل في المرجع السابق وقاله أيضاً أبو البقاء في التبيان ١٠٢٩.

(٥) نقله أبو حيان في بحره ولم يعينه أي لم يعين من قال به. وانظر كذلك الدر المصون ٤/ ٢٩٥.

(٦) لعله التحرير والتخيير لأقوال أئمة التفسير في معاني كلام السميع البصير للشيخ العلامة جمال الدين أبي عبد الله محمد بن سليمان المعروف بابن النقيب المقدسي الحنفي المتوفى سنة ٦٩٨هـ وهو كبير في نيف وخمسين مجلداً، انظر: كشف الظنون لحاجي خليفة ١/ ٣٠٨ دار العلوم الحديثة بيروت.

(٧) القرطبي ١٣/ ٣٢٧، ٣٢٨ وانظر: البحر المحيط أيضاً المرجع السابق.

(٨) سقط من ب.

(٩) المرجعين السابقين.

(١٠) في الكتاب ١/ ٣٠٧. تحقيق هارون، الخانجي أن حذف أن دون صلتها يجوز في الشعر للاضطرار، يقول: «فحملوه على أن، لأن الشعراء قد يستعملون أن ههنا مضطرين».

(١١) الكشاف ٣/ ١٩٧.

(١٢) قاله أبو حيان في البحر ٧/ ١٤٢.

(١٣) الكشاف ٣/ ١٩٧، ١٩٨.

وقرأ عيسى[١] والجحدري[٢]: «حَسَناً»[٣] وهما لغتان، كالبُخْل والبَخَل. وقد تقدم ذلك في أوائل البقرة[٤].

وقرىء: إحساناً[٥]، من قوله تعالى: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

فصل

معنى حسناً أي برًّا بهما، وعطفاً عليهما، والمعنى: ووصينا الإنسان أن يفعل بوالديه ما يحسن[٦]. نزلت هذه الآية، والتي في سورة لقمان[٧] والأحقاف[٨] في سعد بن أبي وقاص[٩]، وهو سعد بن مالك أبو إسحاق الزهري وأمه حُمْنَةُ بنت أبي سفيان بن أمية من عبد شمس، لما أسلم، وكان من السابقين الأولين وكان باراً بأمه، قالت أمه: ما هذا الدين الذي أَحْدَثْتَ؟ والله لا آكلُ ولا أشربُ حتى ترجعَ إلى ما كنت عليه أو أموت فتعير بذلك أبد الدهر، ويقال: يا قاتل أمِّهِ. ثم إنها مكثت يوماً وليلة لم تأكل ولم تشرب (ولم تَسْتَظِلَّ فأصبحت قد جهدت، ثم مكثت يوماً آخر لم تأكل ولم تشرب)[١٠] فجاء «سعد» إليها، وقال يا أُمَّاهُ: لو كانت مائة نفس (فخرجت نفساً)[١١] نفساً ما تركت ديني فكُلِي، وإن شئت فلا تأكلي فلما أيست منه أكلست وشربت فأنزل الله هذه الآية[١٢]، وأمره الله بالبر بوالديه والإحسان إليهما.

واعلم أنه إنما أمر بالإحسان للوالدين لأنهما سبب وجود الولد بالولادة وسبب بقائه بالتربية المعتادة، والله تعالى بسبب[١٣] له في الحقيقة بالإرادة، وسبب بقائه بالإعادة للسعادة، فهو أولى بأن يحسن العبد حاله (معه)[١٤].

---

(١) المراد به عند الإطلاق عيسى بن عمر الثقفي، أخذ عن عبد الله بن أبي إسحاق، وغيره، وأخذ عنه الخليل له كتابات في النحو وكان مشهوراً في القراءات، ثقة، عالماً بالعربية، وكان يتقعر في العربية مات سنة ١٤٩هـ، انظر: أخبار النحويين البصريين ٢٥ ونزهة الألباء جمعية إحياء مآثر علماء العرب، د. ت ١٣، ١٤، ١٥.

(٢) تقدم.

(٣) البحر المحيط ٧/ ١٤٢، والكشاف ٣/ ١٩٨، ومختصر ابن خالويه ١١٤ وهي شاذة.

(٤) يشير إلى قوله تعالى: **﴿وقولوا للنَّاس حسناً﴾** [البقرة: ٨٤]، وانظر: اللباب ١/ ٧٠.

(٥) نقلها الزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٦١.

(٦) السابق.

(٧) وهي قوله: **﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن﴾** [لقمان: ١٤].

(٨) وهي: **﴿ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً حملته أمُّه كرهاً ووضعته كرهاً﴾** [الأحقاف: ١٥].

(٩) انظر تفسير الإمام ابن كثير ٣/ ٤٤٥.

(١٠) ما بين القوسين سقط من ب.

(١١) سقط كذلك من ب.

(١٢) وانظر أيضاً أسباب النزول للسيوطي ١٣٣، وتفسير فتح القدير ٤/ ١٩٥.

(١٣) كذا في النسختين وفي الرازي: سبب.

(١٤) ساقط من «أ» والأصل.

قوله: «وإن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي ما لَيْسَ لَكَ به علم فلا تُطِعْهُمَا».

قال عليه (الصلاة)[١] والسلام: «لاَ طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ في معصية الله»[٢] ثم أوعد بالمصير إليه، فقال: «إلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنبئكم بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» أخبركم بصالح أعمالكم وسيئها فأجازيكم عليها كأنه تعالى يقول: لا تظنوا أني غائب عنكم وآباؤكم حاضرون فتوافقون الحاضرين في الحال اعتماداً على غيبتي، وعدم علمي بمخالفتكم فإني حاضر معكم أعلم ما تفعلون، ولا أنسى فأنبئكم بجميعه[٣].

قوله: «والذين آمَنُوا» يجوز فيه الرفع على الابتداء، والنصب على الاشتغال.

وقوله: «لندخلنهم في الصالحين» أي نجعلهم منهم، وندخلهم في أعدادهم، كما يقال: الفقيه داخل في العلماء. والمعنى: نجعلهم من[٤] جملة الصالحين وهم الأنبياء والأولياء. وقيل: في مَدْخَل الصالحين وهو الجنة.

فإن قيل: ما الفائدة في إعادة «الذين آمنوا وعملوا الصالحات»؟

فالجواب: أنه ذكر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولاً، لبيان حال المهتدي وثانياً، لبيان حال الهادي لأنه قال أولاً: «لنكفرن عنهم سيئاتهم».

وقال ثانياً: «لندخلنهم في الصَّالِحِينَ» والصالحين هم الهداة، لأنها مرتبة الأنبياء، ولهذا قال إبراهيم - عليه (الصلاة و) السلام: «وألحقني بالصَّالِحِينَ»[٥].

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَ لَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٠) وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ (١١)﴾.

قوله تعالى: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ» المكلفون ثلاثة أقسام: مؤمن ظاهر بحسن اعتقاده، وكافر مجاهر بكفره وعناده، ومذبذب بينهما ويظهر الإيمان بلسانه ويضمر الكفر، فالله تعالى لما بين القسمين الأولين بقوله: «أم حسب الذين يعملون السيئات» إلى قوله: «والذين آمنوا وعملوا الصالحات» بين القسم الثالث وهو المنافق فقال: «ومَن النَّاسِ مَن يَقُولُ آمنَّا باللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ في اللَّهِ» أصابه بلاء من الناس افتتن، «وجَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ» أي جعل أذى الناس وعذابهم كعذاب الله في الآخرة أي جزع من أذى الناس ولم يصبر عليه فأطاع الناس كما يطيع الله من يخاف عذابه، قال

---

(١) زيادة من «ب».

(٢) الحديث رواه ابن ماجة في سننه عن ابن مسعود رضي الله عنه في الجهاد بلفظ «لا طاعة لمن عصى الله» وانظر: ابن ماجة ٢/٩٥٦.

(٣) قاله الرازي في التفسير الكبير ٢٥/٣٦. (٤) ذكره الشوكاني في فتح القدير ٤/١٩٣.

(٥) [الشعراء: ٨٣]. وانظر: الرازي في التفسير الكبير المرجع السابق.

السدي[(١)]، وابن زيد[(٢)] هذا (في)[(٣)] المنافق إذا أوذي في الله رَجَعَ عن الدين وكفر.

واعلم أنه قال: «فتنة الناس» ولم يقل: «عذاب الناس»؛ لأن فعل العبد ابتلاء من الله، والفتنة تسليط بعض الناس على من أظهر كلمة الإيمان ليؤذيه فبين منزلته، كما جعل التكاليف ابتلاءً وامتحاناً، وهذا إشارة (إلى)[(٤)] أن الصبر على البلية الصادرة (من الإنسان)[(٥)] كالصبر (على العبادات)[(٦)] فإن قيل: هذا يقتضي منع المؤمن من إظهار كلمة الكفر بالإكراه لأن من أظهر كلمة الكفر بالإكراه ـ احْتِرازاً عن التعذيب العاجل ـ يكون قد جعل فتنة الناس كعذاب الله.

فالجواب: ليس كذلك لأن من أكره على الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان لم يجعل فتنة الناس كعذاب الله لأن عذاب الله يوجب ترك ما يعذب عليه ظاهراً وباطناً بل في باطنه الإيمان. قوله: «وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ» أي فتح ودولة للمؤمنين «ليقُولُنَّ» يعني هؤلاء المنافقين للمؤمنين «إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ» على عدوكم، وقال: «وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ من رَبِّكَ» ولم يقل: «ولئن جَاءَكُمْ» «ولئن جاءك» والنصر لو جاءهم ما كانوا يقولون إنا معكم، وهذا يقتضي أن يكونوا قائلين: «إنّا معكم» إذا جاء النصر لكن النصر لا يجيء إلا للمؤمنين كما قال تعالى: «وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ»، ولأن غلبة الكافر على المسلم ليس بنصر، لأن النصر ما يكون عاقبته سليمة، بدليل أن أحد الجيشين إذا انهزم في الحال ثم ذكر المهزوم كرة أخرى وهزموا الغالبين لا يطلق اسم النصر إلا على من كان له العاقبة فكذلك المسلم وإن كسر[(٧)] في الحال فالعاقبة للمتقين، والنصر لهم في الحقيقة. فإن قيل: «ولئن جاء نصر من ربك» ولم يقل: «من الله» مع أن ما تقدم كله يذكر الله كقوله: «أوذِيَ في اللَّهِ»، وقوله: «كعذاب الله» فما الحكمة في ذلك؟

فالجواب: لأن ـ «الرب» ـ اسم مدلوله الخاص به الشفقة والرحمة، و «الله» اسم مدلوله الهيبة والعظمة، فعند النصر ذكر الاسم الدال على الرحمة والشفقة، وعند العذاب ذكر اللفظ الدال[(٨)] على العظمة. قوله: «لَيَقُولُنَّ» العامة[(٩)] على ضم اللام، أسند الفعل

---

(١) السدِّيُّ: محمد بن مروان بن عبد الله بن إسماعيل السدي كوفي، متهم بالكذب من الطبقة الثامنة، وهو صاحب «التفسير» وروى عن يحيى بن عبيد الله، والكلبي وعن هشام بن عبيد الله، انظر: طبقات الداودي ٢/ ٢٥٥، ٢٥٦.

(٢) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي، روى عن أبيه، وابن المنكدر، وعنه أصبغ، وقتيبة، له «التفسير» والناسخ والمنسوخ، مات سنة ١٨٢ هـ، طبقات الداودي ١/ ٢٧١.

(٣) ساقط من ب.

(٤) في ب على.

(٥) ساقط من ب.

(٦) ساقط من ب.

(٧) في «ب» أكره وما في «أ» موافق لما في تفسير الفخر الرازي.

(٨) انظر: الفخر الرازي ٢٥/ ٣٩.

(٩) نقلها في البحر المحيط ٧/ ١٤٣ بنسبة، وفي الكشاف ٣/ ١٩٩ بدون نسبة وكذلك في مختصر ابن=

لضمير جماعة، حملاً على معنى «مَنْ»[(١)] بعد أن حمل على لفظها، ونقل أبو معاذ[(٢)] النحوي أنه قرىء: ليقولَنَّ بالفتح[(٣)]، جرياً على مراعاة لفظها أيضاً، وقراءة العامة أحسن لقوله: «إِنَّا كُنَّا»[(٤)].

فصل

المعنى: إن المنافقين لما قالوا إنا كنا معكم، أي على عدوكم وكنا مسلمين، وإنما أكرهنا حتى قلنا ما قلنا فكذبهم (الله)[(٥)] وقال: «أَوَ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ» من الإيمان والنِّفاق ولما بين أنه علم بما في قلوب العالمين بين أنه يعلم المؤمن المحق[(٦)] وإن لم يتكلم، والمنافق وإن لم يتكلم فقال: «وَلَيَعْلَمَنَّ الله الذين آمنوا» صدقوا فثبتوا على الإسلام عند البلاء، «وَلَيَعْلَمَنَّ المُنَافِقِينَ» بترك الإسلام عند البلاء، وتقدم الكلام على (نظير)[(٧)] ذلك. (قال عكرمة)[(٨)] عن ابن عباس إنها نزلت في الذين أخرجهم المشركون معهم إلى «بدر»، وهم الذين نزلت فيهم: «إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ المَلاَئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ»[(٩)]، وقال مجاهد[(١٠)]: نزلت في أناس كانوا يؤمنون بألسنتهم فإذا أصابهم بلاء من الناس، أو مصيبة في أنفسهم افتتنوا[(١١)]، وقال قتادة: نزلت في القوم الذين ردهم المشركون إلى مكة[(١٢)].

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ

= خالويه فقال: «ليقولن» بفتح اللام، ذكره أبو معاذ النحوي، انظر: مختصر ابن خالويه ١١٤، وانظر: الدر المصون للسمين الحلبي ٤/ ٢٩٦.

(١) فإن معناها الجمع ولفظها الإفراد فهي من الموصولات المشتركة، وانظر المرجع السابق.

(٢) أبو معاذ النحوي: الفضل بن خالد أبو معاذ النحويّ المروزيّ، مولى باهلة، روى عن: عبد الله بن المبارك، وداود بن أبي هند، وعنه محمد بن شقيق، والأزهري، صنف كتاباً في القرآن، مات سنة ٢١١هـ، انظر: طبقات الداودي ٢/ ٣٢.

(٣) الدر المصون ٤/ ٢٩٦، والبحر المحيط ٧/ ١٤٣.

(٤) المرجعان السابقان.

(٥) ساقط من ب.

(٦) في «ب» الحق.

(٧) ساقط من ب.

(٨) ساقطة من ب. وعكرمة هو عكرمة البربري مولى ابن عباس أبو عبد الله أحد الأئمة الأعلام، حدث عن مولاه وعن عائشة، وأبي هريرة، وعنه: الشعبي، والنخعي مات سنة ١٠٥هـ، انظر: خلاصة الكمال ٢٧٠.

(٩) [النساء: ٩٧] وانظر زاد المسير ١٦/ ٢٥٨.

(١٠) مجاهد هو مجاهد بن جبير أبو الحجاج المكي المقرىء المفسر، الإمام، روى عنه الأعمش، روى عن ابن عباس كما روى عن عائشة وحدث عنه عكرمة وعطاء مات سنة ١٠٣هـ، انظر: طبقات المفسرين للداودي ٢/ ٣٠٨.

(١١) نقله في زاد المسير ٦/ ٢٥٩.

(١٢) نقله في القرطبي ١٣/ ٣٣٠ والبحر ٧/ ١٤٣.

وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾﴾

قوله تعالى: «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا» قال مجاهد: هذا قول كفار مكة لمن آمن منهم وذلك أن الكافر يقول للمؤمن تصبر في الذل، وعلى الإيذاء[١] لأي شيء ولم لا تدفع عن نفسك الذل والعذاب بموافقتنا فيجيبه المؤمن بأن يقول خوفاً من عذاب الله على خطيئة مذهبكم فقالوا: لا خطيئة فيه وإن كان فيه خطيئة فعلينا[٢].

قوله: «وَلْنَحْمِلْ» أمر في معنى[٣] الجنس، قال الزمخشري: وهو في معنى[٤] من يريد اجتماع أمرين في الوجهين فيقول: ليكن منك العطاء، ومني الدعاء.

فقوله: «ولنحمل» أي ليكن منا الحِمْل، وليس هو في الحقيقة أمر طلب وإيجاب وقرأ الحَسَن[٥] وعيسى بكسر لام الأمر[٦]، وهو لغة الحجاز قال الزمخشري: «وهذا قول صناديد[٧] قريش كانوا يقولون لمن آمن منهم لا نبعث نحن، ولا أنتم، فإن عسى كان ذلك فإنا نتحمل (عنكم الإثم)[٨]. قال أبو حيان: «هذا تركيب[٩] عجمي من جهة إدخال حرف الشرط وهي جامدة واستعمالها من غير اسم، ولا خبر، وإيلائها كان». وقرأ العامة «خطاياكم»[١٠]، وداود بن هند[١١]: «من خطيئاتهم»[١٢] جمع سلامة، وعنه أيضاً: «خطيئتهم» بالتوحيد[١٣] والمراد الجنس، وهذا شبيه بقراءتي: «وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ»[١٤] و «خطيئاته» وعنه أيضاً: «خَطَئِهم»[١٥] ـ بفتح الطاء وكسر الياء، يعني بكسر الهمزة القريبة من الياء لأجل تمهيدها بين بين، و «من شيء» وهو مفعول بحاملين و «من خطاياهم» لما تقدم عليه انتصب حالاً.

فصل

معنى الآية اتبعوا سبيلنا أي ديننا وملة آبائنا، ونحن الكفلاء بكل تبعية من الله

---

(١) في ب: الأذى بالقصر.
(٢) بالمعنى من البحر المحيط ٧/ ١٤٣.
(٣) انظر الزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٦١.
(٤) انظر: الكشاف ٣/ ١٩٩ بالمعنى.
(٥) الحسن: الحسن البصري بن أبي الحسن أبو سعيد مولى زيد بن ثابت، روى عن عمران بن حصين، وأبي موسى، وابن عباس وعنه ابن عوف، وأمم، كان رأساً في العلم مات سنة ١١٠، انظر طبقات الداودي ١/ ١٥٠، ١٥١.
(٦) الإتحاف ٣٤٤، والبحر المحيط ٧/ ١٤٣، ومختصر ابن خالويه ١١٤، وانظر أيضاً الدر المصون ٤/ ٢٩٧.
(٧) انظر: الكشاف ٣/ ١٩٩.
(٨) زيادة يقتضيها السياق من الكشاف المرجع السابق.
(٩) انظر: البحر المحيط ٧/ ١٤٣.
(١٠) البحر المحيط ٧/ ١٤٣ والدر المصون ٤/ ٢٩٧.
(١١) لم أقف عليه.
(١٢) مختصر ابن خالويه ١١٤، والبحر ٧/ ١٤٤.
(١٣) البحر ٧/ ١٤٤.
(١٤) البقرة: ٨١.
(١٥) انظر: المراجع السابقة.

تصيبكم وهو قوله: «ولنحمل خطاياكم»، نظير هذه الصيغة: «فَلْيُلْقِهِ اليَمُّ بِالسَّاحِلِ»[١] ثم[٢] أكذبهم الله تعالى فقال: «وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ» فيما قالوا.

فإن قيل: قال: «وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء» وقال بعده: «وَلَيَحْمِلُن أَثْقَالَهُمْ وأَثْقَالاً مَعَ أثقالهم» فنفى الحمل أولاً، وأثبت[٣] الحمل ثانياً فكيف الجمع بينهما؟

فالجواب: أن قول القائل في «حمل فلان وعن فلان» يريد: أن حمل فلان خف، فإذا لم يخف حمله فلا يكون قد حمل عنه شيئاً، فقوله: «وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء» يعني (لا يرحمون)[٤] ولا يرفعون عنهم خطيئة، بل يحملون أوزار أنفسهم، وأوزاراً بسبب إضلالهم (لهم)[٥]، كقوله (عليه الصلاة)[٦] والسلام: «مَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا منْ غَيْرِ أن يَنْقُصَ من وِزْرِهِ شَيْء»[٧]، والمعنى: وليحملن أوزار أعمالهم التي عملوها بأنفسهم، «أثقالاً مع أثقالهم» أي أوزاراً مثل أوزار من أضلوا مع أوزارهم، كقوله: «وليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم»[٨].

قوله: «وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون» سؤال توبيخ وتقريع، وذلك الافتراء يحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: قولهم: «ولنحمل خطاياكم» كان لاعتقادهم أن لا خطيئة في الكفر، ثم يوم القيامة يظهر لهم خلاف ذلك، فيسألون عن ذلك الافتراء.

وثانيها: أن قولهم «ولنحمل خطاياكم» كان لاعتقادهم أن لا حشر، فإذا جاء يوم القيامة ظهر خلاف ذلك، فيسألون ويقول لهم: أما قلتم: أن لا حشر.

وثالثها: أنهم لما قالوا: نحمل خطاياكم يوم القيامة، يقال لهم: فاحملوا خطاياهم، فلا يحملون ويسألون فيقال لهم: فَلِمَ افتريتم؟

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾﴾

قوله تعالى: «ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه...» لما بين التكليف، وذكر أقسام المكلفين ووعد المؤمن الصادق بالثواب العظيم، وأوعد الكافر والمنافق بالعذاب الأليم

---

(١) طه: ٣٩.
(٢) في ب: فأكذبهم.
(٣) في ب: «ثبت» ثلاثيًا.
(٤) زيادة من «ب».
(٥) زيادة من أ.
(٦) زيادة من ب.
(٧) هذا جزء من حديث طويل مروي عن رسول الله ـ ﷺ ـ عن جرير بن عبد الله، وقد رواه الإمام مسلم في صحيحه ٨/ ٦١ «باب العلم».
(٨) [النحل: ٢٥].

فكأنه قال: هذا التكليف ليس مختصاً بالنبي وأصحابه وأمته حتى صعب عليهم بل قبله كان كذلك كما قال تعالى: «ولقد فتنا الذين من قبلهم»، فذكر من الذين كلفوا[١] قبله نوح عليه (الصلاة و) السلام وقومه، وإبراهيم عليه (الصلاة و)[٢] السلام وغيرهما.

قوله: «أَلْفَ سَنَةٍ» منصوب على الظرف «إلاَّ خَمْسِينَ عَاماً» منصوب على الاستثناء. وفي وقوع الاستثناء من أسماء العدد خلاف. وللمانعين عنه[٣] جواب عن هذه الآية، وقد روعيت هنا نكتة لطيفة، وهو أن غَايَرَ بين تَمْيِيزي العَدَد فقال في الأول «سنة»، وفي «الثاني» عاماً، لئلا يثقل اللفظ[٤]، ثم إنه خص لفظ العام بالخمسين إيذاناً بأن نبي الله - ﷺ - لما استراح[٥] منهم بقي في زمن حسن، فالعرب تعبر عن الخَصْب بالعام، وعن الجَدْب بالسنة[٦].

فصل

قال بعضهم: إن الاستثناء في العدد تكلم بالباقي[٧]، فإذا قال القائل: لفلان عَلَيَّ عشرة إلا ثلاثةً فكأنه قال: عليّ سبعة، إذا علم هذا فقوله: «ألف سنة إلا خمسين عاماً» كقوله: تسعمائة وخمسين سنة فما الفائدة في العدول عن هذه العبارة إلى غيرها؟ فقال الزمخشري فيه فائدتان[٨]، إحداهما: أنّ الاستثناء يدل على التحقيق وتركه قد يظن به التقريب، فإن من قال: عاش فلان ألفَ سنة (يمكن أن يتوهم أن يقول ألف سنة)[٩] تقريباً لا تخفيفاً، فإذا قال إلا شهراً أو إلا سنة يزول ذلك التوهم، وقد يفهم منه التحقيق. الفائدة الثانية: هي أن ذكر لَبْثِ نوح عليه (الصلاة و) السلام في قومه كان لبيان أنه صبر كثيراً فالنبي عليه (الصلاة و) السلام أولى بالصبر مع قِصَرِ مُدَّةِ (دُعَائِهِ).

قوله: «فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ» فغرقوا «وَهُمْ ظَالِمُونَ» قال ابن عباس: مشركون. وفيه إشارة إلى أن الله لا يعذب على مجرد وجود الظلم ولا يعذب من ظلم وتاب بأن الظلم وجد منه وإنما يعذب على الإصرار على الظلم، فقوله: «وهم ظالمون» يعني أهلكهم وهم ملتبسون بالظلم.

قوله: «فَأَنْجَيْنَاهُ وأَصْحَابَ السَّفِينَةِ» يعني من الغرق، «وجعلناها» يعني السفينة «آية للعالمين» أي عبرة، وفي كونها آية وجوه:

---

(١) في «ب» فذكر الذين كلفوا قبل نوح. (٢) زيادة من ب.

(٣) أثبتت في كلتا النسختين وفي نسخ كثيرة بهذا اللفظ «عنه»، وقد أوردها السمين في الدر المصون ٤/ ٢٩٧ بلفظ «منه» وهو الصواب.

(٤) انظر: البحر ٧/ ١٤٥ والكشاف ٣/ ٢٠٠ قال: «فإن قلت: لم جاء المميز أولاً بالسنة، وثانياً بالعام؟ قلت: لأن تكرير اللفظ الواحد في الكلام الواحد حقيق بالاجتناب في البلاغة».

(٥) في «ب» أراح وهو تحريف. (٦) تفسير الدر المصون للسمين ٤/ ٢٩٨.

(٧) انظر: تفسير الفخر الرازي ٢٥/ ٤١.

(٨) نقله الفخر الرازي عن الزمخشري ولم أجده في الكشاف بلفظه المنقول. انظر: الكشاف ٣/ ٢٠٠.

(٩) ما بين المعقوفين ساقط من «ب».

أحدُها: كانت باقية على الجُودِيِّ مدة مديدة.

وثانيها: أن نوحاً أمر بأخذ قومه معه، ورفع قدر من الزاد والبحر العظيم لا يتوقع أحد (نُضُوبَه). ثم إن الماء غيض قبل نفاد الزاد، ولولا ذلك لما حصل النجاة فهو بفضل الله لا بمجرد السفينة.

وثالثها: أن الله سلم السفينة من الرياح المزعجة والحيوانات المؤذية، ولولا ذلك لما حصل النجاة[(١)]، وقيل: «الهاء» في «جَعَلْنَاهَا» راجعة إلى الواقعة أو النجاة أو العقوبة بالغرق.

فصل

قال ابن عباس بُعِثَ نوح لأربعين سنة، وبقي في قومه يدعوهم ألف سنة إلا خمسينَ عاماً، وعاش بعد الطُّوفَان ستينَ سنة حتى كثر الناس وفَشَوْا، وكان عمره ألفاً وخَمْسِينَ سنةً[(٢)]، وروي عن ابن عباس أنه بعث وهو ابن أربعمائة وثمانين سنة، وعاش بعد الطوفان ثلثمائة وخمسين سنة[(٣)]، فإذا كان هذا محفوظاً عن ابن عباس فيضاف إلى لبثه في قومه وهو تسعمائة وخمسين سنة فيكون قد عاش ألف سنة وسبعمائة وثمانين سنة، وأما قبره عليه (الصلاة و)[(٤)] السلام فروى ابن جرير[(٥)]، والأزرقي[(٦)] حديثاً مرسلاً أن قبر نوح عليه (الصلاة و)[(٧)] السلام بالمسجد الحرام[(٨)]. وقيل: ببلدة بالبقاع تعرف اليوم بكرك نوح وهناك جامع قد بني بسبب ذلك[(٩)]، والأول أقوى وأثبت.

قوله تعالى: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾﴾

قوله تعالى: «وَإِبْرَاهِيمَ» أي «وأرسَلْنَا إبْرَاهِيم»[(١٠)]، والعامة على نصبه[(١١)] عطفاً

---

(١) انظر: الفخر الرازي ٢٥/ ٤١.

(٢) رواه يوسف بن مهران عن ابن عباس، انظر: زاد المسير ٦/ ٢٦١.

(٣) لم أعثر على هذه الراوية في الكتب المعتمدة، وقد قال ابن كثير: «وقول ابن عباس أقرب والله أعلم»، انظر: تفسير ابن كثير ٣/ ٤٠٧.

(٤) زيادة من «ب».

(٥) ابن جرير هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الآملي الطبري أبو جعفر، الإمام، صاحب التصانيف المشهورة له تفسير القرآن وكتاب تهذيب الآثار، مات سنة ٣١٠هـ، انظر: طبقات المفسرين للداودي ٢/ ١١٠، ١١٧.

(٦) الأزرقي: لم أعثر عليه.

(٧) زيادة من «ب».

(٨) معالم التنزيل للبغوي.

(٩) المرجع السابق.

(١٠) ذكره الزجاج في إعرابه ٤/ ١٦٤ وإعراب النحاس ٢٥٢ جـ ٣ وانظر: البيان لابن الأنباري ٢/ ٢٤١ والمشكل ٢/ ١٦٨، والتبيان للعكبري ٢/ ١٠٣٠.

(١١) أي نصب إبراهيم، انظر: المراجع السابقة.

على «نوحاً»[١]، أو بإضمار «اذكر»[٢]، أو عطفاً على «هاء»[٣] «أنجيناه»، والنخعي[٤]، وأبو جعفر[٥]، وأبو حنيفة[٦]: «وإِبْرَاهِيمُ» رفعاً على الابتداء، والخبر مقدر أي ومن المرسلين إبراهيم[٧]، وقوله: «إِذْ قَالَ» بدل من «إِبْرَاهِيمَ» بدل اشتمال[٨]، فإن قلنا: هو ظرف «أَرْسَلْنَا» أي أرسلنا إبراهيم إذ قال لقومه، ففيه إشكال، لأن قوله لقومه «اعبدوا الله» دعوة، والإرسال يكون قبل الدعوة، فكيف يفهم من قوله: وأَرْسَلْنَا إبراهيم حِينَ قال لقومه مع أنه يكون مرسلاً قبل ذلك؟

فالجواب: هذا كقول القائل: «وَقَفْتُ للأَمِير إِذْ خَرَجَ مِنَ الدَّارِ»، وقد يكون الوقوف قبل الخروج لكن لما كان الوقوف يمتد إلى ذلك الوقت صح ذلك.

فصل

معنى «اعبدوا الله واتّقوه» أطيعوا الله وخافوه، وقيل: «اعبدوا الله» إشارة إلى الإتيان بالواجبات «واتّقوه» إشارة إلى الامتناع عن المحرمات، «ذَلكم خَيْرٌ لَكُمْ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» أي عباد الله وتقواه خير، لأن خلاف عبادة الله تعطيل[٩]، وخلاف تقواه شرك، وكلاهما شر، «إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنَ دُونَ اللَّهِ أَوْثَاناً» أصناماً، فلا تستحق العبادة لكونها أصناماً منحوتة لا شرف لها.

قوله: «وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً» العامة على فتح التاء، وسكون الخاء، ورفع اللام مضارع «خلق» و «إِفْكاً» بكسر الهمزة وسكون الفاء، أي وتختلقون كذباً، أو تنحتون أصناماً، وعلي بن أبي طالب[١٠]، وزيد بن علي[١١] والسُّلَيْميّ[١٢]، وقتادةُ بفتح الحاء واللام مشددة[١٣]، وهو مضارع «تَخَلَّقَ» والأصل: «تَتَخَلقونَ» بتاءين فحذفت إحداهما «كَتَنَزَّلَ»،

---

(١) المراجع السابقة. (٢) المراجع السابقة.
(٣) المراجع السابقة. (٤) تقدم.
(٥) تقدم. (٦) تقدم.
(٧) انظر: البحر المحيط ٧/ ١٤٥، ومختصر ابن خالويه ١١٥، والكشاف ٣/ ٢٠١، وهي من الشواذ رواية ولكنها قوية في العربية.
(٨) المراجع السابقة، وانظر: الدر المصون ٤/ ٢٩٨ وقد قال في الكشاف ٣/ ٣٠١ «لأن الأحيان تشتمل على ما فيها».
(٩) في «ب» تعليل وهو خطأ وتحريف (١٠) تقدم.
(١١) زيد بن علي بن أحمد أبو القاسم العجلي شيخ العراق، إمام حاذق، وعادل ثقةٌ، قرأ على أحمد بن فرج وغيره وقرأ عليه ابن مهران، مات سنة ٣٥٨، الغاية ٢٩٨ و٢٩٩/ ١.
(١٢) السلمي: عبد الله بن حبيب بن ربيعة أبو عبد الرحمن السلمي الضرير، مقرىء الكوفة، إليه انتهت القراءة تجويداً، وضبطاً، أخذ عن عثمان، وعلي، وعنه عاصم، وابن السائب كان كبير القدر، مات سنة ٧٤هـ، انظر: غاية النهاية ١/ ٤١٣، ٤١٤.
(١٣) نقلها في المحتسب ٢/ ٦٠ والشواذ لابن خالويه ١١٥، ١١٤ ومعاني القرآن للفراء ٢/ ٣١٥، والبحر المحيط ٧/ ١٤٥ وهي من القراءات غير المتواترة، وانظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/ ١٦٥.

ونحوه، روي عن «زيد بن علي» أيضاً تُخَلِّقون بضم التاء وتشديد اللام مكسورة[١] مضارع «خلّق» مضعفاً، وقرأ ابن الزبير[٢]، وفُضَيْل بن [٣] زَرْقَانِ إفكاً[٤] ـ بفتح الهمزة وكسرها ـ وهو مصدر كالكذب معنى ووزناً، وجوز الزمخشري[٥] في الإفْكِ ـ بالكسر والسكون ـ وجهين:

أحدهما: أن يكون مخففاً من الأَفِك بالفتح والكسر كالكَذِب واللَّعِب، وأصلها: (الكِذْب[٦] واللّعْب) وأن يكون صفة على «فِعْلٍ» أي خلقاً إفْكاً أي «ذَا إفْكٍ».

قال شهاب الدين: وتقديره[٧] مضافاً قبل «إفك» مع جعله له صفة غيرُ مُحْتَاجٍ إليه (وإنما كان[٨] يُحْتَاجُ إليه) لو جعله مصدراً.

قوله: «إنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لاَ يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً» لا يقدرون أن يرزقوكم، وهذا إشارة إلى عدم المنفعة في الحال والمآل. قوله: «رزقاً» يجوز أن يكون منصوباً على المصدر، وناصبه «لا يملكون»؛ لأنه في معناه، وعلى أصول الكوفيين يجوز أن يكون الأصل: لا يملكون أن يَرْزُقُوكُمْ رزقاً، فإن «يرزقوكم» هو مفعول «يملكون»، ويجوز أن يكون بمعنى «المرزوق»[٩] فينتصب مفعولاً به، «فابْتَغُوا» فاطلبوا «عند الله الرزق» (و) هذا إشارة إلى استحقاق عبوديته[١٠] لذاته. فإن قيل: قال: «لا يملكون لكم رزقاً» نكّر الرزق وقال: «فابتغوا عند الله الرِّزْقَ» فعرفه، فما الفائدة؟ قال الزمخشري نكره في معرض النفي أي لا رزق عندهم أصلاً، وعرفه عند الإثبات عند الله تعالى أي كل الرزق عنده فاطلبوه منه[١١]. وفيه وجه آخر[١٢] وهو أن الرزق من الله معروف بقوله: «وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا»[١٣] والرزق من الأوثان غير معلوم، فقال: «لا يملكون رزقاً» لعدم حصول العلم به، وقال: «فابتغوا عند الله الرزق» أي الموعود به، ثم قال: «واعبدوهُ واشكُروا له» اعبدوه لكونه مستحقاً للعبادة لذاته، فاشكروا له لكونه

---

(١) نقلها أيضاً في معاني الزجاج ٤/ ١٦٥ والبحر المحيط ٧/ ١٤٥ والدر المصون ٤/ ٢٩٨.

(٢) ابن الزبير.

(٣) هكذا في كل ما توصلت إليه من مراجع «زرقان» وما في المحتسب «فضيل بن مرزوق» والقراءة نفسها منسوبة لهذه التسمية هذه وهو فضيل بن مرزوق الكوفي، روى عن أبي حازم وعدي بن ثابت، وعنه: يحيى بن آدم، وبزيد بن هارون، انظر: هامش المحتسب لابن جني ٢/ ١٦٠ والقراءة في المحتسب ٢/ ١٦٠.

(٤) المرجع السابق.

(٥) الكشاف ٣/ ٢٠١.

(٦) ساقط من ب وهي في الكشاف.

(٧) الدر المصون ٤/ ٢٩٩.

(٨) ساقط من ب وموجودة بالمرجع السابق، انظر: الدر المصون ٤/ ٢٩٩.

(٩) في ب: الرزق.

(١٠) في ب: العبودية بالتعريف.

(١١) قال الزمخشري في الكشاف ٣/ ٢٠١: «فإن قلت: لم نكر الرزق ثم عرفه؟ قلت: لأنه أراد لا يستطيعون أن يرزقوكم شيئاً من الرزق فابتغوا عند الله الرزق كله، فإن الله هو الرازق وحده لا يرزق غيره».

(١٢) انظر: تفسير الفخر الرازي ٢٥/ ٤٤.

(١٣) هود: ٦.

سائق النعم إلى الخلق «وإليه ترجعون» أي اعبدوه لكونه مرجعاً منه يتوقع الخير لا من غيره. قوله: «وإنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ» في المخاطب بهذه الآية وجهان:

الأول: أنه قوم إبراهيم؛ لأن القصة لإبراهيم، فكأن إبراهيم قال لقومه: إن تكذبوا فقد كَذَّب أُمَمٌ من قبلكم وأنا أتيت بما عليّ من التبليغ، فإن الرسول ليس عليه إلا البلاغ والبيان. فإن قيل: إن إبراهيم لم يسبقه إلا قومُ نوح، وهم أمة واحدة.

فالجواب: أن قبل نوح أيضاً كان أقوام كقوم «إدْرِيسَ»، وقوم «شِيثَ»، وآدَمَ، وأيضاً فإن نوحاً عاش أكثر من ألف سنة، وكان القرن يموت، ويحيا أولاده، والآباء يوصون الأبناء بالامتناع عن الأتْبَاعِ، فكفى بقوم نوحٍ أمماً.

الثاني: أن الآية خطاب مع قوم محمد - ﷺ -؛ لأن هذه القصص أكثرُها المقصودُ معه تذكير قومه بحال من مضى حتى يمتنعوا عن التكذيب، ويرتدعوا خوفاً من التعذيب، فقال في أثناء حكاياتهم: يا قوم إن تكذبوا فقد كذب قبلكم أقوام هلكوا، فإن كذبتم فإني أخاف عليكم أن يقع بكم ما وقع بغيركم[(١)].

وهذه الآية تدل على أنه لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة لأن الرسول إذا بلغ شيئاً ولم يبينه فلم يأت بالبلاغ المبين.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾

قوله تعالى: «أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ» قرأ الأخوان[(٢)] وأبو بكر[(٣)] بالخطاب[(٤)]، على خطاب «إبراهيم» لقومه بذلك، والباقون بالغيبة، ردًّا على الأمم المكذبة.

قوله: «كَيْفَ يُبْدِىءُ»، العامة على ضم الياء من «أَبْدَأَ» والزُّبَيْرِيُّ[(٥)]، وعيسى، وأبو

---

(١) انظر: تفسير الفخر الرازي ٢٥/ ٤٤.

(٢) الأخوان حمزة، والكسائي، فحمزة هو حمزة بن حبيب بن إسماعيل الإمام الحبر أبو عمارة الكوفي الزيات، أخذ القراءة عن سليمان الأعمش وأبي إسحاق السبيعي، مات سنة ١٥٦هـ وقيل غير ذلك انظر: طبقات القراء ١/ ٢٦١: ٢٦٣.

والكسائي: علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي أبو الحسن الإمام الذي انتهت إليه رئاسة الإقراء في الكوفة بعد حمزة الزيات، أخذ عن حمزة، مات سنة ١٨٩هـ، انظر: طبقات القراء ١/ ٥٣٥: ٥٤٠.

(٣) تقدم.

(٤) انظر: الاتحاف ٣٤٤، وحجة ابن خالويه ٢٧٩، وقد قال ابن خالويه في الحجة: «فالحجة لمن قرأه بالتاء أنه أراد معنى المواجهة بالخطاب لما أنكروا البعث والنشور».

وانظر: السبعة ٤٩٨، وإبراز المعاني ٦٣٦، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/ ١٦٥.

(٥) في البحر المحيط «الزبير» وإذا كان هذا فهو الزبير بن العوام، وفي الدر المصون الزبيري كما تشير إليه=

عمرو بخلاف عنه يَبْدَأُ مضارع بَدَأَ. وقد صرح بماضيه هنا[١] حيث قال: «كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ»[٢]، وقرأ الزهري: «كيف يبدأ» بألف (صريحة[٣] وهو تخفيف على غير قياس، وقياسه بين بين وهو في الشذوذ كقوله:

٤٠٢٧ ـ .... فَـارْعَـيْ فَـزَارَةُ لاَ هَـنَـاكِ الـمَـرْتَـعُ[٤]

فصل

المعنى: أو لم يروا كيف يخلقهم الله ابتداء نطفة ثم علقه، ثم مضغة.

فإن قيل: متى رأى الإنسان بَدْءَ الخلق، حتى يقال: «أو لم يروا كيف يبدىء الله الخلق»؟

فالجواب: أن المراد بالرؤية العلم الواضح الذي كالرؤية، والعاقل يعلم أن البدء من الله لأن الخلق الأول لا يكون من مخلوق، وإلا لما كان الخلق الأول خلقاً أول، فهو من الله، هذا إن قلنا: إن المراد إتيان نفس الخلق وإن قلنا: إن المراد بالمبدأ خلق الآدمي أولاً، وبالإعادة خلقه ثانياً، فنقول: العاقل لا يخفى عليه أن خالق نفسه ليس إلا قادر حكيم يصور الأولاد في الأرحام، والخلقة من نطفة في غاية الإتقان والإحكام فذاك الذي خلق أولاً معلوم ظاهر، فأطلق على ذلك العلم لفظ الرؤية، وقال: «أو لم يروا» أي أو لم يعلموا علماً ظاهراً واضحاً كيف يبدأ الله الخلق وهو من غذاءٍ هو من ماءٍ وترابٍ يجمعه فكذلك يجمع أجزاءه من التراب وينفخ فيه روحه بل هو أسهل بالنسبة إليكم فإن من نحت حجارة حتى صارت أصناماً ثم كسرها وفرقها فإن وضعه شيئاً بجنب شيء[٥] في هذه النوبة أسهل، لأن الحجارة منحوتة معلومة.

فإن قيل: علق الرؤية بالكيفية[٦] لا بالخلق، ولم يقل: أو لم يروا أن الله خلق أو بدأ الخلق والكيفية غير معلومة.

فالجواب: هذا القدر من الكيفية معلوم وهو أنه خلقه ولم يك شيئاً مذكوراً، وأنه خلقه من نطفة من غذاء هو من ماء وتراب، وهذا القدر كاف في حصول العلم بإمكان الإعادة.

= النسخة الأصل هذه، وفي ب: الزهري وما في مختصر ابن خالويه «كيف بدأ الله الخلق ثم يعيده» بالفتح فيهما، يعني الياء والدال ونسبهما للزهري، انظر: المختصر ١١٤، والحجة له أيضاً بدون نسبة ٢٧٩، والبحر المحيط ٧/١٤٦.

(١) أي في [العنكبوت: ٢٠].

(٢) انظر: المحتسب ٢/١٦١ وهي من القراءات غير المتواترة واحتمال بعد هذا أن يكون «الزبيري» الذي ذكر احتمال أن يكون تصحيفاً لكلمة «الزهري» على أساس أنه قرأ بتحقيق الهمز وتسهيله فالله أعلم.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من ب.

(٤) من الكامل للفرزدق وقد تقدم.

(٥) في ب: تحت.

(٦) في ب: في الكيفية لا بالخلق أو لم يقل.

فإن[١] قيل: قال: «ثم يعيده» «إن ذلك على الله يسير» أبرز اسمه مرة أخرى ولم يقل: إن ذلك عَلَيْهِ يسير كما قال: «ثم يعيده» من غير إبراز.

فالجواب: أنه مع إقامة البرهان على أنه يسير أكده بإظهار اسمه، فإنه يوجب المعرفة أيضاً بكَوْنِ ذلك يسيراً فإن الإنسان إذا سمع لفظ «الله» وفهم معناه أنه الحَيُّ القادر بقُدْرَةٍ كاملة لا يعجزه شيء محيط بذرات كل[٢] جسم نافذ الإرادة يقطع بجواز الإعادة[٣].

قوله: «قُلْ سيرُوا في الأرض فانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الخَلْقَ» أي انظروا إلى ديارهم وآثارهم كيف بَدَأ بخلقهم.

فإن قيل: أبرز[٤] اسم «الله» في الآية الأولى عند البدء، فقال: «كيف يبدىء الله» وأضمره عند الإعادة، وهاهنا أضمره عند البداء[٥]، وأبرزه عند الإعادة، فقال: «ثم اللَّهُ يُنْشِىءُ النَّشْأَةَ الآخِرَة».

فالجواب: أنه في الآية الأولى: لم يسبق ذكر الله بفعل حتى يسند إليه البداء فقال: «كيف يبدىء الله الخلق ثم يعيده»، كقولك: ضرب زيد عمراً ثم ضرب بكراً، ولا يحتاج إلى إظهار اسم «زيد» اكتفاء بالأول.

وفي الثانية: كان ذكر البداء مسنداً إلى الله فاكتفى به، ولم يبرزه، وأما إظهاره عند الإنشاء ثانياً، فقال: «ثم الله يُنْشِىءُ» مع أنه كان يكفي أن يقول: «ثم ينشىء» النشأة الآخرة لحكمة بالغة وهي أن مع إقامة البرهان على إمكان الإعادة أظهر اسمه، حتى يفهم المسمى[٦] به صفات كماله، ونعوت جلاله، فيقطع بجواز الإعادة فقال: «ثم الله» مظهراً لينفع في ذهن الإنسان جلّ اسمه كمال قدرته، وشمول علمه، ونفوذ إرادته، فيعترف بوقوع بدئه، وجواز إعادته، فإن قيل: فلم لم يقل: «ثُم اللَّهُ يعيده» بعين ما ذكرت من الحكمة فنقول: لوجهين.

أحدهما: أن الله كان مظهراً مبرزاً بقرب منه وهو في قوله: «يبدىء الله الخلق»، ولم يكن بينهما إلا لفظ الخلق، وأما هنا فلم يذكر غير البدء فأظهره.

وثانيهما: أن الدليل هنا تم على جواز الإعادة لأن الدليل منحصر في الآفاق وفي الأنفس، كما قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [فصلت: ٥٣] ففي الآية الأولى أشار[٧] إلى الدليل الحاصل للإنسان من نفسه، وفي الثانية أشار[٨] إلى الدليل

---

(١) في ب: بدلاً من فإن قيل: فصل «فإن قيل»: فالجواب.
(٢) ساقط من ب: لفظ «كل». (٣) انظر: تفسير الفخر الرازي ٢٥/٤٦.
(٤) في ب: فصل ذكر اسم الله في الآية الأولى ظاهراً عند البدء.
(٥) في ب: البدء. (٦) في ب: المنشىء. وهو تحريف.
(٧) في ب: إشارة بالاسمية. (٨) في ب: كذلك.

الحاصل من الآفاق، لقوله: «سيروا في الأرض» وعندها تم الدليلان فأكده بإظهار نفسه، وأما الدليل الأول فأكده بالدليل الثاني فلم يقل: «ثم الله يعيده» فإن قيل: قال في الأولى: «أو لم يروا كيف يبدىء الله الخلق» بلفظ المستقبل وهاهنا قال: «فانظروا كيف بدأ» بلفظ الماضي، فما الحكمة؟

فالجواب: أن الدليل الأول هو الدليل النفسي الموجب للعلم، وهو يوجب العلم ببدء الخلق (وأما[1] الدليل الثاني فمعناه إن كان ليس لكم علم بأن الله يبدأ الخلق) فانظروا إلى الأشياء المخلوقة[2]، فيحصل لكم العلم بأن الله بدأ خلقاً، وتحصل من هذا القدر بأنه «ينشىء» فإن قيل: قال في هذه الآية: «إِنَّ اللَّهَ على كُل شَيْءٍ قَدِيرٌ»، وقال في الأولى: «إِنَّ ذَلِكَ عَلَى الله يسير» (فما فائدته)[3].

فالجواب: فيه فائدتان:

إحداهما: أن الدليل الأول هو الدليل النفسي وهو وإن كان موجباً للعلم التام، ولكن عند انضمام الدليل الآفاقي إليه يحصل العلم التام لأنه بالنظر في نفسه علم حاجته إلى غيره ووجوده (منه)[4] فتم علمه (بـ)[5] أن الله على كل شيء قدير، أن كل شيء من الله، فقال عند تمام الدليل: إن الله على كل شيء قدير، وقال عند الدليل الواحد إن ذلك على الله يسير وهو الإعادة.

الفائدة الثانية: أن العلم الأول أتم، وإن (كان)[6] الثاني أعم، وكون[7] الأعم يسيراً على الفاعل أتم من كونه مقدوراً به، بدليل قولك لمن يحمل مائة مَنٍّ أنه قادر عليه، ولا يقول: إنه سهل عليه فإذا سئلت عن حمله عشرة (أمنات)[8] يقول ذلك سهل يسير[9]، فنقول كان التقدير إن لم يحصل[10] لكم العلم التام بأن هذه الأمور عند الله سهل يسير فسيروا في الأرض ليعلموا أنه مقدور، ونفس كونه مقدوراً كاف في إمكان الإعادة.

قوله: «ثم اللَّهُ يُنْشِىءُ النَّشْأَةَ»، قرأ ابن كثير[11] وأبو عمرو النَّشَاءةَ، بالمد[12] هنا،

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من «ب».

(٢) انظر: التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي ٢٥/٤٧، ٤٨.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من «أ» وتكملة من «ب».

(٤) ساقط من «ب». (٥) ساقط من «ب».

(٦) ساقط من «ب». (٧) في ب: وإن كان الأعم يسيراً.

(٨) تصحيح من النسختين يقتضيه السياق من الفخر الرازي.

(٩) في ب: تمييز. وهو تحريف. (١٠) في ب: يجعل.

(١١) تقدم.

(١٢) انظر: السبعة ٤٩٨، والإتحاف ٣٤٥ ومعاني القرآن للفراء ٢/٣١٥، وانظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/١٦٥، والدر المصون ٤/٣٠٠، والبحر المحيط ٧/١٤٦، والنشر ٢/٣٤٢ وتقريبه ١٥٨، وانظر حجة ابن خالوية بدون نسبة ٢٧٩.

والنجم[١]، والواقعة[٢] والباقون بالقصر، وهما لغتان كالرأفة[٣]، والرآفة، وانتصابهما على المصدر[٤] المحذوف الزوائد والأصل: الإنشاءة، أو على حذف[٥] العامل، أي ينشىء فتُنَشَّئُونَ النَّشْأَةَ، وهي مرسومة[٦] بالألف وهو يقوي قراءة[٧] المد والمعنى ثم الله الذي خلقها ينشئها[٨] نشأة ثانية بعد الموت، فكما لم يتعذر عليه إحداثُها مبتدئاً لا يتعذر عليه إنشاؤها معيداً.

وقوله: «ثم يُعِيدُه»، «ثم الله ينشىء» مستأنفات من إخبار الله تعالى، فليس الأول داخلاً في حيز[٩] الرؤية، ولا الثاني في حيز[١٠] النظر، «إنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

قوله تعالى: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ (٢١) وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٢٢)﴾

قوله تعالى: «يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ويَرْحَمُ من يشاءُ»، قدم التعذيب في الذكر على الرحمة مع أن رحمته سابقة كما قالَ عليه (الصلاة و)[١١] السلام عنه تعالى[١٢]: «سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي»[١٣]؛ لأن السابق ذكر الكفار فذكر العذاب يسبق ذكر مستحقه بحكم الإيعاد، وعقبه بالرحمة فذكر الرحمة وقع تبعاً لئلا يكون العذاب مذكوراً وحده، وهذا يحقق قوله عليه (الصلاة و)[١٤] السلام عنه: «سبقت رحمتي غضبي»، وذلك أن الله تعالى حيث كان المقصود ذكر العذاب، لم يخصه بالذكر، بل ذكر الرحمة معه، فإن قيل: إن كان ذكر هذه الآية لتخويف العاصي، وتفريح المؤمن، فلو قال: يعذب الكافر ويرحم المؤمن لَكَانَ أدخل في تحصيل المقصود.

وقوله: «يعذب من يشاء» لا يرهب الكافر، لجواز أن يقول: لعلي لا أكون ممن يشاء الله عذابي.

فالجواب: هذا أبلغ في التخويف لأن الله أثبت بهذا إنفاذ مشيئته، وأنه إذا أراد

---

(١) يقصد قوله تعالى: **﴿وأنَّ عليه النشأة الأخرى﴾** [النجم: ٤٧].

(٢) يقصد قوله تعالى: **﴿ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكَّرون﴾** [الطور: ٦٢].

(٣) انظر: الدر للسمين الحلبي ٤/ ٣٠٠، والتبيان ١٠٣٠ والكشف ٢/ ١٧٨، وقد قال الفراء في معانيه: «القراء مجتمعون على قصر الشين وجزمها، إلا الحسن البصري فإنه مدها في كل القرآن فقال (النشاءة) ومثلها مما تقوله العرب الرأفة، والرآفة» انظر: المعاني ٢/ ٣١٥.

(٤) انظر: البحر المحيط ٧/ ١٤٦ والدر المصون ٤/ ٢٠٠.

(٥) المرجعان السابقان.

(٦) في ب: موسومة للألف.

(٧) في ب: وهو نفيراً.

(٨) انظر: فتح القدير للشوكاني ٤/ ١٩٧.

(٩) في ب: في جزاء الرواية.

(١٠) في ب: خبر.

(١١) في أ: السلام فقط وما بين القوسين تكملة من «ب».

(١٢) في ب: عن ربه تعالى.

(١٣) ذكره الرازي دون إسناد في تفسيره ٢٥/ ٤٩.

(١٤) زيادة وتكملة من ب.

تعذيب شخص فلا يمنعه منه مانع ثم كان من المعلوم للعباد بحكم الوعد والإيعاد أنه إذا شاء تعذيب الكافر فلزم منه الخوف العام بخلاف ما لو قال: يعذب العَاصي، فإنه لا يدل على كمال مشيئته لأنه لا يبعد[١] أنه لو شاء عذاب المؤمن لعذبه، وإذا لم يبعد[٢] هذا فنقول الكافر إذا لم يحصل مراده في تلك الصورة يمكن أن (لا)[٣] يحصل في صورة أخرى[٤].

ومثاله إذا قيل: إن الملك يقدر على ضرب المخالفين، ولا يقدر على ضرب المطيع فإذا قال: من خالفني أضربه يقع في وهم المخاطب أنه لا يقدر على ضرب المطيع، فلا يقدر[٥] أيضاً عليّ (لكوني مثله)[٦]، وفيه فائدة أخرى وهو الخوف العام والرجاء العام لأن الأمن الكلي من الله يوجب الجراءة فيفضي إلى صيرورة المطيع عاصياً.

قوله: «وإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ» أي تُرَدُّونَ[٧]، «وَمَا أَنْتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ» والخطاب مع الآدميين وهم ليسوا في السماء، قال الفراء[٨] معناه: ولا من في السماء بمعجز (إنْ عَصَى)[٩] كقول حَسَّانَ:

٤٠٢٨ - فَمَنْ يَهْجُو رسولَ اللَّهِ مِنْكُمْ ... وَيَمْدحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءُ[١٠]

أراد: ومن يمدحه وينصره، فأضمر «مَن» يريد لا يعجز أهل الأرض في الأرض، ولا أهل السماء في السماء يعني (على)[١١] أن «من في السموات» عطف على «أنتم» بتقدير: أن يعصي، قال الفراء: وهو من غوامض العربية[١٢]. قال شهاب الدين: وهذا على أصله، حيث يجوز حذف الموصول الاسميّ، ويبقى صفته[١٣].

---

(١) في كتاب الفخر الرازي يفيد وهو الأصحّ والصواب.

(٢) في كتاب الفخر الرازي يفيد وهو الأصح والصواب.

(٣) سقط النفي هذا من تفسير الفخر الرازي.

(٤) انظر: التفسير الكبير للفخر الرازي ٢٥/ ٤٩.

(٥) في ب: ولا يقدر - بالواو.

(٦) ساقط من ب. والعبارة في تفسير الفخر الرازي، انظره ٢٥/ ٤٩.

(٧) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة ٣٣٧، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ١١٤ «ترجعون».

(٨) انظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ٣١٥.

(٩) ما بين القوسين ساقط من كتاب الفراء نفسه ومثبت في كلتا النسختين وفي البحر والدر المصون، انظر البحر المحيط ٧/ ١٤٧، والدر المصون ٤/ ٣٠٠.

(١٠) البيت لحسان بن ثابت - رضي الله عنه - يرد به على الزِّبعرى وغيره من شعراء قريش، وهو من تمام الوافر وشاهده في قوله: «ويمدحه» حيث حذف الموصول الاسمي من «يمدحه» وأبقى صلته على رأي الفراء والكوفيين. وبرواية: «أمن» وقد تقدم.

(١١) زيادة من ب.

(١٢) انظر: معاني الفراء ٢/ ٣١٥.

(١٣) انظر الدر المصون ٤/ ٣٠٠.

قال قطرب[١]: ما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء لو كنتم[٢] فيها، كقول القائل: (لا) يفوتني فلان هاهنا ولا في البصرة أي ولا بالبصرة لو كان بها كقوله تعالى: «إنِ اسْتَطَعْتُمْ أنْ تَنْفُذُوا مِنْ أقْطَارِ السَّمَواتِ والأَرْضِ»[٣]، أي على تقدير أن يكونوا فيها، وأبعد من ذلك من قدره موصولين[٤] محذوفين؛ أي)[٥] وما أنتم بمعجزين من في الأرض من الجن والإنس، ولا من في السماء من الملائكة فكيف تعجزون خالقها (و) على قول الجمهور يكون المفعول محذوفاً أي وما أنتم بمعجزين أي فائتين ما يريد[٦] الله بكم.

فصل

اعلم أن إعجاز المعذَّب عن التعذيب إما بالهرب منه، أو بالثبات ومدافعته فذكر الله تعالى القسمين فقال: «وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء»، يعني بالهرب لو صعدتم إلى السماء، أو هربتم إلى تُخُوم الأرض (لم)[٧] تخرجوا من قبضة قدرة الله ـ عزّ وجلّ ـ، فلا مطمع في الإعجاز بالهرب، وأما بالثبات فكذلك لأن الإعجاز بالثبات إما أن يكون بالاستناد[٨] إلى ركن شديد يشفع، ولا يمكن المعذب مخالفته فيفوته المعذب، ويعجز عنه أو بالانتصار بقويّ يدافعه، وكلاهما محال فلهذا قال: «وما لكم من دون الله من ولي» يشفع «ولا نصير» يدفع. فإن قيل: ما الحكمة في قوله: «وما أنتم بمعجزين» ولم يقل: «ولا تعجزون» بصيغة الفعل؟

فالجواب: لأن نفي الفعل لا يدل على نفي الصلاحية فإن من قال: إن فلاناً لا يخيط لا يدل على ما يدل عليه أنه ليس بخائط، وقدم «الأرض» على «السماء»، و «الولي» على «النصير»؛ لأن هربهم الممكن في الأرض، فإن كان يقع منهم هرب فإنه يكون في الأرض، ثم إن فرضنا لهم قدرة غير ذلك فيصعدون في السماء وأما الدفع فإن العاقل متى أمكنه الدفع فأجمل الطرق فيه الشفاعة[٩]، لأن ما من أحد في الشاهد إلا ويكون له شفيع يتكلم في حقه عند ملك، وليس لكل أحد ناصر يعادي الملك فلذلك[١٠] قدم الأرض على السماء، والولي على النَّصِير[١١].

---

(١) قطرب: محمد بن علي بن المستنير، أبو علي النحوي المعروف، لازم سيبويه، وكان يدلج الليل أخذ عن عيسى بن عمر، له من التصانيف المثلث، النوادر، الصفات، مات سنة ٢٠٦ هـ، انظر: بغية الوعاة ١/ ٢٤٢.

(٢) انظر: تفسير القرطبي ١٣/ ٣٣٧. (٣) [الرحمن سبحانه وتعالى: ٣٣].

(٤) انظر: البحر المحيط ٧/ ٤٧، والدر المصون ٤/ ٣٠١.

(٥) زيادة يقتضيها السياق من ب. (٦) في ب: مما يريد الله بكم.

(٧) زيادة يقتضيها السياق من ب. (٨) في ب: بالإسناد.

(٩) في ب: فإن حمل الطرق فيه بالشفاعة. (١٠) في ب: فكذلك.

(١١) انظر: تفسير الفخر الرازي ٢٥/ ٤٩.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾

قوله تعالى: «والَّذِينَ كَفَرُوا بآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ» أي بالقرآن[١] وبالبعث «أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي» (جنّتي[٢]) «وأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» يوم القيامة فإن قيل: هلا اكتفي بقوله: «أُولَئِكَ» مرة واحدة؟

فالجواب: أن ذلك لِفائدة وهو أنه لو قال أولئك يئسوا وهم في عذاب أليم ذهب (ذاهب)[٣] إلى أن هذا المجموع منحصر فيهم، فلا يوجد المجموع إلا فيهم. (و)[٤] أضاف الرحمة إلى نفسه في قوله تعالى: «يَئِسُوا من رَحْمَتِي» وأضاف اليأس إليهم بقوله: «يَئِسُوا» إعلاماً لعباده بعُمُومِ رحمته.

قوله تعالى: «فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ» العامة على نصبه والحسن وسالم الأفطَس[٥] برفعه وتقدم تحقيق هذا. هذه الآيات في تذكير أهل إبراهيم وتحذيرهم وهي معترضة في قصة «إبراهيم» صلوات الله عليه، ثم عاد إلى قصة «إبراهيم» فقال تعالى: «فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إلاّ أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ». لما أقام إبراهيم صلوات[٦] الله عليه البرهان على الأصول الثلاثة لم يجيبوه إلا بقولهم «اقْتُلُوه أو حَرّقوه» فإن قيل: كيف سمى قولهم: اقتلوه جواباً مع أنه ليس بجواب؟

فالجواب عنه من وجهين:

أحدهما: أنه خرج مَخْرَجَ كلام[٧] متكبر، كما يقول المَلِكُ لرسول خَصْمِهِ: جوابكُمُ السيفُ، مع أن السيفَ ليس بجوابِهِ وإنما معناه لا أقابل بالجواب وإنما أقابل[٨] بالسيف.

وثانيهما: أن الله تعالى أراد بيان (ضلالتهم)[٩] وأنهم ذكروا ما ليس بجواب في

---

(١) انظر: فتح القدير للشوكاني ٤/١٩٨. (٢) ناقص من ب.
(٣) زيادة من ب. (٤) زيادة من ب.
(٥) سالم الأفطس: سالم بن عجلان مولى محمد بن مروان بن الحكم أبو محمد الكوفي الأفطس، عن سعيد بن جبير، وعنه الثوري، له نحو ستين حديثاً، وثقه أحمد، وقال أبو حاتم: صدوق، مات مقتولاً سنة ١٣٢ هـ. انظر: خلاصة الكمال ١٣٢.
(٦) في ب: عليه الصلاة والسلام. (٧) في ب: مخرج التكبر.
(٨) في ب: وما أقابل إلا بالسيف. (٩) ساقط من ب.

معرض الجواب فبيّن أنهم لم يكن لهم جوابٌ أصلاً، وذلك أن من لا يجيبُ غيره ويسكت لا يعلم (أنه لا يقدر[١] أم لا) لجواز[٢] أن يكون سكوته لعدم الالتفات، وأما إذا أجاب بجوابٍ فاسد علم أنه قصد الجواب وما قدر عليه.

فصل[٣]

«أو» تذكر لأمرين الثاني منهما لا ينفك عن الأول، كما يقال: «زَوْجٌ أَوْ فَرْدٌ»، ويقال: هذا إنسان أو حيوان، يعني إن لم يكن إنساناً فهو حيوان، ولا يصح أن يقال: «هذا حيوان أو إنسان» إذ يفهم منه أن يقول: هذا حيوان، فإن لم يكن حيواناً فهو إنسان، وهذا فاسد، وإذا كان كذلك فالتحريق مشتمل[٤] على القتل، فقوله: «اقتلوه أو حرقوه» كقولك: هذا إنسان أو حيوان.

فالجواب عن[٥] هذا من وَجْهَيْنِ:

أحَدهمَا: أن الاستعمال على خلاف ما ذكر شائع كقولك: أعطه ديناراً أو دينَارَيْنِ.

قال تعالى: ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ [المزمل: ٢ ـ ٤] فكذا[٦] هاهنا قال: اقتلوه أو زيدوا على القتل لأن التحريق قتلٌ وزيادة.

الثاني: سلمنا ما ذكرتم، والأمر هنا كذلك لأن التحريق فعل مفض[٧] إلى القتل، وقد يتخلف عنه القتل فإن من ألقي في النار حتى احترق جلده بأسره وأخرج منها حياً يصح[٨] أن يقال: احترق فلانٌ، وأحرق وما مات. فكذلك هاهنا قال: اقتلوه ولا تعجلوا قتله وعَذِّبُوه بالنار، فإن ترك مقالته فخلوا سبيله وإن أصرَّ فاتركوه في النار.

قوله تعالى: «فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ»، قيل: بردت النار وقيل: خلق في إبراهيم صلوات الله (وسلامه)[٩] عليه كيفية اسْتَبْرَدَتِ النارَ. وقيل: ترك إبراهيم (على)[١٠] ما كان عليه (والنار على[١١] ما كانت عليه) وَمنع أذى النار عنه، والْكُلّ ممكنٌ والله قادر عليه.

قوله تعالى: «إنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» فإن قيل: ما الحكمة في قوله هناك «آية للعالمين» في إنجاء نوح صلوات الله (وسلامه)[١٢] عليه وأصحاب السفينة جعلناها آية وقال هاهنا آيات بالجمع، فما الحكمة؟

---

(١) في ب: أنه قد يقدر على الجواب أم لا وفي تفسير الفخر: «لا يعلم أنه لا يقدر على الجواب».
(٢) في ب: ويجوز أن يكون.
(٣) سقط لفظ «فصل» من ب.
(٤) في ب: يشتمل بالفعلية.
(٥) في ب: على هذا.
(٦) في ب: وهكذا.
(٧) في ب: يفضي.
(٨) في ب: فصح.
(٩) ما بين القوسين زيادة من ب.
(١٠) زيادة يقتضيها السياق من الفخر الرازي.
(١١) ساقط من ب.
(١٢) زيادة من ب.

فالجواب: أن إنجاء السفينة شيء يتسع له[١] العقول، فلم يكن فيه من الآية إلا إعلام الله تعالى إياه بالإنجاء وقت الحاجة بسبب أن الله تعالى صان[٢] السفينة عن المهلكات كالرياح، وأما الإنجاء من النار فعجيب فقال فيه لآيات فإن قيل: ما الحكمة في قوله تعالى هناك: «آيَةً لِلْعَالَمِينَ» وقال هنا «لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» فخص الآيات بالمؤمنين؟

فالجواب: أن السفينة بقيت أعواماً حتى مرّ عليها الناس ورأوها فحصل العلم بها لكل أحد، وأما تبريد النار فلم يبق فلم يظهر (لمن بعده) إلا بطريق الإيمان والتصديق، وفيه لطيفة (وهو)[٣] أن الله تعالى لما بَرَّد النار على إبراهيم بسبب اهتدائه في نفسه وهدايته لأبناء جنسه، وقد قال الله تعالى للمؤمنين بأن لهم أسوة في إبراهيم، فحصل للمؤمنين بشارة بأن الله تبارك وتعالى يبرد عنه النار يوم القيامة، فقال: «إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ»، فإن قيل: لم قال هناك: «جَعَلْنَاهَا»، (وقال هنا جَعَلْنَاهُ)[٤]؟

فالجواب: لأن السفينة ما صارت آية في نفسها، ولولا خلق الله الطوفان لبقي فعل نوح (سفهاً)[٥] فالله تعالى جعل السفينة بعد وجودها آية، وأما تبريد النار فهو في نفسه (آية)[٦] إذا وجدت لا تحتاج إلى شيء آخر كخلق الطوفان حتى يصير آيةً.

قوله: «إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ» في «ما» هذه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن تكون موصولة[٧] بمعنى الذي، والعائد محذوف وهو المفعول الأول، و «أَوْثَاناً» مفعول ثان، والخبر «مَوَدَّةُ» في قراءة[٨] من رفع كما سيأتي، والتقدير: إنَّ الذي اتَّخَذْتُمُوهُ أَوْثَاناً مودةٌ أي ذو مودة أو جعل نفس المودة محذوف على قراءة من نصب[٩] «مَوَدَّةً» أي الذي اتخذتموه أوثاناً لأجل المودة لا تنفعكم، أو يكون «عليكم» لدلالة قوله: «ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ».

والثاني: أن تجعل «ما» كافة[١٠]، و «أوثاناً» مفعول به، والاتخاذ هنا يتعدى لواحد

---

(١) في ب: تسعة. (٢) في ب: أصاب. وهو تحريف.
(٣) ساقط من ب. (٤) ساقط من ب.
(٥) ساقط من ب. (٦) ساقط من ب.
(٧) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٥٤، والدر المصون ٤/ ٣٠١، والبيان لابن الأنباري ٢/ ٢٤٢، وإعراب القرآن ومعانيه للزجاج ٤/ ١٦٧، ومعاني القرآن للفراء ٢/ ٣١٦، والتبيان لأبي البقاء ٢/ ١٠٣١، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ١٦٨، ١٦٩.
(٨) الكشف ٢/ ١٢٨. وهي قراءة أبي عمرو، وابن كثير، والكسائي «غير منون» وخفض «بينكم، مودة بينكم» أي على الإضافة. وانظر: التبيان ٢/ ١٠٣١، والنشر ٣/ ٣٤٣، وتقريب النشر ١٥٨، وانظر: السبعة لابن مجاهد ٤٩٨، والإتحاف ٣٤٥، والحجة لابن خالويه ٢٧٩، بدون نسبة كما في التبيان.
(٩) وهي قراءة نافع وابن عامر، وعاصم في رواية أبي بكر منوناً بالنصب، وقرأ حفص وحمزة وعاصم في رواية حفص «مودة بينكم» بنصب مودة مع الإضافة، السبعة ٤٩٩، وانظر: النشر ٢/ ٢٤٣، وتقريب النشر ١٥٨ والإتحاف ٣٤٥، وحجة ابن خالويه ٢٧٩.
(١٠) التبيان ١٠٣٠، والدر المصون ٤/ ٣٠١، والبيان ٢/ ٢٤٢، والبحر المحيط ٧/ ١٤٨، ٤٩.

أو لاثنين والثاني هو «مِنْ دُونِ اللَّهِ» فمن رفع «مودة» كانت خبر مبتدأ مضمر أي هي مودة أي ذات مودة، أو جعلت نفس المودة مبالغة والجملة حينئذ صفة «لأوثاناً»(١)، أو مستأنفة(٢)، ومن نصب كانت مفعولاً به(٣)، أو بإضمار «أعْنِي».

الثالث: أن تجعل «ما» مصدرية، وحينئذ يجوز أن تقدر مضافاً من الأول أي أن سبب اتخاذكم أوثاناً من دون الله (مودة(٤) فيمن رفع مودة، ويجوز أن لا يقدر بل يجعل نفس الاتحاد)(٥) هو المودة مبالغة(٦) (و)(٧) في قراءة من نصب يكون الخبر محذوفاً على ما مَرَّ في الوجْهِ الأوّل.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي برفع «مَوَدَّةُ» غير منونة، وجر «بَيْنِكُمْ»(٨)، ونافع(٩) وابن(١٠) عامرٍ وأبو بكر(١١) بنصب «مَوَدَّةً» (منونة(١٢) ونصب «بَيْنَكُمْ» وحمزة وحفص(١٣) بنصب «مودَّة») غير منونة وجر بَيْنِكُمْ، فالرفع قد تقدم، والنصب أيضاً تقدم فيه وجهان. ويجوز وجه ثالث وهو أن يجعل مفعولاً ثانياً على المبالغة والإضافة للاتساع في الظرف(١٤) كقولهم: «يا سارقَ الليلةَ أهْلَ الدَّارِ» من نصبه فعلى أصله(١٥)، ونقل عن عاصم(١٦) أنه رفع «مودة» غير منونة، ونصب بينكم وخرجت إضافة «مودة» للظرف،

---

(١) التبيان ٢/ ١٠٣٠، والدر المصون ٤/ ٣٠١.

(٢) انظر: البحر المحيط ٧/ ١٤٨، ومعاني القرآن ٢/ ٣١٦، والدر المصون ٤/ ٣٠١.

(٣) التبيان ٢/ ١٠٣٠، والكشف ٢/ ١٧٨ والمشكل ٢/ ١٦٨.

(٤) التبيان ٢/ ١٠٣٠.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من ب.

(٦) انظر: البحر المحيط ٧/ ١٤٨.

(٧) ساقط من أ.

(٨) انظر: المراجع السابقة.

(٩) نافع: نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم أبو عبد الرحمن الليثي مولاهم أحد القراء السبعة والأعلام، ثقة، صالح، أخذ عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج، وأبي جعفر القارىء وغيرهما، مات سنة ١٦٩، انظر: غاية النهاية ٢/ ٣٣٠.

(١٠) ابن عامر: عبد الله بن عامر بن يزيد بن عمران اليحصبي، إمام أهل الشام في القراءة، وإليه انتهت مشيخة الإقراء بها مات سنة ١١٨ هـ، انظر: غاية النهاية في طبقات القراء ١/ ٤٢٤.

(١١) أبو بكر بن سالم الأسدي الكوفي الإمام أحد الأعلام مولى واصل الأحدب، وكان ضابطاً، اختلف في اسمه، قرأ على عاصم، وروى عن إسماعيل السدي، وأبي حصين، مات سنة ١٩٣ هـ. انظر: غاية النهاية ١/ ٣٢٥، ومعرفة القراء الكبار للذهبي ١/ ١٣٤ و١٣٨، وخلاصة الكمال للخزرجي ٤٤٥.

(١٢) ما بين المعقوفين ساقط من النسخة ب.

(١٣) حفص: هو حفص بن سليمان أبو عمرو البزاز، أخذ عن عاصم مرتفعاً إلى علي بن أبي طالب من رواية أبي عبد الرحمن السلمي، مات حفص قبل الطاعون سنة ١٣١ هـ. انظر: الفهرست لابن النديم ٤٣.

(١٤) انظر: حجة ابن خالويه ٢٨٠.

(١٥) لأنه ظرف والأصل فيه النصب، على أن مكي أجاز نصبه على أنه صفة لمودة، الكشف ٢/ ٢٧٨.

(١٦) عاصم بن بهدلة بن أبي النجود أبو بكر الأسدي مولاهم الكوفي شيخ الإقراء بالكوفة وأحد القراء=

وإنما بني لإضافته إلى غير متمكن كقراءة: «لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ»[١] بالفتح إذا جعلنا (بَيْنَكُمْ) فاعلاً، وأما «في الحياة» ففيه أوجُهٌ:

أحدها: أنه هو وبينكم متعلقان «بمودة» إذا نونت جاز تعلقها بعامل واحد لاختلافهما[٢].

الثاني: أن يتعلقا بمحذوف على أنهما صفتان[٣] لـ «المودة».

الثالث: أن يتعلق «بَيْنِكُمْ» «بِمودّة» و «في الحياة» صفة لمودة، ولا يجوز العكس لئلا يلزم إعمال المصدر الموصوف[٤]، والفرق بينه وبين الأول أن الأول عمل فيه المصدر قبل أن يوصف، وهذا عمل فيه بعد أن وصف، على أن ابن عطية جوز ذلك هو وغيره[٥]، وكأنهم اتسعوا في الظرف، **فهذا وجه رابع**.

الخامس: أن يتعلق «في الحياة» بنفس «بينكم» لأنه بمعنى الفعل، (إذ)[٦] التقدير: اجتماعكم ووصلكم[٧].

السادس: أن يكون حالاً من نفس «دينكم»[٨].

السابع: أن يكون «بيْنكم» صفة المودة[٩] و «في الحياة»، حال من الضمير المستكن فيه.

الثامن: أن يتعلق «في الحياة» «باتخذتم»[١٠] على أن يكون «ما» كافة و «مودة» منصوبة، قال أبو البقاء: لئلا يؤدي إلى الفصل بين الموصول وما في الصلة (بالخبر)[١١].

قوله[١٢]: «وقال» يعني إبراهيم «إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم»، فعلى قراءة رفع «مودة» وخفض «بينكم» بالإضافة يكون المعنى: اتخذتم من دون الله أوثاناً وهي مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم تنقطع ولا تنفع في الآخرة، ومن خفض «مودة» من غير تنوين على الإضافة لوقوع الاتخاذ عليها، ومن نصب «مودة» ونونها ونصب «بينكم»

= السبعة أخذ القراءة عرضاً عن زر بن حبيش، والسلمي وروى عنه أبان بن تغلب، وحفص، مات سنة ١٢٠ هـ. انظر: خلاصة الكمال ٣٤٧ و٣٤٩، وغاية النهاية ١/٣٤٧.

(١) [الأنعام: ٩٤]، وانظر: السبعة ٢٦٣.
(٢) انظر: البيان ٢/ ٢٤٢ و٢٤٣.
(٣) قال أبو حيان في البحر: «ويجوز أن يتعلقا بمحذوفين فيكونان في موضع الصفة» البحر ٧/١٤٨.
(٤) البيان ٢/٢٤٣.
(٥) انظر: شرح المفصل لابن يعيش ١/٤٥، والبحر ٧/١٤٩.
(٦) ساقط من ب.
(٧) انظر: التبيان ٢/ ١٠٣٢، والدر المصون ٤/٣٠٣.
(٨) المرجع السابق.
(٩) انظر: البيان ٢/٢٤٣.
(١٠) انظر: التبيان ٢/١٠٣٢، والدر المصون ٤/ ٣٠٣ وانظر في كل ما سبق المشكل ٢/٦٨، ١٧٢.
(١١) ساقط من ب.
(١٢) في ب: فصل بدل قوله.

فالمعنى: إنكم إنما اتخذتم هذه الأوثان مودة بينكم في الحياة الدنيا تتوادُّونَ على عبادتها، وتتواصلون عليها في الدنيا «ثُمَّ يَوْمَ القِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ» تتبرأ الأوثان من عبادة عابديها وتتبرأ السادة من الأتباع، ويلعن الأتباع القادة. ومأواكم النار جميعاً، العابدون والمعبودون «وما لَكُمْ مِنْ نَاصِرِين».

فإن قيل: (قال قبل هذا)[١] ومأواكم النار، وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير على لفظ الواحد.

وقال هنا: «وما لكم من ناصرين» على لفظ الجمع فما الحكمة فيه؟

فالجواب: أنهم لما أرادوا إحراق إبراهِيمَ عليه (الصلاة و)[٢] السلام، قالوا: نحن ننصر آلهتنا، كما قال تعالى (عنهم)[٣]: حَرِّقُوه وانصروا آلهتكم، فقال: أنتم ادَّعَيْتُم أن لهؤلاء ناصرينَ فما لكم كلكم أي الأوثان وعبدتهما من ناصرين، وأما هناك فلم يسبق منهم دعوى النصر فنفى الجنس بقوله: «ولا نصير».

قوله تعالى: ﴿۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَجۡرَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾

قوله تعالى: «فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ» أي صدقه، وهو أول من صدق إبراهيم، وكان ابن أخيه وقال إبراهيم: «إني مُهَاجر إلى ربي» إلى حيث أمرني ربي بالتوجه إليه من «كوثا» وهو من سواد الكوفة إلى «حران ثم إلى الشام ومعه» لوط «وامرأته» سارة «وهو أول من هاجر». وقال مقاتل: هاجر إبراهيم (عليه الصلاة والسلام)[٤] وهو ابن خَمْسٍ وسبعينَ[٥] سنةً. ثم قال: «إنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ»، عزيز يمنع أعدائي عن إيذائي بعونه، و «حكيم» لا يأمرني إلا بما يوافق الحكمة.

(فإن قيل)[٦]: قوله «فآمن له لوط» أي بعد ما رأى منه العجز القاهر، ودرجة لوط كانت عالية فبقاؤه إلى هذه الوقت مما ينقص من الدرجة، ألا ترى إلى[٧] أبي بكر - رضي الله عنه - لما قبل دين محمد - ﷺ - كان قبوله قبل الكل من غير سماع تكلم الحَصَى، ولا رُؤية انْشِقَاق القَمَر.

فالجواب: أن لوطاً لما رأى معجزته آمن برسالته، وأما بالوحدانية فآمن مِن حيث سمع مقالته، ولهذا قال: «فآمن له لوط»، ولم يقل: «فآمن لوط».

---

(١) ساقط من ب.
(٢) ساقط من ب.
(٣) ساقط من ب.
(٤) زيادة من ب.
(٥) انظر: تفسير القرطبي ١٣/٣٣٩.
(٦) ساقط من ب.
(٧) في ب: ألا ترى أن أبا بكر.

فإن[١] قيل: ما وجه تعلق قوله: «وَقَال إنِّي مُهَاجِرٌ إلَى رَبِّي» بما[٢] تقدم؟

فنقول: لما بالغ إبراهيم في الإرشاد، ولم يهتدِ قومه وحصل اليأس الكلي، ورأى القوم الآية الكبرى ولم يؤمنوا وجبت[٣] المهاجرة، لأن الهادي إذا هدى قومه ولم ينتفعوا فبقاؤه فيهم مفسد، لأنه إذا دام على الإرشاد كان اشتغالاً بما لا ينتفع في علمه، فيصير كمن يقول للحجر صدق، وهو عبث والسكوت دليل الرضا فيقال: إنه صار منا، ورضي بأفعالنا، وإذا لم يبق للإقامة وجه وجبت المهاجرة.

فإن قيل: ما الحكمة في قوله: «إنِّي مُهَاجِرٌ إلى رَبِّي» ولم يقل: «مهاجر إلى حيث أمرني ربي» مع أن المهاجرة إلى الرب توهم الجهة.

فالجواب: أن قوله «إلى حيث أمَرَنِي ربِّي» ليس في الإخلاص، كقوله: «إلَى رَبِّي» لأن الملك إذا صدر منه أمر برواح الأجناد إلى موضع ثم إن واحداً منهم عاد إلى ذلك الموضع لغرض (في)[٤] نفسه يصيبه، فقد هاجر إلى حيث أمره الملك ولكن لا مخلصاً لوجهه، وقال: «مهاجر إلى ربي» يعني: توجهي إلى الجهة المأمور بالهجرة إليها ليس طلباً للجهة، إنما طلب الله[٥].

قوله: «وَوَهَبْنَا لَهُ إسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ»، قِيلَ: إن الله لم يبعث نبياً بعد «إبراهيم» إلا من نَسْلِهِ، «وآتَيْنَاهُ أجْرَهُ فِي الدُّنْيَا» وهو الثناء الحسن، وكل الأديان يقولون به، وقال السدي: هو الولد الصالح، وقيل: إنه رأى[٦] مكانه في الجنة «وإنَّهُ في الآخرة لَمِنَ الصَّالِحِينَ» أي في زمرة الصالحين قال ابن عباس: «مثل آدم، ونوح» وفي هذه الآية لطيفة وهي أن الله تعالى بدّل جميع أحوال إبراهيم في الدنيا بأضدادها لما عذبه قومه بالنار كان وحيداً فريداً، فبدل الله وحدته بالكثرة حتى ملأ الدنيا من ذريته، ولما كانت أقاربه القريبة ضالين مضلين من جملتهم «آزر» بدل الله أقاربه بأقارب مهتدين هادين، وهم ذريته الذين جعل فيهم النبوة والكتاب، وكان أولاً لا جاه له، ولا مال، وهم غاية اللذة في الدنيا آتاه الله أجره في المال والجاه وكثر ماله حتى كان له من المواشي ما علم الله عدَدَهُ حتى قيل: إنه كان له اثنا عشر ألف كلبِ حارس بأطواق ذهب وأما الجاه فصار (بحيث تقرن)[٧] الصلاة عليه بالصلاة على سائر الأنبياء إلى يوم القيامة، وصار معروفاً وشيخ المرسلين بعد أن كان خاملاً حتى قال قائلهم: «سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إبْرَاهِيمُ»[٨]، وهذا الكلام لا يقال إلا في مخمول من الناس.

فإن قيل: إنَّ إسماعيلَ كان من أولاده الصالحين (وكان قد)[٩] سلم لأمر الله بالذبح، وانْقَادَ لحكم الله ولم يذكر.

---

(١) في ب: فصل بدلاً من «فإن قيل».
(٢) في ب: مما تقدم.
(٣) في ب: وجب بالتذكير.
(٤) زيادة يقتضيها السياق.
(٥) انظر: الفخر الرازي ٢٥/٥٥.
(٦) الكشاف ٣/٢٠٣، والبحر المحيط ٧/١٤٨.
(٧) ساقط من ب.
(٨) الأنبياء: ٦٠
(٩) ساقط من أ.

فالجواب: هو مذكور في قوله: «وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ» (و)[١] لكن لم يصرح باسْمِهِ؛ لأنه كان بين فضله معه بهبته الأولاد والأحفاد، فذكر من الأولاد واحداً وهو الأكبر، ومن الأحفاد واحداً كما يقول القائل: إن السلطان في خدمته الملوك والأمراء، والملك الفلاني، والأمير الفلاني، ولا يعدد الكل لأنه ذكر ذلك الواحد لبيان الجنس لا لخصوصه، ولولا ذكر غيره لفهم منه التعديد، واستيعاب الكل فيُظَنّ أنه ليس معه غير المذكور.

فإن قيل: إن الله تعالى لما جعل في ذريته النبوة أجابه لدعائه، والوالد يجب أن يسوي بين ولده فكيف صارت النبوة في ولد «إسحاق» أكثر من النبوة في أولاد إسماعيل؟

فالجواب: أن الله تعالى قسم الزمان من وقت إبراهيم إلى (يوم)[٢] القيامة قسمين والناس أجمعين، فالقِسْم الأول من الزمان بعث الله تعالى (فيه)[٢] أنبياء فيهم فضائلُ جمّة، وجاءوا تترى واحداً بعد واحد، ومجتمعين في عصر واحد كلهم من ورثة إسحاق عليه السلام[٣]، (ثم في القسم الثاني من الزمان أخرج من ذرية ولده إسماعيل واحداً اجتمع فيه ما كان فيهم وأرسله إلى كافة الخلق وهو محمد عليه السلام)[٤] وجعله خاتم النبيين، وقد دام الخلق على دين إسماعيل أكثر من أربعة آلاف سنة، ولا[٥] يَبْعُدُ أن يبقى الخلق على دين ذرية إسماعيل مثل ذلك المقدار.

قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾﴾

قوله تعالى: «وَلوطاً» إعرابه كإعراب إبراهيم[٦] «إذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَئِنَّكُمْ» قرأ أبو عمرو، وحمزة والكسائي وأبو بكر «أَئِنَّكُم» بالاستفهام[٧]، وقرأ الباقون[٨] بلا استفهام، واتفقوا على استفهام الثانية «لَتَأْتُونَ الفاحشة» وهو إتيان الرجال، «مَا سَبَقَكُمْ بها» يجوز

---

(١) ساقط من ب. (٢) ساقط من ب.

(٣) انظر: التفسير الكبير للفخر الرازي ٢٥/ ٥٥، ٥٦.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من ب. (٥) في ب: ولم يبعد «بلم الجازمة».

(٦) تقدم أن إعراب «إبراهيم» النصب عطفاً على «نوحاً» أو بإضمار «اذكر» أو عطفاً على «هاء» أنجيناه أو الرفع على الابتداء وتقدير الخبر أي «ومن المرسلين إبراهيم» وعلى ذلك فكلمة «لوط» يجوز أن تعرب بالنصب، أو الرفع، بالنصب عطفاً على «إبراهيم»، أو بإضمار اذكر، والرفع على الابتداء وتقدير الخبر.

(٧) انظر: السبعة لابن مجاهد ٥٠٠، والحجة لابن خالويه ٢٨٠، والنشر ٢/ ٣٤٣، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/ ٢٥٥.

(٨) وهم ابن كثير، ونافع، وابن عامر وحفص عن عاصم وكان ابن كثير يستفهم بغير مد، وحفص عن=

أن تكون[١] استئنافية جواباً لمن سأل عن ذلك وأن تكون حالية أي مبتدعين لها[٢].

فإن قيل: قال إبراهيم لقومه: «اعْبُدُوا اللَّهَ»، وقال لوطٌ لقومه هاهنا: «أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الفاحشة» ولم يأمرهم بالتوحيد، فما الحكمة؟

فالجواب: أنه لما ذكر الله لوطاً عند ذكر إبراهيم كان لوط في زمن إبراهيم فلم يذكر عن لوط أنه أمر قومه بالتوحيد مع أن الرسول لا بدّ أن يقول ذلك فحكاية لوط وغيرها هاهنا ذكرها الله على سبيل الاخْتِصَار فاقتصر على ما اختص به لوط وهو المنع من الفاحشة، ولم يذكر عنه الأمر بالتوحيد، وإن كان قاله في موضع آخر حيث قال: «اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِه»[٣]؛ لأن ذلك قد أتى به إبراهيم، وسبقه فصار كالمختصِّ به، وأما المنعُ من عمل قوم «لوط» فكان مختصاً «بلوط» فذكر كل واحد بما اختص به، وسبق به غَيْرَهُ.

فصل

دلت الآية على وجوب الحد في اللّواطة، لأنه سماها فاحشةً، وقد ثبت أن إتيان الفاحشة يوجب الحدّ، وأيضاً أن الله تعالى جعل عذاب من أتاها إمطارَ الحجارة عليه عاجلاً وهو الرَّجْمُ. وتقدم الكلام على قوله: «مَا سَبَقَكُمْ بها مِنْ أَحَدٍ»[٤].

قوله: «أئنكم لتأتون الرجال وتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ»، قيل: كانوا يفعلون[٥] الفاحشة بمن يمرّ بهم من المسافرين فترك الناس الممرّ بهم، وقيل: يقطعون سبيل النسل بإتيان الرجال[٦]، كقوله: «أَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاء»[٧]، «وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُم الْمُنْكَرَ» قال أبو العباس المَقّرِيّ[٨]: ورد لفظ النادي في القرآن بإزاء معنيين:

الأول: النادي مجلس القوم المحدد[٩] فيه لهذه الآية.

والثاني: بمعنى الناصر، كقوله تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ﴾ [العلق: ١٧]، أي ناصره يعني أبا جهل.

= عاصم يهمز همزتين، ويروى عن نافع المد واتفقوا جميعهم على الاستفهام في «أئنكم» الثانية، انظر: السبعة لابن مجاهد ٤٩٩، والإتحاف ٣٤٥.

(١) انظر: الكشاف ٣/ ٢٠٤ فقد جعلها مستأنفة مقررة لفاحشة تلك الفعلة.

(٢) ذكره في البحر المحيط ٧/١٤٩.

(٣) هود: ٦١.

(٤) الأعراف: ٨٠.

(٥) حكاه ابن شجرة، انظر: القرطبي ١٣/ ٣٤١.

(٦) قاله وهب بن منبه، وانظر: المرجع السابق.

(٧) [الأعراف: ٨١]، و [النمل: ٥٥]، وتصحيحها «إنكم لتأتون» و «أئنكم لتأتون».

(٨) أبو العباس المقري: أحمد بن عبد الله بن عيسى بن موسى الهاشمي أبو العباس المقري، قرأ على محمد بن أبي عمر الدوري، وعليه محمد بن محمد بن فيروز. انظر: غاية النهاية ١/ ٧٤.

(٩) في ب: المتحدث فيه وهو الصواب.

واعلم أن النادي (والنَّديّ)[١] والمُنْتَدَى مجلس القوم ومُتَحَدَّثُهُمْ، روى أبو صالح[٢] مولى أُمِّ هانىء بنت[٣] أبي طالب قالت: سألت رسول الله ـ ﷺ ـ عن قوله: «وتأتون في ناديكم المنكر» قلت: ما المنكر الذي كانوا يأتون؟ قال: كانوا يخذُفُونَ أهلَ الطرق، ويسخرون منهم[٤].

وروي أنهم كانوا يجلسون في مجالسهم وعند كل رجل منهم قصعة فيها حصًى، فإذا مرّ بهم عابر[٥] سبيل حذفُوه فأيهم أصابه كان أولى به. وقيل: إنه كان يأخذ ما معه وينكحه ويغرمه ثلاثةَ دراهم، ولهم قاضي بذلك، وقال القاسم بن محمد[٦]: كانوا يتضارطون في مجالسهم[٧].

وقال مجاهد: كان يجامع بعضهم بعضاً في مجالسهم[٨]. وعن عبد الله بن سلام: يَبْزُقُ بعضُهم على بَعْض[٩]. وعن مكحول[١٠] قال: من أخلاق قوم لوط مضغ العِلْكِ[١١]، وتطريق الأصابع بالحِنَّاء، وحل الإزار، والصَّفِيرُ، والخَذْفُ[١٢]، واللُّوطِيَّةُ.

(قوله)[١٣]: «فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ»، لما أنكر عليهم «لوط» ما يأتون به من القبائح

---

(١) ساقط من ب.

(٢) أبو صالح: هو باذام، ويقال: باذان، وكان لا يحسن أن يقرأ القرآن، كان الشعبي يراه فيقعده ويقول له: تفسر القرآن ولا تحسن أن تقرأه نظراً. انظر: المعارف لابن قتيبة ٤٧٩.

(٣) اختلف في اسمها فمن قائل إنها فاضة، ومن قائل إنها هند لها ستة وأربعون حديثاً، اتفق البخاري ومسلم على حديث وعنها ابن ابنها جعدة، ومولاها أبو مرة، وكرير، أسلمت يوم الفتح. انظر: خلاصة الكمال ٥٠٠.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير ٣/ ٤١١ و٤١٢. وقد أخرج هذا الحديث أبو داود الطّيالسي في مسنده. وانظر: تفسير القرطبي ١٣/ ٣٤٢.

(٥) ذكر الثعلبي هذه الرواية نقلاً عن رسول الله ـ ﷺ ـ انظر: القرطبي ١٣/ ٣٤٢.

(٦) القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق التّيميّ أبو محمد المدني، أحد الفقهاء السبعة، وأحد الأعلام كان ثقة عالماً كبيراً، مات سنة ١٠٦ هـ. انظر: خلاصة الكمال ٣١٣.

(٧) انظر: القرطبي ١٣/ ٣٤٢. (٨) المرجع السابق.

(٩) انظر: القرطبي ١٣/ ٣٤٢. وعبد الله بن سلام بن الحرث الإسرائيلي اليوسفي أبو يوسف أسلم وشهد فتح بيت المقدس، حدث عنه أبو هريرة، وأنس، مات سنة ٤٣ بالمدينة. انظر: خلاصة الكمال ٢٠٠.

(١٠) مكحول الدِّمشقيّ عن كثير من الصحابة مرسلاً. عن واثلة، وأنس، وعنه أيوب بن موسى، وزيد بن واقد والأوزاعي، كان عالماً كبيراً، مات سنة ١١٣ هـ. انظر: خلاصة الكمال ٣٨٧.

(١١) قال ابن منظور في اللسان «والعلك ضرب من صمغ الشجر كاللُّبان، يمضغ فلا ينماع، والجمع علوكٌ، وأعلاك». ثم قال: «والعلك والعلاك: شجرٌ ينبت بالحجاز» وانظر: اللسان دار المعارف ٣٠٧٧ «علك».

(١٢) الخذف: هو الرمي بالحصا أو نواة تؤخذ بين السَّبَّابتين، انظر: اللسان دار المعارف ١١٧٨ «خذف» وانظر: رأي مكحول هذا في القرطبي ١٣/ ٣٤٢.

(١٣) ساقط من أ.

إلا أَنْ قَالُوا له استهزاء «ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ» أن العذاب نازل بنا فعند ذلك قال لوط: «رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى القَوْمِ المُفْسِدِينَ» بتحقيق قولي في العذاب.

فإن قيلَ: قال قوم «إبراهيم» اقتلوه أو حرّقوه، وقال قوم لوط «ائتنا بعذاب الله» وما هددوه (مع)[١] أن «إِبْرَاهِيمَ» كان أعظم من «لوط» فإن لوطاً كان من قومه.

فالجوابُ: أن إبراهيم كان يقدح في دينهم ويشتم آلهتهم ويعدد صفات نقصهم بقوله: «لا تُبْصِرُ، ولا تَسْمَع ولا تَنْفَعُ، ولا تُغْنِي» والقدح في الدين صعب، فجعلوا جزاءه القتل والتحريق[٢]، ولوط كان ينكر عليهم فعلهم، وينبههم إلى ارتكاب التحريم وهم ما كانوا يقولون إن هذا واجب من الدين فلم يصعب عليهم مثل ما صعب على قوم إبراهيم كلام إبراهيم وقالوا[٣]: إنك تقول: إن هذا حرام والله يعذب عليه ونحن نقول: لا نعذب[٤] فإن كنت صادقاً فأتِنا بالعذابِ.

فإن قيل: إن الله[٥] قال في موضع آخر: «فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ»[٦].

وقال هنا: «فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا» فكيف الجمع؟

فالجوابُ: أن لوطاً كان ثابتاً[٧] على الإرشاد مكرراً على النهي والوعيد فقالوا (أولاً)[٨] ائتنا (ثم)[٩] لما كثر منه ولم يسكت عنهم قالوا: «أخرجوا». ثم إنَّ لوطاً لما يَئِسَ منهم طلب النُّصْرَةَ من الله وذكرهم بما لا يحب الله فقال «رب انصرني على القوم المفسدين» (فإن الله لا يحب المفسدين)[١٠] حتى يُنْجِزَ النَّصْرَ[١١].

واعلم أن كُلَّ نبي من الأنبياء ما طلب[١٢] هلاكَ قَوْمه إلا إذا علم أن عدمَهُمْ خيرٌ من وجودهم، كما قال نوحٌ «إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلاَ يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِراً كَفَّاراً»[١٣]، يعني: أن المصلحة إما أن تكون فيهم حالاً، أو بسببها مآلاً ولا مصلحة فيهما، فإنهم ضالون في الحال وفي المآل فإنهم يوصون أولادهم من صغرهم بالامتناع عن الأتباع وكذلك لوط لما رأى أنهم يفسدون في الحال، واشتغلوا بما لا يُرْجَى منهم ولد صالح يعبد الله فطلب المصلحة حالاً ومآلاً، فعدمهم صار خيراً، وطلب العذاب.

---

(١) ساقط من ب.
(٢) في ب: بالتحريق.
(٣) في ب: فقالوا.
(٤) في ب: يعذب عليه.
(٥) في ب: «إن الله تعالى».
(٦) النمل: ٥٦.
(٧) في ب: تاماً.
(٨) ساقط من ب وفيها «فقال ائتنا».
(٩) ساقط من ب.
(١٠) تكملة يقتضيها السياق من الفخر الرازي.
(١١) انظر: التفسير الكبير للفخر الرازي ٢٥/٥٩.
(١٢) في ب: يطلب بالمضارعة.
(١٣) نوح: ٢٧.

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ (٣١) قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٣٢) وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٣٣) إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٣٤) وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٣٥)﴾

قوله (تعالى)[١]: «وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى» من الله بإسحاقَ ويعقوبَ «قَالَوُا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هذِهِ القَرْيَةِ» يعني قوم لوطٍ «إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ». «قَالَ» إبْراهيم «إنَّ فِيهَا لُوطاً»، قالت الملائكة: «نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا» ويأتي بقية الكلام على ذلك.

قوله: «ولمّا أنْ جَاءَتْ» تقدم[٢] نظيرها إلا أن هنا زيدت «أن» وهو مطّرد[٣] تأكيداً.

اعلم أنه لما دعا لوطٌ على قومه بقوله: «رب انصرني» استجاب الله دعاءه، وأمره ملائكته بإهلاكهم وأرسلهم مبشرين ومنذرين فجاءوا إبراهيم وبشَّرُوه بذريةٍ طيبة وقالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية يعني أهل سَدُومَ.

وفي الآية لطيفتانِ:

«**إحداهما**»: أن الله جعلهم مبشرين ومنذرين لكن البشارة إثْرَ الرحمة والإنذار بالهلاك إثْرَ الغضب، ورحمته سبقت غضبه فقدم البشارة على الإنذار، وقال: «جَاءَتْ رُسُلُنا إبْرَاهِيمَ بالبُشْرَى» ثم قال[٤]: «إنَّا مُهْلِكُوا»، «**الثانية**»: حين ذكروا البشرى ما هلكوا[٥] وقالوا: إنا نبشرك بأنك رسول، أو لأنك مؤمن أو لأنك عادل، وحين ذكروا الإهلاك هَلَكُوا، وقالوا: إن أهلها كانوا ظالمين لأن ذا الفضل لا يكون فضله بعوض، والعادل لا يكون عذابه إلا على جُرْمٍ.

فإن قيل: قال في قوم نوح: «فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ» (وقيل: إن ذلك إشارة إلى أنهم كانوا على ظلمهم حين أخذهم ولم يقل: وهم ظَالِمُونَ)[٦].

فالجواب: لا فرق في الموضعين في كونهما مُهْلَكِينَ وهم مصرّون على الظلم لكن هناك الإخبار من الله عن الماضي حيث قال: «فأخذهم» وهم عند الوقوع في العذاب

---

(١) تكملة من ب.
(٢) يقصد [هود: ٧٧] وهي ﴿**ولمّا جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم وضاق بهم ذرعاً وقال هذا يومٌ عصيبٌ**﴾.
(٣) انظر البحر المحيط ٧/ ١٥٠، والكشاف ٣/ ٢٠٥، والمغني ١/ ٣٤، ٣٥.
(٤) في ب: قالوا بالجمع.
(٥) في كلتا النسختين «هلكوا» والصواب الذي يقتضيه السياق والمعنى: عللوا.
(٦) ما بين المعقوفين ساقط من ب.

ظالمون وهاهنا الإخبار من الملائكة عن المستقبل حيث قالوا: إنا مهلكوا أهل هذه القرية، والملائكة ذكروا ما يحتاجون[١] إليه في (إبانة) حسن الأمر من الله بالإهلاك فقالوا: «إنا مُهْلِكُوا أَهْلِ هَذِهِ القَرِيَةِ»؛ لأن الله أمرنا، وحال (ما)[٢] أمرنا كانُوا ظالمين فحسن أمر الله عند كل أحد وأما نحن فلا تخبر بما لا حاجة لنا إليه فإن الكلام في[٣] الملك بغيْر إذْنِهِ سوءُ أدبٍ فنحن ما احتجنا إلا إلى هذه القَدْر وهو أنهم كانوا ظالمين في وقتنا هذا، وكونهم يَبْقَونَ كذلك فلا حاجة لنا إليه، ثم إن إبراهيم لما سمع كلامهم قال لهم: «إنَّ فِيهَا لُوطاً» إشفاقاً عليه لِيعْلم حاله[٤]، قالت الملائكة: «نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ» قرأ حمزة والكسائيّ ويعقوبُ[٥] «لَنُنْجِيَنهُ» ـ بالتخفيف[٦]، وقرأ الآخرون بالتشديد «وأهْلَهُ إلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الغَابِرِينَ» أي الباقين في العذاب. وفي استعمال الغابر في المهلك وجهان؛ لأن الغابر لفظ مشترك[٧] في الماضي، وفي الباقي يقال: فِيمَا غَبَرَ من الزَّمَانِ أي فيما مضى وقال عليه (الصلاة و)[٨] السلام لما سئل عن الماء من السباع فقال: «ولنا ماءٌ غير[٩] طهور» أي بقي فعلى الأول إن ذكر الظالمين سبق في قولهم: إنا مهلكوا أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين، ثم جرى (ذكر)[١٠] لوط. وقول الملائكة: إنها من الغابرين أي الماضين ذكرهم لا من الذين نَحْنُ مِنْهُمْ، أو نقول المهلك يفنى بمضي[١١] زمانه، والناجي هو الباقي، (فـ)[١٢] قالوا «إنها من الغابرين» أي من الرائحين الماضين، لا من الباقين المستمرِّينَ وأما على الثاني لما قضى الله على القوم بالهلاك كان الكل في الهلاك إلا من ينجى منه[١٣]، فقالوا: إنا نُنَجِّي لوطاً وأهله، وأما امْرَأَتُهُ فهي من الباقين في الهَلاَكِ.

قوله: «وَلَمَّا (أنْ)[١٤] جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطاً» أي إنهم من عند إبراهيم جاءوا إلى لوط على صورة البشر فظنهم بشراً فخاف عليهم من قومه لأنهم كانوا في أحسن صورة والقوم كما عرف حالهم «سِيءَ بِهِمْ» أي جاءه ما ساءه وخاف، ثم عجز عن تدبيرهم[١٥] فحزن «وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً» كناية عن العجز في تدبيرهم قال الزمخشري: يقال: طال ذَرْعُهُ وذراعه للقادر، وضاق للعاجز، وذلك لأن من طال ذراعه يصل إلى ما لا يصل إليه قصير الذراع والاستعمال يحتمل وجهاً آخر معقولاً وهو أن الخوف والحزن يوجبان انقباض الروح،

---

(١) انظر الرازي ٢٥/٥٩، ٦٠.
(٢) ساقط من ب.
(٣) في ب: عن الملك.
(٤) في ب: ليعلموا حاله.
(٥) تقدم.
(٦) انظر: حجة ابن خالويه ٢٨٠ والسبعة ٥٠٠.
(٧) يشترك في ب.
(٨) ساقط من ب.
(٩) أخرجه ابن ماجه في الطهارة وسننها (١/ ١٧٣) عن أبي سعيد الخدري.
(١٠) في ب: جرى قوم لوط.
(١١) في ب: يبقى ويمضي.
(١٢) ساقط من ب.
(١٣) في ب» منهم.
(١٤) ساقط من ب.
(١٥) في ب: تذكيرهم.

ويتبعه اشتمال القلب عليه فينقبض هو أيضاً والقلب[١] هو المعتبر من الإنسان فكأن الإنسان انقبض وانجمع وما يكون كذلك يقل[٢] ذرعه ومساحته فيضيق، ويُقَال في[٣] الحزين ضاق ذَرْعُهُ والغضب والفرح يوجبان[٤] انبساط الرُّوحِ فيبسط[٥] مكانه وهو القلب، ويتسع فيقال: طال ذرْعه، ثم إن الملائكة لما رأوا أول الأمر، وحزنه بسبب تدبيرهم في ثاني الأمر قالوا: لا تخف من قومك علينا ولا تحزن بإهلاكنا إياهم «إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ»، وإنا منزلون عليهم العذاب حتى يتبين له أنهم ملائكة فيطول ذرعه بطول رَوْعه.

قوله: «إِنَّا مُنَجُّوكَ» في الكاف وما أشبهها مذهبان، مذهب سيبويه: أنها في محل جر، ومذهب الأخفش وهِشام أنها في محل نصب. وحذف النون والتنوين لشدة اتّصال الضَّمير.

وقد تقدمت قراءتا التخفيف والتثقيل في «لننجينه» مُنَجُّوك «في الحِجْرِ».

قوله: «إِنَّا مُنْزِلُونَ»، قرأ ابن عامر بالتشديد، والآخرون بالتخفيف، وقرأ ابن مُحَيْصِن «رُجزاً» بضم الراء، والأعمش وأبو حيوة «يَفْسِقُونَ» بالكسر.

(فإن قيل)[٦]: قال هنا: «إِنَّا مُنَجُّوكَ» وقال لإبراهيم: «لَنُنَجِّيَنَّهُ» ـ بصيغة الفعل فما الحكمة؟

فالجواب: ما من حرف ولا حركة في القرآن إلا وفيه فائدة، ثم إن العقول البشرية تدرك بعضها، ولا تصل إلى أكثرها، وما أوتي البشر من العلم إلا القليل[٧]، والذي يظهر (هاهنا)[٨] أن هناك لما قال لهم إبراهيم: «إِنَّ فِيهَا لُوطاً» وعدوه بالتنجية ووعد الكريم حتم، وهاهنا لما قالوا للوط وكان ذلك بعد سبق الوعد مرة (قالوا)[٩] إِنَّا مُنَجُّوكَ أي ذلك واقع منا كقوله تعالى: «إِنَّكَ مَيِّتٌ»[١٠] لضرورة وقوعه.

فإن قيل: ما مناسبة[١١] قوله: «إنا منجوك» لقوله: «لا تَخَفْ وَلاَ تَحْزَنْ» فإن[١٢] خوفه ما كان على نفسه.

فالجواب: أن لوطاً لما خاف عليهم وحزن لأجلهم قالوا: لا تخف علينا ولا تحزن لأجلنا فإنّنا ملائكة. ثم قالوا له يا لوط[١٣] خفت علينا وحزنت لأجلنا ففي مقابلة خوفك وقت الخوف نزيل خوفك وننجيك وفي مقابل حزنك نزيل حزنك[١٤]، ولا نتركك تفجع في أهلك، فقالوا: «إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ».

---

(١) في ب: والقبض هو المعتبر.
(٢) في ب: يصل وهو تحريف.
(٣) في ب: في آخرين.
(٤) في ب: موجبان.
(٥) في ب: يبسط.
(٦) ساقط من ب.
(٧) في ب: إلا قليلاً.
(٨) ساقط من ب.
(٩) سقط من ب.
(١٠) الزمر: ٣٠.
(١١) في ب: ما معنى قوله.
(١٢) في ب: وإن خوفه.
(١٣) في ب: إنا لوط. وهو تحريف.
(١٤) ما في أ هو الصواب ـ كما في تفسير الفخر الرازي. وما في ب: ففي مقابلة خوفك علينا وحزنك لأجلنا وقت الحزن يزول خوفك، وننجيك، وفي مقابلة حزنك.

فإن قيل: القوم عذبوا بسبب ما صدر منهم من الفاحشة وامرأته لم يصدر منها ذلك. فكيف كانت من الغابرين معهم؟

فالجواب: أن الدالّ على الشر كفاعل الشر كما أن الدال على الخير كفاعله[١]، وهي كانت تدل القوم على ضيوف لوط حتى كانوا يقصدونهم فبالدلالة[٢] صارت كأحدهم، ثم إنهم بعد بشارة «لوط» بالتنجية ذكروا أنهم مُنْزِلُونَ على أهل هذه القرية العذاب[٣].

واختلفوا في ذلك، فقيل: حجارة، وقيل: نار، وقيل: خَسْف، وعلى هذا يكون قولهم: «رِجْزاً مِنَ السَّمَاءِ» بمعنى أن الأمر من السماء بالخسف والقضاء به من السماء، واعلم أن كلام الملائكة مع لوط جرى على (نمط)[٤] كلامهم مع إبراهيم، فقدموا البشارة على إنزال العذاب، فقالوا: «إنا منجوك» ثم قالوا: «إنا مُنْزِلُونَ» ولم يعللوا التنجية، فلم يقولوا: إنا منجوك لأنك نبي أو عابدٌ، وعللوا الإهلاك، فقالوا: «بما كانوا يفسقون» كقولهم هناك: «إنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ».

قوله: «ولَقَد تَرَكْنَا منها آيَةً» فيها وجهان:

أحدهما: أن بعضها «باقٍ» وهو آية باقية إلى اليوم، والمعنى تركنا من قريات (قوم)[٥] لوط آية بيّنة عبرة ظاهرة.

الثاني: أن «من» مزيدة، وإليه نحا الفراء[٦] أي تركناها آية كقوله:

٤٠٢٩ ـ أَمْـهَـرْتُ مِـنْـهَـا جُـبَّـةً وَتَـيْـسَـا[٧]

أي أمهرتها، وهذا يجيء على رأي الأخفش، أي ولقد تركنا القرية. والقرية معلومة، وفيها الماء الأسود وهي بين القدس والكرك.

فإن قيل: كيف جعل الآية في «نوح» و «إبراهيم» بالنجاة[٨] فقال: «فَأَنْجَيْنَاهُ وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين». وقال: «فأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ (إنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ)»، وجعل ههنا الهلاك آية؟

---

(١) في ب: فالجواب أن الدال على الخير كفاعله والدال على الشر كفاعله.

(٢) في ب: فالدلالة. وهو تحريف. (٣) في ب: بدل العذاب «رجزاً من السَّماء».

(٤) ساقط من ب. (٥) زائد فيهما وهو خطأ.

(٦) لم يذكر الفراء شيئاً عن هذه اللفظة «من» في سورة العنكبوت عند تعرضه لتلك السورة وتفسير معانيها. انظر المعاني ٢/ ٣١٤، ٣١٧.

(٧) رجز مجهول قائله، والجبة: نوع من الثياب معروف، والتَّيس: ذكر الماعز والظباء، ومعناه: أنه ساق مهرها هذين الشيئين. والشاهد فيه قوله: «فأمهرت منها» لأن المعنى: فأمهرتها وهذا على قياس رأي الأخفش لأنه ارتأى أن تراد «من» في المثبت أو الموجب، وانظر: شرح الجمل ١/ ٤٨٦، والدر المصون ٤/ ٣٠٤.

(٨) في ب: النجاة.

فالجواب: أن الآية في إبراهيم كانت في النجاة لأن في ذلك الوقت لم يكن إهلاك[١]، وأما في نوح فلأن الإنجاء من الطوفان الذي على أعلى[٢] الجبال بأسرها أمر عجيب إلهي وما به النجاة وهو السفينة كان باقياً، والغَرَقُ لم يبق لمن بعده أثره[٣]، فجعل الباقي آية، وأما ههنا فنجاة «لوط» لم يكن بأمر يبقى أثره للحس والهلاك أثره محسوس في البلاد، فجعل الآية ههنا البلاد، وهناك السفينة، وهنا لطيفة وهي أن الله تعالى آية قدره[٤] موجودة في الإنجاء والإهلاك، فذكر من كل باب آية، وقدم آيات الإنجاء لأنها أثر الرحمة، وأخر آيات الإهلاك لأنها أثر الغضب، ورحمته سابقة.

فإن قيل: ما الحكمة في قوله في السفينة «جعلناها آية»، ولم يقل بينة وقال ههنا آية بينة؟

فالجواب: أنّ الإنجاء بالسفينة أمر يسع له كل العقل[٥] وقد يقع في ذهن جاهل أن الإنجاء لا يفتقر إلى أمر آخرَ، وأما الآية ههنا الخَسْفُ، وجعل ديارهم المعمورة عاليها سافلها، وهو ليس بمعتاد وإنما ذلك بإرادة قادر مخصصة[٦] بمكان دون مكان وفي زمان دون زمان فهي بينة لا يمكن لجاهل[٧] أن يقول هذا أمر يكون كذلك، وكان[٨] له أن يقول في السفينة أمرها يكون كذلك، فيقال له: فلو دام الماء حتى ينفد زادهم كيف كان حصل[٩] لهم النجاة؟ ولو سلط الله عليهم الريح العاصفة، وكيف تكون أحوالهم[١٠]؟

فإن قيل: ما الحكمة في قوله هناك: «لِلْعَالَمِينَ»، وفي قوله ههنا: «لِقَوْم يَعْقِلُونَ»؟

فالجواب: أن السفينة (موجودة)[١١] معلومة في جميع أقطار العالم فعند كل قوم مثال السفينة يتذكرون[١٢] بها حالة نوح، وإذا ركبوها يطلبون من الله النجاة، فلا[١٣] يثق أحدٌ بمجرد السفينة، بل يكون دائماً مرتجف القلب متضرعاً إلى الله تعالى طالباً النجاة[١٤]، وأما أثر الهلاك في بلاد لوط ففي موضع مخصوص لا يطلع عليها إلا من مرّ بها[١٥]، ويصل إليها[١٦] ويكون له عقل يعلم أن ذلك من الله فإرادته[١٧] بسبب اختصاصه بمكان دون مكان ووجوده في زمان دون زمان، قال ابن عباس: الآية البينة: آثار منازلهم الخربة[١٨]. وقال قتادة: هي الحجارة[١٩] التي أهلكوا بها أبقاها الله (تعالى)[٢٠] حتى

---

(١) في ب: هلاك.
(٢) في ب: من علا.
(٣) في ب: له بعده أثر.
(٤) في ب: قدرته.
(٥) في ب: عقل بدون أل.
(٦) في ب: يخصصه.
(٧) في ب: الجاهل.
(٨) في ب: كان بدون واو.
(٩) في ب: يحصل.
(١٠) في ب: احتمالهم.
(١١) ساقط من ب.
(١٢) في ب: يتكلمون.
(١٣) في ب: ولا.
(١٤) في ب: طالب النجاة.
(١٥) في ب: يمر به.
(١٦) في ب: إليه.
(١٧) في ب: وإرادته بالواو.
(١٨) انظر: القرطبي ١٣/٣٤٣.
(١٩) وهذا رأي أبي العالية أيضاً، انظر: القرطبي ١٣/٣٤٣.
(٢٠) ساقط من ب.

أدركها أوائل هذه الأمة. وقال مجاهد: هي ظهور الماء الأسود على وجه[١] الأرض.

قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾﴾

قوله تعالى: «وإِلَى مَدْيَنَ» أي وأرسلنا، أو بعثنا إلى مدين أخاهم «شعيباً» بدل، أو بيان، أو بإضمار: أعني[٢]، قيل: مدين: اسم رجل في الأصل وجهل وله ذرية فاشتهر في القبيلة، كتَمِيم، وقيسٍ وغيرهما، وقيل: اسم ما نسب القوم[٣] إليه فاشتهر في القوم، والأول أظهر، لأن الله تعالى أضافه[٤] إلى مدين بقوله: «وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ» ولو كان اسم الماء لكانت الإضافة غير صحيحة أو غير حقيقية فالأصل في الإضافة التغاير حقيقة[٥] وقوله: «أخاهم»، قيل: لأن شعيباً كان منهم نسباً.

فإن قيل: قال الله (تعالى)[٦] في «نوح»: «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ» فقدم[٧] نوحاً في الذِّكْرِ وعرف القوم بالإضافة إليه وكذلك في إبراهيم، ولوط، وههنا ذكر القوم أولاً، وأضاف إليهم أخاهم «شعيباً» فما الحكمة؟

فالجواب: أن الأصل في الجميع أن يذكر القوم ثم يذكر رسولهم[٨] لأن الرسل لا تبعث إلا[٩] غير معينين، وإنما تبعث الرسل إلى قوم محتاجين إلى الرسل فيرسل إليهم من يختاره[١٠]، غير أن قوم نوح وإبراهيم ولوط لم يكن لهم[١١] اسم خاص، ولا نسبة مخصوصة يعرفون بها، فعرفوا بالنبي، فقيل: قوم نوح، وقوم لوط، وأما قوم «شعيب» و «هود» و «صالح» فكان لهم نسبٌ معلوم اشتهروا به عند الناس فجرى الكلام على أصله، وقال[١٢] الله: «وإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً»، «وإلى عاد أخاهم هوداً» فإن قيل: لم يذكر عن «لوط» أنه أمرِ قومه بالعبادة والتوحيد، وذكر عن شعيب ذلك.

فالجواب قد تقدم وهو أن «لوطاً» كان من قوم «إِبْرَاهِيمَ»، وفي زمانه، وكان

---

(١) المرجع السابق.

(٢) انظر: البيان ٢/ ٢٤٤، والدر المصون للسمين ٤/ ٣٠٤، وقد أعرب أبو البقاء «شعيباً» معطوفاً على «نوحاً»، انظر: التبيان ٢/ ١٠٣٣.

(٣) في ب: الماء.

(٤) في ب: أضاف بدون ضمير.

(٥) فهي لغة مطلق الإسناد، واصطلاحاً: إسناد اسم آخر على تنزيل الاسم الثاني من الأول منزلة تنوينه، أو ما يقوم مقام التنوين في تمام الكلمة، أو هي نسبة تقييدية بين اسمين تقتضي أن يكون ثانيهما مجروراً فالنسبة هي الإسناد والحكم، ومعنى هذا كله أن هناك تغايراً وفرقاً بين كلمتين.

(٦) ساقط من أ.

(٧) في ب: قدم.

(٨) في ب: رسولاً لهم.

(٩) في ب: إلى غير معينين.

(١٠) في ب: اختاره.

(١١) في ب: ولم يكن.

(١٢) في ب: فقال.

إبْراهيمُ سبقه بذلك، واجتهد فيه حتى اشتهر الأمر بالتوحيد عند[1] الخلق عن «إبراهيم» فلم يحتج[2] «لوطٌ» إلى ذكره، وإنما ذكر ما اختص به من المنع من الفاحشة وغيرها، وإن كان هو بدأ يأمر بالتوحيد، (إذ ما من رسول إلا ويكون أكثر كلاماً في التوحيد، وأما «شعيب» فكان بعد انقراض ذلك الزمان، وذلك القوم، فكان هو أصلاً في التوحيد)[3] فبدأ به وقال[4] اعبدوا الله.

قوله: «وارجوا اليوم الآخر»، قال الزمخشري[5]: معناه افعلوا فعل من يَرْجُو اليومَ الآخر؛ إذ يقول القائل لغيره: كن عاقلاً ويكون معناه افعل فعل من يكون عاقلاً، فقوله: «وارْجُوا الْيَوْمَ الآخِرَ» بعد قوله: «واعْبُدُوا اللَّهَ» يدل علي التفضل لا على الوجوب.

قوله: «وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ»، تقدم الكلام عليه[6]، ونصب «مفسدين» على المصدر، كقول القائل: اجلس قعوداً.

قوله: «فكذبوه فأخذتهم الرجفة».

فإن قيل: (ما الحكمة)[7] فيما حكاه الله عن شعيب من أمر ونهي، فالأمر لا يكذب، ولا يصدق، فإن قال لغيره اعبد الله لا يقال له: كذبت؟

فالجواب: كان شعيب يقول: الله واحد فاعبدوه، والحشر كائن فارجوه، والفساد محرم فلا تقربوه، وهذه فيها إخبارات، فكذبوه بما أخبر به.

(فإن قيل[8] هنا) قال في الأعراف: «فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ» وقال في هود: «فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ» والحكاية واحدة.

(فالجواب)[9]: لا تعارض بينهما، فإن الصيحة كانت سبباً للرجفة، قيل: إن جبريل صاح فتزلزلت الأرض من صيحته، فرجفت قلوبهم، والإضافة إلى السبب لا تنافي الإضافة إلى سبب السبب.

فإن قيل: ما الحكمة في أنه حيث قال: «فأخذتهم الصَّيْحَةُ» قال: «في دِيَارِهِمْ» وحيث قال: «فأخذتهم الرجفة» قال في «دَارِهِمْ»؟

---

(١) في ب: فإن قيل: إنه.
(٢) في ب: قد يحتج إلى لوط إلى ذكره.
(٣) ساقط من ب.
(٤) في «ب» فقال.
(٥) انظر: الكشاف ٣/ ٢٠٥.
(٦) يقصد أن هذه الآية مكررة في البقرة، والأعراف، وهود، والشعراء بأرقام ٦٠ و ٧٤ و ٨٥ و ١٨٣ وقد فهم من هذه الآيات عند التعرض لها أن هؤلاء القوم كانوا يفعلون ذلك مع توليهم أنواع الفساد فنهوا عن ذلك، ويقال: عثا في الأرض وعثي وعاث وذلك نحو قطع الطريق والإغارة وإهلاك الزروع.
انظر: اللباب البقرة ميكروفيلم.
(٧) زائد من «ب» فأما ما في «أ» فهو فإن قيل ما حكاه الله الخ...
(٨) في «ب» فصل: قال ههنا.
(٩) ساقط من «ب».

فالجواب: أنّ المراد من الدارِ هو الديار، والإضافة إلى الجمع يجوز أن تكون بلفظ الجمع، وأن تكون بلفظ الواحد إذا أمِنَ (مِنَ)[١] الالْتِباسِ، وإنما اختلف اللفظ لِلطيفة وهي أن اللطيفة[٢] هائلة في نفسها، فلم يحتج إلى تهول بها، وأما الصيحة فغير هائلة في نفسها ولكن تلك الصيحة لما كانت عظيمة حتى أحدثت الزلزلة في الأرض ذكر الديار بلفظ الجمع حتى يعلم هيئتها، والرجفة بمعنى الزلزلة عظيمة عند كل أحد فلم يُحْتَجْ إلى معظِّم[٣] لأمرها، وقيل: إن الصيحة كانت أعظم حيث عمت الأرض والجو والزلزلة لم تكن إلا في الأرض فذكر الديار هنا[٤]، وهذا ضعيف لأن الدار والديار موضع الجثوم لا موضع الصيحة والرجفة فهم ما أصبحوا جاثمين إلا في ديارهم أو دارهم[٥].

قوله تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾

قوله تعالى: «وَعَاداً وَثَمُوداً» نصب «بأَهْلَكْنَا» مقدراً[٦]، أو عطف على مفعول «فَأَخَذَتْهُمْ»[٧] أو على منصوب[٨] «ولقد فتنا» أول السورة، وهو قول الكسائي. وفيه بعد كثير وتقدم تنوين «ثمود»، وعدمه[٩] في هود، وقرأ ابن[١٠] وثاب: «وعادٍ وَثُمُودِ» بالخفض عطفاً على[١١] «مَدْيَنَ» عطف لمجرد الدلالة، وإلا[١٢] يلزم أن يكون شعيبٌ مرسلاً إليهما، وليس كذلك.

قوله: «وقد تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ» أي ما حلَّ بهم وقرأ الأعمش: «مَسَاكِنُهُم»

---

(١) زيادة من «ب».
(٢) في «ب» الرجفة وهو الأقرب والصواب.
(٣) في «ب» تعظيم.
(٤) في «ب» هناك.
(٥) انظر: التفسير الكبير للفخر الرازي ٢٥/٦٦.
(٦) انظر: البيان لابن الأنباري ٢/٢٤٤، والبحر المحيط ٧/١٥٢، والدر المصون ٤/٣٠٥.
(٧) المراجع السابقة.
(٨) المراجع السابقة.
(٩) المراجع السابقة.
(١٠) ابن وثاب: يحيى بن وثاب الأسدي الكوفي القارىء العابد أحد الأعلام، مولى بني أسد، روى عن ابن عباس، وابن عمر وعن مسروق وقرأ عليه الأعمش، وطلحة بن مصرف، مات سنة ١٠٣هـ. انظر: معرفة القراء الكبار للذهبي ١/٦٢: تهذيب الكمال ٢٤٩، تذكرة الحفاظ ١/١٠٦.
(١١) انظر: البحر المحيط ٧/١٥٢.
(١٢) في «ب» ولا يلزم.

بالرفع على الفاعلية[١] بحذف «من». ثم (بين)[٢] سبب (ما)[٣] جرى عليهم فقال: «وَزَيَّنَ لَهُم الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ» أي عن سبيل الحق، وهو عبادة الله «وكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ» قال مقاتل والكلبي[٤] وقتادة كانوا معجبين[٥] في دينهم وضلالتهم يحسبون أنهم على هدى، وكانوا على الباطل، والمعنى أنهم كانوا[٦] عند أنفسهم مستبصرين وقال الفراء[٧]: كانوا عقلاء ذوي بصائر. وقيل: كانوا مستبصرين[٨] بواسطة الرسل، يعني لم يكن لهم في ذلك عذر لأن الرسل أوضحوا السبل.

قوله: «وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ» عطف على «عاداً وثموداً»[٩] أو على مفعول: «فصدهم»، أو بإضمار[١٠]: اذكروا، «وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بالبَيِّنَاتِ» بالدلالات كما قال في عاد وثمود «وكانوا مستبصرين» أي بالرسل. «فاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ» أي عن عبادة الله، فقوله: «في الأَرْضِ» إشارة إلى قلة عقلهم في اسْتكبارهم، لأن من في الأرض أضعف[١١] أقسام المكلفين، ومن في السماء أقواهم، ثم إن «من في السماء» لا يستكبرون على الله بالعبادة فكيف «من في الأرض»، «وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ» أي فائتين من عقابنا.

قوله: «فَكُلاًّ» منصوب «بأخذنا»[١٢] و «بِذَنْبِه» أي بسببه أو مصاحباً لذنبه، «فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنا عَلَيْهِ حَاصِباً» وهم قوم لوط والحاصب: الريح التي تحمل الحصباء وهي الحصا الصِّغَارُ وقيل: كانت حجارة مَحْمِيَّة[١٣] تقع على واحد منهم وتَنْفُذُ من[١٤] الجانب الآخر، «وَمِنْهُم مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ» يعني ثمود[١٥] «ومَنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ» وهم «قارون» وأصحابه، «وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا» يعني قوم نوح وفرعون وقومه.

وقوله: «مَنْ أَغْرَقْنَا» عائده محذوف لأجل سنة الفاصلة، ثم قال: «وما كان اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ» يعني لم يظلمهم بالهلاك وإنما ظلموا أنفسهم بالإشراك.

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ (٤١) إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظر: المرجع السابق ٧/ ١٥٢.
(٢) ساقط من «ب».
(٣) ساقط من «ب».
(٤) تقدم.
(٥) انظر: فتح القدير ٤/ ٢٠٢.
(٦) المرجع السابق.
(٧) انظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ٣١٧.
(٨) المرجع السابق.
(٩) البيان ٢/ ٢٤٥ والتبيان ١٠٣٣.
(١٠) المراجع السابقة.
(١١) في «ب» أضعاف.
(١٢) التبيان لأبي البقاء ١٠٣٣، والدر المصون للسمين ٤/ ٣٠٥.
(١٣) انظر: القرطبي ١٣/ ٣٤٣ وغريب القرآن لابن قتيبة ٣٣٨.
(١٤) انظر: القرطبي ١٣/ ٣٤٤ وفي «ب» يعني وهو الأصح.
(١٥) ساقط من «ب».

مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾

قوله (تعالى)[١]: «مَثَلُ الَّذِين اتَّخذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ (أَوْلِيَاء)[٢]» يعني الأصنام يرجون نصرها ونفعها «كَمَثَلِ العَنْكَبُوتِ اتخذت» لنفسها «بَيْتاً» تأوي إليه، وإن بيتها في غاية الضعف والوهي[٣] لا يدفع عنها حراً ولا برداً كذلك الأوثان لا تملك لعابدها نفعاً ولا ضرًا[٤] «وإنَّ أَوْهَنَ البُيُوتِ لَبَيْتُ العَنْكَبُوتِ (لَوْ كَانُوا[٥] يَعْلَمُونَ». واعلم أنه تعالى مثل اتخاذهم الأوثان أولياء باتخاذِ العنكبوت) نسجه بيتاً ولم يمثل «نسجه» لأن «نسجه» له[٦] فائدة لولاه لما[٧] حصل، وهو اصطيادها الذباب من غير أن يفوته ما (هو)[٨] أعظم منه واتخاذهم الأوثان يفيدهم ما هو أقل من الذباب من متاع الدنيا ولكن يفوتهم ما هو أعظم منها وهو الدار الآخرة (التي)[٩] هي خير وأبقى، فليس اتخاذهم كنسج العنكبوت. وقوله: «وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون» إشارة إلى ما بينا أن كل بيت ففيه إما فائدة الاستظلال أو غير ذلك، وبيته يضعف عن إفادة ذلك لأنه يَخْرُبُ بأدنى شيء، ولا يبقى منه عينٌ ولا أثر، فكذلك عملهم، «لو كانوا يعلمون». (وَ)[١٠] العنكبوت معروف، ونونه أصلية. والواو والتاء مزيدتان بدليل جمعه على «عناكب» وتصغيره عنيكب ويذكر ويؤنث، فمن التأنيث قوله: «اتخذت بيتاً» ومن التذكير قوله:

٤٠٣٠ ـ عَلَى هَطَّالِهِمْ مِنْهُمْ بُيُوتٌ ... كَأَنَّ العَنْكَبُوت هو ابْتَنَاهَا[١١]

وهذا مطرد في أسماء الأجناس يذكر ويؤنث.

قوله: «لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ» جوابه محذوف أي لما اتخذوا من يضرب له[١٢] بهذه الأمثال لِحَقَارَتِهِ ومتعلق يعلمون لا يجوز أن يكون من جنس قوله: «وإنّ أوهنَ البيوت»

---

(١) ساقط من (ب).
(٢) ساقط من (ب).
(٣) في (ب) والوهن.
(٤) في (ب) ضراً ولا نفعاً.
(٥) ما بين القوسين ساقط من (ب).
(٦) في (ب) فيه.
(٧) في (ب) ما حصل.
(٨) ساقط من (ب).
(٩) ساقط من (ب).
(١٠) ساقط من (ب).
(١١) البيت من تمام الوافر ولم أعرف قائله، والهطال: اسم جبل، والمعنى أنهم في متناول يد أعدائهم لضعف بيوتهم وذلك كناية عن قلة المدافعين عنها فأشبهت بيت العنكبوت في ضعفها ووهنها. وجيء بالبيت استشهاداً على أن العنكبوت مذكر، وهو مذهب لناس من العرب وكأنه ذهب إلى الجنس. (انظر معاني الفراء ٢/٣١٧، واللسان «عنكب» ٣١٣٨ و «هطل» ٤٧٦٥، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٥٧ والمذكر والمؤنث للفراء ١٠٢، والمذكر والمؤنث لابن الأنباري ١/٤٢٦، ومعجم البلدان ٥/ ٤٠٨، ومجمع البيان ٧/٤٤٦، والبحر المحيط ٧/١٥٢، والقرطبي ١٣/٣٤٥، والسراج المنير ٣/ ١٤٣ والخزانة ٢/٣٢٢ والمخصص والتاج «هطل».
(١٢) في «ب» به.

لأن كل أحد يعلم ذلك، وإنما متعلَّقُهُ مقدر من جنس ما يدل عليه السياق أي لو كانوا يعلمون أن هذا مثلهم.

قوله: «إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ»، قرأ أبو عمرو وعاصم «يَدْعُون»[١] بياء الغيبة، والباقون بالخطاب. و «ما» يجوز أن تكون موصولة منصوبة[٢] بـ «يَعْلَمُ» أي يعلم الذين يدعونهم[٣] ويعلم أحوالهم، و «من شيء» مصدر، وأن تكون استفهامية[٤]، وحينئذ يجوز فيها وجهان أن تكون هي وما عملت فيها معترضاً بين قوله: «يَعْلَمُ» وبين قوله: «وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ» كأنه قيل: أَيُّ شيءٍ تدعون من دون الله[٥].

والثاني: أن تكون متعلقة «لِيَعْلمَ» فتكون في موضع نصب بها، وإليه ذهب الفارسي[٦] وأن تكون نافية و «مِنْ» في «مِنْ شَيْءٍ» مزيدة في المفعول به كأنه قيل: ما تدعون من[٧] دون الله ما يستحق أن يطلق عليه شيء.

قال الزمخشري: هذا زيادة توكيد على التمثيل حيث إنهم لا يدعون من دونه[٨] من شيء يعني ما يدعون ليس بشيء، وهو عزيز حكيم، فكيف يجوز للعاقل أن يترك القادر الحكيم ويشتغل بعبادة ما ليس بشيء أصلاً وهذا يفهم منه أنه[٩] جعل «ما» نافية، والوجه فيها حينئذ أن تكون الجملة معترضة كالأول من وجهي الاستفهامية، وأن تكون مصدرية، قال أبو البقاء[١٠]: و «شيء» مصدر، وفي هذا نظر، إذ يصير التقدير يعلم دعاءكم في شيء من الدعاء.

قوله: «وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ» يجوز أن يكون[١١] «نضربها» خبر «تلك الأمثال» و «الأمثال» نعت أو بدل، أو عطف بيان، وأن يكون «الأمثال» خبراً، و «نضربها» حال، وأن يكون خبراً ثانياً[١٢].

---

(١) الإتحاف ٣٤٦ والسبعة ٥٠١ وهو المفضل قال في الكشاف: لأن في الكلام معنى التهديد والوعيد والتوبيخ لهم، فإذا جرى الكلام على لفظ الخطاب كان أبلغ في الوعظ والزجر لهم، وهو الاختيار لأن الأكثر عليه، انظر: الكشاف ٢/ ١٧٩.

(٢) نقله في البيان ٢/ ٢٤٥.

(٣) في (ب) يدعونه وهو خطأ.

(٤) البيان ٢/ ٢٤٥ والدر ٤/ ٣٠٦.

(٥) المرجعان السابقان.

(٦) الفارسي: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار أبو علي أخذ عن أبي بكر بن السراج وأبي إسحاق الزجاج كان من أكابر أئمة النحويين، مات سنة ٣٧٧هـ، انظر: نزهة الألباء ٢٠٩ و ٢١٠.

(٧) البحر المحيط ٧/ ١٥٢، وقد قال الفارسي «ما استفهام موضعه نصب بتدعون، ولا يجوز أن تكون نصباً «بيعلم» ولكن صار الجملة التي هي فيها في موضع نصب بيعلم والتقدير: أن الله يعلم أوثاناً تدعون من دونه» الحجة ٦/ ١٠٨ بلدية.

(٨) انظر: الكشاف ٣/ ٢٠٦.

(٩) في «ب» يجعل.

(١٠) أبو البقاء سبق التعريف به.

(١١) انظر: التبيان ١٠٣٣ والبيان ٢/ ٢٤٥.

(١٢) التبيان ١٠٣٣ والدر المصون ٤/ ٣٠٧.

فصل

وتلك الأمثال: الأشباه. والمَثَل: كلام سائغ[١] يتضمن تشبيه الآخر بالأول، يريد أمثال القرآن التي شبه بها أحوال الكفار[٢] هذه الأمة بأحوال كفار الأمم المتقدمة «نضربها» تَنْبِيهاً للناس، قال مقاتل[٣]: لكفار مكة «وَمَا يَعْقِلُهَا إلاَّ العَالِمُونَ» أي ما يعقل الأمْثَالَ إلا العلماءُ الذين يعقلون عن الله. روى جابر[٤] أن النبي - ﷺ - تلا هذه الآية «وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون» قال: «العالم[٥] من عقل عن الله فعمل بطاعته، واجتنب سَخَطَهُ».

فصل

روي أن الكفار قالوا: كيف يضرب خالقُ الأرض والسموات الأمثال بالهوامِّ والحشرات كالبعوض والذباب والعنكبوت، فقيل: الأمثال نضربها للناس إذْ لم يَكونوا كالأنعام يحصل لكم منه إدراك ما يوجب نُفْرَتَكُمْ مما أنتم فيه لأن التشبيه يؤثر في النفس تأثيراً مثل تأثير الدليل[٦]، فإذا قال الحكيم لمن يغتاب (بالغيبة)[٧] كأنك تأكل لحم ميت لأنك[٨] وقعت في هذا الرجل الغائب وهو غائب لا يفهم ما تقول ولا يسمع حتى يجيبك كمن يقع في ميت يأكل كما ينفر[٩] إذا قال له: إنك توجب العقاب ويورث العتاب.

قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾

قوله تعالى: «خَلَقَ اللَّهُ السَّمٰواتِ والأَرْضَ بِالحَقِّ» بالحق[١٠] وإظهار الحق «إنَّ فِي ذَلِكَ» إن في خلقها «لآيَة لِلْمُؤْمِنِينَ» على قدرته وتوحيده، فإن قال قائل كيف خص

---

(١) في «ب» كلام سائر. (٢) في «ب» كفار بدون «أل» وهو الصواب.

(٣) انظر: القرطبي ١٣/٣٤٦.

(٤) هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري السلمي أبو عبد الرحمن، أو أبو عبد الله، أو أبو محمد المدني صحابي، مشهور، له ألف وخمسمائة حديث وأربعون حديثاً. عنه بنوه وطاوس والشعبي وعطاء وخلف مات سنة ٧٨، انظر: خلاصة الكمال ٥٩.

(٥) انظر: تفسير الزمخشري ٣/٢٠٧، والقرطبي ١٣/٣٤٦.

(٦) انظر: تفسير الفخر الرازي ٢٥/٦٩. (٧) ساقط من «ب».

(٨) في «ب» فإنك.

(٩) العبارة في تفسير الفخر الرازي... ولا يسمع حتى يجيب كمن يقع في ميت يأكل منه وهو يعلم ما يفعله ولا يقدر على دفعه إن كان يعلمه فينفر طبعه منه كما ينفر اذ قال له إنه يوجب العذاب، ويورث العقاب.

(١٠) في «ب» للحق.

الآية[١] في خلق السماوات والأرض بالمؤمنين مع أن في خَلْقِهَا[٢] آية لكل عاقل كما قال تعالى: «وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ»[٣] وقال تعالى: «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّموَاتِ والأَرْضِ واخْتِلاَفِ اللَّيْلِ والنَّهَارِ لآيات لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ»[٤].

فالجواب: خلق السموات والأرض آية لكل عاقل، وخلقهما بالحق آية للمؤمنين فحسب ويدل عليه النقل والنقل، أما النقل فقوله تعالى: «مَا خَلَقْنَاهُمَا إلاَّ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ»[٥] أخرج أكثر الناس عن العلم بكونه خلقهما بالحق مع أنه أثبت للكل بأنه خلقهما بقوله: «ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله» وأما العقل فَـ (هُوَ أَنَّ)[٦] العاقل أول ما ينظر إلى خلق السماوات والأرض يعلم أن لها خالقاً وهو الله، ثم (من)[٧] يهديه الله لا يقطع النظر عنهما عند مجرد ذلك بل يقول: إنه خلقهما متقناً محكماً وهو المراد من قوله: «بالحق» لأن ما لا يكون محكماً يفسد ويبطل فيكون باطلاً، وإذا علم أن خالقهما متقناً يقول: إنه قادرٌ كاملٌ، حيث خلق، فأحكم، وعالم علمه شامل حيث أتقن فيقول: «لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ» ولا يعزب عن علمه أجزاء الموجودات في الأرض ولا في السماوات، ولا يعجز عن جمعهما كما جمع أجزاء الكائنات والمبدعات فيجوز بعث مَن في القبور، وبعثة الرسل، وهما بالخلق موجودان فيحصل له الإيمان بتمامه من خلق ما خلقه الله على أحسن نظامه.

قوله تعالى: «اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الكِتَابِ» يعني القرآن لتعلم أن «نوحاً» و «لُوطاً» وغيرهما كانوا على[٨] ما أنت عليه بلغوا الرسالة، وبالغوا في إقامة الدلالة، ولم ينقذوا قومهم من الضلالة، وهذا تسلية للنبي ـ ﷺ ـ (وشرّف وكرّم)[٩].

قوله: «وأَقِمِ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ والمُنْكَرِ» الفحشاء: ما قَبُحَ من الأعمال، والمنكرَ ما لا يُعْرَف في الشرع. قال ابن مسعود[١٠]، وابن عباس: في الصلاة منتهى ومزدجر عن معاصي الله فمن لم تأمره صلاته بالمعروف، ولم تنهه عن المنكر لم يزدد بصلاته من الله إلا بُعداً[١١]، وقال الحسن وقتادة[١٢]: من لم تنهه صلاته عن الفحشاء

---

(١) في «ب» ختم الآية.
(٢) في «ب» خلفهما.
(٣) الزمر: ٣٨.
(٤) البقرة: ١٦٤.
(٥) الدخان: ٣٩.
(٦) ساقط من «ب».
(٧) ساقط من «ب».
(٨) في «ب» مما أنت فيه.
(٩) زيادة في «ب» وانظر: تفسير الفخر الرازي ٢٥/ ٦٩ و ٧٠.
(١٠) ابن مسعود: عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب أبو عبد الرحمن الكوفي أحد السابقين الأولين روى ثمانمائة حديث وثمانية وأربعين، روى عنه خلق من الصحابة ومن التابعين علقمة، ومسروق، والأسود مات سنة ٣٢هـ، انظر خلاصة الكمال ٢١٤.
(١١) القرطبي ١٣/ ٣٨٤.
(١٢) لم أجده في القرطبي ١٣/٣٤٨، ولا في فتح القدير ٤/٢٠٥ ولا في ابن كثير ٣/ ٤١٤ وقد اعتبر ابن=

والمنكر فصلاته وَبَالٌ عليه، ورُوِيَ عن أنس بن مالك[١] قال: كان فتى من الأنصار يصلي الصلوات مع رسول الله ـ ﷺ ـ ثم (لا)[٢] يدع شيئاً من الفواحش إلا ركبه فوصف لرسول الله ـ ﷺ ـ حالُه فقال: «إنَّ صلاته تنهاهُ يوماً» فلم يلبث أن تاب[٣] وحَسُنَ حاله، وقال ابن عون[٤]: معنى الآية: إن الصلاة تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر ما دام[٥] فيها، وقيل: المراد بالصلاة القرآن كما قال: «ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها»[٦]، أي بقراءتك، وأراد أنه يقرأ القرآن في الصلاة، فالقرآن يَنْهَاهُ عن الفحشاء والمنكر.

قوله: «وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ» أي ذكر الله أفضل الصناعات، قال عليه (الصلاة و)[٧] السلام: «أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بخيرِ أَعْمَالِكُمْ وأزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وأَرْفَعِهَا في دَرَجَاتِكُمْ وخَيْرٍ مِنْ إعَطاءِ الذَّهَبِ والفِضَّةِ وأن تَلْقوا عَدُوَّكُم فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ ويَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ» قالوا: ماذا[٨] يا رسول الله؟ قال: ذِكْرُ الله[٩] وسئل رسول الله ـ ﷺ ـ أيّ العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة؟ قال: الذَّاكِرُونَ الله كثيراً، قالوا يا رسول الله: ومِنَ الغازي[١٠] في سبيل الله، فقال: لو ضرب بسيفه الكفارَ والمشركينَ حتى ينكسر أو يَخْتَضِبَ[١١] دماً لكان الذاكرون الله كثيراً أفضل منهُ[١٢]. وروى أبو هريرة قال: كان رسول الله ـ ﷺ ـ يسير في طرق مكة فمرَّ على جَبلٍ يقال له: حَمْدَان، فقال: سيروا هذا حَمْدان[١٣]. سبق المُفْرَدُونَ، قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: الذاكرون الله كثيراً والذاكرات.

قيل: معنى قوله: «ولذكر الله أكبر» أي ذكر الله إياكم أفضلُ من ذكركم إياه

= كثير كثيراً من هذه الأشياء المروية موقوفة قال: «والأصح في هذا كله الموقوفات عن ابن مسعود، وابن عباس، والحسن، وقتادة، والأعمش وغيرهم والله أعلم»، انظر: تفسير ابن كثير ٣/ ٤١٤.

(١) تقدم. (٢) ساقط من (ب).

(٣) انظر: تفسير القرطبي ١٣/٣٤٨ فتح القدير ٤/ ٢٠٥.

(٤) ابن عون هو عبد الله بن عون أبو عون الخراز البصري رأى أنس بن مالك مات سنة ١٥١هـ تهذيب التهذيب ٥/٣٤٦.

(٥) المراجع السابقة. (٦) الإسراء: ١١٠.

(٧) ساقط من «ب».

(٨) الحديث أخرجه ابن جرير، وابن أبي شيبة عن أبي الدرداء. انظر: روح المعاني للألوسي ٢٠/ ٦٥وجامع الأحاديث للسيوطي ٣/٣١٣، وفي «ب» ما ذاك.

(٩) في «ب» ذكر لله. (١٠) في «ب» المغازي بالميم.

(١١) في «ب» والتخضب.

(١٢) أخرجه أحمد في الزهد وابن المنذر عن معاذ بن جبل. انظر: روح المعاني للألوسي ٢٠/ ١٦٥.

(١٣) أخرجه الترمذي وحسنه، وابن مردويه عن أبي هريرة وأبي الدرداء «سيروا سبق المفردون قيل يارسول الله ومن المفردون؟ قال: الذين يهتزون في ذكر الله يضع الذكر عنهم أثقالهم فيأتون يوم القيامة خفافاً». انظر: تفسير الدر المنثور ٦/ ٤٥٥.

رُوِيَ[١] ذلك عن عبد الله[٢]، وهو قول مجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير[٣]، ويروى مرفوعاً عن موسى بن[٤] عُقْبة عن نافع عن ابن عمر[٥] عن رسول الله ـ ﷺ ـ وقال عطاء[٦] في قوله: «إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر» من أن يَبْقَى معه معصية «واللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ» قال عطاء: لا يخفى[٧] عليه شيء.

قوله تعالى: ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾

قوله تعالى: «وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ إلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» أي لا تخاصموهم[٨] إلا بالتي هي أحسن أي بالدعاء إلى الله بآياته والتنبيه على حججه، وأراد من قبل الجزية منهم لما بين طريقة إرشاد المشركين بين طريقة إرشاد أهل الكتاب.

قوله: «إلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا» استثناء متصل، وفيه مَعْنَيَانِ:

أحدهما: إلا الظلمة فلا تجادلوهم ألبتة بل جاهدوهم بالسيف حتى يسلموا أو يُعْطُوا الجزية[٩].

ومجاز الآية: إلا الذين ظلموكم لأن جميعهم ظالم بالكفر.

والثاني: جادلوهم بغير التي هي أحسن أي أغلظوا لهم كما أغلظوا عليكم، قال سعيد بن جبير: أهل الحرب، ومن لا عهد له[١٠]، وقال قتادة ومقاتل: نُسِخَتْ بقولِهِ:

---

(١) في «ب» ويروى. (٢) هو ابن مسعود وسبق التعريف به.

(٣) القرطبي ١٣/ ٣٤٩.

(٤) موسى بن عقبة الأسدي مولاهم المدني عن أم خالد، وعلقمة بن وقاص، وعنه يحيى الأنصاري وابن جريج مات سنة ١٤١هـ. انظر: خلاصة الكمال ٢٩٢.

(٥) ابن عمر: عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي أبو عبد الرحمن المكي، هاجر مع أبيه، له ألف وستمائة حديث وثلاثون حديثاً عنه بنون: سالم وحمزة، وغيرهما، مات سنة ٧٤هـ، انظر: خلاصة الكمال ٢٠٧.

(٦) عطاء؛ هو عطاء بن أبي رباح القرشي مولاهم أبو محمد الجندي اليماني نزيل مكة، وأحد الفقهاء والأئمة عن عثمان، وعتاب بن أسيد وعنه أيوب وحبيب وثابت مات سنة ١١٤هـ خلاصة الكمال ٢٦٦.

(٧) البحر ٧/ ١٥٣. (٨) في «ب» تخاصموا.

(٩) في «ب» بالسيف إن أبوا أن يعطوا الجزية ونصبوا الحرب فجادلوهم بالسيف الخ..

(١٠) القرطبي ١٣/ ٣٥١.

«قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ»[١]، وقرأ بن عباس[٢] «ألاَ» حرف تنبيه أي فجادلوهم.

قوله: «وَقُولُوا آمَنَّا بالَّذِي أُنزل إلَيْنَا وَأُنْزِلَ إلَيْكُمْ» وهذا تبيين لمجادلتهم[٣] بالتي هي أحسن يريد إذا أخبركم واحدٌ منهم ممن قبل الجزية بشيء مما في كتبهم[٤] فلا تجادلوهم عليه ولا تصدقوهم ولا تكذبوهم «وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إلَيْنَا وَأُنْزِلَ إلَيْكُمْ وإلٰهُنا وَإلٰهُكُمْ واحِدٌ وَنَحْنُ له مُسْلِمُونَ»، روى أبو هريرة قال: «كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعِبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: لا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا: آمنا بالله وما أنزل إلينا. . . الآية»[٥] وروى معمر[٦] عن الزهري أن أبا نملة الأنصاري[٧] أخبره أنه بينما[٨] هو جالس عند رسول الله ـ ﷺ ـ جاءه رجل من اليهود ومرّ بجنازة فقال: يا محمد هل تتكلم هذه الجنازة فقال رسول الله ـ ﷺ ـ (الله)[٩] أعلم فقال اليهودي: إنها تتكلم فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «ما حدثكم أهل الكتاب فلا تُصَدِّقُوهُم ولا تكذِّبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فإن كان باطلاً لم تصدقوه وإن كان حقاً لم تكذبوه»[١٠].

قوله: «وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا» أي كما أنزلنا إليهم الكتاب أنزلنا إليك الكتاب «فالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يُؤْمِنُونَ به» يعني (مُؤْمِني)[١١] أهل الكتاب عبد الله بن سلام، (وأصحابه)[١٢] «ومِنْ هَؤُلاَءِ» يعني أهل مكة «مَنْ يُؤْمِنُ به» وهم مؤمنو أهل مكة «وَمَا يَجْحَدُ بآيَاتِنَا إلاَّ الكَافِرُونَ» وذلك أن اليهود عرفوا أن محمداً نبي، والقرآن حق، فجحدوا، وقال قتادة: الجحود إنما يكون بعد المعرفة وهذا تنفير[١٣] لهم عما هم عليه يعني إنكم آمنتم بكل شيء وامتزتم عن المشركين بكل فضيلة إلا هذه المسألة الواحدة، وبإنكارها تلتحقون بهم، وتبطلون مزاياكم، فإن الجاحد بآية يكون كافراً.

قوله: «وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ» أي من قبل ما أنزلنا إليك الكتاب.

قوله: «مِنْ كِتَابٍ» مفعول «تتلو» و «من» زائدة و «من قبله» حال من «كتاب» أو

---

(١) [التوبة: ٢٩]، وانظر في الاستثناء المفصل الذي في هذه الآية، التبيان ١٠٣٤ والدر المصون ٤/٣٠٧.

(٢) انظر: البحر المحيط ٧/١٥٥.

(٣) في «ب» لمجادلتهم.

(٤) في «ب» ما في كتبهم.

(٥) الحديث في القرطبي ١٣/٣٥١، فتح القدير ٤/٢٠٦، والدر المنثور ٦/٤٦٩.

(٦) معمر بن راشد الأزدي مولاهم عبد السلام بن عبد القدوس أبو عروة البصري أحد الأعلام عن الزهري وقتادة وعنه أيوب والثوري وابن المبارك، مات سنة ١٥٣هـ، انظر: خلاصة الكمال ٣٨٤.

(٧) أبو نملة الأنصاري: عمار بن معاذ بن زرارة بن عمرو بن الأوس الأنصاري شاهد أحداً مع النبي ـ ﷺ ـ والمشاهد كلها وقتل له ابنان يوم الحرّة، انظر: أسد الغابة ٥/٣١٣ و٣١٤.

(٨) في «ب» بينا.

(٩) ساقط من «ب».

(١٠) الدر المنثور ٦/٤٦٩.

(١١) ساقط من «ب».

(١٢) ساقط من «ب».

(١٣) في «ب» تغيير.

متعلق بنفس «تتلو»[١] و «تخطّه بيمينك» أي ولا تكتبه أي لم تكن تقرأ ولا تكتب قبل الوحي قوله: «إذاً لاَرْتاب» جواب وجزاء، أي لو تلوت كتاباً قبل القرآن أو كنت ممن يكتب لارتاب المبطلون ولشكّ (المشركون من)[٢] أهل مكة، وقالوا: إنه يقرأه من كتب الأولين وينسخه منها، وقال قتادة ومقاتل: المبطلون هم اليهود[٣] والمعنى: لشكوا فيك واتهموك، وقالوا: إن الذي نجد نعته في التوراة أمي لا يقرأ ولا يكتب وليس هذا على ذلك النعت[٤].

قَوْلُهُ: «بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ» قرأ قتادة «آيَةٌ» بالتوحيد[٥]، قال الحسن: يعني القرآن[٦] («آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ)[٧] فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ»[٨]، يعني: «المؤمنين»[٩] الذين حملوا القرآن، وقال ابن عباس وقتادة: («بل هو»)[١٠] يعني: محمداً ـ ﷺ[١١] ـ ذو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب لأنهم يجدونه بنعته وصفته في كتبهم «وَمَا يَجْحَدُ بآيَاتِنَا إلاَّ الظَّالِمُونَ».

فإن قيل: ما الحكمة في قوله ههنا: «الظالمون» ومن قبل قال: الكافرون؟

فالجواب: أنهم قبل بيان المعجزة قيل لهم: إن لكم المزايا فلا تُبْطِلُوها بإنكار محمد فتكونوا كافرين فلفظ الكافر هناك أبلغ فمنعهم عن ذلك لاستنكافهم عن الكفر، ثم بعد بيان المعجزة قال لهم إن جحدتم هذه الآيات لزمكم إنكار إرسال الرسل فتلحقوا في أول الأمر بالمشركين حكماً، وتلتحقون عند جحد هذه الآيات بالمشركين حقيقة فتكونوا ظالمين أي مشركين، كما قال: «إنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ»[١٢] فهذا اللفظ هنا أبلغ.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾﴾

قوله تعالى: «وَقَالُوا لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ»[١٣] كما أنزل على الأنبياء من قبل.

---

(١) الدر المصون ٤/٣٠٧.
(٢) ساقط من «ب».
(٣) القرطبي ١٣/ ٣٥٤.
(٤) السابق.
(٥) البحر المحيط ٧/ ١٥٥.
(٦) القرطبي ١٣/ ٣٥٤.
(٧) ساقط من «ب».
(٨) في «ب» الكتاب.
(٩) زائد في «ب».
(١٠) زائد في «أ».
(١١) القرطبي ١٣/ ٣٥٤.
(١٢) لقمان: ١٣.
(١٣) في «ب» آية بالإفراد وهو خطأ.

وقرأ الأخوانِ وابنُ كثير، وأبو بكر بالإفراد[١]؛ لأن غالب ما جاء في القرآن كذلك والباقون «آيات» بالجمع لأن بعده «قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ» بالجمع إجماعاً، والرسم يَحْتَمِلُهُ[٢].

فصل

اعلم أنهم قالوا: إنك تقول: إنك أنزل إليك الكتاب كما أنزل إلى موسى وعيسى، وليس كذلك؛ لأن موسى أُوتِيَ تسع آيات بينات علم بها كون الكتاب من عند الله، وأنت ما أوتيت شيئاً منها ثم إنه تعالى أرشد نبيه إلى أجوبة هذه الشبهة منها.

قوله: «أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ» هذا جواب لقولهم: «وَلَوْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ» قل: «أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ»، ففاعل «يكفهم» هو قوله: «أنا أنزلنا» والمعنى: إن كان إنزال الآيات شرطاً في الرسالة فلا يشترط إلا إِنْزَالُ «آيةٍ» وقد أنزل القرآن، وهو آية معجزة ظاهرة كافية. وقوله: «أو لم يكفهم» عبارة تنبىء عن كون القرآن آية فوق الكفاية[٣] وبيانه أن القرآن أتم من كل معجزة لِوُجُوهٍ:

أحدها: أن تلك المعجزات وجدت وما دامت، فإن قلب العصا ثُعْبَاناً، وإحياء الميت لم يبق لنا منه[٤] أثر، فلو أنكره واحد لم يمكن إثباتها معه بدون الكتاب، وأما القرآن فهو باقٍ لو أنكره واحد فيقال له: فَأْتِ بآيَةٍ من مثله.

الثاني: أن قلب العصا ثعباناً كان في آن واحد ولم يره من لم يكن في ذلك المكان، وأما القرآن فقد وصل إلى المشرق والمغرب وسمعه كل واحد، وهنا لطيفة وهي أن آيات النبي ـ ﷺ ـ كانت أشياء لا تختص بمكان دونَ مكان، لأن من جملتها انشقاق القمر وهو يعم الأرض لأن الخوف إذا وقع عم، وذلك لأن نبوته كانت عامة لا تختص بقطر دون قطر. وغاص بحر[٥] «ساوَةَ» في قطر، وسقط إيوان كسرى في قطر (وانْهَدَّت)[٦] الكنيسة بالروم في قطر آخر إعلاماً بأنه يكون أمراً عاماً.

الثالث: أن غير هذه المعجزة يقول الكافر المعاند هذا سحر (وعمل بدواء)[٧] والقرآن لا يمكن هذا القول فيه[٨]. ثم قال تعالى: «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً» أي في إنزال القرآن «لَرَحْمَةً وذِكْرَى لِقَوْم يُؤْمِنُونَ» أي تذكير وعظة لمن آمن وعمل به.

قَوْلُهُ (تعالى)[٩]: «قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيداً» أني رسوله، وهذا القرآن

---

(١) انظر: الإتحاف ٣٤٦، والسبعة ٥٠١ والكشف ٢/ ١٨٠، وقد قال مكي في الكشف: «لو كان بالتوحيد لكان بالهاء فقويت القراءة بالجمع وهو الاختيار».

(٢) في «ب» محتمل له.

(٣) في «ب» الكتابة وهو تحريف.

(٤) في «ب» لنا به.

(٥) في «ب» بحيرة بالتصغير.

(٦) ساقط من «ب».

(٧) ساقط من «ب».

(٨) انظر: التفسير للإمام الفخر الرازي ٢٥/ ٧٩.

(٩) زائد من «ب».

كتابه، وهذا كما يقول الصادق إذا كذب، وأتى بكل ما يدل على صدقه ولم يصدقه المعاند: «الله يعلمُ صدقي وتكذيبك أيها المعاند وهو على ما أقول شهيد يحكم بيني وبينك»، كل ذلك إنذار وتهديد ثم بين كونه كافياً، بكونه عالماً بجميع الأشياء، فقال: «يَعْلَمُ مَا فِي السَّموَاتِ وَالأَرْضِ».

فإن قيل: ما الحكمة في أنه أخر شهادة أهل الكتاب في آخر الوعد في قوله: «ويَقُولُ الَّذِين كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً، قل: كفى بالله بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب»[١] وهنا قدم شهادة أهل الكتاب، فقال: «فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به (ومن هؤلاء من يؤمن[٢] به») أي من أهل الكتاب؟

فالجواب: أن الكلام هناك[٣] مع المشركين فاستدل عليهم بشهادة غيرهم (ثم)[٤] إن شهادة الله أقوى (في[٥] إلزامهم) من شهادة غير الله، وهاهنا الكلام مع أهل الكتاب فشهادة[٦] الله على نفسه هو إقراره وهو أقوى الحجج عليه فقدم ما هو ألزم عليهم، ثم (إنه)[٧] تعالى لما بين الطريقتين في إرشاد الفريقين المشركين وأهل الكتاب عاد الكلام الشامل لهما والإنكار العام فقال: «والَّذِينَ آمَنُوا بِالبَاطِلِ»، قال ابن عباس: بغير الله «وَكَفَرُوا باللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ».

فإن قيل: قوله «أولئك هم الخاسرون» يقتضي الحصر، أي من أتى بالإيمان (بالباطل)[٨] والكفر (بالله)[٩] فهو الخاسر فمن يأتي بأحدهما دون الآخر ينبغي أن لا يكون خاسراً.

فالجواب: أنه يستحيل أن يكون الآتي بأحدهما لا يكون آتياً بالآخر لأن المؤمن بما سوى الله مشرك، لأنه جعل غير الله مثله، وغير الله عاجز ممكن باطل فيكون الله كذلك، ومن كفر بالله وأنكره فيكون قائلاً بأن العالم ليس له إله موجود فوجود العالم من نفسه فيكون قائلاً: بأن العالم واجب الوجود، والواجب إله (فَيَكُون[١٠] قائلاً) بأن غير الله إله فيكون إثباتاً لغير الله وإيماناً به[١١].

فإن قيل: إذا كان الإيمان بما سواه كفراً (به)[١٢] فيكون كل من آمن بالباطل فقد كفر بالله فهل لهذا العطف فائدة (غير التأكيد)[١٣] الذي في قول القائل (قم ولا تقعد و «واقتربْ مني ولا تَبْعُدْ»؟

---

(١) الرعد: ٤٣.
(٢) ساقط من «ب».
(٣) في «ب» هنا.
(٤) ساقط من «ب».
(٥) ساقط من «ب».
(٦) في «ب» فشهادة المرء على نفسه هو أقوى إقراره.
(٧) ساقط من «ب».
(٨) ساقط من «ب».
(٩) ساقط من «ب».
(١٠) ساقط من «ب».
(١١) انظر: تفسير الفخر الرازي ٢٥/ ٨٠.
(١٢) زيادة من «ب».
(١٣) ساقط من «ب».

فالجواب: فيه فائدة) غيرها وهو أنه ذكر الثاني لبيان قبح الأول كقول القائل: أتقولُ بالباطل وتترك الحلق لشأن أن القول بالباطل قبيح.

قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾

قوله: «وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ» نزلت في النضر بن الحارث[١] حين قال: «فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً من السماء»[٢] «وَلَوْلاَ أَجَلٌ مُسَمًّى» قال ابن عباس: ما وعدتك أني لا أعذب قومك ولا أستأصلهم وأؤخر عذابهم إلى يوم القيامة كما قال: «بل السَّاعَةُ مَوعِدهُمْ»[٣] وقيل: يوم بدر. ولولا ذلك الأجل المسمى الذي اقتضته حكمته «لَجَاءَهُم العَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً» يعني العذاب. وقيل: الأجل بغتة «وَهُمْ لاَ يَشْعُرونَ» بإتيانه، وقوله: «وهم لا يشعرون» يحتمل وجهين:

أحدهما: معنى تأكيد[٤] قوله: «بغتة»، كما يقول القائل: أتيته على غفلة منه بحيث لم يدرِ.

فقوله: «بحيث لم يدر» أكد معنى الغفلة.

والثاني: أنه يفيد فائدة مستقلة وهي أن العذاب يأتيهم بغتة «وهم لا يشعرون» هذا الأمر، ويظنون أن العذاب لا يأتيهم أصلاً.

قوله: «ويَسْتَعْجِلُونَكَ بالعَذَابِ وإنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ» ذكر هذا للتعجب[٥]، لأن من توعد[٦] بأمر فيه ضرر يسير كلطْمةٍ أو لكمة فيرى في نفسه الجلد ويقول: بسم الله هات، وأما من توعد بإغراقٍ أو إحراقٍ ويقطع بأن المتوعد قادر لا يخلف الميعاد لا يخطر ببال العاقل أن يقول له: هات ما توعدني[٧] به فقال هاهنا «يستعجلونك بالعذاب» والعذاب بنار جهنم المحيطة (بهم)[٨] فقوله («يستعجلونك[٩] بالعذاب») أولاً: إخباراً عنهم، وثانياً: تعجباً منهم.

وقيل: أعادَهُ تأكيداً، ثم ذكر كيفية إحاطة جهنم فقال: «يَوْمَ يَغْشَاهُمُ العَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ ومَنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ».

فإن قيل: لم يخص[١٠] الجانبين ولم يذكر اليمين والشمال وخلفَ وقُدَّام؟

---

(١) القرطبي ١٣/٣٥٦.
(٢) الأنفال: ٣٢.
(٣) القمر: ٤٦.
(٤) الأصح: تأكيد معنى قوله «بغتة».
(٥) في «ب» التعجب.
(٦) في «ب» أوعد.
(٧) في «ب» توعدت به.
(٨) ساقط من «ب».
(٩) ما بين القوسين ساقط من «ب».
(١٠) في «ب» اختص الجانبين.

فالجواب: أن المقصود ذكر ما تتميز به نار جهنم عن نار الدنيا، (ونار)[١] الدنيا تحيط بالجوانب الأربعة فإن من دخلها تكون الشعلة قدامَهُ وخلفَه ويمينَه ويَسَارَه[٢]، فأمّا النار من فوق لا تنزل وإنما تصعد من أسفلَ في العادة وتحت الأقدام، ولا تبقى الشعلة بل تنطفىء الشعلة التي تحت القدم، ونار جهنم تنزل من فوق ولا تنطفىء بالدوس موضع القدم[٣].

فإن قيل: ما الحكمة في قوله: «من فوقهم ومن تحت أرجلهم» ولم يقل: من فوق رؤوسهم ولا قال من فوقهم (ولا من[٤] تحتهم) بل ذكر المضاف إليه عند ذكر «تحت» ولم يذكره عند ذكر «فوق»؟

فالجواب: أن نزول النار من «فوق» سواء كان من (سمت)[٥] الرأس أو موضع آخر عجيبٌ[٦] فلهذا لم يخصه بالرؤوس وأما بقاء النار تحت القدم فهو عجيب، وإلا فمن جوانبَ القدم في الدنيا تكون الشعلة فذكر العجيب وهو ما تحت الأرجل حيث لم ينطق بالدّوس. وأما «فوق» فعلى الإطلاق.

قوله: «وَيَقُولُ ذُوقُوا» قرأ نافع وأهل الكوفة «ويقول» بياء الغيبة أي الله تعالى، أو الملك الموكل بعذابهم، وباقي السبعة بالنون أي جماعة الملائكة، أو نون العظمة لله تعالى[٧]، وأبو البَرَهْشَم[٨] بالتاء من فوق أي جهنم كقوله: ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠] وعبد الله[٩] وابن أبي[١٠] عَبْلَةَ: «ويُقَالُ» مبنياً للمفعول[١١]، وقوله: «مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» أي جزاء ما كنتم تعملون لما بين عذاب أجسامهم بين عذاب أرواحهم وهو أن يقال لهم على سبيل التنكيل والإهانة «ذُوقُوا مَا كُنْتُم تَعْمَلُونَ» جعل ذلك عين ما كانوا يعملون مبالغة بطريق إطلاق اسم المُسبَّب على السَّبَب، فإن عملهم كان سبباً لعذابهم وهذا كثير في الاستعمال.

قوله تعالى: ﴿يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِي وَٰسِعَةٌ فَإِيَّـٰيَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا

---

(١) ساقط من «ب».
(٢) في «ب» وشماله.
(٣) انظر: تفسير الفخر الرازي ١٥/ ٨١ و ٨٢.
(٤) ساقط من «ب».
(٥) ساقط من «ب».
(٦) هكذا في عبارة «أ» والفخر الرازي وفي «ب» لأن طبع النار الصعود إلى فوق فلهذا لم يخصه الخ.
(٧) الإتحاف ٢/ ٣٤٦، والسبعة ٥٠١، والكشف ٢/ ١٨٠.
(٨) أبو البرهشم: عمران بن عثمان أبو البرهشم الزبيدي الشامي، صاحب القراءة الشاذة، روى الحروف عن يزيد بن قطيب السكوني وروى الحروف عنه شريح بن يزيد. انظر: غاية النهاية ١/ ٦٠٤ و ٦٠٥.
(٩) هو ابن مسعود ونقلته «ب» خطأً فهو فيها «عبيد الله».
(١٠) تقدم.
(١١) انظر: تفسير البحر المحيط لأبي حيان ٧/ ١٥٦.

تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾﴾

قوله (تعالى)[1]: «يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ» لما ذكر حال المشركين على حدة، وحال أهل الكتاب على حدةٍ وجمعهما في الإنذار، وجعلهما من أهل النار اشتد عنادهم، وزاد فسادهم، وسعوا في إيذاء المؤمنين، ومنعهم من العبادة، قال مقاتل والكلبي: (نزلت في ضعفاء)[2] مسلمي مكة يقول: إن كنتم في ضَيْقٍ بمكة من إظهار الإيمان فاخْرُجُوا منها إلى[3] أرضٍ واسعة، آمنة، قال مجاهد[4]: إن أرضي واسعة فهاجروا وجاهدوا فيها، وقال سعيد بن جبير: إذا عُمِلَ[5] في أرض بالمعاصي فاخرجوا منها فإن أرضي واسعة، وقال عطاء: إذا أمرتم بالمعاصي فاهربوا (فإن)[6] أرضي واسعة وكذلك يجب على كل من كان في بلد يعمل فيها بالمعاصي ولا يمكنه تغيير ذلك أن يهاجر إلى حيث تُهَيَّأُ له العبادة، وقيل: نزلت في قوم تخلفوا عن الهجرة بمكة وقالوا نخشى إن هاجرنا من الجوع وضيق المعيشة، فأنزل الله[7] هذه الآية ولم يَعْذرهم بترك الخروج، وقال مطرف بن عبد الله[8]: أرضي واسعة: رزقي لكم واسع فاخرجوا.

فصل

قوله: «يا عبادي» لا يدخل فيه الكافر لوجوه:

أحدها: «إنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ»[9] والكافر يحب[10] سلطنة الشيطان فلا يدخل في قوله: «يا عبادي».

وثانيها: قوله تعالى: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ﴾ [الزمر: ٥٣].

وثالثها: أن العباد مأخوذ من العِبَادة والكافر لا يعبد الله فلا يدخل في قوله: «عبادي» وإنما يختص بالمؤمنين الذين يعبدونه.

ورابعها: الإضافة بين الله والعبد بقول العبد إلهي، وقول[11] الله عبدي.

---

(١) زائد من «ب».
(٢) ساقط من «ب».
(٣) انظر: القرطبي ١٣/٣٥٦ و ٣٥٧.
(٤) السابق.
(٥) السابق وقد قاله مالك.
(٦) السابق وفي «ب» إنَّ بدون فاء.
(٧) انظر: البحر المحيط ٧/١٥٧.
(٨) انظر؛ القرطبي السابق والبحر المحيط ٧/١٥٧ وفي «ب» عبد الله بن مطرف وهو تحريف. وهو مطرف بن عبد الله بن الشخير العامري أبو عبد الله البصري أحد سادة التابعين عن أبيه وعثمان وعلي وعنه أخوه أبو العلاء وخلق وكان ثقة له فضل وورع مات سنة ٩٥هـ، انظر: خلاصة الكمال ٣٧٩.
(٩) [الحجر: ٤٢].
(١٠) في «ب» تحت.
(١١) في «ب» يقول الله.

فإن قيل: إذا كانت[(١)] «عباده» لا تتناول إلا المؤمنين فما الفائدة في قوله: «الذين آمنوا» مع أن الوصف إنما يذكر لتمييز الموصوف كما يقال: يا أيها المكلفون المؤمنون، يا أيها الرجلاء العقلاء تتمييزاً بين الكافر والجاهل؟

فالجواب: أن الوصف يذكر لا لتمييز بل لمجرد بيان أن فيه الوصف كما يقال: الأنبياءُ المُكَرَّمُونَ[(٢)] والملائكة المطهَّرُونَ، مع أن كل نبي مكرمٌ، وكل ملك مطهرٌ، فإنما يقال[(٣)] لبيان أن فيهم الإكرامَ والطهارة، ومثله قولنا: الله الله العظيم فهاهنا[(٤)] ذكر لبيان أنهم مؤمنون.

فإن قيل: قوله: «يا عبادي» يفهم منه[(٥)] كونهم عابدين فما الفائدة بالأمر بالعبادة بقوله: «فَاعْبُدُونِ»؟

فالجواب: فيه فائدتان:

إحداهما: المداومة أي يا من عَبَدْتُمُونِي[(٦)] في الماضي فاعْبُدُوني[(٧)] في المستقبل.

والثانية: الإخلاص أي يا من يعبدني أَخْلِص العمل ولا تَقْبَلْ غيري.

فإن قيل: الفاء[(٨)] في قوله: «فَإِيَّايَ» يدل على أنه جواب لشرطٍ فما ذاك؟

فالجواب: قوله: «إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ» إشارة إلى عدم المانع من عبادته فكأنه قال: إذا كان لا مانع من عبادتي فإياي فاعبدون فهو لترتيب المقتضَى على المقتضي كما يقال: هذا عالمٌ فأكرموه. فكذلك هاهنا لما أعلم نفسه بقوله: «فَإِيَّايَ» وهو لنفسه مستحق العبادة، فقال: «فَاعْبُدُونِ». قال الزمخشري: «هذا جواب شرط مقدر، وجعل تقديم المفعول عوضاً من حذفه[(٩)] مع إفادته للاختصاص». وقد تقدم مُنَازَعَةُ أبي حيان[(١٠)] له في نظيره.

قوله تعالى: «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ» قرأه بالغيبة[(١١)] أبو بكر، وكذا في الروم[(١٢)] في قوله: «ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» وافقه أبو عمرو في الروم فقط

---

(١) في «ب» وكان.
(٢) في «ب» الأكرمون.
(٣) في «ب» وإنما قالوا.
(٤) في «ب» ها هنا.
(٥) في «ب» من.
(٦) في «ب» عبدوني.
(٧) في «ب» أعيدوني.
(٨) في «ب» الثاني وهو تحريف قطعاً.
(٩) انظر: الكشاف ٣/ ٢١٠.
(١٠) يقصد قول الله ﴿فإياي فارهبون﴾ [النحل: ٥١] وقد جعل أبو حيان هذه الجملة «فإياي فاعبدون» من باب الاشتغال أي فإياي أعبدوا فاعبدون. وعقب على كلام الزمخشري بقوله: «ويحتاج هذا الجواب إلى تأمل» انظر: البحر المحيط ٧/ ١٥٧.
(١١) انظر الإتحاف ٣٤٦، والسبعة ٥٠٢، وإبراز المعاني ٣٧.
(١٢) الروم: ١١.

والباقون بالخطاب[١] فيها. وقرىء يَرْجِعُون[٢] مبنياً للفاعل.

فصل

لما أمر الله تعالى المؤمنين بالمهاجرة صعب عليهم ترك الأوطان ومفارقة الإخوان فخوفهم بالموت ليهون عليهم الهجرة أي كل أحد ميت أينما كان فلا تقيموا بدار الشرك خوفاً من الموت فإن كل نفس ذائقة الموت فالأولى أن يكون ذلك في سبيل الله فيجازيكم عليه، فإن إلى الله مرجعكم فيجزيكم[٣] بأعمالكم، وفيه وجه دقيق آخر وهو أن قوله: «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ» أي إذا كانت (معلقة)[٤] بغيرها فهو للموت ثم إلى الله ترجع فلا تموت كما قال تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ﴾ [الدخان: ٥٦] وإذا كان كذلك فمن يريد أن لا يذوق الموت لا يبقى مع نفسه فإن النفس ذائقته بل يتعلق بغيره، وذلك الغير إن كان غير الله فهو ذائق الموت لقوله: «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ» و «كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إلاَّ وَجْهَهُ» فإذن التعلق بالله[٥] (يريح من الموت)[٦] فقال تعالى: «فإياي فاعبدون» أي تعلقوا بي، ولا تتبعوا النفْس، فإنها ذائقة الموت «ثُمَّ إلَيْنَا تُرْجَعُونَ» أي إذا تعلقتم بي فموتكم رجوعٌ إلي وليس بموت لقوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، وقال عليه (الصلاة و)[٧] السلام: «المؤمِنونَ لا يَمُوتونَ بل يُنْقَلُون من دار إلى دار».

قوله (تعالى)[٨]: «والَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» يجوز في «الذين» الوجهان المشهوران الابتداء[٩]، والاشتغال، وقوله: «لَنُبَوِّئَنَّهُمْ»، قرأ الأخوانِ بتاء مثلثةٍ ساكنةٍ بعد النون، وياء مفتوحة[١٠] بعد الواو من الثَّوَاءِ[١١] وهو الإقامة، يقال: ثَوَى الرجلُ إذا أقامَ، وأَثْوَيْتُهُ إذا أنزلته مَنْزِلاً يقيم فيه والباقون بباء موحدة[١٢] مفتوحة بعد النون، وهمزة مفتوحة بعد الواو من المَبَاءَةِ وهي[١٣] الإنزال أي لنبوئنهم من[١٤] الجنة غُرَفاً.

---

(١) المراجع السابقة.
(٢) وهي قراءة عليّ كرم الله وجهه، انظر: مختصر ابن خالويه ١١٥.
(٣) في «ب» فيجازيكم.
(٤) ساقط من «ب».
(٥) انظر: التفسير الكبير للفخر الرازي ٢٥/ ٨٤.
(٦) زيادة يقتضيها السياق من الفخر الرازي.
(٧) ساقط من «ب».
(٨) ساقط من «ب».
(٩) انظر: الدر المصون ٤/٣٠٨ والتبيان ١٠٣٤، والبحر ٧/١٥٨.
(١٠) وهي قراءة ابن وثاب، وابن مسعود، والأعمش أيضاً، انظر: البحر ٧/١٥٨، والقرطبي ١٣/ ٣٥٩، والإتحاف ٣٤٦، والسبعة ٥٠٢، ومعاني القرآن للزجاج ٤/ ١٧٣، ومعاني القرآن للفراء ٢/ ٣١٨.
(١١) معاني الزجاج ٤/ ١٧٣.
(١٢) المراجع السابقة.
(١٣) في «ب» وهو.
(١٤) في «ب» لننزلهم في الجنة.

قوله: «غُرَفاً» على القراءة الأولى إما مفعول به على تضمين «أَثْوَى» أَنْزَلَ فيتعدى لاثنين؛ لأن» «ثوى» قاصرٌ، وأكسبتْهُ الهمزةُ التعدي لواحدٍ، وإما (على)[١] تشبيه الظرف المختص بالمبهم[٢] كقوله: «لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ» وإما على إسقاط الخافض اتساعاً أي في غُرَفٍ[٣]. وأما في القراءة الثانية فمفعول ثانٍ؛ لأن «بوأ» يتعدى لاثنين[٤] قال تعالى: «تُبَوِّىءُ لِلْمُؤْمِنينَ مَقَاعدَ لِلقِتَالِ»[٥]، ويتعدى باللام، قال تعالى: «وإذْ بَوَّأْنَا لإبْرَاهِيمَ»[٦]. وقرىء «لنثوينّهم»[٧] بالتشديد مع الثاء المثلثة، عُدِّي بالتصعيف كما عُدِّي بالهمزة[٨]، و «تجري» صفة «لِغُرَفاً» «خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ العَامِلِينَ» وهذا في مقابلة قوله للكفار: «ذُوقُوا مَا كُنْتُم تَعْمَلُون».

قوله: «الَّذِينَ صَبَرُوا» يجوز فيه الجر والنصب والرفع[٩] كنظائر له تقدمت، والمعنى: الذين صبروا على الشدائد ولم يتركوا دينهم لشدة لحقتهم «وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» يعتمدون. قوله: «وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لاَ تَحْمِلُ رِزْقَهَا» جوز أبو البقاء في «كأين»[١٠] وجهين:

أحدهما: أنها مبتدأ و «لا تحمل» صفتها و «الله يرزقها» خبره و «من دابة» تبيين.

والثاني: أن تكون في موع نصب بإضمار فعل يفسره «يرزقها» ويقدر بعد «كأين» يعني لأن لها صدر الكلام، وفي الثاني نظر؛ لأن من شرط المفسرِ العملَ، وهذا المفسر لا يعمل لأنهُ لو[١١] عمل لحل محل المفعول لكن لا يحل محله، لأن الخبر (متى[١٢]

---

(١) ساقط من «ب».

(٢) الظرف المختص: قسمان معدود وهو ما له مقدار من الزمان معلوم كسنة وشهر ويومين، وغير معدود وهو أسماء الأيام كالسبت وغيره وما يخصص بالإضافة كيوم الجمل، أو بأل كاليوم، والليلة، أو بالصفة: كقعدت عندك يوماً قعد عندك فيه زيد، وما أضافت إليه العرب لفظ شهر من أعلام الشهور وهو رمضان، وربيع الأول، وربيع الآخر خاصة، أما الظرف المبهم فهو ما وقع على قدر من الزمان غير معين، كوقت، وحين وزمان، وينصب على جهة التأكيد المعنوي لأنه لا يزيد على دلالة الفعل ومنه «أسرى بعبده ليلاً» انظر: الهمع ١/ ١٩٥ و ١٩٦.

(٣) البحر المحيط ٧/ ١٥٧. (٤) السابق.

(٥) آل عمران: ١٢١.

(٦) [الحج: ٢٦]. ويرى ابن الأنباري أن اللام في هذه الآية زائدة، والفعل تعدى إلى مفعولين.

(٧) انظر: البيان ٢/ ٢٤٦. لم ينسبها في البحر ٧/ ١٥٧ إلى معيَّن.

(٨) انظر: السابق والدر المصون ٤/ ٣٠٩. (٩) الدر المصون ٤/ ٣٠٩.

(١٠) التبيان ١٠٣٤.

(١١) فلا يقال: «قام زيد» على أن «زيداً» مبتدأ مؤخر، و «قام» جملة فعلية خبر مقدم، وذلك لئلا يلتبس المبتدأ بالفاعل فيجب حينئذ التزام الأصل هذا من جهة اللفظ، وأما من جهة المعنى فالمبتدأ محكوم عليه فيجب أن يتقدم ما لم يمنع من ذلك مانع كأن يكون الخبر اسم استفهام له صدر الكلام.

(١٢) ساقط من «ب».

كان) فعلاً رافعاً لضمير مفرد امتنع تقديمه على المبتدأ. وإذا أردت معرفة هذه القاعدة فعليك بسورة[١] «هود» عند قوله: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ [هود: ٨].

فصل

لما ذكر الله «الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون» ذكر ما يعين على التوكل وهو بيان حال الدواب التي لا تدخر شيئاً لغدٍ، ويأتيها رزقها كل يوم.

واعلم أن (في)[٢] كأين (أربع لغات[٣] غير هذه كائن على[٤] وزن راع، وكَأَى على وزن رَعَى[٥] «وكِيءَ»[٦] على وزن «رِيعَ» و «كَا»[٧] على وزن «رع» ولم يُقْرأ إلا كائن و «كا» قراءة ابن كثير[٨].

فصل

«كأين» كلمة) مركبة من «كاف التشبيه» و «أن» التي تستعمل استعمال «مَن» و «ما» ركبتا، وجعل المركّب بمعنى «كم» ثم لم يكتب إلا بالنون ليفصل بين المركب وغير المركب لأن «كأيّ» مستعمل غير مركب كما يقول القائل: «رأيت رجلاً لا كَأَيِّ رَجُلٍ يكُونُ» (فقد حذف[٩] المضاف إليه، ويقال: رأيت رجلاً لا كأي رجل) وحينئذ لا يكون «كأي» مركباً. فإذا كان «كأي» ههنا مركباً كتبت بالنون للتمييز، (كما تكتب مَعْدِ يكَرِبَ[١٠] وبَعْلَبَكَّ) موصولاً للفرق وكما تكتب ثَمَّةَ بالهاء تمييزاً بينها وبين (ثَمَّتَ)[١١].

فصل

روي أن النبي ـ ﷺ ـ قال للمؤمنين الذين كانوا بمكة[١٢] وآذاهم المشركون هاجروا إلى المدينة. فقالوا: كيف نخرج إلى المدينة وليس لنا بها دار ولا مال؟ فمن يطعمنا بها

---

(١) في «ب» سورة.
(٢) سقط من «ب».
(٣) ما بين المعقوفين كله سقط من «ب».
(٤) فتكون اسم فاعل من «كان» ساكنة النون وبذلك قرأ ابن كثير كما سيأتي الآن.
(٥) قال في الهمع ٢/٦٧: وبذلك قرأ ابن محيصن.
(٦) يكون ذلك بتقديم الياء على الهمزة.
(٧) يكون ذلك بالقصر.
(٨) لم أجد هذه القراءة في كتب القراءات المعتمدة لا في المتواتر، ولا في الشاذ إلا في كتاب الهمع للسيوطي ٢/٧٦، وتفسير الفخر الرازي ٢٥/٨٦.
(٩) زيادة يقتضيها المعنى والسياق، انظر: الفخر الرازي ٢٥/٨٦.
(١٠) زيادة يقتضيها السياق من المرجع السابق أيضاً.
(١١) تصحيح من النسختين اللتين نقلت «ثمة». هذا وقد قال أبو حيان: هذه اللغات التي وردت في «كأين» نقلها النحويون ولم ينشدوا فيها شعراً كما علمت، وهي في الآية هنا تفيد خبراً فغالباً ما تفيد الخبر بمعنى الكثرة، وقلما تفيد الاستفهام، انظر: همع الهوامع ٢/٧٦.
(١٢) انظر: القرطبي ١٣/ ٣٦٠ وقد رواه ابن عباس.

ويسقينا؟ فأنزل الله تعالى: «وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ» أي وكم من دابة ذاتِ حاجة إلى غذاء و «لا تحمل رزقها» لضَعفها، كالقَمْلِ والبُرْغُوث والدود «اللَّهُ يَرْزُقُهَا وإيَّاكُمْ» حيث ما كنتم «وهو السَّمِيعُ» لأقوالكم: ما نجد ما ننفق بالمدينة، «العَلِيمُ بما في قلوبكم». قال سفيان[١]: ليس شيء مما خلق الله نَجْباً إلا الإنسان والفأرة والنَّمْلَة روى ابن عمر قال: دخلت مع رسول الله ـ ﷺ ـ حائطاً من حوائط الأنصار فجعل رسول الله ـ ﷺ ـ يلقط الرُّطَبَ بيده ويأكل، فقال: كُلْ يا ابن عمر، (قلت: لا أشتهيها[٢] يا رسول الله قال: لكني أشتهيه، وهذه صبح رابعة لم أطعم طعاماً ولم أجده) فقلت: إنا لله الله المستعان قال يا ابن عمر: لو سألت ربي لأعطاني مثل مُلْكِ كِسْرَى وقَيْصَرَ أضعافاً مضاعفة ولكني أجوعُ يوماً وأَشْبع يوماً فكيف بك يا ابن عمر إذا عَمَّرْتَ وبَقِيتَ في أمر الناس يُخَبِّئُونَ رزق سنة ويضعف اليقين[٣] فنزلت: «وكأين من دابة لا تحمل رزقها» الآية، وقال عليه (الصلاة و)[٤] السلام «لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ على اللَّهِ حقَّ تَوَكُّله لَرَزَقكُمْ كما يرزقُ الطيرَ تغدُو خِمَاصاً، وتروحُ بِطَاناً»[٥].

قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾

قوله تعالى: «وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ» يعني كفار مكة «مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ والأَرْضَ وسخَّر الشَّمْسَ والْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ» أي هم يعتقدون هذا فكيف يصدفون عن عبادة الله مع أن من عُلِمَ عظمُتُه وَجَب خدمَتُهُ ولا عظم فوق السماوات والأرض، ولا حقارةَ فوق حقارة الجَمَاد؛ لأن الجمادَ دونَ الحيوان والحيوانَ دونَ الإنسان، والإنسان دون سكان السماواتِ فكيف يتركون عبادة أعظمِ الموجوداتِ ويشتغلون بعبادة أخسّ الموجوداتِ؟

فصل

لما بين أمر المشرك مخاطباً معه، (ولم ينتفع به، وأعرض[٦] عنه، وخاطب

---

(١) تقدم. (٢) ساقط من «ب».

(٣) الحديث رواه الإمام السيوطي في الدر النثور مع اختلاف طفيف في العبارة بسند ضعيف إلى ابن عمر، انظر: الدر المنثور ٦/ ٤٧٥ والقرطبي ١٣/ ٣٥٩.

(٤) ساقط من (ب).

(٥) الحديث أخرجه ابن ماجة في باب الزهد مروي عن عمر بن الخطاب، انظر ٢/ ٩٤.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من «ب» كله.

المؤمنين بقوله: «يا عبادي» وأتم الكلام معه ذكر معه) ما يكون إرشاداً للمشرك بحيث يسمعه وهذا طريق في غاية الحسن، فإن السيد إذا كان له عبدان أو الوالد إذا كان ولدان، وأحدهما رشيد، والآخر مفسد ينصح[١] أولاً المفسد فإن لم يسمع يلتفت إلى الرشيد ويعرض عن المفسد، ويقول: إن هذا لا يستحق الخطاب فاسمع[٢] أنت ولا يكن منك هذا المفسد فيتضمن[٣] هذا الكلام نصيحة الرشيد، وزجر المفسد، فإن قوله هذا لا يستحق الخطاب الموجب نكاية في قلبه، ثم إذا ذكر مع المصلح في أثناء الكلام والمفسد يسمعه إنّ هذا أخاك العجب منه أنه يعلم قبح فعله ويعرف فيه الفساد من الصلاح، وسبيل الرشاد والفلاح ويشتغل بضده يكون هذا الكلام أيضاً داعياً إلى الرشاد ومانعاً له من الفساد فكذلك قال الله للمؤمِنِ العجب منهم إنهم إن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولون الله ثم لا يُؤْمِنُونَ.

فصل

ذكر في السماوات والأرض الخلق، وفي الشمس والقمر التسخير، لأن مجرد خلق الشمس والقمر ليس حكمة فإن الشمس لو كانت مخلوقةً بحيث تكون في موضع واحد لا تتحرك ما حصل[٤] الليل ولا النهار، ولا الصيف ولا الشتاء فإذن الحكمة في تحريكهما (وتسخيرهما)[٥]. واعلم أن في لفظ التسخير دون التحريك فائدة وهي أن التحريك يدل على مجرد الحركة، وليست مجرد الحركة كافية؛ لأنها لو كانت تتحرك مثل حركتنا لما كانت تقطع الفلك في أُلوف من السنين، فالحكمة في تسخيرها تحريكها في قدر ما ينتقل الإنسان آلافاً من الفراسخ، ثم لم يجعل لها حركةً واحدة، بل حركات:

إحداها: حركة من المشرق إلى المغرب في كل يوم وليلة مرة، والأخرى: حركتها من المغرب إلى المشرق ويدل عليها أن الهلال يرى في جانب (المغرب)[٦] على بعد مخصوص من الشمس ثم يبعد منها إلى جانب المشرق حتى يُرى القمر في نصف الشهر في مقابلة الشَّمْس، والشمس على أفق المغرب، والقمر على أفق المشرق وأيضاً حركة الأوج، وحركة المائل والتدوير في القمر، ولا الحركة التي من المغرب إلى المشرق لما حصلت الفصول[٧].

واعلم أن أصحاب الهيئة قالوا: الشمس مركوزة في الفلك، والفلك يديرها بدَوَران[٨]. وأنكره المفسرون الظَّاهِرِيُّونَ. واعلم أنه لا بعد في ذلك (إن)[٩] لم يقولوا

---

(١) في «ب» «فينصح» بالفاء.
(٢) في «ب» واسمع أنت ولا يكن مثل هذا المفسد.
(٣) في «ب» يتضمن بدون الفاء.
(٤) في «ب» ما جعل.
(٥) ساقط من «ب».
(٦) ساقط من «ب».
(٧) انظر: التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي ٢٥/٨٨ و ٨٩.
(٨) في «ب» بدورانه.
(٩) كلمة «إن» ساقطة من «ب».

بالطبيعة؛ فإن الله تعالى فاعل مختار إن أَراد أن يحركهما (في الفلك وبالفلك ساكن يجوز، وإن أراد أن يحركهما) بحركة الفلك وهما ساكنان يجوز ولم يرد فيه نص قاطعٌ أو ظاهرٌ. واعلم أنه تعالى ذكر إيجاد الذوات بقوله: «خلق السموات والأرض» وذكر إيجاد الصفات بقوله: «وَسَخَّرَ الشمس والقمر» ثم قال: «اللَّهُ يَبْسُطُ الرزق لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ» لما ذكر الخلق ذكر الرزق؛ لأن بقاء الخلق ببقائه، وبقاء الإنسان بالرزق، فقال المعبود إما أن يعبد لاستحقاق[(١)] العبادة والأصنام ليست كذلك والله مستحقها وإما لكونه عظيم الشأن والله الذي خلق السماوات عظيم الشأن فله العبادة، وإما لكونه يأمر[(٢)] الإحسان، والله يَرْزُقُ[(٣)] الخَلْقَ فله الفضل والإحسان، والامْتِنَان فله العبادة «إنَّ اللَّه بكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» يعلم مقادير الحاجات والأرزاق، ولما قال: «يبسط الرزق» ذكر اعتراقهم بذلك فقال: «وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ من السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ» يعني سبب الرزق، وموجد السبب موجد المسبب فالرزق من الله.

قوله: «قُلِ الحَمْدُ لِلَّهِ» على ما أقروا به، ولزوم الحجة عليهم «بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ» (ينكرون التوحيد[(٤)] مع إقرارهم بأنه خالق لهذه الأشياء فقل الحمد لله على ظهور تناقضهم وأكثرهم لا يعقلون) هذا التناقض، وقيل: هذا كلام معترض في أثناء كلام، فإنه قال «فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا» «بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ»[(٥)] فذكر في أثناء هذا الكلام الحمد لذكر النعمة كقوله:

٤٠٣١ ـ إنَّ الثَّمَانِينَ ـ وَبُلِّغْتَهَا ـ قَدْ أَحْوَجَتْ سَمْعِي إلَى تَرْجُمَان[(٦)]

قوله (تعالى)[(٧)]: «وَمَا هَذِهِ الحَيَاةُ الدُّنْيَا إلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ» «اللهو» هو: الاستمتاع بلذّات الدنيا، و «اللعب» (الْعَبَثُ)[(٨)]، سميت بها، لأنها فانية، وقيل: «اللهو» الإعراض عن الحق، و «اللعب» في الإقبال على الباطل.

فإن[(٩)] قيل: قال في الأنعام: «وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا» (ولم يقل: «وَمَا هَذِهِ[(١٠)] الحَيَاةُ») وقال ههنا: «وما هذه الحياة» فما فائدته؟

---

(١) في «ب» لاستحقاقه.
(٢) في «ب» ولي الإحسان.
(٣) في «ب» وأنه يرزق الخلق.
(٤) ما بين القوسين كله ساقط من «ب».
(٥) الأصح: يعقلون كما في الآية.
(٦) هذا بيت من السريع لعوف بن محلم، وجيء به استشهاداً على الاعتراض فإن جملة «وبلّغتها» قد اعترض بين اسم إن «الثمانين» وخبرها «قد أحوجت سمعي» وانظر: الأمالي للقالي ١/ ٥٠ وأمالي الشجري ٢/ ٢١٥، والمغني ٣٨٨ و ٣٩٦ وشرح شواهده للسيوطي ٨٢١، وشذور الذهب ٦٤، والهمع ١/ ٤٨ والدرر اللوامع ١/ ٢٠٧، ومعاهد التنصيص ١/ ١٢٤، والفخري الرازي ٢٥/ ٩٠.
(٧) ساقط من «أ».
(٨) ساقط من «ب».
(٩) ساقط من «ب» وانظر: [الأنعام: ٣٢].
(١٠) ساقط من «ب».

فالجواب: أن المذكور (من[١] قبل ههنا أمر الدنيا، حيث قال: «فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا» فقال: هذه، والمذكور قبلها) هناك الآخرة حيث قال: «يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ»[٢] فلم تكن الدنيا في ذلك الوقت في خاطرهم فقال: «وما الحياة الدنيا».

فإن قيل: ما الحكمة في تقديمه هناك «اللعب» على «اللهو» وههنا أخر «اللعب» عن «اللهو».

فالجواب: لما كان المذكور من قبل هناك الآخرة، وإظهارهم للحسرة ففي ذلك الوقت ببعد الاستغراق في الدنيا، بل نفس الاشتغال بها فأخذ[٣] الأبعد، وههنا لما كان المذكور من قبل الدنيا وهي خداعة تدعو النفوس إلى الإقبال عليها والاستغراق فيها، اللهم إلا لمانع يمنع من الاستغراق فيشتغل بها من غير استغراق (بها)[٤]، أو لعاصم يعصمه فلا يشتغل بها أصلاً، فكان: (ههنا)[٥] الاستغراق أقرب من عدمه فقدم اللهو.

فإن قيل: ما الحكمة في قوله هناك: «وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ» وقال هَهنا «وإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الحَيَوَانُ»؟

فالجواب: لما كان الحال هناك حال إظهار الحسرة ما كان المكلف يحتاج إلى وازع قويٍّ فقال: الآخرةُ خَيْر ولما كان الحال هنا حال الاشتغال بالدنيا احتاج إلى وازع قوي فقال: لا حياة إلا حياة الآخرة[٦].

قوله: «وإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الحَيَوانُ» قدر أبو البقاء وغيره قبل المبتدأ مضافاً أي وإنَّ حَيَاةَ الدارِ الآخرة[٧] وإنما قدر ذلك ليتطابق[٨] المبتدأ والخبر والمبالغة أحسن و «واو» الحيوان (عن[٩] ياءٍ) عند سيبويه وأتباعه[١٠]، وإنما أبدلت واواً شذوذاً، وكذلك في «حَيَاةٍ» علماً وقال أبو البقاء لئلا يلتبس بالتثنية[١١] يعني لو قيل: حَيَيَانِ ـ قال: ولم

(١) ساقط كله من «ب» وهو ما بين القوسين.
(٢) الآية ٣١ من الأنعام.
(٣) في «ب» وأخذ ـ بالواو.
(٤) ساقط من «ب».
(٥) ساقط من «ب».
(٦) انظر: التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي ٢٥/ ٩١.
(٧) انظر: التبيان ١٠٣٥.
(٨) في «ب» لتطابق.
(٩) ساقط من «ب».
(١٠) كأبي البقاء هذا وابن الأنباري وغيرهما، انظر: البيان ٢/ ٢٤٦ وقد قال سيبويه في الكتاب ٤/ ٣٩٧ «والمضاعف من الياء قليل، لأن الياء قد تثقل وحدها لاماً، فإذا كان قبلها ياء كان أثقل لها» ثم يقول في ٤/ ٤٠٩ «وأما قولهم «حيوان» فإنهم كرهوا أن تكون الياء الأولى ساكنة ولم يكونوا ليلزموها الحركة ههنا، والأخرى غير معتلة من موضعها، فأبدلوا الواو ليختلف الحرفان كما أبدلوها في «رحوي» حيث كرهوا الياءات، فصارت الأولى على الأصل، كما صارت اللام الأولى في «ممل» ونحوه على الأصل حيث أبدلت الياء من آخره».
(١١) التبيان ٢/ ١٠٣٥.

تقلب ألفاً لتَحَرُّكِهَا وانفتاح ما قبلها؛ لئلا يحذف إحدى الألفين وغير سيبويه[١] حمل ذلك على ظاهره، فالحياة عنده لامُها «واو». ولا دليل لسيبويه في «حَيِيَ»؛ لأن الواو متى انكسر ما قبلها قلبت ياءً نحوُ: «عُدِيَ، ودُعِي، وَرَضِيَ». ومعنى الآية[٢]: «وإن الدار الآخرة لهي الحيوان» أي الحياة الدائمة الباقية، والحيوان بمعنى الحياة أي فيها الحياة الدائمة «لو كانوا يعلمون» أي لو كانوا يعلمون أنها الحيوان لما آثروا عليها الدنيا.

فإن قيل: ما الحكمة في قوله: في الأنعام ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ٣٢] وقال هنا «لَوْ كَانُوا يَعْلَمُون»؟

فالجواب: أن المُثْبَتَ هناك كون الآخرة خيراً، ولأنه ظاهر لا يتوقف إلا على العقل والمثبت هنا أن لا حياة إلا حياة الآخرة. وهذا دقيق لا يُعْلَمُ إلا بِعِلْمٍ نَافِعٍ.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ (٦٥) لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٦٦) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ (٦٧) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ (٦٨) وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (٦٩)﴾

قوله تعالى: «فإذا ركبوا في الفلك» قال الزمخشري: «فإن قُلتَ»[٣]: بم اتصلَ قوله فَإِذَا رَكِبُوا في الفُلْك؟

قلتُ: بمحذوف دل عليه ما وصفهم (به)[٤] وشرح من أمرهم معناه هم على ما وصفوا به من الشرك والغفلة فإذا ركبوا.

قوله: «دَعَوُا اللَّهَ» معناه: فإذا خافوا (مِنَ)[٥] الغرق دعوا الله مخلصين له الدين، وتركوا الأصنام، وهذا إشارة إلى تحقيق أن المانع من التوحيد هو الحياة الدنيا؛ لأنهم إذا انقطع رجاؤهم عن[٦] عن الدنيا رَجَعُوا إلى الفطرة الشاهدة بالتوحيد ووحدوا وأخلصوا، وإذا[٧] نجاهم وأرجأهم عادوا إلى ما كانوا عليه من حب الدنيا، وأشركوا لقوله: «فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِلَى البَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ» وهذا إخبار عنهم بأنهم عند الشدائد يقرون أن القادر على كشفها هو الله ـ عزّ وجلّ ـ وحده، وإذا زالت عادوا إلى كفرهم، قال عكرمة: كان أهل الجاهلية[٨] إذا ركبوا البحر حملوا معهم الأصنام فإذا اشتدت[٩] عليهم الريح ألقوها في البحر، وقالوا: يا رب يا رب.

---

(١) وهو قول أبي عثمان المازني، انظر: شرح الشافية ٣/ ١٤٢، واللسان جبي ١٠٨٧.
(٢) انظر: القرطبي ١٣/ ٣٦٢.
(٣) ساقط من «ب».
(٤) الكشاف ٣/ ٢١٢.
(٥) ساقط من «ب».
(٦) في «ب» من الدنيا.
(٧) في «ب» وإن أنجاهم.
(٨) انظر: تفسير ابن كثير ٣/ ٤٢١.
(٩) في «ب» اشتد.

قوله: «لِيَكْفُرُوا» فيه وجهان:

أظهرهما[(١)]: أن اللام لام «كي» أي سَيُشْرِكُونَ لِيَكُونَ إشراكُهُم كفراً بنعمة الإنجاء «وَلِيَتَمَتَّعُوا» بسبب الشرك «فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ» وبالَ عملهم.

والثاني: أن تكون لام الأمر، ومعناه التهديد والتوعيد[(٢)]، كقوله: ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ﴾ [فصلت: ٤٠] أي ليجحدوا نعمة[(٣)] الله في إنجائه إياهم فسيعلمون فساد ما يعملون.

قوله: «وَلِيَتَمَتَّعُوا»، قرأ أبو عمرو وابنُ عامر وعاصمٌ وورشٌ[(٤)] بكسرها، وهي محتملة[(٥)] للأمرين المتقدمين، والباقون[(٦)] بسكونها، (وهي) ظاهرة في الأمر، فإن كانت الأولى للأمر فقد عطف أمراً على مثله، وإن كانت للعلة فيكون عطف كلاماً على كلام، فيكون المعنى لا فائدة لهم في الإشراك إلا الكفر والتمتع بما يستمتعون به في العاجلة من غير نصيب[(٧)] في الآخرة وقرأ عبد الله فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ[(٨)] تَعْلَمُونَ، وأبو العالية[(٩)] «فَيُمَتَّعُوا» بالياء من تحت مبنياً للمَفْعُولِ[(١٠)].

قوله: «أَوَ لَمْ يَرَوا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً آمِناً» وجه تعلقه بما قبله أن الإنسان يكون في البحر على أخوف[(١١)] ما يكون لا سيما إذا كان بيته في بلدٍ حصين فلما ذكر الله حال المشركين عند الخوف الشديد ورأوا أنفسهم في تلك الحالة راجعة إلى الله ذَكَّرَهُمْ حالهم عند الأمن العظيم وهي كونهم في مكة فإنها مدينتهم وبلدهم، وفيها سُكْنَاهُمْ ومولدهم وهي حصين بحصن الله حيث من[(١٢)] دخلها يمتنع من حصل فيها، والحصول فيها يدفع الشرور عن النفوس يعني: إنكم في أخوف ما أنتم دعوتم الله وفي أتم ما حصلتم[(١٣)] عليه كفرتم بالله، وهذا متناقض، لأن دعاءكم في ذلك الوقت على سبيل الإخلاص ما كان إلا لِقَطْعِكُم بأن النعمة من الله لا غير وهذه النعمة العظيمة التي

---

(١) في «ب» أحدهما.
(٢) في «ب» الوعيد.
(٣) في «ب» بنعمة.
(٤) هو عثمان بن سعيد بن عبد الله بن عمرو أبو سعيد مولاهم القرشي القبطي المصري الملقب «بورش» شيخ القراء المحققين، وإمام أهل الأداء المرتلين رحل إلى نافع فعرض عليه القراءات، مات سنة ١٩٧هـ. انظر: طبقات القراء ١/٥٠٣.
(٥) الإتحاف ٣٤٦، والسبعة ٥٠٢، ومعاني الفراء ٢/٣١٩، والكشاف ٣/٢١٣، ٢١٢، ومعاني الزجاج.
(٦) المراجع السابقة.
(٧) في «ب» تثبيت.
(٨) البحر ٧/١٥٩.
(٩) أبو العالية هو رفيع بن مهران أبو العالية الرياحي البصري المقرىء الفقيه، مولى امرأة من بني رياح قرأ على أبيّ وغيره سمع من عمر، وابن مسعود، وعليّ، وسمع منه قتادة، والربيع بن أنس، مات سنة ٩٣هـ انظر: طبقات المفسرين للداودي ١/١٧٨: ١٧٩.
(١٠) وهي قراءة شاذة، انظر: مختصر ابن خالويه ١١٥.
(١١) في «ب» خوف بالإفراد.
(١٢) في «ب» حيث كل من دخل.
(١٣) في «ب» وفي أمن ما جعلتم عليه.

حصلت[١]، وقد اعترفتم بأنها لا تكون إلا من الله فكيف تكفرون بها، والأصنام التي قد (قطعتم)[٢] في حال الخوف أن لا أمن منها لها كيف أَمِنْتُمْ بها في حال الأمن؟ ثم قال: «أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ» (قرأ العامة)[٣] يؤمنونَ ويكفرون بياء الغيبة، والحسن، والسلمي بتاء الخطاب فيهما[٤]، والمعنى: أفبالأَصْنَام والشياطين يؤمنون وبنعمة الله محمد والإسلام يكفرون؟

قوله: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً» فزعم أن له شريكاً، والظلم وضع الشيء في غير موضعه فإذا وضعه في موضع لا يمكن ذلك موضعه يكون أظلم، لأن عدم الإمكان أقوى من عدم الحصول.

قوله: «أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ» أي بمحمد، والقرآن لما جاءه «أَلَيْسَ فِي جَهَنَّم» وهذا استفهام تقرير، كقوله:

٤٠٣٢ ـ أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايَا وَأَنْدَى العَالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ[٥]

والمعنى: أما لهذا الكافر المكذب مأوى في جهنم؟

قوله: «والَّذِينَ جَاهَدُوا» (يجوز)[٦] فيه ما جاز في «الذين آمنوا» أول السورة[٧] وفيه رد على ثَعْلَب[٨] حيث زعم أَنَّ جملة القسم لا تقع خبراً للمبتدأ[٩]، والمعنى: والذين[١٠] جاهدوا المشركين لنُصرة ديننا «لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا» لَنُثَبِّتَنَّهُمْ على ما قاتلوا عليه وقيل: لنَزِيدنهم هدى[١١]، كما قال: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًىۗ﴾ [مريم: ٧٦] وقيل: لَنَهْدِيَنَّهُمْ[١٢] لإصابة الطرق المستقيمة، والطرق المستقيمة هي التي توصل إلى

---

(١) في «ب» جعلت. (٢) تصحيح يقتضيه السياق فالسياق كان «قلتم».

(٣) ساقط من «أ» وانظر: الإتحاف ٣٤٦، والسبعة ٥٠٢، ومعاني الفراء ٢/ ٣١٩، والكشاف ٣/ ٢١٢.

(٤) انظر: مختصر ابن خالويه ١١٥، وهذه قراءة شاذة غير متواترة.

(٥) هو من الوافر وهو لجرير بن عطية الخطفى في مدح عبد الملك بن مروان. وقد تقدم.

(٦) ساقط من (ب).

(٧) حيث يجوز أن يكون مرفوعاً بالابتداء، والخبر جملة القسم ويجوز أن يكون منصوباً بفعل مضمر منصوباً على الاشتغال.

(٨) ثعلب: أحمد بن يحيى بن يزيد بن سيار، سمع إبراهيم بن المنذر ومحمد بن سلام الجمحي وروى عنه محمد بن العباس اليزيدي وعلي بن سليمان وأبو بكر الأنباري وغيرهم له المصون، والفصيح وغير ذلك. انظر: إنباه الرواة ١/ ١٣٨: ١٥١.

(٩) ووجه الامتناع عنده أحد وجهين الأول: إما كون جملة القسم لا ضمير فيها فلا تكون خبراً، وإما كون الجملة الثانية وهي جملة القسم إنشائية والواقعة خبراً لا بد من احتمالها للصدق والكذب، وكلا الأمرين ملغى، انظر الهمع ١/ ٩٦، والبحر ٧/ ١٥٩.

(١٠) القرطبي ١٣/ ٣٦٤. (١١) مريم: ٧٦.

(١٢) القرطبي ١٣/ ٣٦٤.

رِضَى الله ـ عزّ وجلّ ـ قال سفيان بن عيينة(١): إذا اختلف الناس فانظروا ما عليه أهل الثغور، فإن الله قال: «والَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا»(٢) وقيل: المجاهدة هي الصبر على الطاعات قال الحسن(٣): أفصلُ الجهاد مخالفة الهوى، وَقَالَ الفضيل بن عياض(٤) «والَّذِينَ جَاهَدُوا في إقامة السنة لنهدينهم سبيل الجنة».

قوله: «وإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ» من إقامة الظاهر مُقَام المضمر، إظهاراً لشرفهم، والمعنى لمع المحسنين بالنصر والمعونة في دنياهم، وبالثواب والمغفرة في عقباهم.

روى أبو أمامة(٥) عن أبي بن كعب(٦) قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «من قرأ سورة العنكبوت كان له من الأجر عشر حسناتٍ بعدد المؤمنين والمنافقين»(٧).

---

(١) سفيان بن عيينة بن أبي عمران الهلالي مولاهم أبو محمد الأعور الكوفي أحد الأئمة عن عمرو بن دينار وعنه شعبة وابن المبارك، مات سنة ١٩٨هـ. انظر: خلاصة الكمال ١٤٥، ١٤٦.

(٢) القرطبي ١٣/ ٣٦٥.

(٣) المراجع السابقة.

(٤) الفضيل بن عياض: الإمام القدوة شيخ الإسلام أبو علي التميمي اليربوعيّ، حدث عن منصور، وأبان بن أبي عياش، وروى عنه ابن المبارك ويحيى القطان، مات سنة ١٨٧هـ.
انظر: خلاصة الكمال وتذكرة الحفاظ ١/ ٢٤٥ و ٢٤٦، وانظر رأيه في القرطبي ١٣/ ٣٦٥.

(٥) أبو إمامة: صدي بن عجلان الباهلي أبو أمامة صحابي مشهور له مائتا حديث وخمسون حديثاً، روى له خمسة أحاديث البخاري، وثلاثة مسلم، وعنه: شهر بن حوشب وخالد بن معدان، وسالم بن الجعد، ومحمد بن زياد الألهاني. مات سنة ٨١هـ بحمص انظر: خلاصة الكمال ١٧٦.

(٦) أبي بن كعب: قيس بن عبيد بن يزيد بن معاوية بن عمرو بن مالك الأنصاري الخزرجي أبو المنذر المدني، سيد القراء، كتب الوحي، له مائةٌ وأربعون حديثاً، وعنه ابن عباس وأنس، وسهل وسويد بن علقمة ومسروقٌ وخلقٌ كثيرٌ، مات سنة ٣٢هـ. انظر: خلاصة الكمال ٢٤.

(٧) الحديث اعتبره صاحب السراج المنير من الموضوعات، فقال: «وأما ما نقله البيضاوي عن الزمخشري (الحديث) فهو موضوع.
انظر: السراج المنير ٣/ ١٥٥، ومجمع البيان ٨/ ٤٢٥، والكشاف ٣/ ٢١٣، بصيغة «كل المؤمنين والمنافقين»، والبيضاوي ٢/ ١١٣.

سورة «الروم»

مكية[1] وهي ستون آية، وثمان مائة وتسع عشرة كلمة، وثلاثة آلاف وخمسمائة وأربعة وثلاث حرفاً.

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾

قوله تعالى: ﴿الٓمٓ. غُلِبَتِ الرُّوْم﴾ وجه تعلق هذه السورة بما قبلها أن الله تعالى لما قال: «ولا تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ إلاَّ بالتي هِيَ أَحْسَنُ» وكان يجادل المشركين بنسبتهم إلى عدم العقل كما في قوله: ﴿صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٨] وكان أهل الكتاب يوافقون النبي والإله[2] كما قال: ﴿وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ﴾ [العنكبوت: ٤٦] وكانوا يؤمنون بكثير مما يقوله، بل كثير منهم كانوا مؤمنين (به[3]) كما قال: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ﴾ [العنكبوت: ٤٧] أبغض المشركون أهل الكتاب وتركوا مراجعتهم وكانوا من قبل يراجعونهم في الأمور، وكان بين فارس والروم قتال والمشركون يودون أن تغلب فارس الروم لأن أهل فارس كانوا مجوساً آمنين، والمسلمين يَودُّون غلبةِ الروم على فارس لكونهم أهل كتاب فبعث «كسرى» جيشاً إلى الروم واستعمل عليهم رجلاً (يقال[4] له: شهريار وبعث «قيصر» جيشاً واستعمل عليهم) رجلاً يدعى يحانس، فالتقيا باذْرِعاتَ، وبُصْرَى، وقال عكرمة: هي أذرعات وكسكر[5]، وقال مجاهد: أرض الجزيرة[6]، وقال مقاتل: الأردن[7] وفلسطين وهي أدني الشام إلى أرض العرب والعجم فغلبت فارس الروم فبلغ ذلك المسلمين بمكة، فشق ذلك عليهم وفرح به كفار مكة وقالوا للمسلمين: إنكم

---

(١) كلها من غير خلاف، وانظر: القرطبي ١٤/ ٢.
(٢) في «ب» والآية.
(٣) ساقط من «ب».
(٤) ما بين المعقوفين كله ساقط من «ب».
(٥) انظر القرطبي ١٤/ ٢.
(٦) السابق.
(٧) السابق.

أهل الكتاب والنصارى أهل كتاب ونحن أمِّيُّون[١] وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من الرُّوم وإنكم إن قاتلتمونا لنَظْهَرَنَّ عليكم فأنزل الله هذه الآيات[٢] لبيان أن الغلبة لا تدل على الحق بل الله قد يريد في ثواب المؤمنين من يبتليه، ويسلط عليه الأعادي، وقد يختار تعجيل العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر قبل يوم الميعاد[٣].

فصل

قد تقدم أن كل سورة افْتُتِحَتْ بحروف التَّهَجِّي فَإن في أولها ذكرَ الكتاب أو التنزيلَ أو القرآنَ، كقوله: «الٓمٓ. ذلك الكتاب» «المص. كتاب» «طه ما أنزلنا عليك القرآن» «الٓمٓ. تنزيل الكتاب» «حم. تنزيل من الرحمن الرحيم» «يس. والقرآن» «ق. والقرآن» إلا هذه السورة وسورتين[٤] أخريين ذكرناهما في العنكبوت، وذكرنا الحكمة منهما هناك. وأما ما يتعلق بهذه السورة فنقول: إن السورة التي في أوائلها التنزيل والكتاب والقرآن في أوائلها ذكر ما هو معجزة فقدمت عليها الحروف على ما تقدم بيانه في العنكبوت، وهذه في أوائلها ذكر ما هو معجزة وهو الإخبار عن الغيب، فقدمت الحروف التي لا يعلم معناها ليتنبه السامع فيقبل بقلبه على الاستماع لما ترد عليه المعجزة ويفزع للاستماع.

قوله: «في أدنى الأرض» زعم بعضهم أن «أل» عوض من الضمير، وأن الأصل «فِي أَدْنَى أَرْضهم» وهو قول كُوفي، وهذا على قول إن الهرب كان من جهة بلادهم، وأما من يقول: إنه من جهة بلاد العرب فلا يتأتى ذلك. وقرأ العامة «غُلِبَتْ» مبنياً للمفعول، وعلي بن أبي طالب وأبو سعيد الخُدْري وابن عمر وأهل الشام ببنائه للفاعل[٥].

قوله: «وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ» أي الروم من بعد غلب فارس إيَّاهم. والغَلَبُ، والغَلَبَةُ «لُغَتَانِ» فعلى القراءة الشهيرة يكون المصدر مضافاً لمفعوله. ثم هذا المفعول إما أن يكون مرفوع المحل على أن المصدر المضاف إليه مأخوذ من مبني (للمفعول[٦]) على خلاف في ذلك. وإما منصوب المحل على أن المصدر من مبني للفاعل، والفاعل محذوف تقديره: من بعد أن غلبهم عدوهم وهم فارس[٧]، وأما على القراءة الثانية فهو مضاف لفاعله.

---

(١) في «ب» آمنون.
(٢) في «ب» الآية.
(٣) في «ب» القيامة.
(٤) وهما مريم والعنكبوت.
(٥) انظر: مختصر ابن خالويه ١١٦، ومعاني القرآن للفراء ٢/ ٣١٩. ولم يروها الفراء عن غيره، وانظر: البحر المحيط ٧/ ١٦١، والقرطبي ١٤/ ٤. وقد نسب الزجاج هذه القراءة أيضاً إلى أبي عمرو وانظر: معاني الزجاج ٤/ ١٧٥ بينما اقتصر الزمخشري في الكشاف على القراءة المشهورة ٣/ ٢٤١، وكذلك غير المشهورة بدون ذكر نسبة.
(٦) سقطت من «ب».
(٧) قال أبو إسحاق الزجاج في كتابه إعراب القرآن ومعانيه: «الغلب والطلب مصدران تقول: غلبت غلباً وطلبت طلباً». انظر: معاني الزجاج ٤/ ١٧٧ وانظر: الكشاف ٣/ ٢١٤، والدر المصون ٤/ ٣١٢ والتبيان ١٠٣٦.

قوله: «سَيَغْلِبُونَ» خبر المبتدأ، و «مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ» متعلق به، والعامة ـ بل نقل بعضهم الإجماع[١] ـ على سيغلبون مبنياً للفاعل، فعلى الشهيرة واضح أي من بعد أن غلبتهم فارس سيغلبون فارس، وأما على القراءة الثانية فأخبر أنهم سيغلبون ثانياً بعد أن غلبوا[٢] أولاً، وروي عن ابن عمر أنه قرأ ببنائه للمفعول[٣]. وهذا مخالف لما ورد في سبب الآية، وما ورد في الأحاديث، وقد يلائم هذا بعض ملاءمة من قرأ «غَلَبَتْ» مبنياً للفاعل، وقد تقدم أن ابن عمر ممن قرأ (بذلك[٤]). وقد خرج النحاس[٥] قراءة عبد الله بن عُمَر على تخريج حسنٍ، وهو أن المعنى: وفارس من بعد غلبهم للروم[٦] سيغلبون إلا أن فيه إضمار ما لم يذكر ولا جرى سبب ذكره[٧].

قوله: «في بِضْعِ سِنينَ» متعلق بما قبله، وتقدم تفسير البضع واشتقاقه في «يُوسُفَ»[٨]. وقال الفراء: الأصل[٩] في غلبهم غلبتهم بتاء التأنيث فحذلت للإضافة كإقام الصلاة، وغلطه النحاس بأن إقام الصلاة قد يقال فيها[١٠] ذلك لاعتلالها، وأما هنا فلا ضرورة تدعو إليه. وقرأ ابن السَّمَيفَع[١١] وأبو حيوة غلبهم[١٢] فيحتمل أن يكون ذلك تخفيفاً شاذًا، وأن يكون لغة في المفتوح كالظَّعَنِ والظَّعْنِ.

---

(١) هو ابن عطية قال: «وأجمع الناس على «سيغلبون» أنه بفتح الياء يراد به الروم» انظر: المحرر الوجيز «ميكروفيلم».

(٢) في «ب» تغلبوا.

(٣) انظر: مختصر ابن خالويه ١١٦، وإعراب القرآن المنسوب للزجاج ٢/ ٤٦١، والدر المصون ٤/ ٣١٣، والقرطبي ١٤/ ٥، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٦١ لكنه قال: «ستغلبون» بالبناء للمجهول من ناحية الخطاب.

(٤) ساقط من «ب».

(٥) النحاس: هو أبو جعفر أحمد بن محمد المصري، تلقى مبادىء اللغة بمصر ثم ارتحل إلى العراق فتلقى عن الأخفش، والزجاج وابن الأنباري كان قويَّ الذاكرة جيد التصنيف، مات مقتولاً سنة ٣٣٧ هـ. انظر: نشأة النحو ١٥٧.

(٦) لم أجد في كتاب أبي جعفر النحاس هذا التأويل والتخريج ولعل هذا راجع إلى اختلاف نسخ الكتاب وقد ذكر هذه القراءة الواردة عن ابن عمر.

(٧) انظر: إعراب القرآن المسمى «الدر المصون في علوم الكتاب المكنون» للسمين ٤/ ٣١٣.

(٨) يشير إلى قوله «فلبث في السجن بضع سنين» من الآية ٤٢.

(٩) معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٦٩.

(١٠) انظر: إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٦١، ٢٦٢.

(١١) ابن السميفع: محمد بن عبد الرحمن بن السميفع أبو عبد الله اليماني له اختيار في القراءة ينسب إليه شذ فيه، قرأ على أبي حيوة وطاوس. انظر: غاية النهاية ٢/ ١٦٢.

(١٢) قال ابن خالويه في المختصر: إنها لعلي كرم الله وجهه ونقلها أبو حيان في البحر عن علي، وابن عمر ومعاوية بن قرة ٧/ ١٦١ وانظر: مختصر ابن خالويه ١١٦.

فصل

قوله: «في أَدْنى الأَرْض» أي أرض العرب، لأن الألف واللام للعهد، والمعهود عندهم أرضهم. فإن قيل: أي فائدة في ذكر قوله: «من بعد غلبهم» لأن قوله: «سيغلبون» بعد قوله: «غلبت الروم» لا يكون إلا من بعد الغلبة؟

فالجواب: فائدته إظهار القدرة وبيان أن ذلك بأمر الله لأن من غلب بعد غلبه لا يكون إلا ضعيفاً فلو كان غلبتهم بشوكتهم لكان الواجب أن يغلبوا قبل غلبهم فإذا غلبوا بعد ما غلبوا دل عليه أن ذلك بأمر الله (فقال)[١] من بعد غلبهم ليتفكروا في ضعفهم ويتذكروا أنه ليس بقوتهم وإنما ذلك بأمر هو من الله، وقوله: في أدنى الأرض لبيان شدة ضعفهم أي انتهى ضعفهم إلى أن وصل عدوهم إلى طرف الحجاز وكسروهم وهم في بلادهم ثم غلبوا حتى وصلوا إلى المدائن وبنوا هناك «الرومية» لبيان أن هذه الغلبة العظيمة بعد ذلك الضعف العظيم بإذن الله تعالى[٢].

فصل

قال: «فِي بِضْعِ سِنِينَ» وهو ما بين الثلاثة والعشرة فأبهم الوقت مع أن المعجزة في تعيين الوقت أتم لأن السنة والشهر واليوم والساعة كلها معلومة عند الله وبينها لنبيه، وما أذن له في إظهاره لأن الكفار كانوا معاندين والأمور التي تقع في البلاد النائية تكون معلومة الوقوع بحيث لا يمكن إنكارها لكن وقتها يمكن الاختلاف فيه فالمعاند كان يتمكن من أن يرجف بوقوع الواقعة قبل الوقوع ليحصل الخلاف في كلامه، ولَمَّا نزلت الآية خرج أبو بكر ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ إلى الكفار فقال: فرحتم بظهور[٣] إخوانكم فلا تفرحوا فواللَّه لتَظْهَرَنَّ الرُّوم على فارسَ أخبرنا بذلك نبينا محمد ـ ﷺ ـ فقام إليه أُبَيُّ بن خلف الجُمَحِيّ فقال: كَذَبْتَ فقال: أنت أكذبُ يا عدوَّ اللَّهِ (فقال اجعل بيننا[٤]) أجلاً أناحبك عليه، والمناحبة المراهنة على عشر قلائص مني وعشر قلائص منك فإن ظهرت الروم على فارس غرمت وإن ظهرت فارس غرمت، وجعلوا الأجل ثلاث سنين فجاء أبو بكر إلى النبي ـ ﷺ ـ فأخبره بذلك، وذلك قبل تحريم القُمَار، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: ما هكذا ذكرت إنما البضع ما بين الثلاث إلى التسع فزايده[٥] في الخطر، وماده (في[٦] الأجل) فجعلها مائة قلوص، إلى تسع سنين، وقيل: إلى سبع سنين قال: قد فعلت وهذا يدل على علم النبي ـ ﷺ ـ بوقت الغَلَبَةِ ثم إنّ أبيّ بْنَ خلف خَشِيَ أن يخرج أبو بكر من مكة فأتاه ولزمه[٧] وقال (أبيّ[٨]): أخاف أن تخرج من مكة فأقم

---

(١) ساقط من «ب».

(٢) انظر: تفسير الفخر الرازي ٢٥/٩٦.

(٣) في «ب» لتطهور.

(٤) ساقط من «ب».

(٥) في «ب» فزاده.

(٦) ساقط من «ب».

(٧) في «ب» فلزمه.

(٨) ساقط من «ب» وفيها «وقال إني أخاف أن يخرج أبو بكر مِنْ مكة فأقم لي كفيلاً».

لي كفيلاً فكفل له ابن عبد الله بن أبي بكر، فلما أراد أبي بن خلف أن يخرج إلى أحد رآه عبد الله بن أبي بكر فلزمه وقال: والله لا أدعُكَ حتى تُعْطِيَنِي كفيلاً فأعطاه، ثم خرج إلى أحد ثم رجع أبي بن خلف فمات بمكة من جراحته التي جرحه رسول الله ـ ﷺ ـ حين بارزه وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية، وذلك عند رأس سبع سنين من مناحبتهم. وقيل: كان يوم بدر، قال الشعبي: لم تَمْض[١] تلك المدة التي عقدوا المناحبة بينهم أهل مكة وصاحب قمارهم أبي بن خلف والمسلمون وصاحب قمارهم أبو بكر الصديق، وذلك قبل تحريم القمار حتى غلبت الروم فارس، وربطوا خيولهم بالمدائن وبنوا الرومية فقمر[٢] أبو بكر أبيًّا، وأخذ مال الخطر من ورثته، وجاء به يحمله إلى النبي ـ ﷺ ـ فقال النبي ـ ﷺ ـ تصدق به[٣].

قوله: «مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ» العامة على بنائهما ضمًّا لقطعهما على الإضافة وإرادتهما أي من قَبْلِ الغَلَبِ ومِن بَعْدِهِ أو من قبل كل أمر ومن بعده، وإنما بني على الضم لما قطعت عن الإضافة لأن غير الضمة من الفتح والكسرة تشبيه بما[٤] يدخل عليهما وهو النصب والجر، أما النصب ففي قولك: «جِئْتُ قَبْلَهُ أَوْ بَعْدَهُ». وأما الجر ففي قولك: «من قبلِه ومن بَعْدِه» فبني عليه لعدم دخول مثلها عليه في الإعراب وهو الرفع، وحكى الفراء كسرها من غير تنوين. وغلطه النحاس وقال: إنما يجوزُ من قبل[٥] ومن بعد يعني مكسوراً منوناً، قال شهاب الدين: وقد قرىء بذلك[٦] ووجهه أنه لم ينو إضافتهما فَأَعْرَبَهُمَا كقوله:

٤٠٣٣ ـ فَسَاغَ لِيَ الشَّرَابُ وَكُنْتُ قَبْلاً أَكَـادُ أَغُـصُّ بِـالـمَـاءِ الـقُـرَاحِ[٧]

وقوله:

٤٠٣٤ ـ وَنَحْنُ قَتَلْنَا الأُسْدَ أُسْدَ خَفِيَّة فَـمَـا شَرِبُـوا بَـعْـداً عَـلَـى لـذَّةٍ خَـمْـرَا[٨]

وحكي من قبلٍ بالتنوين والجر ومن بعدُ بالبناء على الضم[٩].

---

(١) انظر: تفسير القرطبي ١٤/ ٣. (٢) أي غلبة.

(٣) انظر هذه القصص في تفسير القرطبي ١٤/ ١، ٢، ٣، ٤، ٥.

(٤) في «ب» ما يدخل عليهما. انظر: المعاني ٢/ ٣٢٠.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٦٣: ٢٦٥. (٦) انظر: الدر المصون ٤/ ٣١٤.

(٧) البيت من الوافر، ويروى: من الماء الفرات، ومن الماء الحميم وهاتان هما المشهورتان وهو في أبيات تروى ليزيد بن الصعق، ورواية الشطر الأخير فيها: أَكَادُ أُغَصُّ بنقطةِ المَاءِ الحميم. يقول: إنه بعد أن أخذ بثأره استساغ له الشراب الذي كان لا يستسيغه قبل ذلك. والشاهد: حذف المضاف إليه لفظاً ومعنى؛ ولهذا نكر فنوّن منصوباً. وقد تقدم.

(٨) البيت من الطويل وقائله مجهول. وقد تقدم.

(٩) حكاه القرطبي في الجامع ١٤/ ٧ وأبو حيان في البحر ٧/ ١٦٢. ومعاني الزجاج ٤/ ١٧٦ وقد أنكرها هو والنحاس في الإعراب في ٤/ ٢٦٣.

وقد خرج بعضهم ما حكاه الفراء على أنه قدر أن المضاف إليه موجود فترك الأول بحاله[١] وأنشد:

٤٠٣٥ ـ .... بَـيْـنَ ذِرَاعَـيْ وَجَـبْـهَـةِ الأَسَـدِ[٢]

والفرق لائح، فإن في اللفظ مثل المحذوف على خلاف في تقدير البيت أيضاً.

(فصل)[٣]

وعلى قراءة عبد الله بن عمر، وأبي سعيد الخدري، والحسين، وعيسى بن عمر غَلَبَتِ الروم بفتح الغين واللام سيُغْلَبون بضم الياء وفتح اللام. قالوا: نزلت حين أخبر النبي ـ ﷺ ـ عن غلبة الروم فارساً في أدنى الأرض (إليكم[٤]) وهم من بعد غلبهم سيغلبون المسلمين في بضع سنين وعند انقضاء هذه المدة أخذ المسلمون في جهاد الروم والأول قول أكثر المفسرين وهو الأصح ولله الأمر من قبل ومن بعد أي من قبل دولة الروم على فارس ومن بعدها فأي الفريقين كان لهم الغلبة فهو بأمر الله وقضائه وقدره.

قوله: «ويَوْمَئِذٍ» أي إذ تغلبُ الروم فارساً، والنصاب «ليوم» (يفرح[٥] وقوله: «بنصر الله ينصر» من التجنيس، وقد تقدم آخر الكهف، وقوله: بنصر الله «الظاهر تعلقه بيفرح). وجوز أبو البقاء[٦] أن يتعلق «بِيَنْصُرُ» وهذا فيه تفكيك للنَّظْمِ.

فصل

المعنى: يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله الروم على فارس. قال السدي: فرح النبي

---

(١) يقول أبو الفتح ابن جني في خصائصه: «وسمع أيضاً: «لِلَّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِ» فحذف ولم يَبْنِ». انظر: الخصائص ٢/ ٣٦٥ وقد سبق إلى هذا المعنى الفراء نفسه فقال: «ولا تنكرنَّ أن تضيفَ قبل، وبعد وأشباههما وإن لم يظهر فقد قال... وقال الآخر، وأنشد البيت» المعاني ٢/ ٣٢٢.

(٢) البيت من المنسرح وقد نسب إلى الفرزدق وليس بديوانه وقد استشهد فوق بشطره الثاني وصدره:

يَـا مَـنْ رَأَى عَـارِضـاً أُكَـفْـكِـفُـهُ

ويروى: عارضاً أرقت له، ويروى: أُسَرُّ به، والعارض: السحاب المعترض في الأفق، وذراعا الأسد وجبهته من منازل القمر يستدل بها على نزول المطر، والشاهد في البيت: حذف المضاف إليه وبقاء المضاف على حاله وهو قوله: «ذراعي» فلو لم يقصد ذلك لقال «ذراعين» فالنون حذفت للإضافة كما هو معروف لدى المثنى والجمع السالم فكان الأصل حينئذ «ذراعي الأسد وجبهة الأسد» وهذا على تقدير الفراء والمبرد بينما روى سيبويه غير ذلك حيث يؤدي إلى الفصل بين المضاف والمضاف إليه وهو ممنوع. انظر: الكتاب ١/ ١٨٠، والمقتضب ٤/ ٢٢٩، والخصائص ٢/ ٤٠٧ وابن يعيش ٣/ ٢١ وتمهيد القواعد ٢/ ٤٥٤ والتصريح ١/ ١٠٥ والأشموني ٢/ ٢٧٤ ومعاني الفراء ٢/ ٣٢٢ ومعاني الزجاج ٤/ ١٧٧ وإعراب النحاس ٣/ ٢٦٣ والمذكر والمؤنث للفراء ١١٥، والمذكر والمؤنث لابن الأنباري ١/ ٤٢٨، واللسان «يا» وسر صناعة الإعراب ١/ ٢٩٧، وخزانة الأدب ١/ ٣٦٩، ٢/ ٢٤٦ بولاق.

(٣) ساقط من «ب». (٤) زيادة من «أ».

(٥) ما بين المعقوفين ساقط كله من «ب». (٦) انظر: التبيان ١٠٣٦.

ـ ﷺ ـ والمؤمنون بظهورهم على المشركين يوم بدر، فظهور أهل الكتاب على أهل الشرك «ينصر من يشاء وهو العزيز» الغالب «الرحيم» للمؤمنين.

قوله تعالى: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾﴾

قوله: «وَعْدَ اللَّهِ» مصدر مؤكد ناصبه[١] مضمر أي وَعَدَهُم اللَّهُ ذلك وعداً بظهور الروم على فارسَ «لاَ يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ» وهذا مقدر لمعنى هذا المصدر ويجوز أن يكون قوله: «لا يخلف الله وعده» حالاً من المصدر[٢] فيكون كالمصدر الموصوف فهو مبين للنوع (و[٣]) كأنه قيل: وعد الله وعداً غير مخلف «وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ».

قوله: «يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الحَيَاةِ الدُّنْيا» يعني أمر معايشهم كيف يكتسبون ويتَّجِرُونَ ومتى يغرسون قال الحسن[٤]: إن أحدهم لينقر الدرهم بطرف ظفره فيذكر وزنه، ولا يخطىء وهو لا يحسن (يصلي[٥]) والمعنى أن علمهم منحصر في الدنيا بل لا يعلمون الدنيا كما هي وإنما يعلمون ظاهرها وهو ملاذها ولا يعلمون باطنها وهو مضارها ومتاعبها ولا يعلمون فناها «وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ» ساهون جاهلون بها لا يتفكرون فيها، وذكرهم الثانية ليفيد أن الغفلة منهم[٦] وإلا فأسباب التذكر حاصلة.

قوله: «أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا في أَنْفُسِهِمْ» فقوله في أنفسهم ظرف للتفكّر، وليس مفعولاً للتفكر، (إذ متعلقه خلق)[٧] السماوات والأرض، والمعنى أن أسباب التفكر حاصلة وهي أنفسهم لو تفكروا فيها لعلموا وَحْدَانِيَّة الله، وصدقوا بالحشر أما الوحدانية فلأن الله تعالى خلقهم في أحسن تقويم، ومن يفكر في تشريح بدن الإنسان وحواسه[٨] رأى في ذلك حِكَماً كل واحدة منها كافية في معرفة كون الله فاعلاً مختاراً قادراً كاملاً عالماً، ومن يكون كذلك يكون واحداً وإلا لكان عاجزاً عن إرادة شريكه ضد ما أراده وأما دلالة

---

(١) الدر المصون ٤/ ٣١٥.
(٢) السابق.
(٣) زيادة من أ.
(٤) القرطبي ١٤/ ٨.
(٥) ساقط من «ب».
(٦) في «ب» فيهم.
(٧) ساقط من «ب».
(٨) في «ب» وجوارحه.

الإنسان على الحشر فلأنه إذا تفكر في نفسه يرى قُوَى[١] مصائره إلى الزوال، وأجزاء ماثلة إلى الانحلالِ وله فناء ضروري فلو لم يكن حياة أخرى لكان خلقه على هذا الوجه عبثاً وإليه الإشارة بقوله ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون: ١١٥]، وهذا ظاهر، لأن من يفعل شيئاً للعبث، فلو بالغ في أحكامه[٢] لضحك منه فأذن خلقه لذلك للبقاء ولا بقاء دون اللقاء بالآخرة فإذن لا بد من البعث. ثم إنه تعالى ذكر بعد دليلِ الأنفس دليل الأقطار فقال: «مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُما إلاَّ بِالحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى»، فقوله: «إلا بالحق» إشارة إلى وجه دلالتها على الوحدانية وقد بينا ذلك في قوله: ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٤٤].

قوله: «ما خلق» «ما» نافية، وفي هذه الجملة وجهان:

أحدهما: أنها مستأنفة لا تعلق لها بما قبلها.

والثاني: أنها معلقة للتفكّر فتكون في محل نصب[٣] على إسقاط الخافض ويضعف أن تكون استفهامية بمعنى النفي، وفيها الوجهان المذكوران. والباء في «بالحق» إما سببية[٤]، وإما حالية[٥] لإقامة قيل الحق، وقوله: «وَأَجَلٌ مُسَمًّى» تذكير بالأصل الآخر الذي أنكروه أي لوقت معلوم، إذا انتهت إليه فنيت وهو يوم القيامة، «وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ» لا يعلمون أنه لا بد بعد هذه الحياة من لقاء وبقاء.

قوله: «بلقاء» منعلق «بالكافرين[٦]» واللام لا تمنع من ذلك لكونها في خبر «إنَّ».

فإن قيل: ما الحكمة في تقديمه ههنا دلائل الأنفس على دلائل الآفاق وقدم دليل الآفاق على دلائل[٧] الأنفس في قوله: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [فصلت: ٥٣]؟.

فالجواب: أن المفيد إذا أفاد فائدة يتذكرها على وجه جيد يختاره فإن مهمة السامع المستفيد فذاك[٨]، وإلا يذكرها[٩] على وجه أبْيَنَ منه وينزل درجة فدرجة وأما المستفيد فإنه يفهم أولاً الأبين ثم يرتقي إلى فهم ذلك الأخفى الذي لم يكن فهمه فيفهمه بعد فهم الأبين[١٠] المذكور آخراً فالمذكور من المفيد آخِراً مفهوم عند المستمع أولاً، إذا علم هذا

---

(١) في «ب» قواه صائرة وهو الأصح. (٢) انظر: تفسير القرطبي ٢٥/ ٩٧ و٩٨ و٩٩.

(٣) انظر: التبيان لأبي البقاء ١٠٣٧، والدر المصون ٤/ ٣١٥.

(٤) يقول الفراء في معاني القرآن: «إلا بالحق: للثواب والعقاب والعمل» انظر: المعاني ٢/ ٣٢٢.

(٥) ذكرها في الكشاف ٣/ ٢١٥، يقول: «الباء في قوله إلا بالحق مثلها في قولك دخلت عليه بثياب السفر».

(٦) الأصح «بالكافرون». (٧) انظر: تفسير الفخر الرازي ٢٥/ ٩٩.

(٨) في «ب» فذلك. (٩) في «ب» فيذكرها.

(١٠) في «ب» الذي ذكر آخراً فالمفيد من الذي ذكر آخراً.

فنقول ههنا (الفعل[١]) كان منسوباً إلى السامع حيث قال: «أو لم يتفكروا في أنفسهم» فقال: «في أنفسهم» يعني فيما فهموه[٢] أولاً ولم يرتقوا إلى ما فهموه ثانياً، وأما في قوله «سَنُرِيهِمْ» الأمر منسوباً إلى المفيد المسمع فذكر أولاً الآفاق، فإن لم يفهموه فالأنفس[٣]، لأن دلائل الأنفس لا ذهول للإنسان عنها، وأما دلائل الآفاق فيمكن الذهول عنها، وهذا الترتيب مراعًى في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩١] أي يعلمون الله بدلائل الأنفس في سائر الأحوال ويتفكرون في خلق السماوات والأرض بدلائل الآفاق.

فصل[٤]

وجه دلالة الخلق بالحَقِّ[٥] على الوحدانية ظاهر، وأما وجه دلالته على الحشر فلأن (تخريب[٦]) السموات وعدمها لا يعلم بالعقل إلا إمكانه، وأما وقوعه فلا يعلم إلا بالسمع لأن الله قادر على إبقاء الحوادث أبداً كما أنه يبقي الجنة والنار بعد إحداثهما أبداً، والخلق دليل إمكان العدم، لأن المخلوق لم يَجِبْ له القِدَمُ فجاز عليه[٧] العدم، فإذا أخبر الصادق عن أمر ممكن وجب على العاقل التصديق والإذعان؛ لأن العالم لما كان خلقه بالحق ينبغي أن يكون بعد هذه الحياة حياةٌ أخرى باقية لأن هذه الحياة ليست لَعباً ولهواً كما تبين بقوله: «وَمَا هذِهِ الحَيَاةُ الدُّنْيَا إلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ» (وخلق السموات[٨] والأرض للهو واللعب عبث، والعبث ليس بحق) فخلق السماوات والأرض بالحق يدل على أنه لا بد بعد هذه الحياة الدنيا من حياة.

فإن قيل: ما الفائدة في قوله ههنا: «كَثِيراً من النَّاسِ» وقال من قبل: «وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ»؟.

فالجواب: (فائدته[٩]) أنه من قبل لم يذكر دليلاً على الأصلين وههُنَا قَدْ ذكر الدلائل الراسخة والبراهين اللائحة ولا شك في أن الإيمان بعد الدليل أكثر من الإيمان قبل الدليل فبعد الدليل لا بد (أن يؤمن)[١٠] من ذلك الأكثر جمع فلا يبقى الأكثر كما هو، فقال بعد إقامة الدليل وإنَّ كَثِيراً، وقال قبله: «ولكن أكثر الناس» لأنه بعد الدليل الذي لا يمكن الذهول عنه وهو السماوات والأرض لأن من البعيد أن يذهل الإنسان عن السماء التي فوقه، والأرض التي تحته، فلهذا ذكر ما يقع الذهول عنه وهو أمر أمثالهم،

---

(١) ساقط من «ب».
(٢) في «ب» فيما فهموا.
(٣) في «ب» بالأنفس.
(٤) في «ب» فإن قيل بدلاً من (فصل).
(٥) الخلق على الخالق بدلالة الوحدانية في «ب».
(٦) ساقط من «ب».
(٧) في «ب» فحان عليه.
(٨) ساقط كله من «ب» ما بين القوسين.
(٩) ساقط من «ب».
(١٠) ساقط من «ب».

وحكاية أشكالهم فقال: «أَوَ لَمْ يَسِيرُوا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم» وقال في الدليلين المتقدمين «أَوَ لَمْ يَرَوا» «أَوَ لَم يَتَفكَّروا» إذ لا حاجة هناك إلى السير بحضور[١] النفس والسماء والأرض، وقال ههُنا «أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فينظروا» ذكرهم بحال أمثالهم، ومآل[٢] أشكالهم ثم ذكر أنهم أولى بالهلاك، لأن من تقدم من «عَادٍ وَثُمودَ» كانوا[٣] أشدّ منهم قوة، ولم ينفعهم قُوَاهم[٤] وكانوا أكثر مالاً وعمارةً، ولم يمنعهم من الهلاك أموالُهُمْ وحُصُونُهُمْ.

قوله: «وَأَثَارُوا الأَرْضَ» حَرَثُوهَا وقلبوها للزراعة (ومنه «البَقَرَة تُثِيرُ الأَرْضَ[٥]» وقيل: منه سمي ثوراً)، وأنتم لا حراثة لكم، «وعَمَرُوها أَكْثَرَ ممّا عَمَرُوهَا» أهل مكة، قيل: قال ذلك لأنه لم يكن لأهل مكة حرث، وقوله: «أكثر مما» نعت[٦] مصدر محذوف أي عمارة أكثر من عمارتهم. وقرىء: «وآثَارُوا[٧]» بألف بعد الهمزة وهي إشباع لفتح الهمزة.

قوله: «وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالبَيِّنَاتِ» فلم يؤمنوا فأهلكهم الله، «فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ» بنقص حقوقهم «وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ» بِبَخْسِ حُقُوقِهِمْ.

قوله: «عَاقِبَةُ الذِّينَ» قرأ نافعٌ، وابنُ كثيرٍ، وأبو عمروٍ بالرفع[٨]، والباقون بالنصب، فالرفع على أنها اسم كان[٩]، وذكر الفعل لأن التأنيث مجازي، وفي الخبر حينئذ وجهان:

أحدهما: «السوءى» أي الفعلة السوءى والخَصْلَةُ السوءى.

والثاني: «أَنْ كَذَّبُوا» أي كان آخر أمرهم التكذيب فعلى الأول يكون في «أَنْ كَذَّبُوا» وجهان:

أحدهما: أنه على إسقاط الخافض إما لام العلة أي لأن كذبوا، وإما باء السببية أي

---

(١) في «ب» لِحُضُور باللام. وما هنا والفخر الرازي بحضور بالباء.
(٢) في «ب» أمثال أشكالهم. (٣) في «ب» وكانوا أكثر منهم قوة.
(٤) في «ب» قوتهم.
(٥) ما بين القوسين بياض في «ب» وهو ساقط منها. وانظر: غريب القرآن لابن قتيبة ٣٤٠، والمجاز لأبي عبيدة ٢/ ١١٩ قال: «استخرجوها».
(٦) انظر: الدر المصون ٤/ ٣١٥ والتبيان ١٠٣٧.
(٧) انظر: البحر المحيط ٧/ ١٦٤، وقد نسبها إلى أبي جعفر، وانظر: السبعة لابن مجاهد ٥٠٦ وقد اعترض ابن مجاهد على هذه القراءة وكذلك أبو الفتح الذي قال: إنّ الإشباع من ضرورة الشعر. انظر: البحر ٧/ ١٦٤، والمحتسب ٢/ ١٦٣.
(٨) انظر: الإتحاف ٣٦٤ والسبعة ٥٠٦، وإبراز المعاني ٦٤٠ وإعراب النحاس ٤/ ٢٦٦.
(٩) انظر: الكشف لمكي ٢/ ١٨٢ والبيان لابن الأنباري ٢/ ٢٤٩.

بأن كذبوا فلما حذف الحرف[١] جرى القولان المشهوران بين[٢] الخليل وسيبويه في محل «أَنْ»[٣].

والثاني: أنه بدل من «السُّوءَى» أي ثم كان عاقبتهم التكذيب، وعلى الثاني يكون «السوءى» مصدراً «لأساءوا» أو يكون نعتاً لمفعول محذوف أي أساء والفعلةَ السُّوءَى، و «السوءى» تأنيث «لِلأَسْوَأ»[٤]. وجوز بعضهم[٥] أن يكون خبر كان محذوفاً للإبهام، و «السوءى» إما مصدر وإما مفعول كما تقدم أي اقْتَرَفُوا الخَطِيئَةَ السُّوءَى؛ أي كان عاقبتهم الدّمار. وأما النصب[٦] فعلى خبر كان، وفي الاسم وجهان:

أحدهما: «السوءى» إن كانت الفعلة السوءى عاقبةَ المُسِيئينَ، و «أَنْ كَذَّبُوا» على ما تقدم.

الثاني: أن الاسم «أَنْ كَذَّبُوا» و «السُّوءَى» على ما تقدم. المعنى: ثم كان عاقبة الذين أساءُوا السُّوءَى يعني: الخلة التي تسوؤهم وهي النار (وهي)[٧] السُّوءَى اسم لجهنم كما أن الحُسْنَى اسم للجنة «أن كذبوا» أي لأن كذبوا، وقيل: تفسير «السوءى» ما بعده، وهو قوله: «أَنْ كَذَّبُوا» يعني: ثم كان عاقبة المسيئين التكذيب حَمَلَهُمْ تلك السيئات على أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون.

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمۡ شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلۡأٓخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ﴿١٦﴾﴾

قوله: «اللَّهُ يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ» أي يخلقهم ابتداء[٨] ثم يعيدهم بعد الموت أحياء

---

(١) في «ب» حذف الجر، وانظر في الإعراب الدر المصون ٤/٣١٦ والتبيان ١٠٣٧ و ١٠٣٨ والبيان ٢/٢٤٩ ومشكل إعراب القرآن ٢/١٧٧ ومعاني الفراء ٢/٣٢٢ والقرطبي ١٤/١٠.

(٢) الخليل بن أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد البصري الفرهودي سيد أهل زمنه في علمه وزهده كان من تلامذة أبي عمرو، أخذ عنه سيبويه، والنضر بن شميل وهو أول من استخدم علم العروض مات سنة ١٦٠ هـ نزهة الألباء ٢٩، ٣٢.

(٣) في «ب» محله.

(٤) انظر: الكشاف ٣/٢٢٦.

(٥) هو الزمخشري حيث قال: «وَأَنْ كَذَّبوا» عطف بيان لها، وخبر كان محذوف كما يحذف جواب «لما» و «لو» إرادة الإبهام، الكشاف ٣/٢٢٦.

(٦) أي نصب عاقبة وانظر: المراجع السابقة والبحر ٧/١٦٤.

(٧) ساقط من «ب».

(٨) القرطبي ١٤/١٠.

ولم يقل: «يُعِيدُهُمْ» رد[١] على الخلق، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾؛ فيجزيهم بأعمالهم، قرأ أبو بكر، وأبو عمرو «يَرْجِعُونَ» ـ بالياء ـ[٢] والآخرون بالتاء[٣].

قوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يبْلِسُ المُجْرِمُونَ﴾ قرأ العامة «يُبْلِسُ» ببنائه للفاعل وهو المعروف يقال: أَبْلَسَ الرجل أي انقطعت حجته[٤] فسكت وهو قاصر لا يتعدى، قال العجاج:

٤٠٣٦ ـ يَا صَاحِ هَلْ تَعْرِفُ رَسْماً مُكْرَسَا قَالَ: نَعَمْ أَعْرِفُهُ وَأَبْلَسَا[٥]

وقرأ السُّلَمِيُّ: «يُبْلَسُ» مبنيًا للمفعول[٦]، وفيه بعدٌ، لأن أَبْلَسَ يتعدى، وقد خُرِّجَتْ هذه القراءة على أن القائم مقام الفاعل مصدر الفعل، ثم حذف (المضافُ[٧]، وأقيمَ) المضاف إليه مُقَامَهُ، إذ الأصل يُبْلَسُ إبْلاَس المجرمين، و «يبلس» هو الناصب «لِيَوْمَ تَقُومُ» و «يَوْمَئِذٍ» مضاف لجملة تقديرها يَوْمَئِذٍ يقوم وهذا كأنه تأكيد لفظي، إذ يصير التقدير يبلس المجرمون (يوم تقوم الساعة)[٨].

فصل

قال قتادةُ والكَلْبِيُّ: المعنى يبلس المشركون من كل خير[٩]؛ وقال الفراء: ينقطع[١٠] كلامهم وحججهم. وقال مجاهد: يفتضحون[١١]. ولم يكن لهم شركائهم أصنامهم التي عبدوها ليشفعلوا لهم شفعاء، ﴿وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ﴾ يتبرأون[١٢] منها وتتبرأ منهم.

قوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾ أي بين أهل الجنة من أهل النار، قال مقاتل: يتفرقون بعد الحساب إلى الجنة والنار فلا يجتمعون أبداً كما قال تعالى: ﴿فَرِيقٌ فِي الجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾. قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ﴾

---

(١) في «ب» رده بالهاء.
(٢) على ما بين في العنكبوت. انظر: القرطبي ١٤/ ١٠ والبحر المحيط ٧/ ١٦٤ والكشاف ٣/ ٢١٦، والإتحاف ٣٤٦، والسبعة ٥٠٦، والنشر ٢/ ٣٤٤، وتقريب النشر ١٥٩.
(٣) المراجع السابقة.
(٤) قال في اللسان ٣٤٣ «ب ل س» (والمُبْلِسُ: البائس ولذلك قيل للذي يسكت عند انقطاع حجته ولا يكون عنده جواب: قد أبلس) وأنشد البيت الذي أعلى.
(٥) البيت للعجاج وقد تقدم.
(٦) مختصر ابن خالويه ١١٦، والكشاف ٣/ ٢١٦، والقرطبي ١٤/ ١٠.
(٧) ساقط من «ب».
(٨) الدر المصون ٤/ ٣١٥، والتبيان ١٠٣٨، ١٠٣٩، هذا وما بين القوسين ساقط من «ب».
(٩) تفسير ابن كثير ٣/ ٤٢٨.
(١٠) المعاني ٢/ ٣٢٣.
(١١) تفسير ابن كثير ٣/ ٤٢٨.
(١٢) انظر: ابن جرير الطبري ٢١/ ١٩.

وهي البستان[١] الذي في غاية النضارة، وقوله: «يُحْبَرُونَ» قال ابن عباس يكرمون[٢]. وقال قتادة ومجاهد: يُنعمون[٣]، وقال مجاهد وأبو عبيدة: يسرون[٤]، والحَبْر والحُبُور السرور. وقيل الحَبْرة في اللغة كل نعمة حسنة والتَّحْبير التَّحْسِينُ يقال هو حسن الحِبَر والسِّبر بكسر الحاء والسين وفتحهما[٥] وفي الحديث: «حَبَرْتُهُ لَكَ تَحْبِيراً»[٦]، أي حسنت لك صوتي والقرآن تحسيناً، وجاء في الحديث «يَخْرُجُ من النَّارِ رَجُلٌ ذَهَبَ حِبْرُهُ وسِبْرُهُ»[٧] فالمفتوح[٨] مصدر والمكسور اسم، والروضة الجنة، قيل: ولا تكون روضة إلا وفيها نبت، وقيل: إلا وفيها ماء، وقيل: ما كانت منخفضة، والمرتفعة يقال لها: تُرعة، وقيل: لا يقال لها روضة إلا وهي في مكان غليظ مرتفع[٩]. قال الأعشى:

٤٠٣٧ ـ ما رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الحَزْنِ مُعْشِبَةٌ خَضْـرَاءَ جَادَ عَلَـيْـهَـا مُـسْـبِلٌ هَـطِلُ[١٠]

وأصل رياضِ رَواضٌ، فقلبت الواو[١١] ياء على حدِّ حَوْضٍ وحِيَاضٍ ونكر الروضة للتعظيم[١٢]، وقال ههنا: «يُحْبَرُونَ» بصيغة الفعل ولم يقل «مَحْبُورُونَ» وقال في الأخرى «(مُحْضَرُونَ[١٣])» بصيغة الاسم ولم يقل «يُحْضَرُونَ» لأن الفعل يدل على التجديد، والاسم لا يدل عليه، فقوله «يحبرون» يعني كل ساعة يأتيهم ما يسرون به، وقوله

---

(١) انظر: القرطبي ١٤/ ١١.
(٢) السابق ١٤/ ١٢.
(٣) السابق ١٤/ ١٢.
(٤) مجاز القرآن ٢/ ١٢٠.
(٥) اللسان «ح ب ر».
(٦) هو في حديث أبي موسى «لَوْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَسْمَعُ لِقِراءَتِي لَحَبَرْتُهَا لَكَ تَحْبِيراً»، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ١/ ٣٢٧.
(٧) انظر: النهاية المرجع السابق ١/ ٣٢٧، وغريب الحديث لأبي عبيد ١/ ٨٥، الفائق في غريب الحديث للزمخشري ١/ ٢٢٩، واللسان «ح ب ر» ٧٤٩.
(٨) في «ب» فالفتح.
(٩) انظر الدر المصون ٤/ ٣١٧، والقرطبي ١٤/ ١١ واللسان «ح ب ر» ٧٤٩. وانظر: غريب القرآن لابن قتيبة ٣٤١.
(١٠) البيت له من البسيط. وقوله: «مُسْبِل، هَطِل» صفتان لموصوف محذوف أي سحاب أو غيث و «المُسْبِل» المنتشر الكثير، والهَطِلُ: غزير الماء. ولقد أتى البيت لشاهد لغوي وهو أن الروضة هي لا تسمى هكذا إلا في مكان مرتفع حيث قال: «الحَزْن» وهو المكان المرتفع، وانظر: مجاز القرآن ٢/ ١٢٠، والمفضليات بشرح الأنباري ٢٢٠، وابن جرير ٢١/ ١٩١ وفتح القدير ٤/ ١٢٨ ومجمع البيان ٧/ ٤٦٥، والقرطبي ١٤/ ١١ وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٦٨ و ١٦٥ والديوان «١٠٧» د/ مُحَمَّد محمّد حُسَيْن.
(١١) حيث وقعت الواو عيناً لِفِعَالٍ معتلة وقبلها كسرة وبعدها ألف وكانت في المفرد شبيهة بالمعلة وهذا أحد وجوه قلب الواو ياء.
(١٢) من شأنها وهذا بخلاف ما لو قال «الروضة» بالتعريف.
(١٣) ساقط من «ب».

«محضرون» أي الكفار في العذاب يقون (فيه[١]) مُحْضَرُونَ.

قوله تعالى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾﴾

قوله: «فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ» أي سبحوا الله، ومعناه صلوا عليه حين «تمسون» تدخلون في المساء، وهو صلاة المغرب والعشاء «وحين تصبحون» أي تدخلون في الصباح وهو صلاة الصبح. «وَلَهُ الحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ» قال ابن عباس: يَحْمَدُهُ أهل السماوات والأرض ويصلون «وَعَشيًّا» أي صلوا لله عشياً؛ يعني صلاة العصر «وحِينَ تُظْهِرُونَ» أي تدخلون في الظهيرة وهي صلاة الظهر، قال نافع[٢] الأزرق لابن عباس: هل تجد الصلوات الخمس في القرآن؟ قال: نعم وقرأ هاتَيْنِ الآيتين، وقال: جمعت الآية الصلوات الخمس ومواقيتها. وروى أبو هريرة أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال «مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْم مائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وإنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ». (وقالَ عليه[٣] السلام: مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ مائةَ مَرَّةٍ لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ القِيَامَةِ بِأَفْضلَ ممّا جاءَ بِهِ إلاَّ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أوْ زَادَ عَلَيْهِ، وقالَ عليه السلام: «كَلِمَتانِ خَفِيفَتَانِ على اللِّسانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ حَبِيبَتَانِ عَلَى الرَّحمَن: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ الله العَظيم».

قوله: «تُمْسُونَ وتُصْبِحُونَ «تامَّاتٌ) أي تدخلون في المساء والصباح كقولهم: إذا سَمِعْتَ بسُرَى القَيْنِ فاعلم بأنه (مُصْبِح[٤]) أي مقيم في الصباح، والعامة على إضافة الظرف إلى الفعل بعده، وقرأ عكرمة[٥]: «حِيناً» بالتنوين، والجملة بعده صفة له، والعائد حينئذ محذوف أي تُمْسُونَ فيه، كقوله ﴿وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾ [لقمان: ٣٣]. والناصب لهذا الظرف «سُبْحَانَ[٦]» لأنّه نائب عن عامله.

قوله: «وَعَشيًّا» عطف على «حين» وما بينهما[٧] اعتراض و «في السَّمَوَاتِ» يجوز أن يتعلق بنفس الحمد (أي أن الحمد[٨]) يكون في هذين الظرفين.

---

(١) ساقط من «ب».

(٢) ابن جرير: نافع بن الأزرق وانظر: تفسير ابن جرير الطبري ٢١/٢٠ بروايات مختلفة.

(٣) ما بين القوسين كله ساقط من «ب».

(٤) وفي اللسان «قَ يَ ن» ومن أمثالهم: إذا سمعت بسُرَى القَيْنِ فإنه مُصبح قال أبو عُبَيْدٍ: يضرب للرجل يعرف بالكذب حتى يُرَدَّ صِدْقُهُ، والقين: الحدَّاد. اللسان «ق ي ن» ٣٧٩٨ و ٣٧٩٩.

(٥) إذا أطلق عكرمة فإنه يراد به عكرمة بن خالد بن العاص المخزُومي المكيّ تابِعِيٌّ، ثقةٌ روى عن أصحاب ابن عباس وقرأ على ابن عمر، وقرأ عليه أبو عمرو بن العلاء مات سنة ١٥ هـ، انظر: غاية النهاية ١/٥١٥. وانظر: المختصر لابن خالويه ١١٦، والمحتسب ٢/١٦٣ وهي شاذة غير متواترة.

(٦) الدر المصون ٤/٣١٨. (٧) السابق.

(٨) ساقط من «ب».

قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾﴾

قوله: «يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيتِ وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ». قد تقدم اختلاف القراء في تخفيف الميت(١) وتثقيله وكذلك قوله «تُخْرَجُونَ» في سورة الأعراف(٢)، و «كَذَلِكَ» نعت مصدر محذوف أي ومثل ذلك الإخراج العجيب تُخْرَجُونَ(٣).

واعلم أن وجه تعلق إخراج الحي من الميت والميت من الحي بما قبله هو أن عند الإصباح يخرج الإنسان من سُنَّةِ النَّوْم(٤) وهو النوم إلى سنة الوجود وهي اليقظة وعند العشاء يخرج الإنسان من اليقظة إلى النوم. واختلف المفسرون في قوله: «يخرج الحي من الميت» فقال أكثرهم يخرج الدجاجة من البيضة، والبيضة من الدجاجة وكذلك الحيوان من النطفة والنطفة من الحيوان. وقيل: يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن ثم قال: «وَيُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا» وفي هذا معنى لطيف وهو أن الإنسان بالموت تبطل حواسه، وأما نفسه الناطقة فتفارقه(٥)، وتبقى بعده كما قال: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا﴾ [آل عمران: ١٦٩] لكن الحيوان نام متحرك حساس لكن النائم لا يتحرك، ولا يُحس، والأرض الميتة(٦) لا يكون فيها نماء، (ثم(٧)) النائم بالانتباه يتحرك ويحس والأرض الميتة بعد موتها (ينمو(٨)) نباتها، فكما أن تحريك ذلك الساكن وهذا الواقف سهل على الله، كذلك إحياء الميت سهل على الله، وإلى هذا أشار بقوله «وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ».

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ

---

(١) قول الله تعالى: «وتُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ» وهي الآية ٢٧ من آل عمران؛ فقد قرأ حفصٌ ونافعٌ وحمزةُ والكسائيّ وأبو جعفر ويعقوبُ وخلفٌ بتشديد الياء المكسورة والباقون بالتخفيف، انظر الإتحاف ١٧٣ و ٣٤٧، والسبعة ٢٠٣ واللباب ١٣/٢.

(٢) يقصد قول الله «قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ» وهي الآية ٢٥ من الأعراف فَمِنَ القراء من يقرأ بفتح الأول وضمّ الراء وهم حمزة والكسائي وخلف أي بالبناء للفاعل وغيرهم بالبناء للمفعول انظر: الإتحاف ٢٢٣ و ٣٤٧ و ٣٤٨ والسبعة ٥٠٦.

(٣) الدر المصون ٣١٨/٤.

(٤) في «ب» ـ وهو الأصح ـ الموت.

(٥) في «ب» تفارقه.

(٦) في «ب» الميت.

(٧) ساقط من «ب».

(٨) كذلك ساقط من «ب».

ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْيِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾﴾

قوله: «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ» مبتدأ أو خبر أي ومن جملة علامات توحيده وأنه يبعثكم خلقكم واختراعكم و «من» لابتداء الغاية، وقوله: «من تراب» أي خلق أصلنا وهو آدم من تراب، (أ)[١] و أنه خلقنا من نطفة والنطفة من الغذاء والغذاء إنما يتولد من الماء والتراب على ما تقدم شرحه «ثُمَّ إذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ» في الأرض. والترتيب والمهلة هنا ظاهران فإنهم يصيرون بشراً بعد أَطْوَارٍ كثيرة و «تَنْتَشِرُونَ» حال.

و «إِذَا» هي الفُجَائِيَّة، إلا أنَّ الفجائية أكثر ما تقع[٢] بعد الفاء؛ لأنها تقتضي التعقيب ووجه وقوعها (مع[٣]) «ثم» بالنسبة إلى ما يليق بالحالة الخاصة أي بعد تلك الأطوار التي قَصَّها علينا في موضع آخر من كوننا نطفةً ثم علقةً ثم مُضْغَةً (ثُمَّ[٤] عظماً مجرداً) ثم عظماً مكسوّاً لحماً (فَاجَأ[٥]) البشرية فالانتشار.

قوله: «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفسِكُمْ أَزْوَاجاً» «مِنْ أَنْفُسِكُمْ» يعني من بني آدم، وقيل خلق «حَوَّى» من ضِلَع آدم «لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا». والصحيح أن المراد من جنسكم كما قال: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] ويدل عليه قوله: «لِتَسْكُنُوا إِليها» يعني أن الجنسين المختلفين لا يسكن أحدهما إلى الآخر، أي لا يثبت نفسه معه، ولا يميل قلبه إليه «وجعل بينكم مودة ورحمة» (وقيل: مودة[٦]) بالمجامعة، (ورحمة[٧]) للولد تَمَسُّكاً بقَوْلِهِ: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾ [مريم: ٢]، وقيل: جعل بين الزوجين المودةَ (والرحمةَ[٨]) فهما يَتَوَادَّانِ، وَيَتَرَاحَمَانِ وما من شيء[٩] أحبَّ إلى أحد من الآخر من غير رحم[١٠] بينهما. «إنَّ فِي ذَلِكَ» يحتمل أن يكون المراد منه إن في خلق الأزواج «لآيات». ويحتمل أن يقال: «إنَّ في جعل المودة والرحمة بينهم آيات لقوم يتفكرون» في عظمة الله وقدرته.

قوله: «وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ» ثم لما أشار إلى دلائل الأنفس والآفاق (ذكر[١١]) ما هو من صفات الأنفس وهو قوله: «واخْتِلاَفُ أَلْسِنَتِكُمْ» أي لغاتكم من عرب وعجم مع تنوع كل من (الجنسين[١٢]) إلى أنواع شتى لا سيّما العجم، فإن لغاتهم

---

(١) زيادة من «ب».
(٢) في «ب» يقع بصيغة التذكير.
(٣) ساقط من «ب».
(٤) ساقط من «ب».
(٥) ساقط من «ب».
(٦) ساقط من «ب» وانظر: القرطبي ١٤/١٧.
(٧) ساقط من «ب».
(٨) ساقط من «ب» وانظر: القرطبي ١٤/١٧.
(٩) في «ب» أحد بدل شيء.
(١٠) في «ب» رحمة.
(١١) ساقط من «ب».
(١٢) ساقط من «ب».

مختلفة، وليس المراد بالألسنة الجوارح. وقيل: المراد بالألسن اختلاف الأصوات، وأما اختلاف الألوان فالمراد أبيضُ وأسودُ وأحمرُ وأنتم ولدُ رجلٍ واحد، (وامرأةٍ واحدة[١]). وقيل: المراد باختلاف الألوان الذي بين ألوان الإنسان فإن واحداً منهم مع كثْرة عددهم، وصغر حجم قدودهم لا يشتبه بغيره، والسموات مع غيرها وقلة عددها مشتبهات في الصورة «إنَّ في ذَلِكَ لآيَات لِلْعَالَمِينَ»، قرأ حفص بكسر اللام، جعله جمع عَالِم ضد الجاهل ونحوه: «وما يَعْقِلُهَا إلاَّ العالِمُونَ» والباقون[٢] بفتحها لأنها آيات لجميع الناس وإن كان بعضهم يَغْفُلُ عنها وقد تقدم أول الفاتحة[٣] الكلام في «العَالَمِينَ» (قيل[٤]): هو جمع أو اسم جمع. قوله: «وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بالليْلِ والنَّهار» لما ذكر الأعراض اللازمة وهي الاختلاف ذكر الأعراض المفارقة ومن جملتها النوم بالليل والحركة بالنهار طلباً للرزق (و[٥]) قيل: في الآية تقديم وتأخير ليكون كل واحد مع ما يلائمه، والتقدير ومن آياته منامكم بالليل وابتغاؤكم من فضله بالنهار، فحذف حرف الجر لاتصاله بالليل، وعطفه عليه لأن حرف العطف[٦] قد يقوم مَقَامَ الجَارِّ، والأحسن أن يجعل على حاله.

والنوم بالنهار مما كانت العرب تَعُدُّه نعمةً من الله، ولا سيما في أوقات القَيْلُولَةِ في البلاد الحارة، وقوله: «وابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ» أي منهما[٧] فإن كثيراً ما[٨] يكتسب الإنسان بالليل، ويدل على الأول قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الإسراء: ١٢] وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبأ: ١٠، ١١]، ثم قال: «إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْم يَسْمَعُونَ» سماع تدبير واعتبار وقال ههنا: «لِقَوْم يَسْمَعُون» ومن قبل: «لِقَوْم يَتَفَكَّرُونَ» وقال: «لِلْعَالَمِينَ» لأن المنام بالليل، والابتغاء[٩] يظن الجاهل أو الغافل أنهما مما يقتضيه طبع الحيوان فلا يظهر لكل أحد كونهما من نعم الله، فلم يقل آياتٍ للعالمين، ولأن الأمرين الأولين وهو اختلاف الألسن[١٠] والألوان من اللوازم

---

(١) انظر: القرطبي ١٨/١٤ وما بين القوسين كله ساقط من «ب».

(٢) انظر: الإتحاف ٣٤٨ والسبعة ٥٠٦ وإبراز المعاني ٦٤٠، و٦٤١ ومعاني الفراء ٣٢٣/٢ الذي قال فيه: يريد العالَمَ من الجن والإنس، ومن قرأها: «للعالمين» بالكسر فهو وجه جيد لأنه قال: «لآيات لقوم يعقلون».

(٣) قيل هناك: إن عالمين اسم جمع لأن واحده من غير لفظه، ولا يجوز أن يكون جمعاً «لِعَالَم»؛ لأن الصحيح في «عالم» أنه يطلق على كل موجود، سوى البارىء لاشتقاقه من العلامة «و «عَالَمُونَ» بصيغة الجميع لا يطلق إلا على العقلاء دون غيرهم فاستحال أن يكون «عالمون» جمع عالم لأن الجمع لا يكون أخصّ من المفرد.

(٤) ساقط من «ب».

(٥) زائد من «ب».

(٦) انظر: الدر المصون ٣١٨/٤: ٣٢٠، والقرطبي ١٨/١٤، والبحر المحيط ١٦٧/٧.

(٧) في «ب» فيهما.

(٨) في «ب» مما.

(٩) في «ب» والإيقاظ بالنهار لا يظن.

(١٠) في «ب» الألسنة.

والمنام والابتغاء من الأمور المفارقة فالنظر إليهما لا يدوم لزوالهما في بعض الأوقات ولا كذلك اختلاف الألسنة والألوان فإنهما يدومان بدَوَام الإنسان فجعلهما آيات عامة، وأما قوله: «لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» فإن من الأشياء ما يعلم من غير تفكر، ومنها ما يكفي فيه مُجَرَّدُ الفكرة، ومنها ما يحتاج بعض الناس في تفهمه إلى مثل حسيّة[1] كالأشكال الهندسية، لأن خلق الأرواح لا تقع لأحد أنه بالطبع إلا إذا كان[2] جامد الفكرة، فإذا تفكر علم كون ذلك الخلق آية، وأما المنام والابتغاء فقد يقع لكثير أنهما من أفعال العباد، وقد يحتاج إلى مرشد بغير فكرة فقال: «لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ» ويجعلون بالهم من كلام المرشد.

قوله: «وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً» لما ذكر العرضيات اللازمة للأنفس المفارقة ذكر العرضيات التي للآفاق.

قوله: «يُرِيكُمُ البَرْق» فيه أوجه أظهرها: الموافق لأخواته[3] أن يكون جملة اسمية من مبتدأ وخبر إلا أنه حذف الحرف المصدري، ولما حذف بطل عمله والأصل: ومن آياته أن يُرِيَكُمْ، كقوله:

٤٠٣٨ ـ أَلاَ أَيُّهَذَا الزَّاجِرِي أَحْضُرَ الوَغَى ....[4]

الثاني: أن «من آياته» متعلق[5] «بيريكم» أو بمحذوف على أنه حال من البَرْقِ، والتقدير «يريكم البرق من آياته» فيكون قد عطف جملة فعليةً على جملة اسمية.

والثالث: أن «يريكم» صفة لموصوف محذوف أي ومن آياته (آية[6]) يريكم البرق بها أو فيها البرق فحذف الموصوف والعائد عليه ومثله:

٤٠٣٩ ـ وَمَا الدَّهْرُ إِلاَّ تَارَتَانِ فَمِنْهُمَا[7] أموت ....[8]

---

(١) في «ب» أمثلة حسنة. (٢) في «ب» إلا إذا يكون جامدة الفكرة.

(٣). في «ب» الموافق إخوانه وانظر في ذلك التفسير الكبير للإمام الفخر ٢٥/١١٢ و ١١٣.

(٤) هذا صدر بيت من الطويل للشاعر طرفة بن العبد من معلقته المعروفة عجزه:

وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَّاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي

في هذا البيت يزجر من يعيب عليه لهوه، والشاهد: حذف «أن» ونصب الفعل وهذا على قول الكوفيين بمن فيهم الفراء قائلين إن ذلك ضرورة، وفيه شاهد آخر وهو رفع الفعل وهو «أحضر» بحذف الناصب وتعريه منه والمعنى لأن أحضر وهو المراد هنا وانظر: البيان ٢/٢٥٠، ومعاني القرآن للفراء ٢/٣٢٣ ومعاني القرآن للزجاج ١/١٣٩ والسبع الطوال لابن الأنباري ١٩٢ والمقتضب ٢/١٣٤ والمسائل العسكرية ٢٠٢، والمقتصد ٧٩، والتصريح ٢/٢٤٥ والهمع ١/٦ ومجالس ثعلب ٣١٧ والبيان ـ أيضاً ـ لابن الأنباري ١/١٠١ والخزانة ١/١١٩ والديوان «٣٢» والحماسة البصرية ١/٢٧٠.

(٥) في «ب» يتعلق. (٦) ساقط من «ب».

(٧) في «ب» مادتان على رواية في البيت.

(٨) تمامه:

وأخرى أبتغي العيش أكدح

=

أي منهما تارة أموت منها.

الرابع: أن التقدير: ومن آياته سحابٌ أو شيءٌ يريكم؛ فيريكم صفة لذلك المقدر، وفاعل «يريكم» ضمير يعود عليه[1] بخلاف الوجه قبله، فإن الفاعل ضمير الباري تعالى.

فصل

المعنى يريكم البرقَ خوفاً للمسافرين من الصواعق، وطمعاً للمقيمين في المطر، وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ».

فصل

قدم لوازم الأنفس على العوارض المفارقة (حيث[2] ذكر أولاً اختلاف الألسنة[3] والألوان ثم المنام والابتغاء، وقدم في الآفاق العارضة المفارقة) على اللوازم حيث قال: «يُرِيكُمُ البَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ» وذلك لأن الإنسان متغير الحال[4]، فالعوارض فيها أغرب من اللوازم فقدم ما هو عجيب لكونه أدخلَ في كونهِ «آيةً» فإن الإنسان يتغير حاله بالكبر والصغر والصحة والسقم فله صوت يعرف به لا يتغير وله لون يتميز به عن غيره، وهو متغير[5] بذلك في الأحوال وذلك لا يتغير وهو آية عجيبة والسماء (والأرض[6]) ثابتان لا يتغيران ثم نرى في بعض الأحوال أمطاراً هاطلةً، وبُرُوقاً هائِلةً والسماء كما كانت والأرض كما كانت وذلك آية تدل على فاعل مختار يديم أمراً مع تغير المحلِّ ويُزِيل أمراً مع ثبات المحلِّ.

فصل

كما قدم السماء على الأرض قدم ما هو من السماء وهو البرق والمطر على ما هو من الأرض وهو الإنبات والإحياء وكما أن في إنزال المطر وإنبات الشجر منافعَ كذلك في تقديم الرعد والبرق على المطر منفعة وهي أن البرق إذا لاح فالذي لا يكون تحت كِنّ[7]

= وقد تقدم.

والبيت من الطويل، وقائله تميم من مقبل، وشاهده: حذف الموصوف وإبقاء صفته لدلالة ما قبله عليه والأصل: وتارة أموت فيها وتارة أخرى أكدح فيها انظر: ديوانه (٢٤) والكتاب ٢/٣٤٦ ومعاني الفراء ٢/٣٢٣ والقرطبي ١٤/١٨ والمقتضب ٢/١٣٦ والهمع ٢/١٢٠ والمحتسب ١/٢١٢ والطبري ٢١/٢٢ والخزانة ٥/٥٥ ـ ٥٩ والكامل ٣/١٧٩ ومعاني القرآن للزجاج ٢/٢٤٨ و ٤/١٨٢. وانظر في إعراب هذا الوجه وما قبله الدر المصون ٤/٣٢٠ والتبيان ١٠٣٨ و ١٠٣٩ والبيان ٢/٢٥٠.

(١) انظر هذا الوجه في الدر المصون ٤/٣٢٠ والتبيان ١٠٣٩.

(٢) من هنا ساقط من «ب».

(٣) ساقط من «ب».

(٤) في تفسير الفخر الرازي: والعوارض له غير بعيدة، وأما اللوازم فيه فقريبة.

(٥) في «ب» يتغير.

(٦) ساقط من «ب».

(٧) الكنّ مفرد الكنون وهو البيت اللسان «ك ن ن» ٩٤٢.

يخاف الابتلال فيستعد له، والذي له صهْريج[١]، أو مصنع يحتاج إلى الماء أو زرع يسوي مجاري الماء، وأيضاً أهل البوادي[٢] لا يعلمون أن البلاد عشبة إن لم يكونوا قد رأوا البروقَ اللائحة من جانبٍ دُونَ جانبٍ، واعلم أن دلائل البرق وفوائده وإن لم تظهر للمُقِيمينَ في البلاد فهي ظاهرة للبادين فلهذا جعل تقديم البرق على تنزيل الماء من السماء نعمة وآية.

فصل

أما كونه آيةً فلأن الذي في السحاب ليس إلا ماءً وهواءً وخروج النار[٣] منهما بحيث يحرق الجبال في غاية البعد فلا بد له من خالق وهو الله. وقالت الفلاسفة: السحاب فيه كثافة ولطافة بالنسبة إلى الهواء أو الماء فالهَوَى[٤] ألطف منه والماء أكثف فإذا هبت الريحُ قويةً تحرك السحابُ فيَحْدُثُ صوت الرعد وتخرج منه النار، كما أن النار تخرج من وَقْع الحَجَر على الحَديد فإن قيل: الحديد والحجر جسمان صُلْبَان، والسحاب والريح جسمَان (لَينانِ[٥]) (فنقول[٦] لكنِ حركة يد الإنسان ضعيفة، وحركة الريح قوية تقلع الأشجار) فنقول لهم الرعد والبرق (أَمرانِ[٧]) حادثان لا بد لهما من مسبِّبٍ، وقد[٨] علم بالبرهان كونُ كلِّ حادث (فهما)[٩] من الله ثم نقول: (هب[١٠]) أن الأمر كما يقولون فهبوب تلك الريح القوية من الأمور الحادثة العجيبة فلا بد لها من سبب[١١] وينتهي إلى واجب الوجود فهو آية للعاقل على قدرة الله كَيْفَمَا فَرَضْتُمْ.

فإن قيل: ما الحكمة في قوله ههنا: «آيات لقوم يعقلون» وقوله فيما تقدم: «لقوم يتفكرون؟» فالجواب:

لما كان حدوث الولد من الوالد أمراً عادياً مطرداً قليل الاختلاف كان يتطرق إلى الأوهام العامية أن ذلك بالطبيعة لأن المطرد أقرب إلى[١٢] الطبيعة (من)[١٣] المختلف، والبرق والمطر ليس أمراً مطرداً (غير مختلف[١٤]) بل يختلف إذ يقع ببَلدةٍ دون بلدة وفي وقتٍ دون وقت، وتارة يكون قوياً[١٥]، وتارة يكون ضعيفاً فهو أظهر في العقل دلالة على الفاعل المختار، فقال هو آية لمن له عقل وإن لم يتفكر تفكرا تاماً.

---

(١) واحد الصهاريج وهي كالحياض يجتمع فيها الماء، اللسان «صَ هـ رَ جَ» ٢٥١٦.

(٢) في «ب» الوادي.

(٣) في «ب» المياه.

(٤) الهواء وهو الأصح في «ب».

(٥) ساقط من «ب».

(٦) ساقط كله أيضاً من «ب».

(٧) ساقط من «ب».

(٨) انظر الفخر الرازي ٢٥/ ١١٤.

(٩) زيادة من «ب».

(١٠) ساقط من «ب».

(١١) في «ب» نسب.

(١٢) في «ب» من.

(١٣) ساقط من «ب».

(١٤) ساقط من «ب».

(١٥) في «ب» قريباً.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾﴾

قوله تعالى[١]: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ والأرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ قال ابن مسعود: قامتا على غير عُمُدٍ بأمره. واعلم أنه ذكر من لوازم السماء والأرض قيامهما[٢] فإن الأرض لثقلها يتعجب الإنسان من وقوفها وعدم نزولها وكون السماء في علوها معجب[٣] من علوها وثباتها من غير عمد، وهذا من اللوازم، فإن الأرض لا تخرج عن مكانه الذي فيه.

(فإن[٤] قيل:) بأنها تتحرك في مكانها كالرَّحَاء، ولكن اتفق العقلاء على أنها في مكانها (لا تخرج عنه[٥]. وهذا آية ظاهرة لأن كونهما في الموضع الذي هما فيه، وعلى الموضع الذي هما عليه) من الأمور الممكنة وكونهما في غير ذلك الموضع جائز فكان يمكن أن يَخْرُجَا منه، فلمّا لم يخرجا كان ذلك ترجيحاً للجائز على غيره وذلك لا يكون إلا بفاعل مختار، وقالت الفلاسفة: كون الأرض في الكائن الذي هي فيه طبيعي لها لأنها أثقل الأشياء، والثقيل يطلب المركز[٦] والخفيف يطلب المحيط وكون السماء في مكانها إن كانت ذات مكان فلذاتها، فقيامها فيه لطبعها وأُجيبُوا بأنكم وافقتمونا بأن ما جاز على أحد المثلين جاز على المثل الآخر لكن مقعَّر الفلك لا يخالف مُحْدَبه[٧] في الطبع فيجوز حصول مقعره في موضع محْدبه[٨] وذلك بالخروج والزوال فإذن تطرق الزوال إليه عن المكان ممكن لا سيما على السماء الدنيا فإنها ليست محدّدة للجهات على مذهبكم أيضاً والأرض كانت يجوز عليها الحركة الدورية كما تقولون على السماء فعدمها وسكونها ليس إلا بفاعل مختار.

فصل

ذكر الله تعالى من كل باب أمرين: أما من الأنفس فقوله: «(خلقكم[٩]) وخلق لكم» واستدل بخلق[١٠] الزوجين ومن الآفاق السماء والأرض (فقال: «خلق السماوات والأرض») ومن لوازم الإنسان اختلاف اللسان واختلاف الألوان ومن عوارض الآفاق البَرْق والأمطار ومن لوازمها قيام السماء والأرض؛ لأن الواحد يكفي للإقرار بالحق، والثاني يفيد الاستقرار ومن هذا اعتبر شهادة شاهدين، فإن قول أحدهما يفيد الظن، وقول الآخر يفيد تأكيده، ولهذا قال إبراهيم عليه (الصَّلاَة[١١] و) السلام: ﴿بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة: ٦٠].

---

(١) ساقط من «أ».
(٢) في «ب» قيامها.
(٣) في «ب» يتعجب.
(٤) ما بين القوسين بياض وساقط من «ب».
(٥) ما بين القوسين كله ساقط من «ب».
(٦) في «ب» والثقيل لطلب المركب.
(٧) في «ب» تحديده.
(٨) انظر: تفسير الفخر الرازي ٢٥/ ١١٤.
(٩) ساقط من «ب» وزائد من «أ».
(١٠) في «ب» على خلق.
(١١) ساقط من «ب».

فصل[(١)]

قوله: بأمره أي بقوله: «قوما» أو بإرادته قيامهما؛ لأن الأمر عند المعتزلة موافقٌ للإرادة وعندنا ليس كذلك ولكن النزاع في أمر التكليف، لا في أمر التكوين فإنا لا ننازعهم في أن قوله: «كُنْ[(٢)] فَيَكُونَ» و «كُونِي[(٣)]» و «كونوا»[(٤)] موافق للإرادة.

فإن قيل: ما الفائدة في قوله «ههنا»: «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ» وقال قبله[(٥)]: «ومَنْ آيَاتِهِ يُرِيكُم» (ولم[(٦)] يقل: أنْ يُرِيَكُم) ليصير (كالمصدر[(٧)] «بأن»؟).

فالجواب: أن القيام لما كان غير متغير أخرج الفعل بأن عن الفعل المستقبل ولم يذكر معه الحروف المصدرية.

فإن قيل: ما الحكمة في أنه ذكر ست دلائلَ وذكر في أربعةٍ منها: «إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ» ولم يذكر الأولى وهو قوله: «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ» ولا في الآخر وهو قوله: «ومِنْ آياتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ»؟.

فالجواب: أما الأول فلأن قوله بعده: «ومن آياته أن خلق لكم» أيضاً دليل الأنفس فخلق السماء والأرض وخلق الأزواج من باب واحد على ما تقدم من أنه تعالى ذكر من كل باب أمرين للتقرير[(٨)] والتوكيد. فلما قال في الثانية: «إن في ذلك لآيات» كان عائداً إليهما، وأما في قيام السماء والأرض فلأنه ذكر في الآيات السماوية[(٩)] أنها آيات للعالمين ولقوم يعقلون وذلك لظهورها فلما كان في أول الأمر ظاهراً ففي آخر الأمر بعد سَرْدِ الدلائل يكون أظهر (فلم يميز أحداً في ذلك عن[(١٠)] الآخر). ثم إنه تعالى لما ذكر الدليل على القدرة والتوحيد ذكر مدلوله وهو قدرته على الإعادة فقال: «ثُمَّ إِذَا دَعَاكَمْ دَعْوَةً مِنَ الأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ» وجه العطف «بثم» و «بم تعلق» فمعناه أنه تعالى إذا بين لكم كمال قدرته بهذه الآيات بعد ذلك يخبركم ويعلمكم أنه إذا قال للعظام الرميمة اخرجوا من الأجداث يخرجون أحياء[(١١)].

قوله: «مِنَ الأَرْضِ» فيه أوجه: أظهرها: أنه متعلق بمحذوف يدل عليه «يخرجون» أي خرجتم من الأرض[(١٢)]، ولا جائز أن يتعلق «بتَخْرُجُونَ» لأن ما بعد «إذا» لا يعمل فيما قبلها.

---

(١) زيادة من «ب» عن «أ».
(٢) ساقط من «ب».
(٣) على إرادة الواحد.
(٤) على إرادة المؤنثة.
(٥) على إرادة الجماعة.
(٦) في «ب» وقال قبل.
(٧) ساقط من «ب».
(٨) ساقط من «ب».
(٩) انظر: التفسير الكبير للفخر الرازي ٢٥/ ١١٥.
(١٠) في «ب» الثلاثة.
(١١) ساقط من «ب».
(١٢) انظر: الدر المصون ٤/ ٣٢١ والبيان ٢/ ٢٥٠ ويجوز أن يتعلق بمحذوف صفة لدعوة.

فصل

قَوْلُ القَائِلِ: «دعا فلانٌ فلاناً من الجبل» يحتمل أن يكون الدعاء من الجبل كما يقول القائل: يا فلانُ (اصْعَدْ[١]) إلى الجبل، (فيقال: دَعَاهُ[٢] من الجبل، ويحتمل أن يكون المدعوّ يُدْعَى من الجبل كما يقول القائل: يا فلانُ انزل من الجبل فيقال دعاه من الجبل)، ولا يخفى على العاقل أن الدعاء لا يكون من الأرض إذا كان الداعي هو اللَّه، والمدعوّ يدعى من الأرض، يعني أنكم في الأرض فيدعوكم منها فتخرجون، وَإِذا هي الفجائية، قال أكثر العلماء معنى الآية: ثم إذا دعاكم دعوة إِذا أنتم تخرجون من الأرض.

فصل[٣]

قال ههنا: «إذا أنتم تخرجون» وقال في خلق الإنسان أولاً: «ثم إذا أنتم بشر تنتشرون» لأن هناك يكون خلقٌ وتقديرٌ وتدريجٌ حتى يصير التراب قابلاً للحياة فينفُخُ فيه روحَه فإذا هو بشر، وأما في الإعادة فلا يكون تدريجٌ وتراخٍ بل يكون نداء وخروج، فلم يقل ههنا: «ثُمَّ»[٤].

قوله: «وَلَهُ مَنْ في السَّمَوَاتِ والأرْضَ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ» قال ابن عباس: كل له مطيعون في الحياة والفناء والموت والبعث وإنْ عَصَوْا في العبادة[٥]. وقال الكلبي: هذا خاص لمن كان منهم مطيعاً[٦]. ولما ذكر الآيات التي تدل على القدرة على الحشر الذي هو الأصل الآخر والوحدانية التي هي الأصل الأول أشار إليهما بقوله: «وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ والأَرْضِ» ونفس السموات والأرض له وملكه فكُلٌّ[٧] له منقادون قانتون، والشريك يكون منازعاً، فلا شريك له أصلاً، ثم ذكر المدلول الآخر فقال «هو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده» يخلقهم أولاً، ثم يعيدهم بعد الموت للبعث.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾

قوله[٨]: «وهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ» في «أهون» قولان:

أحدهما: أنها للتفضيل على بابها وعلى هذا يقال: كيف يتصور التفضيل، والإعادة والبداءة بالنسبة إلى الله تعالى على حد سواء[٩]؟ في ذلك أجوبة: **أحدها**: أن ذلك بالنسبة

---

(١) ساقط من «ب».
(٢) ساقط من «ب» كله.
(٣) في «ب» بدل فصل «فإن قيل».
(٤) انظر: تفسير الإمام الفخر الرازي ٢٥/ ١١٦.
(٥) انظر: القرطبي ١٤/ ٢٠ وفيه أن ابن عباس يقول: مصلون وانظر معاني الزجاج ٤/ ١٨٣.
(٦) المرجع السابق.
(٧) في «ب» الكل ينقادون.
(٨) ساقط من «ب».
(٩) في «ب» سوى.

إلى اعتقاد البشر باعتبار المشاهدة من أن إعادة الشيء أهون من اختراعه لاحتياج الابتداء إلى إعمال فكر غالباً، وإن كان هذا (مُنْتَفِياً)[١] عن[٢] البارىء تعالى فخوطبوا بحسب ما أَلِفُوهُ.

الثاني: أن الضمير في «عليه» ليس عائداً على الله تعالى إنما يعود على الخلق أي والعود أَهْوَنُ عَلَى الخلق أي أسرع لأن البداء فيها تدريجٌ من طورٍ إلى طورٍ إلى أن صارت إنساناً والإعادة لا تحتاج إلى هذه التدريجات فكأنه قيل: وهو أَقْصَرُ عليه وأيسر وأقل انتقالاً والمعنى يقومون بصيحة واحدة فيكون أهون عليهم من أن يكونوا نُطَفاً ثم عَلَقاً ثم مُضَغاً إلى أن يَصِيرُوا رجالاً ونساءً ـ وهي رواية الكلبي عن أبي صالحٍ عن ابن عباس[٣].

الثالث: أن الضمير في «عليه» يعود على (المخلوق[٤] بمعنى) والإعادة أَهْوَنُ على المخلوق أي إعادته شيئاً بعد ما أنشأه هذا في عرف المخلوقين، فكيف ينكرون ذلك في جانب الله تعالى، **والثاني**: أن «أَهْوَن» ليست للتفضيل بل هي صفة بمعنى «هَيِّن» كقولهم «اللَّهُ أكبر» أي الكبير وهي رواية العَوْفِيِّ عن[٥] ابن عباس[٦].

وقد يجيء «أفعل» بمعنى الفاعل كقول الفرزدق:

٤٠٤٠ ـ إنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا ... بَيْتاً دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ[٧]

أي عزيزة طويلة. والظاهر عود الضمير في «عليه» على الباري تعالى ليوافق الضمير في قوله: (وله[٨] المثل الأعلى. قال الزمخشريُّ: «فإن قلت: لم أخرت الصلة في قوله: «وَهُوَ أَهْوَنُ عليه» وقدمت في قوله): ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ [مريم: ٩] قلتُ: هنالك قصد الاختصاص وهو (محزة)[٩] فقيل: هو على هين وإن كان مستصعباً عندك[١٠] أن يولد[١١] بين هِمٍّ وعاقر فذلك عليّ هين لا على غيري، وأما هنا فلا معنى[١٢] للاختصاص كيف

---

(١) ساقط من «ب».
(٢) في «ب» على.
(٣) نقله القرطبي ١٤/٢٢.
(٤) ساقط من «ب».
(٥) العوفي هو: عطية بن سعد بن خبارة العوفي الجدلي أبو الحسن الكوفي عن أبي هريرة، وأبي سعيد، وابن عباس وعنه ابناه عمر، والحسن وخلق مات سنة ١١١ هـ، انظر: خلاصة الكمال ٢٦٧، ٢٦٨.
(٦) القرطبي ١٤/٢١.
(٧) البيت له، وهو مطلع قصيدة له في النقائض رقم ٣٩ وهو من الكامل وموجود بديوانه ٤١٧ الصاوي والقرطبي ١٤/٢١ والطبري ٢١/٢٥ والمجاز لأبي عبيدة ٢/١٢١، وابن يعيش ٦/٩٧، ٩٩ والأشموني ٣/٥١ ومعاهد التنصيص ٢/٣٧. والشاهد فيه: «أعز وأطول» حيث قصد منهما عدم التفضيل وإنما هما بمعنى الفاعلية أي عزيزةٌ وطويلةٌ كما أوضح أعلى وهذا رأى أبي عبيدة ومن نَهَجَ نهجه كالفراء.
(٨) ما بين القوسين كله ساقط من «ب».
(٩) ساقط من «ب» ولكنها في الكشاف كما في «أ».
(١٠) في الكشاف «عندكم».
(١١) في «ب» أن لم يولد وهو ما عليه الكشاف.
(١٢) انظر: الكشاف ٣/٢٢٠.

والأمر مبيَّن على ما يعقلون من أن الإعادة أسهل من الابتداء فلو قدمت الصلة لتغير المعنى. قال أبو حيان: ومبنى[(١)] كلامه على أن التقديم يفيد الاختصاص وقد تقدم منعه. قال شهاب الدين: الصحيح أنه يفيده[(٢)]. وتقدم جميع ذلك.

قوله: «وَلَهُ المَثَلُ الأَعْلَى» يجوز أن يكون مرتبطاً بما قبله وهو قوله: «وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ» أي قد ضربه لكم مثلاً فيما يسهل ويصعب. وإليه نحا الزجاج[(٣)]. أو بما بعده من قوله: «ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلاً مِنْ أَنْفُسِكُمْ» وقيل المثل: الوصف أي الصفة العليا[(٤)]. قال ابن عباس: هي أنه «ليس كمثله شيء»[(٥)] وقال قتادة: هي أنه لا إله إلا هو[(٦)].

قوله: «فِي السَّمَوات» يجوز أن يتعلق «بالأَعْلَى» أي أنه أعلى في هاتين الجهتين، ويجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه حال من «الأعلى» أو من «المثل» أو من الضمير في «الأعلى» فإنه يعود على المثل[(٧)]، «وَهُوَ العَزِيزُ» في ملكه «الحَكِيمُ» في خلقه.

قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾

قوله: «ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلاً مِنْ أَنْفُسِكُمْ» أي بين لكم شبهاً بحالكم ذلك المثل من أنفسكم، و «من» لابتداء[(٨)] الغاية في موضع الصفة «لِمَثَلاً»، أي أخذ مثلاً وانْتَزَعَهُ من أَقْرَبِ شيء منكم وهو «أنفسكم»[(٩)] ثم بين المثل فقال: «هَلْ لَكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِيمَا رَزَقْنَاكُمْ» من المال، والمعنى أن من يكون مملوكاً لا يكون شريكاً له في ماله فكيف يجوز أن يكون عباد الله شركاء له وكيف يجوز أن يكون لهم عظمة الله تعالى حتى يعبدوا؟.

قوله: «مِنْ شُرَكَاء» مبتدأ و «من» مزيدة[(١٠)] فيه لوجود شرطي الزيادة[(١١)]، وفي

---

(١) البحر المحيط ٧/ ١٧٠. (٢) الدر المصون ٤/ ٣٢٢.

(٣) انظر: معاني الزجاج ٤/ ١٨٤ قال: وجعله مثلاً لهم فقال: «وَلَهُ المَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ والأَرْضِ» أي قوله: «وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ» قد ضربه لكم مثلاً فيما يصعب ويسهل وانظر أيضاً: البحر المحيط ٧/ ١٧٠ و ١٧١ والقرطبي ١٤/ ٢٢ والكشاف ٣/ ٢٢١.

(٤) وهو قول الخليل، وانظر: إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٧٠.

(٥) انظر: القرطبي ١٤/ ٢٢. (٦) السابق.

(٧) الدر المصون ٤/ ٢٢٢. (٨) المرجع السابق والقرطبي ١٤/ ٢٣.

(٩) المرجعان السابقان والكشاف ٣/ ٢٢١، والبحر ٧/ ١٧٠.

(١٠) المراجع السابقة.

(١١) شرطا الزيادة المجرور نكرة، وكون الاستفهام المضمن معنى النفي سابقاً على المجرور، وقد تزاد في الإيجاب عند الأخفش.

خبره وجهان: **أحدهما**: الجار الأول وهو «لَكُمْ» و «مِمَّا مَلَكَتْ» يجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه حال من «شركاء»؛ لأنه في الأصل نعت نكرة قدم عليها، والعامل فيه العامل في هذا الجار الواقع خبراً، أو الخبر مقدر بعد المبتدأ[١]، و «فِيمَا رَزَقْنَاكُمْ» متعلق «بشركاء» و «ما» في «مما» بمعنى النوع، تقدير ذلك كله: هل شركاءُ فيما رزقناكم كائنونَ من النَّوْع[٢] الذي مَلَكتْهُ أيْمَانُكُمْ مستقرون لكم؟ «فكائنون» هو الوصف المتعلق به «ممَّا مَلَكتْ» ولما تقدم صار حالاً و «مستقرون» هو الخبر الذي تعلق به «لكم».

والثاني: أن الخبر «مِمَّا مَلَكَتْ» و «لَكُمْ» متعلق بما تعلق به الخبر، أو بمحذوف على أنه حال من «شركاء» أو بنفس «شركاء» كقولك: لَكَ في الدنيا محب «فلك» متعلق (بِمُحِبٍّ) وفي الدنيا[٣] هو الخبر. قوله: «وَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ» هذه الجملة جواب للاستفهام[٤] الذي بمعنى النفي «وَفِيهِ» متعلق «بسَوَاء».

قوله: «تَخَافُونَهُمْ» فيه وجهان:

أحدهما: أنها خبر ثان «لأنتم» تقديره «فأنتم» مُسْتَوُونَ معهم فيما رزقناكم خائفوهم كخوف بعضهم بعضاً أيها السادة، والمراد نفي الأشياء الثلاثة أعني الشركة والاستواء مع العَبِيد وخوفهم إياهم، وليس المراد ثبوت الشركة، ونفي الاستواء والخوف كما هو أحد الوجهين في قولك: مَا تَأْتِينَا فَتُحَدِّثَنَا بمعنى ما تأتينا محدِّثاً بل تأتينا ولا تحدثُنا بل المراد نفي الجميع كما تقدم. وقال أبو البقاء: «فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ» الجملة في موضع نصب على جواب الاستفهام أي هل لكم فتستووا[٥] أنتم. وفيه نظر كيف[٦] يجعل جملة اسمية حالة محل جملة فعلية ويحكم على موضع الاسمية بالنصب بإضمار ناصب، هذا مما لا يجوز ولو أنه فسر المعنى وقال: إن الفعل لو حل بعد الفاء لكان منصوباً بإضمار «أَنْ» لكان صحيحاً، ولا بد أيضاً أن يبين أن النصب على المعنى الذي قدمته من نفي الأشياء الثلاثة.

والوجه الثاني: أن «تَخَافُونَهُمْ» في محل نصب[٧] على الحال من ضمير الفاعل في «سَوَاء». أي فَسَاوَوْا خائفاً بعضُكُمْ من بعض مشاركَتَهُ له في المال أي إذا لم تَرْضوا أن يشارككم عبيدكُم في المال فكيف تشركون بالله من هو مصنوع له؟ قاله أبو البقاء[٨].

وقال ابن الخطيب[٩] معنى حَسَناً وهو أن بين المِثْلِ والمُمَثَّل به مشابهةٌ ومخالفةٌ، فالمشابهة معلومة والمخالفة من وجوه:

---

(١) الدر المصون ٤/ ٣٢٢.
(٢) المرجع السابق والبحر المحيط ٧/ ١٧١.
(٣) انظر: البحر المحيط ٧/ ١٧١، والدر المصون ٤/ ٣٢٢.
(٤) التبيان ١٠٤٠ والمراجع السابقة.
(٥) انظر: التبيان ٢/ ١٠٤٠.
(٦) البحر ٧/ ١٧١ والدر المصون ٤/ ٣٢٢.
(٧) التبيان ١٠٤٠ والمراجع السابقة.
(٨) المرجع السابق.
(٩) سبق القول بأن ابن الخطيب هو الإمام الفخر الرازي وقد عَرَّفْتُ بِهِ.

أحدها: قوله: «مِنْ أَنْفُسِكُمْ» أي من نَسْلِكُمْ مع حقارة الأنفس ونقصِها وعجْزِهَا، وقاسَ نفسه عليكم مع جلالتها وعظمتها وقدرتها وكمالها.

وثانيها: قوله: «ما مَلَكَتْ أيْمَانُكُمْ» أي عبيدكم لكم عليهم ملك اليمين والملك لها طَارِ (ىء) قابل للنقل والزوال، أما النقل فالبيع وغيره، وأما الزوال فبالعِتْقِ ومملوكه تعالى لا خروج له عن الملك فإذا لم يجز أن يكون مملوك يمينكم شريكاً لكم مع أنه يجوز أن يصير مثلكم من جميع الوجوه بل هو في الحال مثلكم في الآدميَّةِ حالة الرق حتى أنكم ليس لكم تصرفٌ في روحه وآدميته بقطع وقتل وليس لكم منعهم من العبادة وقضاء الحاجة فكيف يجوز أن يكون مملوك الله الذي هو مملوكه من جميع الوجوه وهو مباين له بالكلية شريكاً له؟!

وثالثها: قوله: «مما رَزَقْنَاكُمْ» يعني: الذي لكم هو في الحقيقة ليس لكم بل هو لِلَّه ومن رزقه حقيقة فإذا لم يجز أن يكون لكم شريك فيما هو لكم من حيث الاسم فكيف يجوز أن يكون له شريك فيما هو له من حيث الحقيقة.

ورابعها: قوله: «فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ» أي هل أنتم ومماليككم في شيء مما تملكون أنتم سواء ليس كذلك فلا يكون لله شريك في شيء؛ لأن كل شيء فهو لله وما تدعون إلهيَّتَهُ لا يملكون شيئاً أصلاً، ولا مِثْقَالَ ذرة خَرْدَلٍ فلا يُعْبَدُ لعظمته ولا لمنفعة تصل إليكم (منهم[١]) منه، وأيضاً فأنتم ومماليككم سواء ليس كذلك لأن المملوكَ ليس له عندكم حُرْمَةُ الأحرار، وإذا لم يكن المملوك مع مساواته إياكم في الحقيقة والصفة عندكم حرمة فكيف يكون حال المماليك الذين لا مساواة بينهم وبين المالك بوجه من الوُجُوه، وإلى هذا إشار بقوله: «تَخَافُونَهُمْ كَخِيفتكُمْ أَنْفُسكُمْ» انتهى[٢]. وإنما ذكرت هذا المعنى مبسوطاً لأنه مبين لما ذكرته من وجوه الإعراب. «كخيفتكم» أي كَخِيفَةٍ مِثْل خِيفَتِكُمْ[٣]. والعامة على نصب «أنفسكم»، لأن المصدر مضاف لفاعله[٤].

وقرأ ابْنُ أبي عبلةَ بالرفع على إضافة المصدر لمفعوله[٥]. واسْتَقْبَحَ بعضهم هذا إذا وجد الفاعل. وقال بعضهم: ليس بقبيح بل يجوز إضافته إلى كل منهما إذا وجدا[٦] وأنشد:

---

(١) زيادة عن الفخر الرازي.
(٢) انظر: التفسير الكبير للإمام الرازي ٢٥/١١٨ و ١١٩.
(٣) الدر المصون ٤/ ٣٢٤.
(٤) وأجاز الفراء أن يضاف المصدر إلى المفعول فترفع الأنفس قال: «ولو نويت به أي بالكاف والميم أن يكون في تأويل نصب رفعت ما بعدها» انظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٢٤.
(٥) كما أجازه الفراء كما سبق، وانظر هذه القراءة في: البحر المحيط ٧/ ١٧١.
(٦) ومن المجيزين له ولم يستقبحوه أبو حيان حيث قال في بحره: «وهما وجهان حسنان ولا قبح في إضافة المصدر إلى المفعول مع وجود الفاعل» انظر: البحر المحيط ٧/ ١٧١، وقال السيوطي في الهمع ٢/ ٩٤: ويجوز إبقاؤه أي الفاعل مع الإضافة إلى المفعول في الأصح نحو قوله تعالى في قراءة=

٤٠٤١ ـ أَفْنَى تِلادِي وَمَا جَمَّعْتُ مِنْ نَشَبِ   قَرْعُ القَوَارِيرِ أَفْوَاهُ الأَبَارِيقِ[١]

بنصب «الأفواه» و «رفعها».

قوله: «كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ» أي مثلُ ذلك التفصيل البين نفصل. وقرأ أبو عمرو ـ في رواية يُفَصِّل ـ بياء الغيبة رداً على قوله: «ضَرَبَ لَكُمْ»، والباقون بالتكلم رداً على قوله «رَزَقْنَاكُمْ»[٢] والمعنى يبين بالآيات والدلائل والبراهين القطعية والأمثلة: «لقوم يعقلون» ينظرون إلى هذه الدلائل بعقولهم، والأمر لا يخفى بعد ذلك إلا على من لا يكون له عقل.

قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾

قوله: «بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ» أي لا يجوز أن يشرك مالك مملوكه ولكن الذين ظلموا أي أشركوا اتبعوا أهواءهم في الشرك «مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ» أي من غير دليل جهلاً بما يجب عليهم، ثم بين أن ذلك بإرادة الله بقوله: «فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ» أي هَؤلاء أَضَلَّهم الله فلا هاديَ لهم فلا يحزنْك قَوْلُهُمْ[٣] ثم قال: «وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ» مانعين يمنعونهم من عذاب الله ـ عز وجل ـ.

= يحيى بن الحارث الذماري عن ابن عامر: «ذِكْرُ رَحْمَةِ ربك عبدُهُ زَكَرِيًّا» وقوله ﷺ: «وحَجّ البَيْتِ مَن اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً»، وقول الشاعر:

قَرْعُ القَوَارِيرِ أفواهُ الأباريقِ

وقيل: لا يجوز إلا في الشعر.

(١) من البَسِيط، وهو للأقيشر الأَسَدِيّ، وقوله: «تِلاَدي» التلاد جمع «تَلِيد» وهو المال الموروث، و «النشب» المال، والقوارير: مفردها قارورة وهي معروفة، ويروى «القواقيز» مفردها: قاقوزة، وهي الكأس الصغيرة، والأباريق كل ما له عُروة أو خُرْطُوم من الآنية. وهو يخبرنا أنه مسرف ولم يَرِثْه وارث فقد أفنى ثروته في شُرْبِ الخمر والبيت يروى برفع «أفواه»، ونصبها. فمن رفع ـ وهو شاهدنا ـ فقد أضاف المصدر إلى المفعول مع وجود الفاعل وهو «الأفواه» وعنده لا قبح حيث وجد شاهد دال على ذلك، ومن نصب فقد أضاف المصدر إلى الفاعل وعليه فلا مشكلة.

انظر: البحر المحيط ٧/ ١٧١، والمقتضب ١/ ١٥٩، والإنصاف ٢٣٣، والتصريح ٢/ ٦٤، والمغني ٥٣٦، والأشموني ٢/ ٢٨٩، والهمع ٢/ ٩٤، وأوضح المسالك لابن هشام ١٥٥، واللسان: «قَ قَ زَ»، وشذور الذهب ٤٥٨.

(٢) برواية عياش، انظر: السبعة لابن مجاهد ٥٠٧، والدر المصون ٤/ ٤٢٤، والبحر ٧/ ١٧١.

(٣) وفي هذا رد على القدرية وانظر: القرطبي ١٤/ ٢٣.

قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً﴾ أي أخلص دينك لله قال سعيد بن جبير: وإقامة الوجه إقامة الدين. وقال غيره: سَدِّدْ عملَكَ. والوجه ما يتوجه إليه، وقيل: أقبل بكُلِّكَ على[1] الدين. عبر عن الذات بالوجه كقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] أي ذاته بصفاته.

قوله: «حَنِيفاً» حال من فاعل «أقم» أو من مفعوله، أو من «الدِّين»[2] ومعنى حنيفاً مائلاً إليه مستقيماً عليه[3]، ومِلْ عن كل شيء لا يكون في قلبك شيء آخر، وهذا قريب من معنى قوله: «ولاَ تَكُونَنَّ مِنَ المُشْرِكِينَ».

قوله: «فِطْرَةَ اللَّهِ» فيه وجهان:

أحدهما: أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة كقوله: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٣٨] و ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل: ٨٨].

والثاني: أنه منصوب بإضمار فعل[4]. قال الزمخشري: وإنما أضمره على خطاب الجماعة لقوله: «مُنِيبِينَ إِلَيْهِ» وهو حال من الضمير في «الْزَمُوا»[5].

وقوله: «واتَّقُوهُ وأَقِيمُوا... وَلاَ تَكُونُوا» معطوف على هذا المضمر، ثم قال: «أو عليكم فطرةَ الله»[6] ورد أبو حيان بأن كلمة الإغراء لا تضمر، إذ هي عِوَضٌ عن الفعل فلو حذفها لزم حذف العِوَضِ والمُعَوَّضِ عنه وهو إجحاف[7]. قال شهاب الدين: هذا رأي البصريين وأما الكسائي وأتباعه فيجيزون ذلك[8].

فصل

ومعنى فطرة الله: دين الله وهو التوحيد[9] فإن الله فطر الناس عليه حيث أخرجهم من ظهر آدم وسألهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢] وقال عليه السلام «مَا مِنْ مَوْلُود إلاَّ وَهُوَ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ وَإِنَّمَا أَبَوَاهُ يُهَوِّدانِهِ ويُنَصِّرانه ويمجّسانه»[10]، فقوله:

---

(١) انظر: الطبري ٢١/ ٢٦.

(٢) الكشاف ٣/ ٢٢٢، والبحر المحيط ٧/ ١٧١، والدر المصون ٤/ ٣٣٢.

(٣) القرطبي ١٤/ ٢٤.

(٤) أي الزموا فطرة الله أو عليكم فطرة الله، وانظر هذين الإعرابين في البحر المحيط ٧/ ١٧١، والدر المصون ٤/ ٣٢٢، ومعاني القرآن ٤/ ١٨٤، والتبيان ١٠٤٠، والكشاف ٣/ ٢٢٢، وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٧١.

(٥) انظر: الكشاف ٣/ ٢٢٢ وقد قال الزمخشري عند «فطرة» إن التقدير: الزموا فطرة الله أو عليكم فطرة الله.

(٦) هذا بقية كلام الزمخشري. انظر: الكشاف ٣/ ٢٢٢.

(٧) البحر المحيط ٧/ ١٧٢ مع تصرف طفيف في عبارته.

(٨) الدر المصون ٤/ ٣٢٥. (٩) معاني الفراء ٢/ ٣٢٤.

(١٠) الحديث في الكشاف ٣/ ٢٢٢ والقرطبي ١٤/ ٢٤ برواية أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

«على الفطرة»، يعني على العهد الذي أخذه عليهم بقوله: «ألست بربكم قالوا بلى» وكل مولود في العالم على ذلك الإقرار وهي الفطرة التي وقع الخلق عليها وإن عبد غيره قال الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧] ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] ولكن لا عبرة بالإيمان الفِطْريِّ في أحكام الدنيا، وإنما يعتبر الإيمان الشرعُ المأمور به، وهذا قول ابن عباس وجماعة من المفسرين[(١)]. وقيل: الآية مخصوصة بالمؤمنين وهم الذين فطرهم الله على الإسلام، روي عن عبد الله بن المبارك قال معنى الحديث: إن كل مولود يولد على فِطرته أي على خلقته التي جُبِلَ عليها في علم الله تعالى من السعادة والشقاوة فكل منهم صائر في العاقبة إلى ما فطر عليها وعامل في الدنيا بالعمل المشاكل لها فمن أمارات الشقاء أن يُولَد بين يَهُودِيَّيْنِ أو نَصْرَانِيَّيْنِ فيحملانه لشقائه على اعتقاده دينهما، وقيل: معنى الحديث أن كل مولود في مَبْدأ الخلقة على الفطرة أي على الجبلّة السليمة والطبع المنهيّ لقبول الدين، فلو ترك عليها لاستمر على لزومها؛ لأن هذا الدين موجود حُسْنُهُ في العقول، وإنما يَعْدِلُ عنه من يَعْدِلُ إلى غيره لآفة من النُّشوْءِ والتقليد فمن يَسْلَمْ من تلك الآفات لم يعتقد غيره، ذكر هذه المعاني أبو سليمان الخَطَّابيُّ في كتابه.

قوله: «لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ» فمن حمل الفِطرة على الدين قال معناه: لا تبديل لدين الله، فهو خبر بمعنى النهي، أي لا تُبَدِّلُوا دين الله، قاله مجاهدٌ[(٢)] وإبراهيمُ[(٣)] والمعنى الْزَمُوا فِطْرَةَ الله أي دين الله فاتبعوه، ولا تبدلوا التوحيد بالشرك. وقيل: هذا تسلية للنبي - ﷺ - عن الحزن حيث لَمْ يُؤْمِنْ قومه فقال: هم خلقوا للشقاوة، ومن كتب شقِياً لا يَسْعَدُ، وقال عكرمة ومجاهد: معناه[(٤)] تحريم إخصاء البهائم، ثم قال: «ذَلِكَ الدِّين القَيمُ» المستقيم الذي لا عوج فيه «وَلِكنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ» أن ذلك هُوَ الدينُ المستقيمُ[(٥)].

قوله: «مُنِيبِينَ» حال من فاعل «الْزَمُوا»[(٦)] المضمر كما تقدم، أو من فاعل[(٧)] «أَقِمْ» على المعنى لأنه ليس يراد به واحدٌ بعينه، وإنما المراد الجميع، وقيل: حال من

(١) وهو قول ابن زيد أيضاً، انظر: الطبري ٢١/٢٦، والقرطبي ١٤/٢٤ و ٢٥/٢٦.
(٢) انظر: القرطبي ١٤/٣١.
(٣) السابق وإبراهيم هو: إبراهيم بن سُوَيد النخعيّ الكوفيّ الأعور عن علقمة والأسود، وعنه سَلَمة بنُ كُهَيْلٍ وزَيدٌ اليامي. انظر: خلاصة الكمال ١٨.
(٤) انظر: القرطبي أيضاً ١٤/٣١ وهذا عن ابنِ عَبَّاسٍ وعُمَرَ بْنِ الخَطَّاب.
(٥) نقله في القرطبي ١٤/٣١.
(٦) نقله في البحر المحيط ٧/ ١٧٢ والدر المصون ٤/ ٣٢٥ والتبيان ١٠٤٠، وانظر: إعراب النحاس ٣/ ٢٧٢ ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج كما سيأتي أيضاً ٤/ ١٨٥ فضلاً عن الكشاف للزمخشري ٣/ ٢٢٢.
(٧) البيان ٢/ ٢٥٩ والمراجع السابقة.

«النَّاسِ[(١)]» إِذَا أريد بهم المؤمنون، وقال الزجاج بعد قوله: «وَجْهَكَ» معطوف تقديره «فَأَقِمْ وَجْهَكَ وأُمَّتَكَ» فالحال من الجميع، وَجَازَ حذل المعطوف لدلالة «مُنِيبِينَ» عليه، كما جاز حذفه في قوله: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ» أي والناسُ لدلالة: «إِذَا طَلَّقْتُمْ» عليه، كذا زعم الزجاج[(٢)]، في ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ [الطلاق: ١] وقيل: على خبر كان، أي كُونُوا مُنِيبِينَ، لدلالة قَوْلِهِ: «وَلاَ تَكُونُوا»[(٣)].

فصل

معنى منيبين إليه أي[(٤)] مُقْبِلِينَ عليه بالتوبة والطاعة، «وَاتَّقُوهُ» أي إِذَا أقبلتم عليه، وتركتم الدنيا، فلا تأمنوا فتتركوا عبادته بل خافوه وداوموا على العبادة «وأَقِيمُوا الصَّلاَةَ» ولا تَكُونُوا مِنَ المشركِينَ[(٥)]؛ بإعادة العامل. وتقدم قراءتا «فَرَّقُوا، وَفَارَقُوا» وتفسير «الشِّيَع» أيضاً[(٦)]. قوله: «فَرِحُونَ» الظاهر أنه خبر عن «كل حزب»؛ وجوز الزمخشري[(٧)] أن يرتفع صفة «لِكُلّ» قال: ويجوز أن يكون «من الذين» منقطعاً مما قبله ومعناه من المفارقين دينهم كل حزب فَرِحينَ بما لديهم، ولكنه رفع «فَرِحِين» وصفاً لكل كقوله:

٤٠٤٢ ـ وَكُلُّ خَلِيلٍ غَيْرُ هَاضِمِ نَفْسِهِ ....[(٨)]

قال أبو حيان: قدر أولاً «فَرِحِينَ» مجروراً صفة «لِرَجُلٍ» وهو الأكثر[(٩)] كقوله:

---

(١) المراجع السابقة.

(٢) قال في معاني القرآن: زعم جميع النحويين أن هذا فأقيموا وجوهكم منيبين إليه لأن مخاطبة النبي ـ ﷺ ـ يدخل معه فيها الأمة والدليل على ذلك قوله «يأيها النبي إذا طلقتم النساء».

(٣) ذكر هذا أبو حيان في البحر الميحط ٧/ ١٧٣.

(٤) نقله القرطبي ١٤/ ٣٢.

(٥) في معظم المراجع (من الذين فرقوا ـ بدل من المشركين) الكشاف ٣/ ٢٢٢ والبحر المحيط ٧/ ١٧٣ والدر المصون ٤/ ٣٢٥.

(٦) في الأنعام عند الآية ١٥٩ عند قوله «إنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكانُوا شِيَعاً» وقد قيل هناك: إن حمزة والكسائي قرءا «فارقوا» بالألف والباقون بالتشديد وانظر: اللباب (ميكرو فيلم). والإتحاف ٤٣٨ والسبعة ٢٧٤. وقيل: إن الشيعة أتباع الرجل وأنصاره وجمعها: شيع، والشيعة: الذين يتبع بعضهم بعضاً وليس كلهم متفقين.

(٧) انظر: الكشاف ٣/ ٢٢٢.

(٨) من الطويل وهو للشماخ بن ضرار الذبياني، وعجزه:

بِـوَصْـلِ خَـلِـيـلٍ صَـارِمٍ أَوْ مُـعَـارِزِ

والهضم: الظلم، والصَّارم: القاطع، والمُعارِزُ: المنقَبض. يقول: كل خليل لا يظلم نفسه لخليله فهو ظالم له قاطع ومنقبض عنه. والاستشهاد بالبيت في كلمة «غَيْرُ» فيجوز رفعها مراعاة «لِكُلّ» ويجوز جرها مراعاة «لِخَلِيلِ» والبيت استشهد به الزمخشري على الوجه الأول الذي أجيز لأن «كُلُّ» مضاف إلى نكرة. وقد تقدم.

(٩) انظر البحر ٧/ ١٧٢.

٤٠٤٣ ـ جَادَتْ عَلَيْهِ كُلُّ عَيْنٍ ثَرَّةٍ فَتَرَكْنَ كُلَّ حَدِيقَةٍ كَالدِّرْهَمِ[(١)]

وجاز الرفع نعتاً «لِكُلّ» كقوله:

٤٠٤٤ ـ وَلِهَتْ عَلَيْهِ كُلُّ مُعْصِفَةٍ هَوْجَاءُ لَيْسَ لِلُبِّهَا زَبْرُ[(٢)]

وهو تقدير حسن.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾﴾

قوله: «وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ» قَحْطٌ وشدّة، «دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ» بالدعاء، لما بين التوحيد بالدليل وبالمثل بين أن لهم حالة يعترفون به[(٣)]، وإن كانوا ينكرونه[(٤)] في وقت ما وهي حالة الشدة، «ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً»، خصْبٌ أو نعمة، يعني إذا خلصناهم من تلك الشدة «إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ»، وقوله: «مِنْهُ» أي من الضر؛ لأن الرحمة غير مطلقة لهم إنما هي على ذلك الضر وحده، وأما الضر المؤخر فلا يذوقون منه رحمة ويحتمل أن يكون الضمير في «منه» عائد إلى الله تعالى، والتقدير ثم إذا أذاقهم اللَّهُ من فضله رحمةً خلصهم بها من ذلك الضر.

قوله: «إِذَا فَرِيقٌ» هذه «إذا» الفُجَائِيَّة، وَقَعَتْ جَوَابَ الشرطِ؛ لأنها كالفاء في أنها للتعقيب ولا يقع أول كلام، وقد تجامعها الفاء زائدةً[(٥)].

---

(١) هذا بيت من تمام الكامل وهو لعنترة العبسي، و «جادت عليه» من الجَوْد أي المطر. و «ثَرَّة» غَنِيَّة بالمطر دائمته، والعين مطر أيام لا ينقطع خمسة أو ستة أيام. والحدائق: الحِيطَان التي فيها النخل و «كالدرهم» في الاستدارة بالماء. وقد تقدم.

(٢) هذا بيت من تمام الكامل أيضاً لابن أَحْمَرَ في وصفِ ريح تَجِيءُ على منازل أَصْحَابِهِ ولا تستقيم في هُبوبها على حال واحدة فهي كالناقة الهوجاء، واللبُّ: العقل، والزَّبْر: الإحكام، ووَلِهَتْ: حَفَّتْ والشاهد: في كلمة «هوجاء» رفعها وصفاً «لكل»، ويجوز فيه ـ على الأكثر ـ الجر ـ بالفتح حيث لا ينصرف ـ وصفاً لـ «معصفة». وانظر: الكتاب ٣/ ٢٢٢ واللسان: «ز ب ر، هـ و ج» وحاشية يس ٢/ ٣٢، ومعاني القرآن للزجاج ٢/ ١٤٥، والبحر المحيط ٧/ ١٧٢ وانظر هذه الأبيات السابقة في الدر المصون ٤/ ٣٢٦.

(٣) في تفسير الفخر الرازي: حالة يعترفون بها.

(٤) وفيه: ينكرونها.

(٥) قال في الكتاب ٣/ ٦٣ و ٦٤ «واعلم أنه لا يكون جواب الجزاء إلا بفعل أو بالفاء... وسألت الخليل عن قوله ـ عز وجل ـ: «وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ» فقال: هذا كلام معلق بالكلام الأول كما كانت الفاء معلقة بالكلام الأول وهذا ها هنا في موضع قنطوا وما يجعلها في منزلة أنها لا تجيء مبتدأة. وزعم الخليل أن إدخال الفاء على «إذا» قبيحٌ».

وقال السّيوطيّ في الهمع ٢/ ٦٠: «وينوب عنها في الأصح إذَا الفجائية في جملة اسمية غير طالبة ولا=

فإن قيل[١]: ما الحكمة في قوله ههنا: «إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ»، وقال في موضع: «فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى البَرِّ إِذَا هُم يُشْرِكُونَ» ولم يقل: فَرِيقٌ.

فالجواب: أن المذكور هناك غير معين، وهو ما يكون من هَوْل البحر، والتخلص منه بالنسبة إلى الخلق قليل، والذي لا يشرك منهم بعد الخلاص فرقة منهم فهم في غاية القلة، فلم يجعل المشركين فريقاً لقلة من خرج من الشرك وأما المذكور ههنا الضر مطلقاً فيتناول ضُرَّ البحر والأمراض والأهوال، والمتخلص من أنواع الضر خلقٌ كثير بل جميع الناس يكونون قد وقعوا في ضر ما فتخلصوا منه والذي لا يبقى بعد الخلاص مشركاً من جميع الأنواع إذا جمع فهو خلق عظيم وهم جميع المسلمين فإنهم تخلصوا من ضُرّ ولم يبقوا مشركين، وأما المسلمون فلم يتخلصوا من ضُرّ البحر بأجمعهم فلما كان الناجي من الضر المؤمن جمعاً كثيراً سمى الباقي فريقاً.

قوله: «لِيَكْفُرُوا» يجوز أن تكون لام «كي» وأن تكون لام الأمر ومعناه التهديد[٢] كقوله: «اعْملوا مَا شِئْتُمْ»[٣] ثم خاطب هؤلاء الذين فعلوا هذا خطاب تَهْديدٍ فقال: «فَتَمَتَّعُوا».

قرأ العامة بالخطاب فيه، وفي «تَعْلَمُونَ»، وأبو العالية بالياء فيهما، والأول مبني للمَفْعُولِ. وعنه أيضاً «فَيَتَمَتَّعوا»[٤] بياء قبل التاء، وعن عبد الله[٥] «فلْيَتَمَتَّعُوا» بلام الأمر[٦]، والمعنى: فسوف تعلمون حالكم في الآخرة.

قوله: «أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَاناً» أي بُرْهَاناً وحُجَّةً، فإن جعلناهُ حقيقة كان يتكلم مجازاً[٧]، وإن جعلناه على حذف مضاف أي ذا سلطان كان يتكلم حقيقة، وقال أبو البقاء هنا: وقيل: هو جمع سليط كرغيف ورغفان انتهى[٨].

= منفية، قال أبو حيان النصوص متضافرة في الكتب على الإطلاق في الربط «بإذا» وإن السَّماع إنما ورد في إن قال تعالى: «وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون» فيحتاج في إثبات ذلك في غير «إن» من الأدوات إلى سماع».

وللأخفش رأي هنا في هذه الآية يقول في المعاني: «إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ» هو الجواب؛ لأنَّ «إِذَا» معلقة بالكلام الأول بمنزلة الفاء. انظر: معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٥٧.

(١) انظر: التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي ٢٥/ ١٢٢.

(٢) انظر: البحر المحيط ٧/ ١٧٣، والدر المصون ٤/ ٣٢٧.

(٣) من الآية ٤٠ من سورة «فصلت» والاستشهاد أن اللام إذا كانت للأمر فإن المعنى يكون على التهديد والوعيد كما قرره في البحر المرجع السابق.

(٤) انظر: البحر المحيط ٧/ ١٧٣ والمحتسب لابن جني ٢/ ١٦٤.

(٥) هو ابن مسعود وقد عرفت به.

(٦) الكشاف ٣/ ٢٢٢، والقرطبي ١٤/ ٣٣ والبحر المحيط ٧/ ١٧٣، والدر المصون ٤/ ٣٢٧.

(٧) الكشاف ٣/ ٢٢٢ و ٢٢٣.

(٨) انظر: التبيان ١٠٤٠١ و ١٠٤٠.

قال شهاب الدين: وهذا لا يجوز لأنه كان ينبغي أن يقال[١] فهم يتكلمون. و «فَهُوَ يَتَكَلَّمُ» جواب الاستفهام الذي تضمنته «أم» المنقطعة[٢]، وهذا استفهام بمعنى الإنكار أي ما أنزلنا بما يقولون سلطاناً، قال ابن عباس: حجة وعُذْرا[٣]، وقال قتادة: كتاباً يتكلم بما كانوا به[٤] يشركون «أي ينطق بشركهم».

قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾﴾

قوله: «وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً» أي الخِصْب وكَثْرة المطر[٥] «فَرِحُوا بِهَا» يعني فرح البطر لما بين حال الشرك الظاهر شركه، بين حال الشرك الذي دونه وهو من تكون عبادته للدنيا، فإذا أعطاه رَضِيَ، وإذا منعه سَخِطَ وقَنَطَ، ولا ينبغي أن يكون كذلك بل ينبغي أن يعبد الله في الشدة والرخاء.

فإن قيل: الفرح بالرحمة مأمور به قال: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ﴾ [يونس: ٥٨] وهَهُنَا ذمهم على الفرح بالرحمة.

فالجواب: هناك قال افْرَحُوا برحمة الله من حيث إنها مضافة إلى الله، وهَهُنَا فرحوا بنفس الرحمة حتى لو كان المطر من غير الله لكان فرحهم به مِثْلَ فرحهم إذا كان مِنَ الله[٦].

قوله: «وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ» أي الجَدْبُ وقِلَّةُ المَطَر[٧]، وقيل: الخوف[٨] والبَلاَء «بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ» من السيئات «إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ» يَيأَسُون من رحمة الله[٩]، وهذا خلاف وصف المؤمنين فإنهم يشكرونه عند النعمة، ويرجُونَه عند الشدةِ.

قوله: «أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ» ألم يعلموا أن الكل من الله فالمحق ينبغي أن لا يكون نظره إلى[١٠] ما يُوجَد بل إلى من يُوجد وهو الله، فلا يكون له تبدل حال وإنما يكون عنده الفرح الدائم ولذلك قال: «إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ».

---

(١) انظر: الدر المصون ٤/ ٣٢٧. (٢) المرجع السابق والبحر المحيط ٧/ ١٧٣.
(٣) انظر: القرطبي ١٤/ ٣٤. (٤) السابق ١٤/ ٣٣.
(٥) قاله يحيى بن سلام والنقاش، انظر: القرطبي ١٤/ ٣٤.
(٦) انظر: تفسير الفخر الرازي ٢٥/ ١٢٣. (٧) قاله السدي القرطبي ١٤/ ٣٤.
(٨) قاله مجاهد المرجع السابق. (٩) المرجع السابق.
(١٠) تفسير الفخر الرازي ٢٥/ ١٢٤ وفي تفسير الفخر هذا: «المحقق» وليس «المحق».

قوله: «فَآتِ ذَا القُرْبَى حَقَّهُ» من البرّ والصلة، و «المِسْكِين» بأن يُتَصَدَّقَ عَلَيْهِ، وابْنَ السَّبِيل» يعني المسافر، وقيل: الضيف[١]. وخص هذه الأصناف الثلاثة بالذكر دون بقية الأصناف الثمانية المذكورة في الصدقات[٢]، لأنه أراد ههنا[٣] بيان من يجب الإحسان إليه على كل من له مال، سواه كان زَكَوِيًّا أو لم يكن وسواء كان قبل الحَوْلِ أم بعده؛ لأن المقصودَ هنا الشفقة العامة وهؤلاء الثلاثة يجب الإحسان إليهم وإن لم يكن للإنسان مالٌ زائد أما القريب فتجب نفقته عليه إذا كان له مالٌ وإن لم يَحُلْ عليه الحَوْلُ والمسكين كذلك، فإن من لا شيءَ له إذا وقع في الحاجة حتى بلغ الشدة يجب على القادر دفع حاجته وإن لم يكن عليه زكاة، والفقير داخل في المسكين لأن من أوْصَى للمساكين بشيء يُصْرَفُ إلى الفقير أيضاً وإذا نظرتَ إلى الباقين من الأصناف رأيتهم لا يجب صرف المال إليهم إلا على الذين وَجَبت الزكاةُ عليهم وقدم القريب لأن دفع حاجته واجبٌ سواء كان في مَخْمَصَةٍ أو لم يكن فلذلك قُدِّمَ على من لا يجب دفع حاجته من غير مال الزكاة إلا إذا كان في شدة، وأما المسكين فحاجته ليست مختصة بموضع، فقدم على من حاجته مختصة بموضعٍ دُونَ مَوْضِعٍ.

قوله: «ذَلِكَ خَيْرٌ» يحتمل أنْ يُرادَ: «خيرٌ من غيره»، وأن يكون ذلك خير في نفسه «لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ» أي يطلبون ثواب الله مما يعملون «وَأولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ».

فإن قيل: كيف قال: «وَأولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ»؟ مع أن لِلإفلاح شرائطَ أخرى مذكورة في قوله: «قَدْ أَفْلَحَ المُؤمِنُونَ»؟!.

فالجواب: كل وصف مذكور هنا[٤] يفيد الإفلاح، وكذا الذي آتى المال لوجه الله يفيد الإفلاح اللَّهُمَّ إلا إذا وُجِدَ مانعٌ من ارتكاب محظورٍ أو تركِ واجبٍ.

فإن قيل: لِمَ لَمْ يذكُرْ غيره من الأفعال كالصلاة وغيره؟.

فالجواب: الصلاة مذكورة من قبل وكذا غيرها في قوله: «فَأَقِمْ وَجْهَكَ للدِّينِ حَنِيفاً»، وقوله «مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَلاَ تَكُونُوا مِنَ المُشْرِكِينَ».

فإن قيل: قوله في البقرة: «فَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُون» إشارة إلى من أقام الصلاة وآتى الزكاة، وآمن بما أنزل على الرسول وبما أنزل من قبل[٥] وبالآخرين فهو المفْلح، وإذا كان المفلح منحصراً في «أولئك» فهذا خارج عنهم فكيف يكون مفلحاً؟!.

فالجواب: هذا هو ذاك لأن قوله: «فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ» أمر بذلك، فإذا أَتَى

---

(١) القرطبي ١٤/ ٣٥.

(٢) وهي قول الله: «إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالمَسَاكِينِ والعَامِلِين عَلَيْهَا والمؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ والغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ الله وابْنِ السَّبِيل» وهي الآية ٦٠ من التوبة.

(٣) انظر هذا كله في تفسير الفخر الرازي ٢٥/ ١٢٤ و ١٢٥.

(٤) الأصح هناك أي في المؤمنون. (٥) في تفسير الفخر: من قبله.

بالصلاة، وآتى المال، وأراد وجه الله ثبت أنه من مُقِيمِي الصلاة ومُؤتِي الزكاة ومعترف بالآخرة[١].

قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾

قوله: «وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِباً»، قرأ ابن كثير أَتَيْتُمْ مقصوراً، وقرأ الآخرون[٢] بالمد أي أَعْطَيْتُم ومن قصر فمعناه جِئْتم من رِباً ومجيئهم ذلك على وجه الإعطاء كما تقول: أتيت خطأ، وأتيت صواباً[٣] وهو يؤول[٤] في المعنى إلى قول من مَدَّ.

قوله: «لِيَرْبُوَ» العامة على الياء[٥] تحت مفتوحة، أسند الفعل لضمير «الرِّبَا» أي لِيَزْدادَ، ونافعٌ ويعقوبُ بتاءٍ من فوق مضمومةً خطاباً للجماعة، قَالوا وعلى الأول لامُ الكلمة، وعلى الثاني كلمةٌ، ضميرُ الغائبينَ[٦].

فصل

ذكر هذا تحريضاً يعني أنكم إذا طلب منكم واحد باثنين (تَرْ[٧]) غَبُونَ فيه وتُوْثِرُونَهُ، وذلك لا يربو عند الله فاختطاف[٨] أموال الناس والزكاة تنمُو عند الله كما أخبر النبي ـ ﷺ ـ «إِنَّ الصَّدَقَةَ تَقعُ في يَدِ الرَّحْمٰنِ فَتَرْبُو حَتَّى تَصِيرَ مِثْلَ الجَبَلِ»[٩] فينبغي أَن يكون إقْدَامكُمْ على الزكاة أكثرَ واختلفوا في معنى الآية قال سعيد بن جبير، ومجاهد وطاوس[١٠] وقتادة والضحاك[١١] وأكثر المفسرين: هو الرجل يعطي عبده

(١) انظر: التفسير الكبير للفخر الرازي ٢٥/ ١٢٦.

(٢) القرطبي ١٤/ ٣٦ والبحر المحيط ٧/ ١٧٤ وبدون نسبة في الكشاف ٣/ ٢٢٣.

(٣) القرطبي ١٤/ ٣٦.

(٤) في «ب» مَئُول.

(٥) مختصر ابن خالويه ١١٦ والسبعة ٤٠٧ والإتحاف ٣٤٨ وانظر في توجيه ذلك الكشف ٢/ ١٨٤ و ١٨٥ ومعاني الفراء ٢/ ٣٢٥ والبحر ٧/ ١٧٤.

(٦) المراجع السابقة والدر المصون ٤/ ٣٢٧.

(٧) هذا الجزء من الكلمة ساقط من «ب».

(٨) في «ب» في اختطاف.

(٩) انظر: تفسير الفخر الرازي ٢٥/ ١٢٦.

(١٠) طَاوُسٌ: هو ابن كيسان اليماني الجندي عن أبي هريرة، وعائشةَ وابن عباسٍ، وزيدِ بن ثابت، وزيد بن أرقم وغيرهم وعنه: مجاهد، وعمرُو بن شُعَيْبٍ، والزهريّ مات سنة ١٠٦، انظر: خلاصة الكمال ١٨١.

(١١) الضحاك بن مزاحم الهِلاَليّ أبو القاسم الخُراسانيّ المفسِّر يروى تفسيره عن عبيد بن سليمان، صدوق، كثير الإرسال من الطبقة الخامسة مات بعد المائة، انظر: طبقات المفسرين للداودي ١/ ٢٢٢.

العطيَّة لِيُثِيبَ أكثر[١] منها، فهذا جائز حلالاً، ولكن لا يثاب عليه في الفقه[٢] فهو[٣] معنى قوله تعالى: ﴿فَلا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ﴾ وكان هذا حراماً على النبي - ﷺ - خاصة لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ [المدثر: ٩] أي لا تعطِ وتطلب أكثر مما أعطيتَ، وقال النخعي: هو الرجل يعطي صديقه وقريبه ليكثر ماله، ولا يريد به وجه الله[٤]. وقال الشعبي: هو الرجل يَلْتَزِقُ بالرجل[٥] فيجزيه[٦] ويسافر معه فيحصل له ربح ماله التماس عونه لا لوجه الله فَلاَ يَرْبُو عند الله؛ لأنه لم يُرِدْ به وَجْهَ الله «وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ» أعطيتم من صدقة تريدون وجه الله.

قوله: «فَأُولَئِكَ هُمُ المُضْعِفُونَ» أي أصحاب الأضعاف، قال الفراء: نحو مُسْمِنٍ[٧] ومُعْطِشٍ أي ذي إبل سِمَانٍ وعِطَاشٍ، وتقول العرب: القوم مُهْزِلُونَ ومُسْمِنُونَ، إذا هَزِلَتْ وسَمِنَتْ[٨]، فالمُضْعِفُ ذو الأَضْعَافِ من الحسنات وقرأ «أبيّ» بفتح العين[٩]، وجعله اسم مفعول. وقوله: («فَأُولَئِكَ[١٠] هُمْ» قال الزمخشري: «التفات حسن كأنه قال لملائكته وخواص خلقه) فأولئك الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم «هم المُضْعِفُون» والمعنى هم المُضْعِفُونَ به لأنه من ضمير يرجع إلى («مَا انتهى[١١]) يعني أن اسم الشرط مَتَى كان غير ظرف وَجَبَ عودُ ضميرٍ من الجواب عليه. وقد تقدم ذلك في البقرة عند: «قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ»[١٢] ثم قال: «ووجه آخر: وهو أن يكون تقديره فمُؤْتُوه فأولئك هم المضعفون، والحذف لباقي الكلام من الدليل عليه»، وهذا أسهل مأخذاً، والأول أملأ بالفائدة.

قوله: «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ» يجوز في خبر الجلالة وجهان:

أظهرهما: أنه الموصول بعدها[١٣].

والثاني: أنه الجملة[١٤] من قوله: «هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ» والموصول

---

(١) القرطبي ١٤/ ٣٦.
(٢) في «ب» الغنيمة.
(٣) في «ب» فهذا معنى.
(٤) المرجع السابق.
(٥) السابق.
(٦) في «ب» فيخدمه.
(٧) انظر: معاني القرآن له ٢/ ٣٢٥.
(٨) في «ب» يهزلون ويسمنون وعبارة الفراء كما في المعاني ٢/ ٣٢٥ «كما تقول العرب: أَصْبَحْتُمْ مُسْمِنِينَ مُعْطِشِينَ إذا عطشت إبلهم أو سَمِنَتْ».
(٩) وهي من القراءات الشاذة، وانظر: مختصر ابن خالويه ١١٦.
(١٠) ما بين القوسين كله ساقط من «ب» وموجود بالكشاف و «أ».
(١١) ما بين القوسين ساقط من «ب» وموجود بالكشاف وانظر: الكشاف ٣/ ٢٢٤.
(١٢) الآية ٩٧ من البقرة فلا يجوز: «من يَقُمْ فَمُحَمَّدٌ مُكافِىءٌ».
(١٣) في «ب» بعده.
(١٤) انظر: الكشاف ٣/ ٢٢٤ والقرطبي ١٤/ ٤٠ والبحر المحيط ٧/ ١٧٥ والدر المصون ٤/ ٣٢٨.

(صفة)[١] للجلالة. وقدر الزمخشري الرابط المبتدأ، والجملة الرافعة (خبراً) فقال: «من ذلكم» هو الذي ربط الجملة بالمبتدأ، لأن معناه من أفعاله. قال أبو حيان: والذي ذكره[٢] النحويون أن اسم الإشارة يكون رابطاً إذا أشير[٣] به إلى المبتدأ، وأما ذلك[٤] هنا فليس بإشارة إلى المبتدأ لكنه شبيه بما أجازه الفراء من الرَّبْطِ بالمعنى[٥] وذلك في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ﴾ [البقرة: ٢٣٤] قال: التقدير يَتَرَبَّصنَ أزواجُهُمْ، فقدر الرابط[٦] بمضاف إلى ضمير «الذين» فحصل به الربط كذلك قدر الزمخشري «من ذلكم» من أفعاله بمضاف إلى[٧] الضمير العائد إلى المبتدأ.

قوله: «الَّذِي خَلَقَكُمْ» أوجدكم «وَرَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ» جمع في هذه الآية بين الحشر والتوحيد، أما الحشر فقوله: «يُحْيِيكُمْ»، وأما الدليل فقدرته على الخلْق ابتداءً وأما التوحيد، فقوله: «هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُم مَنْ يفعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيءٍ» ثم قال: «سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ» أي سبحوه تسبيحاً ونزهوه ولا تصفوه بالإشراك»[٨]. وقوله: «تَعَالَى» أي لا يجوز ذلك عليه.

قوله: «مِنْ شُرَكَائِكُمْ» خبر مقدم و «مِنْ» لِلتَّبْعيض و «مَنْ يَفْعَلُ» هو المبتدأ، و «ذلِكُمْ» متعلق بمحذوف، لأنه حال من «شَيء» بعده فإنه في الأصل صفة له و «مِنْ» الثانية مزيدة في المفعول به؛ لأنه في حَيِّز النفي المستفاد من الاستفهام والتقدير: ما الذي يفعل شيئاً مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شركائكم[٩]؟.

وقال الزمخشري: «ومن الأولى والثانية كل واحدة مستقلة تأكيد لتعجيز شركائهم وتجهيل عبدتهم»[١٠].

وقال أبو حيان: ولا[١١] أدري ما أراد بهذا الكلام؟ وقرأ الأعمش «تشركون» بتاء الخطاب[١٢].

قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ

---

(١) ساقط من «ب».
(٢) انظر: البحر المحيط ٧/ ١٧٥.
(٣) فيه: إذا كان أشير به.
(٤) وفيه: «ذلكم» بالجمع.
(٥) وفيه: وخالفه الناس وذلك الخ....
(٦) فيه: فقدر الضمير بمضاف.
(٧) انظر: البحر المحيط ٧/ ١٧٥.
(٨) انظر: تفسير الإمام الفخر ٢٥/ ٢٧.
(٩) انظر: البحر المحيط ٧/ ١٧٥، والدر المصون ٤/ ٣٢٩.
(١٠) عبارته في الكشاف ٣/ ٢٢٤: «ومن الأولى والثانية والثالثة كل واحدة منهن مستقلة بتأكيد لتعجيز شركائهم وتجهيل عبدتهم».
(١١) لم ألمح هذا التعجب وهذا التعقيب من أبي حيان للزمخشري في البحر المرجع السابق.
(١٢) انظر: البحر المحيط ٧/ ١٧٦.

كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾

قوله: «ظَهَرَ الفَسَادُ فِي البَرِّ والبَحْرِ» وجه تعلق الآية بما قبلها أن الشرك سبب الفساد كَمَا قَالَ تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] وإذا كان الشرك سببه جعل الله إظهارهم الشرك موِرثاً لظهور الفساد ولو فعل (بهم[١]) ما يقتضيه قولهم لفسدت السموات والأرض، كما قال تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾ [مريم: ٩٠، ٩١] ولهذا أشار بقوله: «لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلوا»، واختلفوا في قوله: «في البرِّ والبَحْرِ»، فقيل: المراد خوف الطوفان في البحر والبر، وقيل: عدم إنبات بعض الأرض وملوحة مياه البحار. وقيل: المراد قحط المطر وقلة النبات، وأراد بالبرّ البوادي والمَفَاوِز وبالبحر المدائن والقُرَى التي على المِياه الجَارِيةِ.

قال عكرمة: العرب تسمي المِصْرَ[٢] بَحْراً تقول: أجدب البر وانقطعت مادة البحر.

قوله: «بما كسبت» أي بسبب كسبهم، والباء متعلقة «بظَهَرَ» أو بنفس[٣] الفساد. وفيه بُعْد (والمعنى بشؤم ذنوبهم) وقال (ابن[٤]) عَطِيَّة: البر ظهر الأرض الأمصار وغيرها، والبحر هو البحر المعروف، والفساد قلة المطر يؤثر في البر والبحر أما تأثيره في البر فهو القحط وأما تأثيره في البحر فيخلو أجواف الأصداف؛ لأن الصدف إذا جاء المطر يرتفع إلى وجه البحر ويفتح فاه فما يقع[٥] فيه من المطر صار[٦] لؤلؤاً. قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد: الفساد في البرِّ قتل أحد ابني آدم أخاه وفي البحر غَصْب الملك الجائر السفينة[٧]. وقال الضحاك: كانت الأرض[٨] خَضِرَةً مونقة لا يأتي ابن آدم بشجرة إلا وجد عليها ثمرةً وكان ما في البحر عَذْباً وكان لا يقصد الأسد البقر والغنم فلما قتل قابيلُ هابيلَ اقْشَعَرَّت الأرض وشَاكَتِ الأشجار، وصار ماء البحر ملحاً زُعَاقاً وقصد الحيوان بعضه بعضاً. وقال قتادة[٩]: هذا قبل مَبْعَث النبي ـ ﷺ ـ امتلأت الأرض ظلماً وضلالة فلما بعث الله محمداً ـ عليه الصلاة والسلام[١٠] ـ رجع الراجعون من الناس «بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ» من المعاصي «يعني كفار مكة».

قوله: «لِيُذِيقَهُمْ» اللام للعلة متعلق «بظَهَرَ»[١١]؛ وقيل: بمحذوف[١٢]، أي عَاقَبَهُمْ

---

(١) ساقط من «ب».
(٢) انظر هذه الآراء كلها في تفسير القرطبي ١٤/ ٤٠ و ٤١.
(٣) الكشاف ٣/ ٢٢٤.
(٤) ساقط من «أ» وهي الأصح فهو العَوْفي.
(٥) في «ب»: فما وقع فيه.
(٦) في «ب» فهو لؤلؤ.
(٧) انظر: تفسير ابن كثير ٣٠/ ٤٣٥.
(٨) المرجع السابق.
(٩) القرطبي ١٤/ ٤٠ و ٤١.
(١٠) في «ب» ﷺ.
(١١) انظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٢٥ والدر المصون ٤/ ٣٣٠ والتبيان ١٠٤١.
(١٢) المراجع السابقة.

بذلك لِيُذِيقَهُمْ وقيل: اللام للصيرورة[١]. وقرأ قُنْبُلٌ[٢]: «لَنُذِيقَهُمْ» بنون[٣] العظمة، والباقون بياء الغيبة والمعنى: لنذيقهم عُقُوبة بعضِ الذي عملوا من الذنوب «لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» عن الكفر وأعمالهم الخبيثة، قوله: «قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ» لما بين حالهم بظهور الفساد في أحوالهم بسبب فساد أقوالهم بين لهم ضلال أمثالهم وأشكالهم الذين كانت أفعالهم كأفعالهم فقال: «قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضَ فَانْظُروا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ» أي قوم نوحٍ وعادٍ وثَمودَ لِيَرَوْا مَنَازِلَهُمْ ومساكنهم خاوية «كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ» فأهلكوا بكفرهم.

قوله: «فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ القَيِّم» لما (نهى[٤]) الكافرين[٥] عما هم عليه، أمر المؤمنين بما هم عليه وخاطب النبي ـ عليه الصلاة والسلام[٦] ـ ليعلم المؤمن فضيلة ما هو[٧] مُكَلَّفٌ به فإنه أمر بما شرف الأنبياء الدِّين القيم أي المستقيم وهو دين الإسلام.

قوله: «مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَ مَرَّدَ لَهُ» المرد مصدر «رَدَّ» و «من الله» يجوز أن يتعلق بـ «يأتي» أو بمحذوف يدل عليه المصدر أي لا يرده من الله أَحَدٌ[٨]، ولا يجوز أن يعمل فيه «مرد» لأنه كان ينبغي أن يُنَوَّنَ؛ إذْ هُوَ من قَبِيل المُطَوَّلاَتِ[٩]، والمراد يوم القيامة لا يقدر أحد على رده من الله وغيره عاجز عن رده، فلا بد من وقوعه. «يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ» أي يتفرقون فريق في الجنة، وفريق في السعير، ثم أشار إلى التفرق بقوله: «مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ» أي وبال كفره «وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلأنفسهم يَمْهَدُونَ» أي يُوطِئُونَ المضاجعَ ويُسَوُّونها في القبور. قوله: «فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ» و «فَلأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ» تقديم الجارين يفيد الاختصاص[١٠] يعني أنَّ ضرر كفر هذا، ومنفعة عمل هذا لا يتعداه، ووحد الكناية في قوله: «فعليه» وجمعها في قوله: «فلأنفسهم» إشارة إلى أن الرحمة أعم من الغضب فتشمله وأهله وذريته، وأما الغضب فمسبوق بالرحمة لازم لمن أساء وقال: «فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ»

---

(١) الكشاف ٣/ ٢٢٤.

(٢) قنبل: محمد بن عبد الرحمن بن خالد بن سعيد أبو عمر المخزومي مولاهم المكي الملقب بقُنْبُل شيخ القراء بالحجاز أخذ القراءة عن أحمد بن عَوْف وروى القراءة عنه البَزِّي وغيره مات سنة ٢٩١. انظر غاية النهاية ١٦٥ و ١٦٦/ ٢.

(٣) انظر: الكشاف ٣/ ٢٢٤ والبحر المحيط ٧/ ١٧٦ والإتحاف ٣٤٨ والقرطبي ١٤/ ٤١ وهي قراءة السُّلَمِيِّ ويعقوب وابن عباس أيضاً.

(٤) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٥) في «ب» الكافر بدلاً من الكافرين.

(٦) في «ب» ﷺ.

(٧) نقله الإمام الفخر الرازي في تفسيره ٢٥/ ١٢٩.

(٨) ذكره الزمخشري في كشافه ٣/ ٢٢٥ وفيه «حد» بدل أحد.

(٩) يريد أنه شبيه بالمضاف لأنه لما كان غير منون وتعلق به ما بعده وهو قوله: «له» اكتفي به لأن المضاف لا يضاف إلى شيئين منفصلين في وقت واحد.

(١٠) هذا هو المفهوم من كتاب الكشاف للزمخشري ٣/ ٢٢٤.

ولم يبين وقال في المؤمن: «فَلأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ» تحقيقاً لكمال الرحمة، فإنه عند الخير بَيَّنَ بشارة وعند غيره أشار إليه إشَارةً(١).

قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾

قوله: «لِيَجْزِيَ» في مُتَعَلَّقِهِ أوجه:

أحدها: «يمهدون».

والثاني: «يَصَّدَّعُونَ».

والثالث: محذوف(٢). (و) قال ابن عطية: تقديره(٣): «ذلك لِيَجْزِيَ» وتكون الإشارة إلى (ما تقدر مِنْ(٤)) قوله: «من كفر ومَنْ عَمِلَ».

هَذا قوله وجعل أبو حيان قسيم قوله: «الَّذِينَ آمَنوا وَعَمِلُوا» محذوفاً لِدلالة قوله «إنَّهُ لاَ يُحبُّ الكَافِرِينَ» عليه(٥) هذا إذا علقت اللام بـ «يَصَّدَّعُونَ» أو بذلك المحذوف، قال: تقديره «ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله والكافرين بعدله»(٦).

فصل

قال ابن عباس: «ليجزي الذين آمنوا وعملوا ليثيبهم الله أكثر من ثواب أعمالهم».

قوله: «ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات» لما ذكر ظهور الفساد والهلاك بسبب الشرك ذكر ظهور الصلاح ولم يذكر أنه سبب العمل الصالح لأن الكريم لا يذكر لإحسانه عوضاً ويذكر لإضراره سبباً لئلا يتوهم (بِهِ)(٧) الظلم فقال: «يُرْسِلُ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ» قيل: بالمطر(٨) كما قال تعالى: ﴿بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦ﴾ [النمل: ٦٣]، أي قبل الفطرة(٩)، وقيل مبشرات بصلاح الأَهْوِية والأحوال؛ فإن الرياح لو لم تَهُبّ لظهر الوباء والفساد(١٠) وقرأ العامة: «الرياح» جمعاً لأجل «مبشرات»، والأعمش بالإفراد، وأراد الجنس لأجل(١١) «مبشرات».

---

(١) انظر: التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي ٢٥/ ١٢٩ و ١٣٠.

(٢) انظر: الكشاف ٣/ ٢٢٥ والبحر المحيط ٧/ ١٧٧ والدر المصون ٤/ ٣٣٠.

(٣) نقله عنه أبو حيان في البحر المحيط ٧/ ١٧٧.

(٤) ساقط من «ب» ولكنه في البحر و «أ» بالطبع.

(٥) انظر: البحر المحيط ٧/ ١٧٧.

(٦) المرجع السابق.

(٧) ساقط من «ب».

(٨) انظر: القرطبي ١٤/ ٤٣.

(٩) في تفسير الفخر الرازي المطر بدل القطرة.

(١٠) نقله في التفسير الكبير للفخر الرازي ٢٥/ ١٣٠ و ١٣١.

(١١) الإتحاف ٣٤٨ والبحر ٧/ ١٧٨.

قوله: «وَلِيُذِيقَكُمْ» إما عطف على معنى مبشرات لأن الحال والصفة يُفْهمان العلة فكان التقدير: «ليبشّر وليذيقكم»[١] وإما أن يتعلق بمحذوف أي وليذيقكم أَرْسَلَها، وإما أن يكون الواو مزيدة على رأي فتتعلق اللام بأن يرسل[٢].

قوله: «وليذيقكم من رحمته»[٣] (نعمته) بالمطر أو الخَصْب «وَلتَجْرِيَ الفُلْكُ» لما أسند الفعل إلى الفلك عقبه بقوله «بأَمْرِهِ» أي الفعل ظاهر عليه ولكنه بأمر الله، والمعنى في ولتجري الفلك في البحر بهذه الرياح بأمره وكذلك لما قال: «وَلِتَبْتَغوا» مسنداً إلى العباد ذكر بعده «مِنْ (فَضْلِهِ)»[٤].

أي لا استقلال لغيره بشيء، والمعنى لتطلبوا من رزقه بالتجارة في البحر «ولَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» هذه النعم.

فصل[٥]

قال تعالى: «ظهر الفساد ـ ليذيقهم بعض الذي عملوا» (وقال ههنا[٦]: «وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ» فخاطبهم ههنا تشريفاً، ولأن رحمته قريب من المحسنين والمحسنين قريب فيخاطب والمسمّى مُبْعَد فلم يُخَاطَبْ وقال هناك: «بَعْضَ الَّذي عَمِلُوا») فأضاف ما أصابهم إلى أنفسهم، وأضاف ما أصاب المؤمن إلى رحمته فقال: «من رحمته»؛ لأن الكريم لا يذكر لرحمته وإحسانه عوضاً فلا يقول أعطيتك لأنك فعلت كذا بل يقول هذا لك مني، وأما ما فعلت من الحسنة فجزاؤه بعد عندي، وأيضاً فلو قال: أرسلت بسبب فعلكم لا يكون بشارة عظيمة، وأما إذا قال من رحمته كان[٧] غاية البشارة وأيضاً فلو قال: بما فعلتم لكان ذلك موهماً[٨] لنُقْصَان ثوابهم في الآخرة، وأما في حق الكفار فإذا قال بما فعلتم إنما عن[٩] نُقْصَانِ عقابهم وهو كذلك وقال[١٠] هناك: «لعلهم يَرْجِعُونَ» وقال ههنا: ولعلكم تشكرون، قالوا وإشارة إلى توفيقهم للشكر في النعم فعطف على النعم.

(قوله[١١]: «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رسُلاً إِلىَ قَوْمِهِمْ فَجَاؤُوهُمْ بالبَيِّنَاتِ» لما بين الأصلين) بالبراهين ذكر الأصل الثالث وهو[١٢] النبوة فقال: «ولقد أرسلنا من قبلك

---

(١) وهو ما يسمى بالعطف على التوهم البحر ٧/ ٧٨ والدر ٤/ ٢٣١.

(٢) المراجع السابقة.

(٣) ساقط من «ب».

(٤) ساقط من «ب».

(٥) في «ب» فإن قيل بدلاً من «فصل».

(٦) ما بين القوسين كله ساقط من «ب».

(٧) في «ب» كانت رحمته غاية البشارة.

(٨) في «ب» توهما.

(٩) في «ب» بناء على.

(١٠) في «ب» فقال.

(١١) ما بين القوسين كله ساقط من «ب».

(١٢) وانظر في هذا الفخر الرازي ٢٥/ ١٣١.

رسلاً» أي إرسالهم دليل رسالتك فإنهم لم يكن لهم شُغْلٌ غير شُغْلِكَ ولم يظهر عليهم غير ما أظهر[١] عليك، ومن آمن بهم كان له (الانتصار)[٢] ومن كَذَّبهم أَصَابَهُمُ البَوَارُ، وفي تعلق الآية وجه[٣] آخر وهو أن الله لما بين بالبراهين ولم ينتفع بها الكفار سَلَّى قلب النبي عليه (الصلاة[٤] و) السلامَ وقال: حالك كحال من تقدمك كان كذلك وجاءُوا بالبينات أيضاً: أي بالدلائلِ والدّلالَاتِ الواضحات على صدقهم وكان في قومهم كافرٌ ومؤمنٌ كما في قومك «فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا» عذبنا الذين كذبوهم ونصرنا المؤمنين.

[قوله:][٥] وَكَانَ حَقًّا، وقف بعضهم على «حقاً» وابْتَدَأَ بما بعده فجعل اسم «كان» مضمراً فيها و «حقاً» خبرها، أي وكان الانتقام حقًّا، قال ابن عطية: وهذا ضعيف[٦] لأنه لم (يَدْرِ[٧]) قدر ما عرضه في نظم الآية يعني الوقف[٨] على «حقاً»؛ وجعل بعضهم «حقاً» منصوباً على المصدر واسم كان ضمير (الأمر[٩] والشأن) و «علينا» خبر مقدم، و «نصر» اسم مؤخر، وجعل[١٠] بعضهم «حقاً» خبرها و «علينا» متعلق «بحقاً»، أو بمحذوف صفة له[١١]، فعلى الأول يكون بشارة للمؤمنين الذين آمنوا بمحمد ـ ﷺ ـ أي علينا نَصْرُكُمْ أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ ونصرهم إنجاؤهم من العذاب، وعلى الثاني معناه وكان حقاً علينا؛ أي نصر المؤمنين كان حقاً علينا.

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾

قوله: «اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّياح فَتُثِيرُ سَحَاباً» أي تنشره وتبْسطه في السَّمَاء كيف يشاء سيره يوماً أو يومين وأكثر على ما يشاء و «يَجْعَلُهُ كِسَفاً» قطعاً متفرقة، «فَتَرَى الوَدقَ» المطر «يخرج من خلاله» وسطه «فَإِذَا أَصَابَ بِهِ» بِالوَدقِ «مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرونَ» أي يفرحون بالمطر.

قوله: «وإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ» أي وقد كانوا من قبل أن ينزل عليهم.

---

(١) في «ب» ظهر بثلاثية الفعل.
(٢) تصحيح من الفخر الرازي ففي النسختين «الأنصار».
(٣) انظر: تفسير الفخر الرازي ٢٥/ ١٣٢.
(٤) زيادة من «ب».
(٥) زيادة من «ب».
(٦) انظر: البحر المحيط ٧/ ١٧٨.
(٧) زيادة من «أ».
(٨) التبيان ١٠٤١.
(٩) ساقط من «ب».
(١٠) في البحر ٧/ ١٧٨ والصحيح أن «نصر» اسمها و «حقاً» خبرها وعلينا متعلقة «بحقًا».
(١١) البحر المحيط ٧/ ١٧٨، والدر المصون ٤/ ٣٣١.

وقيل: وما كانوا (إلا[١]) «مُبْلِسِينَ» أي آيسين[٢].

قوله: «مِنْ قَبْلِهِ» فيه وجهان:

أحدهما: أنه تكرير «لِمنْ قَبْلِ» الأولى على سبيل التوكيد[٣].

والثاني: أن يكون غير مُكَرَّر[٤]؛ وذلك (أن يجعل)[٥] الضمير في «قبله» للسَّحاب، وجاز ذلك لأنه اسم جنس يجوز تذكيره وتأنيثه، أو للريح[٦] فتتعلق («مِن» الثانية[٧]) بِيُنَزِّل. وقيل: يجوز عود الضمير على «كِسَفاً» كذا أطلق أبو البقاء[٨]، وأبو حيان[٩]، وهذه بقراءة من سَكَّنَ السِّينَ[١٠].

وقد تقدمت قراءات «كسفاً» في «سُبْحَانَ»[١١]. وقد أبدى الزمخشريُّ وابنُ عَطِيَّةَ (فائدة التوكيد[١٢] المذكور فقال ابن عطية) أفاد[١٣] الإعلام بسرعة تقلب[١٤] قلوب البشر من الإبلاس إلى الاسْتِبْشَار، وذلك أن قوله: «مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ» يحتمل الفُسْحَةَ في الزمان أي من قبل أن ينزل بكثيرٍ كالأيام ونحوه، فجاء قوله: «مِنْ قَبْلِهِ» (بمعنى[١٥]) أن ذلك متصلٌ بالمطر، فهذا تأكيد مفيد. وقال الزمخشري[١٦]: ومعنى التأكيد فيه الدلالة على أنَّ عَهْدَهُمْ بالمطر قد نَفَدَ[١٧] فاستحكم بأسُهُم وتمادى إبلاسهم، فكان استبشارهم على قدر اغتمامهم[١٨] بذلك، وهو كلام حسن، إلاَّ أنَّ أبَا حَيَّان لم يَرْتَضِهِ منهما فقال: ما ذكراه من فائدة التأكيد غير ظاهر فإنما هو[١٩] لمجرد التوكيد ويفيد رفع المجاز انتهى.

قال شهاب الدين ولا أدري عَدَمُ الظُّهورِ لِمَاذَا[٢٠].

---

(١) ساقط من «ب».

(٢) انظر: غريب القرآن ٣٤٢ واللسان: «أ ي س» والقرطبي ١٤/ ٤٤.

(٣) نقله الكشاف ٣/ ٢٢٦٥ والأخفش في معانيه ٢/٦٥٨ والقرطبي ١٤/ ٤٤ والمحكم «قبل».

(٤) البحر المحيط ٧/١٧٨ وقد رجح ذلك أبو حيان.

(٥) ساقط من «ب».

(٦) في «ب» أو الريح.

(٧) ساقط من «ب».

(٨) التبيان ١٠٤٢.

(٩) البحر المحيط ٧/١٧٨.

(١٠) من «كسفاً».

(١١) وهي قول الله تعالى: ﴿أَوْ تُسقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمتَ عَلَينَا كِسَفاً﴾، وهي الآية ٩٢ من الإسراء. وقد قرأ بإسكان السين على الإفراد أبو جعفر، وابن ذكوان، وهشام، وقرأ بفتح السين جمعاً ابنُ كثير ونافعٌ وأبو عمرو، وروى حفص عن عاصم أنه فتح السين في كل القرآن إلا الطور (٤٤).
انظر: اللباب ٦/ ١١٣ بتصرف والإتحاف ٣٤٨ والسبعة ٣٥٨ والبحر المحيط ٦/ ٧٩.

(١٢) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(١٣) المحرر الوجيز لابن عطية، والبحر المحيط ٧/ ١٧٨ و ١٧٩.

(١٤) في «ب» تقليب.

(١٥) ساقط من «ب».

(١٦) الكشاف ٣/ ٢٢٦.

(١٧) في الكشاف بعد.

(١٨) في «ب» اهتمامهم.

(١٩) في «ب» وإنما هو.

(٢٠) انظر: الدر المصون ٤/ ٣٣٢.

قال قُطْرُبٌ: وإنْ كَانُوا من قبل التَّنْزِيلِ من قبلِ المَطَرِ[(١)]، وقيل التقدير[(٢)] من قبل إنْزَالِ المَطَرِ من قبل أن يزرعوا، ودل المطر على الزرع لأنه يخرج بسبب المطر ودل على ذلك قوله: «فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا» يعني الزرع قال أبو حَيَّانَ: وهذا لا يستقيم[(٣)]؛ (لأن[(٤)]) «مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّل» متعلق «بمبلسين»، (ولا[(٥)] يمكنُ من قبل الزرع أن يتعلق «بمبلسين»)؛ لأن حَرْفَيْ جَرٍّ لا يتعلقان بعاملٍ واحد إلا بوَسَاطَةِ حرف العَطْفِ (أَ) و البَدَل، وليس هنا عطف والبدل لا يجوز إذْ إنزالُ الغَيْثِ ليس هو الزرع ولا الزرع بعضه، وقد يتخيل فيه بدل الاشتمال بتكلف إما لاشتمالِ (الإنزال[(٦)]) على الزرع بمعنى أن الزرع يكون ناشئاً عن الإنزال فكأن الإنزال مشتملٌ عليه، وهذا على مذهب من يقول الأول مشتمل على الثاني. وقال المبرد[(٧)] الثاني السَّحَاب؛ لأنهم لما رأوا السَّحاب كانوا راجين المَطَرَ انتهى[(٨)] يريد من قبل رؤية السحاب ويحتاج أيضاً إلى حرف عطف ليصح تعلق الحرفين بمبلسين[(٩)]. (وقال الرُّمانِيُّ[(١٠)] من قبل الإرسال[(١١)])، وقال الكِرْمَانِيُّ[(١٢)]: من قبل الاسْتِبْشَار[(١٣)]؛ لأنه قرنه بالإبلاس، ولأنه (مَنَّ[(١٤)]) عليهم بالاستبشار ويحتاج قولهما إلى حرف العطف لما تقدم. وادعاء حرف العطف ليس بالسهل فإن فيه خلافاً بعضهم يَقِيسُه، وبعضُهم لا يَقِيسُه، هذا كله في المفردات، أما إذا كان في الجمل فلا خلاف في اقتياسه[(١٥)].

وفي حرف عبد الله بن مسعود: وإنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ ينزل عَلَيْهِم لَمُبْلِسِينَ[(١٦)] غير مكرر.

قوله: «فانْظُرْ إِلَى آثَارِ»[(١٧)] قرأ ابنُ عامر والأخوانِ وحَفْصٌ بالجمع والباقون

---

(١) انظر: القرطبي ١٤/ ٤٤، والبحر المحيط ٧/ ١٧٨، ١٧٩.

(٢) المرجعان السابقان. (٣) البحر المحيط ٧/ ١٧٩.

(٤) ساقط من ب. (٥) ساقط من ب.

(٦) ساقط من ب.

(٧) المبرد هو أبو العباس مُحَمَّد بن يزيد الأَزدِيُّ الثُّمَالِيّ، أخذ النحو عن الجَرْمِيّ، والمازنيّ وغيرهما وكان على المازني يعوِّل. مات سنة ٢٨٥ هـ. انظر: أخبار النحويين البصريين ٧٢.

(٨) نقله في البحر المحيط ٧/ ١٧٩ وتبعه أبو جعفر النحاس في إعْرَاب القُرْآن ٣/ ٢٧٧.

(٩) البحر المحيط ٧/ ١٧٩.

(١٠) علي بن عيسى أبو الحسن كان إماماً في العربية، علاَّمةً في الأدب أخذ عن الزّجاج وابن السَّراجِ، وابن دُرَيْدٍ من مصنفاته التفسير، الحدود الأكبر، الأصغر، مات سنة ٣٨٤ هـ.
انظر: بغية الوعاة ٢/ ١٨٠ وانظر رأيه في البحر ٧/ ١٧٩.

(١١) ما بين القوسين ساقط من «ب». (١٢) تقدم.

(١٣) نقله في البحر المحيط ٧/ ١٧٩ أيضاً. (١٤) ساقط من «ب».

(١٥) كل هذه الكلمات نقلها الشارح من البحر لأبي حيان ٧/ ١٧٩.

(١٦) لم أعثر على هذه القراءة في الكتب المتواترة أو الشاذة.

(١٧) السبعة ٥٠٨ ومعاني الفراء ٢/ ٣٢٦ والكشف ٢/ ١٨٥ والإتحاف ٣٤٨ و ٣٤٩.

بالإفراد، (وَسلاَّمٌ)[١] بكسر الهمزة، وسكون الثاء وهي لغة فيه. وقرأ العامة «كَيْفَ يُحْيِي» بياء الغيبة، أي أثر الرحمة فيمن قرأ بالإفراد، ومن قرأ بالجمع فالفعل مسند لله تعالى وهو يحتمل في الإِفْرَادِ والجَحْدَرِيُّ وأَبو حَيْوَة[٢] وابْنُ السَّمَيْقع[٣] «تُحْيِي» بتاء[٤] التأنيث وفيها تخريجان **أظهرهما**: أن الفاعل عائد على الرحمة. **والثاني**: قاله أبو الفضل[٥] عائد على «أَثَرِ»[٦] وأنث «أثر» لاكتسابه بالإضافة التأنيث كنظائر (له)[٧] تقدمت، وَرُدَّ عليه بأن شرط ذلك كون المضاف (بمعنى المضاف[٨]) إليه أو من سببه لا أجنبياً[٩]، وهذا أجنبي و «كَيْفَ يُحْيِي» معلق «لانْظُرْ» وهو في محل[١٠] نصب على إسقاط الخافض. وقال أبو الفتح[١١]: الجملة من «كَيْفَ يُحْيِي» في موضع نصب على الحال حملاً على المعنى انتهى[١٢]. وكيف تقع جملة الطلب[١٣] حالاً؟ وأراد برحمة الله هنا المطر أي انْظُرْ إلى حسن تأثيره في الأرض كيف يحيي الأرض بعد موتها؟!.

قوله: «إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي المَوْتَى» أي إن ذَلك الذي يُحيِي الأرض لمُحْيِي الموتى، فأَتَى باللام المؤكدة لاسم الفاعل.

---

(١) سقطت من «ب» وهو: سلام بن سليمان الطويل أبو المنذر المزني مولاهم البصري ثقة جليل ومقرىء كبير، أخذ عن عاصم وأبي عمرو، والجَحْدَرِيّ وعنه الحَضْرِميُّ، وهارون بن موسى، مات سنة ١٧١ هـ. انظر: طبقات القراء ١/٣٠٩.

(٢) في «ب» أبو حيان وهو تحريف وقد تقدمت ترجمة أبي حيوة.

(٣) ابن السميقع: محمد بن عبد الرحمن أبو عبد الله اليماني له اختيار في القراءة ينسب إليه شذ فيه قرأ على أبي حيوة وطاوس عن ابن عباس وهو أحد رجال نافع قرأ عليهم وأخذ عنهم.
انظر: غاية النهاية ٢/١٦٢.

(٤) انظر: المحتسب لابن جني ٢/ ١٦٥. وهي من الشواذ غير المتواترة والبحر ٧/ ١٧٩ الذي أورد قراءة جديدة إلى زيد بن علي «نُحْيِي» بنون التعظيم.

(٥) أبو الفضل هو عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن بندار أبو الفضل الرازي العِجْلِي الإمام المقرىء شيخ الإسلام الثقة الوَرِعُ الكامل مؤلف كتاب جامع الوقوف وغيره قرأ على أبي داود الداراني وأبي الحسن الحمّادي وغيرهما وروى عنه القراءات محمد بن إبراهيم المزكي ومنصور بن محمد شيخ أبي العلاء مات سنة ٧٣٥ هـ انظر: طبقات القراء ١/ ٣٦٣.

(٦) البحر ٧/ ١٧٩.

(٧) سقطت من «ب».

(٨) ساقط من «ب».

(٩) البحر ٧/ ١٧٩.

(١٠) الدر المصون للسمين ٤/ ٣٣٤.

(١١) أبو الفتح: عثمان بن جني كان من أحذق أهل الأدب وأعلمهم بعلم النحو والتصريف صنف في النحو والتصريف كتباً أبدع فيها كالخصائص والمُنْصِف، وسر الصناعة وغيرها مات سنة ٣٩٢ هـ، نزهة الألباء ٢٢٠ ـ ٢٢٢.

(١٢) المحتسب له ٢/١٦٥ مع تصرف بسيط في العبارة.

(١٣) أي أن شرط وقوع الخبر والحال جملة أن تكون تلك الجملة خبرية إلا أن الطلب إذا قصد معناه على الخبرية جاز وكلام أبي الفتح على ذلك جائز والمراد: محيياً أو محيية فالمراد أنه واقع في الحال، والحال خبر.

قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ (٥١) فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (٥٢) وَمَا أَنْتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ (٥٣) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ (٥٤)﴾

قوله: «وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحاً فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا» لما بين أنهم عند توقف الخير يكونون مُنبِبِينَ آيِسِينَ، وعند ظهوره يكونون مستبشرين بين أن تلك الحالة أيضاً لا يدومون عليها بل لو أصاب زرعهم ريحٌ مفسِد لكفروا فهم متقلبون غير تامِّين نظرهم إلى الحالة[1] لا إلى المآلِ[2].

فصل

سمى النافعة رياحاً، والضارة ريحاً لوجوه:

أحدها: أن النافعة كثيرة الأنواع كبيرة الأفراد، فجمعها لأن في كل يوم وليلة (تَهُبُّ[3]) نفحات من الرياح النافعة، (و[4]) لا تهب الريح[5] الضارة في أعوام بل الضارة لا تهب في الدهور.

الثاني: أن النافعة لا تكون إلا رياحاً وأما الضارة فنفحة واحدة تقتل كريح السَّمُوم.

الثالث: جاء في الحديث أن ريحاً هَبَّتْ فقال عليه (الصلاة و[6]) السلام: «اللَّهم اجْعلها رِيَاحاً وَلاَ تَجْعَلْهَا رِيحاً»[7]. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ [الأعراف: ٥٧] وقوله: ﴿يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾ [الروم: ٤٦] وإشارة إلى قوله تعالى: فـ ﴿أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ [الذاريات: ٤١] وقوله: ﴿رِيحًا صَرْصَرًا تَنزِعُ النَّاسَ﴾ [القمر: ١٩، ٢٠].

فصل

معنى الآية ولئن أرسلنا ريحاً أي مُضرّة أفسدت الزرعَ فرأوه مصفراً بعد الخُضْرَة لظلّوا لصاروا من بعد اصفرار الزرع يكفرون يجحدون ما سلف من النعمة يعني أنهم يفرحون عند الخَصْب، ولو أرسلت عذاباً على زرعهم (جحدوا[8]) سالِفَ نعمتي.

قوله: «فَرَأَوْهُ» أي فرأوا النبات لدلالة السياق عليه أو على الأثر، لأن الرحمة هي

---

(١) في «ب» الحال ـ وهو الأصح.
(٢) انظر: التفسير الكبير للفخر الرازي ٢٥/ ١٣٤.
(٣) ساقط من «ب».
(٤) ساقط من «ب».
(٥) في «ب» الرياح.
(٦) زيادة من «ب».
(٧) الحديث أورده ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ٢٧٢.
(٨) ساقط من «ب».

الغيث وأثرها هو النبات وهذا ظاهر على قراءة الإفراد، وأما على قراءة الجمع فيعود على المعنى. وقيل: الضمير للسَّحَابِ. وقيل: للريح[١]. وقرأ (جَنَاحُ[٢]) بْنُ حبيش مُصْفَاراً[٣] بألف و «الظلوا» جواب القسم الموطأ لَهُ «بِلَئِنْ» وهو ماض لفظاً مستقبل[٤] معنى، كقوله: ﴿مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَۚ﴾ [البقرة: ١٤٥] والضمير في «من بعده» يعود على الاصفرار المدلول عليه بالصفة كقوله:

٤٠٤٥ ـ إِذَا نُـهِـيَ الـسَّـفِـيـهُ جَـرَى إِلَـيْـهِ ....[٥]

أي السَّفَهُ، لدلالة السفيه عَلَيْهِ.

قوله (تَعَالى[٦]:) «إِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ المَوْتَى» لما علم رسوله وجوه الأدلة ووعد وأوعد ولم يزدهم دعاؤه إلا فراراً وكفراً وإصراراً[٧]، قال: «إِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ المَوْتَى» وقد تقدم الكلام على نحو «فَإِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ» إلى آخره في الأنبياء، وفي النمل[٨]. واعلم أن إرشاد الميِّتِ محالٌ والمحالُ أبعد من الممكن ثم إرشاد الأصمِّ صعبٌ فإنه لا يسمع الكلام وإنما يفهم بالإشارة والإفهام بالإشارة صعب ثم إرشاد الأعمى أيضاً صعب وإنك إذا قلت له الطريق على يمينك يدور إلى يمينه لكنه لا يبقى عليه بل يَحيد عن قرب، وإرشاد الأصمّ أصعب ولهذا تكون المعاشرة مع الأعمى أسْهَل من المعاشرة مع الأصم الذي لا يسمع لأن غايته الإفهامُ بالكلام وليس كلّ ما يفهم بالكلام يفهم بالإشارة، فإن المعدومَ والغائب لا إشارة إليه فقال: «إِنَّكَ لا تُسْمِعُ المَوْتَى» (ثم قال[٩]: وَلاَ الصُمَّ وَلاَ تَهْدِي العُمْيَ) وقال في الأصم: «إِذَا وَلّوا مُدْبِرِينَ»؛ ليكون أدخل في الامتناع لأن الأصمَّ وإن كان يَفْهم فإنما يفهم بالإشارة، (فإِذَا وَلَّى[١٠] لا يكون نظره إلى المشير فامتنع إفهامه بالإشارة أيضاً) ثم قال: «وَمَا أَنْتَ بِهَادِي العُمْي عَنْ ضَلاَلَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلاَّ مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا» لما نفى

---

(١) انظر هذه الأقوال في القرطبي ١٤/ ٤٥.
(٢) ساقط من «ب». (٣) انظر: مختصر ابن خالويه ١١٦ وهي شاذة غير متواترة.
(٤) الدر المصون ٤/ ٣٣٤.
(٥) هذا صدر بيت من الوافر وهو مجهول قائله عجزه:

.... وَخَـالَـفَ الـسَّـفِـيـه إِلَـى خِـلاَفِ

وقوله: «إذا نهي» متعلقه عام أي عن أي شيء وخالف السفيه ناهيه أو زاجره هذا على تقدير المفعول، وجملة «والسفيه إلى خلاف» تذييل أي أن المخالفة والميل إلى مخالفة الناصح شأن واستشهد بالبيت في كلمة «إليه» حيث عاد الضمير الذي في تلك الكلمة إلى المصدر المفهوم المدلول عليه بالوصف السابق في كلمة «السفيه»، والمصدر المفهوم هو السَّفَه، وانظر: معاني القرآن للفراء ١/ ١٠٤ ومجالس ثعلب ٦٠ والمحتسب ١/ ١٧٠، والإنصاف ١٤٠، والهمع ١/ ٦٥ والخزانة ٣/ ٢٢٦ و ٢٢٧.
(٦) زيادة من «ب». (٧) في «ب» وإضرار بالضاد.
(٨) يشير إلى قوله تعالى من سورة الأنبياء: ﴿ولا يَسْمَعُ الصُمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾ الآية ٤٥ والآية «٨٠» من النمل.
(٩) سقط من «ب». (١٠) سقط من «ب».

استماع الميت والأصم وأثبت إسماع المؤمن بآياته لزم أن يكون المؤمن حيًّا سميعاً وهو كذلك لأن المؤمنَ ينظر في البراهين ويسمع زواجر الوعظ فتظهر منه الأفعال الحسنة ويفعل ما يجب عليه فهم مسلمون مطيعون كما قال تعالى (عنهم)[١]: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٥]

قوله: «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ» لما أعاد دليل الآفاق بقوله: «اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ» أعاد دليلاً من دلائل الأنفس أيضاً وهو خلق الآدمي وذكر أحواله فقال: «خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ» أي (بأذى[٢] ضعف) كقوله: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ [المرسلات: ٢٠]، وقرىء: «ضُعْف» بضم الضاد، وفتحها[٣]، فالضم لُغة قريش، والفتح لغة تميم، «مِنْ ضَعْف» أي من نطفة. وتقدم الكلام في القراءتين والفرق بينهما في الأنفال[٤]، «ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً» (أي[٥]) من بعد ضعف الطفولية شباباً وهو وقت القوة «ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً» هَرَماً «وَشَيْبَةً» والشيبة هي تمام الضعف «يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ».

(فإن قيل[٦]: ما الحكمة في قوله ههنا: «وهوَ العَلِيمُ القَدِيرُ») فقدم العلم على القدرة، وقولِهِ من قبل: «وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ» والعزة إشارة إلى كمال القدرة، والحكمة إشارة إلى كمال العلم، فقدم القدرة هناك على العلم؟!.

فالجواب أن المذكور هناك الإعادة «وهو أهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ المَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ والأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ» لأن الإعادة بقوله: «كُنْ فَيَكُونُ» فالقدرة هناك أظهر وههنا المذكور الإبداء وهو أطوارٌ وأحوالٌ والعلم بكل حال حاصل فالعلم هَهُنا أظهر ثم إن قوله تعالى: ﴿وَهُو العَلِيمُ القَدِيرُ﴾ فيه تبشير وإنذار؛ لأنه إذا كان عالماً بأحوال الخلق يكون عالماً بأحوال المخلوق فإن عملوا خيراً علمه[٧] ثم إذا كان قادراً فإذا علم الخير أثاب، وإذا علم الشر عاقب، ولما كان العلم بالأحوال قبل الإثابة والعقاب اللَّذَيْن هما بالقدرة (والعلم[٨]) قدم العِلم، وأما الآية الأخرى فالعلم بتلك الأحوال قبل العقاب فقال: «وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ».

---

(١) سقط من «ب». (٢) سقط من «ب».

(٣) وهي قراءة الجحدري انظر: القرطبي ١٤/٤٦ والبحر المحيط ٧/ ١٨٠ بنسبة هذه القراءة إلى الجمهور «ضعف» بضم الضاد وبالفتح إلى عاصم وحمزة.

(٤) وهي الآية ٦٦ «أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً» فعاصم وحمزة وخلف بفتح الضاد وافقهم الأعمش بخلفه، والباقون بضمها وكلاهما مصدر، وقيل: الفتح في العقل والرأي، والضم في البَدَن، وقرأ أبو جعفر بفتح العين والمد والهمزة مفتوحة بلا تنوين جمعاً على فعلاء كظريف وظُرَفَاء، ولا يصح ـ كما روى عن الهاشميَ ـ من ضم الهمزة وقد وافق الهاشمي المطوعي والباقون بإسكان العين والتنوين بلا مطٍّ ولا همز. انظر: اللباب بتصرف ٤/ ١٥٧.

(٥) ساقط من «ب». (٦) ساقط من «ب» بأكمله.

(٧) في تفسير الفخر «وإن عملوا شراً علمه» انظر: تفسير الفخر ٢٥/ ١٣٦.

(٨) زيادة على ما في تفسير الفخر الرازي ٢٥/ ١٢٦.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾﴾

قوله: «وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ المُجْرِمُونَ» يحلف المشركون «مَا لَبِثُوا» في الدنيا «غَيْرَ سَاعَةٍ» أي إلا ساعة، لما ذكر الإعادة والإبداء[١] ذكره بذكر أحوالها ووقتها.

قوله: «مَا لَبِثُوا» جواب قوله «يُقْسِمُ» وهو على المعنى؛ إذ لو حكى قولهم بعينه لقيل: ما لبثنا، والمعنى أنهم استقلوا أجل الدنيا لما عاينوا الآخرة[٢]. وقال مقاتل والكلبي: ما لبثوا[٣] في قبورهم غير ساعة كما قال: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا﴾ [النازعات: ٤٦] وقوله: ﴿يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

قوله: «كَذَلِكَ» أي مثلُ ذَلِك الإفك «كانُوا يُؤْفَكُونَ» أي يصرفون عن الحق في الدنيا[٤]، وقال الكلبي ومقاتل كذبوا في (قبورهم)[٥] قولهم غير ساعة كما كذبوا في الدنيا أن لا بعث، والمعنى[٦] أن الله تعالى أراد أن يَفْضَحَهُمْ[٧] فحلفوا على شيء (يتبين[٨]) لأهل الجمع أنهم كاذبون[٩]، ثم ذكر إنكار المؤمنين عليهم فقال: «وقَال الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ والإيمانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتاب اللَّهِ» أي فيما كتب الله لكم في سابق[١٠] علمه في اللَّبث في القبور. وقيل: في كتاب الله في حُكْم الله[١١] أي فيما وعد به في كتابه من الحشر والبعث فيكون «في كتاب الله» متعلقاً «بلَبِثْتُم» وقال مقاتل وقتادة: فيه تقديم وتأخير[١٢] معناه وقال الذين أوتوا العلم بكتاب الله والإيمان لقد لبثتم إلى يَوْم البَعْثِ.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) انظر: القرطبي ١٤/ ٤٧ وزاد المسير لابن الجوزي ٦/ ٣١١.

(٣) المرجعان السابقان.

(٤) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة ٣٤٣ والقرطبي ١٤/ ٤٧ والكشاف أفك قال في الغريب «ويقال: أفك الرجل إذا عدل به عن الصدق وعن الخير، وأرض مأفوكة، أي محرومة المطر». انظر: غريب القرآن ٣٤٣.

(٥) زيادة لا معنى لها والأصح: كذبوا في قولهم غير ساعة.

(٦) في «ب» أي أن.

(٧) زاد المسير ٦/ ٣١١.

(٨) ساقط من «ب».

(٩) قال القرطبي في ١٤/ ٤٧ «وقد زعم جماعة من أهل النظر أن القيامة لا يجوز أن يكون فيها كذب لما هم فيه والقرآن يدل على غير ذلك».

(١٠) انظر المراجع السابقة.

(١١) انظر المراجع السابقة.

(١٢) انظر المراجع السابقة.

و «في» تَرِدُ بمعنى الباء [و] العامة على سكون عين «البَعْثِ» والحسن بفتحها[١]، وقرىء بكسرها[٢]، فالمكسور اسم، والمفتوح مصدر.

قوله: «فَهَذَا يَوْمُ البَعْثِ» في الفاء قولان: **أظهرهما**: أنها عاطفة هذه الجملة على «لَقَدْ لَبِثْتُمْ»[٣].

وقال الزمخشري هي جواب[٤] شرط مقدر كقوله:

٤٠٤٦ ـ فَقَدْ جِئْنَا خُرَاسَانَا

كأنه قيل: إن صحَّ ما قلتم إن «خراسان» أقصى ما يراد بكم وآن لنا أن نخلص وكذلك إن كنتم منكرين فهذا يوم البعث، ويشير إلى البيت المشهور:

٤٠٤٧ ـ قالوا خُرَاسان أقْصَى ما يُرادُ بِنَا قُلْنَا القُفُول فَقَدْ جِئْنَا خُرَاسَانَا[٥]

قوله: «لا تَعْلَمُونَ» أي البعث أي ما يراد بكم (أو) لا يقدر له مفعول أي لم يكونوا من أولي العلم وهو المَنْع[٦].

فصل

اعلم أن الموعود بوعد[٧] إذا ضرب له أجل يستقل المدة ويريد تأخيرها، فالمجرم إذا حُشِرَ عَلِمَ أن مصيره (إلى النار يستقل[٨] مدة اللَّبْثِ ويختار تأخير الحشر والإبقاء في الإبقاء، والمؤمن إذا حُشِرَ عَلِمَ أن مصيره) إلى الجنة فيستكثر المدة ولا يريد تأخيرها فيختلف الفريقان ويقول أحدهما: إن مدة لَبْثنا قليلٌ وإليه الإشارة بقوله: «وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ والإيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إلَى يَوْمِ البَعْثِ» ونحن صرنا إلى يوم البعث، وهذا يوم البعث «وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ» وقوعه في الدنيا يعني أن طلبكم (التأخير[٩] لأنكم كنتم لا تعلمون البعث ولا تعترفون به، فصار مصيركم إلى النار فتطلبون التأخير) ولا ينفعكم العلم به الآن.

قوله: «فَيَوْمَئِذٍ» أي إذْ يَشْفَعُ ذَلك يقولُ الذين أُوتوا العلمَ تلك المقالة «لا ينفع» هو

---

(١) المحتسب ٢/ ١٦٦ وهي من الشواذ. (٢) نقلها في البحر ولم يعزها إلى معين.
(٣) هذا رأي أبي حيان في البحر، انظر البحر المحيط ٧/ ١٨٠.
(٤) انظر: الكشاف ٣/ ٢٢٧.
(٥) البيت من البسيط وهو للعباس بن الأحنف والقفول: الرجوع إلى ديار الأهل والمعنى في التألم من فراق الأهل والصحب والأحبة. والشاهد فيه «فقد جئنا خراسانا» فالفاء هنا جواب الشرط مقدر على رأى الزمخشري والتقدير: فقلنا فقد جئنا وهلا أذنتم لنا بالرجوع تصديقاً لوعدكم إيانا، وفسر الآية بالبيت الكشاف ٣/ ٢٢٧ والأغاني ٨/ ٢٤. ودلائل الإعجاز ٢٢٥، وديوانه ١٢.
(٦) في «ب»: «وهو أبلغ» وهو الصواب. (٧) في «ب» بوعيد؛ وهو خطأ وتحريف.
(٨) ما بين القوسين ساقط من «ب». (٩) ما بين القوسين ساقط من «ب».

الناصب ليومئذ قبله، وقرأ الكوفيون[(١)] هنا وفي غافر[(٢)] بالياء[(٣)] من تحت وافقهم نافعٌ على ما في غافر؛ لأن التأنيث مجازيّ ولأنه قد فصل أيضاً والباقون بالتأنيث فيهما مراعاةً للفظ[(٤)].

قوله: «وَلاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ» قال الزمخشري من قولك: اسْتَعْتَبَنِي فلانٌ فَأَعْتَبْتُهُ أي اسْتَرْضَانِي فَأَرْضَيْتُهُ، وذلك إذا كان[(٥)] جانياً (عليه) وحقيقة «أَعْتَبْتُهُ» أزلت عَتْبَهُ ألا ترى إلى قوله:

٤٠٤٨ ـ غَضِبَتْ تَمِيمٌ أن تقَتَّلَ عَامِرٌ يَوْمَ النِّسَارِ فَأُعْتِبُوا بالصَّيْلَمِ[(٦)(٧)]

كيف جعلهم غضاباً، ثم قال: «فأُعْتِبُوا» أي أُزِيلَ غَضَبُهُمْ، والغضب في معنى العتب والمعنى لا يقال (لهم)[(٨)] أرضوا ربكم بتوبة وطاعة، ومثله قوله تعالى: ﴿**فاليومَ لا يَخْرُجُونَ منهَا وَلاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ**﴾[(٩)]. فإن قلتَ: كيف جعلوا غير مُسْتَعْتَبِين في بعض الآيات وغير مُعْتَبِينَ في بعضها وهو قوله: «وَإِنْ يُسْتَعْتَبُوا فَمَا هُمْ مِنَ المُعْتَبِينَ» قلت: أما كونهم غير مُسْتَعْتَبِينَ فهذا معناه، وأما كونهم[(١٠)] غير معتبين فمعناه أنهم غيرُ راضينَ بما هم فيه فشُبِّهَتْ حالُهُمْ بحال قوم جُنِيَ عليهم فهم عاتبون على الجاني غير راضين (منه[(١١)]) فإن يستعتبوا الله أي يسألون إزالة ما هم فيه فما هم من المُجَابِينَ[(١٢)] انتهى. وقال ابن عطية ويستعتبون[(١٣)] بمعنى يعتبون كما تقول يَمْلِكُ، ويَسْتَمْلِكُ، والباب في «استفعل» طلب الشيء وليس هذا منه؛ لأن المعنى كان يفسد إذْ كان المفهوم منه ولا يُطْلَبُ منهم عُتْبَى. قال شِهابُ الدِّين[(١٤)]: «وليس (هذا)[(١٥)] فاسداً لما تقدم في قول الزمخشري[(١٦)].

---

(١) هم عاصم وحمزة والكسائي.

(٢) وهو قول الله من الآية ٥٢ منها: «يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ».

(٣) انظر: الإتحاف ٣٤٩ والسبعة ٥٠٩ والكشف ٢/١٨٦ والبحر المحيط ٧/١٨١، والقرطبي ١٤/٤٩ وزاد المسير ٦/٣١٢.

(٤) المراجع السابقة.

(٥) في الكشاف: «كنت جانياً» وانظر الكشاف للزمخشري ٣/٢٢٧.

(٦) ساقط من «ب» وموجودة في الكشاف أيضاً.

(٧) البيت من تمام الكامل وهو لبشر بن أبي خازم الأسدي و «النِّسار» ماء لبني عامر و «الصَّيْلَم» الداهية المستأصلة ويسمى به السيف والمعنى أن قوم الشاعر أزالوا غضب تميم لمقاتلة عامر بالسيف أي أرضوهم بالقتل وهذا هو الشاهد كما قرره الزمخشري فوق. وقد تقدم.

(٨) ساقط من «ب».

(٩) الجاثية: ٣٥.

(١٠) في «ب» وإن قلت: غير معتبين.

(١١) ساقط من «ب» وهو في الكشاف «عنه».

(١٢) في الكشاف: من المجابين لإزالته.

(١٣) البحر المحيط ٧/١٨١.

(١٤) الدر المصون ٤/٣٣٦.

(١٥) ساقط من «ب».

(١٦) في الدر المصون: «أبي القاسم» بدلاً من الزمخشري.

قوله: «وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا القُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ» وهذا إشارة إلى إزالة الأعْذَار والإتيان بما فوق الكفاية من الإنذار وأنه لم يبقَ من جانب الرسول تقصيرٌ فَإن طلبوا شيئاً آخر فذاك عناد مَحْض لأن من كذَّب دليلاً لا يَصْعبُ عليه تكذيب الدلائل بل لا يجوز للمستدل أن يَشْرَع في دليل آخر بعد ذكره دليلاً جيِّداً مستقيماً ظاهراً لا إشكال عليه، وعانده الخصم لأنه إما أن يعترف بوُرُودِ سُؤال الخَصْم عليه أو لا يعترف فإن اعترف يكون انقطاعاً وهو يَقْدَحُ في الدليل والمستدلّ إما أن يكون الدليل فاسداً وإما أن المستدل جاهل[١] بوجه الدلالة والاستدلال وكلاهما لا يجوز الاعتراف (به[٢]) من العالم فكيف من النبي عليه الصلاة والسلام[٣] وإن لم يعترف بكون الشُّرُوعِ في غيره يوهم[٤] أن الخَصم معاند فيحترز عن العناد في الثاني أكثر.

فإن قيل: فالأنبياء عليهم (الصلاة[٥] و) السلام ذكروا أنواعاً من الدلائل، فنقول: سردوها سَرْداً ثم فردوها فرداً فرداً (كما[٦]) يَقُولُ: الدليلُ عليه من وجوه: الأول: كذا، والثاني: كذا، والثالث: كذا. وفي مثل هذا الواجب عدم الالتفات إلى عناد المعاند لأنه يريد تضييع الوقت كي لا يتمكن المُسْتَدِلّ مِن الإتيان بجميع ما وعد من الدليل فتَنْحَطُّ درجته وإلى هذا أشار بقوله: «وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقولنَّ الَّذِينَ كَفرُوا إنْ أَنْتُمْ إلاَّ مُبْطِلُونَ» أي ما أنتم إلا على باطل، ووحد في قوله: «جِئْتَهُمْ» وجمع في قوله: «إنْ أَنْتُمْ» لنكتةٍ وهي أنه تعالى أخبر في موضع آخر فقال: «وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِكُلِّ آيَةٍ» أي جاءت بها الرسل فقال الكفار ما أنتم أيها المُدعُون الرسالة (كلكم[٧]) إلا كذا.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾

قوله: «كَذَلك يَطْبَعُ» أي مثل ذلك الطبع يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ توحيد الله.

(فإن قيل: من[٨] لا يعلم شيئاً أيّ فائدة في الإخبار عن الطبع على قلبه؟

فالجواب:) معناه أن من لا يعلم الآن فقد طبع على قلبه من قبل، ثم إنه تعالى

---

(١) في «ب» وإما أن يكون المستدل جاهلاً وفي تفسير الفخر وإما بأن المُسْتَدِلّ جاهل.

(٢) ساقط من «ب» وموجود في تفسير الرازي.

(٣) في «ب» ﷺ.

(٤) في تفسير الرازي: «موهماً أن الخصم ليس معانداً فيكون اجتراؤه على العناد في الثاني».

(٥) زيادة من «ب».

(٦) ساقط من «ب» وفي تفسير الرازي «كمن يقول الدليل....»

(٧) ساقط من «ب».

(٨) ما بين القوسين ساقط من «ب» وموجود بأكمله في الفخر الرازي.

سَلَّى نبيه عليه (الصلاة[١] و) السلام فقال: «فَاصْبِرِ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ» في نصرتك وإظهارك على عدوك وتبيين صدقك[٢].

قوله: «وَلاَ يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ» العامة من الاسْتِخْفَافِ[٣] ـ بخاء مُعْجَمَةٍ وفاءٍ ـ ويعقوبُ، وابنُ أبي إسحاق[٤] بحاء مهملة[٥] وقاف من الاسْتِحْقَاق. وابنُ أبي (عبلة[٦]) ويعقوبُ بتخفيف نون التوكيد والنهي من باب: لاَ أَرَيَنْكَ هَهُنَا[٧].

فصل

المعنى ولا يَسْتَجْهِلَنَّكَ أي لا يَجْهَلَنَّكَ[٨] «الذين لا يوقنون» على الجهل واتباعهم في البغي[٩]، وقيل: لا يَسْتَحِقَّنَ رأيكَ وحِلْمَك الذين لا يؤمنون بالبعث والحساب، وهذا إشارة إلى وجوب مُدَاوِمَةِ النبي ـ عليه السلام ـ على الدعاء إلى الإيمان، فإنه لو سكت لَقَالَ الكافرون: إنه متقلب قابل الرأي لا ثبات له.

روى أبو أمامة عن أبيِّ بْنِ كَعْبٍ قال: قال رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الرُّوم كان لَهُ من الأجر عشر حسناتٍ بعدد كُلِّ مَلَك يُسَبِّح اللَّهَ بَيْنَ السَّمَاءِ والأرض وأَدْرَكَ مَا صَنَعَ في يومه وليلته»[١٠]. رواه الثعلبي في تفسيره والله أعلم (وأحكم)[١١].

---

(١) زيادة من «ب».

(٢) انظر: تفسير الفخر الرازي ٢٥/١٣٧ و ١٣٨.

(٣) قال ابن منظور في اللسان: «واستخف فلانٌ بحقِّي إذا استهان به واستخفه الفرحُ إذا ارتاح لأمر».
انظر: اللسان: «خ ف ف» ١٢١٢.
وقال الزجاج في معاني القرآن: «أي لا يستفزنك عن دينك الذين لا يوقنون، أَيْ هُمْ ضُلاَّلٌ شَاكُونَ».
انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/١٩٢.

(٤) ابن أبي إسحاق: هو أبو بحر عبد الله بن أبي إسحاق زَيْد الحَضْرمي البَصْرِي اشْتَهَرَ بكنية والده، أخذ عن نَصْرِ بْن عاصم، ويَحْيَى بن يعمر، وجدَّ في العلم حتى بَلغ الغاية فيه مات سنة ١١٧ هـ.
انظر: نشأة النحو ٦١.

(٥) أوردها ابن جني في المُحْتَسَب في القراءات الشاذة ٢/١٦٦ وهي مُعْتَرَضٌ عليها كما قال ابن جنّي لمخالفتها لفظاً ومعنى القراءة المعتادة إذ يصير المعنى لا يغلبنك فيصيروا أحق بك منك بنفسك.

(٦) ساقط من «ب».

(٧) انظر هذه القراءة في الإتحاف ٣٤٩ والبحر المحيط ٧/١٨١ والكشاف ٣/٢٢٨، ومعنى «لا أرينك ههنا» أنه مثال مأخوذ من قولهم في المثل «بعَيْن مَا أَرَيَنَّكَ» ومعناه اعمل كأني انظر إليكَ ودخل التوكيد لدخول (ما) لأن ما زائدة للتوكيد ولأجلها دَخلت النون. ومثله المثال والنهي مقصود به هنا الدوام والثبات على الحال التي هو فيها يقول سيبويه في الكتاب ٣/٥١٧: ومن مواضعها أفعال غير الواجب التي في قولك: بجَهْدٍ ما تَبْلُغَنَّ، وأشباهُهُ، وإنما كان ذلك لمكانِ «ما».

(٨) في «ب» لا يَحْمِلَنَّكَ وهو الأصح. (٩) في «ب» الغَيّ.

(١٠) انظر: الكشاف ٣/٢٢٨ والبيضاوي ٢/١١٩ ومجمع البيان ٨/٤٥٩ والسِّرَاج المُنِير ٣/١٧٩.

(١١) زيادة من «ب».

سورة لقمان

مكية[1] وهي أربعٌ وثَلاثُونَ آيةً، وخمسمائة وثمان وأربعون كلمة، وألفان ومائة وعشرة حرف.

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝٣ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٦ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٧﴾

قوله تعالى: **﴿ألم. تلك آيات الكتاب الحكيم﴾** تلك إشارة إلى غائب[2]، والمعنى آيات القرآن (أي[3]) آيات الكتاب الحكيم. والحكيم (قيل[4]): فعيلٌ بمعنى مُفْعَل وهذا قليل. قالوا عَقَدْتُ اللَّبَنَ فَهُوَ عَقِيدٌ[5]، (أو بمعنى[6] فاعل) أو بمعنى ذي الحكمة أو أصله[7] الحكيمُ قائِلُهْ (ثم[8]) حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مُقَامَهُ وهو الضمير المجرُور، فانقلب مرفوعاً فاسْتَتَرَ في الصِّفة قاله الزمخشري[9]، وهو حسن الصِّنَاعةِ.

---

(١) في قول الأكثرين وروي عن عطاء أنها مكية سوى آيتين منها نزلتا بالمدينة ومن قائل: إنها مكية إلا ثلاث آيات.
انظر: فتح القدير ٤/ ٢٣٣، وزاد المسير لابن الجوزي ٦/ ٣١٤، والقرطبي ١٤/ ٥٠.

(٢) في «ب» إلى ما غاب.

(٣) زيادة من «ب».

(٤) ساقط من «ب».

(٥) انظر: البحر المحيط ٧/ ١٨٢.

(٦) ساقط من «ب» ولكنها في البحر أيضاً فهي توافق «أ».

(٧) الكشاف ٣/ ٢٢٩.

(٨) ساقط من «ب».

(٩) المرجع السابق.

قوله: «هُدًى وَرَحْمَةً» العامة على النصب على الحال من «آيات» والعامل ما في اسم الإشارة من معنى الفعل أو المَدْح[١]. وحمزةُ بالرفع على خبر[٢] مبتدأ مضمر وجوز بعضهم أن يكون «هدى» منصوباً على الحال حال رفع «رحمة». قال: ويكون رفعها على خبر ابتداء مضمر[٣]، (وجوز بعضهم[٤] أن يكونَ هُدًى) أي وهو رحمة وفيه بُعْدٌ.

فصل[٥]

قال في البقرة: ذَٰلِكَ الكِتَابُ، ولم يقل: «الحَكِيمُ» وههنا قال: «الحَكِيمُ»؛ لأنه لما زاد ذكرَ وصفٍ في الكتاب زاد ذكر أمر أحواله فقال هدى ورحمة وقال هنال: «هدى للمتقين»، فقوله: «هدى» (في مقابلة[٦] قوله: «الكتاب» وقوله: «ورحمة») مقابلة قوله «الحكيم» ووصف الكتاب بالحكيم على معنى ذو الحكمة[٧] كقوله تعالى: ﴿فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٦٩] أي ذات رضا وقال هناك: «لِلْمُتَّقِينَ» وقال هنا: «لِلمُحْسِنِينَ»؛ لأنه لما ذكر أنه هدى ولم يذكر شيئاً آخر قال: «لِلْمُتَّقِين» أي يهدى (به[٨]) من يتقي من الشرك والعناد، وههنا زاد قوله: «وَرَحْمَة» فقال: «لِلْمُحْسِنِينَ»؛ لأن رحمة الله قريبٌ من المحسنين وقال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] فناسب زيادة قوله «وَرَحْمَة»، ولأن المحسن يتقي، (وزيادة[٩]).

قوله: «الذين يقيمون» صفة أو بدل أو بيان لما قبله، أو منصوب أو مرفوع على[١٠] القطع وعلى كل تقدير فهو تفسير للإحسان. وسئل الأصمعي عن الألمعي فأنشد:

٤٠٤٩ ـ الأَلْمَعِيُّ الَّذِي يَظُنُّ بِكَ الظَّنْـ ـنَ كَـأَنْ قَـدْ رَأَى وَقَـدْ سَـمِـعَـا[١١]

يعني أن الألمعي هو الذي إذا ظن شيئاً كان كمن رآه وسمعه كذلك المحسنون هم

---

(١) انظر: الكشف ٢/١٨٧، ومعاني القرآن للفراء ٢/٣٢٦، والحجة في القراءات السبع لابن خالويه ٢٨٤، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤٣/١٩٣، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٨١.

(٢) انظر: معاني الفراء ٢/٣٢٦، والإتحاف ٣٤٩، والسبعة ٥١٢.

(٣) انظر: التبيان لأبي البقاء ١٠٤٣ وتأويل ذلك أيضاً في مشكل إعراب القرآن لمكي ٢/١٨١.

(٤) زيادة لا معنى لها من «أ».

(٥) في «ب» فإن قيل بدل «فصل».

(٦) ساقط من «ب».

(٧) انظر: تفسير الفخر الرازي ٢٥/١٣٩.

(٨) سقط من «ب».

(٩) زيادة من «أ».

(١٠) نقله القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن ١٤/٥٠.

(١١) البيت من المنسرح وهو لأوس بن حجر وهو ثالث بيت من قصيدة يمدح فيها فُضَالَة بْنَ كِلدة في حياته ورثائه بعد مماته والشاهد بالبيت «الذي يظن» فهو يفسر الموصوف وهو الألمعي كما أن «الذين يقيمون الصلاة» مفسِّر «للمحسنين» الموصوف أي هم المعينون. انظر: ذيل الأمالي والنوادر ٣٤، والخصائص ٢/١١٢، والكامل للمبرد ٤/٣٧ و ٣٨ والبحر المحيط ٧/١٨٣ والكشاف ٣/٢٢٩ وديوان أوس «٣».

الذين يفعلون هذه الطاعات ومثله وسئل بعضهم عن الهلوع فلم يزد أن تلا: «إِذَا مَسَّهُ الخَيْرُ مَنُوعاً وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً».

فصل

قال في البقرة: «الَّذِينَ يُؤْمِنُون بالغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ» ولم يقل هنا: الذين يؤمنون بالغيب؛ لأن المتَّقِيَ هو التارك للكفر ويلزم[١] منه أن يكون مؤمناً، والمؤمن[٢] هو الآتي بحقيقة الإيمان، ويلزمه أن لا يكونَ كافراً، فلما كان المتقي دالاً على المؤمن بالالتزام مدح بالإيمان هناك، ولما كان المحسن دالاً على الإيمان بالتنصيص لم يصرح بالإيمان[٣].

وتقدم الكلام على نظير قوله: «الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ» إلى قوله: «المُفْلِحُونَ»[٤].

قوله: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ» لما بين أن القرآن كتابٌ حكيمٌ يشتملُ على آياتِ حكيمة بين حال الكفار أنهم يَترُكُون ذلك ويشتغلون بغيره[٥]. قال مقاتل والكلبي: نزلت في النَّضْرِ بْنِ الحَارِث كان يَتَّجِرُ[٦] فيأتي الحيرة ويشتري أخبار العجم ويحدث[٧] بها قريشاً ويقول: إن محمداً يحدثكم بحديث عاد وثمود وأنا أحدثكم بحديث «رُسْتم، واسفِنْديَار»، وأخبار الأكاسرة فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن، فأنزل الله هذه الآية، وقال مجاهد: يعني شراء القِيَانِ[٨] والمُغَنِّينَ، ووجه الكلام على هذا التأويل من يشتري ذاتَ أو ذَا لَهْوِ الحَدِيث، قال عَليه (الصلاة و) السلام: «لا يحل (تعليم) المغنيات ولا بيعهن[٩] وأثمانهن حرام» وفي مثل هذا نزلت الآية «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» وما من رَجُلٍ يرفع صوته بالغناء إلاَّ بعث الله

---

(١) في «ب» ويلزمه.
(٢) في «ب» والفخر الرازي والمُحْسِن.
(٣) انظر: تفسير الفخر الرازي «التفسير الكبير» جـ ٢٥/ ١٤٠.
(٤) في البقرة والتوبة والنمل والأنفال والمائدة وقال هناك في البقرة إن إقامة الصلاة تعديل أركانها وحفظها من أن يقع زيغ في فرائضها وسُنَنِها وآدابِها، مِنْ أقامَ العُودَ إذا قَوَّمَهُ، أو الدوام عليها والمحافظة عليها وإيتاء الزكاة إعطاؤها لمستحقيها. ومعنى «هم يوقنون» الإيقان إتقان العِلم بانتفاء الشَّكِّ والشبهة عنه انظر: اللباب ١/ ٦٧: ٦٩ ب بتصرف.
(٥) في «ب» ويشتغلون بذلك.
(٦) انظر: زاد المسير لابن الجوزي ٦/ ٣١٥ وأسباب النزول للواحدي عن الكلبي ومقاتل بدون سند ١٩٧ وأسباب النزول للسيوطي وقد قال السيوطي: إنها نزلت في رجل من قريش اشترى جارية مغنية.
(٧) في «ب» ويُعْلِم بها قُرَيْشاً.
(٨) انظر: زاد المسير لابن الجوزي ٦/ ٣١٥ والطبري ١/ ٤١ والدر المنثور للسيوطي ٦/ ٥٠٤.
(٩) الحديث أورده السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٥٠٤ عن أبي أمامة أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: لا تبيعوا القينات ولا تشتروهنّ ولا تعلموهنّ ولا خير في أثمانهن.

عليه شيطانين أحدهما على هذا المَنْكِبِ والآخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربانه بأرجلهما حتى يكون هو الذي يسكت قال النحويون قوله: «لَهْوَ الحديث» من باب الإضافة بمعنى «مِنْ»؛ لأن اللهو يكون حديثاً وغيرهَ فهو كباب[١]، وهذا أبلغ من حذف المضاف[٢].

قوله: «لِيُضِلَّ» (قرأه ابن[٣] كثير وأبو عمرو) بفتح حرف المضارعة، والباقون[٤] بضمه لمن «أَضَلَّ غَيْرَهُ» فمفعوله محذوف، وهو مستلزم[٥] للضلال لأن من «أَضَلَّ» فقد «ضَلَّ» من غير عكس، وقد تقدم ذلك في إبراهيم[٦]. قال الزمخشري هنا: فإن[٧] قلت: القراءة بالرفع بينة لأن النضر كان غرضه باشتراء اللهو أن يصد الناس عن الدخول في الإسلام واستماع القرآن ويضلهم عنه، فما معنى القراءة بالفتح؟ قلت: معنيان:

أحدهما: ليثبت على ضلالة الذي كان عليه ولا يَصْدِفَ[٨] ويزيدَ فيه ويمده فإن المخذول كان شديد التمكّن في عداوة الدين وصد الناس عنه.

الثاني: أن موضع «ليضل» (موضع)[٩] من قِبَلِ أنَّ من «أَضَلَّ» كان ضالاً لا محالة، فدل بالرَّدِيفِ على المَرْدُوفِ.

فصل

روي عن عبد الله بن مسعود وابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير قالوا: (لهو[١٠]) الحديث هو الغناء[١١]، والآية نزلت فيه، ومعنى قوله: «يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ» أي يستبدل ويختار الغناء والمزامير والمعازف على القرآن، وقال ابن جريج[١٢]: هو الطبل[١٣]، وقال الضحاك: هو الشرك[١٤]، وقال قتادة: حسب المرء من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحقّ[١٥].

---

(١) كان من المفروض (فهو كباب ساجٍ وجُبَّةِ خَزٍ) وقيل: هو على حذف مضاف أي ذوات لهو حديث. انظر: الكشاف ٣/ ٢٢٩ ويكون المراد من هذا بيان الجنس الذي منه المضاف كما بين ذلك الزمخشري.

(٢) أي من تقديرنا: «ذات لهو» أو «ذي لهو».

(٣) هذه الفقرة التي بين القوسين زيادة من «ب».

(٤) انظر: الإتحاف ٢٧٢ و ٣٤٩ والكشاف بدون نسبة ٣/ ٢٣٠ والنشر ٢/ ٣٤٦ وتقريبه ص ١٥٩ ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/ ١٩٤ وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٨٢.

(٥) في «ب» وهو ملتزم.

(٦) يقصد قوله تعالى: ﴿جَعَلُوا لِلَّهِ أنداداً لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِه﴾ وهي الآية «٣٠» من نفس السورة.

(٧) انظر: الكشاف ٣/ ٢٣٠.

(٨) هكذا هي هنا وفي الكشاف وما في «ب» يصد.

(٩) ساقط من «ب» وهي في الكشاف.

(١٠) ساقط من «ب».

(١١) نقله في زاد المسير ٦/ ٣١٦ والقرطبي ١٤/ ٥١.

(١٢) نقله في زاد المسير ٦/ ٣١٦.

(١٣) السابق.

(١٤) معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٩٤.

(١٥) السابقان.

قوله: «بغير علم» حال أي يشتري بغير علم بأحوال التجارة حيث اشتري ما يخسر قيمة الدَّارَيْنِ.

قوله: «ويَتَّخِذَهَا» قرأ الأخوان وحفص بالنصب أي بنصب[١] الذَّال عطفاً على «لِيُضِلَّ» وهو علة[٢] كالذي قبله. والباقون بالرفع عطفاً على «يَشْتَرِي» فهو صلة، وقيل: الرفع على الاستئناف من غير عطف على الصلة، والضمير المنصوب يعود على الآيات المتقدمة أو السبيل لأنه يُؤَنَّثُ، أو الأحاديث الدال عليها الحَدِيثُ[٣] لأنه اسم جنس[٤].

قوله: «أولَئِكَ لَهُمْ» حمل أولاً على لفظ «مَنْ» فأفرد (ثم)[٥] على معناها فجمع ثم على لفظها فأفرد في قوله: «وَإذا تُتْلَى عَلَيْهِ» وله نظائر تقدم التنبيه عليها في المائدة عند قوله: «مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ»[٦]. قال أبو حيان: ولا نعلم جاء في القرآن[٧] ما حمل على اللفظ ثم على المعنى ثم على اللفظ غير هاتين الآيتين[٨]، قال شهاب الدين: ووجد[٩] غيرهما كما تقدم التنبيه عليه في المائدة. وقوله: «عَذَابٌ مُهِينٌ» أي دائم.

قوله: «وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِراً» أي يشتري الحديث الباطل، ويأتيه الحق الصُّرَاحُ مَجَّاناً فيعرض عليه.

قوله: «كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا» حال من فاعل «وَلَّى» أو من ضمير «مُسْتَكْبِراً»[١٠] وقوله: وكَأَنْ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً» حال ثالثة أو بدل مما قبلها، أو حال من فاعل «يَسْمَعْهَا» أو تبيين لما قبلها[١١]، وجوز الزمخشري أن تكون جملة التنبيه[١٢] استئنافيتين.

---

(١) انظر: السبعة ٥١٢ ومعاني القرآن للفراء ٢/ ٣٢٧ وحجة ابن خالويه ٢٨٤ والإتحاف ٣٥٠ والنشر ٢/ ٣٤٦.
(٢) في «ب» علمه وهو تحريف.
(٣) في «ب» الأحاديث وهو خطأ لأن المقصود المفرد.
(٤) نقله مكي في الكشف عن وجوه القراءات ٢/ ١٧٨ و ١٨٨ وابن الأنباري في البيان في غريب إعراب القرآن، ٢/ ٢٥٣، ٢٥٤.
(٥) سقط من «ب».
(٦) وهي الآية رقم ٦٠ من المائدة وهي: «قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بشرٍّ مِن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مِن لَعَنَهُ اللَّهُ وغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ القِرَدَةَ والخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أولَئِكَ شرٌّ مَكَاناً وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ».
(٧) هكذا هي في تفسير أبي حيان.
(٨) يقصد هذه الآية وآية الطلاق: «وَمَنْ يُؤْمِنْ باللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُدْخِلْه جَناتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزقاً» وهي الآية ١١ من الطلاق. انظر: البحر ٧/ ١٨٤.
(٩) الدر المصون ٤/ ٣٤٠.
(١٠) انظر: التبيان ١٠٤٣ والبحر المحيط ٧/ ١٨٤.
(١١) المرجعان السابقان.
(١٢) هكذا هي في النسختين ولعله يقصد التشبيه وانظر: الكشاف ٣/ ٢٣٠.

فصل

معنى «كأن لم يسمعها» شغل المتكبر الذي لا يلتفت إلى الكلام ويجعل نفسه كأنها غافلة، وقوله: «كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً» أدخل في الإعراض «فَبَشِّرْهُ بعَذَاب أَلِيم» أي مؤلم، ووصفه أولاً بأنه «مهين» وهو إشارة إلى الدوام فكأنه قال: «مُؤلِم دَائم»[١].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾

قوله: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلوا الصَّالِحَاتِ...» الآية لما بين حال المُعْرِض عن سماع الآيات بين حال من يقبل على تلك الآيات بأنَّ لهم جناتِ النعيم. ولذلك عذاب مهين ووحد العذاب، وجمع الجنات إشارة إلى أن الرحمة (واسعة[٢] أكثر من الغضب، ونكّر «العذاب» وعرف «الجنات» إشارة إلى أن الرحمة) تبين النعمة وتعرفها ولم يبين النعمة وإنما نبه عليها تنبيهاً.

قوله: «خَالِدِينَ» حال[٣]، وخبر «إِنَّ» الجملة من قوله: «لَهُمْ جَنَّاتٌ» والأحسن أن يجعل «لَهُمْ» هو الخبر وحده[٤]، و «جَنَّاتٌ» فاعل به، وقرأ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ «خالدُونَ»[٥] بالواو فيجوز أن يكون هو الخبر والجملة أو الجارّ وحده حال، ويجوز أن يكون («خالدون») خبراً ثانياً.

قوله: «وَعْدَ اللَّهِ» مصدر مؤكد لنفسه[٦]؛ لأن قوله: «لَهُمْ جَنَّاتٌ» في معنى وَعَدَهُم اللَّهُ ذَلِكَ، و «حَقًّا» مصدر مؤكد لغيره[٧]، أي لمضمون تلك الجملة الأولى، وعاملها مختلف، فتقدير الأولى وعد الله ذلك وعداً، وتقدير الثاني: أُحِقُّ ذلك حَقًّا. واعلم أنه لم يؤكد «العَذَاب المُهِين»، وأكد نعيم الجنات بقوله: «وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ» «العزيز» في اقتداره «الحكيم» في أفعاله.

قوله: «خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ» وهذا تبيين لقوّته وحكمته، وقد تقدم الكلام

(١) انظر: تفسير الرازي ٢٥/ ١٤١.
(٢) ساقط من «ب».
(٣) نقله في البحر ٧/ ١٨٥ والتبيان ١٠٤٣.
(٤) قاله ابن الأنباري في البيان ٢/ ٢٥٤.
(٥) نقلها عنه أبو حيان في البحر ٧/ ١٨٥ و ١٨٤.
(٦) البحر ٧/ ١٨٥ و ١٨٤ والتبيان ١٠٣٦ و ١٠٤٣ وقد ذكرت أيضاً في السورة السابقة في قوله: «وَعْدَ اللَّهِ لاَ يُخْلِف اللَّه وَعْدَهُ» وانظر ـ أيضاً ـ الكشاف ٣/ ٢٣٠.
(٧) المرجع السابق.

على نظيرها في الوعد[١]. واعلم أن أكثر المفسرين قال: إن السموات مبسوطةٌ كصُحُفٍ مستوية[٢] لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]. وقال بعضهم: إنها مستديرة وهو قول (جميع[٣]) المهندسين والغزاليّ[٤] ـ رحمه الله[٥] ـ قال ونحن نوافقهم على ذلك فإن لهم عليها دليلاً من المحسوسات ومخالفة الحسّ لا يجوز وإن كان في الباب خبر نؤوله بما يحتمله فضلاً من (أن[٦]) ليس في القرآن والخبر مما يدل على ذلك صريحاً بل ما يدل عليه الاستدارة[٧] كقوله تعالى: ﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣] «والفلك» اسم لشيء مستدير بل الواجب أن يقال: إن السماء سواء كانت مستديرةً أو صفحةً مستقيمة هو مخلوق بقدرة الله لا بإيجاب وطبع (وتقدم[٨]) الكلام على نظير الآية إلى قوله: «كَرِيم»[٩]. والكريم الحسن، أو ذي كرم لأنه يأتي كثيراً من غير حساب أو مُكْرِم[١٠] مثل نَقِيصٍ للمُنْقِص.

قوله: «هَذَا خَلْقُ اللَّهِ» يعني هذا الذي ذكرت مما يُعَايِنُون خلق الله «فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ» من آلهتكم التي تعبدونها وتقدم «ماذا» الاستفهام في البقرة[١١]. «بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ» أي بين، أو مبين للعاقل أنه ضلال، والمراد بالظالمين المشركين الواضعين العبادة في غير موضعها.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ

(١) يقصد قوله تعالى: ﴿اللَّه الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ...﴾ الآية وهي الآية رقم «٢».

(٢) في «ب» لِصُحُفٍ مبسوطة.

(٣) سقطت من «ب».

(٤) ساقط من «ب».

(٥) تقدم.

(٦) نقله الفخر الرازي ٢٥/١٤٣ وما بين القوسين سقط من «ب».

(٧) في «ب» ما يدل على الاستدارة.

(٨) سقطت من «ب».

(٩) يشير إلى الآية «٧» من الشعراء وهي قوله تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا إِلَى الأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾.

(١٠) في «ب» يكرم.

(١١) يقصد قول الله عز وجل «مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً» من الآية ٣٦ من نفس السورة.

أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ
(١٧) وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨)
وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ (١٩)﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الحِكْمَةَ﴾ لقمان قيل: أعجمي وهو الظاهر فمنعه للتعريف والعجمة الشخصية[١]، وقيل: عربي مشتق من اللّقْم وهو حينئذ مُرَجَّل لأنه لم يسبق له وضعٌ في النكرات[٢] ومنعه حينئذ للتعريف وزيادة الألف والنون[٣]، والعامل في «إذ» مضمر.

قال ابن إسحاق[٤] لقمانُ هو نَاعور[٥] بن ناحُور بن تَارِخ، وهو آزر، وقال وهب[٦] كان ابن أختِ أيوب وقال مقاتل: ذكر أنه كان ابن خالة أيوب، وقال الواقدي[٧]: كان قاضياً في بني إسرائيل[٨] واتفق العلماء على أنه كان حكيماً ولم يكن نبياً إلا عكرمة فإنه قال كان[٩] نبياً وانفرد بهذا القول وقال بعضهم خُيِّرَ لُقْمَانُ بين النُّبُوَّةِ والحِكْمَةِ فاختار الحكمةَ، وروي أنه كان نائماً نصف النهار[١٠] فنُودِيَ يا لقمانُ: هل لك أن يجعلك الله خليفْة في الأرض فتحكم بين الناس بالحقّ فأجاب الصوت وقال: إن خَيَّرَني ربي قبلت العافية ولم أقبل البلاء وإن عزم علي فسمعاً وطاعة فإني أعْلَمُ إن فعل بي ذلك أعانني وعصمني فقالت الملائكة بصوت لا يراهم[١١] لِمَ يا لقمانُ؟ قال: لأن الحاكم بأشد المنازل وأكدرها يغشاه الظلم من كل مكان أن يعن فبالحري أن ينجو وإن أخطأ أخطأ طريق الجنة ومن يكن في الدنيا ذليلاً خير من أن يكون شريفاً، ومن يختر الدنيا على الآخرة تُغْنه الدنيا ولا يصيب الآخرة فتعجبت الملائكة من حسن مَنْطِقِه فقام من نومه فأعطي الحكمة فانْتَبَهَ وهو يتكلم بها ثم نودي داود بعده فقبلها ولم يشترط ما

(١) القرطبي ١٤/ ٥٩ وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٨٣.
(٢) السابقان. (٣) السابقان.
(٤) ابن إسحاق محمد بن إسحاق بن يَسَار المطلبي مولى قيس بن مخرمة أبو عبد الله المَدَنِيّ أحد الأئمة الأعلام لا سيما في المغازي والسير عن أبيه وعطاء والزهري وعنه يحيى الأنصاري وعبد الله بن عون، مات سنة ١٥١. انظر: خلاصة الكمال ٣٢٧ وانظر رأيه في القرطبي ١٤/ ٥٩.
(٥) في القرطبي «باعوراء».
(٦) وهب بن منبه بن كامل الأنباري الصنعاني أبو عبد الله الإخباري عن ابن عباس وجابر وأبي سعيد، وعنه همام بن نافع وخلق، قتل سنة ١١٠ هـ. انظر: خلاصة الكمال «٤١٩». وانظر رأيه في القرطبي ١٤/ ٥٩.
(٧) الواقدي محمد بن عِمْرَان بن واقد الأسلمي مولاهم الواقدي أبو عبد الله المدني أحد الأعلام وقاضي العراق عن ابن عجلان وابن جريج ومالك وعنه أحمد بن منصور الرمادي وابن سعد مات سنة ٢٠٧، انظر: خلاصة الكمال ٣٥٣.
(٨) زاد المسير ٦/ ٣١٧ والقرطبي ١٤/ ٥٩. (٩) المرجع السابق.
(١٠) في «ب» وسط النهار. (١١) في «ب» لا يراه.

اشترط لقمان فهوى في الخطيئة غير مرة، كُلّ ذلك بعفو الله عنه وكان لقمان تؤازره الحكمة، قال خالد الربعي[١]: كان لقمان عبداً حبشياً نجاراً، وقال سعيد بن المسيب[٢]: كان خياطاً، وقيل: كان راعِيَ غنم[٣]، فروي أنه لقيه رجل وهو يتكلم بالحكمة فقال: ألستَ فلاناً الراعيَ فبم بَلَغْتَ ما بَلَغْتَ؟ قال: بصدق الحديث، وأداءِ الأمانة وترك ما لا يَعْنِينِي، وقال مجاهد[٤]: كان عبداً أسود عظيم الشَّفَتَيْنِ مُشَقَّقَ القَدَمَيْنِ، وقال الحسن: اعتزل لقمان الناس فنزل ما بين الرقّة (وبيت[٥]) المقدس لا يخالطهم، وقال أبو جعفر[٦]: كان لقمانُ الحبشيُّ عبداً لرجل فجاء به إلى السوق ليبيعه[٧] فكَانَ كلما جاء إنسانٌ يشتريه قال له لقمان: ما تصنع بي (فاعلٌ[٨] فيقول: أصنع بك كذا وكذا فيقول: حاجتي إليك أن لا تَشْتَرِيَني حتى جاء رجل فقال له: ما تصنع بي) قال أُصَيِّرُكَ بواباً على بابي فقال: أنت اشتري[٩] فاشتراه وجاء به إلى جاره قال: وكان لمولاه ثلاثُ بناتٍ يَبْغِين في القرية، وأراد أن يخرج إلى ضيعةٍ له فقال له: إني أَدْخَلْتُ إليهن طعامَهُنَّ وما يَحْتَجْنَ إليه فإذا خرجت فأغلق الباب واقعد من ورائه ولا تفتحه حتى أحضر قال: ففعل فَخَرَجْنَ إليه كما كُنَّ يَخْرُجْنَ فقلن (له[١٠]): افتح الباب فأبى (عليهن[١١]) فَسَجَنَّه[١٢] فَغَسَل الدم وجلس، فلما قدم[١٣] مولاه لم يخبره (ثم عاد[١٤] مولاه بعد ذلك فخرج إليه وقال: إني قد أدخلت إليهن ما يحتجن إليه فلا تفتح الباب فأغلق الباب فجئن إليه فقلن له: افتح الباب فأبى فَشَجَجْنَه ورجَعنَ فغسل الدم وجلس فلما جاء مولاه لم يخبره) قال: فقالت الكبرى: ما بال هذا العبد الحبشي أولى بطاعة الله ـ عز وجل ـ مني والله لأتوبَنَّ فتَابَتْ، (وقالت[١٥]) الصغرى: ما بال هذا العبدِ الحبشيّ وهذه الكبرى أولى بطاعة الله ـ عز وجل ـ مني والله لأتوبَنَّ فَتَابَتْ فقالت الوسطى: ما بال هَاتَيْن وهذا العبد الحبشي أولى بطاعة الله مني والله لأتوبن فتابت فتُبْنَ إلى الله تعالى وكُنَّ عَوَابِدَ[١٦] القرية فقال غُوَاةُ القرية ما بال هذا العبد الحبشيّ وبنات فلان أولى بطاعة الله ـ عز وجل ـ منّا فتابوا، وعن مكحول: أن لقمانَ كان عبداً حبشياً لرجل من بني إسرائيل

(١) السابق والقرطبي ١٤/٥٩.
(٢) المراجع السابقة.
(٣) المراجع السابقة.
(٤) المراجع السابقة.
(٥) سقط من «ب».
(٦) هو ابن جرير الطبري وقد سبقت ترجمته.
(٧) في «ب» يبيعه بدون لام.
(٨) ما بين القوسين ساقط من «ب».
(٩) في «ب» اشترني وهو الأصح.
(١٠) ساقط من «ب».
(١١) ساقط من «ب».
(١٢) الأصح فشججنه أي الباب ـ كما في الكلمة الثانية التي ذكرها وكما في «ب».
(١٣) في «ب» جاء.
(١٤) ما بين القوسين كله ساقط من «ب».
(١٥) ساقط أيضاً من «ب».
(١٦) في «ب» عابدات.

وكان مولاه يلعب بِالنَّرْدِ[١] ويخاطر عليه، وكان على بابه نهرٌ جارٍ فلعب يوماً بالنَّرْدِ على أن من قهر[٢] صاحبه شرب[٣] الماء الذي في البحر كله أو افتدى منه فقمر سيد لقمان فقال له القامر: اشرب ما في النهر كله وإلا فافتديه فقال سَلْنِي الفداء فقال: عينيك أَفْقَأهُما أو جميع ما تملك فقال: أَمْهِلْنِي يوماً قال لك ذلك. فأمسى كئيباً حزيناً فكلمه لقمان فأعرض عنه فأعاد عليه القول فأعرض عنه فقال أخبرني فلعل لك عندي فرجاً فأخبره فقال: إذا قال لك الرجلُ اشرب ما في النهر فقل له أشرب ما بين حفتي النهر أو المد (فإنه[٤]) يقول لك ما بين حفتي النهر فقل له احبس عني المد حتى أشرب ما بين الحفتين فإنه لا يستطيع وتكون قد خرجت مما[٥] ضمنته له فعرف الرجل أنه قد صدق فطابت نفسه، فلما أصبح الرجل جاء فقال أَوْفِ لي شرطي فقال له نعم أشرب ما بين الضفتين أو المد فقال ما بين الضفتين[٦] قال فاحبس عني المد قال كيف أستطيع فخصمه قال فأعتقه مولاه فأكرمه الله تعالى وكان يختلف إلى داودَ ـ عليه السلام ـ يقتبس منه فاختلف إليه سنة وداود يتخذ درعاً يسأله ما هذا ولم يخبره داود حتى فرغ منها ولَبِسَها[٧] على نفسه فقال عند ذاك: الصمت حكمة.

فصل

لما بين الله تعالى فساد اعتقاد المشركين في عبادة من لا يَخْلُقُ شَيْئاً بقوله: «هَذا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُوني مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ» بين أن المشرك ظالم ضالٌ ذكر ما يدل على أن ضلالهم وظلمهم نقيض الحكمة إن لم يكن هناك نبوة وذكر حكاية لقمان فقال: «وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الحِكْمَةَ». (والحكمة[٨]) عبارة عن توفيق العمل بالعلم، فإن أريد تَحْدِيدُها بما يدخل فيه حكمة الله فنقول: حصول العلم على وفق المعلوم[٩].

قوله: «أَنْ اشْكُرْ» هذه «أن» المفسرة، فسر الله إيتاء الحكمة بقوله: «أَنْ أَشْكُرْ لِلَّهِ» ثم بين أن الشكر لا يشفع[١٠] إلا الشاكر بقوله: «وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يشكرُ لِنَفْسِهِ» وبين أن من كفر لا يتضرر غير الكافر، فقال: «وَمَنْ كَفَرَ فَإنَّ الله غَنِيٌّ حَمِيدٌ» أي غير محتاج إلى شكره، وقدم الشكر على الكُفْرَانِ ههنا وقال في الروم: «وَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ

---

(١) قال في اللسان «والنرد معروف شيء يلعب به فارسي معرب وليس بعربيّ وهو النَّردَشير» اللسان: «ن ر د» ٤٣٩٢».

(٢) في «ب» قمر.

(٣) في «ب» يشرب.

(٤) ساقط من «ب».

(٥) في «ب» عما.

(٦) في «ب» الحفتين بدل من الضفتين.

(٧) في «ب» ولَبِسَهُ بتذكيره.

(٨) ساقط من «ب».

(٩) قال بذلك فخر الدين الرازي في كتابه: «التفسير الكبير» ٢٥/ ١٤٥.

(١٠) المرجع السابق وفيه ثم بين أن بالشكر لا ينتفع وما في «ب» ثم بين أن الشكر لا ينفع.

صَالِحاً فَلأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ»[١] لأن الذكر في الروم كان للترهيب ولذلك قال: «يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَ مَرَدَّ لَهُ» فقدم التخويف، وههنا الذكر للترغيب؛ لأن وعظ الأب للابن يكون بطريق اللطف والوعد[٢].

قوله: «وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعظُهُ» هذا عطف على ما تقدم والتقدير آتينا لقمان الحكمة حين جعلناه شاكراً في نفسه، وحين جعلناه واعظاً لغيره.

قوله: «يا بُنَيَّ» قرأ ابن[٣] كثير بإسكان الياء وفتحها حفصٌ والباقون[٤] بالكسر «لاَ تُشْرِكْ باللَّهِ» بدأ في الوعظ بالأهم وهو المنع من الإشراك وقال: «إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ»، أما أنه ظلم فلأنه وضع النفس الشريفة المكرمة في عبادة الخسيس، فوضع العبادة في غير موضعها.

قوله: «وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ» لما منعه من العبادة لغير الله والخدمة قريبٌ منها في الصورة بين أنها غير ممتنعة بل هي واجبة لغير الله (في بعض[٥] الصور) كخدمة الأبوين ثم بين السبب فقال: «حَمَلَتْهُ أُمُّهُ» يعني لله على العبد نعمة الابتداء بالخلق ونعمة الإبقاء بالرزق أي صارت بقدرة الله سبب وجوده فإنها حملته وبرضاعه حصل التربية والبقاء.

قوله: «وَهْناً عَلَى وَهْنٍ» يجوز أن ينتصب[٦] على الحال من (أُمُّهُ[٧]) أي ضَعْفاً على ضعف. وقال ابن عباس: شدة عل شدة[٨]، وقال مجاهد: مشقة بعد مشقة[٩] وقال الزجاج: المرأة إذا حَمَلَتْ[١٠] توَالَى عليها الضعف والمشقة، وقيل: الحمل ضعف والوضع ضعف، وقيل: منصوب على إسقاط[١١] الخافض أي في وهنٍ. قال أبو البقاء[١٢]: «وعلى وهن» صفة له «لوَهْناً». وقرأ الثَّقَفِيُّ[١٣] وأبو عمرٍو ـ في رواية ـ وَهَناً

---

(١) الآية ٤٤ من السورة السابقة. (٢) المرجع السابق.

(٣) انظر: السبعة ٥١٢.

(٤) وهم أبو بكر عن عاصم ونافع وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي.
انظر: المرجع السابق والنشر ٢/٣٤٦، وحجة ابن خالويه ٢٨٤، والقرطبي ١٤/٦٣، والبحر الميحط ٧/١٧٦.

(٥) ساقط من «ب». (٦) في «ب» ينصب.

(٧) ذكره القرطبي عن الإمام القشيري رضي الله عنه. انظر: القرطبي ١٤/ ٦٤.

(٨) انظر: تفسير ابن كثير ٣/ ٤٤٥. (٩) السابق.

(١٠) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/١٩٦.

(١١) ذكره أبو جعفر النحاس في كتابه «إعراب القرآن» انظره: ٣/ ٢٨٥ قال: «فما علمت أن أحداً من النحويين ذكره فيكون مفعولاً ثانياً على حذف الجر أي حملته بضعف على ضعف».

(١٢) نقله في التبيان أيضاً ١٠٤٤.

(١٣) المراد به عيسى بن عمر الثقفي وقد مر الترجمة له.

على وَهَنٍ ـ بفتح الهاء فيهما[١] ـ فاحتمل أن تكونا لغتين كالشَّعْرِ والشَّعَرِ، واحتمل أن يكون المفتوح مصدر «وَهِنَ» بالكسر يَوهَنُ وَهناً.

قوله: «وفصاله» قرأ الجَحْدَرِيُّ وقتادةُ وأبُو رَجَاء[٢] والحسنُ «وفَصْلُهُ» دون ألف[٣] ـ أي وفِطامُهُ في عامين.

فإن قيل: وصى الله بالوالدين، وذكر السبب في حق الأم مع أن الأب وجد منه الحشر من الأم لأنه حمله في صلبه سنين ورباه بكسبه سنين فهو أبلغ.

فالجواب: أن المشقة الحاصلة للأم أعظم فإن[٤] الأبَ حمله خلفة لكونه من جملةِ جَسَدِهِ، والأم حملته ثقلاً آدميًا مودع فيها وبعد وضعه وتربيته ليلاً ونهاراً وبينهما ما لا يخفى من المشقة.

قوله: «أَنْ اشْكُرْ» في «أن» وجهان:

أحدهما: أنها مفسرة[٥].

والثاني: أنها مصدرية في محل نصب بـ «وصّينا» قاله الزجاج[٦]، لما كان الوالدان سببَ وجود الولد والموجد في الحقيقة للولد والوالدين هو الله أمر بأن يشكر قبلهما. ثم بين الفرق فقال «إِلَيَّ المَصِيرُ» أي المرجع، قال سفيان بن عيينة[٧] في هذه الآية من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله، ومن دعا للوالدين في أَدْبَار الصَّلَوَاتِ الخَمْس فقد شكر الوالدين.

قوله: «وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا» يعني أن خدمتهما واجبة، وطاعتهما لازمة ما لم يكن فيها ترك طاعة الله فإن أفضى إليه فلا تُطِعْهُما، وتقدم تفسير الآية في العنكبوت. وقوله: «مَعْرُوفاً» صفة لمصدر محذوف[٨] أي صِحَاباً مَعْروفاً وقيل: الأصل: بمعروف[٩].

قوله: «واتبع سبيل من أناب إليّ» أي دين من أقبل إلى طاعتي وهو النبي ـ ﷺ ـ

---

(١) هذه قراءة شاذة ذكرها ابن خالويه في المختصر ١١٧ و ١١٦ والمحتسب ٢/ ١٦٧ وانظر أيضاً القرطبي ١٤/ ٦٤ وزاد المسير ٦/ ٣١٩ والبحر ٧/ ١٨٧ والكشاف ٣/ ٢٣٢.

(٢) أبو رجاء عِمران بن تَيْم العطاردي البصري التابعي الكبير كان مخضرماً، أسلم في حياة النبي ـ ﷺ ـ وعرض القرآن على ابن عباس وتلقن من أبي موسى روى عنه أبو الأشهب العطاردي مات سنة ١٠٥ هـ انظر: طبقات القراء ١/ ٦٠٤.

(٣) الإتحاف ٣٥٩ والكشاف ٣/ ٢٣٢ والبحر ٧/ ١٨٧ ومختصر ابن خالويه ١١٧ والمحتسب ٢/ ١٦٧.

(٤) في «ب» «لأنَّ».

(٥) وقد تقدم أنها قول كثير من العلماء كالنحاس والفخر الرازي.

(٦) ذكره في معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٩٦.

(٧) انظر القرطبي ١٤/ ٦٥.

(٨) التبيان ١٠٤٤.

(٩) السابق.

قال عطاء عن ابن عباس: يريد: أبا بكر[١]، وذلك أنه حين أسلم أتاه عثمانُ وطلحة والزبير وسعدُ بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عَوْف وقالوا له: (لقد) صَدَّقْتَ هذا الرجل وآمنت[٢] به قال نعم هو صادق فآمنوا ثم حملهم[٣] إلى النبي ـ ﷺ ـ حتى أسلموا وهؤلاء لهم سابقة الإسلام أسلموا بإرشاد أبي بكر قال الله (تعالى[٤]): «واتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ» يعني أبا بكر.

قوله: «إِلَيَّ» متعلق «بأَنَابَ» ثم «إِلَيَّ» متعلق بمحذوف لأنه خبر «مرجعكم» فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تعملون. قيل: نزلت هاتان الآيتان في سَعْدِ بْنِ أبي وَقَّاص[٥] وأمِّه، وقيل: الآية عامة[٦].

قوله: «يا بُنَيَّ إِنَّها» هذا الضمير يرجع إلى الخطيئة، وذلك أن ابنَ لقمان قال لأبيه: يا أبتِ إنْ عملت الخطيئةَ حيث لا يراني أحد كيف يعلمها (الله[٧])؟ فقال: «يَا بُنَيَّ إنها إنْ تَكُ مثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَل». قوله: «إنْ تَكُ» الضمير ضمير القصة، والجملة الشرطية مفسرة (للضمير[٨])، وتقدم أن نافعاً يقرأ مِثْقَالُ[٩] بالرفع على أن كَانَ تامة[١٠] وهو فاعلها وعلى هذا فيقال: لم ألحقت فعله تاء التأنيث؟ قيل: لإضافته إلى مؤنث؛ ولأنه بمعنى «زِنَةُ حَبَّةٍ»[١١]، وجوز الزمخشري في ضمير «إِنَّهَا» أن تكون للحبة من[١٢] السيئات والإحسان في قراءة من نصب «مِثْقَال». وقيل: الضمير يعود على ما يفهم من[١٣] سياق الكلام أي إنَّ التي سألتَ عنها (إنْ تَكُ[١٤])، قال المفسرون: إنه سأل أباه أرأيت الحَبَّةَ تقع في[١٥] مغاص البحر يعلمها الله؟.

---

(١) نقله أبو الفرج الجوزي في زاد المسير ٦/ ٣٢٠ كما ذكره السيوطي في أسباب النزول ١٢٥.
(٢) نفسه. وفي «ب» وأثبت.
(٣) في «ب» «فَحَمَلَهُمْ».
(٤) ساقط من «ب».
(٥) ذكر ذلك ابن كثير عن الطبراني ٣/ ٤٤٥.
(٦) وهو ما لم يوافق عليه القرطبي حيث قال: «والصحيح أن هاتين الآيتين نزلتا في شأن سعد بن أبي وقاص» القرطبي ١٤/ ٦٣.
(٧) ساقط من «ب».
(٨) ساقط من «ب».
(٩) تقدمت كلمة: «مثقال» في السور النساء ويونس، والأنبياء، ولكنه يقصد آية الأنبياء وهي قول الله ـ عز وجل ـ: «وإنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتينَا بِهَا وَكَفَى بِنا حَاسِبِينَ». وهي الآية ٤٧ من السورة هذه. انظر: اللباب ٦/ ٣٢١. حيث أوضح هناك أن نافعاً يقرأ بالرفع كما ذكر أعلى.
(١٠) كان التامة هي التي لا تحتاج إلى اسم وخبر بل تحتاج إلى فاعل فقط كأي فعل متعدٍّ كهذه التي معنا، وكقول الله تعالى: «وإنْ كانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إلى مَيْسَرَةٍ».
(١١) ذكره أبو حيان في بحره ٧/ ١٨٧.
(١٢) انظر: كشافه ٣/ ٢٣٣ قال: «فَمَنْ نصب كان الضمير لِلهَنةِ من الإساءة والإحسان أي: إن كانت مثلاً في الصغر والقماءة كحبة الخردل فكانت مع صغرها في أخفى موضع وأحْرزه كجوف الصخرة».
(١٣) وهو ما يسمى بضمير القصة والبصريون يجيزون ذلك في المؤنث والمذكر على حدّ، بينما لم يُجِزْهُ الكوفيون في المذكر. القرطبي ١٤/ ٦٧.
(١٤) ساقط من «ب».
(١٥) نقله الكشاف ٣/ ٢٣٣.

قوله: «فتكن» الفاء لإفادة الاجتماع يعني إن كانت صغيرة ومع صغرها تكون خفيةً في موضع حريز[١] كالصَّخْرَةِ لا تخفى على الله لأن الفاء للاتصال بالتعقيب وقرأ عبد الكريم الجَحْدَريُّ[٢] «فَتكِنَّ» بكسر[٣] الكاف، وتشديد النون مفتوحة أي فتستقر. وقرأ مُحَمَّدُ بْنُ أبي مُحَمَّد[٤] البَعْلَبَكِّيُ: فَتُكَنَّ؛ إلا أنه مبنيٌّ للمجهول[٥]، وقتادة «فَتَكِنْ» بكسر الكاف وتخفيف النون مضارع «وَكَنَ»[٦] أي استقر في وَكْنِهِ ووَكْرِهِ.

فصل

الصخرة لا بد وأن تكون في السموات أو في الأرض فما الفائدة من ذكرها؟ قال بعض المفسرين المراد بالصخرة صخرة عليها الثَّوْرُ وهي لا في الأرض[٧] ولا في السماء، (وقال[٨] الزمخشري: فيه إضمار تقديره إن تَكُنْ في صخرةٍ أو في موضع آخَرَ في السموات أو في الأرض). وقيل: هذا من تقديم الخاصّ وتأخير العام، وهو جائز في مثل هذا التقسيم[٩]، وقيل: خفاء الشيء يكون بطرق منها أن يكون في غاية الصِّغَرِ، ومنها أن يكون بعيداً، ومنها أن يكون في ظلمة ومنها أن يكون وراء حجاب فإن بيّن أحد هذه الأمور فلا يخفى في العادة فأثبت الله الرؤية والعلم مع انتفاء الشرائط فقوله: «إنْ تَكُ مثقال حبة من خردل» إشارة إلى الصغر، وقوله: «فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ» إشارة (إلى الحِجَاب، وقوله: «فِي السَّمَوَاتِ»[١٠] إشارة إلى البُعد، فإنها أبعدُ الأبعاد، وقوله: «أَوْ فِي الأَرْضِ» إشارة) إلى الظلمة فإن جوْف الأرض أظلمُ الأماكن، وقوله: «يَأْتِ بِهَا اللَّهُ» أبلغ من قول القائل: يعلمه الله لأن من يظهر له شيء (ولا يقدر[١١] على إظهاره لغيره يكون حاله في العلم دونَ حال من يَظْهَرُ له الشيء) ويُظْهِرُهُ لغيره فقوله: «يَأْتِ بِهَا اللَّهُ» أي يظهرها (للإشهار[١٢]) «إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ» نافذ القدرة، «خَبِيرٌ» عالم ببواطن الأمور، روي في بعض الكتب أن هذه آخر كلمة تكلم بها لقمانُ فانشقتْ مرارتُه من هَيْبَتِهَا فمات، قال الحسن: معنى الآية هو[١٣] الإحاطة بالأشياء صغيرها وكبيرها.

---

(١) في «ب» جلد.
(٢) لم أقف عليه.
(٣) انظر: مختصر ابن خالويه في شواذ القراءات ١١٧.
(٤) هو محمد بن هاشم بن سعيد البعلبكي روى عنه أحمد بن عمير الدمشقي وغيره. انظر: اللباب في تهذيب الأسماء لابن الأثير ١/ ١٦١ و ١٦٢.
(٥) المرجع السابق.
(٦) السابق والمحتسب ٢/ ١٦٨ وانظر في هذه القراءات الشاذة أيضاً البحر ٧/ ١٨٧ والقرطبي ١٤/ ٦٧ والكشاف ٣/ ٢٣٣.
(٧) انظر: تفسير الفخر ٢٥/ ١٤٨.
(٨) ما بين القوسين ساقط من «ب».
(٩) في «ب» التفسير.
(١٠) ساقط من «ب».
(١١) ما بين القوسين أيضاً ساقط من «ب».
(١٢) ساقط من «ب».
(١٣) في «ب» هي.

قوله: «يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاَةَ» لما منعه من الشرك وخوفه بعلم الله وقدرته أمره بما يلزم من التوحيد وهو الصلاة[(١)] وهي العبادة لوجه الله مخلصاً وبهذا يعلم أن الصلاة كانت في سائر الملل غير أن هيئاته اختلفت[(٢)]. وقوله: «وَأمُرْ بالمَعْرُوفِ وأنْهَ عَنِ المُنْكَرِ» أي إذا كملت أنت في نفسك بعبادة الله فكمل غيرك فإن شغل الأنبياء رتبتهم[(٣)] عن العلماء هو أن يكملوا في أنفسهم ويكملوا غيرهم «واصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ» يعني من الأذى لأن من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يؤذى فأمره بالصبر عليه[(٤)].

فإن قيل: كيف قدم (في[(٥)]) وصيته لابنه الأمر بالمعروف على النهي عن المنكر وحين أمر ابنه قدم النهي عن المنكر على الأمر بالمعروف فقال: «لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ» ثم قال: «أَقِمِ الصَّلاَةَ»؟.

فالجواب: أنه كان يعلم أن ابنه معترفٌ بوجودِ الإله فما أمره بهذا المعروف بل نهاه عن المنكر الذي يترتب على هذا المعروف، وأما[(٦)] ابنه فأمره أمراً مطلقاً والمعروف يقدم على[(٧)] المنكر. قوله: «مِنْ عَزْمِ الأُمُور» يجوز أن يكون عزم بمعنى مفعول أي من مَعْزُوماتِ[(٨)] الأمور أو بمعنى عازم كقوله: ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ﴾ [محمد: ٢١] وهو مجاز بليغ، وزعم المبرد أن العين[(٩)] تبدل حاء فيقال «حَزْم، وعَزْم» والصحيح أنهما مادتان مختلفتان اتفقا في المعنى، والمراد من الآية أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى (فيهما[(١٠)]) من الأمور الواجهة التي أمر الله تعالى بها ويعزم عليها لوجوبها.

قوله: «وَلاَ تُصَعِّرْ» قرأ ابن كثير وابنُ عامر وعاصمٌ «تُصَاعِرْ»[(١١)] بألف وتخفيف العين، والباقون بالألف وتشديد العين، والرسم يحتملهما، فإنه رسم بغير ألف، وهما

---

(١) في «ب» وهي أيضاً.   (٢) تفسير الفخر ٢٥/١٤٨.

(٣) في تفسير الفخر: «وَوَرَثَتُهُم من العلماء» وهو الأصح من كلتا النسختين.

(٤) انظر: التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي ٢٥/١٤٨ في كل ما سبق.

(٥) ساقط من «ب».

(٦) في «ب» فأما.

(٧) نقله في تفسير الفخر الرازي ٢٥/١٤٩.

(٨) انظر: ٣/٢٣٣، من تفسير الكشاف.

(٩) نقله أبو حيان في البحر ٧/١٨٨، قال: «وقال مؤرِّج: العَزْمُ والحَزْمُ بلغة هُذَيْل والحزم والعزم أصلان وما قاله المبرد من أن العين قلبت حاء، ليس بشيء لاطراد تصاريف كل واحد من اللفظين وليس أحدهما أصلاً للآخر».

(١٠) سقط من ب.

(١١) قاله في الإتحاف ٣٥٠، وابن مجاهد في السبعة ٥١٣ والبحر ٧/١٨٨ والفراء ٢/٣٢٨ والكشاف ٣/ ٢٣٤.

لغتان لغةُ الحجاز التخفيف وتميم التثقيل فمن التثقيل قوله:

٤٠٥٠ ـ وَكُنَّا إِذَا الجَبّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ أَقَمْنَا لَهُ مِنْ مَيْلِهِ فَيُقَوَّمُ[١]

ويقال أيضاً: تَصَعَّر، قال:

٤٠٥١ ـ .... أَقَمْنَا لَهُ مِنْ خَدِّه المُتَصَعِّرِ[٢]

وهو من الميل، وذلك أن المتكبر يميل بِخَدِّهِ تكبراً كقوله ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِۦ﴾ [الحج: ٩]. قال أبو عبيدة: أصله من الصَّعَرِ داء يأخذ الإبل في أعناقها فتميل وتَلْتَوِي[٣]؛ يقال: صَعَّرَ وجهه وصَاعَرَ[٤] إذا مال وأعرض تكبُّراً، ورجل أَصْعَرُ أي مائل العنق، وتفسير اليَزِيدِيّ[٥] له بأنه التَّشَدُّق في الكلام[٦] لا يوافق الآية هنا، قال ابن عباس: يقول لا تتكبر فتحتقر الناس وتعرض عنهم وجهك إذا كلموك[٧]، وقال مجاهد: هو الرجل يكون بينك وبين إِحْنَةٌ فتلقاه فيعرض عنك[٨] بوجهه، وقال عكرمة: هو الذي إذا سلم عليه لوى عُنُقَه تكبراً[٩]، وقال الربيع بن أنس وقتادة ولا تحتقر الفقراء ليكون الغنيّ والفقير عندك سواء[١٠]، واعلم أنه لما أمره بأن يكون كاملاً في نفسه مكملاً لغيره فكان يخشى بعدهما من أمرين:

---

(١) البيت من الطويل. وهو مختلف في نسبته ما بين عمرو بن حنيّ التغلبي والمُتَلَمِّس. وجيء بالبيت استشهاداً بلغة تميم وهي التثقيل في «صعّر» وقد نسب أبو عبيدة البيت في المجاز ٢/ ١٢٧ إلى عمرو، ونسب الأصمعي في الأصمعيات ٢٤٥ البيت للمتلمس.

انظر: البحر المحيط ٧/ ١٨٢ والقرطبي ١٤/ ٦٩ وابن كثير ٣/ ٤٤٦ وابن جرير ٢١/ ٤٧ ومجمع البيان للطبرسي ٧/ ٥٠٠ وقد روي البيت بقافية الخطاب والغيبة والإطلاق فروي: «فَتُقَوَّمُ» وروي: «فيُقَوَّمُ» كما هو أعلى وروي: «فَتَقَوَّما» كما في ابن كثير. وانظر اللسان: «ص ع ر» ٢٢٤٧ والتاج: «د ر أ» ١/ ٢٢٢.

(٢) شطر بيت من الطويل عجزاً وصدره:

إِذَا الأَصْعَرُ الجَبَّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ ....

وهو للأخطل التَّغْلِبِيّ وجيء به استشهاداً لِلغة التثقيل وهي لغة تميم في كلمة «متصعر» وفي الديوان: «مُتَصَاعِر» بلغة التخفيف وهي لغة أهل الحجاز وعلى ذلك فلا شاهد فيه حينئذ، ويكون شاهداً لقراءة ابن كثير وصحبه أي لا على لغة الحجازيين. انظر: الديوان «٤٣٣» والقرطبي ١٤/ ٦٩ والبحر المحيط.

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ١٢٧. (٤) انظر: اللسان: «ص ع ر» ٢٤٤٧.

(٥) اليزيدي: يحيى بن المبارك بن المغيرة أبو محمد اليزيديّ النحوي المقرىء، حدث عن أبي عمرو والخليل وعنهما أخذ العربية، صنف مختصراً في النحو، المقصور والممدود، النوادر وغير ذلك مات سنة ٢٠٢ هـ انظر: بغية الوعاة ٢/ ٣٤٠.

(٦) نقله في البحر ٧/ ١٨٢. (٧) زاد المسير ٦/ ٣٢٢.

(٨) السابق. (٩) السابق.

(١٠) وهو رأي أبي العالية أيضاً. انظره في زاد المسير ٦/ ٣٢٢.

أحدهما: التكبر على الغير لكونه مكملاً له.

والثاني: التبختر في المشي لكونه كاملاً في نفسه فقال: «وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ» تكبراً «ولا تَمْشِي فِي الأَرْضِ مَرَحاً» أي خُيَلاَءَ «إنّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ» في نفسه «فَخُورٍ» على الناس بنفسه.

قوله: «واقْصِدْ» (هذا قاصر[(١)]) بمعنى اقْتَصِدْ واسلُك الطريقة الوسطى بين ذلك قَوَاماً أي ليكن مشيك قصداً لا تخيلاً ولا إسراعاً[(٢)]. وقال عطاء: امشِ بالوَقَار والسكينة لقوله: ﴿يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

(وقُرِىءَ)[(٣)] «وأَقْصِدْ» بهمزة قطعٍ من أَقْصَدَ إذا سَدَّدَ[(٤)] سهمه للرَّمْيَةِ.

قوله: «واغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ» مِن تَبْعيضيَّه، وعند الأخفش يجوز أن تكون زائدة[(٥)]، ويؤيده قوله ﴿يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ﴾ [الحجرات: ٣]. وقيل: «من صوتك» صفة لموصوف محذوف أي شيئاً من[(٦)] صوتك، وكان[(٧)] الجاهلية يتمدحون برفع الصوت، قال: [من المتقارب]:

٤٠٥٢ ـ جَهِيرَ الكَلاَمِ جَهِيرَ العُطَاسِ جَهِيرَ الرُّوَاءِ جَهِيرَ النَّعَمْ[(٨)]

والمعنى أَنْقِصْ من صوتك، وقال مقاتل: اخفض من صوتك.

فإن قيل: لِمَ ذكر المانع من رفع الصوت ولم يذكر المانع من سرعة المشي؟.

فالجواب: أن رفع الصوت يؤذي السامع ويقرع الصِّمَاخ[(٩)] بقوته، وربما يخرقُ الغِشَاء الذي داخل الأذن، وأما سرعة المشيء فلا تؤذي وإن أذت فلا يؤذي غير من في طريقه والصوت يبلغ من على اليمين وعلى اليسار ولأن اللمس يؤذي آلة اللمس والصوت

---

(١) سقط من «ب». (٢) في «ب» ولا إسرافاً.
(٣) سقطت من «ب».
(٤) في «ب» شدد بالشين والأصح هنا والقراءة لعيسى الحجازي.
انظر: الكشاف ٣/ ٢٣٤ والبحر المحيط ٧/ ١٨٩، ومختصر ابن خالويه ١١٧.
(٥) نقلها السمين في الدر المصون ٤/ ٣٤٤ وأبو البقاء في التبيان ١٠٤٥.
(٦) المرجعان السابقان. (٧) في «ب» وكانت بتاء التأنيث.
(٨) هذا أحد بيتين أنشدهما المبرد في كامله، والآخر هو:
وَيَعْدُو عَلَى الأَيْنِ عَدْوَ الظَّلِيم وَيَعْلُو الرِّجَالَ بِخَلْقٍ عَمَمْ
وهما لرجل مجهول يمدح خليفة العباسيين الرشيد مدحاً مبيناً في الوجه والكلام ورخامة الصوت ومهما كان الأمر فإنه هو الدائم الذي لا يتغير فلم يبال «بأين» (إعياء) أو غيره والاستشهاد بالبيت برفع الكلام في قوله «جهير الكلام». انظر: الكامل ٢/ ١٦٣ والقرطبي ١٤/ ٧٢ والبحر المحيط ٧/ ١٨٩ والسراج المنير ٣/ ١٩٠.
(٩) هو صماخ الأذن وهو الخرق الباطن الذي يُفضي إلى الرأس. وقيل: هو الأذن نفسه. اللسان [ص. م. خ].

يؤذي آلة السمع، وآلة السمع على باب القلب فإن الكلامَ ينتقلُ من السمع إلى القلب ولا كذلك اللمس وأيضاً فلأن قبيحَ القول أقبح من قبيح الفعل وحسنه أحسن لأن اللسان تَرْجُمانُ القلب[١].

قوله: «إِنَّ أَنْكَرَ» قيل: أنكر مبنيٌّ من مبنيٍّ للمفعول نحو: «أَشْغَلُ مِنْ ذَاتِ النِّحْيَيْنِ»[٢]، وهو مختلف فيه[٣] ووحد «صوت» لأنه يراد به الجنس ولإضافته لجمع، وقيل: يحتمل أن يكون «أنكر» من باب «أطوع له من بنانه» ومعناه أشدّ طاعةً[٤]. فإن «أفْعَلَ» لا يجيء (في[٥]) «مُفْعَل»[٦] ولا في «مفْعُول»[٧] ولا في باب العيوب[٨] إلا ما شَذَّ كقولهم[٩]: «أَطْوَعُ مِنْ كَذَا»[١٠] للتفضيل على المُطِيع و «أَشْغَلُ مِنْ ذَاتِ النِّحْيَيْن[١١]» و «أحْمَقُ[١٢] (مِنْ فُلَانَ[١٣])» من باب العيوب[١٤]، وعلى هذا فهو من باب «أفعل»[١٥] كأَشْغَلَ في باب مَفْعُولٍ[١٦] فيكون للتفضيل على المنكر. أو نقول هو من باب «أَشْغَل» مأخوذ من نُكِرَ الشيءُ فهو مَنْكُورٌ، وهذا أَنْكَرُ مِنْهُ، وعلى هذا فله معنى لطيف وهو أن كل حيوان قد يفهم من صوته[١٧] بأنه يصيح من ثِقَل أو تعب كالبَعير أو لغير ذلك والحمار لو مات تحت الحمل لا يصيح ولو قتل لا يصيح وفي بعض أوقات عدم الحاجة يصيح وينهقُ بصوتٍ مُنْكَر (فيمكن[١٨]) أن يقال: هو من نكير كأَحَدَّ من حَدِيدٍ[١٩].

فإن قيل: كيف يفهم كونه أنكر الأصوات مع أن حزَّ المِنْشَار بالمبرد ودق النحاس بالحديد أشد صوتاً؟!.

---

(١) تفسير الفخر الرازي ٢٥/ ١٥١.
(٢) ذكره في جمهرة الأمثال كما ذكره الميداني في مجمع الأمثال ٢/ ١٨٤ والنحيان مثنى (نِحْي) وهو وعاء من جلد كان يوضع فيه السّمن وذكر المؤلف هذا المثال على أن الفعل مأخوذ من مبني للمفعول «مَشْغُول» وشغل وكذلك الآية (أنكر) من مُنْكَر «وأُنْكِرَ».
(٣) انظر: الأشموني ٢/ ٤٤.
(٤) فيكون على باب التفضيل والمشاركة.
(٥) سقطت من «ب».
(٦) يقصد أن التفضيل يبنى من الفعل الثلاثي وأنْكَرَ فعل رباعي واسم فاعله «مُنْكِرٌ» واسم مفعوله «مُنْكَرٌ».
(٧) يشير إِلَى أن الفعل الثلاثي هذا الذي يصاغ منه أفعل التفضيل لا بد أن يكون مبنياً للمعلوم لا للمجهول.
(٨) يشير إلى أنَّ هذا الفعل يخلو من أي عيب وأَحْمَقُ فيه العيب.
(٩) في «ب» لقولهم.
(١٠) فكان على القاعدة أن نقول أشد طاعة حيث إنَّ «أطاع» رباعي كأنكر.
(١١) وأشغل هنا من فعل مبني للمجهول «شُغِلَتْ فهي مَشْغُولَةٌ».
(١٢) وأحمق مبني من (حَمقَ) وهو فعل عيب.
(١٣) سقطت من «ب».
(١٤) في «ب» الصوت وهو تحريف.
(١٥) أي أفعل فعلاء كأَحْمَق حَمْقَاء وأحْمَر حَمْرَاء أو باب أفعل الزائد على ثلاثة أحرف.
(١٦) أي البناء المجهول لا المعلوم.
(١٧) تفسير الفخر الرازي ٢٥/ ١٥١.
(١٨) سقطت من «ب».
(١٩) في تفسير الفخر الرازي: كأجْدرَ من جدير.

فالجواب من وجهين:

الأول: أن المراد أنكر أصوات الحيوانات صوتاً الحميرُ فلا يَردُ السؤال.

الثاني: أن الآمر بمصلحة وعبادة لا ينكر صوته بخلاف صوت (الحمير)[١].

فصل

قال مقاتل: اخْفِضْ مِنْ صوتك «إنَّ أنْكَرَ الأَصْوَاتِ» أقبح الأصوات «لَصَوْتُ الحَمِيرِ» أوله زَفيرٌ، وآخره شهيقٌ وهما صوت (أهل[٢] النار) وقال موسى بن أعين[٣] سمعت سفيان الثوري يقول في قوله تعالى: ﴿**إن أنكر الأصوات لصوت الحمير**﴾ قال صياح كل شيء تسبيح[٤] لله تعالى إلا الحمار وقال جعفر[٥] الصادق في قوله تعالى: ﴿**إنَّ أنْكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الحَمِيرِ**﴾ قال: هي العطسة[٦] القبيحة المنكرة، قال وهب تكلم لقمان اثْنَي عشَرَ ألف كلمةٍ من الحكمة أدخلها الناس في كلامهم ومن حكمه: قال خالد الربعي[٧] كان لقمان عبداً حبشياً فدفع (له) مولاه إليه شاة فقال اذبحها فأتِنِي[٨] بأطيبِ مُضْغَتَيْنِ مِنْها فأتاه باللِّسان والقَلْب فسأله مولاه فقال: ليس شيء أطْيَبَ منهما إذا طابا ولا أخبثَ منهما إذا خَبُثَا.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ...**﴾ الآية (أي)[٩] سخر لأجلكم ما في السماوات والقمرَ والنجومَ مسخراتٍ بأمره وفيها الفوائد لعباده وسخر ما في الأرض لأجل عباده.

---

(١) سقطت من «ب». (٢) كذلك.

(٣) هو: موسى بن أعين الجزري أبو سعيد الحراني عن خصيف، والأعمش وجماعة وعنه: الوليد بن مسلم وغيره مات سنة ١٧٧. انظر: خلاصة الكمال ٣٨٩.

(٤) نقله القرطبي في ١٤/٧٧، بلفظ «إلا نهيق الحمار».

(٥) تقدم. (٦) في «ب» العطية الكبيرة وهو تحريف.

(٧) انظر: تفسير ابن كثير ٣/٤٤٣. (٨) في «ب» واتتني.

(٩) ساقط من «ب».

قوله: «وأسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ» قرأ نافعٌ وأبُو عَمْروٍ وحفصٌ (نِعَمَهُ) جمعُ نِعْمَةٍ مضافاً لها الضمير «فظَاهِرةً» حال[١] منها، والباقون «نِعْمَةً» بسكون[٢] العين، وتنوين تاء التأنيث، اسم جنس يراد به الجمع كقوله: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم ٣٤] و [النحل: ١٨] فظاهرةً (نعت)[٣] لها، وقرأ ابن عباس ويحيى بن عمارة[٤] «وأصْبَغَ» بأبدال السين صاداً[٥] وهي لغة كلْبٍ[٦]، يفعلون ذلك مع الغَيْنِ والخَاءِ والقَافِ، وتقدم نظير هذه الجمل كلها في البقرة[٧].

فصل

قال عكرمة عن ابن عباس النعمة الظاهرة الإسلام، والقرآن، والباطنة ما ستر عليك من الذنوب، ولم يعجل[٨] عليك بالنقمة، وقال الضحاك: الظاهرة حُسْن[٩] الصورة وتسويةُ الأعضاء، والباطنة المعرفة، وقال مقاتل: الظاهرة تسوية الخِلْقَة، والرزق، والإسلام والباطنة: ما ستر عليك من الذنوب[١٠] وقال الربيع[١١] الظاهرة الجوارح، والباطنة القلب[١٢]، وقيل: الظاهرة تمام الرزق والباطنة حُسْنُ[١٣] الخُلُق، وقال عطاء: الظاهرة تخفيف الشرائع، والباطنة الشفاعة[١٤]، وقال مجاهد: الظاهرة ظهور الإسلام والنصر على الأعداء والباطنة الإمداد[١٥] بالملائكة، وقيل: الظاهرة الإمداد بالملائكة والباطنة إلقاء الرعب في قلوب الكفار[١٦]، وقال سَهْلُ بْنُ[١٧] عَبْدِ اللَّهِ: الظاهرة: اتِّباع الرسول والباطنة محبته.

---

(١) السبعة لابن مجاهد ٥١٣ والإتحاف ٣٥٠ والكشاف ٣/ ٢٣٤ والقرطبي ١٤/ ٧٣ والبحر المحيط ٧/ ١٩٠، والحجة لابن خالويه ٢٨٦، والنشر ٢/ ٣٤٧ وتقريبه ١٥٩.

(٢) السابقة.

(٣) ساقط من «ب».

(٤) وقيل: ابن عباد عن سعيد بن جبير وعنه الأعمش، وَثَّقَهُ ابْنُ حَبَّانَ. انظر: خلاصة الكمال ٤٢٦.

(٥) ذكره ابن جني في المحتسب ٢/ ١٦٨ و ١٦٩، وانظر كذلك القرطبي ١٤/ ٧٣ والبحر المحيط ٧/ ١٩٠.

(٦) في «ب» كليب.

(٧) يقصد قوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ وهي الآية ١٣٨ من السورة وقوله: «اذْكُرُوا نِعْمَتِي التِي أنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ» وهي الآية ٤٠ من نفس السورة والقراء الذين ذكرهم وذكروا أعلى هم نفس القراء. انظر: اللباب ١/ ١٢٠ ب ميكروفيلم.

(٨) في «ب» يتحمل وهو تحريف وانظر هذا الرأي في زاد المسير ٦/ ٣٢٤.

(٩) نفسه.

(١٠) فتح القدير للشوكاني ٤/ ٢٤١.

(١١) تقدم.

(١٢) القرطبي ١٤/ ٧١، ٧٢، ٧٤.

(١٣) فتح القدير ٤/ ٢٤١.

(١٤) (١٥) (١٦) المراجع السابقة.

(١٧) هو ابن أبي حزم مهران أو عبد الله القطعي أبو بكر البصري. انظر: اللباب ٣/ ٤٦ وتقريب التهذيب ١/ ٣٣٨.

قوله: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ (بِغَيْرِ عِلْمٍ» نزلت في النضر بن[١] الحَرِث، وَأُبَيِّ بن خلف وأشباههم كانوا يجادلون النبي ـ ﷺ ـ) وفي صفاته «بِغَيْرِ عِلْمٍ ولاَ هُدًى وَلاَ كِتَابٍ مُنِير» أي بغير هُدًى أرسلناه إليه (وَحْياً[٢] ولا بكتاب يُتْلَى عليه وَعظاً) «وإذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا» بين أن مجادلتهم مع كونها من غير علم فهي في غاية القُبْح، فإن النبي ـ ﷺ ـ كان يَدعوهُم إلى كلام الله وهم يأخذون بكلام آبائهم وبين كلام الله وكلام العلماء بَوْنٌ عظيمٌ فكيف ما بين كلام الله وكلام الجهال[٣]؟ ثم قال: «أَوَ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ»، جواب «لو» محذوف ومجازه: يدعوهم فيتبعونه أي يتبعون الشيطان وإن كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير، والمعنى أن الله يدعوهم إلى الثواب، والشيطان يدعوهم إلى العذاب وهم مع هذا يتبعون (الشيطان)[٤] وقد تقدم الكلام على «أَوَ لَوْ» ونَحوِهِ.

قوله: «وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ» قرأ عَلِيٌّ (والسُّلَمِيُّ[٥]) «يُسَلِّمْ» بالتشديد[٦]، لما بين حال المشرك والمجادل[٧] في الله بين حال المستسلم المسلم لأمر الله وقوله: «وَهُو مُحْسِنٌ» أي لله يعني يخلص دينه لله ويفوض أمره إليه وهو محسن في عمله «فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بالعُرْوَةِ الوُثْقَى» أي اعتصم بالعهد الأوثق الذي لا يخاف انقطاعه لأن أوثق العُرَى جانب الله، فإن كل ما عداه هالك منقطع وهو باقٍ لا انقطاع له «وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ» يعني فقد استمسك بالعروة التي توصله إلى الله لأن عاقبةَ كُلِّ شيء إليه. فإن قيل: كيف قال هَهُنَا: «وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ» (فعداه «بإلى[٨]») وقال في البقرة: «بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَه لِلَّهِ») فعداه باللاّم؟ فقال الزمخشري: أَسْلَمَ لِلّه[٩] أي إلى الله يعني أَنَّ «أَسْلَمَ» يتعدى تارة «باللام» وتارة «بإلى» كما يتعدى «أَرْسَلَ» تارة باللام، وتارة «بإلى» قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ﴾ [النساء: ٧٩] وقال: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ [المزمل: ١٥] ثم قال: «وَمَنْ كَفَرَ فَلاَ يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا» (لما بين[١٠] حال

---

(١) ما بين القوسين كله ساقط من «ب». (٢) كذلك.

(٣) تفسير الفخر الرازي ٢٥/ ١٥٣. (٤) ساقط من «ب».

(٥) سقطت من «ب».

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٨٧ ومختصر ابن خالويه ١١٧ بنسبتها أيضاً إلى عبد الله بن مسلم بن يسار. والقرطبي ١٤/ ٧٤ والكشاف ٣/ ٢٣٥ والبحر المحيط ٧/ ١٩٠ ومعاني الفراء ٢/ ٣٢٩.

(٧) في «ب» والمجاهد وهو تحريف.

(٨) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٩) الكشاف للزمخشري ٣/ ٢٣٥ قال: «فإن قلتَ: ما له عدي بإلى وقد عدي باللام في قوله: بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَه لله وهو مُحْسِنٌ؟ قلت: معناه مع اللام أنه جعل وجههُ وهو ذاته ونفسه سالماً لله أي خالصاً له. ومعناه مع «إلى» أنه سلم إليه نفسه كما يسلم المتاع إلى الرجل إذا دفع إليه».

(١٠) ما بين القوسين ساقط من «ب».

المسلم رجع إلى بيان حال الكافر وقال: «ومن كفر فلا يحزنك») أي لا تحزن إذا كفر كافر، فإن من يكذبْ وهو مقطوعٌ بأن صدقه بين عن قرب لا تحزن بل قد يتوب[(١)] المكذب عن تكذيبه، وأما إذا كان لا يرجو ظهور صدقه فإنه يتألم من التكذيب فقال: «لاَ يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ» فإن المرجعَ إليَّ «فأنبئهم بِمَا عَمِلُوا» فيَنْخَجلون ثم قال «إنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» أي لا يخفى عليه سرُّهُمْ وعلانيتُهم فينبئهم بما أسَرَّتهُ صدورهم.

قوله: «نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلاً» أي نمهلهم ليتمتعوا بنعم الدنيا قليلاً إلى انقضاء آجالهم «ثُمَّ نضطرّهم» نُلجئهم ونردهم في الآخرة «إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ» وهو عذاب النار.

قوله: «وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ. . .» الآية لما استدل بخلق السموات بغير عمد، وبنعمه الظاهرة والباطنة بين أنهم يعترفون بذلك ولا ينكرونه وهذا يقتضي أن الحمد كله لله لأن خالق السموات والأرض محتاج[(٢)] إليه كلّ من في السماوات والأرض، وكون الحمد كله لله[(٣)] يقتضي أن لا يعبد غيره لكنهم لا يعلمون هذا، ووجه آخر وهو أن الله تعالى لما سلى قَلْبَ النبي ـ عليه السلام[(٤)] ـ بقوله: «فَلاَ يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُم فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا» أي لا تحزن على تكذيبك فإن صدقَك وكذبهم يتبين عن قريب وهو رجوعهم إلينا بل لا يتأخر إلى ذلك اليوم بل يتبين قبل يوم القيامة بأنهم يعترفون بأن خالق السموات والأرض هو الله، ثم قال في دعوى الوحدانية وتبيين كذبهم في الشرك «قُلْ الحَمْدُ لِلَّهِ» على (ظهور[(٥)]) صدقك وكذبهم[(٦)] «بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ» أي ليس لهم علم يمنعهم من تكذيبك مع اعترافهم بما يوجب تصديقك، وعلى هذا يكون «لاَ يَعْلَمُونَ» استعجالاً للفعل مع القطع عن المفعول بالكلية، كما يقال: فُلاَنٌ يُعْطِي ويَمْنَعُ ولا يكون ضميره من يعطي بل يريد أن له عطاءً ومنعاً فكذلك ههنا قال: «لاَ يَعْلَمُونَ» أي ليس لهم علم، وعلى الأولى يكون «لا يعلمون» (له[(٧)] مفعول مفهوم) وهو أنهم لا يعلمون أن الحمدَ كُلَّه لله وعلى الثاني هو كقول القائل: فلانٌ لا علم لهَ بكذا.

قوله: لا علم له وكذا قوله: فلان لا ينفعُ زيداً ولا يضره دون قوله: «فلان لاَ يَضُرُّ وَلاَ يَنْفَعُ[(٨)]».

قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ذكر ما يلزم منه وهو أن يكون له ما

---

(١) في تفسير الفخر الرازي بل قد يؤنب المكذب على الزيادة في التكذيب.
(٢) في «ب» يحتاج.
(٣) في «ب» وكون الحمد كلمة لله.
(٤) في «ب» ﷺ.
(٥) ساقط من «ب».
(٦) في «ب» وتبين كذبهم.
(٧) ساقط من «ب».
(٨) وانظر في هذا كله التفسير الكبير للفخر الرازي ٢٥/ ١٥٥.

فيهما «إنَّ اللَّهَ هُوَ الغنيُّ الحَمِيدُ» أي إن الكل لله وهو غير محتاج إليه غير منتفع به وخلق منافعها لكم، فهو غني لعدم حاجته «حميد» مشكور (لدفعه[١]) حوائجكم بها.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾﴾

قوله: «ولَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ...» الآية. لما قال: لله ما في السماوات والأرض أوهم تناهي ملكه لانحصار ما[٢] في السموات والأرض فيهما وحكم العَقْلِ الصريح بتناهيهما بين أن في قدرته وعلمه عجائبَ لا نهاية لها فقال: «وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَة أَقْلامٌ» يكتب بها والأبحر مداد لا تغني عجائب صنع الله، قال المفسرون نزل بمكة قوله تَعَالَى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ [الإسراء: ٨٥]، إلى قوله: «وَمَا أوتيتُم مِنَ العِلْم إلا قلِيلاً» فلما هاجر رسول الله ـ ﷺ ـ أتاه أحبار اليهود فقالوا يا محمد: بلغنا أنك تقولَ: وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً، أفعَنَيْتَنَا أَمْ قَوْمَكَ؟ فقال ـ عليه السلام ـ: كلا قد عنيت. قالوا: ألست تتلو فيما جاءك[٣] إنا أوتينا التوراة وفيها علم كل شيء؟ فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: هي في علم الله قليلٌ، وقد أتاكم ما إن عملتم به انتفعتم قالوا يا محمد: كيف تزعم هذا وأنت تقول: «ومَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أوتِيَ خيراً كَثِيراً» فكيف يجمع[٤] هذا علم قليل وخير كثير؟ فأنزل الله هذه الآية[٥]. وقال قتادة: إن المشركين[٦] قالوا: إن القرآن وما يأتي به محمد يوشك أن ينفدَ فينقطع فنزلت: ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام». ووحَّد الشجرة[٧]، وجمعَ الأقلام ولم يقل: ولو أن ما في الأرض من الأشجار أقلام ولم يقل من شجرة قَلَم إشارةً إلى التكثير يعني لو أن بعدد كُلِّ شجرة أقلاماً، قال الزمخشري[٨]:

(١) ساقط من «ب».
(٢) في «ب» من.
(٣) في «ب» ما جاءك.
(٤) في «ب» يجتمع.
(٥) وهو قول ابن عباس، انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٤/ ٧٦ وأسباب النزول للسيوطي ١٣٥.
(٦) ذكره الفخر الرازي في التفسير الكبير ٢٥/ ١٥٧.
(٧) المرجع السابق.
(٨) انظر: تفسير الكشاف له ٣/ ٢٣٦.

فإن قلت: لم قيل: من شجرة بالتوحيد؟ قلت: أريد تفصيل الشجرة وتَقَصِّيها شجرةً شجرةً حتى لا يبقى من جنس الشجر واحدة إلا قد بريت أقلاماً. قال أبو حيان: وهو من[١] وقوع المفرد موقع الجمع والنكرة موضع المعرفة كقوله: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ [البقرة: ١٠٦].

قال شهاب الدين: وهذا يذهب بالمعنى الذي أبداه الزمخشري[٢].

قوله: «والبَحْرُ» قرأ أبو عمرو بالنصب، والباقون بالرفع[٣]، فالنصب من وجهين:

أحدهما: العطف على اسم «أنَّ» أي ولو أنَّ البحرَ[٤]، و «يَمُدُّهُ» الخبر.

والثاني: النصب بفعل مضمر يفسره «يمده». والواو حينئذ للحال، والجملة حالية، ولم يحتج إلى ضمير رابط بين الحال وصاحبها للاستغناء عنه بالواو، والتقدير: ولو أَنَّ الَّذي في الأرض حَالَ كونِ البحر ممدوداً بكذا. وأما الرفع، فمن وجهين:

أحدهما: العطف على «أن» وما في حيّزها[٥]، وقد تقدم في «أَنَّ» الواقعة بعد «لو» مذهبان مذهب سيبويه الرفع على الابتداء[٦]، ومذهب المبرد على الفاعلية[٧] بفعل مقدر وهما عائدان هنا. فعلى مذهب سيبويه يكون تقدير العطف ولو أَنَّ البحرَ، إلا أن أبا حيان قال: إنه لا يلي المبتدأ اسماً صريحاً[٨] إلا في ضرورة كقوله:

٤٠٥٣ ـ لَوْ بِغَيْرِ المَاءِ حَلْقِي شَرِقٌ ....[٩]

---

(١) تفسير البحر المحيط ٧/ ١٩٢. (٢) الدر المصون ٤/ ٣٤٩.

(٣) ذكره في الإتحاف ٣٥٠، والفراء في معاني القرآن ٢/ ٣٢٩ وأبو حيان في بحره ٧/ ١٩١، والقرطبي ١٤/ ٧٧.

(٤) ذكر ذلك العكبري في التبيان ٢/ ١٠٤٥ وابن الأنباري في البيان ٢/ ٢٥٦ وأبو حيان في البحر ٧/ ١٩١ ومكي في مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٨٤.

(٥) التبيان ٢/ ١٠٤٥ والبيان ٢/ ٢٥٦ والكشف ٢/ ١٩٧ والقرطبي ١٤/ ٧٧ والمشكل ٢/ ١٨٤ والكشاف في كلا الوجهين النصب والرفع ٣/ ٢٣٦.

(٦) يقول في الكتاب ٣/ ١٢١: «لو أنه ذاهبٌ لكان خيراً له» فأن مبنية على «لو» كما كانت مبنية على «لولا» كأنك «قلت: لو ذَاك» ثم جعلت «أنَّ» وما بعدها في موضعه فهذا تمثيل وإن كانوا لا يبنون على «لو» غير «أنَّ».

(٧) يقول في المقتضب ٣/ ٧٧ و «لو» لا تقع إلا على فعل فإن قدمت الاسم قبل الفعل فيها كان على فعل مضمر، وذلك كقوله ـ عز وجل ـ: ﴿فلَوْلاَ أَنْتُمْ تَمْلكون خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾ إنما أنتم رفع بفعل يفسره ما بعده وكذلك:

فَلَوْ غَيْرُ أَخْوالِي أرادُوا نَقِيصَتِي جَعَلْتُ لَهُمْ فَوْقَ العَرَانِينِ مِيسَمَا

ومن ذلك قول العرب: لو ذات سِوارٍ لَطَمَتْني «إنما أراد: لو لطمتني ذاتُ سِوَار».

(٨) انظر: البحر ٧/ ١٩١.

(٩) هذا صدر بيت من الرمل لعَدِيِّ بن زيد وعجزه:

.... **كُنْتُ كالغَصَّانِ بالمَاءِ اعْتِصَارِي** =

وهذا القول يؤدي إلى ذلك، ثم أجاب بأنه يغتفر[١] في المعطوف عليه كقولهم: «رُبَّ رَجُلٍ وَأَخِيهِ يَقُولاَنِ ذَلِكَ»[٢] وعلى مذهب المبرد يكون تقديره ولو ثبتَ البحرُ، وعلى التقديرين يكون «يمُدُّهُ» جملة حالية من البحر.

والثاني: أن «البحر» مبتدأ[٣] (ويمده) الخبر والجملة حالية كما تقدم في جملة الاشتغال، والرابط الواو، وقد جعله الزمخشري[٤] سؤالاً وجواباً وأنشد:

٤٠٥٤ ـ وَقَدْ أَغْتَدِي والطَّيْرُ في وُكُنَاتِهَا ....[٥]

و «مِنْ شَجَرَةٍ» حال، إما من الموصول، أو من الضمير المستتر في الجار الواقع صلة، و «أَقْلاَم» خبر «أَنَّ»[٦]، قال أبو حيان: وفيه دليل على من يقول كالزمخشري ومن تعصب له من العجم على أن خَبَر أنَّ الواقعة بعد «لو» لا يكون اسماً البتة لا جامداً ولا مشتقاً بل يتعين أن يكون فعلاً[٧] وهو باطل وأنشد:

٤٠٥٥ ـ ولَوْ أَنَّهَا عُصْفُورَةٌ لَحَسِبْتُهَا مُسَوَّمَةً تَدْعُو عُبَيْداً وَأَزْنَمَا[٨]

= والبيت في الجنى الداني ٢٨١، والبيت بلا نسبة في إيضاح الشعر ٥٨٢ وانظر: الحيوان ١٣٨/٥ و٥٩٣ والشعر والشعراء ٢٢٩ والاشتقاق ٢٦٩ والجنى الداني ٢٨٠ واللسان: «ش ر ق» ٢٢٤٧ وكذلك: «ع ص ر» والتصريح ٢٥٩/٢ والهمع ٦٦/٢ والأشموني ٤٠/٤ والمغني ٢٦٨ وشرح شواهده للسيوطي ٦٥٨ والبحر ١٩١/٧. والاعتصار: شرب الماء قليلاً قليلاً لنزول الغُصَّة، والغصّة الشَّجا والضّيق على ما فسره ابن منظور في لسانه «غَصَصَ»، واستشهد ببيت عدي هذا والاستشهاد بالبيت على أنَّ «أنَّ» بعد «لو» في موضع رفع على الابتداء ولو لا يليها المبتدأ وهو اسم صريح إلا في ضرورة الشعر وهذا رأي أبي حيان.

(١) بالمعنى من البحر ٩١/٧.

(٢) وجه التنظير بهذا القول على رأي أبي حيان أننا لو عطفنا «والبحر» بالرفع على أن ومعموليها وهو رفع بالابتداء لزم من ذلك أن «لو» يليها الاسم مبتدأ إذ يصير التقدير: ولو البحرُ، وهو لا يجوز إلا في الضرورة ولكن يجوز في المعطوف عليه نحو: رُبَّ رَجُلٍ وأخِيهِ (فَرجُل) محله الرفع على الابتداء. انظر: البحر المحيط ١٩١/٧.

(٣) التبيان ١٠٤٥.

(٤) الكشاف ٢٣٦/٣ قال: «فإن قلت: زعمت أن قوله والبحر يمده حال في أحد وجهي الرفع وليس فيه ضمير راجع إلى ذي الحال قلت هو كقوله: وقَدْ أَغْتَدِي والطَّيْرُ في وُكُنَاتِها. وجئت والجَيْشُ مُصْطَف، وما أشبه ذلك من الأحوال التي حكمها حكم الظروف».

(٥) البيت من الطويل وهو لامرىء القيس من معلقته المشهورة وهنا صدره وعجزه:

.... **بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأَوَابِدِ هَيْكَلِ**

(٦) البحر المحيط ١٩٠/٧.

(٧) المرجع السابق.

(٨) البيت من الطويل وقائله العوام بن شَوْزَب وفي حاشية الأمير على المغني لجرير، أو العوام الشيباني، والضمير في «أنها» تعود على الأسودة التي ترى من بعد، والمسومة، المعلمة من الخيل، و «عبيد»، وأزنم «قبيلتان». والشاهد فيه قوله: «عصفورة» حيث وقع خيراً لأن وهو اسم جامد وهو خبر لأن=

وقال:

٤٠٥٦ ـ ما أطْيَبَ العَيْشَ لَوْ أنَّ الفَتَى حَجَرٌ   تَنْبُو الحَوَادِثُ عَنْهُ وَهْوَ مَلْمُومُ[(١)]

وقال:

٤٠٥٧ ـ وَلَوْ أنَّ حَيًا فَائِتُ المَوْتِ فَإنَّهُ   أَخُو الحَرْبِ فَوْقَ القَارِحِ العُدْوَانِ[(٢)]

قال: وهو كثير في كلامهم[(٣)]، قال شهاب الدين[(٤)]: وقد تقدم أن هذه الآية ونحوهَا يبطل ظاهر قول المتقدمين في «لو» أنها حرف امتناع لامتناع إذ يلزم محذور عظيم وهو أن ما بعدها إذا كان مُثْبَتاً[(٥)] لفظاً فهو مُثْبَتٌ معنى وبالعكس، وقوله: مَا نَفِدت منفي لفظاً فلو كان مثبتاً معنى فسد[(٦)] المعنى، فعليك بالالتفات إلى أول البقرة[(٧)]. وقرأ عبدُ الله[(٨)]: «وبَحْرٌ»[(٩)] بالتنكير وفيه وجهان معروفان[(١٠)]، وسوّغ الابتداء بالنكرة وقوعها بعد واو الحال وهو معدود من مسوغات الابتداء بالنكرة، وأنشدوا:

٤٠٥٨ ـ سَرَيْنَا وَنَجْمٌ قَدْ أَضَاءَ فَمُذْ بَدَا   مُحَيَّاكَ أخْفَى ضَوْؤُهُ كُلَّ شَارِقِ[(١١)]

= الواقعة بعد «لو». وهذا رد من أبي حيان على الزمخشري انظر: البحر المحيط ١٩١/٧ وحاشية الأمير على المغني ٢١٤/١، والأشموني ٤١/٤ والمعاني الكبير لابن قتيبة ٩٢٧ والحيوان ٢٤٠/٥ و ٦/ ٤٣٠ والمغني ٢٧٠ والجنى الداني للمرادي ٢٨١ وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٤٦٨ وتأويل مشكل القرآن له (٦)، واللسان: «زَ نَ مَ»، والدر المصون ٣٤٧/٤. أقول: وقد بنى الزمخشري رأيه السابق على معنى الشرط في «لو».

(١) البيت من بحر البسيط، وقد نسب في المغني بحاشية الأمير لتميم بن مقبل، وقوله: «تَنْبُو الحوادث» تبتعد عنه مصائب الدهر ومشكلاته والشاعر يريد ويتمنى أن يكون الإنسان كالحجر لا يُحسّ بمشاكلَ حوله، والشاهد فيه كسابقه حيث وقع خبر «أنَّ» اسماً جامداً وهو قوله: «حجر» وأن هذه هي الواقعة بعد «لو» وقد روي البيت بالرواية العليا وما أطيب رواية أخرى انظر: ديوان تميم بن مقبل ٣٧٣، والبحر المحيط ١٩١/٧، والأشموني ٤١/٤، وابن يعيش ٨٧/١.

(٢) من الطويل وهو لصخر بن عمرو السُّلَميّ، والقارح: الفرس الذي تمت أسنانه وذلك في الخامسة من عمره، وأخو الحرب المراد به صاحب الحرب، والعدوان: شديد العدو والشاعر يخبر أن كل فرد سيلقى ما قدر له ولا يهرب من مصيره هذا والشاهد فيه كسابقيه في: «فائت الموت» حيث وقع اسم فاعل خبر «أن» الواقعة بعد «لو».

انظر: الأصمعيات ١٤٧ والبحر المحيط ١٩١/٧، واللّسان (عدا) ٢٨٥٤، وابن الناظم ٢٧٨.

(٣) انظر: البحر المحيط لأبي حيان ١٩٠ و ١٩١.

(٤) الدر المصون ٣٤٨/٤.

(٥) الأصح كما في «ب» والدر المصون: (مَنفِيًّا).

(٦) في «ب»: لَفَسِدَ بزيادة لاَم.

(٧) المرجع السابق.

(٨) يقصد به عبد الله بن مسعود وقد عرفت به.

(٩) قراءة شاذة غير متواترة ذكرها ابن جني في المحتسب ١٦٩/٢ وقرأ بها أيضاً ابن مصرف وانظر: البحر المحيط ١٩١/٧.

(١٠) يقصد الوجهين السابقين في كلمة «البحر» المعرفة نفسها وهما وجها الرفع حيث يجوز في «بحر» العطف على محل أَنَّ واسمِهَا، أو الابتداء وما بعده خبر وهو «يمده».

(١١) البيت من الطويل وهو مجهول قائله والشاهد فيه: «ونَجْمٌ قَدْ أضَاء» حيث سوّغ الابتداء بالنكرة ووجه=

وبهذا يظهر فساد قول من قال: إن في هذه القراءة يتعين (القول[١]) بالعطف على «أن» كأنه يوهم أنه ليس ثَمَّ مُسَوِّغ، وقرأ عبد الله وأبيّ «تَمُدُّهُ» بالتأنيث[٢] لأجل «سبعةٍ»[٣] والحَسَنُ، وابن هُرْمُز[٤]، وابن مِصْرِفٍ[٥] «يُمِدُّهُ» بالياء من تحت مضمومة وكسر الميم من أَمَدَّهُ[٦] وقد تقدم اللغتان في آخر[٧] الأعراف وأوائل البقرة[٨]، والألف واللام في البحر لاستغراق الجنس أي (وكل[٩]) بحرٍ مدادٍ.

فصل

المعنى والبحر يمده، أي يَزيدُه، وينصب فيه من بعده أي من بعد خلقه سبعةُ أَبْحُر، وهذا إشارة إلى بحارٍ غير موجودة يعني لو مدت البحار الموجودة سبعة أبحر أخرى، وقوله: «سبعة» ليس لانحصارها في سبعة وإنما الإشارة إلى المدد والكثرة، ولو بألفِ بحْر، وإنما خُصّت السبعةُ بالذكر من بين الأعداد لأنها عدد كثير يحصر المعدود[١٠] في العادة، ويدل على ذلك وجوه:

الأول: أن المعلوم عند كل أحد لحاجته[١١] إليه هو الزمان والمكان فالزمان

= التسويغ أنها ـ أي النكرة ـ وهي نجم ـ واقعة بعد واو الحال.
وانظر: البحر المحيط ٧/١٩١، والمغني ٤٧١، والأشموني ١/٢٠٦، والهمع ١/١٠١، وابن الناظم ٤٥، وابن عقيل ٣٤.

(١) سقط من «ب».
(٢) ذكر هذه القراءة ابن خالويه في مختصره ١١٧ حيث يقول: «والبحر تمده» بالتاء بعضهم وقد نسب أبو حيان في بحره تلك القراءة إلى ابن عباس أيضاً، انظر: البحر المحيط ٧/١٩١.
(٣) أي سبعة أبحر الواردة في الآية الشريفة.
(٤) هو أبو داود الأعرج عبد الرحمن بن هرمز بن الأعرج كان مولى لمحمد بن ربيعة كان أحد القراء عالماً بالعربية، وأعلم الناس بأنساب العرب مات بالإسكندرية سنة ١٧ هـ انظر: نزهة الألباء للأنباري ٩ و ١٠.
(٥) ابن مصرف هو طلحة بن مصرف بن عمرو بن كعب أبو محمد الهمداني الكوفي تابعي كبير، له اختيار في القراءة ينسب إليه أخذ القراءة عن إبراهيم النخعي والأعمش وابن وثاب وعنة ابن أبي ليلى، وعيسى الهمداني، مات سنة ١١٢ هـ انظر: الغاية في طبقات القراء ١/٣٤٣.
(٦) ذكرها ابن جني في محتسبه ٢/١٦٨ وانظر القرطبي ١٤/٧ والبحر المحيط ٧/١٩١.
(٧) عند الآية ٢٠٢ وهي: **﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الغَيِّ ثمّ لاَ يُقْصِرُونَ﴾** قال: إن نافعاً قرأ بضم الياء وكسر الميم من «أمد» والباقون بفتح الياء وضم الميم من «مد» الثلاثي. انظر اللباب ٤/١٧ ب ميكروفيلم.
(٨) عند الآية ١٥ وهي قوله تعالى: **﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِىء بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾** اللباب ١/٤٧ ب ميكروفيلم.
(٩) سقط من «ب».
(١٠) في «ب» المعدودات، وانظر الفخر الرازي ٢٥/١٥٧.
(١١) في «ب» الحاجة إليه.

منحصر في سبعة أيام[١]، ولأن الكواكب السيارة سبعة، والمنجمون ينسبون إليها أموراً فصارت السبعة كالعدد الحاصر للمُكْثراتِ الواقعة في العادة فاستعملت في كُلِّ كَثِيرٍ.

الثاني: أن في السبعة معنًى يخصها ولذلك كانت السماواتُ سبعاً، والأرضينَ سبعاً، (وأبواب[٢] جهنم سبعاً)، وأبواب الجنة ثمانية لأنها الحسنى وزيادة فالزيادة هي الثامن[٣]؛ لأن العرب عند الثامن[٤] يزيدون واواً، يقول الفراء: إنها واو الثمانية وليس ذلك إلا للاستئناف؛ لأن العدد تم بالسبعة. واعلم أن في الكلام اختصاراً تقديره: ولَوْ أَنَّ ما فِي الأَرْضِ من شجرةٍ أقلامٌ والبحر يَمُدُّه مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أبحُرٍ يكتب بها كلام[٥] الله ما نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ.

قوله: «كلمات الله» قال الزمخشري[٦]: فإن قلتَ: الكلماتُ جمعُ قلَّةٍ، والموضع موضع تكثير[٧] فهلا قِيلَ: كَلِمٌ؟[٨] قلتُ: معناه أن كلماته لا يقع[٩] بكتبها البحار فكيف بِكَلِمِهِ، يعني أنه من باب[١٠] التنبيه بطريق الأولى. ورده أبو حيان بأن جمع السلامة متى عرف[١١] «بأل» (غير العهدية[١٢])، أو أضيف عَمَّ). قال شهاب الدين: للناس[١٣] خلاف في «أل» هل تعم أو لا؟ وقد يكون الزمخشري مِمَّنْ لا يرى العموم ولم يزل الناس يشكون[١٤] في بَيْت حَسَّانَ ـ رضي الله عنه ـ:

٤٠٥٩ ـ لَنَا الجَفَنَاتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ بالضُّحَى .... [١٥]

ويقولون: كيف أتى بجمع القلة في مقام المدح ولم لم يقل «الجفان» وهو تقرير

(١) في تفسير الفخر الرازي: «لأن المكان فيه الأجسام، والزمان فيه الأفعال لكن المكان منحصر في سبعة أقاليم والزمان في سبعة أيام...».
(٢) ساقط من «ب».
(٣) في «ب» وزيادة باب هي الثامن.
(٤) انظر في هذا تفسير الفخر الرازي ٢٥/١٥٧ و ١٥٨.
(٥) في «ب» كلمات.
(٦) الكشاف ٣/٢٣٦.
(٧) وفيه موضع التكثير لا التقليل.
(٨) وفيه كلم الله.
(٩) وفيه: لا تفي بكتْبها.
(١٠) الدر المصون ٤/٣٤٩.
(١١) انظر: البحر المحيط ٧/١٩١.
(١٢) ما بين القوسين كله ساقط من «ب» وموجود في البحر.
(١٣) الدر المصون ٤/٣٤٩.
(١٤) في الدر (يسألون).
(١٥) البيت من الطويل وعجزه:

.... وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدةٍ دَمَا

والشاهد فيه: «الجفنات» حيث أتى بأل غير العهدية داخلة على جمع المؤنث المفيد للقلة وهي لا تؤثر بأي حال وهي هكذا على عموم المتكلم فيه وهذا رأى الزمخشري ومن حذا حذوه، وكما قال الرضي: إن الجمع طالما دل على جمع السلامة لا يقيد بقلّة أو كثرة بينما قال سيبويه: وقد يجمعون بالتاء وهم يريدون الكثير انظر: ديوان حسان (١٣١) والرضي ٢/١٩١ والخزانة ٨/١١٦ و ١١٨ والكتاب ٣/٥٧٨ وابن يعيش ٥/١٠ و ١١ والخصائص ٢/٢٠٦ والمقتضب ٢/١٨٦ والحماسة البصرية ٢/١٢.

لما قاله الزمخشري، واعتراف بأن «أل» لا تؤثر في جمع القلة تكثيراً[(١)]. ثم قال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ» أي كامل القدرة لا نهاية لمقدوراته «حَكِيمٌ» كامل العلم لا نهاية لمعلوماته، وهذه الآية على قول عطاء بن يسار مدنية، وعلى قول غيره مكية[(٢)].

قوله: «مَا خَلْقُكُمْ وَلاَ بَعْثُكُمْ إلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ» لما بين كمال قدرته وعلمه ذكر ما يبطل استبعادهم للحشر فقال: «خَلقكم وبعثكم كنفس واحدة»، فقوله: «إلا كَنَفْسٍ» خبر «مَا خَلْقُكُمْ» والتقدير: إلا كَخَلْقِ نفس واحدة وبعثها لا يتعذر عليه شيء «إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ» «سميع» لما يقولون «بصير» بما يعملون فإذا كان قادراً على البعث ومحيطاً بالأقوال والأفعال وجب الاحتراز الكامل، وقوله: «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجِ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ» في النظم وجهان:

الأول: أن الله تعالى لما قال: «ألم تر أن الله سخر لكم ما في السماوات وما في الأرض» على وجه العموم ذكر منها بعض ما فيها على الوجه المخصوص بقوله: «يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ» وقوله: «وسَخَّرَ الشَّمْسَ والقَمَرَ» إشارة إلى ما في السموات.

الثاني: أن الله تعالى لما ذكر البعث فكان من الناس من يقوله: ﴿وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ﴾ [الجاثية: ٢٤] والدهر هو بالليالي والأيام فقال الله تعالى هذه الليالي والأيام التي يَنْسُبون إليها الموت والحياة هي بقدرة الله فقال: ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ثم قال: إن ذلك باختلاف مسير[(٣)] الشمس فتارة تكون القَوْس التي هي[(٤)] فوق الأرض أكبر من التي[(٥)] تحت الأرض فيكون الليل أقصر والنهار أطور وتارة (يكون[(٦)]) العكس (فيكون[(٧)] بالعكس)، وتارة يتساويان (فيتساويان[(٨)]) فقال (تعالى[(٩)]): «وسَخَّرَ الشمس والقمر» يعني إن كنتم لا تعرفون بأن هذه الأشياء كلها من الله فلا بد من الاعتراف بأنها بأسْرِهَا عائدة إلى الله فالآجال إن كانت بالمدَدِ والمدد يسيِّر الكواكب فسير الكواكب ليس إلا بالله وقدرته.

فصل

قال: «يُولج» بصيغة الفعل المستقبل وقال في الشمس والقمر «وسخَّر» بصيغة الماضي؛ لأن إيلاج الليل في النهار أمر يتجدد كل يوم وتسخير الشمس والقمر أمر مستمر كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩] وقال ههنا: «إلى أَجَلٍ» وفي

---

(١) الدر المصون ٤/ ٣٥٠.

(٢) انظر: زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٦/ ٣١٤ والجامع في أحكام القرآن للقرطبي ١٤/ ٥٠.

(٣) في «ب» تسيير.

(٤) في «ب» الذي هو فوق الأرض.

(٥) وفيها «الذي».

(٦) ساقط من «ب».

(٧) كذلك.

(٨) كذلك.

(٩) زيادة من «أ» هنا.

الزمر[(١)] «لأَجَلٍ»؛ لأن المعنيين لائقان بالحرفين فلا عليك في أيهما وقَعَ. قال الأكثرون: هذا خطاب للنبي ـ عليه[(٢)] السلام ـ والمؤمنين، وقيل: عام، ثم قال: «وأنَّ الله بِمَا تَعْملونَ خَبيرٌ» أي لما كان الليلُ والنهارُ محلَّ الأفعال بين أن ما يقع في هذين الزمانين اللذين هما بتصرف الله لا يخفى على الله، وقرأ أبو عمرو في رواية ـ «وأنَّ اللَّهَ بِمَا يَعملون»[(٣)] ـ بياء الغيبة، والباقون بتاء الخطاب. قوله: «ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الحَقُّ» أي ذلك الذي ذكرت، لتعلموا أن الله هو الحق «وأنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِه البَاطِلُ» أي الزائل يقال: بطل ظله، إذا زال «وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ العَلِيُّ» أي في ذاته.

قوله: «أَلَمْ تَرَ أَنَّ الفُلْكَ تَجْرِي فِي البَحْرِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ» لما قال ألم تر أن الله يولج الليل في النهار وسخر الشمس والقمر ذكر آية سماويةً وأشار إلى السبب والمسبِّب ذكر بعده آية أرضية وأشار إلى السبب والمسبب بقوله: «أَلَمْ تَرَ أَنَّ الفُلْكَ تَجْرِي فِي البَحْرِ»، وقوله: «بِنِعْمَةِ اللَّهِ» أي الريح التي هي بأمر الله «لِيُرِيكُمْ مِنْ آيَاتِهِ» يعني يريكم بإجرائها[(٤)] «بِنِعْمَةِ اللَّهِ» بعض آياته وعجائبه «إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ» على أمر الله «شَكُور» على نعمه.

قوله: «وَإِذَا غَشِيَهُمْ موجٌ كَالظُّلَلِ» لما قال: إنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكلّ صَبَّارٍ ذكر أن الكُلَّ معترف به غير أن البصير يدركه أولاً ومن في بصيرته ضعف لا يُدْرِكُه أولاً فإذا غَشِيَه موج ووقع في شدة اعترف بأن الكل للَّه[(٥)] ودعاه مخلصاً. وقوله: «كالظلل» قال مقاتل: كالجبال[(٦)]، وقال الكلبي[(٧)]: كالسحاب. والظلل جمع الظُّلَةِ شبه بها الموج في كثرتها وارتفاعها[(٨)]، وجعل الموج وهو واحد كالظُّلَلِ وهو جمع لأن الموج[(٩)] يأتي منه شيء بعد شيء وقوله: دَعَوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ» أي يتركون كل من دعوهم «فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى البَرِّ» أي نجاهم[(١٠)] من تلك الشدة فمنهم من يبقى على تلك الحالة ووصفهم بقوله: «فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ» أي عدل موف في البر بما عاهَدَ[(١١)] اللَّهَ عليه في البحر من التوحيد له يعني على إيمانه. قيل: نزلت في عكرمةَ بْنِ أبي جهل هَرَبَ عام الفتح في البحر فجاءهم ريح عاصف فقال عكرمةُ: لئن أنجاني[(١٢)] الله من هذا الأمر لأرجعن إلى محمد ولأضع[(١٣)]

---

(١) هي الآية ٥ من الزمر ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ والقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى﴾.
(٢) في «ب» ﷺ.
(٣) انظر: الإتحاف ٣٥٠، والسبعة ٥١٤ ومختصر ابن خالويه ١١٧.
(٤) في «ب» من إجرائها.
(٥) في «ب» الكل من الله.
(٦) القرطبي ١٤/ ٨٠.
(٧) القرطبي ١٤/ ٨٠.
(٨) المرجع السابق.
(٩) انظر: التفسير الكبير للفخر الرازي ٢٥/ ١٦٢ بالمعنى منه.
(١٠) في «ب» أنجاهم.
(١١) في «ب» بما عاهده الله.
(١٢) في «ب» أنْجَانَا.
(١٣) في «ب» ولأضعن.

يَدِي في يده. فسكنت الريح فرجع عكرمة إلى مكة فأسلم وحسن إسلامه[(١)]، وقال مجاهد: مقتصد[(٢)] في القول أي من الكفار لأن منهم من كان أشد قولاً من بعض.

فإن قيل: ما الحكمة في قوله في العنكبوت: «فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إلى البر إذَا هُمْ يُشْرِكُون» وقال ههنا: «فلَمّا نَجَّاهُمْ إلى البَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ»؟!.

فالجواب: لما ذكر ههنا أمراً عظيماً وهو الموج الذي كالجبال بقي أثر ذلك في قلوبهم فخرج منهم مقتصد أي في الكفر وهو الذي انزجر بعض الانزجار[(٣)]، ومقتصد في الإخلاص فيبقي معه شيء منه ولم يبق على ما كان عليه من الإخلاص، وهناك لم يذكر مع ركوب البحر معانيه مثل ذلك الأمر فذكر إشراكهم حيث لم يبق عندهم أثر.

قوله: «وَمَا يَجْحَدُ بآيَاتِنَا» في مقابلة قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآياتٍ﴾ يعني يعترف بها الصبار والشكور، ويجحدها الخَتَّارُ الكفور فالصَّبَّار في موازنة الختار لفظاً ومعنى، والكفور في موازنة الشكور أمَّا لفظاً فظاهر، وأما معنى فلأن الختار هو الغدار الكثير الغدر، أو شديد الغدر مثال مبالغة من الخَتْر وهو أشد الغدر (قال الأعشى):

٤٠٦٠ ـ بِأَبْلَقِ الفَرْدِ مِنْ تَيْمَاءَ مَنْزِلُهُ حِصْنٌ حَصِينٌ وجارٌ غَيْرُ خَتَّارِ[(٤)]

وقال عمرو بن معديكرب:

٤٠٦١ ـ فَإنَّكَ لَوْ رأيْتَ أَبَا عَمْرٍو مَلأتَ يَدَيْكَ مِنْ غَدْرٍ وَخَتْرِ[(٥)]

وقالوا: «إنْ مَدَدَتْ لَنَا يَداً مِنْ غَدْرٍ مَدَدْنَا لَكَ بَاعاً مِنْ خَتر»[(٦)] والغدر لا يكون إلا من قلة الصبر لأن الصبور إن لم يعقدْ مع أحد لا يُعْهَدُ منه الإضرار فإنه يصبر ويفوض الأمر إلى الله، وأما الغدار فيعاهدك ولا يصبر على العهد[(٧)] فينقضه وأما أن الكفور في مقابلة الشكور معنى ظاهر.

---

(١) نقله ابن الجوزي في زاد المسير ٦/٣٢٨. (٢) انظر: القرطبي ١٤/ ٨٠.

(٣) في «ب» بعض انزجاره.

(٤) هو له كما أخبر أعلى من البسيط والرواية في اللسان والقرطبي: «بالأَبْلَق» وهو قصر السموءل بن عادياء. وتيماء: موضع ورواية القافية في الديوان: «غير غدار» بدل من ختار محل الشاهد حيث جيء به استدلالاً على أن الختر هو أشد الغدر وأفظعه وانظر مجاز القرآن ٢/ ٢٩ والقرطبي ١٤/ ٨٠ ولسان العرب: «ت ي م» ٤٦٢ و «ب ل ق» وديوانه ٦٩، وانظر كذلك صحاح الجوهرة: «خَ تَ رَ».

(٥) من الوافر له والأصح: أَبَا عُمَيْرٍ «بدل من عَمْرٍو» حتى يتسنى الوزن والغدر: غير الختر بدليل عطف الختر عليه وقيل: هما بمعنًى. والشاهد فيه كسابقه حيث تعني كلمة «الختر» أشد الغدر وأسوأه. وانظر البيت في مجاز القرآن ٢/ ١٢٩ والقرطبي ١٤/ ٨٠ والبحر المحيط ٧/ ١٨٢ والطبري ٢١/ ٤ والكشاف ٣/ ٢٣٨ وتفسير ابن كثير ٣/ ٤٥٣، ومجمع البيان للطبرسي ٧/ ٥٠٥ وديوانه (١٠٩).

(٦) ذكر هذا الخبر ابن منظور في اللسان: «خ ت ر» ١٠٩٩ بصيغة: «لَنْ تَمُدَّ لَنَا شِبْراً مِنْ غدر إلاَّ مَدَدْنَا لَكَ بَاعاً مِنْ خَتْرٍ».

(٧) في «ب» الغدر.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ (٣٣) إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (٣٤)﴾

قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ لما ذكر الدلائل من أول السورة إلى آخرها وعظ بالتقوى فقال: «يَأَيُّها النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ واخْشَوا يَوْماً لا يَجْزِي» لا يقضي، ولا يغني «وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلاَ مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئاً». قال ابن عباس: كل امرىء تهمه نفسه، واعلم أنه تعالى ذكر شخصين في غاية الشفقة والحنان والحُنُوّ وهو الوالد والولد، فاستدل بالأولى على الأعلى فذكر الوالد والولد جميعاً لأن من الأمور ما يبادر الأب إلى تحمُّلِهِ عن الولد كدَفْع المال، وتَحَمُّل الآلام والولد لا يبادر إلى تحمله عن الوالد (مثل[١] ما يبادر الوالد إلى تحمله عن الولد)، ومنها ما يبادر الولد إليه كالإهانة فإن من يريد (إحضار[٢]) والد آخر عند والٍ[٣] أو قاضٍ يهُونُ على الابن أن يدفع الإهانة عن والده ويحضر هو بدله وإذا انتهى الأمر إلى الإيلام يهون على الأب أن يدفع الألم عن ابنه ويتحمله هو بنفسه[٤]. فقوله: «لا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ» في دفع الآلام «وَلاَ مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئاً» في دفع الإهانة ثم قال: «إنَّ وعْدَ اللَّهِ حَقٌّ» أي إن هذا اليوم الذي هذا شأنه هو كائن لأن الله وعد به ووعده حق، وقيل: وعد الله حق بأنه لا يجزي والدٌ عن ولده لأنه وعد بأن لا تَزِر وازرةٌ وزر أخرى ووعد الله حق «فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا» أي لا تغتروا بالدنيا[٥] فإنها زائلة لوقوع اليوم المذكور بالوعد الحق.

«وَلاَ يَغُرَّنَّكُمْ باللَّهِ الغَرُورُ» يعني الشيطان يزين في عينه الدنيا ويؤمله يقول: إنك تحصل بها الآخرة أو تلتذ بها ثم تتوب فَتَجْتَمِع[٦] لك الدنيا والآخرة فنهاهم عن الأمرين.

قوله: «وَلاَ مَوْلُودٌ» جوزوا فيه وجهين:

أحدهما: أنه مبتدأ[٧]، وما بعده الخبر.

والثاني: أنه معطوف على «وَالِدٌ» وتكون[٨] الجملة صفة له. وفيه إشكال وهو أنه

---

(١) ساقط من «ب» وانظر في هذا تفسير الإمام فخر الدين الرازي ٢٥/١٦٣.

(٢) سقط من «ب».

(٣) في «ب» عند قاضٍ أو والٍ بتقديم أحدهما على الآخر.

(٤) في «ب» هو عن نفسه.

(٥) في «ب» لا تغروا بالدنيا.

(٦) في «ب» فتجمع.

(٧) انظر: التبيان ١٠٤٦ والبحر المحيط ٧/ ١٩٤.

(٨) المرجعان السابقان والبيان لابن الأنباري ٢/ ٢٥٧.

نفى عنه أن يَجْزِي ثم وصفه بأنه جازٍ، وقد يجاب عنه: بأنه وإن كان جازياً عنه في الدنيا فليس جازياً عنه يوم القيامة، (فالحالان)[١] باعتبار زمنين[٢]. وقد منع المَهْدَوِيُّ[٣] أن يكون مبتدأ، قال لأن الجملةَ بعده صفة له فيبقى بلا خبر، ولا مسوغ غير الوصف[٤]، وهو سهو لأن النكرة متى اعتمدت على نفي سَاغَ الابتداء بها، وهذا من أشهر مسوغاته، وقال الزمخشري: فإن[٥] قلت: (قوله[٦]) «وَلاَ مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئاً» هو وارد على طريق من التوكيد لم يرد عليه ما هو معطوف عليه قلتُ: الأمر كذلك لأن الجملة الاسمية آكد من الفعلية، وقد انضم إلى ذلك قوله: «هُو» وقوله: «مَوْلُودٌ» قال: ومعنى التوكيد في لفظِ المولود أن الواحد منهم لو شفع للوالد الأدنى الذي ولد منه لم يقبل منه، فضلاً أن يشفع لمن فوقه مِنَ أجداده؛ لأن الولد يقع[٧] على الولد وولد الولد بخلاف المولود فإنه الذي ولد منك قال: والسبب في مجيئه على هذا السَّنَنِ أن الخطابَ للمؤمنين وعلْيتهِمْ قبض آباؤهم في الكفر فأريد حسم[٨] أَطْمَاعِهِمْ وأطماع الناس فيهم. والجملة من قوله «لاَ يَجْزِي» صفة (ليوم)، والعائد محذوف أي (فِيهِ) فحذف برُمَّته أو على التدريج، وقرأ عكرمة «لاَ يُجْزَى» مبنياً[٩] للمفعول، وأَبُو السَّمَّالِ[١٠] وأبو السوّار[١١] لا يُجْزىء بالهمز[١٢] من «أَجْزَأَ عَنْهُ» أي أغنى، وقوله «شيئاً» منصوب على المصدر وهو من الإعمال، لأن «يَجْزِي» و «جَازٍ» يَطْلُبَانِهِ، والعامل «جَازٍ» على ما هو المختار للحذف من الأول[١٣].

قوله: «فَلاَ تَغُرَّنَكُمْ» العامة على تشديد النون، وابنُ أبي إسْحَاق وابنُ أبي عَبْلَةَ

---

(١) سقط من «ب».

(٢) في «ب» زمن معين وانظر: الدر المصون ٤/ ٣٥١.

(٣) سبق التعريف به.

(٤) البحر ٧/ ١٩٤.

(٥) الكشاف ٣/ ٢٣٨.

(٦) ساقط من «ب» وهي في المرجع السابق.

(٧) في «ب» لأن الوالد ينتفع الولد وهذا تحريف وخطأ وبخلاف ما في الكشاف المرجع المعول عليه.

(٨) بالمعنى من كشاف الزمخشري المرجع السابق ٣/ ٢٣٨.

(٩) ذكر هذه القراءة أبو حيان في بحره ٧/ ١٩٤.

(١٠) أبو السَّمَّال: قَعْنَب بن أبي قعنب أبو السّمال العدويّ البصري له اختيار في القراءة شاذّ عَن العامة رواه عنه أبو زيد سعيد بن أوس وهشام البربري.
انظر: غاية النهاية في طبقات القراء ٢/ ٢٧.

(١١) لم أتوصل إلى ترجمته وقد أسماه ابن خالويه في مختصره «أبو السَّرَّار». انظر: مختصر ابن خالويه ١١٧.

(١٢) مختصر ابن خالويه وشواذ القرآن ١٩١.

(١٣) ذكره أبو حيان في البحر ٧/ ١٩٤.

ويعقوبُ بالتخفيف[(١)] وسَمَّاك بنُ حَرْبٍ[(٢)] «الغُرُور»[(٣)] - بالضم - وهو[(٤)] مصدر، والعامة بالفتح صفة مبالغة كَشَكُورٍ وفسر بالشيطان على أنه يجوز أن يكون المضموم مصدراً واقعاً وصفاً للشيطان.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهِ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ...﴾ الآية، نزلت في الوارثِ[(٥)] بن حارثَة محارب بن خصفة أتى النبي - ﷺ - من البادية فسأله عن الساعة ووقتها، وقال إن أرضنا أَجْدَبَتْ فمتى ينزل الغيث؟ وتركت امرأتي حُبْلَى فمتى تلد؟ وقد علمت أَيْنَ ولدت فبأي أرض أموت؟ فأنزل الله هذه الآية روي أن النبي - ﷺ - قال: «مَفَاتِيحُ الغَيْبِ خَمْسٌ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ علمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرحَام وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ»[(٦)]. قال ابن الخطيب: قال بعض المفسِّرينَ: إن الله تَعالى نفى (علم[(٧)]) أمور خمسة عن غيره بهذه الآية وهو كذلك لكن المقصودَ ليس ذلك لأن اللَّهَ يعلمُ الجوهر الفرد والطوفان وتقلب الريح من المشرِق إلى المغرب كَمْ مرةً ويعلم أين هُوَ ولا يعلمه غيره ويعلم أنه (ذَرَّهُ[(٨)]) في بَرِيَّة لا يسلكها أحد ولا يعلمها غيره فلا وجه لاختصاص هذه الأشياء بالذكر وإنَّ الحق فيه أن نقول لما قال: اخْشَوا يوماً لا يَجْزِي والد عن ولده وذكر أنه كائن بقوله: «إن وعد الله حق» كأن قائلاً قال: فمَتَى يكون هذا اليوم؟ فأجيب بأن هذا العلم مما لَمْ يَحْصُل لغير الله ولكن هو كائن[(٩)].

قوله: «مَاذَا تَكْسِبُ» يجوز أن تكون «ما» استفهامية فتعلق الدراية، وأن تكونَ موصولة فينتصب[(١٠)] بها، وقد تقدم حكم «مَاذَا» أول الكتاب وتكرر في غُضونِهِ.

قوله: «بأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ» «بأَيِّ أَرْض» متعلق «بتَمُوتُ» وهو متعلق للدراية فهو في محل نَصْبٍ، وقرأ أُبَيُّ بن كعب وموسى[(١١)] الأهوازيّ «بأية أرض» على تأنيثها[(١٢)]، وهي

(١) في «ب» بالخفيفة أي بالنون الخفيفة. وانظر هذه القراءة في البحر ٧/ ١٩٤ والدر المصون ٤/ ٣٥٢.
(٢) سَمَّاك بن حرب بن أوس البكري الذُّهَلِيّ أبو المغيرة الكوفي أحد الأعلام التابعين عن جابر بن سَمُرَة، والنعمان بن بشير له نَحو مائتي حديث.
انظر: خلاصة الكمال ١٥٥ و ١٥٦ وقد مات سنة ١٢٣ هـ.
(٣) ذكر هذه القراءة ابن جني في المحتسب ٢/ ١٧٢.
(٤) البحر المحيط ٧/ ١٩٤.
(٥) انظر: الكشاف ٣/ ٢٣٨ والقرطبي ١٤/ ٨٣ وزاد المسير ٦/ ٣٢٩ و ٣٣٠.
(٦) الحديث رواه الإمام البخاري ٣/ ١٧٤ و١٧٥ عن ابن عمر، وانظر مسند الإمام أحمد ٢/ ٢٤، ٥٢، ٥٨.
(٧) ساقط من «ب». (٨) ساقط من «ب».
(٩) انظر: تفسير الفخر الرازي ٢٥/ ١٦٤. (١٠) ذكره ابن الأنباري في البيان ٢/ ٢٥٧.
(١١) لم أقف عليه. (١٢) نقلها ابن خالويه في المختصر ١١٧.

لغة ضعيفة كتأنيث «كُلّ» حيث قالوا: كُلُّهُنَّ (فَعَلْنَ[١] ذَلِكَ) والمشهور بأيِّ أرض؛ لأن الأرض ليس فيها من علامات التأنيث شيء، وقيل: أراد بالأرض المكان. نقله البغوي[٢] والباطن فيه بمعنى في أي (في[٣]) أرضٍ نحو: زَيْدٌ بِمَكَّةَ أي فيها، ثم قال: «إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ» لما خصص أولاً علمه بالأشياء المذكورة بقوله: «إن الله عنده علم الساعة» ذكر أن علمه غير مختصّ بل هو عليم مطلقاً بكل شيء وليس علمه بظاهر الأشياء فقط بل هو خبير بظواهر الأشياء وبواطنها.

روى الثعلبي عن أُبَيِّ بن كعب قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ لُقْمَان كان له لقمانُ رفيقاً يوم القيامة وأعْطِيَ من الحسنات عشراً بعدد من عَمِلَ بالمعروف ونَهَى عن المنكر»[٤].

---

(١) زيادة يقتضيها السياق من البحر المحيط ٧/ ١٩٥ والكشاف ٣/ ٢٣٨.

(٢) البغوي: الإمام الحافظ الفقيه المجتهد أبو محمد الحسين بن مسعود الشافعي صاحب معالم التنزيل وشرح السنة وغير ذلك. انظر: تذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٥٧. وانظر القرطبي ١٤/ ٨٣.

(٣) زيادة من «ب».

(٤) الكشاف ٣/ ٢٣٩.

سورة السجدة

مكية[1]، وهي ثلاثٌ وثلاثونَ آية وستمائة وثمانون كلمةً، وألف وخمسمائة وثمانية عشر حرفاً.

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝٣ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٤ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝٩ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ۝١٠ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ۝١١ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ۝١٢﴾

قوله تعالى: «الٓمٓ. تَنزِيلُ الكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ».

في «تنزيل» خمسة أوجه:

أحدها: أنه خبر «الٓمٓ»[2]، (لأن الٓمٓ)[3] يراد به السورة وبعض القرآن، و «تَنْزِيلُ» بمعنى منزل، والجملة من قوله: «لاَ رَيْبَ فِيهِ» حال من «الكِتَابِ». والعامل فيها «تَنْزِيلُ»

(۱) هذا بإجماعهم. وقد نقل ابن الجوزي في زاد المسير أن الكلبي قال: فيها من المدني ثلاثُ آيات.
وقال مقاتل: فيها آية مدنية، وقال غيرهما: فيها خمس آيات مدنيات، وانظر: زاد المسير ٦/ ٣٣٢.

(۲) نقله صاحب التبيان ١٠٤٧. (٣) ساقط من «ب»

لأنه مصدر. و «مِنْ رَبِّ» متعلق به أيضاً. ويجوز أن يكون حالاً من الضمير في «فِيهِ»؛ لوقوعه خبراً، والعامل فيه الظرف، أو الاستقرار[١].

الثاني: أن يكون «تَنْزِيلُ» مبتدأ و «لا ريب فيه» خبره[٢]. «وَمِنْ رَبِّ» حال من الضمير في «فيه» ولا يجوز حينئذ أن يتعلق بـ «تنزيل»؛ لأن المصدر قد أخبر عنه فلا يعمل. ومن يتسع في الجار لا يبالي بذلك[٣].

الثالث: أن يكون «تنزيل» مبتدأ أيضاً و «من رب» خبره، و «لا ريب» حال أو مُعْتَرِض[٤].

الرابع: أن يكون «لا ريب» و «من رب العالمين» خبرين لـ «تَنْزِيلُ»[٥].

الخامس: أن يكون «تَنْزِيلُ» خبر مبتدأ[٦] (مضمر)[٧]، وكذلك «لا ريب»، وكذلك «من رَب» فتكون كل جملة مستقلة برأسها.

ويجوز أن يكونا حالين من «تنزيل»، وأن يكون «من رب» هو الحال و «لا ريب» معترض[٨] وأول البقرة مرشد لهذا.

وجوز ابن عطية[٩] أي يكون «مَنْ رَبِّ العالمين» متعلقاً بـ «تنزيل». قال: على التقديم والتأخير. ورده أبو حيان: بأنا إذا قلنا: «لاَ رَيْبَ فيه» اعتراض لم يكن تقديماً وتأخيراً بل لو تأخر لم يكن اعتراضاً[١٠]. وجوز أيضاً أن يكون متعلقاً بلا ريب فيه من جهة رب العالمين وإن وقع شك الكفرة فذاك لا يراعى[١١]، قال مقاتل: لا شك فيه أنه تنزيل من رب العالمين[١٢].

قوله: «أَمْ يَقُولُونَ» هي المنقطعة، والإضراب للانتقال لا للإبطال، وقيل: الميم صلة أي أَيَقُولُونَ افْتَرَاهُ.

وقيل: فيه إضمار مجازه فهل يؤمنون أم يقولون افتراه. وقوله: «بَلْ هُوَ الحَقُّ» إضراب ثانٍ ولو قيل: بأنه إضرابُ إبطالٍ لنفس «افتراه» وحده لكان صواباً وعلى هذا يقال: كل ما في القرآن إضراب وهو انتقال إلا هذا فإنه يجوز أن يكون إبطالاً لأنه إبطال لقولهم، أي ليس هو كما قالوا مُفْتَرَى بل هو الحق. وفي كلام الزَّمَخْشَرِي ما يرشد إلى[١٣] هذا فإنه قال: والضمير

---

(١) المرجع السابق.

(٢) السابق وانظر أيضاً البيان ٢/ ٢٥٨ ومشكل إعراب القرآن ٢/ ١٨٦.

(٣) الدر المصون ٤/ ٣٥٣.

(٤) التبيان السابق. والبحر ٧/ ١٩٦.

(٥) الدر والتبيان السابقين.

(٦) البيان والمشكل السابقين.

(٧) ساقط من «ب».

(٨) نقله في الدر المصون ٤/ ٣٥٣.

(٩) فيما نقله عنه أبو حيان في البحر ٧/ ١٩٦.

(١٠) المرجع السابق.

(١١) البحر المحيط ٧/ ١٩٦.

(١٢) فليس بسحرٍ ولا حصانةٍ ولا أساطيرِ الأولين. انظر: القرطبي ١٤/ ٨٥.

(١٣) نقله في الدر المصون ٤/ ٣٥٣ و ٣٥٤.

في «فيه» راجعٌ إلى مضمون الجملة[١] كأنه قيل لا ريبَ في ذلك أي في كونه من رب العالمين ويشهد لواجهته[٢]: «أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ»؛ لأن قولهم مفترًى إنكار لأن يكون من رب العالمين وكذلك قوله: «بَلْ هُوَ الحَقُّ مِنْ رَبِّكَ» وما فيه من تقرير أنه من الله وهذا أسلوب صحيحٌ محكَمٌ[٣].

قوله: «مِنْ رَبِّكَ» حال من «الحَقّ» والعامل فيه محذوف على القاعدة وهو العامل في «لِتُنْذِرَ» ويجوز أن يكون العامل في: «لتنذر» غيره أي أنْزَلَهُ لِتُنْذِرَ.

قوله: «قَوْماً مَا أَتَاهُمْ» الظاهر أن المفعول الثاني للإنذار محذوف، و «قوماً» هو الأول، إذ التقدير: لتنذر قوماً العقابَ و «مَا أَتَاهُمْ» جملة منفية في محل نصب صفة «لقوماً» يريد الذين في الفترة[٤] بين عيسى ومحمد عليهما السلام. وجعله الزمخشري[٥] كقوله: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ [يس: ٦] فعلى هذا يكون «من نذير» هو فاعل «أَتَاهُمْ» و «من» مزيدة فيه و «مِنْ قَبْلِكَ» صفة «لِنَذير»، ويجوز أن يتعلق «مِنْ قَبْلِكَ» «بأَتَاهُمْ». وجوز أبو حيان[٦] أن تكون «ما» موصولة في الموضعين والتقدير: لتنذر قوماً العقاب الذي أتاهم من نذير من قبلك و «مِنْ نَذِيرٍ» متعلق «بأَتَاهُمْ» أي أتاهم على لسان نذير من قبلك وكذلك «لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم» أي العقاب الذي أنذرَهُ آباؤُهُمْ، «فما» مفعولة في الموضعين، و «أنذر» يتعدى إلى اثنين قال الله تعالى: ﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً﴾ [فصلت: ١٣] وهذا القول جارٍ على ظواهر القرآن قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤] ﴿أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾ [المائدة: ١٩] وهذا الذي قال ظاهر، ويظهر أن في الآية الأخرى وجهاً آخر وهو أن تكون «ما» مصدرية تقديره لتنذر قوماً إنذار آبائهم لأن الرسل كُلَّهُمْ متفقون[٧] على كلمة الحق.

فصل

المعنى بل هو يعني القرآن الحق من ربك لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبْلِكَ. قال قتادة: كانوا أمةً لم يأتهم نذير قبل محمد ـ ﷺ ـ (قال ابن عباس[٨] ومقاتل: ذاك في الفترة التي كانت بين عيسى ومحمد ـ ﷺ ـ) «لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ».

قوله: «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ والأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّام» لما ذكر الرسالة، وبين ما على الرسول من الدعاء إلى التوحيد وإقامة الدليل فقال: «خَلَقَ السَّمَاوَاتِ والأَرْضَ»، (واللَّهُ[٩] مبتدأ، وخبره «الَّذِي خَلَقَ» يعني الله هو الذي خلق

(١) الكشاف ٣/ ٢٤٠.
(٢) في الكشاف: ويشهد لوجاهته قوله. وهو الأصح.
(٣) المرجع السابق.
(٤) القرطبي ١٤/ ١٥.
(٥) الكشاف ٣/ ٢٤٠.
(٦) البحر المحيط ٧/ ١٩٧.
(٧) في «ب» كلهم متفقة.
(٨) ساقط من «ب» وانظر: القرطبي ١٤/ ٨٥.
(٩) ساقط من «ب».

السموات) ولم يخلقها إلا واحد فلا إله إلا واحدٌ. وقد تقدم الكلام في معنى قوله: «ستة[١] أيام».

قوله: «ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ» اختلف[٢] العلماء في هذه الآية ونظائرها على قولين:

أحدهما: ترك التعرض إلى بيان المراد.

والثاني: التعرض إليه. والأول أسلم؛ لأن صفة الاستواء مما لا يجب العلم بها فمن لم يتعرض إليه لم يترك واجباً ومن تعرض إليه فقد يخطر فيعتقد خلاف ما هو عليه فالأول غاية ما يلزمه أنه لا يعلم، والثاني يكاد يقع في أن يكون جاهلاً وعدم العلم والجهل المركب كالسكوت والكذب ولا شك أن السكوتَ خير من الكذب وأيضاً فإنه أقرب إلى الحكمة لأن من يطالع كتاباً صنفه إنسانٌ وكتب له شرحاً والشارحُ دون المصنِّف فالظاهر أنه لا يأتي على جميع ما أتى عليه المصنف ولهذا كثيراً ما نرى أن الإنسان يورد الإشكالات على المصنِّف المتقدم ثم يجيء من ينصر كلام المصنِّفِ ويقول: لم يرد المصنف هذا وإنما أراد كذا وكذا، وإذا كان حال الكتب الحادثة التي تكتب من علم قاصر هكذا فما ظنك بالكتاب العظيم الذي فيه كل حكمة كيف يجوزُ أن يدعي جاهلٌ أني علمت كل سر في هذا الكتاب؟ فلو ادعى عالم أني علمت كل سر وكل فائدة يشتمل عليها الكتاب الفُلاَنِيّ يستقبح منه ذلك فكيف من يدعي أنه علم كل ما في كتاب الله[٣]؟

(وَلَيْسَ لقائلٍ أن يقول: بأن الله بين كل[٤] ما أنزله)؛ لأن تأخير البيان إلى وقت الحاجة جائز. ولعلَّ في القرآن ما لا يحتاج إليه أحد غيرَ نبيه فبين[٥] له لا لغيره.

وإذا ثبت هذا علم أن في القرآن ما لا يعلم، وهذا أقرب إلى ذلك (الذي)[٦] لا يعلم للتشابه البالغ الذي فيه[٧]. قوله: «مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وليٍّ ولا شَفِيع أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ». لما ذكر أن الله خالق السموات والأرض قال بعضهم: نحن معترفون بأن خالق السموات والأرض واحد هو إله السموات والأرض وهذه الأصنام صور كواكب منها نصرتنا وقوتنا.

وقال آخرون: هذه صور ملائكة شفعاء لنا عند الله، فقال تعالى: لاَ إله غير[٨] الله،

---

(١) أي إلى ستة أحوال في نظر الناظرين وذلك لأن السموات والأرض وما بينهما ثلاثة أشياء ولكل واحد منها ذات وصفة ونظراً إلى خلقه ذات السموات حالة، ونظراً إلى خلقه صفاتها أخرى، ونظراً إلى ذات الأرض وإلى صفاتها كذلك، ونظراً إلى ذوات ما بينهما وإلى صفاتها كذلك فهي ستة أشياء على ستة أحوال. وانظر: اللباب ٣/ ١٢٧ ب، وسورة الأعراف الآية ٥٤.

(٢) انظر: التفسير الكبير للإمام الفخر ٢٥/ ١٦٧ و١٦٨.

(٣) المرجع السابق.

(٤) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٥) في «ب» فبُيّن بالمضارع.

(٦) ساقط من «ب».

(٧) تفسير الرازي ٢٥/ ١٦٩.

(٨) في «ب» إلاّ الله.

ولا نصرة من غير الله، ولا شفاعة[١] إلا بإذن الله فعبادتكم لهذه الأصنام باطلة ضائعة.

ثم قال: «أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ» ما علمتموه من أنه خالق السموات والأرض، وخالق لهذه الأجسام العِظَام، لا يقدر[٢] عليه مثل هذه الأصنام حتى ينصروكم وتكون لها[٣] شفاعة.

قوله: «يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ» لما بين الخلق بين الأمر كما قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] يحكم الأمر، وينزل القضاء، والقدر من السماء إلى الأرض. وقيل: ينزل الوحي مع جبريل ـ عليه السلام ـ بالأمر[٤].

قوله: «ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ» العامة على بنائه للفاعل. وابن أبي عبلة على بنائه للمفعول[٥]. والأصل يعْرُجُ بِهِ، ثم حذف الجار فارتفع الضمير واستتر. وهو شاذ[٦] يصلح لتوجيه مثلها، والمعنى: أن أمره ينزل من السماء على عباده ويعرج إليه أعمالهم الصالحة الصادرة على موافقة ذلك الأمر[٧].

قوله: «فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ» (أي في يوم[٨] واحد يعني نزول وعروج العمل في مسافة ألفَ سنة مِمَّا تَعُدُّونَ)، وهو بين السماء والأرض فإن مسافته خمْسُمِائَةِ سنةٍ (فينزل[٩] في مسيرة خمسمائة سنة ويعرج في خمسمائة سنة فهو مقدار ألف سنة) يقول لو سار أحد من بني آدم لم يقطعه إلا في ألف سنة والملائكة يقطعونه في يوم واحد هذا في وصف عروج الملائكة[١٠] من الأرض إلى السماء وأما قوله: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤] أراد مدة المسافة من الأرض إلى سدرة المنتهى التي هي مقام جبريل ـ عليه السلام ـ يسير جبريل والملائكة الذين معه من أهل مقامه مسيرةَ خَمْسِين ألف سنة في يوم واحد من أيام الدنيا. قاله مجاهد[١١] والضحاك، وقيل: إن ذلك[١٢] إشارة إلى امتداد نفاذ الأمر وذلك لأن من نفذ أمره غَايَةَ النَّفاذِ في يوم أو يومين وانقطع لا يكون مثل من ينفذ أمره في سنينَ متطاولةٍ، فقوله: «فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ»، يعني يدبر الأمر في زمان يوم منه ألف سنة فكم يكون شهر منهُ (وكَمْ تكونُ سنة)[١٣] منه وكم يكون دهر منه، وعلى هذا فلا فرق بين هذا وبين قوله: «مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ» لأن ذلك (إذا كان إشارة[١٤] إلى دوام إنفاذ الأمر،

---

(١) وفيها: إذ لا شفاعة.
(٢) في «ب»: لا قدرة لهذه الأصنام.
(٣) في «ب»: فكيف ينصرونكم ويكونون لكم شفعاء.
(٤) وانظر في هذا كله الرازي ٢٥/١٦٩ و ١٧١ و ١٧٢.
(٥) وهي قراءة معاذ القارىء وابن السميقع أيضاً. وانظر: زاد المسير ٦/ ٣٣٤ والكشاف ٣/ ٢٤٠.
(٦) نقله صاحب الدر المصون ٤/ ٣٥٥.
(٧) وانظر: الرازي السابق ٢٥/ ١٧٢.
(٨) ساقط من «ب».
(٩) ساقط من «ب» كذلك.
(١٠) في «ب» الملك بصيغة الإفراد.
(١١) القرطبي ١٤/٨٩.
(١٢) التفسير الكبير ٢٥/ ١٧٢.
(١٣) ساقط من «ب».
(١٤) ساقط من «ب»

فسواء يُعَبَّر بألفِ سنةٍ أو بخمسينَ ألفَ سنةٍ) لا يتفاوت إلا أن المبالغة بالخمسين أكثر، وسيأتي بيان فائدتها في موضعها إن شاء الله تعالى. وقيل: ألفُ سنة وخمسونَ ألفَ سنةٍ كلها في القمة[١] يكون على بعضهم أطول[٢]، وعلى بعضهم أقصر معناه يدبر الأمر من السماء إلى الأرض مدة أيام الدنيا ثم يعرج أي يرجع الأمر والتدبير إليه بعد فناء الدنيا وانقطاع أمر الأمراء أو حكم الحكماء في يوم مقداره ألف سنة وهو يوم القيامة فأما قوله «خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ» فإنه أراد على الكافر يجعل ذلك اليوم عليه مقدار خمسين ألف سنة وعلى المؤمن دون ذلك حتى جاء في الحديث أنه يكون على المؤمن كقدر صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا، وقال إبراهيم التيميّ (لا)[٣] يكون على المؤمن (إلا)[٤] كما بين الظُّهْر والعَصْر، ويجوز أن يكون هذا إخباراً عن شدته ومشقته وهوله[٥]، وقال ابْنُ أبي مليكَةَ[٦]: دخلت أنا وعبد الله بن فَيْرُوزَ[٧] علي ابن عباس فسألناه عن هذه الآية وعن قوله: «خمسين ألف سنة» فقال ابن عباس: أيام سماها الله لا أدري ما هي أكره أن أقول في كتاب الله ما لا أعلم[٨].

قوله: «مِمَّا تَعُدّونَ» العامة على الخطاب، والحَسَنُ، والسُّلميُّ، وابْنُ وَثَّابٍ والأعْمَشُ بالغيبة[٩]، وهذا الجار صفة «لألْفٍ» أو «لِسَنَةٍ».

قوله: «ذَلِكَ عَالِمُ» العامة على رفع «عالم» و «العزيزُ» و «الرَّحِيمُ»، على أن يكون «ذلك» مبتدأ، و «عالم» خبره و «العَزِيزُ والرَّحِيمُ» خبران أو نعتان[١٠] أو «العزيز الرحيم» مبتدأ وصفة. و «الَّذِي أَحْسَنَ» خبره، أو «العَزِيزُ الرَّحيم» خبر مبتدأ مضمر. وقرأ زيدُ (بن علي)[١١] بجر الثلاثة وتخريجها على إشكالها: أن يكون «ذَلِكَ» إشارة إلى الأمر المدبَّر، ويكون فاعلاً (لِيَعْرُجُ)، والأوصاف الثلاثة بدل من الضمير في «إِلَيْهِ»[١٢] أيضاً. وتكون الجملة بينهما اعتراضاً.

---

(١) في القيامة وهو أقرب للمراد.
(٢) في «ب» كالحول.
(٣) ساقط من «ب».
(٤) كذلك.
(٥) فيكون نسبة مفترضة.
(٦) هو أبو بكر وأبو محمد عبد الله بن عُبَيد الله بن أبي مليكة زُهَيْر بن عبد الله بن جُدْعان القرشي التيمي المكي الأصولي روى عن جده وعائشة وعنه عمرو بن دينار، وابن عباس وغيرهما، مات سنة ١١٧ هـ. انظر: تذكرة الحفاظ ١/١٠٢.
(٧) محمد بن محمد بن فيروز أبو عبد الله الكَرَجيّ شيخ جليل مقرىء، قرأ على أحمد بن عبد الله الهاشميّ، ومحمد بن الحسين الكوفي مات سنة ٣٨٦ هـ. انظر: غاية النهاية ٢/٢٤٧.
(٨) القرطبي ١٤/٨٨.
(٩) البحر المحيط ٧/١٩٩ والإتحاف ٣٥١ ومختصر ابن خالويه ١١٧.
(١٠) في «ب» صفتان.
(١١) سقطت من «ب» وانظر هذه الإعرابات في الدر المصون ٤/٣٥٥ والقراءة في البحر ٧/١٩٩.
(١٢) في الدر المصون بعد هذه العبارة: كأنه قيل: ثم يعرج الأمر المدبر إليه عالم الغيب أي إلى عالم=

قوله: «الَّذِي أَحْسَنَ» يجوز أن يكون تابعاً لما قبله في قراءتي الرفع والخفض، وأن يكون خبراً آخر وأن يكون خبر مبتدأ مضمر، وأن يكون منصوباً على المدح.

قوله: «خَلقَهُ» قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابنُ عامر[١]: بسكون اللام، والباقون بفتحها[٢] فأما الأولى ففيها أوجه:

أحدها: أن يكون «خَلْقَهُ» بدلاً من: «كُلَّ شَيْءٍ»[٣] بدل اشتمال والضمير عائد على «كل شيء» وهذا هو المشهور.

الثاني: أنه بدل كل من كل. والضمير في[٤] «هذا» عائد على «الباري» تعالى، ومعنى «أحسن» حسن لأنه ما من شيء خلقه إلا وهو مرتب على ما يقتضيه الحكمة، فالمخلوقات كلها حسنة[٥].

الثالث: أن يكون «كُلَّ شَيْءٍ» مفعولاً أول، و «خَلْقَهُ» مفعولاً ثانياً، على أن يضمن «أحسن» معنى أعْطَى وَألْهَمَ. قال مجاهد: وأعطى كل جنس شَكْلَهُ، والمعنى خلق كل شيء على شكله الذي خص به[٦].

الرابع: أن يكون «كُلَّ شَيْءٍ» مفعولاً ثانياً قُدِّمَ و «خَلْقَهُ» مفعولاً أول أُخِرَ على أن يضمن «أَحْسَنَ»[٧] معنى ألْهَمَ وعَرَّفَ.

قال الفراء: ألهم كل شيء خلقه[٨] فيما يحتاجون إليه فيكون أعلمهم ذلك. (وقال أبو البقاء: ضمن[٩] «أَحْسَنَ» معنى «عَرَّف» وأعرب على نحو ما تقدم إلا أنه لا بُدَّ أن يجعل الضمير) لِلّه تعالى، ويجعل الخلق بمعنى المخلوق أي عرف مخلوقاتهِ كُلَّ شيء يحتاجون إليه فيؤول المعنى إلى معنى قوله: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠].

الخامس: أن تعود الهاء على «الله» تعالى وأن يكون «خَلْقَهُ» منصوباً على المصدر المؤكد لمضمون الجملة[١٠] كقوله: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل: ٨٨]، وهو مذهب سيبويه

= الغيب وأبو زيد برفع «عالم» وخفض «العزيز الرحيم» على أن يكون ذلك عالم مبتدأ وخبر، و«العزيز الرحيم» بدلان من الهاء في «إليه».

(١) مشكل إعراب القرآن لمكي ٢/١٨٦، وإعراب القرآن للنحاس ٢/٢٩٢ والسبعة ٥١٦ والإتحاف ٣٥١ والنشر ٢/٣٤٧ وحجة ابن خالويه ٢٨٧.

(٢) وهم نافع وعاصم وحمزة والكسائي وخلف وانظر المراجع السابقة.

(٣) البيان ٢/٢٥٩ ومشكل إعراب القرآن ٢/١٨٦ و ١٨٧ والتبيان ١٠٤٨.

(٤) المشكل ٢/١٨٦. (٥) البحر المحيط ٧/١٩٩.

(٦) المرجع السابق. (٧) الدر المصون ٤/٣٥٦.

(٨) انظر: معاني القرآن للفراء ٢/٢٣٠ و ٢٣١.

(٩) ما بين القوسين ساقط من «ب» وانظر: التبيان ١٠٤٨.

(١٠) انظر: مشكل إعراب القرآن لمكي ٢/١٨٦.

أي[١] خَلَقَهُ خَلْقاً، ورُجِّحَ على[٢] بدل الاشتمال بأن فيه إضافة المَصْدَر إلى فاعله، وهو أكثر من إضافته إلى المفعول وبأنه أبلغ في الامتنان[٣] لأنه إذا قال: «أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ» كان أبلغ من «أحسن خلق كل شيء»؛ لأنه قد يحسن الخلق وهو المحاولة ولا يكون الشيء في نفسه «حسناً» وإذا قال: «أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ» اقتضى أن كل (شيء) خلقه حسن بمعنى أنه وضع كل شيء في موضعه[٤]. وأما القراءة الثانية «فخَلَقَ» فيها فعل ماض، والجملة صفة للمضاف أو أو المضاف إليه فتكون منصوبة المحل أو مجرورته[٥].

قوله: «وَبَدَأ» العامة على الهمز. وقرأ الزُّهْرِيُّ[٦] «بَدَا» بألف خالصة وهو خارج عن قياس تخفيفها إذ قياسه[٧] بَيْنَ بَيْنَ على أنَّ الأخفش حَكَى قريباً[٨]. وجوز أبو حيان أن يكون من[٩] لغة الأنصار، يقولون في «بَدَا» «بَدِي» بكسر وبعدها ياء كقول عبد الله بن رواحة الأنصاري:

٤٠٦٢ ـ بِـاسْـمِ الإلَـهِ وَبِـهِ بَـدِيـنَـا وَلَـوْ عَـبَـدْنَـا غَـيْـرَهُ شَـقِـيـنَـا[١٠]

قال: وطيىء تقول في تُقَى تُقَاء[١١]، قال: فاحتمل أن تكون قراءة الزهري من هذه اللغة أصله «بَدِي» ثم صار[١٢] «بَدَأ»، قال شهاب الدين: فتكون القراءة مركبة من[١٣] لُغَتَيْنِ.

فصل

«ذَلِكَ عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ» يعني ذلك الذي صنع ما ذكر من خلق السماوات والأرض عالم ما غاب عن الخلق وما حضر «العَزِيزُ الرَّحِيمُ» لما بين أنه عالم ذكر أنه «عزيز» قادر على الانتقام من الكفرة «رَحِيمٌ» واسع الرحمة على البررة «الذي أحسن كل شيء خلقه» أي أحسن خَلْقَ كلِّ شيء[١٤]. قال ابن عباس: أتقنه[١٥] وأحكمه وقال

---

(١) انظر: الكتاب ١/ ٣٨١.
(٢) في «ب» ورجع الأمر على بدل الاشتمال.
(٣) في «ب» في الإضافة.
(٤) انظر: البحر المحيط ٧/ ١٩٩.
(٥) انظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٨٧ والبيان ٢/ ٢٥٨ والتبيان ١٠٤٨ وتفسير القرطبي ١٤/ ٩٠ والدر المصون ٤/ ٣٥٦.
(٦) ذكرها ابن جني في المحتسب ٢/ ١٧٣ وانظر البحر ٧/ ١٩٩.
(٧) ذكره في المرجع السابق.
(٨) عبارة البحر: «على أن الأخفش حكى في قَرَأْتُ: قَرَيْتُ»، انظر: البحر ٧/ ١٩٩.
(٩) المرجع السابق.
(١٠) رجز لعبد الله بن رواحة والشاهد: «بَدِينا» والأصل: «بَدَأْنَا» فقلبت الهمزة ياء على لغة الأنصار وانظر: بحر أبي حيان ٧/ ١٩٩، والأشموني ٣/ ٤٢ واللسان (بدا) والبداية والنهاية لابن كثير ٤/ ٩٧ وإعراب ثلاثين سورة ١١، وتاج اللغة «بَدَي» وتاج العروس للزَّبَيْدِي ١/ ١٣٩.
(١١) في البحر بقي ـ بقاء.
(١٢) المرجع السابق.
(١٣) الدر المصون ٤/ ١٣٩.
(١٤) انظر: التفسير الكبير للفخر الرازي ٢٥/ ١٧٣.
(١٥) القرطبي ١٤/ ٩٠.

مقاتل[١]: علم كيف يخلق كل شيء من قولك: فلانٌ يُحْسِنُ كذا، إذا كان يعلمه. وقيل: خلق كل حيوان على صورة لم يخلق البعض على صورة البعض فكل حيوان كامل في خلقه حسن، وكل عضو من أعضائه مقدر بما يصلح معاشه. واعلم أنه تعالى لما ذكر الدليل على الوحدانية من الآفاق بقوله: «خلق السموات والأرض وما بينهما» أتبعه بذكر الدليل الدال عليها من الأنفس فقال: «الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين» يعني آدم، ويمكن أن يقال: الطين ماء وتراب مجتمعان، والآدمي[٢] أصله مَنِي، والمَنِي أصله غذاءٌ، والأغذية إما حيوانية وإما نباتية (والحيوانية[٣] ترجع إلى نباتية) والنبات وجوده بالماء والتراب الذي هو الطين «ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ» أي جعل ذريته من نطفة سميت سلالة؛ لأنها تَنْسَلُّ من الإنسان، هذا على التفسير الأول؛ لأن آدم كان من طين، ونسله من سلالة «مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ» أي ضعيف وهو نطفة الرجل «ثُمَّ سَوَّاهُ» سوى خلقه «وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ روحِهِ» يعني آدم؛ لأن كلمة «ثُمَّ» للتراخي فتكون التسوية بعد جعل النسل من سلالة، وذلك بعد خلق آدم، ثم عاد إلى ذريته فقال: «وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ» (أي[٤] جعل لكم بعد أن كنتم نطفاً السمع والأبصار) والأفئدة «قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ» يعني لا تشكرون رب هذه النعم فتوحدونه، فقوله «وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ» هذه التفات من ضمير (غائب)[٥] مفرد في قوله: «نَسْلَهُ» إلى آخره إلى خطاب جماعة. وفي هذا الخطاب لطيفة وهي أن الخطاب يكون مع الحي فلما قال: «ونَفَخَ فِيهِ منْ رُوحِهِ» خاطبه من بعد وقال: «وَجَعَلَ لَكُمْ».

فإن قيل: الخطاب واقع قبل ذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [الروم: ٢٠].

فالجواب: هناك لم يذكر الأمور المترتبة وهي كون الإنسان طيناً ثم ماء مَهِيناً، ثم خَلْقاً مسوى[٦] بأنواع القوى فخاطبه في بعض المراتب دون بعض.

فإن قيل: ما الحكم في ذكر المصدر في السمع وفي البصر والفؤاد الاسم، ولهذا جَمَعَ الأبْصَارَ والأفئدةَ ولم يجمع السمعَ؛ لأن المصدر لا يجمع؟

فالجواب: أن السمع قوةٌ واحدة ولها مَحِلٌّ واحد وهو الأذن ولا اختيار لها فيه فإن الصوت من أي جانب كان يصل إليه ولا قدرة للأذن على تخصيص السمع بإدراك البعض دُونَ البعض، وأمَّا الإبصار فَمَحِلّهُ العين ولها فيه اختيار فإنها تتحرك إلى جانب[٧] المَرْئِيّ

---

(١) وهو رأى السدي أيضاً وانظر: زاد المسير لابن الجوزي ٦/ ٣٣٤.

(٢) في «ب» وآدم.

(٣) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٤) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٥) ساقط من «ب».

(٦) هكذا هي في تفسير الفخر الرازي ٢٥/ ١٧٤.

(٧) انظر في هذا كله الإمام الفخر الرازي ٢٥/١٧٣ : ١٧٥.

دون غيره وكذلك الفؤاد محل الإدراك وله نوعُ اختيار يلتفت إلى ما يريد دون غيره، وإذا كان كذلك فلم يكن للمحل في السمع تأثير، والقوة مستبدة[١] فذكر القوة في العين والفؤاد؛ (لأن للمحل نوع[٢] اختيار، فذكر المحل لأن الفعل مسند إلى المختار ألا ترى أنك) تقول: سَمِعَ زَيْدٌ، ورأى عمرو، ولا تقول: «سَمِعَ أذنُ زَيْدٍ» ولا «رأى عَيْنُ عَمْرو» إلا نادراً لأن المختار هو الأصل وغيره آلته[٣]، فالسمع أصل دون محله لعدم له لاختيار له والعين كالأصل وقوة الإبصار آلتها والفؤاد كذلك وقوة الفهم آلته فذكر في السمع المصدر الذي هو القوة، وفي الإبصار والأفئدة الاسم الذي هو مَحِلّ القوة ولأن السمع قوة واحدة لها محل واحد ولهذا لا يسمع الإنسان في زمان واحد كلامين على وجه يضبطهما ويرى في زمان واحد صورتين فأكثر ويُتْقِنُهُمَا[٤].

قوله تعالى: «أَئِذَا ضَلَلْنَا» تقدم خلاف القراء في الاستفهامين[٥]، والواو للعطف على ما سبق فإنهم قالوا محمد ليس برسول، والله ليس بواحد وقالوا: الحشر ليس بممكن، فالعامل في «إذا» محل تقديره[٦] «نُبْعَثُ أو نَخْرُجُ» لِدَلاَلَةِ: «خَلْقٍ جَدِيدٍ» عليه ولا يعمل فيه «خَلْقٍ جَدِيدٍ»؛ لأن ما بعد «إنَّ» والاستفهام لا يعمل فيما قبلهما، وجواب «إذَا» محذوف إذا جعلتها شرطية[٧]. وقرأ العامة «ضَلَلْنَا» بضاد معجمة، ولام مفتوحة بمعنى ذَهَبْنَا[٨]، وضِعْنَا من قولهم: ضَلَّ اللبنُ في الضرع وقيل: غُيِّبْنَا، قال النابغة:

٤٠٦٣ ـ فَـآبَ مُـضِـلُّـوهُ بِـعَـيْـنٍ جَـلِـيَّـة   وَغُـودِرَ بِـالـجُـولاَنِ حَـزمٌ وَنَـائِـلُ[٩]

والمضارع من هذا: يَضِل بكسر العين وهو كثير، وقرأ يَحْيَى بْنُ يَعْمُرَ وابنُ

---

(١) في «ب» مستندة.
(٢) ما بين القوسين ساقط من «ب».
(٣) في «ب» مانع إليه.
(٤) انظر: تفسير الفخر الرازي ٢٥/ ١٧٥.
(٥) يشير إلى الآية(٥) من سورة الرعد وهي قوله: **«أَئِذَا كُنَّا تُرَاباً أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ»**.
(٦) انظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٨٧.
(٧) بخلاف لو كانت غير شرطية كالظرفية فتكون في موضع نصب «بضللنا» ويؤيد هذا قراءة «أئنا» على الإخبار. والمعنى: أنبعث إذا ضللنا في الأرض.
(٨) غريب القرآن لابن قتيبة ٣٤٦ والقرطبي ١٤/ ١١٠.
(٩) له من بحر الطويل وقبله:

فَإِنْ تَـحْيَ لاَ أَمْلِكْ حَـيَـاتِي وَإِنْ تَـمُـتْ   فَـمَـا فِـي حَـيَـاة بَـعْـدَ مَـوْتِـكَ طَـائِـلُ

وهو يرثي بهما النعمان بن الحارث الغساني. والشاهد فيه كلمة: «مُضِلُّوهُ» أي دافنوه وهذه الكلمة تؤكد معنى ضللنا فعلى هذا الرأي وهو التغيّب كما يغيّب المدفون في التراب. وانظر: ديوان النابغة ١٢١ و ٢٥٤ و «الجولان» موضع معروف بسُوريًا، وبعين جلية: أي بخبر صادق فالكرم والجود ذهبا بذَهَابِهِ. انظر: القرطبي ١٤/ ٩١ واللسان: «ض ل ل» ٢٦٠٤ والكشاف ٣/ ٢٤٢ ورواية الكشاف: «وآب» بالواو.

مُحَيْصِنٍ وأَبُو رَجَاءٍ: بكسر اللام[١] وهي لغة العالية، والمضارع من هذا يَضَلُّ بالفتح، وقرأ علي وأبو حَيْـ(ـوَة)[٢] «ضُلِّلْنَا» بضم الضاد وكسر اللام المشددة من «ضَلَّلَهُ» بالتشديد[٣]، وقرأ عَلِيٌّ أيضاً وابن عباس والحسن والأعمش وأبان بن سعيد: «صَلَلْنَا» بصاد مهملة، ولام مفتوحة، وعن الحسن أيضاً صَلِلْنَا بكسر اللام. وهما لغتان[٤]، يقال: صَلَّ اللحمُ بفتح الصاد وكسرها لمجيء الماضي مَفْتُوحَ العين ومَكْسُورَها، ومعنى صَلَّ اللَّحْمُ أَنْتَنَ وتَغَيَّرَت رَائِحَتُهُ ويقال أيضاً: أَصَلَّ بالألف قال:

٤٠٦٤ ـ تُلَجْلِجُ مُضْغَةً فِيهَا أَنِيضُ أَصَلَّتْ فَهِيَ تَحْتَ الكَشْحِ دَاءُ[٥]

وقال النحاس: لا يعرف في[٦] اللغة «صَلَلْنَا» ولكن يقال: صَلَّ اللَّحْمُ وأَصَلَّ، وخَمَّ وأَخَمَّ وقد عَرَفَها غَيْرُ أَبِي جَعْفَر[٧].

فصل

قال في تكذيبهم بالرسالة: «أَمْ يَقُولُونَ» بلفظ المستقبل وقال في تكذيبهم بالحشر: «وَقَالُوا» بلفظ الماضي؛ لأن تكذيبهم بالرسالة لم يكن قبل وجوده، وإنما كان حال وجوده فقال: «يَقُولُونَ» يعني هم فيه. وأما إنكار الحشر فكان سابقاً صادراً منهم ومن آبائهم فقال: «وَقَالُوا» وصرح بقولهم في الرسالة فقال: «أَمْ يَقُولُونَ» وفي الحشر فقال: «وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا» ولم يصرح بقولهم في الوحدانية؛ لأنهم كانوا مصرين في جميع الأحوال على إنكار الحشر والرسالة وأما الوحدانية فكانوا يعترفون بها في بعض الأحوال في قوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥] فلم يقل: قالوا إن الله ليس بواحد وإن كانوا قالوه في الظاهر.

---

(١) ذكرها ابن خالويه في مختصره ١١٧، وانظر أيضاً إعراب القرآن للنحّاس ٤/ ٢٩٣ والبحر ٧/ ٢٠٠ ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/ ٢٠٥ ومعاني القرآن للفراء ٢/ ٣٢١.

(٢) تصحيح لأبي حيوة فكانت في كلتا النسختين «حياة».

(٣) مختصر ابن خالويه أيضاً وهي قراءة شاذة ١١٧ وانظر أيضاً معاني الفراء ٢/ ٢٣١ ومعاني الزجاج ٤/ ٢٠٥ وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٩٣ والمحتسب ٢/ ١٧٤.

(٤) انظر: إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٩٣ ومعاني الفراء ٢/ ٢٣١ ومعاني الزجاج ٤/ ٢٠٥.

(٥) من تمام الوافر لزهير بن أبي سلمى، والشاهد فيه «أَصَلَّ» حيث جاء الفعل بهمزة وهو معنى الفعل الثلاثي «صَلَّ» فالمعنى واحد وهو التغيرُ والتنتُّنُ. وانظر: اللسان مادة: «صَ. لَ. لَ» ٢٤٨٧ والمحتسب ٢/ ١٧٤ وكامل المبرد ١/ ١٤ وديوانه ٨٣، والأنيض مصدر لقولنا: أنضَ اللحمُ يأنِضُ إذا تغير.

(٦) انظر: إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٩٣.

(٧) هذا كلام الشارح أي إنها عرفت لدى العلماء على خلاف زعم أبي جعفر النحاس ووجهة نظر النحاس أن السماع هو المعول عليه ولذلك قال: سمع صَلَلْنَا بالفتح، وانظر: الدر المصون ٤/ ٣٥٨ والبحر المحيط ٧/ ٢٠٠.

فإن قيل: إنه ذكر الرسالة من قبل وذكر دليلها (وهو التنزيل الذي لا ريب[١] فيه وذكر الوحدانية وذكر دليلها وهو) خَلْقُ السماوات والأرض وخَلْقُ الإنسان من طين، ولما ذكر إنكارهم الحشرَ لم يذكر الدليل؟

فالجواب: أنه ذكر دليله أيضاً وهو أن خلق الإنسان ابتداءً دليل على قدرته على الإعادة ولهذا استدل (تعالى)[٢] على إمكان الحشر بالخلق الأول كما قال: ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧] وقوله: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٩] وأيضاً خلق السماوات والأرض كما قال: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ﴾ [يس: ٨١].

قوله: «إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ» استفهام إنكاري أي إننا كائنونَ في خلق جديد أو واقعون فيه «بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ» إضراب عن الأول يعني ليس إنكارهم لمجرد الخلق ثانياً بل يكفرون بجميع أحوال الآخرة حتى لو صدقوا بالخلق الثاني لما اعترفوا بالعذاب والثواب. أو يكون المعنى لم ينكروا البعث لنفسه بل لكفرهم بلقاء الله فإنهم كَرِهُوهُ فأنكروا المُفْضي إلَيْهِ، ثم بين لهم ما يكون (من الموت[٣] إلى العذاب) فقال: «قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ» يقبض أرواحكم «مَلَكُ الْمَوتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ» أي وكل بقبض أرواحكم وهو عزرائيلُ، (والتَّوَفِّي)[٤] استيفاء العدد معناه أنه يقبض أرواحهم حتى لا يبقى أحد من العدد الذي كُتِبَ عليه الموت[٥].

فصل

روي أن ملك الموت جعلت له الدنيا مثل راحة اليد يأخذ منها صاحبها ما أحب من غير مشقة فهو يقبض أنفُسَ الخَلْقِ من مشارق الأرض ومغاربها[٦]، وله أعوان من ملائكة الرحمة وأعوان من ملائكة العذاب، وقال ابن عباس: خطوة ملك الموت ما بين المشرق والمغرب، وقال مجاهد: جعلت الأرض مثل طِسْتٍ[٧] يتناول منها حيث شاء.

قوله: «ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُون» أي تصيرون إليه أحياء فيجزيكم بأعمالكم، وقرأ العامة: تُرْجَعُونَ ببنائه للمفعول، وزيد بن علي[٨]: ببنائه للفاعل.

قوله: «وَلَوْ تَرَى» في «لو» هذه وجهان:

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٢) ساقط من «ب».

(٣) ساقط من «ب».

(٤) ساقط من «ب».

(٥) انظر تفسير الفخر الرازي ٢٥/ ١٧٦.

(٦) انظر: القرطبي ١٤/ ٩٣ وفي «ب» إلى مغاربها.

(٧) المرجع السابق.

(٨) ذكرها أبو حيان في بحره ٧/ ٢٠٠ والإتحاف ٣٥١.

أحدهما: أنها لِمَا كان سَيَقَعُ لوقوع غيره. وعبَّر[١] عنها الزمخشري بامتناع لامْتِنَاع[٢]، وناقشه أبو حيان في ذلك. وقد تقدم تحقيقه أول البقرة[٣]، وعلى هذا جوابها محذوف أي لرأيت أمر فظيعاً[٤].

والثاني: أنها للتمني. قال الزمخشري كأنه قيل: وليتك[٥] ترى. وفيها إذا كانت للتمنِّي خلافٌ هل تقتضي جواباً أم لا[٦]، وظاهر تقدير الزمخشري هنا أنه لا جواب لها.

قال أبو حيان: والصحيح أن لها جواباً[٧] وأنشد:

٤٠٦٥ ـ فَلَوْ نُبِشَ المِقَابِرُ عَنْ كُلَيْبٍ فَيُخْبِرَ بِالذَّنَائِبِ أَيُّ زِيرِ
بِيَوْمِ الشَّعْثَمَيْنِ لَقَرَّ عَيْناً وَكَيْفَ لِقَاءُ مَنْ تَحْتَ القُبُورِ[٨]

قال الزمخشري: ولو تجيء في معنى التمني كقولك: «لو تأتيني فتحدثني» (كما تقول)[٩]: «لَيْتَكَ تَأْتِينِي فَتُحَدِّثَنِي»[١٠] قال ابن مالك: أن أراد به الحذف أي وَدِدْتُ لو تأتيني[١١] فتحدثني فصحِيح وإن أراد أنها موضوعة له فليس بصحيح، إذ لو كانت موضوعة له لم يجمع بينها وبينه كما لم يجمع بين «ليت» والتمني، ولا «لعل وأترجّى»، ولا «إلا» وأستثني، ويجوز أن يجمع بين «لو» وأتمنى تقول (تَمَنَّيتُ[١٢] لَوْ فَعَلْتُ كذا)، والمخاطب يحتمل أن يكون النبي ـ ﷺ ـ شفاء لصدره، فإنهم[١٣] كانوا يؤذونه بالتكذيب، ويحتمل أن يكون عاماً، و «إذْ» على بابها من المضي؛ لأن «لو»[١٤] تصرف المضارع للمضي، وإنما جيء هنا ماضياً لتحقق وقوعه نحو: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١]. وجعله أبو البقاء[١٥] مما وقع فيه «إذْ» مَوْقع «إذَا». ولا حاجة إليه. والمراد بالمجرمين المشركون.

---

(١) في «ب» وعرفها.
(٢) قال: «وأن تكون «لو» الامتناعية قد حذف جوابها وهو لرأيت أمراً فظيعاً» الكشاف ٣/ ٢٤٢.
(٣) يقصد الآية ٢٠ من سورة «البقرة» وهي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِم وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.
(٤) ذكره الكشاف في المرجع السابق. (٥) المرجع السابق.
(٦) ذكره ابن هشام في المغني ٢٦٧. (٧) البحر المحيط لأبي حيان ٧/ ٢٠١.
(٨) بيتان من تمام الوافر من قصيدة لامرىء القيس بن ربيعة الملقب بمهلهل يذكر فيها ما وقع من أخذه بثأر أخيه و «الذنائب» موضع وكذا «الشعثمان» «وكليب» أخوه والشاهد حصول الجواب «للو» التي لتمني حصول شيء مستحيل. «فلو» هنا للتمني وجوابها «لقرّ عيناً» وانظر: الأمالي للقالي ١/ ٤ و ٢/ ١٣١ والبحر المحيط ٧/ ٢١٠، والمغني ٢٦٧، ويس ٢/ ٢٥٩ والأصمعيات ١٥٤ و ١٥٥، والحماسة البصرية ١/ ٨٤، والأشموني ٤/ ٣٢ وتوضيح المقاصد ٤/ ٢٧٠ وشرح شواهد المغني للسيوطي ٦٥٤.
(٩) ساقط من «ب». (١٠) انظر: شرح المفصل لابن يعيش ٩/ ١١.
(١١) نقله في شرح الكافية الشافية ٦٥ وكذلك نقله عنه في بحره أبو حيان ٧/ ٢٠١.
(١٢) ما بين القوسين ساقط من «ب». (١٣) في «ب»: لأنّهم. (١٤) في «ب» «لم» وهو تحريف.
(١٥) قال: و «إذْ» هنا يراد بها المستقبل، وقد ذكرنا مثل ذلك في البقرة والتقدير: يقولون ربنا، انظر: التبيان ١٠٤٨.

قوله: «نَاكِسُوا» العامة على أنه اسم فاعل مضاف لمفعوله تخفيفاً، وزيدُ بن علي «نَكِسُوا»[١] فعلاً ماضياً «رُؤُوسَهُمْ» مفعول به، والمعنى مُطَأطِئُو رُؤُوسِهِمْ.

قوله: «رَبَّنَا» على إضمار القول، وهو حال أي قائلينَ ذلك، وقدره الزمخشري يَسْتَغيثُونَ[٢] بقولهم، وإضمار القول[٣] أكْثَرُ[٤].

قوله: «أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا» يجوز أن يكون المفعول مقدراً أي أبصرنا ما كنّا نكذب وسمعنا ما كنا نكر. ويجوز أن لا يقدر أي صِرْنَا بُصَرَاءَ سَمِيعِينَ فارْجِعْنَا «(إلى الدنيا) نَعْمَل صَالِحاً» يجوز أن يكون «صالحاً» مفعولاً به، وأن يكون نعت مصدر، وقولهم: «إنَّا مُوقِنُونَ» أي إنا آمنا في الحال، ويحتمل أن يكون المراد أنهم ينكرون الشرك كقولهم: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣].

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

قوله: «وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا» رشدها وتوفيقها للإيمان، وهذا جواب عن قولهم: ربنا أَبْصَرنَا وَسَمِعْنَا وذلكَ أن الله تعالى قال: إني لو رجعتكم إلى الإيمان لهديتكم في الدنيا، ولما لم أهدكم في الدنيا تبين أني ما أردتُ وما شئت إيمانكم فلا أردكم، وهذا صريح في الدلالة على صحة مذهب أهل السنة حيث قالوا إن الله تعالى ما أراد الإيمان من الكافر، وما شاء منه[٥] إلا الكُفْرَ.

---

(١) ذكرها أبو حيان ٧/ ٢٠١. (٢) الكشاف ٣/ ٢٤٢.

(٣) ما بين القوسين كله ساقط من «ب».

(٤) ذكره ابن الأنباري في غريبه ٢/ ٢٥٩ فقال: «تقديره: يقولون ربنا أبصرنا وسمعنا» فحذف القول وحذف القول كثير في كلامهم.

(٥) وبهذا الاعتبار اختار أهل النظر من العلماء أن سموا هذه المنزلة بين المنزلتين كسباً، وأخذوا هذه=

قوله: «وَلَكِنْ حَقَّ القَوْلُ مِنِّي» وجب القول (مني)[1] وهو قوله تعالى: «لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ من الجنّة والناس أجمعين». «فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُم» قال مقاتل[2]: إذا دخلوا النار قال لهم الخزنة: «فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتم لِقَاءَ يَوْمِكُمْ» أي تركتم الإيمان به في الدنيا. «لِقَاءَ يَوْمِكُمْ» (يجوز[3] فيه أوجه:

أحدها: أنها من التنازع لأن[4] «ذُوقُوا» يطلب «لِقَاء يَوْمِكُمْ» و «نَسِيتُمْ» يطلبه أيضاً أي ذُوقُوا عَذَابَ لِقَاء يَوْمِكُمْ) هذا بما نَسِيتُمْ عذاب لقاء يومكم هذا ويكون من إعمال الثاني عند البصريين ومن إعمال الأول عند الكوفيين[5]، والأول أصح للحذف من الأول؛ إذ لو عمل الأول لأضمر في (الثاني)[6].

الثاني: أن مفعول «ذُوقُوا» محذوف أي ذُوقُوا العذاب بسبب نِسْيَانِكم لقاءَ يومكم[7]، (و «هذا»[8] على هذين الإعرابين صفة «لِيَوْمِكُمْ».

الثالث: أن يكون مفعول[9] «ذُوقُوا» «هَذَا» والإشارة به إلى العذاب، والباء سببية أيضاً أي فذوقوا هذا العذاب بسبب نِسْيَانكم لقاء يومكم)[10]، وهذا ينبو عنه الظاهر، قال ابن الخطيب: «هذا» يحتمل ثلاثة أوجه:[11] أن يكون إشارة إلى اللقاء (وأن[12] يكون إشارة إلى اليوم)، وأن يكون إشارة إلى العذاب، ثم قال: «إِنَّا نَسِينَاكُمْ» تركناكم غيرَ ملتفت إليكم «وَذُوقُوا عَذَابَ الخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» من الكفر والتكذيب.

قوله: «إِنَّمَا يُؤْمِنُ بآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّداً» سقطوا على وجوههم ساجدين «وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ»، قيل: سلموا بأمر ربهم[13]. وقيل: قالوا سُبْحَانَ الله وبحمده «وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ» عن الإيمان به والسجود له.

قوله: «تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِع» يجوز في «تَتَجَافَى» أنْ يكون مستأنفاً[14]،

= التسمية من كتاب الله العزيز وهو قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾. انظر القرطبي ١٤/ ٩٨.

(١) ساقط من «ب». (٢) نقله في زاد المسير ٦/ ٣٣٧.

(٣) ما بين المعقوفين كله ساقط من (ب).

(٤) حكاه أبو البقاء في التبيان ٤٩. والبحر ٧/ ٢٠٢ والدر المصون ٤/ ٣٥٩.

(٥) التبيان ١٠٤٩ والدر المصون ٤/ ٣٦٠. (٦) زيادة عن النسختين يقتضيها سياق الكلام.

(٧) ذكره في البحر المحيط ٧/ ٢٠٢. (٨) المرجع السابق.

(٩) ذكره أبو البقاء في التبيان ١٠٤٩. (١٠) ما بين القوسين كله ساقط من «ب».

(١١) انظر: التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي ٢٥/ ١٨٠.

(١٢) ساقط من «ب» وهي في تفسير الفخر الرازي.

(١٣) تفسير القرطبي ١٤/ ٩٩. (١٤) انظر: البيان ٢/ ٢٥٩.

وأن يكون[١] حالاً وكذلك «يَدْعُونَ»[٢] إذا جعل «يَدْعُون» حالاً احتمل أن يكون حالاً ثانية، وأن يكون حالاً من الضمير في «جنوبهم»؛ لأن المضارع خبرٌ[٣]، والتجافي الارتفاع[٤]، وعبر به عن ترك النوم، قال ابن رواحة:

٤٠٦٦ ـ نَبِيٌّ تَجَافَى جَنْبُهُ عَنْ فِرَاشِهِ إِذَا اسْتَثْقَلَتْ بِالْمُشْرِكِينَ الْمَضَاجِعُ[٥]

والمعنى يرتفع (وينبو)[٦] جنوبهم عن المضاجع جمع المَضْجَع وهو المَوْضِع الذي يَضْطَجِعُ عليه يعني الفراش وهم المتهجدون بالليل الذين يقيمون الصلاة، قال أنس: نزلت فينا مَعْشَرَ الأنصار، كنا نصلي المغرب الصلاة فلا نرجع إلى رحالنا حتى نُصَلِّيَ العشاءَ مع النبي ـ ﷺ[٧] ـ.(وعن أنس[٨]: أيضاً قال: نَزَلَتْ في أناسٍ من أصحابِ النّبي ﷺ[٩]) كانوا يُصَلُّونَ من صلاة المغرب إلى صلاة العشاء وهو قول أبي حَازِمٍ[١٠]، ومُحَمَّد بْنِ[١١] المُنْكَدِر، وقال في صلاة الأوابين وهو مروي عن ابن عباس. وقال عطاء: هم الذين لا ينامون حتى يصلوا العشاء الآخرة والفجر في جماعة[١٢]، (وقال[١٣] ﷺ: مَنْ صَلَّى العِشَاءَ في جماعة) (كَانَ[١٤] كَقِيَامِ نِصْفِ لَيْلَةٍ ومن صلى الفجر في جماعة) كان كقيام ليلة[١٥]، والمشهور أن المراد منه صلاة الليل، وهو قول[١٦] الحَسَنِ

---

(١) البيان ٢/ ٢٥٩ والتبيان ١٠٤٩ ومشكل الإعراب ٢/ ١٨٧.

(٢) المراجع السابقة.

(٣) هكذا تلك العبارة هنا وما في السمين: «لأن المضاف جر ويظهر ـ كما في التصريح ـ أن المراد أن المضاف جزء من المضاف إليه وهو أحد شروط مجيء الحال من المضاف». التصريح ١/ ٣٠٨.

(٤) ذكره في زاد المسير ٦/ ٣٣٩ ومجاز القرآن ٢/ ١٣٢.

(٥) بيت من بحر الطويل لعبد الله بن رواحة أحد أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ وشاهده في «تجافى» فإن معناه الارتفاع بجسم رسول الله ـ ﷺ ـ عن الفراش. وانظر: تفسير ابن كثير ٣/ ٤٥٩ والطبري ٢١/ ٦٤ والبحر المحيط ٧/ ٢٠٢ و ٣٤٥ ومجمع البيان للطبرسي ٧/ ١٧ والسراج المنير ٣/ ٢٠٨ والقرطبي ١٤/ ١٠٠.

(٦) تصحيح يقتضيه الكلام.

(٧) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٣٣٩ والقرطبي ١٤/ ١٠١.

(٨) المرجعان السابقان. (٩) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(١٠) هو سلمة بن دينار مولى الأسود بن سفيان أبو حازم الأعرج التَّمار المدني القاصُّ الزاهد، أحد الأعلام عن ابن عمر، وابن عمرو، وسهل بن سَعْدٍ، وابنِ المسيب وعنه ابنه عبد العزيز ومالك والسفيانان؛ كان ثقة مات سنة ١٣٥. انظر: الخلاصة ١٤٨.

(١١) ابن عبد الله أبو عبد الله المدني أحد الأئمة الأعلام عن عائشة وأبي هريرة، وأبي قتادة، وجابر، وعنه زيد بن أسلم ويحيى الأنصاري وخلق. مات سنة ١٣٠ هـ. المرجع السابق ٣٦٠ وانظر رأيهما في القرطبي ١٤/ ١٠١.

(١٢) نقله الشوكاني في فتح القدير ٤/ ٢٥٣.

(١٣) ساقط من «ب». (١٤) ساقط كذلك.

(١٥) نقله القرطبي في تفسيره ١٤/ ١٠١ مرويّ عن عثمانَ بن عفانَ رضي الله عنه.

(١٦) الجامع لأحكام القرآن ١٤/ ١٠٠.

وجماعة ومجاهد، ومَالِك والأوْزَاعِي[١] وجماعة لقوله عليه (الصلاة[٢] و) السلام: «أفْضَلُ الصِّيَام بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ شَهْرُ اللَّهِ المُحَرَّمُ، وأفْضَلُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الفَرِيضَةِ صَلاَةُ اللَّيْلِ»[٣]، وقَال عليه (الصلاة[٤] و) السلام ـ: «إن[٥] فِي الجَنَّةِ غُرفاً يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِها وباطنُها من ظاهِرها أَعَدَّهَا اللَّهُ لِمَنْ ألاَنَ الكَلاَمَ، وأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَتَابَعَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى باللَّيْلِ والنَّاسُ نِيَامٌ».

(قوله)[٦]: «خَوْفاً وَطَمعاً» إما مفعول من أجله وإمّا حالان[٧]، (وإما) مصدران لعامل مقدر.

قال ابن عباس: خَوْفاً من النار[٨] وطمعاً في الجنة، «ومِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ». قيل: أراد به الصدقة المفروضة وقيل: عام في الواجب[٩] والتطوع.

قوله: «فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ» قرأ حمزة «أُخْفِي» فعلاً مضارعاً[١٠] مسنداً لضمير المتكلم فلذلك سكنت ياؤه (لأنه)[١١] مرفوع، ويؤيده[١٢] قراءة ابن مسعود: «مَا نُخْفِي» بنون العظمة[١٣]، والباقون «أُخْفِيَ» ماضياً مبنياً[١٤] للمفعول، (فَمِن)[١٥] ثَمَّ فُتِحَتْ ياؤه، وقرأ محمد بن كعب[١٦] «أَخْفَى» ماضياً مبنياً[١٧] للفاعل، وهو اللَّهُ تعالى، يؤيدها قراءة الأعمش و[«مَا][١٨] أَخْفَيْتُ»[١٩] مسنداً للمتكلم. و «ما» يجوز أن تكون موصولة أي لا يعلم الذي أخفاه الله، وفي الحديث: «مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»[٢٠] وأن تكون

---

(١) هو أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي الإمام الفقيه الحجة الوَرِعُ سمع من الزهري وعطاء. وعنه أخذ الثوري وابن المبارك وخلق مات سنة ١٥٧ هـ انظر: الخلاصة ٢٣٢.

(٢) زيادة من «ب».

(٣) الحديث رواه الإمام أحمد ٢/ ٣٤٢ و ٣٤٤.

(٤) ساقط من «ب»

(٥) رواه الإمام أحمدُ في مسنده في ٢/ ١٧٣ و ٥/ ٣٤٣.

(٦) ساقط من «ب».

(٧) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/ ٢٠٧، والبيان ٢/ ٢٩٠.

(٨) ذكره الزجاج في: ٤/ ٢٠٧.

(٩) المرجع السابق.

(١٠) الإتحاف ٣٥٣ والسبعة ٥١٦ والنشر ٢/ ٣٤٧ وحجة ابن خالويه ٢٨٧ ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/ ٢٠٧ وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٩٥.

(١١) في «أ» هنا وساقط من «ب».

(١٢) في «ب» ويؤيدها وهو الأقرب أي يؤيد القراءة.

(١٣) وهي قراءة شاذة ذكرها ابن خالويه في مختصره.

(١٤) المراجع السابقة.

(١٥) سقطت من «ب».

(١٦) هو: محمد بن كعب بن سليم أبو حمزة ويقال أبو عبد الله القُرظي تابعيّ جَليلٌ روى عن فُضَالَةَ بن عبيد وعائشة وأبي هريرة وغيرهم مات سنة ١٠٨ هـ انظر: طبقات القراء ٢/ ٢٣٣.

(١٧) الإتحاف ٣٥٢.

(١٨) زيادة من «أ».

(١٩) من القراءة الشاذة. انظرها في ابن خالويه ١١٧ و ١١٨.

(٢٠) رواه أبو هريرة انظر البخاري ٣/ ١٧٤.

استفهامية[١] معلقة «لتَعْلَمُ» فإن كانت متعدية لاثنين سدت مسدهما أو لواحد سدت مسده.

قوله: «مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ» قرأ عبد الله، وأبو الدرداء وأبو هريرة «من قُراتِ أَعْيُنٍ» جمعاً[٢] بالألف والتاء، و «جزاءً» مفعولٌ له، أو مصدر[٣] مؤكد لمعنى الجملة قبله، وإذا كانت «ما» استفهامية فعلى قراءة (مَنْ[٤] قرأ ما) بعدها فعلاً ماضياً يكون في محل رفع بالابتداء، والفعل بعدها الخبر، وعلى قراءة من قرأ مضارعاً يكون مفعولاً مقدماً[٥] و «مِنْ قُرَّةٍ» حال[٦] من «ما» والمعنى مَا يُقِرُّ الله به أعينهم «جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» قال ابن عباس[٧]: هذا مما لا تفسير له. قال بعضهم[٨]: أخفوا أعمالهم فأخفى الله ثوابهم.

قوله: «أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً» نزلت في عليِّ بْن أبي طالب، والوليدِ بن عقبة بن أبي معيط أخِي عثمان لأمه وذلك أنه كان بينهما تنازع فقال الوليد بن عقبة لِعَلِيٍّ: اسْكُتْ فإنك فاسق فأنزل الله عزّ وجلّ: «أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يَسْتَوونَ» ولم يقل لا يستويان لأنه لم يرد مؤمناً واحداً ولا فاسقاً واحداً بل أراد جميع المؤمنين وجميع الفاسقين. وقوله: «لا يستوون» مستأنف؛ روي أن النبي - ﷺ - كان يعتمد الوقف على قوله «فاسقاً» ثم يبتدىء: «لا يَسْتَوونَ».

قوله: «أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» لما ذكر أن المؤمن[٩] والفاسق لا يستويان بطريق الإجمال بين عدم استوائهما على سبيل التفصيل فقال: «أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ المَأْوَى» قرأ[١٠] طلحةُ «جنة المأوى» بالإفراد[١١]، والعامة بالجمع، أي التي يأوي إليها المؤمنون. وقرأ أبو حيوة[١٢] نُزْلاً - بضم وسكون - وتقدم تحقيقه آخر آل عمران[١٣]، «وأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النار كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْها أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ» وهذا إشارة إلى حال الكافر، واعلم أن العمل الصالح له مع الإيمان تأثير فلذلك قال: «آمنوا وعملوا الصالحات»، وأما الكفر فلا التفات إلى الأعمال معه فلهذا لم يقل: «وأما الذين فسقوا

---

(١) المراجع السابقة.
(٢) من الشواذ وانظر المختصر ١١٨ والمحتسب ٢/ ١٧٤ ومعاني الفراء ٢/ ٣٣٢.
(٣) ذكره أبو البقاء في التبيان ١٠٤٩.
(٤) ساقط من «ب».
(٥) الدر المصون ٤/ ٣٦١.
(٦) السابق.
(٧) القرطبي ١٤/ ١٠٤.
(٨) وهو الحسن ذكر الطبري في تفسيره ٢١/ ٦٨.
(٩) في «ب» الفاسق والمؤمن.
(١٠) طلحة هنا هو طلحة بن مصرف وقد تقدمت ترجمته.
(١١) انظر: مختصر ابن خالويه ١١٨ وهي من الشواذ غير المتواترة.
(١٢) ذكرها أبو حيان ٧/ ٢٠٣.
(١٣) يقصد قوله تعالى: ﴿نُزُلاً مِن عِندِ اللَّه﴾ وهي الآية ٩٨ من سورة «آل عمران» وقد بين هناك أن الإسكان للتخفيف وأن النزل والنزل هو إعداد الضيف انظر اللباب ٢/ ٦٥٠ ب.

وعملوا السيئات»؛ لأن المراد مِن «فَسَقُوا» كفروا، ولو جعل العقاب في مقابلة الكفر والعمل لظن (أن)[١] مجرد الكفر (لا)[٢] عقاب عليه[٣].

قوله: «الَّذِي كُنتُمْ بِهِ» صفة لعذاب[٤]، وجوز أبو البقاء أن يكون صفة للنار قال: وذكر على معنى الجَحِيم والحَريق[٥].

قوله: «وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ العَذَابِ الأَدْنَى دونَ العَذَابِ الأَكْبَرِ» قال أبيُّ بنُ كَعْبٍ والضَّحَّاكُ والحَسَنُ وإبْرَاهيمُ[٦]: العذاب الأدنى مصائب الدنيا وأسقامها[٧] وهو[٨] رواية الوَالِبِيّ[٩] عن ابن عباسٍ، وقال عكرمة عنه: الحدود[١٠]، وقال مقاتل: الجوع[١١] سبع سنين بمكة حتى أكلوا الجيف والعظام والكلاب. وقال ابن مسعود[١٢]: هو القتل بالسيف يوم بدر وهو قول قتادة والسدي. وأما العذاب الأكبر وهو عذاب الآخرة فإن عذاب الدنيا لا نسبة له إلى عذاب الآخرة[١٣].

فإن قيل: ما الحكمة في مقابلته «الأدنى» «بالأكبر»، «والأدنى» إنما هو في مقابلة «الأقصى» «والأكبر» إنما هو في مقابلة «الأصغر»؟

فالجواب: أنه حصل[١٤] في عذاب الدنيا أمران: أحدهما: أنه قريب والآخر: أنه قليل صغير، وحصل[١٥] في عذاب الآخرة أيضاً أمران، أحدهما: أنه بعيد والآخر أنه عظيم كبيرٌ لكن العرف[١٦] في عذاب الدنيا هو[١٧] أنه الذي يصلح التخويف به فإن العذاب العاجل وإن كان قليلاً فلا يَحْتَرِزُ عنه بعض الناس أكثر مما يَحْتَرِزُ من[١٨] العذاب الشديد إذا كان آجلاً، وكذا الثواب العاجل قد يَرْغَبُ فيه بعض الناس ويستبعد الثوابَ العظيم الآجل. وأما في عذاب الآخرة فالذي يصلح للتخويف هو العظيم والكبير (لا)[١٩] البعيد لِمَا بينا فقال في عذاب الدنيا الأدنى ليحترز العاقل[٢٠] عنه ولو قال: «وَلَنُذِيقَنَّهُمْ

---

(١) ساقط من «ب».
(٢) ساقط من «ب».
(٣) انظر تفسير الفخر الرازي ٢٥/ ١٨٢.
(٤) الدر المصون ٤/ ٣٦١ والتبيان ١٠٥٠.
(٥) المرجع السابق الأخير.
(٦) هو النخعي وقد سبق ترجمته.
(٧) القرطبي ١٤/ ١٠٧.
(٨) في «ب» وهي.
(٩) الوالبي: علي بن ربيعة بن نضلة الوالبي أبو المغيرة الكوفي عن علي وسلمان، وعنه الحكم وأبو إسحاق له في البخاري ومسلم حديث. انظر: خلاصة الكمال ٢٧٤.
(١٠) المرجع السابق.
(١١) فتح القدير ٤/ ٢٥٦ والمرجع السابق أيضاً.
(١٢) زاد المسير ٦/ ٣٤١.
(١٣) المرجع السابق.
(١٤) في «ب» جعل بدلاً من حصل.
(١٥) في «ب» جعل بدلاً من حصل.
(١٦) في «ب» لكن الفرق وفي تفسير الفخر الرازي «لكن القُرْبَ» وهو الأقرب.
(١٧) في «ب» وهو بزيادة واو.
(١٨) في «ب» عن.
(١٩) هكذا هي هنا وفي تفسير الفخر الرازي ولكنها ساقطة من «ب».
(٢٠) في «ب» العاجل.

من العذاب الأصغر» ما كان يحترز عنه لصغره وعدم فَهْم كونه عاجلاً، وقال في عذاب الآخرة الأكبر لذلك المعنى ولو قال: مِنَ العَذَابِ الأبعد الأقْصَى (لما حصل)[١] التخويف به مثل ما يحصل[٢] بوصفه بالكِبَر.

قوله: «لعلهم يرجعون» إلى الإيمان يعني مَنْ بَقِي منهم بعد «بدر».

فإن قيل: ما الحكمة في هذا الترجي وهو على الله تعالى محال؟

فالجواب: فيه وجهان:

أحدهما: معناه لنذيقنهم إذاقة الراجين كقوله: «إِنَّا نَسِينَاكُمْ» يعني تركناكم كما يترك الناسي (حيث لا يلتفت[٣] إليه) أَصْلاً كَذَلِكَ ههنا.

والثاني: نذيقهم العذاب إذاقة يقول القائل: لعلهم يرجعون بسببه.

قوله: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ» (أي من[٤] ذكر بآيات الله) من النعم أولاً، والنِّقَم ثانياً ولم يؤمنوا، فلا أظلَمُ منهم أحدٌ.

قوله: «ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا» هذه أبعد[٥] ما بين الرُّتْبَتَيْنِ معنًى[٦]، وشبهها الزمخشري بقوله:

٤٠٦٧ ـ وَمَا يَكْشِفُ الغَمَّاء إلاَّ ابْنُ حُرَّةٍ   يَرَى غَمَرَاتِ المَوْتِ ثُمَّ يَزُورُهَا[٧]

قال: استبعد (أن يزور)[٨] غمرات الموت بعد أن رآها وعرفها، واطلع على شدتها[٩].

قوله: «إِنَّا مِنَ المُجْرِمِينَ» (يعني المشركين)[١٠] «مُنْتَقِمُونَ».

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ

---

(١) ساقط من «ب».

(٢) في «ب» ما يحترز.

(٣) ساقط من «ب».

(٤) كذلك.

(٥) في «ب» لبعد.

(٦) الدر المصون ٤/ ٣٦١.

(٧) وفي الكشاف: «لا يكشف» وفي البحر «ولا يكشف» والغَمَّاءُ: الشدة المظلمة والبيت من بحر الطويل وهو لجعفر بن علبة الحارثيّ ومعناه: أن تلك الغمة لا يُزيلها إلا إنسان شجاع ابن حرة يجيد الهلاك في الإقدام ومع ذلك يقدم عليه وشاهده أن «ثم» هنا تفيد التراخي بين رتبتين متباينتين رتبة النكوص ورتبة الإقدام وعلى ذلك صح التنظير بالآية. وانظر: البحر المحيط ٧/ ٢٠٤ والحماسة البصرية ١/ ١٥٠ والكشاف ٣/ ٢٤٦ وشرح شواهده ٤/ ٤١٧ والسراج المنير ٣/ ٢١٣ والبيضاوي ٢/ ١٢٦.

(٨) ساقط من «ب».

(٩) الكشاف ٣/ ٢٤٦.

(١٠) ساقط من «ب».

يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا
يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ
أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾
قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ
إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾

قوله: «وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ» لما قرر الأصول الثلاثة عاد إلى الأمثل الذي بدأ به وهو الرسالة المذكورة في قوله: «لِتُنْذِرَ قَوْماً مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ» وقال: إِنَّكَ لَسْتَ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ بل كان قبلك رسلٌ مثلُك، وذكر موسى لقربه (من)[1] النبيِّ ـ ﷺ ـ ووجود من كان على دينه إلزاماً لهم، وإنما لم يختر عيسى ـ عليه (الصلاة و)[2] السلام (للذكر)[3] والاستدلال لأن اليهود ما كانوا يوافقون على نبوّته، وأما النصارى فكانوا يعترفون بنُبُوَّة عيسى[4] عليه السلام فتمسك بالمجمع عليه[5].

قوله: «فَلاَ تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ» قرأ الحسن[6] بالضم وهي لُغَةٌ، وقوله: «مِنْ لِقَائِهِ» في الهاء أقوال:

أحدها: أنها عائدة على «مُوسَى» والمصدر مضاف لمفعوله أي من لقائِكَ مُوسى ليلةَ الإسراء. وامْتَحَنَ المبردُ الزجاجَ في هذه المسألة فأجاب بما ذكر، قال ابن عباس وغيره: المعنى فلا تكن في شَكٍّ من لقاء موسى فإنك تراه وتلقاه[7]، روى ابن عباس عن النبي ـ ﷺ ـ قال: رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسري[8] بي مُوسَى[9] رَجُلاً آدَمَ[10] طُوالاً جَعْداً[11] كَأَنَّهُ مِنْ رِجَال شَنُوءَةَ، وَرَأَيْتُ عِيسَى رَجُلاً مَرْبُوعاً[12] إلى الحُمرةِ والبَيَاض سَبْط[13] الرأس، ورأيتَ مالِكاً خَازِنَ النَّارِ والدَّجَال في آيات أَرَاهَنِي اللَّهُ إيَّاهُ.

والثاني: أن الضمير يعود على «الكتاب» وحينئذ يجوز أن تكون الإضافة للفاعل أي من لقاء الكتاب لموسى[14] أو للمفعول أي من لقاء موسى[15] الكتاب لأن اللقاءَ يصح نسبته إلى كل منهما، لأن من لقيك فقد لقيته.

---

(١) ساقط من «ب».
(٢) زيادة من «ب».
(٣) ساقط من «ب».
(٤) هكذا هي هنا.
(٥) انظر: التفسير الكبير للفخر الرازي ٢٥/ ١٨٥ و ١٨٦.
(٦) ذكرها أبو حيان ٧/ ٢٠٥.
(٧) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٣٤٣.
(٨) في «ب» الإسراء.
(٩) الحديث رواه السيوطي في جامع الأحاديث ٤/ ١٩٤.
(١٠) أي لأدمة فيه.
(١١) أي مجتمع بعض على بعض.
(١٢) أي لا بالطويل ولا بالقصير.
(١٣) أي مُسْتَرْسِل غير جعد.
(١٤) وهو رأي الزجاج. انظره في معاني القرآن ٤/ ٢٠٩.
(١٥) وهو رأي أبي علي الفارسي، انظر: زاد المسير ٦/ ٣٤٣.

قال السدي المعنى فلا تكن في مِرْيَةٍ من لقائه أي تلقى موسى كتاب الله بالرضا والقبول[(١)].

الثالث: أي يعود[(٢)] على الكتاب على حذف مضاف أي من لقاء مثل كتاب موسى[(٣)].

الرابع: أنه عائد[(٤)] على ملك الموت لتقدم ذكره.

الخامس: عوده[(٥)] على الرجوع المفهوم من قوله: «إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ» أي لأنك في مرية من لقاء الرجوع.

السادس: أنه يعود[(٦)] على ما يفهم من سياق الكلام مِمَّا ابتلي به موسى من البلاء والامْتِحَان، قاله الحسن[(٧)]. أي لا بدّ أن يلقى ما لقي موسى من قومه فاختار موسى عليه السلام لحكمة وهي أن أحداً من الأنبياء لم يؤذِهِ من قومه إلا الذين لم يؤمنوا، وأما الذين آمنوا به فلم يخالفوه غير قوم موسى عليه السلام فإن من لا آمن به آذاه كفرعون (وغيره)[(٨)] ومن آمن به من بني إسرائيل أيضاً (آذاه)[(٩)] بالمخالفة وطلب أشياء مثل رؤية الله جهرة وكقولهم: «اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ». وأظهر هذه الأقوال أن الضمير إما لموسى وإما للكتاب، ثم بين (أن[(١٠)] له هداية غير عادية عن المنفعة كما أنه لم تحل هداية موسى حيث جعل الله كتاب موسى هدى) وجعل منهم أئمة يهدون كذلك يجعل[(١١)] كتابك هدى ويجعل[(١٢)] من أمتك صحابة[(١٣)] يهدون كما قال النبي ـ ﷺ ـ: «أَصْحَابِي كَالنُّجُوم بِأَيِّهِم اقْتَدَيْتُم[(١٤)] اهْتَدَيْتُمْ»، ثم بين أن ذلك يحصل بالصبر فقال: «لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بآيَاتِنَا يُوقِنُونَ».

فصل

«لَمَّا صَبَرُوا» قرأ الأخوان[(١٥)] بكسر اللام وتخفيف الميم، على أنها لام الجر و («ما»)[(١٦)] مصدرية، والجار متعلق بالجعل أي جعلناهم كذلك لصبرهم ولإيقانهم[(١٧)]، والباقون بفتحها وتشديد الميم. وهي «لمَّا» التي تقتضي جواباً وتقدم فيها

(١) المرجع السابق.
(٢) السابق والقرطبي ١٤/١١١.
(٣) السابق والقرطبي ١٤/١١١.
(٤) السابق والقرطبي ١٤/١١١.
(٥) السابق والقرطبي ١٤/١١١.
(٦) السابق والقرطبي ١٤/١١١.
(٧) المراجع السابقة.
(٨) سقط من «ب».
(٩) سقط من «ب».
(١٠) ما بين الأقواس ساقط من «ب».
(١١) في «ب» جعل.
(١٢) في «ب» جعل.
(١٣) في «ب» أَصْحَاباً.
(١٤) الحديث في الفخر الرازي ٢٥/١٨٦.
(١٥) وهي قراءة رويس أيضاً النشر ٢/٣٤٧ وتقريبه ١٦٠ والسبعة ٥١٦.
(١٦) ساقط من «ب».
(١٧) في «ب» وليقينهم وانظر: الدر المصون ٤/٣٦٢.

قولا سيبويه[١] والفارسي، والمعنى حين صبروا على دينهم وعلى البلاء من عدوهم بمصْر.

قوله: «إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ» هذا يصلح أن يكون جواباً لسؤال وهو أنه تعالى لما قال: «وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ» فكان لقائل أن يقول: كيف يَهْدُونَ وهم اختلفوا وصاروا فِرَقاً والحق واحد؟ فقال (الله)[٢] يبين المبتدع من المتبع كما يبين المؤمن من الكافر يوم القيامة.

قوله: «أَوَ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ» يتبين لهم «كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ القُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ» لما أعاد ذكر الرسالة أعاد ذكر التوحيد وقال: «أَوَ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ» وقوله «يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ» أي مساكن المُهْلَكِينَ (دلالة على[٣] حالتهم) وأنتم تمشون فيها وتبصرونها «إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ أَفَلاَ يَسْمَعُونَ» آيات الله وعِظَاته واعتبر السمع لأنهم ما كان لهم قوة الإدراك بأنفسهم والاستنباط بعقولهم فقال: «أفلا يسمعون» (يعني)[٤] ليس لكم درجة المتعلم الذي يسمع الشيء ويفهمه.

قوله: «أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ المَاءَ إِلَى الأَرْضِ الجُرُزِ» قرىء[٥] الجُرْز ـ بسكون الراء ـ وتقدم أول الكهف[٦]. وهي الأرض اليابسة[٧] الغليظة التي لا نبات فيها، قال ابن عباس: هي أرض باليمن[٨]، وقال مجاهد: هي أرض بأنين[٩]. والجرز هو القطع فكأنها المقطوع عنها الماء والنبات. لما بين الإهلاك وهو الإماتة بين الإحياء ليكون إشارة إلى أن الضرر والنفع بيد الله ثم قال: «فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُل مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ» من العشب والتبن «وأَنْفُسُهُمْ» من الحبوب والأقوات، وقدم الأنعام على الأنفس في الأكل لوجوه:

الأول: أن الزرع أول ما ينبت للدوابّ ولا يصلح للإنسان.

الثاني: أن الزرع غذاء للدواب لا بدّ منه وأما غذاء الإنسان فقد يصلح للحيوان فكان الحيوان يأكل الزرع ثم الإنسان يأكل من الحيوان[١٠].

قوله: «أَفَلاَ يُبْصِرُونَ» قرأ العامة بالغيبة، (وابن مسعود)[١١] بالخطاب[١٢] التفاتاً.

---

(١) انظر الكتاب ٤/ ٢٣٤.
(٢) ساقط من «ب».
(٣) سقط كذلك من «ب».
(٤) ساقط من «ب».
(٥) ذكرت في البحر المحيط ٧/ ٢٠٥ وهي من الشواذ.
(٦) يقصد قول الله: ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً﴾ وهي الآية (٨).
(٧) انظر: مجاز القرآن ٢/ ١٣٢ وغريب القرآن ٣٤٧ ومعاني القرآن للفراء ٢/ ٣٣٣ واللسان جرز.
(٨) تفسير القرطبي ١٤/ ١١٠.
(٩) تفسير القرطبي ١٤/ ١١٠ وقال عكرمة: هي الأرض الظمأى. وقال الضحاك: هي الأرض الميتة العطشى.
(١٠) تفسير الفخر الرازي ٢٥/ ١٨٧.
(١١) ساقط من «ب».
(١٢) ذكرها أبو حيان في البحر ٧/ ٢٠٥ والدر المصون ٤/ ٣٦٢.

وقال تبصرون لأن الأمر (يرى)[١] بخلاف حال الماضي[٢] فإنها[٣] كانت مسموعة.
ثم لما بين الرسالة والتوحيد بيّن الحشر فقال: «وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الفَتْحُ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» قيل: أراد بيوم الفتح يوم القيامة الذي فيه الحكم بين العباد[٤] قال قتادة: قال أصحاب النبي ـ ﷺ ـ للكفار: إنّ لنا يوماً ننعم[٥] فيه ونستريح ويحكم الله بيننا وبينكم فقالوا استهزاء[٦]: «مَتَى هَذَا الفَتْحُ» أي القضاء والحكم. وقال الكلبي: يعني فتح مكة[٧]، وقال السدي: يوم بدر لأن[٨] أصحاب النبي ـ ﷺ ـ كانوا يقولون لهم إن الله ناصرنا ومظهرنا عليكم فيقولون متى هذا الفتح.

فصل

«يوم الفتح» منصوب «بلاَ يَنْفَعُ» و «لا» غير مانعة من ذلك[٩]. وقد تقدم فيها مذاهب والمعنى يوم الفتح يوم القيامة لا ينفع الذين كفروا إيمانُهُمْ، ومن حمل الفتح على فتح مكة والقتل يوم بدر قال معناه لا ينفع الذين كفروا إيمانهم إذا جاءهم العذاب وقُتِلُوا «وَلاَ هُمْ يُنْظَرُونَ» أي لا يُمْهَلُونَ[١٠] بالإعادة إلى الدنيا ليؤمنوا، ثم لما بين أن الدلائل لم تنفعهم قال: «فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ» قال ابن عباس: نسختها آية القتال[١١].

قوله: «وانْتَظِرْ إنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ» العامة على كسر الظاء من «مُنْتَظِرٍ» اسم فاعل، والمفعولُ من «انْتَظَرَ» ومن «مُنْتَظِرُونَ»[١٢] محذوف أي انتظر ما يَحُلُّ بهم إنهم منتظرون (على زَعْمِهِمْ[١٣] ما يحل بك. وقرأ اليَمَانِيُّ[١٤]: «مُنْتَظَرُونَ») اسم[١٥] مفعول.

قيل: المعنى انتظر موعدي[١٦] لك بالنصر إنهم منتظرون بك حوادث الزمان.

---

(١) زيادة يقتضيها السياق من الفخر الرازي ٢٥/ ١٨٧.
(٢) وفيه الماضين. (٣) في «ب» كأنها.
(٤) وهو رأي مجاهد أيضاً نقله في زاد المسير ٦/ ٣٤٤.
(٥) في «ب» نتنعم. (٦) نقله القرطبي في ١٤/ ١١١.
(٧) وهو رأي ابن السائب والفراء وابن قتيبة. نقله الإمام ابن الجوزي في الزاد ٦/ ٣٤٤.
(٨) المرجع السابق.
(٩) نقله في البحر المحيط ٧/ ٢٠٦ والدر المصون ٤/ ٣٦٢.
(١٠) نقله الفخر الرازي ٢٥/ ١٨٨.
(١١) ذكره الإمام أبو الفرج بن الجوزي في الزاد ٦/ ٣٤٦ وقيل: الآية غير منسوخة. انظر: القرطبي ١٤/ ١١٢.
(١٢) ذكره أبو حيان في البحر ٧/ ٢٠٦ والدر المصون ٤/ ٣٦٢.
(١٣) ما بين القوسين ساقط من «ب». (١٤) هو ابن السّمَيْقع وقد عرفته.
(١٥) وهي قراءة شاذة انظر: المحتسب ٢/ ١٧٥ وابن خالويه ١١٨ والبحر المحيط ٧/ ٢٠٦، والقرطبي ١٤/ ١١٢.
(١٦) المرجع الأخير السابق.

وقيل: انتظر[١] عذابنا فيهم إنهم منتظرون ذلك وعلى هذا فلا فرق بين الانتظار، وقيل: انتظر عذابهم[٢] بنفسك إنهم منتظرونه بلفظهم استهزاءاً كما قالوا: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ [الأعراف: ٧٠].

فصل

روى أبو هريرة قال: كان رسول الله ـ ﷺ ـ يقرأ في الفجر يوم الجمعة «الٓمٓ. تَنْزِيلُ» و «هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ»[٣].

وعن جابر قال: كان النبي ـ ﷺ ـ لا ينام حتى يقرأ تَبَارَكَ. والٓمٓ. تنزيل، ويقول: هما يَفْضُلاَنَ عَلَى كُلِّ سُورةٍ في القرآن سبعينَ سَنَةً، ومن قرأهما كُتِبَ له سَبْعُونَ حَسَنَةً، ومُحِيَ عنه سَبْعُونَ سَيِّئَةً، ورُفِعَ له سَبْعُونَ دَرَجَةً[٤].

وروى الثعلبي عن ابن عباس عن أُبَيِّ بن كعب أن النبي ـ ﷺ ـ قال: مَنْ قَرَأَ سورة «الٓمٓ. تَنْزِيلُ» أَعْطِيَ من الأجْرِ كَمَنْ أَحْيَا لَيْلَةَ القَدْرِ[٥]. والله أعلم.

---

(١) انظر الفخر الرازي ٢٥/١٨٨.
(٢) انظر الفخر الرازي ٢٥/١٨٨.
(٣) أخرجه الشوكاني في فتح القدير ٤/٢٤٦.
(٤) المرجع السابق.
(٥) السابق بلفظ: من قرأ «تبارك الذي بيده الملك» و «الٓمٓ. تنزيل السجدة» بَيْنَ المَغْرِب والعِشَاءِ الآخِرَة فَكَأَنَّما قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ. وانظر: السراج المنير ٣/٢١٦، والبيضاوي ٢/١٢٦، والكشاف ٣/٢٤٧.

سورة الأحزاب

مكية[1] نزلت بعد آل عمران، وهي ثلاث وسبعون آية ومائتان وثمانون كلمة وخمسة آلاف وسبعمائة حرف.

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾﴾

قوله تعالى: **﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾** اعلم أن الفرق بين نداء المنادى بقوله: «يَا رَجُلُ» ويأَيُّهَا الرَّجُل، أن قوله: «يَا رَجُل» يدل عل النداء، وقوله: «يا أيها الرجل» يدل على ذلك ويُنْبِىءُ عن خطر المنادى له أو غفلة المنادى فقوله: «يأيها» لا يجوز حمله على غفلة النبي - ﷺ - لأن قوله: «النبي» ينافي الغفلة؛ لأن النبي - ﷺ - خبيرٌ، فلا يكون غافلاً، فيجب حمله على خَطَر الخَطْب[2].

فإن قيل: الأمر بالشيء[3] لا يكون إلا عند عدم اشتغال المأمور بالمأمورية إذ لا يصلح أن (يكون)[4] يقال للجالس: اجلس وللساكت[5] اسْكُتْ والنبي - عليه

---

(١) نقل الإمام الشوكاني في فتح القدير أنها مدنية، ونزلت بالمدينة وانظر: فتح القدير ٤/٢٥٩. وذكر ابن الجوزي كذلك في زاد المسير ٦/٣٤٧، والإمام القرطبي في الجامع ١٤/١١٣.

(٢) وانظر هذا في تفسير الإمام الفخر ٢٥/١٨٩، قال: ونحن نقول: قول القائل: يا رجل يدل على النداء، وقوله: يأيها الرجل يدل على ذلك أيضاً وينبىء عن خطر خطب المنادى له أو غفلة المنادى.

(٣) هكذا هي هنا وفي «ب» بالنبي وهو تحريف.

(٤) زيادة لا معنى لها.

(٥) في (ب) ولا للساكت.

الصلاة والسلام[(١)] ـ كان متقياً فما الوجه في قوله «اتق الله»؟.

فالجواب: أنه أمر (بالمدينة[(٢)]) بالمداومة فإنه يصح أن يقال للجالس: اجلس ههنا إلى أن يأتيك ويقال للساكت قد أصبت فاسكت تسلم أي دُمْ على ما أنت عليه، وأيضاً من جهة العقل أن الملك يتقي منه عباده على ثلاثة أوجه بعضهم يخاف من عقابه وبعضهم يخاف من قطع ثوابه وثالث يخاف من احتجابه فالنبي ـ عليه (الصلاة[(٣)] و) السلام لم يؤمر بالتقوى بالأول ولا بالثاني، وأما الثالث: فالمخلص لا يأمنه ما دام في الدنيا فكيف والأمور البدنية شاغلة فالآدَميُّ في الدنيا تارة مع الله والأخرى مقبل على ما لا بد منه وإن كان معه الله وإلى هذا أشار بقوله: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الكهف: ١١٠] يعني[(٤)] برفع الحجاب عني وقت الوحي ثم أعود إليكم كأني منكم فأُمِرَ بتقوى توجب استدامة الحضور، وقال المفسرون: نزلت في أبي سفيان وعكرمة بن أبي جهل وأبي الأعور[(٥)] عمرو بن أبي (رأس المنافقين) بعد قتال أحد وقد أعطاهم النبي ـ ﷺ ـ الأمان على أن يكلموه فقام (معهم[(٦)]) عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح، وطُعْمَةُ بن أُبَيْرِق فقالوا للنبي ـ ﷺ ـ وعنده عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ارفض ذكر آلهتنا اللاتَ والعُزَّى ومَنَاةَ وقل إن لها شفاعةً لمن عبدها وندعك وربَّك فشق على النبي ـ ﷺ ـ قولهم فقال عمر: يا رسول اللَّهِ ائذنْ لي في قتلهم[(٧)]. فقال: إني قد أعطيتهم الأمان. فقال عمر: اخرجوا في لعنة الله وغضبه وأمر النبي ـ ﷺ ـ عمر أن يُخْرِجَهُمْ من المدينة فأنزل الله: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ أي دُم على التقوى كما يقول الرجل لغيره وهو قائم: «قُمْ[(٨)] قائماً» أي اثبتْ[(٩)] قائماً، وقيل: الخطاب مع[(١٠)] النبي ـ ﷺ ـ والمراد الأمة، وقال الضحاك معناه: اتق الله ولا تَنْقُضِ العهد الذي بينك وبينهم.

قوله: «وَلاَ تُطِعِ الكَافِرِينَ» أي من أهل مكة يعني أبا سفيان، وعكرمة وأبا الأعور، والمنافقين من أهل المدينة عبد الله بن أبي، وطعمة «إنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً (حَكِيماً[(١١)])» بخلقه قبل أن يخلقهم حكيماً فيما دبره لهم.

فإن قيل: لم خص الكافر[(١٢)] والمنافق بالذكر مع أن النبي ـ ﷺ ـ ينبغي أن لا يطع أحداً غير الله؟.

فالجواب من وجهين:

---

(١) في «ب» ﷺ ومجد وشرف وكرم وبجل وعظم. (٢) زيادة لا معنى لها.
(٣) زيادة من «ب».
(٤) في «ب» أي.
(٥) أسباب النزول للسيوطي ١٣٦.
(٦) ساقط من «ب».
(٧) في «ب» أضرب عنقهم.
(٨) في «ب» أقم ها هنا.
(٩) تفسير الفخر الرازي ٢٥/ ١٨٩.
(١٠) القرطبي ١٤/ ١١٥.
(١١) ساقط من «ب».
(١٢) في «ب» الكافرين والمنافقين بصيغة الجموع.

الأول: أن ذكر الغير لا حاجة إليه لأن غيرهما لا يطلب من النبي ـ عليه السلام[١] ـ الاتِّبَاع ولا يتوقع أن يصير النبي ـ ﷺ ـ مطيعاً له بل يقصد اتباعه ولا يكون عنده إلا مطاعاً.

الثاني: أنه (تعالى[٢]) لما قال: «وَلاَ تُطِعِ الكَافِرِينَ والمُنَافِقِينَ» منعه (من[٣]) طاعة الكل لأن كل من طلب من النبي ـ ﷺ ـ طاعته فهو كافر أو منافق لأن من يأمر النبي ـ ﷺ ـ يأمر إيجاب معتقداً[٤] أنه لو لم يفعله يعاقبه[٥] بحق يكون[٦] كافراً.

قوله: «واتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبكَ» وهذا يقدر ما ذكره أولاً من أنه عليم حكيم فاتباعه واجب[٧].

قوله: «بِمَا تعملون خَبِيراً» وبعده «بما يعملون بصيراً» قرأهما أبو عمرو بياء الغيبة[٨]، والباقون بتاء الخطاب أما الغيبة (في الأولى[٩]) فلقوله: «الكافرين والمنافقين» وأما الخطاب فلقوله: «يأيها النبي» لأن المراد هو وأمته وخوطب بالجمع تعظيماً (له[١٠]) كقوله:

٤٠٦٨ ـ فَإِنْ شِئْتُ حَرَّمْتُ النِّسَاءَ سِوَاكُم ....[١١]

وجوز أبو حيان أن يكون التفاتاً يعني (عن[١٢]) الغائبين (و[١٣]) الكافرين والمنافقين (وهو بعيد[١٤]) وأما (الغيبة[١٥]) في الثاني فلقوله «إذ جاءتكم جنود» وأما الخطاب فلقوله «يأيها الذين آمنوا». قوله: «وتوكل على الله» أي ثق بالله يعني إن توهمت من أحد فتوكل على الله فإنه[١٦] كافيك «وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً» حافظاً لك، وقيل: كفيلاً برزْقكَ. قوله «مَا

---

(١) في «ب» ﷺ.
(٢) سقط من «ب».
(٣) كذلك.
(٤) في «ب» يعتقد.
(٥) في «ب» لعاقبة.
(٦) نقله في التفسير الكبير ٢٥/ ١٩٠.
(٧) المرجع السابق.
(٨) وهي قراء ابن أبي إسحاق والسلمي أيضاً على الخبر وانظر: القرطبي ١٤/ ١١٥ والبحر ٧/ ٢١٠، والسبعة ١٨، والإتحاف ٣٥٢.
(٩) ساقط من «ب».
(١٠) كذلك.
(١١) هذا صدر بيت من الطويل وعجزه:

.... وَإِن شِئْتُ لَمْ أَطْعَمْ نُقَاخاً وَلاَ بَرْدَا

وينسب لعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان والصواب أنه لعمر بن أبي ربيعة، وهو بديوانه ٥١ والنقا: الماء، والبرد: النوم وشاهده يكمن في «سواكم» فإنه يخاطب فرداً ولكن جمع تعظيماً له وهكذا الآية كذلك وانظر: اللسان: «ب ر د» ٢٤٩ ونقح ٤٥١٧ وشرح شواهد الكشاف ٤/ ٣٦٩ و ١/ ٣٨١ من الكشاف.
(١٢) و (١٣) و (١٤) سواقط من «ب» وانظر البحر المحيط ٧/ ٢١٠.
(١٥) سقط من «ب».
(١٦) في «ب» أنه.

جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ» نزلت في أبي يَعْمُرَ[١] (و[٢]) جميل بن مَعْمَرِ الفِهْرِي وكان رجلاً لبيباً حافظاً لما يسمعه[٣] فقالت قريش: ما حفظ أبو معمر هذه الأشياء إلا وله قلبان وكان يقول: لي قلبان[٤] أعقِلُ بكُلٍّ واحد منهما أَفْضَلُ من عقل محمد فلما هزم الله المشركين يوم بدر انهزم أبو مَعْمَرٍ فَلَقِيَهُ أبو سفيان وإحدى نعليه بيده والأخرى في رجله فقال له: يا أبا معمر ما حال الناس؟ قال: انهزموا قال فما لك إحدى نعليك (في يدك[٥]) والأخرى في رجلك. قال أبو معمر: ما شعرت إلا أنهما في رجلي فعلموا يومئذ أنه لو كان له قلبان لما نسي نَعْلَهُ في يده[٦].

وقال الزُّهْرِيُّ ومقاتل: هذا[٧] مَثَلٌ ضربه الله للمظاهر من امرأته والمتبنيّ ولد[٨] غيره يقول[٩]: فكما لا يكون لرجل قلبان فكذلك[١٠] لا يكون امرأة المظاهر أمه حتى يكون لها ابناً ولا يكون ولداً واحداً من[١١] رَجُلَيْنِ. (قال الزَّمخشري[١٢]): قوله: «وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُم اللاَّئِي تُظَاهِرُونَ مِنهُنَّ أَمَّهَاتِكُمْ» أي ما جعل الله لرجل قلبين كما لم يجعل لرجلين أمين ولا لابن أَبَوَيْنِ[١٣]، (وقوله: «وما جعل أزواجكم اللائي»)[١٤] قرأ الكوفيونَ وابن عامر اللائي ههنا وفي سورة الطلاق بياء[١٥] ساكنة بعد همزة مكسورة وهذا هو الأصل في هذا اللفظة لأنه جمع «التي» معنى وأبو عمرو والبَزِّيُّ[١٦] اللائي بياء ساكنة وصلاً بعد ألف محضة في أحد وجهيها، ولهما وجه آخر سيأتي، ووجه هذه القراءة أنهما حذفا الياء بعد الهمزة تخفيفاً ثم أبدلا الهمزة ياء وسكناها لصيرورتها ياء مكسوراً ما قبلها[١٧] (إلاَّ أنَّ هذا ليس بقياس وإنما القياس[١٨] جعل الهمزة بين بين).

---

(١) في «ب» معمر وهو الأصح.
(٢) زيادة من «أ» لا معنى لها.
(٣) في «ب» لما يسمع بدون عائد.
(٤) في «ب» إن لي قلبين.
(٥) سقط من «ب».
(٦) القرطبي ١٤/١١٦.
(٧) المرجع السابق.
(٨) في «ب» وللمتمني ولد غيره.
(٩) في «ب» معقول بدلاً من «يقول» وهو تحريف.
(١٠) في «ب» كذلك.
(١١) في «ب» ابن رجلين.
(١٢) ساقط من «ب».
(١٣) انظر: الكشاف ٣/ ٢٩٤.
(١٤) ساقط من «ب».
(١٥) انظر: الكشاف ٣/٢٤٦ والإتحاف ٣٥٢ والسبعة ٥١٨ وإبراز المعاني ٦٤٤ وهي قراءة حمزة والكسائي وعاصم أيضاً وهذا الاتفاق يجيء في سورة المجادلة أيضاً.
(١٦) هو: أحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن نافع بن أبي بزة أبو الحسن البَزِّي المَكِّي المُقْرِىء قارىء ومؤذن المسجد الحرام مات سنة ٢٥٠ هـ، غاية النهاية ١/١١٩ وكذلك معرفة القراء الكبار ١/ ١٧٣.
(١٧) كياء الغازي والقاضي وانظر: حجة ابن خالويه ٢٨٨ والكشف عن وجوه القراءات ٢/ ١٩٣.
(١٨) تكملة وزيادة من «ب».

(قال أبو علي[١]: لا يُقْدَمُ على مثل هذا البدل إلا أن يُسْمَعَ)[٢]. قال شهاب[٣] الدين: قال أبو عمرو بن العلاء إنها لغة قُريش التي أمر الناس أن يقرءوا بها. وقال بعضهم: لم يبدلوا وإنما كتبوا فعبر عنهم القرآن[٤] بالإبدال. وليس بشيء. وقال أبو علي: «أو غير بإظهار أبي عمرو اللائي يَئِسْنَ يدل على أنه يشهد[٥] ولم يبدل» وهذا غير لازم لأن البدل عارض فلذلك لم يدغم وقرأها ورش بهمزةٍ مُسَهلَةٍ بَيْنَ بَيْنَ[٦]، وهذا الذي زعم بعضهم أنه لم يصح عنهم غيره وهو تخفيف قياسي، وإذا وقفوا سكنوا الهمزة ومتى سكنوها استحال تسهيلها بين بين لزوال حركتها فتقلب ياءً لوقوعها ساكنةً بعد كسرة وليس (هذا)[٧] من مذهبهم تخفيفها[٨] فتقر همزة، وقرأ قُنْبُل وورش بهمزة[٩] مكسورة دون ياء، حذف الياء واجتزأ عنها بالكسرة وهذا الخلاف بعينه جارٍ في المجادلة[١٠] أيضاً والطلاق[١١].

قوله: «تَظَاهَرُونَ» قرأ عاصمٌ تُظَاهِرُونَ بضم التاء وكسر الهاء بعد ألف، مضارع «ظَاهَرَ» وابن عامر «تَظَّاهَرون» بفتح التاء والهاء وتشديد الظاء مضارع «تَظَاهَرَ» والأصل «تَتَظَاهَرُونَ» بتاءين فأدغم[١٢]. والأخوان[١٣] كذلك إلا أنهما خففا الظاء والأصل أيضاً بتاءين (إلا أنهما[١٤]) حذفا إحداهما، وهما طريقان في تخفيف هذا النحو إما الإدغام وإما الحذف وقد تقدم تحقيقه في نحو تَذّكر وتَذَّكّرون[١٥] مخففاً ومثقلاً وتقدم نحوه في البقرة أيضاً. والباقون «تَظَّهَرُونَ» بفتح التاء والحاء (وتشديد الظاء)[١٦] والهاء دون ألف، والأصل «تَتَظَهَّرُونَ» بتاءين فأدغم نحو «تذكرون» وقرأ الجميع[١٧] في المجادلة كقراءتهم

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ». وهو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان الإمام أبو علي المشهور واحد زمانه في العربية أخذ عن الزجاج وابن السراج وعنه الربعي وله مصنفات نافعة في القراءات والنحو وغيرها كالحجة والمسائل الحلبية، والبغدادية وغيرها مات سنة ٣٧٧، بغية الوعاة للسيوطي ١/ ٤٩٦.

(٢) الحجة في القراءات ٦/ ١٤٥.

(٣) الدر المصون ٤/ ٣٦٣ و ٣٦٤.

(٤) المرجع السابق وفي «ب» القراء.

(٥) في الحجة له: «يسهل» وهو الأصح وانظر: الحجة ٦/ ١٤٥ وإبراز المعاني للإمام أبي شامة فقد نقل قول أبي على ومعناه دون تعيين ص ٤٧ و ٦٤٤.

(٦) الإتحاف ٣٥٢ والسبعة ٥١٨.

(٧) ساقط من «ب».

(٨) في «ب» فتقلب وينظر: إبراز المعاني ٦٤٤ والدر المصون ٤/ ٣٦٤.

(٩) المراجع السابقة.

(١٠) الآية من المجادلة «٢».

(١١) الآية ٤ من الطلاق.

(١٢) المراجع السابقة.

(١٣) هما حمزة والكسائي. المراجع السابقة.

(١٤) سقط من «ب».

(١٥) وردت في آيات كثيرة إلا أن الأسبق آية الأعراف والأنعام الآية ١٥٢ من الأنعام والآية ٣ من الأعراف وقد قيل فيهما مثل ما قال أعلى.

(١٦) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(١٧) في «ب» وقراءة بصيغة الاسم.

في قوله: «الَّذِينَ يُظَهِّرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ» إلا الأخوين، فإنهما خالفا أصلهما هنا فقرءا في المجادلة بتشديد الظاء كقراءة ابن عامر. والظهار مشتق من الظَّهْر، وأصله أن يقول الرجل لامرأته[١]: «أَنْتَ عَلَيَّ كَظَهْرِ أُمِّي» وإنما لم يقرأ الأخوان بالتخفيف في المجادلة لعدم المسوِّغ[٢] له وهو الحذف؛ لأن الحذف إنما كان لاجتماع مثلين وهما التاءان وفي المجادلة ياء من تحت وتاء مِن فوق فلم يجتمع مثلان فلا حذف فاضطر إلى الإدغام وهذا ما قرىء به متواتراً[٣]، وقرأ ابن وثاب «تَظَهَّرُونَ» بفتح التاء والظاء مخففة وتشديد[٤] الهاء والأصل: تَتَظَهَّرُونَ مضارع «تَظَهَّر» مشدداً، فحذف إحدى التاءين، وقرأ الحسن «تُظَهِّرُونَ» بضم التاء وفتح الظاء مخففة وتشديد الهاء مكسورة مضارع «ظَهَّرَ» مشدداً[٥] وعن أبي عمرو «تَظْهَرُونَ» بفتح التاء والهاء وسكون الظاء مضارع «ظَهَرَ» مخففاً[٦] وقرأ أُبَيٌّ ـ وهي في مصحفه كذلك ـ تَتَظَهَّرُونَ ـ بتاءين[٧] فهذه تسع قراءات، أربعٌ متواترة، وخمسٌ شاذة، وأخذ هذه الأفعال من لفظ «الظَّهْر» كأخذ «لَبّى» من التَّلْبِيَةِ، و «أفف» من أُفّ. وإنما عدي «بمن» لأنه ضمن معنى التباعد كأنه قيل: يَتَبَاعَدُونَ من نسائهم بسبب الظهار كما تقدم في البقرة في تعدية الإيلاء (بمِنْ[٨]).

فصل

الظهار أن يقول الرجل لامرأته: أَنْتِ عَلَيَّ كظهرِ أمي، فقال الله تعالى: مَا جَعَلَ اللَّهُ نِسَاءَكُم اللاتي تقولون لهم هذا في التحريم كأمهاتكم ولكنه منكر وزور. وفيه كفارة يأتي ذكرها إن شاء الله تعالى في سورة المُجَادَلَة.

قوله: «وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُم» (يعني)[٩] ما جعل من تبنّيتموهم أبناءكم، (نسخ[١٠]) التبني[١١]، وذلك أن الرجل في الجاهلية كان يتبنى الرجل فيجعله كالابن يدعوه الناس إليه ويرث ميراثه، وكان النبي ـ ﷺ ـ أعتق زيد بن حارثة بن شراحيل

---

(١) في «ب» لزوجته. (٢) في «ب» لعدم مثل له.

(٣) نقله السمين في الدر المصون ٤/ ٣٦٤.

(٤) انظر: البحر ٧/ ٢١١ وقد نقل عنه أيضاً أنه قرأ «تظهرون» بضم التاء وكسر الهاء وسكون الظاء من «أظهر» وكلتا القراءتين شاذتان، انظر: بحر أبي حيان ٧/ ٢١١.

(٥) من القراءات الشاذة أيضاً غير المتواترة ذكرها ابن خالويه في مختصره ١١٨ والإتحاف ٣٥٣ ومعاني القرآن للفراء ٢/ ٣٣٤.

(٦) ابن خالويه ١١٨ والبحر المحيط ٧/ ٢١١ والدر المصون ٤/ ٣٦٤.

(٧) المرجعان السابقان.

(٨) يشير إلى الآية ٢٢٦ وهي قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾ وقد ذكر هناك أن الإيلاء عدي بمن أي يُبْعِدون مِنْ نسائهم، انظر: اللباب ١/ ٤٠٢ ب.

(٩) سقط من «ب». (١٠) سقط من «ب».

(١١) في «ب» التبين وهو تحريف.

الكلبي وتبناه قبل الوحي وآخى بينه[١] وبين[٢] حمزة بن عبد المطلب فلما تزوج رسول الله ـ ﷺ ـ زينب بنت جحش وكانت تحت زيدِ بن حارثة قال المنافقون تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى الناس عن ذلك فأنزل الله هذه الآية[٣]، ونسخ التبني. واعلم أن الظهار كان في الجاهلية طلاقاً حتى كان للزوج أن يتزوج بها من جديدٍ.

قوله: «ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ» مبتدأ وخبر أيْ دعاؤكم الأدعياء أبناء مجرد قول لسان[٤] من غير حقيقة، والأَدْعِيَاءُ جمع دَعِيٍّ بمعنى مَدْعُوٌّ فعيل بمعنى مفعول وأصله دَعِيوٌ فأدغم[٥] ولكن جمعه على أَدْعِيَاء غير مقيس؛ لأن «أفعلاء» إنما يكون جمعاً لفَعِيل المعتل اللام إذا كان بمعنى فاعل نحو: تَقِيّ وأَتْقِيَاء، وغَنِيّ وأَغنياء، وهذا وإن كان فعيلاً معتل اللام إلا أنه بمعنى مفعول فكان قياس جمعه على فَعْلَى كقَتِيل وقَتْلَى، وجَرِيح، وَجَرْحَى، ونظير هذه (الآية[٦] في) الشذوذ، قولهم: أَسِيرٌ وأُسَرَاء، والقياس: أَسْرَى[٧]، وقد سمع فيه الأصل[٨]. واعلم أن الله تعالى قال ههنا ﴿ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ وقال في قوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ [التوبة: ٣٠] يعني نسبة الشخص إلى غير الأب قول لا حقيقة له ولا يخرج من قلب ولا يدخل أيضاً في قلب، فهو قول بالفم مثل أصوات البهائم.

قوله: «وَاللَّهُ يَقُولُ الحَقَّ» أي قوله الحق «وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ» أي يرشد إلى سبيل الحق وهذا إشارة إلى أنه ينبغي للعاقل أن يكون قوله إما من عقل أو شرع فإذا قال: فلانُ بنُ فلان ينبغي أن يكون عن حقيقة أو شرع بأن يكون ابنه شرعاً وإن لم تعلم الحقيقة كمن تزوج بامرأةٍ فولدت لِستةِ أشْهُرٍ ولداً وكانت[٩] الزوجة من قبل زوجة شخص آخر يحتمل أن يكون الولد منه فإنا نلحقه بالزوج الثاني لقيام الفراش ونقول: إنه ابنه شرعاً، وفي الدَّعِيِّ لم توجد[١٠] الحقيقة ولا ورد الشرع به لأنه لا يقول إلا الحق وهذا خلاف الحق، لأن أباه مشهور ظاهر وأشار فيه من وجه آخر إلى أن قولهم هذه زوجة الابن فتحرم فقال الله هي لك حلال فقولهم لا اعتبار له لأنه بأفواههم كأصوات البهائم وقوله الحقّ فيجب اتباعه وهو يهدي السبيل فيجب اتباعه لكونه حقاً ولكونه هادياً[١١].

---

(١) في «ب» بنته. (٢) في «ب» من حمزة.

(٣) ذكره القرطبي في ١٤/١١٨ و ١٤/١٩٤ وقد روى الأئمة أن ابن عمر قال: ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد حتى نزلت: «ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّه».

(٤) في «ب» للسان.

(٥) بعد أن اجتمعت الواو والياء وسبق إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء ثم كانت مرحلة الإدغام اليائيّ.

(٦) سقط من «ب». (٧) ذكره أبو حيان في البحر ٧/٢١٢ والدر ٤/٣٦٥.

(٨) الدر ٤/٣٦٥ ويقصد أنه سمع دعوى جمعاً «للدَعِيّ» ولم أعثر على جمع تلك الكلمة بهذا الوزن.

(٩) الفخر ٢٥/١٩٢. (١٠) في «ب» لم توجب.

(١١) نقله الفخر في التفسير ٢٥/١٩٢.

قوله: «ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ» (أي الذين ولدوهم «هو أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ» أي أعدل قال عبد الله بن عِمران زيد بن حارثة مولى رسول الله ـ ﷺ ـ ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى نزل القرآن ادْعُوْهُمْ لآبائهم هو أقسط عند)[١] الله. واعلم أن قوله: هو أقسط أي دعاؤهم لآبائهم فهو مصدر قَاصِرٌ لدلالة فعله عليه كقوله: ﴿ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨] قال ابن الخطيب[٢] وهو يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون ترك الإضافة للعموم[٣] أي اعدلوا كل كلام كقولك الله أكبر.

الثاني: أن يكون ما تقدم مَنْويًا كأنه (قال[٤]): ذلك أقسط من قولكم هو ابن فلان ثم تمم الإرشاد فقال: «فَإِنْ لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانكُمْ فِي الدِّين» أي قولوا لهم إخواننا فإن كانوا مُجَرَّدِينَ فقولوا موالي فلان ثم قال: «وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأتُمْ بِهِ» أي قبل النهي فنسبتموه إلى غيره.

قوله: «وَلٰكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوْبُكُمْ» يجوز في «ما» وجهان:

أحدهما: أن تكون مجرورة المحل عطف على («ما[٥]») المجرورة قبلها بفي، والتقدير: ولكن الجناح فيما تعمدته.

الثاني: أنها مرفوعة المحل بالابتداء والخبر محذوف، تقديره تؤاخذون به أو عليكم فيه الجُنَاح[٦] ونحوه.

قوله: «إنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً» المغفرة هي أن يستر القادر قَبِيحَ مَنْ تَحْتِ قدرته حتى أنَّ العبد إذا ستر عيب سيده مخافةَ عقابه لا يقال غفر له والرحمة هي أن يميل بالإحسان إلى المرحوم لعجز المرحوم لا لعوض فإن من مال إلى إنسان قادر كالسلطان لا يقال رحمه[٧] وكذلك من أحسن إلى غيره رجاءَ في خيره أو عوضاً عما صدر منه آنفاً من الإحسان لا يقال: رحمه إذا علم هذا فالمغفرة إذا ذكرت قبل الرحمة يكون معناها أنه ستر عيبه ثم رآه مفلِساً عاجزاً فرحمه وأعطاه، وإذا ذكرت المغفرة بعد الرحمة وهو قليل يكون معناها أنه مال إليه لعجزه فترك عقابه (ولم[٨]) يقتصر عليه بل ستر ذنوبه[٩].

قوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب». (٢) الفخر ٢٥/١٩٣.
(٣) هكذا في الرازي المرجع السابق وما في «ب» المعلوم وهو تحريف.
(٤) ساقط من «ب» وهي في تفسير الرازي. (٥) ساقط من «ب».
(٦) ذكره في الدر المصون ٤/٣٦٥ وابن الأنباري في البيان ٢/٢٦٤ والفراء في معانيه ٢/٣٣٥ والعكبري في التبيان ١٠٥١.
(٧) ذكره الإمام الفخر في تفسيره (٢٥/١٩٣). (٨) ساقط من «ب».
(٩) نقله الفخر الرازي في تفسيره ٢٥/١٩٣ و ١٩٤.

بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾﴾

قوله: «النَّبِيُّ أَوْلَى بِالمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ» أي من بعضهم ببعض في نفوذ حكمه ووجوب طاعته عليهم وقال ابن عباس (وقتادة)[1] وعطاء يعني إذا دعاهم النبي ـ ﷺ ـ ودعتهم أنفسهم إلى شيء كانت طاعة النبي ـ ﷺ ـ أولى بهم من طاعة أنفسهم. وقال ابن زيد: النبي[2] أولى بالمؤمنين من أنفسهم فيما قضى بينهم كما كنت[3] أولى بعبدك فيما قضيت عليه، وقيل: أولى بهم في الحمل على الجهاد وبَذْلِ النفس[4] دونه، وقيل: كان النبي ـ ﷺ ـ يخرج إلى الجهاد فيقول قومٌ: نذهب فنَسْتَأْذِنُ[5] من آبائنا وأمهاتنا. فنزلت[6] (الآية[7])، وروى أبو هريرة أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «مَا مِنْ مُؤْمِنٍ إلاّ أَنَا أَوْلَى بِهِ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ اقْرَءَوا إنْ شِئْتُمْ: «النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم» فَأَيُّمَا مؤمِن مَاتَ وتَرَكَ مالاً فَلْيَرِثْهُ عَصَبَتُهُ مَنْ كَانُوا وَمَنْ تَرَكَ دُنْيا أو ضَيَاعاً فَلْيأْتني فَأَنَا مَوْلاَهُ»[8]. قوله: «وأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ» أي مثل أمهاتهم وهو أب لهم وهن أمهات المؤمنين في تعظيم حقهن وتحريم نكاحهن على التأبيد لا في النظر إليهن، والخلوة بهن فإنه حرام في حقهن كما في حق الأجانب قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ﴾ [الأحزاب: ٣٣] ولا يقال لبناتهن هن أخوات للمؤمنين ولا لإخوانهن[9] وأخواتهن أخوال المؤمنين وخالاتهم[10] وقال الشافعي: تزوج الزبير أسماء بنت أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ وهي أخت أم المؤمنين، واختلفوا في أنهن هل كن أمهات النساء المؤمنات. قيل: كن أمهات المؤمنين[11] جميعاً وقيل: كن أمهات المؤمنين دون النساء[12].

روى الشعبيُّ عن مسروق[13] أن امرأة قالت لعائشة يا أمه[14] فقالت: لست لك بأم

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ» وانظر زاد المسير ٦/ ٣٥٢.
(٢) ذكره الشوكاني في فتح القدير ٤/ ٢٦١. (٣) في «ب» كما أنت.
(٤) المرجع السابق. (٥) في «ب» نستأذن بدون فاء.
(٦) المرجع السابق. (٧) ساقط من «ب».
(٨) الحديث أورده الإمام البخاري ٣/ ١٧٤. (٩) في «ب» ولا لإخوتهن.
(١٠) في «ب» وخالاتهن. (١١) في «ب» والمؤمنات جميعاً.
(١٢) وانظر: القرطبي ١٤/ ١٢٣.
(١٣) هو مسروق بن الأجدع الهَمذانِيّ أبو عائشة الكوفي الإمام القدوة عن أبي بكر وعمر، وعلي ومعاذ وعنه زوجته، والشعبي وغيرهما مات ٦٣ هـ انظر: الخلاصة ٣٧٤.
(١٤) في «ب» يا أماه ـ بألف ـ.

إنما أنا أمُّ رِجَالِكُمْ فدل هذا على أن معنى هذه الأمومة تحريم نكاحهن.

فصل

قال ابن الخطيب: هذا تقرير آخر، وذلك لأن زوجة النبي ـ عليه السلام[(١)] ـ ما جعلها الله في حكم الأم إلا لقطع نظر الأمة عما تعلق به غرض النبي ـ عليه السلام[(٢)] ـ فإذا تعلق خاطره بامرأة شاركت زوجاته في التعلق فحرمت مثل ما حرمت أزواجه على غيره.

فإن قيل: كيف قال: وأزواجه أمهاتهم وقال من قبل: «ما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم» فأشار إلى أن غير من ولدت لا تصير أمًّا بوجه، ولذلك قال في موضع آخر «إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلاَّ اللاَّئِي وَلَدْنَهُمْ»؟.

فالجواب: أن قوله تعالى في الآية المتقدمة: «والله يقول الحق وهو يهدي السبيل» جواب عن هذا والمعنى أن الشرع مثل الحقيقة ولهذا يرجع العاقل عند تعذر اعتبار الحقيقة إلى الشريعة كما أن امرأتين (إذا[(٣)]) ادَّعَتْ كل واحدة ولداً (بعينه[(٤)]) ولم يكن لهما بينة وحلفت إحداهما دون الأخرى حكم لها بالولد فعلم أن عند عدم الوصول إلى الحقيقة يرجع إلى الشرع بل في بعض المواضع (على المندوب[(٥)]) تغلبُ الشريعة على الحقيقة فإن الزاني لا يجعل أباً لولدِ الزنا وإن كان ولده في الحقيقة وإذا كان كذلك فالشارع له الحكم فقول القائل: هذه أمي[(٦)] قول (يفهم[(٧)]) لا عن حقيقة ولا يترتب عليه حقيقة وأما قول الشارع فهو حق فله أن يتصرف في الحقائق كيف يشاء، ألا ترى أن الأم ما صارت أمًّا إلا بخلق الله الولد في رحمها ولو خلقه في جوف غيرها لكانت الأم غيرها فإذا كان الذي يجعل الأم الحقيقة أمًّا فله أن يسمي أي امرأة أمًّا ويعطيها حكم الأمومة. وأما من جهة المعقول في جعل أزواجه أمهاتنا هو أن الله تعالى جعل زوجة الأب محرمة على الابن لأن الزوجية تحصل[(٨)] الغيرة فإن تزوج[(٩)] بمن كانت تحت الأب يُفْضي إلى قطع الرحم والعقوق[(١٠)] ولكن النبي ـ عليه السلام[(١١)] ـ أشرف وأعلى درجةً من الأب وأولى بالإرضاء فإن الأب يربي في الدنيا فحسب والنبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ يربي في الدنيا والآخرة فوجب أن يكون زوجاته مثل زوجات الآباء.

---

(١) في «ب» ﷺ. (٢) في «ب» كذلك.
(٣) و (٤) سقطتا من «ب».
(٥) هي في التفسير الكبير للإمام الرازي بلفظ على المندور ولكنها ساقطة من «ب».
(٦) في «ب» هذه أمي يقول له نعم لا عن الحقيقة الخ.
(٧) تصحيح من الفخر الرازي في النسختين. (٨) وفيه «محل» محل الغيرة.
(٩) في الفخر فإن تزوج الابن. (١٠) في «ب» والشرف.
(١١) في «ب» ﷺ.

فإن قيل: فَلِمَ لم يقل إن النبي أبوكم ويحصل هذا المعنى أو لم يقل أزواج أبيكم؟.

فالجواب: أن الحكمة فيه هو النبي (عليه السلام[١]) (مما بينا[٢]) أنه إذا أراد زوجة واحدٍ من الأمة وجب عليه تركها ليتزوج بها النبي ـ عليه (الصلاة[٣] و) السلام[٤] ـ فلو قال: أنت أبوهم[٥] لحرم عليه زوجات المؤمنين على التأبيد، ولأنه لما جعل أولى بهم من أنفسهم والنفس مقدمة على الأب لقوله (ـ عليه السلام ـ)[٦]: «ابْدَأْ بِنَفْسِكَ ثُمَّ بِمَنْ تَعُولُ»[٧] ولذلك فإن[٨] المحتاج (إلى القوت[٩]) لا يجب عليه صرفه إلى (الأب ويجب عليه[١٠] صرفه إلى) النبي ـ ﷺ ـ ثم إن أزواجه لهم حكم أزواج الأب حتى لا تحرم أولادهن على المؤمنين ولا أخواتهن ولا أمهاتهن وإن كان الكل يحرمن في الأم الحقيقية والرضاعة.

قوله: «وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ» يعني في الميراث قال قتادة: كان المسلمون يتوارثون بالهجرة[١١] قال الكلبي: إخاء رسول الله ـ ﷺ ـ بين الناس كان يُؤاخِي بين رجلين فإذا مات أَحَدُهُما وَرِثَهُ الآخَرُ دون عصبته حتى[١٢] نزلت هذه الآية: «وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله» في حكم الله من المؤمنين الذين آخى رسول الله ـ ﷺ ـ بينهم والمهاجرين يعني ذوي القرابات بعضهم أولى بميراث بعض من أن يرثوا بالإيمان والهجرة فنسخت هذه الآية الموارثة بالمؤاخاة والهجرة فصارت بالقَرَابة وبعضهم يجوز فيه وجهين:

أحدهما: أن يكون بدلاً من أولو.

والثاني: أنه مبتدأ، وما بعده خبر، والجملة خبر[١٣] الأول.

قوله: «فِي كِتَابِ اللَّهِ» يجوز أن يتعلق «بأُولِي» إلا أن أفعل التفضيل يعمل في الظرف، ويجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه حال من الضمير في أولو والعامل فيها أولو لأنها شبيهة بالظرف ولا جائز أن يكون[١٤] حالاً (من أولو[١٥]) للفصل بالخَبَرِ ولأنه لا عامل[١٦] فيها.

---

(١) و (٢) و (٣) سواقط من «ب». (٤) انظر: الفخر الرازي ٢٥/ ١٩٥.
(٥) في «ب» فلو قال النبي أبوكم. (٦) ساقط من «أ».
(٧) الحديث رواه الإمام مسلم في صحيحه باب الزكاة برقم ٤١.
(٨) في «ب» كان. (٩) ساقط من «ب».
(١٠) ساقط من «ب».
(١١) و (١٢) حكاهما القرطبي في ١٤/ ١٢٤.
(١٣) قرره العكبري في التبيان ١٠٥٢ والدر المصون ٤/ ٣٦٦.
(١٤) المرجعان السابقان والبحر المحيط ٧/ ١٣. (١٥) ساقط من «ب».
(١٦) وهذا رأي أبي حَيَّانَ المرجع السابق.

قوله: «مِنَ المُؤمِنِينَ» يجوز فيه وجهان:

أحدهما: أنها «من» الجارة للمفضول كهي في «زَيْدٌ أَفْضَلُ مِنْ عَمْرٍو» والمعنى وأولو الأرحام أولى بالإرث من المؤمنين والمهاجرين الأجانب.

والثاني: أنها للبيان جيء بها بياناً لأولي الأرحام فيتعلق بمحذوف أي (أَعْنِي) والمعنى وأولو الأرحام من المؤمنين أولى بالإرْثِ من الأَجانب[١].

قوله: «إلاَّ أَنْ تَفْعَلُوا» هذا استثناء من غير الجنس وهو مستثنى من معنى الكلام وفحواه إذ التقدير وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في الإرث وغيره لكن[٢] إذا فعلتم مع غيرهم من[٣] أوليائكم خيراً كان لكم ذلك وعدى تفعلوا (بإلى) لتضمنه معنى تدخلوا، وأراد بالمعروف الوصية للذين يتولونه من المُعاقِدِينَ[٤] يعني إن أَوْصَيْتُم فغير الوارثين أولى وإذا لم تُوصُوا فالوارثون أولى بميراثكم وذلك أن الله لما نسخ التوارث بالحلف والهجرة وأباح أن يوصي (لمن يتولاه[٥]) بما أحب ثُلُثَ ماله. قال مجاهد: أراد بالمعروف المعرفة[٦] وحفظ الحُرْمَة بحق الإيمان والهجرة يعني وأولو الأرحام من المُؤْمِنِينَ والمهاجِرِين أولى ببعض أي لا توارث بين المسلم والكَافِرِ ولا بين المهاجر وغير المهاجر «إِلاَّ أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفاً» أي إلا أن تَعْرِضُوا[٧] لذوي قُرَابَاتِكُمْ بشيء وإن كانوا من غير أهل الإيمان والهجرة وهذا قول عطاءٍ وقتادةَ وعكرمة[٨].

فإن قيل: أي تعلق للميراث والوصية بما تقدم.

فالجواب: قال ابن الخطيب وجوابه من وجهين:

أحدهما: أن غير النبي في حال حياته لا يصير إليه[٩] مال الغير وبعد وفاته لا يصير ماله لغير ورثته والنبي ـ عليه السلام ـ في حال حياته كان يصير له مال الغير إذا أراده ولا يصير ماله لوَرثَتِهِ بعد وفاته فكأن الله تعالى عوض النبي عن قطع ميراثه بقدرته بأن له تملك مال الغير وعوض المؤمنين بأن ما تركه النبي يرجع إليهم حتى لا يكون حرج على المؤمنين في أن النبي (عليه[١٠] السلام) إذا أراد شيئاً يصير له ثم يموت ويبقى لورثته فيفوت[١١] عليهم، ولا يرجع إليهم فقال الله تعالى: «وَأولو الأَرْحَام بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ»

---

(١) التبيان ١٥٢ والدر المصون ٤/٦٦ والبحر المحيط ٧/٢١٣.
(٢) المرجعين السابقين.
(٣) في «ب» أي غير أوليائكم.
(٤) في «ب» المعاهدين.
(٥) سقط من «ب».
(٦) نقله في تفسير القرطبي ١٤/١٢٦.
(٧) في «ب» إلا أن توصوا.
(٨) انظر: المرجع السابق.
(٩) في «ب» لا يصير له وهو الموافق لما في تفسير الفخر الرازي ٢٥/١٩٦.
(١٠) ساقط من «ب».
(١١) هكذا هي هنا وفي تفسير الفخر وما في «ب» فيعود.

يعني التوارث بينكم فيصير مال أحدكم لغيره بالإرث والنبي لا توارث بينه وبين أقاربه فينبغي أن يكون له بدل هذا وهو أنه أولى في حياته بما في أيديكم.

الثاني: أن الله تعالى ذكر دليلاً على أن النبي عليه السلام أولى[١] فيصير أولى من قريبه فكأنه بالواقع قطع الإرث وقال هذا مالي لا ينتقل عني إلا لمن أريده فكذلك جعل الله تعالى لنبيه من الدنيا ما أراده ثم ما يفضل منه يكون لغيره ثم قال «كَانَ ذَلِكَ فِي الكِتَابِ مَسْطُوراً» مكتوباً. قال القرطبي[٢]: أراد بالكتاب القرآن وهو آية المواريث[٣] والوصية وقيل: اللوح المحفوظ.

قوله: «وإذْ أَخَذْنَا مِنَ النبيين ميثاقهم» الآية وجه تعلق[٤] هذه الآية بما قبلها هو أن الله تعالى لما أمر النبي عليه السلام بالاتقاء وقال: «يأيها النبي اتق الله» وأكده بالحكاية التي خشي (فيها)[٥] منهم، خفّف عنه لكي لا يخشى أحداً غيره وبين أنه لم يرتكب[٦] أمراً يوجب الخشية بقوله: «النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم» وأكده بوجه آخر فقال: «وإذْ أَخَذْنَا» كأنه قال: اتق الله ولا تخف أحداً واذكر أن الله (أخذ ميثاق)[٧] النبيين في أنهم مبلغون رسالات الله ولا يمنعهم من ذلك خوف ولا طمع والمراد من الميثاق العهد الذي بينه في إرسالهم وأمرهم بالتبليغ وأن يصدق بعضهم بعضاً قال مقاتل: أخذنا ميثاقهم[٨] على أن يدعوا الناس إلى عبادته، ويصدق بعضهم بعضاً وينصحوا لقومهم.

قوله: «وإذْ» يجوز فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون منصوباً «باذكر» أي اذْكُرْ إِذْ أَخَذْنَا[٩].

والثاني: أن يكون معطوفاً على مَحَلِّ: «في الكتاب» فيعمل فيه «مَسْطُوراً» أي كان مسطوراً في الكتاب (و[١٠]) وقت أَخْذِنا.

قوله[١١]: «ومِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ» خص هؤلاء

---

(١) في «ب» (أولى بالمؤمنين وهو أن أولي الأرحام بعضهم أولى ببعض ثم إذ أراد أحد برًا مع صديق فيوصي له بشيء فيصير أولى من قريبه الخ.

(٢) الأصح أنه القرطبي وقد تقدمت ترجمته وانظر: القرطبي ١٤/ ١٢٧.

(٣) تفسير الفخر الرازي ٢٥/ ١٩٦.

(٤) كذا قرره الإمام الفخر الرازي في تفسيره ٢٥/ ١٩٦.

(٥) في «ب» فيه وهو خطأ لأن الضمير يعود على الحكاية.

(٦) هكذا هي أيضاً في تفسير الفخر، وما في «ب» لم يترك.

(٧) في «ب» واذكر إذ أخذنا.

(٨) كذا قرره الإمام أبو الفرج ابن الجوزي في تفسيره زاد المسير ٦/ ٣٥٤.

(٩) هذا قول أبي البقاء في التبْيَان ١٠٥٢. (١٠) ساقط من «ب».

(١١) وهذا رأي الحوفي وابن عطية انظر: البحر المحيط ٧/ ٢١٢.

الخمسةَ بالذكر لأنهم أصحاب الكتب والشرائع وأولو العزم من الرُّسُلِ، وقدم النبي ـ ﷺ ـ لأنه أولهم في كتاب الله، كما قال ﷺ: كُنْتُ أَوَّلَ النبيّين في الخَلْقِ، وآخِرَهم في البَعْثِ[١] قال قتادة وذلك قول الله عز وجل: «وإذْ أَخَذْنَا مِنَ النبيّين مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ[٢] نُوحٍ» فبدأ به[٣] ـ ﷺ ـ قال ابن الخطيب[٤]: وخص بالذكر أربعة من الأنبياء وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى، لأن موسى وعيسى كان لهما في زمان نبينا قوم وأمة فذكرهما احتجاجاً على قومهما[٥]، وإبراهيم (عليه الصلاة[٦] والسلام) يقولون بفضله (وكانوا[٧] يتبعونه في الشعائر، ونوحاً لأنه كان أصلاً ثانياً للناس حيث وجد الخلق منه بعد الطوفان)، وعلى هذا لو قال قائل: فآدم كان أولى بالذكر من نوح فنقول[٨]: خلق آدم كان للعمارة ونبوته كانت مثل الأبوّة للأولاد ولهذا لم يكن في زمانه إهلاك قوم ولا تعذيب، وأما نوحٌ فكان مخلوقاً للنبوة وأرسل للإنزال ولما كذّبوه أهلك قومه وأغرقوا، وأما ذكر عيسى بقوله: عيسى ابن مريم والمسيح ابن مريم؛ فهو إشارة إلى أنه لا أب له، إذ لو كان لوقع التعريفُ به[٩].

قوله: «مِيثَاقاً غَلِيظاً» هو الأول، وإنما كرر لزيادة صفته وإيذانا بتوكيده[١٠]، قال المفسرون: عهداً شديداً على[١١] الوفاء بما حملوا.

قوله: «ليسألَ» فيها وجهان:

أحدهما: أنها لام كي أي أخذنا ميثاقهم ليسأل المؤمنين عن صدقهم والكافرين عن تكذيبهم فاستغنى عن الثاني بذكر مُسَبَّبِهِ وهو قوله: «وأَعَدَّ». ومفعول صدقهم محذوف أي صِدْقِهِمْ عَهْدَهُمْ، ويجوز أن يكون «صِدْقِهِم» في معنى تصديقهم ومفعوله محذوف أيضاً أي عن تصديقهم الأنْبِيَاءَ[١٢].

قوله: «وأَعَدَّ» يجوز فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون معطوفاً على ما دل عليه «لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ»؛ إذ التقدير: فأثاب الصادقين وأعد للكافرين.

---

(١) انظر: تفسير القرطبي ١٤/ ١٢٧.
(٢) زاد المسير ٦/ ٣٥٤.
(٣) في «ب» فبدأ بالنبيِّ.
(٤) انظر تفسيره ص ١٩٧ ج ٢٥.
(٥) هكذا هي هنا وفي تفسيره وما في «ب»: قومهم بالجمع.
(٦) زيادة من «ب».
(٧) ما بين القوسين ساقط من «ب».
(٨) في «ب» نقول بدون فاء.
(٩) ذكره الرازي في تفسيره ٢٥/ ١٩٧.
(١٠) قرره السمين في الدر ٤/ ٣٦٦.
(١١) قاله القرطبي في تفسيره ١٤/ ١٢٧.
(١٢) ذكره أبو حيان في بحره ٧/ ٢١٣ وكذا السمين ٤/ ٣٦٦ ولقد رجح أبو حيان أن تكون اللام للصيرورة وهذا هو الوجه الثاني فيها فقال: «يحتمل أن تكون لام الصيرورة أي أخذ الميثاق على الأنبياء ليصير الأمر إلى كذا» البحر ٧/ ٢١٣، وانظر: الكشاف أيضاً ٣/ ٢٥٢.

والثاني: أنه معطوف على «أَخَذْنَا»؛ لأن المعنى أن الله أكد على الأنبياء الدعوة إلى دينه لإثابة المؤمنين وأعد للكافرين، وقيل: إنه حذف من الثاني ما أثبت مُقَابِلُهُ في الأول، ومن الأول ما أثبت مقابلهُ في الثاني والتقدير: ليسأل الصادقين عن صدقهم فأثابهم ويسأل الكافرين عما أجابوا رُسُلَهُمْ «وأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً»(١).

فصل

قال المفسرون: المعنى أخذنا ميثاقهم لكي يسأل الصادقين عن صدقهم يعني النبيين عن تبليغهم الرسالة والحكمة في سؤالهم(٢) مع علمه أنهم صادقون بتبكيت من أرسلوا إليهم. وقيل: ليسأل الصادقين عن علمهم بالله عز وجل، وقيل: ليسأل الصادقين بأفواههم(٣) عن صدقهم بقلوبهم(٤).

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا
عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ
أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾
هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ
مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْ ۚ
وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ
دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلْفِتْنَةَ لَءَاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُواْ
عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن
فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ
إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿**يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم**....﴾ الآية وهذا تحقيق لما سبق من الأمر بتقوى الله بحيث لا يبقى معه خوف من أحد وذلك حين حُوصِرَ المسلمون مع رسول الله ـ ﷺ ـ أيام الخَنْدَق، واجتمع الأحزاب واشتد الأمر على الأصحاب حيث اجتمع المشركون بأسرهم واليهود بأجمعهم، ونزلوا على المدينة وعمل النبي ـ ﷺ ـ الخَنْدَق وكان الأمر في غاية الشدة والخوف بالغاً إلى الغاية والله دفع القوم عنهم من غير قتال وآمَنَهُمْ من الخوف فينبغي أن لا يخاف العبدُ غَيْرَ ربه فإنه القادر(٥)

---

(١) المرجعان السابقان وانظر: الدر المصون ٤/ ٣٦٧.
(٢) في «ب» والحكمة في سُؤَالِهِ. (٣) في «ب» عن أفواههم.
(٤) ذكر هذه الأوجه كلها الإمام القرطبي في تفسيره لأحكام القرآن ١٤/ ١٢٨.
(٥) في «ب» فإنه قادر بدون (ألف ولام).

على كل الممكنات فكان قادراً على أن يقهر المسلمين بالكفار مع أنهم ضعفاء كما قهر الكافرين بالمؤمنين مع قوتهم وشوكتهم.

قوله: «إِذْ جَاءَتْكُمْ» يجوز أن يكون منصوباً «بنعمة» أي النعمة الواقعة في ذلك الوقت، ويجوز أن يكون منصوباً باذْكُرُوا على أن يكون بدلاً من «نعمة» بدل اشتمال[١]، والمراد بالجنود الأحزاب وهم قريش وغَطفَان، ويهود قُرَيْظَةَ والنَّضِير «فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً»[٢] وهي الصَّبَا، قال عكرمة: قالت الجنوب للشمال ليلة الأحزاب: انطلقي بنصر رسول الله ـ ﷺ ـ فقالت الشمالُ إن الحرَّة لا تَسْرِي بالليل فكانت الريح التي أرسلت عليهم الصبا وروى مجاهد عن ابن عباس عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «نُصِرتُ بالصَّبَا وأهلكَتْ عَادٌ بالدَّبورِ»[٣].

قوله: «وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا» قرأ الحسن بفتح الجيم، والعامة بضمها[٤]، و «جُنُوداً» عطفاً على «ريحاً» و «لَمْ تروها» صفة لهم، وروي عن أبي عمرو، وأبي بكر «لم يَرَوْهَا»[٥] بياء الغيبة، وهم الملائكة ولم تقاتل الملائكة يومئذ فبعث الله عليهم تلك الليلة ريحاً باردة فقلعت الأوتاد وقطعت أطناب الفَسَاطِيطِ[٦] وأطفأت النيرانَ وأَكْفأت القُدُورَ[٧]، وجالت الخيل بعضها في بعض وكثر تكبير الملائكة في جوانب عسكرهم حتى كان سيد كل حي يقول: يا بني فلان هَلُمَّ إليَّ فإذا اجتمعوا عنده قال: النَّجَا النَّجَا أتيتم لما بعث الله عليهم من الرعب فانهزموا من غير قتال[٨]. «وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تعملون بَصِيراً» وهذا إشارة إلى أن الله علم التجاءكم إليه وجاءكم[٩] فضله فنصركم على الأعداء عند الاستعداد والقصة مشهورة.

قوله: «إِذْ جَاؤُوكُمْ» بدل من «إِذْ» الأولى[١٠]، والحناجر جمع «حَنْجَرَةٍ» وهي رأس الغَلْصَمَةِ والغَلْصَمَة منتهى الحُلْقُومِ، والحلقوم مجرى الطعام والشراب، وقيل: الحلقوم

---

(١) ذكره العكبري في التبيان ٥٢. والدر المصون ٤/ ٣٦٧.

(٢) لم أعثر على هذا الرأي وهذا الأثر بصيغته تلك وإنما ما عثرت عليه أن الريح التي نزلت عليهم ريح الصبا، انظر: زاد المسير ٦/ ٣٥٧.

(٣) الحديث رواه الإمام البخاري في الاستسقاء ١/ ١٨٣.

(٤) من القراءات الشاذة ذكرها أبو حيان في البحر ٧/ ٢١٦ وانظر شواذ القرآن (١٩٣).

(٥) زاد المسير ٦/ ٣٥٧ وهي قراءة النخعي والجَحْدَرِيَ، والجَوْني وابن السَّمَيْفعَ، وانظر كذلك مختصر ابن خالويه ١١٨ والقرطبي ١٤/ ١٤٤ بدون نسبة.

(٦) أي عروق الشعر.

(٧) أي كبت يقال: كفأت الإناء أي كَبَبته، وأَكْفَأْت الشَّيْءَ أي أَمَلْتُهُ انظر: اللسان: «ك ف أ» ٣٨٩٣.

(٨) انظر: زاد السير ٦/ ٣٥٧.

(٩) في «ب» ورجاكم.

(١٠) ذكره في الدر المصون ٤/ ٣٦٧. والتبيان ١٠٥٣.

مَجْرَى النفس والمريء الطعام والشراب وهو تحت الحلقوم[١] وقال الرَّاغِبُ[٢]: رَأْسُ الغَلْصَمَةِ من خارج[٣].

قوله: «الظُّنُونا» قرأ نافع وابن عامر وأبو بكر بإثبات ألف بعد نون «الظُّنُون» ولام الرسول في قوله: ﴿وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾ [الأحزاب: ٦٦] ولام السبيل في قوله: ﴿فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب: ٦٧] وصلاً وَوَقْفاً موافقة للرسم[٤]؛ لأنهن رسمن في المصحف كذلك وأيضاً فإن هذه الألف تشبه هاء السكت لبيان الحركة، وهاء السكت تثبت وَقْفاً للحاجة إليها وقد ثبتت وصلاً إجراءً للوصل مُجْرَى الوقف كما تقدم في البقرة والأنعام فكذلك هذه الألف، وقرأ أبو عمرو وحمزةُ بحذفها في الحالين[٥]؛ لأنها لا أصل لها وقولهم: أجريت الفواصل مُجْرَى القوافي غير معتدٍّ به لأن القوافيَ[٦] يلتزم الوقف عليها غالباً، والفواصل لا يلزم ذلك فيها فلا تُشَبَّهُ بها، والباقون بإثباتها وقفاً وحذفها وصلاً إجراء للفواصل مُجْرَى القوافي في ثبوت ألف الإطلاق[٧] كقوله:

٤٠٦٩ ـ اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِالوَفَاءِ وَبِالعَدْلِ ... وَوَلَّى المَلاَمَةَ الرَّجُلا[٨]

وقوله:

٤٠٧٠ ـ أَقِلِّي اللَّوْمَ عَاذِلَ وَالعِتَابَا ... وَقُولِي إنْ أَصَبْتُ لَقَدْ أَصَابَا[٩]

ولأنها كهاء السكت وهي تثبت وقفاً وتحذف وصلاً، قال شهاب الدين: «كذا يقولون تشبيهاً للفواصل بالقوافي وأنا لا أحب هذه العبارة فإنها منكرة[١٠] لفظاً». ولا خلاف في قوله «وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ» أنه بغير ألف في الحالين.

---

(١) ذكره أيضاً في الدر المصون ٤/ ٣٦٧ والقرطبي ١٤/ ١٤٥.

(٢) تقدم. (٣) ينظر: المفردات ١٣٣.

(٤) انظر الإتحاف ٣٥٣ والسبعة ٥١٩ و ٩٢٠ وإبراز المعاني ٦٤٥ و ٦٤٦ والنشر ٢/ ٣٤٧ وحجة ابن خالوية ٢٨٩.

(٥) المراجع السابقة. (٦) في «ب» يلزم.

(٧) ذكره في الدر المصون ٤/ ٣٧٨.

(٨) البيت من المنسرح وهو للأعشى وهو فيه يخبرنا أن الكمال لله وحده بينما النقص صفة من صفات الإنسان تعالى الله عنه علوا كبيراً. والبيت شاهد على ألف الإطلاق في «الرَّجُلا» فكان بالإمكان أن يقول: «الرجل» ولكنه أطلق وهنا يصحّ وكثير في كلامهم الشّعريّ وانظر: إبراز المعاني ٦٤٦ وديوانه ١٧٠.

(٩) من مشهور الأبيات الشعرية وهو من تمام الوافر، لجرير وقوله: «عاذل» مرخم «عاذلة» علماً، والشاهد: «أصابا، والعتابا» بألف أطلقت ناشئة عن إشباع فتحة الباء، وذلك ـ كما قلت ـ كثيرٌ في الشعر ويروى: العتابن، وأصابَنْ، وعليه فلا شاهد فيه حينئذ. فالألف قد أبدلت نوناً وهو المسمى التنوين الغالي. وانظر: الكتاب ٤/ ٢٠٥ و ٢٠٨ والمقتضب ١/ ٣٧٥ والخصائص ١/ ١٧١ و ٢/ ٩٦ والإنصاف ٦٥٥ وابن يعيش ٤/ ١١٥ و١٤٥ و٩/ ٢٩، والخزانة ١/ ٦٩، ٧٤، وديوانه ٨٩.

(١٠) انظر: الدر المصون ٤/ ٣٦٨.

فصل

المعنى إذْ جَاؤُوكُمْ من فوقكم أي من فوق الوادي من قبل المَشْرِق[١] وهم «أَسَدٌ»، وغَطَفَان عليهم مالكُ بن عَوْف النَّصْرِيّ، وعُيَيْنَةُ بْنُ حِصْن الفزاريّ في[٢] ألفٍ من غَطَفَانَ ومنهم طلحةُ بن خُوَيْلد الأسَدِيّ في بني أسد، وحُيَيّ بن أَخْطَبَ في يهودِ بني قُرَيْظَةَ «ومنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ» أي من بطن الوادي من قِبَلِ المَغْرِب وهم قُرَيْشٌ وكِنَانَةُ عليهم أبُو سُفْيَانَ بنُ حَرْبٍ ومن معه وأبو الأعور بن سُفْيَانَ السُّلَمِي من قبل الخندق، وكان الذي جر غزوة الخندق فيما قيل إجلاء رسول الله ـ ﷺ ـ بَنِي النَّضِير من ديارهم «وَإِذْ زَاغت الأَبْصَارُ» مالت وشَخِصَتْ[٣] من الرعب، وقيل: مالت[٤] عن كل شيء فلم تنظر إلا إلى عدوها «وَبَلَغَت القُلُوبُ الحَنَاجِرَ» فزالت عن أماكنها حتى بلغت الحُلُوق من الفَزَع، وهذا على التمثيل عبر به عن شدة الخوف[٥]. قال الفراء معناه أنهم جَبنُوا[٦]، وسبيل الجَبَان إذا اشتد خوفه أن تَنْتَفِخَ رِئَتُهُ فإذا انتفخت الرئة رفعت القلب إلى الحنجرة ولهذا يقال للجبان: انتفخ سحره؛ لأن القلب[٧] عند الغضب يندفع وعند الخوف يجتمع فيتقلص بالحنجرة[٨] وقد يفضي إلى أن يَسُدَّ مخرج النفس فلا يقدر المرء (أن) يتنفس ويموت من الخوف. «وتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا» وهو اختلاف الظنون، فظن المنافقون استئصال محمد وأصحابه وظن المؤمنون النصر والظفر لهم.

فإن قيل: المَصْدَرُ لا يُجْمَعُ فما الفائدة من جمع الظنون؟.

فالجواب: لا شك أنه منصوب على المصدر ولكن الاسم قد يجعل[٩] مصدراً كما يقال: «ضَرَبْتُهُ سِيَاطاً» و «أَدَّبْتُهُ مِرَاراً» فكأنه قال: ظَنَنْتُمْ ظَنّاً[١٠] جاز أن يكونوا مصيبين فإذا قال: ظُنُوناً بين أن فيهم من كان ظنه كاذباً لأن الظنون قد تكذب كلها، وقد تكذب بعضها إذا كانت في أمرٍ واحد كما إذا رأى جمع جسماً من بعيد فظنه بعضهم أنه زيدٌ، وآخرونَ أنه عمرو، وآخرون أنه بكرٌ، ثم ظهر لهم الحق قد يكونون

---

(١) انظر: القرطبي ١٤/ ١٤٤. (٢) في «ب» من.

(٣) قال ابن قتيبة في غريب القرآن ٣٤٨: «عدلت» وانظر: القرطبي ١٤/ ١٤٤ و ١٤٥.

(٤) المرجع السابق.

(٥) وقيل: هو على معنى المبالغة على مذهب العرب على إضمار «كاد» قال:

إِذَا غَضِبْنَا غَضْبَةً مُضَرِبَّةً ... هتكنا حِجَابَ الشَّمْسِ أَوْ قَطَرَتْ دما

أي كادت تقطر كذا قرره القرطبي في تفسيره الجامع ١٤/ ١٤٥.

(٦) في المعاني ٢/ ٣٣٦ ذكر أن الرجل منهم كانت تنتفخ رئته حتى ترفع قلبه إلى حنجرته من الفزع.

(٧) نقله الفخر الرازي في تفسيره ٢٥/ ١٩٨.

(٨) في الفخر فيتقلص فيلتصق. (٩) في «ب» يحصل.

(١٠) في تفسير الرازي: ظننتم ظناً بعد ظن أي ما ثبتم على ظن فالفائدة هي أن الله تعالى لو قال: تظنون ظناً جاز. . . .

كلهم مخطئين والمرئي شجر أو حجر، وقد يكون أحدهم مصيباً ولا يمكن أن يكونوا كلهم مُصِيبِين في ظنونهم، فقوله: «الظُّنون» أفادنا أن فيهم من أخطأ الظن، ولو قال: «تظنون بالله ظناً» ما كان يفيد[١] هذا، والألف واللام في «الظنون» يمكن أن تكون للاستغراق مبالغة بمعنى تظنون كل ظن، لأن عند الأمر العظيم كل أحد يظن شيئاً، ويمكن أن تكون الألف واللام للعهد أي ظنونهم المعهودة؛ لأن المعهود من المؤمن ظن الخير[٢] بالله كما قال عليه (الصلاة[٣] و) السلام: «ظُنُّوا باللَّهِ خَيْراً»[٤] ومن الكافر الظن السوء كقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [ص: ٢٧] وقوله: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

قوله: «هُنَالِكَ» منصوب «بابْتُلِيَ»[٥]. وقيل: «بتَظُنُّونَ» واستضعفه ابن عطية[٦] وفيه وجهان:

أحدهما: أنه ظرف مكان بعيد أي في ذلك المكان الدحْضِ وهو الخَنْدق.

والثاني: أنه ظرف زمان[٧]، وأنشد بعضهم على ذلك:

٤٠٧١ ـ وَإِذَا الأُمُورُ تَعَاظَمَتْ وَتَشَاكَلَتْ ... فَهُنَاكَ يَعْتَرِفُونَ أَيْنَ المَفْزَعُ[٨]

«وَزُلْزِلُوا» قرأ العامة بضم الزاي الأولى، (وكسر[٩] الثانية على أصل ما لم يسم فاعله[١٠]، وروى غير واحد عن «أبي عمرو» كسر الأولى[١١])، وروى الزمخشري عنه إشمامها كسراً[١٢]، ووجه هذه القراءة أن يكون أتبع الزاي الأولى للثانية في الكسر ولم يعتد بالساكن لكونه غير حصين كقولهم: مِبين ـ بكسر الميم ـ والأصل ضمها.

قوله: «زِلْزَالاً» مصدر مُبَيِّن للنوع بالوصف والعامة على كسر الزاي، وعيسى، والجَحْدَرِيّ فتحاها[١٣] وهما لغتان في مصدر الفعل المضعف إذا جاء على «فعلال»

(١) انظر: تفسير الرازي ٢٥/١٩٨، ١٩٩. (٢) السابق.

(٣) زيادة من «ب».

(٤) لم أعثر عليه بصيغته هذه في الكتب المعتمدة للحديث وقد نقله الفخر الرازي ٢٥/١٩٨.

(٥) ذكره أبو حيان في بحره ٧/٢١٧ والسمين في الدر ٤/٣٦٨.

(٦) المرجعان السابقان. (٧) الدر المصون ٤/٣٦٨.

(٨) البيت من الكامل، وهو من تمامه للأفوه الأودي وشاهده في قوله: «وهناك» فهو اسم إشارة للزمان، وهو ظرف للفعل كالآية تماماً أي يعترفون في ذلك الوقت المكان الذي يلجأون إليه. وقد تقدم.

(٩) ما بين القوسين كله سقط من نسخة «ب».

(١٠) انظر: البحر المحيط ٧/٢١٧ والدر المصون ٤/٣٦٩.

(١١) قال في البحر: «وقرأ أحمد بن موسى اللؤلؤيُّ عن أبي عمرو بكسر الزاي قاله ابن خالويه». انظر: بحر أبي حيان ٧/٢١٧ وانظر: مختصر ابن خالويه ١١٨.

(١٢) انظر الكشاف ٣/٢٥٤.

(١٣) مختصر ابن خالويه ١١٨ والبحر ٧/١١٧ وهي من الشواذ.

نحو: «زَلْزَال، وقَلْقال وصَلْصَال»[١]، وقد يراد بالمفتوح اسم الفاعل نحو: صَلْصَال بمعنى مُصَلْصِلٌ وزلزال بمعنى «مُزَلْزِل»[٢].

فصل

قال المفسرون: معنى ابتلي المؤمنون اختبر المؤمنون بالحَصْرِ والقتال ليبين المخلص من المنافق، والابتلاء من الله ليس لإبانة الأمر له بل لحكمة أخرى وهي أن الله تعالى عالم بما هم عليه لكنه أراد إظهار الأمر لغيره من الملائكة والأنبياء كما أن السيد إذا علم من عبده المخالفة عزم على معاقبته على مخالفته، وعنده غيره من العبيد أو غيرهم فيأمره بأمر عالماً بأنه مخالف لكي يتبين الأمر عند الغير فيقع المعاقبة على أحسن الوجوه حيث لا يقع لأحد أنه يظلم، وقوله: «وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً» أي أزعجوا وحركوا حركة شديدة فمن ثبت منهم كان من الذين إذا ذكر الله[٣] وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ.

ثم قال: «وإذْ يقولُ المُنَافِقُون» معتب بن قُشَيْر، وقيل: عبد الله بن أبي وأصحابه[٤] «والَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» شك وضعف اعتقاد «مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إلاَّ غُرُوراً» وهذا تفسير الظنون وبيانٌ لها، فظن المنافقون أن ما قال الله ورسوله كان زوراً ووعدهما كان غروراً حيث ظنوا بأن الغلبة واقعة لهم يَعِدُنَا محمدٌ فَتْحَ قُصُورِ الشام وفارسَ وأحدنا لا يستطيع أن يجاوز رحله هذا والله الغرور[٥].

قوله: «وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ» أي من المنافقين «وهم أوس بن قيظي وأصحابه»[٦] «يَا أَهْلَ يَثْرِبَ» يعني المدينة، قال أبو عبيد(ة[٧]): يَثْرِبُ: اسم أرض ومدينة الرسول ـ ﷺ[٨] ـ في ناحية منها، وفي بعض الأخبار: أن النبي ـ ﷺ ـ نهى أن تسمى المدينةُ يَثْرِبَ[٩]، وقال: هي طابة كأنه كره هذه اللفظة، وقال أهل اللغة[١٠]: يثرب اسم المدينة، وقيل: اسم البقعة التي فيها المدينة، وامتناع صرفها إما للعلمية والوزن[١١] أو للعلمية والتأنيث، وأما

---

(١) والقصد من ذلك التخفيف كما قرره الرضيّ في شرح الشافية ١/ ١٧٨ ٧/ ١١٧ قال: «وإنما جاز ذلك في المضاعف كالقَلْقَال والزَّلْزَالِ والخَلْخَال قصداً للتخفيف، لثقل التضعيف». وانظر: الدر المصون ٤/ ٣٦٩.

(٢) المرجع الأخير السابق.

(٣) كذا قرره الإمام الفخر الرازي في التفسير الكبير ٢٥/ ١٩٨، ١٩٩.

(٤) ذكره القرطبي في تفسيره ١٤/ ١٤٧، وابن الجوزي في تفسيره ٦/ ٣٥٩.

(٥) المرجعان السابقان. (٦) المرجعان السابقان.

(٧) زيادة وتصحيح عن النسختين فهو أبو عبيدة: صاحب مجاز القرآن مَعْمَر بن المُثَنَّى وقد عرفت به.

(٨) انظر: مجاز القرآن ٢/ ١٣٤ والقرطبي ١٤/ ١٤٨.

(٩) ذكره اللسان: «ث ر ب» ٤٧٥ قال: ورُوِيَ أن النبي ـ ﷺ ـ نهى أن يقال للمدينة يثرب، وسماها طيبة كأنه كره الثرب لأنه فساد في كلام العرب.

(١٠) المرجع السابق. (١١) الدر المصون ٤/ ٣٦٩.

يَتْرَب ـ بالتاء المثناة وفتح الراء فموضع ضع آخر باليمن[١]، قال الشاعر:

٤٠٧٢ ـ وَعَدْتَ وَكَانَ الخُلْفُ مِنْكَ سَجِيَّةً مَـواعِـيـدَ عُـرْقُـوب أَخَـاه بِـيَـتْـرَبِ[٢]

وقال:

٤٠٧٣ ـ وَقَـدْ وَعَـدْتُـكَ مَـوْعِـداً لِـوقـت مـواعـيـد عـرقـوب أخـاه بـيـتـرب[٣]

«لاَ مُقَامَ لَكُمْ» قرأ حفصٌ، وأبو عبد الرحمن السُّلَمِيّ بضم الميم، ونافعٌ وابنُ عامر بضم ميمه أيضاً في الدخان[٤] في قوله: «إنَّ المُتَّقِينَ في مُقَام»[٥] ولم يختلف في الأولى أنه بالفتح وهو «مقام كريم» والباقون بفتح الميم في الموْضعين[٦]، والضم والفتح مفهومان من سورة مريم عند قوله: ﴿خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [مريم: ٧٣] فمعنى الفتح لا مكان لكم تنزلون به وتقيمون فيه. ومعنى الضم لا إقامة لكم فارجعوا إلى منازلكم عن اتباع محمد ـ ﷺ[٧] ـ. وقيل: عن القتال إلى منازلكم[٨]. «وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُم النَّبِيَّ» وهم بنو حارثة وبنو سلمة «يَقُولُونَ إنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ» أي خالية ضائعة[٩]، وهي مما يلي العدو ويخشى عليها السُّراق[١٠].

قوله: «عَورةٌ» أي ذاتُ عورة، وقيل: منكشفة أي قصيرة[١١] الجُدْرَان للسارق وقال الشاعر:

٤٠٧٤ ـ لَـهُ الـشِّـدَّةُ الأُولَـى إذَا الـقَـرْنُ أَعْـوَرَا[١٢]

---

(١) يقال: إنه موضع قريب من اليمامة اللسان: «ت ر ب» ٤٢٥.

(٢) من الطويل وهو لجُبَيْهَاء الأشجعي والبيت هذا له عجز مشترك لبيت آخر للشماخ وموضع الشاهد: «بيترب» حيث إنها بالتاء لا بالثاء وهو موضع قريب من اليمن. انظر: ملحقات ديوان الشماخ ٤٣٠ و ٤٣٢ وابن يعيش ٤٣٠ و ٤٣٢ والخصائص ٢/ ٣٠٧ واللسان مكرراً وعد ٤٨٧١ و«ترب» ٤٢٥ والكتاب ١/ ٢٧٢ والهمع ٢/ ٩٢ ومجمع الأمثال للميداني ٢/ ٣١١ والسراج المنير ٣/ ٢٢٩ والدر المصون ٤/ ٣٦٩.

(٣) قيل: إنه للشماخ وصدره:

أوصلتقني ما لا أحاول نفعه ....

كما في ملحق ديوانه (٤٣٠) وعجزه مشترك مع صدر البيت السابق وانظر المراجع السابقة.

(٤) السبعة ٥٢٠ والإتحاف ٣٥٣ ومعاني الفراء ٢/ ٣٣٧.

(٥) الدخان الآية ٥١.

(٦) الإتحاف ٣٥٣ والسبعة ٥٢. والمعاني ٣/ ٣٣٧ والنشر ٢/ ٣٤٨ وحجة ابن خالويه ٢٨٩.

(٧) ذكره الفراء في معانيه ٢/ ٣٣٧ والقرطبي في ١٤/ ١٤٨.

(٨) وهذا رأى الكلبي والسابق رأي الحسن ذكرهما ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٣٦٠.

(٩) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة ٣٤٨.

(١٠) وهذا رأي الحسن ومجاهد انظر: زاد المسير ٦/ ٢٦١.

(١١) ذكره السمين في الدر ٤/ ٣٧٠.

(١٢) هذا شطر بيت من الطويل لم أعثر على تتمة له سابقةً كانت أو لاحقة. وقال الفراء في معانيه ٢/ ٣٣٧: =

وقرأ ابن عباس وابنَ يَعْمُرَ وقتادةُ وأبو رجاء وأبو حَيْوَة وآخرون: عَورة بكسر الواو وكذلك «وَمَا هِيَ بِعورَةٍ»[(١)]، وهما اسم فاعل[(٢)]، يقال: عَوِرَ المنزلُ: يَعْوِرُ عَوَراً وعَوِرَة فهو عَوِرٌ، وبيوتٌ عَوِرَةٌ، قال ابن جني: تصحيح الواو شاذ، يعني حيث تحركت وانفتح ما قبلها ولم تقلب ألفاً[(٣)]، وفيه نظر لأن شرط ذاك في الاسم الجاري على الفعل أن يعتل فعله نحو مَقَام ومَقَالٍ، وأما هذا ففعله صحيح نحو عَوِرَ[(٤)]، وإنما صح الفعل وإن كان فيه مقتضى الإعلال لِمَدْرَكٍ آخر وهو أنه في معنى ما لا يعل[(٥)] وهو «أعور» ولذلك لم نتعجب من «عور» وبابه، وأعْوَرَّ المَنْزِلُ: بدت عَوْرَتُهُ، واعورَّ الفارس بدا منه خلله[(٦)] للضَّرْبِ قال الشاعر:

٤٠٧٥ ـ مَتَى تَلْقَهُمْ لَمْ تَلْقَ فِي البَيْتِ مُعْوَراً ... وَلاَ الصَّيفَ مَسْجُوراً ولاَ الجَارَ مُرْسَلا[(٧)]

ثم كذبهم الله تعالى فقال: ﴿وَمَا هي بِعَوْرَةٍ إنْ يُرِيدُونَ إلاَّ فِرَاراً﴾.

قوله: «وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِها» ولو دخل عليهم المدينة أو البيوت يعني هؤلاء الجيوش الذين يريدون قتالهم وهم الأحزاب «مِنْ أَقْطَارِهَا» جوانبها. وفيه لغة وتروى: أَقْتَار ـ بالتاء[(٨)] ـ. والقُطْرُ: الجانب أيضاً ومنه قَطَرْتُهُ أي أَلْقَيْتُهُ على قطره فَتَقَطَّرَ أي وقع عليه قال:

٤٠٧٦ ـ قَدْ عَلِمَتْ سَلْمَى وَجَاراتُها ... مَا قَطَّرَ الفَارِسَ إلاَّ أَنَا[(٩)]

وفي المثل: «الانفِضَاضُ يُقَطِّرُ الجَلَب»[(١٠)] تفسيره أن القوم إذا انفضوا أي فني زادهم احتاجوا إلى جَلْب الإبل، وسمي القَطْرُ[(١١)] قطراً لسقوطه.

= «وأنشدني أبو ثروان: البيت يعني لأسد» ولم ينسبه كذلك في اللسان «ع و ر» وشاهده: «القَرْن أَعْوَرَا» بمعنى انكشف وظهر للعدو للمنال. وانظر: اللسان «ع و ر» ٣١٦٧ والبحر ٧/ ٢١٨.

(١) من القراءات الشاذة غير المتواترة انظر: المحتسب ٢/ ١٧٦ ومختصر ابن خالويه ١١٨.

(٢) ذكره في التبيان ١٠٥٣ والدر المصون ٤/ ٢٧٠.

(٣) ذكره في المحتسب ٢/ ١٧٦ ووجهة نظره أنها من المواضع التي تقلب فيها الواو ياء.

(٤) ذكره السمين أيضاً في الدر المصون ٤/ ٣٧٠.

(٥) نقله في الدر المصون ٤/ ٣٧٠.

(٦) في «ب» خلل الضرب.

(٧) هو من بحر الطويل ورواه القرطبي: «مفجوعاً» بدلاً من «مسجوراً» وانظر البحر المحيط ٧/ ٢١٨ والقرطبي ١٤/ ٤٨ والدر المصون ٤/ ٣٧٠.

(٨) انظر الإبدال لابن السِّكِّيت باب الطاء والتاء ١٢٩، والأمالي لأبي علي القالي ٢/ ١٥٦.

(٩) البيت مختلف في نسبته فمن نسبه إلى عمرو بن معد يكربَ وهو من بحر السريع، ومن ناسب له لأبي بجيلة ومن ناسب له لبعض اللصوص. والمشهور الأول. وشاهده: «قطر» أي ما صرعه فألقاه وأوقعه إلا هو. وقد تقدم.

(١٠) ذكره في اللسان ٣٦٧٢ ومجمع الأمثال ٣/ ٣٨١.

(١١) وهو المطر.

قوله: «ثُمَّ سُئِلُوا» قرأ مجاهد «سُويِلُوا» بواو ساكنة ثم ياء مكسورة «كقُوتِلُوا»[(١)]. حكى أبو زيد: هما يَتَسَاوَلاَن بالواو[(٢)]، والحسن: سُولُوا[(٣)] بواو ساكنة فقط فاحتملت وجهين:

أحدهما: أن يكون أصلها: سيلوا كالعامة، ثم خففت الكسرة فسكنت كقولهم في ضَرب ـ بالكسر ـ ضرب بالسكون فسكنت الهمزة بعد ضمة فقلبت واواً نحو: بُوسٍ في بُؤْسٍ.

والثاني: أن يكون من لغة الواو[(٤)]، ونقل عن أبي عمرو أنه قرأ سِيلُوا بياء ساكنة بعد كسرة نحو: قِيلوا[(٥)].

قوله: «لأتَوْهَا» قرأ نافعٌ وابنُ كثير بالقصر بمعنى لَجَاؤُوهَا وغَشوهَا[(٦)]، والباقون بالمد بمعنى لأعطوها ومفعوله الثاني محذوف تقديره: لآتوها السائلين. والمعنى ولو دخلت البيوت أو المدينة من جميع نواحيها ثم سئل أهلها الفتنة لم يمتنعوا من إعطائها، وقراءة المد يستلزم قراءة القصر من غير عكس بهذا المعنى الخاص[(٧)].

قوله: «إلاَّ يَسيراً» أي إلا تَلَبُّثاً أو إلا زماناً يسيراً[(٨)]. وكذلك قوله: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ١٦ ـ ١٨] أي إلا تَمَتُّعاً أو إلا زماناً قليلاً.

فصل

دلت الآية على أن ذلك الفرار والرجوع ليس لحفظ البيوت لأن من يفعل فعلاً لغرض فإذا فاته الغرض لا يفعله فقال تعالى هم قالوا بأن رجوعنا عنك لحفظ بيوتنا ولو دخلها الأحزاب وأخذوها منهم لرجعوا أيضاً فليس رجوعهم عنك إلا بسبب كفرهم وحبهم الفتنة وهي الشرك. «وَمَا تَلَبَّثُوا بها» أي ما تلبثوا بالمدينة أو البيوت «إلاَّ يَسِيراً» وأن المؤمنين يُخْرِجُونَهُمْ قاله الحسن[(٩)]، وقيل: ما تلبثوا أي[(١٠)] ما احْتَبَسُوا عن الفتنة ـ

---

(١) ذكرها ابن خالويه في المختصر ١١٨ وفيه «سُوئِلُوا» بالهمزة.

(٢) نقله عنه ابن جني في المحتسب ٢/١٧٧ ولم أجده في النوادر.

(٣) في المحتسب أنها: «سولوا» بضم السين قال: «ومن ذلك قراءة الحَسَن: «ثم سولوا الفتنة» مرفوعة السين، ولا يجعل فيها ياء ولا يمدها» انظر: ٣٦٥/١٧٧ وانظر: شواذ القرآن للكرماني ١٩٣.

(٤) الدر المصون ٤/٣٧١.

(٥) وجدت في مختصر ابن خالويه: أن هذه القراءة بضم السين وكسر الياء «سُيِلُوا» قال: «من غير همز عبد الوارث عن أبي عمرو والأعمش» المختصر ص ١١٨ ومن المحتمل أن تكون قراءة أخرى وتنسب إلى أبي عمرو وينظر أيضاً شواذ القرآن ١٩٣.

(٦) السبعة لابن مجاهد ٥٢٠ والإتحاف للبناء ٣٥٤ ومعاني القرآن للفراء ٢/ ٣٣٧.

(٧) نقله السمين في الدر المصون ٤/ ٣٧١.

(٨) انظر: التبيان ١٠٥٣ والدر المصون ٤/ ٣٧١ ومشكل إعراب القرآن ٢/ ١٩٥.

(٩) وهو قول السدي أيضاً نقله في زاد المسير ٦/٣٦٢.

(١٠) وهو رأي قَتَادَةَ. انظر: المرجع السابق.

وهي الشرك ـ إلا يسيراً ولأسرعوا للإجابة إلى الشرك طيّبةً به أنفُسهم وهذا قول أكثر المفسِّرين.

قوله: «وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ» أي من قبل غزوة الخندق «لاَ يُوَلُّونَ الأَدْبَارَ» عدوهم أي لا ينهزمون قال يزيد بن رومان[١]: هم بنو حارثة هموا يوم الخندق أن يَقْتَتِلُوا مع بني سلمة، فلما نزل فيهم ما نزل عاهدوا الله أن لا يعودوا لمثلها، وقال قتادة: هم ناس كانوا[٢] قد غابوا عن واقعة بدر ورأوا ما أعطى الله أهل بدر من الكرامة والفضيلة وقالوا لئن أَشْهَدَنَا اللَّهُ قتالاً لَنُقَاتِلَنَّ فساق الله إليهم ذلك وقال مقاتل[٣] والكلبي: هم سبعون رجلاً جاءوا بايعوا رسول الله ـ ﷺ ـ ليلة العقبة وقالوا اشترط لنفسك ولربك ما شئتَ فقال النبي ـ ﷺ[٤] ـ أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأولادكم قالوا: وإذا فعلنا ذلك (فما لنا[٥] يا رسول الله؟ قال: لكم النصر في الدنيا والجنة في الآخرة، قالوا: قد فعلنا فذلك) عهدهم، وهذا القول ليس بمَرْضِيٍّ؛ لأن الذين بايعوا ليلة العقبة كانوا سبعين لم يكن فيهم شَاكٌّ ولا مَنْ يقول مثل هذا القول وإنما الآية في قوم عاهدوا الله أن يقاتلوا ولا يَفِرُّوا فَنَقَضُوا العهد. وهذا بيان لفساد سريرتهم وقبح سيرتهم لنقضهم العهود فإنهم قبل ذلك تخلفوا وأظهروا عذراً ونَدَماً ثم هددهم بقوله: «وَكَان عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولاً» أي مَسْؤُولاً عنه.

قوله: «لاَ يُوَلُّونَ» جواب لقوله: «عَاهَدُوا» لأنه في معنى: «أقسموا»[٦] وجاء على حكاية اللفظ فجاء بلفظ الغيبة ولو جاء على حكاية المعنى لقيل: لا يُولِّي، والمفعول الأول محذوف أي يولون العدو الأدبار[٧]. وقال أبو البقاء: ويقرأ بالتشديد تشديد النون وحذف الواو على تأكيد جواب القسم[٨]. قال شهاب الدين: ولا[٩] أظن هذا إلا غلطاً منه وذلك أنه إما أن يُقْرأ مع ذلك بلا النافية أو بلام التأكيد[١٠]، والأول لا يجوز لأن

---

(١) القرطبي ١٤/ ١٥٠. (٢) السابق.

(٣) السابق وانظر: زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٦/ ٣٦٢ و ٣٦٣.

(٤) انظر: القرطبي ١٤/ ١٥٠. (٥) ما بين القوسين كله ساقط من «ب».

(٦) ذكره في التبيان ١٠٥٣ والبيان ٢/ ٢٦٥ والدر المصون ٤/ ٣٧٢.

(٧) ذكره في البحر ٧/ ٢١٩ والدر المصون ٤/ ٣٧٢.

(٨) ذكره في التبيان ١٠٥٣. (٩) ذكره في الدر المصون ٤/ ٣٧٢.

(١٠) قال ابن يعيش في شرح المفصل ٢١/ج ٩: «وأما الداخلة على الفعل فهي تدخل على الماضي والمستقبل فإذا دخلت على المستقبل فلا بد من النون الثقيلة أو الخفيفة؛ فاللام للتأكيد وتفصل بين النفي والإيجاب». انظره في ٩/ ٢١ بتفصيل.

المضارع المنفي بلا لا يؤكد بالنون إلا ما نَدَرَ مما لا يقاس عليه والثاني فاسد المعنى.

قوله: «إنْ فَرَرْتُمْ» جوابه محذوف لدلالة النفي قبله عليه أو متقدم عند من يرى[(١)] ذلك.

قوله: «وَإذاً لاَ تُمَتَّعُونَ» إذَنْ جواب وجزاء، ولما وقعت بعد عاطف جاءت على الأكثر وهو عدم إعمالها ولم يشذّ[(٢)] هنا ما شَذَّ في الإسراء، فلم يقرأ بالنصب[(٣)]، والعامة بالخطاب[(٤)] في «تُمَتَّعُونَ». وقرىء بالغيبة[(٥)].

فصل

المعنى: «قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُم الفِرَارُ إنْ فَرَرْتُمْ مِنَ المَوْتِ أَو القَتْلِ» الذي كتب عليكم لأن من حضر أجله مات أو قتل «وَإذاً لاَ تُمَتَّعُونَ إلاَّ قَلِيلاً» أي لا تمتعون بعد الفِرار إلا مدة آجالكم وهي قليل. وهذا إشارة إلى أن الأمور مقدرة لا يمكن الفرار مما قدره الله لأنه كائن لا محالة فلو فررتم لما دمتم بل لا تمتعون إلا قليلاً وهو ما بقي من آجالكم فالعاقل لا يرغب في شيء قليل يفوت عليه شيئاً كثيراً[(٦)].

قوله: «مَنْ ذَا الَّذِي» تقدم في البقرة، قال الزمخشري: فإن[(٧)] قلت: كيف جعلت الرحمة قرينة السوء في العصمة ولا عصمة إلا من السوء؟ قلت: معناه أو يصيبكم بسوء إن أراد بكم رحمة، فاختصر[(٨)] الكلام وأجرِيَ مُجْرَى قوله:

مُـتَـقَـلِّـداً سَـيْـفـاً وَرُمْـحـا[(٩)]

---

(١) وسيبويه ممن قال بالتقديم فقد قال: (وقد تقول: إنْ أَتَيْتَنِي آتِيك» أي آتِيك إنْ أَتَيْتَنِي) انظر: الكتاب ٣/ ٦٦. وعلى ذلك فالجواب هو: «لن ينفعكم الفرار» النفي بينما رأي المبرد من البصريين والكوفيين غير ذلك، انظر: الهمع ٢/ ٦٠.

(٢) يشير إلى الآية ١٧٦: «وإذاً لاَ يَلْبثون خِلاَفَكَ إلاَّ قَلِيلاً» فقد قرىء بنصب: «يلبثوا» على إعمال «إذاً» ونصب الفعل «بأن» مضمرة وجوباً وهي قراءة أبي بن كعب ذكره أبو حيان في البحر ٦/ ٦٦ والفراء في معانيه ٢/ ٣٣٧ و ٣٣٨.

(٣) وقد عرف أنها قراءة أبي وانظر: المراجع السابق.

(٤) في «ب» على الخطاب.

(٥) ذكرها في البحر المحيط ٧/ ٢١٩ والدر المصون ٤/ ٢٧٢ والقرطبي ١٤/ ١٥١ ولقد ذكر القرطبي قراءة ثالثة وهي «وإذاً لا تُمَتَّعُوا» نصب «بإذاً». وانظر: إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٠٧.

(٦) انظر: تفسير الفخر الرازي ٢٥/ ٢٠٠.

(٧) الكشاف ٣/ ٢٥٥.

(٨) هكذا هي في الكشاف وما في «ب» فاختص وهو تحريف وبعد عن المعنى المراد.

(٩) هذا عجز بيت من الكامل وصدره:

يَـا لَـيْـتَ زَوْجَـك قَـدْ غَـدَا ....

وشاهده في قوله: «متقلداً سيفاً ورمحا» فإن الظاهر أن التقليد يقع على المعطوف عليه ولكن الأصح: =

أو حمل الثاني على الأول لما في العِصْمَةِ من معنى المنع قال أبو حيان: أما الوجه الأول فيه حذف جملة لا ضرورة تدعو إلى حذفها، والثاني هو الوجه لا سيما إذا قدر مضاف محذوف أي يمنعكم من مُرَادِ الله[(١)]، قال شهاب الدين: وأين الثاني من الأول ولو كان معه حذف جُمَلٍ[(٢)]؟.

فصل

المعنى من ذا الذي يمنعكم من الله إن أراد بكم سوءاً هزيمة أو أراد بكم رحمة نُصْرَةً، وهذا بيان لما تقدم من قوله: «لن يَنْفَعَكُمُ الفِرَارُ» وقوله: «وَلاَ يَجِدُونَ لَهُمْ مِنَ دُونِ اللَّهِ وَلِياً وَلاَ نَصِيراً» تقرير لقوله: «مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّه» أي ليس لكم شفيع أي قريب ينفعكم ولا نصير ينصركم ويدفع عنكم السوء إذا أتاكم[(٣)].

قوله تعالى: ﴿۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ
ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى
يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ
يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن
يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟
فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ
وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ
وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟
ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ
ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا
﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ
قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ

= أن هنا محذوف تقديره: متقلداً سيفاً ومعتقلاً رمحاً لأن علماء اللغة قالوا إنه يقال: تَقَلَّدَ فُلاَنٌ سَيْفَهُ ولا يقال: رُمْحَهُ. وانظر: الكشاف ٣/ ٢٥٥ والبحر المحيط ٧/ ٢١٩، والإنصاف ٦١٢، والكامل ١/ ٣٣٤، والمقتضب ٥١ والخصائص ٢/ ٤٣١ وشرح ابن يعيش ٢/ ٥٠ وأمالي المرتضى ١/ ٥٤ و ٢/ ٢٦٠ و ٣٧٥ والهمع ٢/ ٥١ والأشموني ٢/ ١٧٢ والبيضاوي ٢/ ١٢٩.

(١) البحر ٧/ ٢١٩.

(٢) في الدُّرِّ: «حمل» كما هنا وفي النسختين جملة وانظر: الدر المصون ٤/ ٣٧٣.

(٣) قاله الإمام الفخر الرازي ٢٥/ ٢٠١ و ٢٠٠.

ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾

قوله: «قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ المُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ» المثَبِّطين الناس عن رسول الله ـ ﷺ ـ «والقَائِلِينَ لإِخْوانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا» ارجعوا إلينا ودعوا محمداً فلا تشهدوا معه الحرب فإنا نخاف عليكم الهلاك، قال قتادة: هم ناس من المنافقين كانوا يُثَبِّطُونَ أنصار النبي ـ ﷺ ـ ويقولون لإخوانهم: إن محمداً وأصحابه لو كانوا (لحماً[١] لالْتَهَمَهُمْ[٢]) أبو سفيان وأصحابه دعوا الرجل فإنه هالك. وقال مقاتل[٣]: نزلت في المنافقين فإنّ اليهود أرسلوا إلى المنافقين قالوا ما الذي يحملكم على قتل أنفسكم بيد أبي سُفْيَانَ ومَنْ مَعَهُ فإنهم إن قَدِرُوا عليكم في هذه المرة لم يَسْتَبْقُوا منكم أحداً وإنّا نشفق عليكم أنتم إخواننا وجيراننا هَلُمَّ إلينا فأقبل عبد الله بن أبيٍّ وأصحابُه على المؤمنين يُعَوِّقُونَهُمْ ويُخَوِّفُونَهُمْ بأبي سفيان وبمن معه قالوا: لئن قدروا عليكم لم يستبقوا منكم أحداً ما ترجون من محمد، ما عنده خير ما هو إلا أن يقتلنا[٤] ههُنَا انطلقوا بنا إلى إخواننا يعني اليهود فلم يزدد المؤمنون بقول المنافقين إلا إيماناً واحتساباً.

قوله: «هَلُمَّ» (تقدّم[٥]) الكلام فيه آخر الأنعام[٦]. وهو هنا لازم، وهناك مُتَعَدٍّ لنصبه مفعوله وهو «شُهَدَاءَكُمْ» بمعنى أَحْضِرُوهُمْ، وههنا بمعنى «احْضَرُوا» وَتَعَالوا، وكلام الزمخشري[٧] هنا مؤذن بأنه متعد أيضاً وحُذِفَ مفعوله، فإنه قال: «وهَلُمُّوا إِلَيْنَا» أي قربوا أنفسكم إلينا (قال[٨]): «وهي[٩] صوت سمي به فعل متعد مثل: احضَر وقَرِّبْ»، وفي تسميته إياه صوتاً[١٠] نظر إذ أسماء الأصوات محصورة ليس هذا منها. ولا يجمع في لغة الحجاز ويجمع في غيرها فيقال للجماعة: هَلُمُّوا وللنساء هَلْمُمْنَ.

قوله: «وَلاَ يَأْتُونَ البَأْسَ» الحرب «إِلاَّ قَلِيلاً» رياء وسمعة أي لا يقاتلون معكم ويتعللون عن الاشتغال[١١] بالقتال وقت الحضور معكم ولو كان ذلك القليل لكان كثيراً[١٢].

---

(١) ساقط من «ب».

(٢) في القرطبي ١٤/ ١٥٢ «ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس».

(٣) حكاه في زاد المسير ٦/ ٣٦٤.

(٤) في «ب» إلا أن يقتل.

(٥) سابط من «ب».

(٦) يقصد الآية ١٥٠ من سورة الأنعام، وهي قوله: «قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا».

(٧) الكشاف ٣/ ٢٥٥.

(٨) ساقط من «ب».

(٩) في الكشاف «وهو».

(١٠) ذكره في الدر المصون ٤/ ٣٧٣.

(١١) في «ب» بالاشتغال.

(١٢) في «ب» ولو كان ذي القائل لله لكان خيراً كثيراً.

قوله: «أَشِحَّةً» العامة على نصبه وفيه وجهان:

أحدهما: أنه منصوب على الشَّتْمِ[(١)].

والثاني: على الحال وفي العامل فيه أوجه:

أحدها: «وَلاَ يَأْتُونَ» قاله الزجاج[(٢)].

الثاني: «هَلُمَّ إِلَيْنَا». قاله الطبري[(٣)].

الثالث: «يعوقون» مضمراً، قاله الفراء[(٤)].

الرابع: «المُعَوِّقِينَ»[(٥)].

الخامس: «القَائِلِينَ»[(٦)] ورد هذان الوجهان الأخيران بأن فيهما الفصل بين أبعاض الصلة بأجنبي، وفي الرد نظر لأن الفاصل بين أبعاض الصلة من متعلقاتها، وإنما يظهر الرد على الوجه الرابع لأنه قد عطف على الموصول[(٧)] قبل تمام صلته فتأمله فإنه حسن وأما «وَلاَ يَأْتُونَ» فمُعْتَرِضٌ والمُعْتَرِضُ لا يمنع من[(٨)] ذلك. وقرأ ابن أبي عبلة أَشِحَّةٌ[(٩)] بالرفع على خبر ابتداء مضمر أي هم أشحة وأشحة جمع «شَحِيحٍ» وهو جمع لا ينقاس؛ إذ قياس «فَعِيل» الوصف الذي عينه ولامه من واد[(١٠)] واحد أن يجمع على أفعلاء نحو خَلِيلٍ وأَخِلاَّء وَظنِينٍ وأَظِنَّاء، وضَنين وأَضِنَّاء، وقد سمع أَشِحَّاء وهو القياس[(١١)]. والشُّحُّ البخل، وقد تقدم في آل عمران[(١٢)].

فصل

المعنى أشحة عليكم بخلاء بالنفقة في سبيل الله والنصرة، وقال قتادة[(١٣)] بخلاء عند الغنيمة وصفهم الله بالبخل والجبن فقال: «فَإِذَا جَاءَ الخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ» في الرؤوس من الخوف والجبن «كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ المَوْتِ» أي

---

(١) في «ب» على القسم بدل الشتم وهو تحريف وانظر: الدر المصون ٤/ ٣٧٣ والبيان ٢/ ٢٦٦.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/ ٢٢٠ وهو قول أبي البقاء في التبيان ١٠٥٤ والنحاس في إعراب القرآن ٣/ ٣٠٨ وانظر البيان ٢/ ٢٦٦ ومشكل القرآن لمكي ٢/ ١٩٥.

(٣) الطبري ٢١/ ٨٩ في جامع البيان.

(٤) معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٣٨.

(٥) و (٦) قالهما أبو حيان في البحر ٧/ ٢٢٠ وكذلك السمين في الدر ٤/ ٣٧٣.

(٧) قاله شهاب الدين في الدر المصون ٤/ ٣٧٣.

(٨) المرجع السابق.

(٩) شواذ القرآن ١٩٣ والبحر ٢٢٠٧ والكشاف ٣/ ٣٥٥.

(١٠) في «ب» من مادة واحدة.

(١١) نقله السمين في الدر ٤/ ٣٧٤.

(١٢) انظر: اللباب ١/ ٣٤٣ ب.

(١٣) انظر: القرطبي ١٤/ ١٥٢.

كَدَوَرَانِ عين الذين يغشى عليه من الموت وذلك أن من قَرُبَ من الموت وغَشِيَتْهُ أسبابه يذهب عقله ويشخص بصره فلا يطرِفُ، واعلم أن البخل شبيه الجبن فلما ذكر البخيل بين سببه وهو الجبن لأن الجبان يبخل بماله ولا ينفقه في سبيل الله لأنه لا يتوقع الظفر فلا يرجو الغنيمة فيقول هذا إنفاق لا بدل[١] له فيتوقف فيه، وأما الشجاع فيتيقن[٢] الظفر والاغتنام فيهون عليه إخراج المال في القتال طمعاً فيما هو أضعاف ذلك[٣].

قوله: «يَنْظُرُونَ» في محل (نصب[٤]) حال من مفعول «رَأَيْتَهُمْ» لأن الرؤية بصرية[٥].

قوله: «تدور» إما حال[٦] ثانية وإما حال من «يَنْظُرُونَ»[٧] «كالَّذِي يُغْشَى» يجوز فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يكون حالاً من: «أَعْينهم» أي تدور أعينهم حال كونها مشبهة عين الذي يغشى عليه من الموت[٨].

الثاني: أنه نعت مصدر مقدر لقوله «ينظرون» تقديره: ينظرون إليك نظراً مثلَ نظرِ الذي[٩] يغشى عليه من الموت ويؤيده[١٠] الآية الأخرى: ﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ [محمد: ٢٠] المعنى يحسبون أي هؤلاء المنافِقُونَ يحسبون الأحزاب يعني قريشاً وغَطَفَانَ واليهود «لَمْ يذهبُوا» لم ينصرفوا عن قتالهم من غاية الجبنِ عند ذهابهم كأنهم غائبون حيث لا يقاتلون كقوله: **﴿وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إلاَّ قَلِيلاً﴾** «وإنْ يَأْتِ الأَحْزَابُ» أي يرجعون إليهم للقتال بعد الذهاب[١١] «يودوا لو أنهم بادون في الأعراب» من الخوف والجبن.

(قوله)[١٢]: «بَادُونَ» هذه قراءة العامة جمع «باد» وهو المُقيم بالبادية يقال: بَدَا يَبْدُو بداوةً إذا خرج إلى البَادِيَةِ[١٣]، وقرأ عبدُ الله وابنُ عباس[١٤] وطلحةُ وابنُ يَعْمُرَ بُدَّى

---

(١) في «ب» لا بد له. (٢) في «ب» متيقن.
(٣) ذكره في التفسير الكبير ٢٥/ ٢٠١ و ٢٠٢. (٤) ساقطة من «أ».
(٥) حكاه أبو البقاء في التبيان ١٠٥٤ والبيان ٢/ ٢٦٦ والدر المصون ٤/ ٣٧٤.
(٦) ذكره ابن الأنباري في البيان المرجع السابق والسمين في الدر المرجع السابق.
(٧) البيان لأبي البقاء ١٠٥٤ وانظر المرجعين السابقين.
(٨) هذا رأي أبي البقاء في التبيان ٢/ ١٠٥٤ والدر المصون ٤/ ٣٧٤.
(٩) البحر المحيط ٧/ ٢٢٠ والدر المصون ٤/ ٣٧٤.
(١٠) في «ب» وأيده. (١١) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١٤/ ١٥٤.
(١٢) زيادة من «ب».
(١٣) قال في اللسان ٢٣٥: «تَبَدَّى الرَّجُل: أَقَامَ بالبَادِيَة، وتَبَادَى: تَشَبَّه بأَهْل البَادِيَةِ.
(١٤) هو ابن مِضْرف وقد سبق التعريف به.

ـ بضم الباء وفتح الدال مشدّدة ـ مقصوراً[١] كَغَازٍ وغُزَّى، وسَارٍ وسُرَّى. وليس بقياس، وإنما قياسه في بادٍ وبُداةٍ، كقَاضٍ وقُضَاةٍ، ولكن حمل على الصحيح كقولهم: «ضُرَّب»[٢]. وروي عن ابن عباس قراءة ثانية بزنة «عُدًّى» وثالثة: «بَدَوا» فعلاً ماضياً[٣].

(قوله)[٤]: «يَسْأَلُونَ» يجوز أن يكون مستأنفاً[٥]، وأن يكون حالاً من فاعل «يَحْسَبُونَ[٦]» والعامة على سكون[٧] السين بعدها «همزة»، ونقل ابن عطية عن أبي عمرو وعاصم بنقل حركة الهمزة إلى السين كقوله: ﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم﴾ [البقرة: ٢١١]. وهذه ليست بالمشهورة عنهما، ولعلها نقلت عنهما شاذة، وإنما هي معروفة بالحسن والأعمش[٨]، وقرأ زيدُ بنُ عَليٍّ والجَحْدَرِيُّ وقتادةُ والحَسَنُ «يَسَّاءلُونَ» بتشديد[٩] السين والأصل «يَتَسَاءَلُونَ» فأدغم، أي يَسْأَلُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً.

فصل

«يسألون عن أنبائكم» أخباركم، وما آل إليه أمركم «وَلَوْ كَانُوا» يعني هؤلاء المنافقين «فيكُمْ مَا قَاتَلُوا إلاَّ قَلِيلاً». أي يقاتلون قليلاً يقيمون به عذرهم فيقولون: قد قَاتَلْنَا، قال الكَلْبِيُّ: «إلاَّ قَلِيلاً» أي رمياً بالحجارة. وقال مقاتل: إلاَّ رياءً وسُمْعَةً من غير احتساب[١٠].

(قوله) تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ قرأ عاصم: «أُسْوَةٌ» بضم الهمزة حيث وَقَعَتْ هذه اللفظة والباقون بكسرها[١١]. وهما لغتان كالغُدْوَةِ والغِدْوَةِ[١٢] والقُدْوَةِ والقِدْوةِ والأُسْوة بمعنى الاقتداء أي قدوة صالحة، وهي اسمٌ وُضِعَ مَوْضِعَ المَصْدَرِ وهو «الايتساء» فالأسوة من الايتساء كالقُدْوَة من الاقْتِدَاء، وائْتَسَى فُلاَنٌ بِفُلاَنٍ أي اقْتَدَى به[١٣]، وأسوة اسم «كان» وفي الخبر وجهان:

---

(١) ذكرها في القرطبي ١٤/١٥٥ و ١٥٤ وهي من القراءات الشاذة غير المتواترة، وقد ذكرها ابن خالويه في المختصر ١١٩ وقال: «بَادُونَ جمع سلامة وبُدًّى جمعُ تكسير» ثم قال: «ورُوِيتَ عن ابنِ مَسْعُودٍ». وانظر كذلك المحتسب لابن جني ٢/ ١٧٧ وشواذ القرآن ١٩٣.

(٢) قاله السمين في الدر المصون ٤/ ٣٧٥.

(٣) ذكرها أبو حيان في بحره ٧/ ٢٢١ وذكر الزمخشري القراءة الأولى في الكشاف ٣/ ٢٥٦.

(٤) ساقط من «أ» وزيادة من «ب».

(٥) ذكره السمين في الدر ٤/ ٣٧٥.

(٦) المرجع السابق والتِّبْيَان ١٠٥٤.

(٧) فتكون «يَسْأَلُونَ» وانظر البحر ٧/ ٢٢١.

(٨) المرجع السابق وانظر: معاني الفرَّاء ٢/ ٣٣٩.

(٩) المرجعان السابقان والإتحاف ٣٥٤ والقرطبي ١٤/ ١٥٥ وهي قراءة يعقوب أيضاً في رواية رُوَيْس.

(١٠) حكاهما القرطبي في المرجع السابق.

(١١) السبعة ٥٢٠ والإتحاف ٣٥٤ ومعاني الفراء ٢/ ٣٣٩.

(١٢) فالضم لقيس والحسن وأهل الحجاز يقرؤون إِسْوة ـ بالكسر ـ حكاه الفراء في معانيه ٢/ ٣٣٩.

(١٣) نقله السمين في الدر ٤/ ٣٧٦.

أحدهما: هو «لكم»[١] فيجوز في الجار الآخر[٢] وجوه: التعلق بما يتعلق به الخبر[٣]، أي بمحذوف على أنه حال من «أُسْوَةٍ»[٤]؛ إذ لو تأخر لكان صفةً أو «بكان» على مذهب من يَرَاهُ[٥].

الثاني: أن الخبر هو: «فِي رَسُولِ اللَّهِ» و «لَكُمْ» على ما تقدم في «رسول الله» أو يتعلق بمحذوف على التبيين أَعْنِي لَكُمْ[٦].

قوله: «لِمَنْ كَانَ يَرْجُو» فيه أوجه:

أحدها: أنه بدل من الكاف في «لَكُمْ» قاله الزمخشري[٧]، ومنعه أبو البقاء، وتابعه أبو حيان، قال أبو البقاء: وقيل: هو بدل من ضمير المُخَاطَبِ بإعادة الجارِّ، ومنع منه الأكثرون؛ لأن ضمير المخاطب لا يبدل منه[٨]. وقال أبو حيان[٩]: قال الزمخشري بدل من «لكم» كقوله: ﴿ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ [الأعرف: ٧٥]. قال: ولا يجوز على[١٠] مذهب جمهور البصريين أن يبدل من ضمير المتكلم ولا من ضمير المخاطب بدل شيء من شيء وهما لعين واحدة وأجاز ذلك الكوفيون والأخفش وأنشد:

٤٠٧٧ ـ بِكُمْ قُرَيْشٍ كُفِينَا كُلَّ مُعْضِلَةٍ ... وأَمَّ نَهْجَ الهُدَى مَنْ كَانَ ضِلِّيلا[١١]

قال شهاب الدين: لا نسلم أن هذا بدل[١٢] شيء من شيء وهما لعين واحدة، بل بدل بعض من كل باعتبار الواقع لأن الخطاب في قوله: «لكُم» أعمّ مِن: «مَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وغَيْره» ثم خصص ذلك العموم لأن المتأسِّيَ به عليه (الصلاة[١٣] و) السلام في الواقع إنما هم المؤمنون ويدل عليه[١٤] ما قلته ظاهر تشبيه الزمخشري هذه الآية بآية الأعراف، وآية الأعراف البدل فيها بدل كل من كل ومجابٌ[١٥] بأنه إنما قصد التشبيه في مجرد إعادة العامل.

---

(١) المرجع السابق وانظر كذلك التبيان ١٠٥٤.
(٢) وهو: «في رسول الله». (٣) وهو الاستقرار لا بأسوة.
(٤) قالهما السمين في الدر ٤/ ٣٧٦ وأبو البقاء في التبيان ١٠٥٥.
(٥) أي على مذهب من يرى أن كان وأخواتِها تعملُ في الخبر «جارًا وظرفاً».
(٦) قالهما أبو حيان في البحر ٧/ ٢٢٢ وأبو البقاء في التبيان ١٠٥٥ والسمين في الدر ٤/ ٣٧٦.
(٧) انظر: الكشاف ٣/ ٢٥٦. (٨) التبيان ١٠٥٥.
(٩) البحر المحيط ٧/ ٢٢٢. (١٠) المرجع الأخير السابق.
(١١) البيت من بحر البسيط وهو مجهول قائله وشاهده في «بِكُمْ قُرَيْشٍ» حيث أبدل «قريشاً» من الكاف في «بكم» وعامة الجمهور لا يجيزه وأجازه الأخفشُ والكوفيون وعلى ذلك استشهدوا بهذا البيت. وقد تقدم.
(١٢) نقله شهاب الدين السمين في الدر ٤/ ٣٧٦ و ٣٧٧.
(١٣) زيادة من «ب». (١٤) في الدر: «ويدلك».
(١٥) في «ب» والسمين «ويجاب» بلفظ الفعلية.

والثاني: أن يتعلق بمحذوف على أنه صفة «لحَسَنَةٍ»[١].

والثالث: أن يتعلق بنفس «حسنة» قالهما[٢] أبو البقاء، ومنع أن يتعلق بأسوة قال: لأنها قد[٣] وصفت و «كَثِيراً» أي ذِكْراً كَثِيراً[٤].

فصل

لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة أي قدوة صالحة أن تنصروا دين الله وتؤازروا الرسول ولا تتخلفوا عنه وتصبروا على ما يصيبكم كما فعل هو إذ كسرت رُبَاعِيَّتُهُ، وجرح وَجْهُهُ وقتل عمه، وأوذي بضُروبٍ من الأذى فواساكم مع ذلك بنفسه فافعلوا أنتم كذلك أيضاً، واستنوا بسنته «لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ واليَوْمَ الآخِرَ» قال ابن عباس لمن كان[٥] يرجو ثواب الله. وقال مقاتل: يخشى الله واليوم الآخر[٦] أي يخشى يوم البعث الذي فيه جزاء الأعمال وذكر الله كثيراً في جميع المواطن على السراء والضراء، ثم وصف حال المؤمنين عند لقاء الأحزاب فقال: «وَلَمَّا رَأَى المُؤمِنُونَ الأَحْزَابَ» لما بين حال المنافقين ذكر حال المؤمنين عند لقاء الأحزاب وهو أنهم لما رأوا الأحزاب قالوا تسليماً لأمر الله وتصديقاً بوعده وهو قولهم: «هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ»، وقولهم «وصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولهُ» ليس بإشارة إلى[٧] ما وقع فإنهم كانوا يعرفون صدق الله قبل الوقوع وإنما هو إشارة إلى بشارة وهو أنهم قالوا: «هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ» وقد وقع صدق الله في جميع ما وعد فيقع الكل مثل فتح مكة وفتح الروم وفارس «وَمَا زَادَهُمْ إلاَّ إيمَاناً وَتَسْلِيماً» (عند وجوده[٨] ووعد الله إياهم ما ذكر في سورة البقرة: «أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدخُلوا الجنة» إلى قوله: «أَلاَ إنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ» فالآية تتضمن أن المؤمنين يلحقهم مثل ذلك البلاء فلما) (رأوا الأحزاب وما أصابهم من الشدة قالوا[٩]: هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً) أي تصديقاً لله وتسليماً له.

قوله: «وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُه» من تكرير الظاهر تعظيماً كقوله:

---

(١) قال ابن الأنباري في البيان «الجار والمجرور في موضع رفع لأنه صفة «لأسوة» وتقديره: أسوة حسنة كائنة لمن كان يرجو الله ولا يجوز أن يتعلق بنفس «أسوة» إذا جعل بمعنى التأسي لأن «أسوة» وصفت وإذا وصف المصدر لم يعمل فكذلك ما كان في معناه». وانظر: البيان ٢/ ٢٦٧.

(٢) في «ب» قاله وهو خطأ وانظر التبيان ١٠٥٥.

(٣) المرجع السابق وانظر: الدر ٤/ ٣٧٦ و ٣٧٧.

(٤) المراجع السابقة.

(٥) و (٦) ذكرهما القرطبي في تفسيره ١٤/ ١٥٦ وانظر كذلك زاد المسير ٦/ ٣٦٨.

(٧) ذكره الفخر الرازي في تفسيره ٢٥/ ٢٠٣.

(٨) ما بين القوسين كله ساقط من «ب».

(٩) ما بين القوسين كله ساقط من «ب».

٤٠٧٨ ـ لاَ أَرَى المَوْتَ يَسْبِقُ المَوْتَ شَيءٌ ....(١)

ولأنه لو أعادهما مضمرين لجمع بين اسم الباري تعالى واسم رسوله في لفظة واحدة فكان يقال: «وصدقا»، والنبي ـ ﷺ ـ قد كره ذلك ورد على من قال حيث قال: مَنْ يُطِع اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ، وَمَنْ يَعْصِهِمَا فَقَدْ غَوَى فقال له بئس خطيبُ القوم أنتَ قل: ومن يعصِ الله ورسوله قصداً إلى تعظيم(٢) الله. وقيل إنما رد عليه لأنه وقف على «يَعْصِهِمَا» وعلى الأولى استشكل بعضهم قوله: «حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُما»(٣) فقد جمع بينهما في ضمير واحد وأجيب: بأن النبي ـ ﷺ ـ أعرف بقدر الله منا فليس لنا أن نقول كما يقول.

قوله: «وَمَا زَادهم» فاعل «زادهم» ضمير الوعد أي وما زادهم وعد الله أو الصدق. وقال مكي ضمير(٤) النظر لأن قوله «لما رأى» بمعنى لما نظر. وقال أيضاً: وقيل ضمير الرؤية(٥)، وإنما ذكر لأن تأنيثها(٦) غير حقيقي ولم يذكر غيرهما، وهذا عجيب منه حيث حجَّروا واسعاً(٧) مع الغنية عنه. وقرأ ابن أبي عبلة «وما زادوهم» بضمير الجمع(٨)، ويعود للأحزاب لأن النبي ـ ﷺ ـ أخبرهم أن الأحزاب يأتيهم بعد عشر أو تسع.

قوله: «مِنَ المُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّه عَلَيْهِ» ووفوا به.

قوله: «صدقوا» صدق يتعدى لاثنين لثانيهما بحرف الجر(٩)، ويجوز حذفه(١٠) ومنه المثل: «صَدَقَنِي سِنَّ بَكْرة»(١١) أي في سن. والآية يجوز أن تكون من هذا، والأول محذوف أي صدقوا الله فيما عاهدوا الله عليه، ويجوز أن يتعدى لواحد كقولك «صَدَقَنِي

---

(١) هو من الخفيف وهو لعدي بن زيد، وعجزه:

.... نَـغَّـصَ الـمَـوْتَ ذَا الـغِـنَـى والـفَـقِـيـرَا

وشاهده: تكرير كلمة الموت تأكيدا واهتماماً به أو نقول وضع الظاهر موضع المضمر فكان من الإمكان القول «لا أرى الموت يسبقه شيء» وهنا هو المألوف عادة ولكنه خرج هنا عنها لغرض بلاغي وهو الاهتمام بالأمر وتأكيده، وقد عدوه من الضرورات الشعرية. وقد تقدم.

(٢) صحيح البخاري ١/٧ و ٤/٣٩. (٣) مشكل الإعراب ٢/١٩٥.

(٤) السابق.

(٥) في «ب» لأن باعثهما وانظر: البيان ٢/٢٦٧ ومعاني الفراء ٢/٣٤٠.

(٦) يريد أن هذين الوجهين مشهوران عن غيره وقد نسبهما أي مكي لنفسه وفي الحديث: «لقد تَحَجَّرْتَ وَاسِعاً» أي ضيقت ما وسعه الله وخصصت به.

(٧) ذكرهما أبو حيان في البحر المحيط ٧/٢٢٣.

(٨) قاله السمين في الدر ٤/٣٧٨. (٩) أي حذف حرف الجر.

(١٠) ذكره الميداني في مجمع الأمثال وهو يضرب للصادق في قوله. وله قصة انظر: المجمع للميداني ٢/٢١٢، واللسان: «ص د ق» ٢٤١٧، وشاهده: تعدي «صدق» للمفعول الثاني المجيء بحرف جر والذي حذف جوازاً وهو «سن» حيث كان «في سن» فحذفت «في» جوازاً.

(١١) قاله أبو حيان في البحر ٧/٢٢٣، والسمين في الدر ٤/٣٧٨.

زَيْدٌ، وكَذَبَنِي عَمْرٌو» أي قال لي الصدق وقال الكذب، ويكون المعاهد عليه مصدوقاً مجازاً كأنهم قالوا للشيء المعاهد عليه لنوفين بك وقد فعلوا[١] و «ما» بمعنى الذي، ولذلك عاد عليها الضمير في «عليه»[٢]، وقال مكي «ما» في موضع نصب «بصدقوا» وهي والفعل مصدر تقديره «صَدَقُوا» العهد أي وفوا به[٣]. وهذا يرده عود المضير إلا أن الأخفش وابن السراج[٤] يذهبان إلى اسمية «ما» المصدرية.

(قوله[٥]): «قَضَى نَحْبَهُ» النحب ما التزمه الإنسان واعتقد الوفاء به قال:

٤٠٧٩ ـ عَشِيَّةَ فَرَّ الحَارِثِيُّونَ بَعْدَمَا قَضَى نَحْبَهُ فِي مُلْتَقَى القَوْمِ هَوْبَرُ[٦]

وقال:

٤٠٨٠ ـ بِطَخْفَةَ جَالَدْنَا المُلُوكَ وَخَيْلُنَا عَشِيَّةَ بَسْطَامٍ جَرَيْنَ عَلَى نَحْبِ[٧]

أي على أمر عظيم، ولهذا يقال: نحب فلان أي نذر نذراً التزمه ويعبر به عن الموت كقولهم «قَضَى أجله»[٨] لما كان الموت لا بد منه جعل كالشيء الملتزم والنحيب البكاء معه صوت.

فصل

قال المفسرون معنى «صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ» أي وفوا بعهدهم الذي عاهدوا الله «فَمِنْهُم نَحْبَهُ» أي فرغ من نذره ووفاه بعهده فصبر على الجهاد وقاتل حتى قتل

---

(١) المرجعان السابقان.

(٢) انظر: مشكل الإعراب لمكي ٢/ ١٩٥ ثم البيان ٢/ ١٦٧.

(٣) هو أبو بكر محمد بن السري المعروف بابن السراج كان أحد العلماء المذكورين وأئمة النحو المشهورين أخذ عن أبي العباس المبرد وأخذ عنه الزجاجي والسيرافي وغيرهما مات سنة ٣١٠ هـ انظر: نزهة الألباء ١٦٦.

(٤) زيادة من «ب».

(٥) قاله القرطبي في ١٤/ ١٥٨ و ١٦٠ وغريب القرآن ٣٤٩ وتأويل مشكل القرآن ـ وكلاهما لابن قتيبة ١٨٣.

(٦) هو من بحر الطويل وهو لذي الرمة، ويروى: «في ملتقى الخَيْل» بدل «القوم» وهو يفتخر بشجاعة قومه وإقدامهم. و«هوبر» اسم رجل والشاهد في «نحبه» فهو هنا بمعنى الوفاء والأجل والعهد الذي التزم الإنسان به على نفسه وهو الشاهد المراد وهناك شاهد آخر لا صلة لنا به الآن وهو حذف المضاف دون ما دليل يدل عليه وهو من ضرورات الشعر التي لا يقاس عليها والأصل: ابن هوبر فحذف «ابن» وهذا قد يؤدي إلى اللبس انظر: ابن يعيش ٣/ ٢٤ والقرطبي ١٤/ ١٦٠ برواية «الخيل» وفتح القدير ٤/ ٢٧١ والهمع ٢/ ٥١ والطبري ٢١ ص ٩٢، والدر المصون ٤/ ٣٧٨.

(٧) البيت من الطويل وهو لجرير وطَخْفَة مكان وبسطام: يوم لهم وشاهده «نحب» فإن المعنى الخطر العظيم وانظر: ديوانه ٨٢ واللسان: «ن ح ب» ٤٣٦٢ والبحر ٧/ ٢٠٨، وفتح القدير ٤/ ٢٧١ ومجمع البيان ٧/ ٥٤٨ والدر المصون ٤/ ٣٧٨.

(٨) قاله الفراء في معانيه ٢/ ٣٤٠ والزمخشري في الكشاف ٣/ ٢٥٦.

والنحيب[١] النذر قال القُرطبي: مَنْ قَضَى نحبه[٢] أجله فقتل على الوفاء يعني حمزة وأصحابه، وقيل: قضى نحبه أي[٣] بذل جهده في سبيل الوفاء بالعهد من قول العرب «نحب فلان في سيره يومه وليلته أجمع» إذا مد فلم ينزل «وَمنهم مَنْ يَنْتَظِرُ» الشهادة يعني من بقي من المؤمنين ينتظرون أحد أمرين إما الشهادة أو النصر «وَمَا بَدّلوا تَبْدِيلاً» بخلاف المنافقين فإنهم قالوا: لا نولي الأدبار وبدلوا قولهم وولوا أدبارهم.

قوله: «لِيَجْزِيَ اللَّهُ» فيه وجهان:

أحدهما: أنها لام العلة.

والثاني: أنها لام الصيرورة، وفيما يتعلق به أوجه إما «بصَدَقوا» وإما «بزَادَهُمْ» وإما بمَا بَدَّلُوا[٤] وعلى هذا قال الزمخشري: جعل المنافقون كأنهم قصدوا عاقبة السوء وأرادوها بتبديلهم كما قصد الصادقون عاقبة الصدق بوفائهم لأن كلا الفريقين مسوقٌ إلى عاقبته من الثواب والعقاب فكأنهما استويا في طلبهما والسعي لتحصيلها، والمعنى ليجزي الله الصادقين بصدقهم أي جزاء صدقهم وهو الوفاء بالعهد. «ويعذّب المُنَافِقِينَ إنْ شَاءَ» أي الذين كذبوا وأخلفوا، وقوله: «إنْ شَاءَ» ذلك فيمنعهم من الإيمان أو يتوب عليهم إن أراد («وأو[٥]») وجواب إن شاء مقدر وكذلك مفعول «شاء» أي إن شاء تعذيبَهم عَذَّبهم[٦] فإن قيل: عذابهم متحتم فيكف يصح تعليقه على المشيئة وهو قد شاء تعذيبهم إذا ماتوا على النفاق؟!. فأجاب ابن عطية بأن تعذيب المنافقين ثمرة إدامتهم الإقامة على النفاق إلى موتهم، والعقوبة[٧] موازية لتلك الإقامة وثمرة التوبة تركهم دون عذاب فهما درجتان إقامة على نفاق، أو توبة منه وعنهما ثمرتان تعذيب أو رحمة فذكر تعالى على جهة الإيجاز واحدةً من هاتين وواحدة (من[٨] هاتين) ما ذكر على ما ترك ذكره، ويدل على أن معنى قوله: «لِيُعَذِّب» ليديم على النفاق، قَوْلُهُ: «إنْ شَاءَ» ومعادلته بالتوبة وحرف «أو[٩]». قال أبو حيان وكان ما ذكر يؤول إلى أن التقدير: ليقيموا على النفاق فيموتوا عليه إن شاء فيعذبهم أو يتوب عليهم فيرحمهم فحذف سبب التعذيب وأثبت المسبَّب وهو التعذيب[١٠]، وأثبت سبب الرحمة والغفران وحذف المسبب وهو الرحمة والغفران،

---

(١) في القرطبي ١٤/١٥٨. (٢) المرجع السابق.
(٣) السابق.
(٤) الدر المصون ٤/٣٧٩ وانظر: البحر ٧/٢٢٣ والكشاف ٣/٢٥٧.
(٥) زيادة لا معنى لها. (٦) قاله السمين في الدر المصون ٤/٣٧٩.
(٧) في البحر والسمين و «ب» والتوبة دون العقوبة.
(٨) في المرجعين السابقين ولكنه ساقط من «ب».
(٩) انظر: البحر ٧/٢٢٣ والدر المصون ٤/٣٧٩.
(١٠) المرجع السابق قال: وهذا من الإيجاز الحسن البحر ٧/٢٢٣.

وقال ابن الخطيب إنما قال ذلك حيث لم يكن قد حصل ما بين[١] النبي ـ ﷺ ـ عن إيمانهم وآمن بعد ذلك ناس «وكان الله غفوراً» حيث ستر ذنبهم و «رحيماً» حيث رحمهم ورزقهم الإيمان فيكون هذا فيمن آمن بعده. أو نقول «ويعذب المنافقين» مع أنه كان غفوراً رحيماً لكثرة ذنوبهم وقوة جرمهم ولو كان دون ذلك لغفر لهم ثم بين بعض ما جزاهم[٢] الله على صدقهم فقال: «وردَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بغَيْظِهِمْ» وهم قريش وغطفان ردّهم بغيظهم لم تُشفَ صدورهم بنيل ما أرادوا لم ينالوا خيراً «ظفراً» وَكَفَى اللَّهُ المؤمنين القِتَال بالملائكة والريح أي لم يحوجهم إلى القتال «وكان الله قوياً» في ملكه غير محتاج إلى قتالهم «عزيزاً» في انتقامه قادراً على استئصال الكفار.

قوله: «بغَيْظِهِمْ» يجوز أن تكون الباء سببية وهو الذي عبر عنه أبو البقاء بالمفعول أي[٣] أنها مُعَدِّية.

والثاني: أن تكون للمصاحبة[٤] فتكون حالاً أي مَغِيظِينَ.

قوله: «لم ينالوا[٥] خيراً» حال ثانية أو حال من الحال الأولى فهي متداخلة، ويجوز[٦] أن تكونْ حالاً من الضمير المجرور[٧] بالإضافة. وجوز الزمخشري فيها أن تكون بياناً للحال الأولى أي مستأنفة[٨]، ولا يظهر البيان إلا على البدل والاستئناف بعيد[٩].

قوله: «وَأَنْزَلَ الذينَ» أي أنزل الله الذين «ظَاهَرُوهُمْ» أي عاونوا الأحزاب من قريش وغطفان على رسول الله ـ ﷺ ـ والمسلمين وهم بنو قريظة[١٠].

قوله: «مِنْ أَهْل الكتاب» بيان للموصول فيتعلق بمحذوف[١١]، (ويجوز أن يكون[١٢] حالاً) «من صَياصِيهِمْ» متعلق «بأنزل» و «من» لابتداء الغاية[١٣]، والصياصي جمع صِيصِيَةٍ[١٤] وهي الحصون والقلاع والمعاقل ويقال لكل ما يمتنع به ويتحصن

---

(١) في تفسيره «يأس النبي».
(٢) وفيه: «جازاهم» بصيغة التفاعل وانظر: تفسير الفخر الرازي ٢٥/ ٢٠٤.
(٣) قال في التبيان ١٠٥٥ «يجوز أن يكون حالاً، وبأن يكون مفعولاً».
(٤) و (٥) و (٦) أقوال شهاب الدين السمين في الدر ٤/ ٣٧٩ والحال المتداخلة التي تدخل تحت الأولى كالجملة الصغرى التي تحت الكبرى.
(٧) من «بغيظهم».
(٨) قال في الكشاف ٣/ ٢٥٧: «ويجوز أن تكون الثانية بياناً للأولى أو استئنافاً».
(٩) قاله أبو حيان في رده عليه في البحر ٧/ ٢٢٤ وكذلك السمين في الدر ٤/ ٣٧٩.
(١٠) قاله الإمام القرطبي في الجامع ١٤/ ١٦١.
(١١) قاله في السمين ٤/ ٣٧٩.
(١٢) ما بين القوسين ساقط من «ب».
(١٣) المرجع السابق.
(١٤) قاله في اللسان «صيا» ٢٥٣٩ وانظر المجاز ٢/ ١٣٦.

«صِيصِيَةٌ» ومنه قيل لقَرْن الثَّوْرِ ولشوكة الديك: صِيصِيَة، والصَّيَاصِي أيضاً شوك الحاكة، ويتخذ من حديد قال دُرَيْدُ بنُ الصِّمَّةِ:

٤٠٨١ ـ .... كَوَقْعِ الصَّيَاصِي في النَّسِجِ المُمَدَّدِ[١]

قوله: «وَقَذَف فِي قلوبهم الرُّعْبَ» حتى سلموا أنفسهم للقتل وأولادهم ونساءهم للسبي.

قوله: «فريقاً تقتلون» منصوب بما بعده وكذلك «فريقاً» منصوب بما قبله[٢]، والجملة مبينة ومقررة لقذف الرعب في قلوبهم والعامة على الخطاب في الفعلين، وابن ذكوان[٣] ـ في رواية ـ بالغيبة فيهما[٤]، واليماني بالغيبة في الأول فقط[٥]، وأبو حيوة «تَأْسُرُونَ»[٦] بضم السين.

فإن قيل: ما فائدة التقديم تقديم المفعول في الأول حيث قال: تقتلون وتأخيره حيث قال «وتأسرون فريقاً»؟!.

فالجواب: قال ابن الخطيب إن القائل يبدأ بالأهم فالأهم والأقرب فالأقرب والرجال كانوا مشهورين وكان القتل وارداً عليهم والأسراء كانوا هم النساء والذَّرَارِي[٧] ولم يكونوا مشهورين[٨] والسبي والأسر أظهر من القتل لأنه يبقي فيظهر لكل أحد أنه أسير فقدم من المحلَّين ما هو أشهر على الفعل القائم به ومن الفعلين ما هو أشهر قدمه

---

(١) هذا عجز بيت من الطويل له وصدره:

وَمَا رَاعَنِي إلاّ الرِّمَاحُ تَنُوشُهُ ....

ويروى: فجئت إليه والرماح تنوشه، ويروى أيضاً: غداة دعاني والرماح ينشنه والبيت كناية عن شدة البأس والبلاء في الحرب لأن معناه أن رماح القوم اجتمعت عليه تتناوله بالطعن ليتأكد موته والشاهد: «الصياصي» حيث استعملت في تلك الآلة التي تتخذ من حديد وانظر: مجاز القرآن ٢/ ١٣٦ والدر المصون ٤/ ٣٨٠ والأصمعيات ١٠٩، والقرطبي ١٤/ ١٦١ برواية «فجئت إليه» وانظر: اللسان «ص ي أ» ٣٥٣٩ و «ن و ش» ٤٥٧٥ و «ص ي ص» والأغاني ٩/ ٤.

(٢) قاله أبو البقاء ١٠٥٦ والسمين ٤/ ٣٨٠.

(٣) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن ذكوان أبو الزناد فقيه المدينة سمع أنساً، وأبا أمامة وعنه السفيانان والليث مات سنة ٩٣١ هـ، انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي ١/ ١٣٤ وانظر: البحر ٧/ ٢٢٥.

(٤) في «تقتلون» و «تأسرون».

(٥) الذي ذكره ابن خالويه في الشواذ ١١٩ أن اليماني يقرأ بالغيبة في الثاني وهو «تأسرون» وليس في الأول وهو «تقتلون» ولعل ما ذكره المؤلف ـ تبعاً للسمين ـ سهو أراد الثاني وقصد الأول سهواً فالله أعلم.

(٦) المرجع السابق ١١٩ ومعاني الفراء ٢/ ٣٦ فقد قال «وتأسرون» لغة ولم يقرأ بها أحد فعلى ذلك تكون شاذة الرواية.

(٧) هم الولد قال في اللسان: «وذرية الرجل ولده والجمع الذراري والذريات» انظر: اللسان ١٤٩٤.

(٨) تفسير الفخر الرازي ٢٥/ ٢٠٤ و ٢٠٥.

على المحل الخفي ووجه آخر وهو أن قوله «فريقاً تقتلون» فعل ومفعول والأصل في الجمل الفعلية تقديم الفعل على المفعول والفاعل أما أنها جملة فعلية فلأنها لو كانت اسمية لكان الواجب في «فريق» الرفع، كأنه يقول فريق منهم تقتلونهم (فلما نصب[١] كان ذلك بفعل مضمر يفسره الظاهر تقديره: «تقتلون فريقاً تقتلون») والحامل على مثل هذا الكلام شدة الاهتمام ببيان المفعول، وههنا كذلك لأنه تعالى لما ذكر حال الذين ظاهروهم وأنه قد قذف في قلوبهم الرعب فلو قال: تقتلون أوهم أن يسمع السامع مفعول «تقتلون» يكون زمان وقد يمنعه مانع فيفوته ولا يعلم أيهم هم المقتولون فأما إذا قال: «فريقاً» سبق في قلوبهم الرعب إلى سمعهم فيستمع إلى تمام الكلام، وإذا كان الأول فعلاً ومفعولاً قدم المفعول لفائدة عطف الجملة الثانية عليها على الأصل (فعدم)[٢] تقديم الفعل لزوال موجب التقديم إذ عرف حالهم وما يجيء بعده يكون مصروفاً إليهم فلو قال بعد ذلك: «وَفَرِيقاً تأسرون» فمن سمع «فريقاً» ربما يظن أنه يقال فيهم يطلقون أو لا يقدرون عليهم فكان تقديم الفعل ههنا أولى وكذا الكلام في قوله: «وَأَنْزَلَ الَّذِينَ (ظَاهَرُوهُمْ)[٣] وقوله: «قذف»، فإن قذف الرعب قبل الإنزال لأن الرعب صار سبيل الإنزال ولكن لما كان الفرح في إنزالهم أكثر قدم الإنزال على قذف الرعب[٤] والله أعلم.

فصل

فريقاً تقتلون هم الرجال قيل: كانوا ستمائة، و «تأسرون فريقاً» وهم النساء والذراري، قيل: كانوا سبعمائة وخمسين، وقيل تسعمائة «وأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ ودِيَارَهم وأموالهم وأرضاً لم تطئُوها» بعد؛ قال ابن زيد ومقاتل يعني خيبر[٥] وقال قتادة[٦]: كنا نحدث أنها مكة، وقال الحسن[٧]: فارس والروم وقيل: القلاع وقال عكرمة[٨]: كل أرض تفتح إلى يوم القيامة.

قوله: «لم تَطَئُوها» الجملة صفة «لأرضاً»[٩] والعامة على همزة مضمومة ثم واو ساكنة، وزيد بن علي «تَطَوْهَا» بواو بعد طاء مفتوحة[١٠] ووجهها أنها كبدلِ الهمزة ألفاً على الإسناد كقوله:

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب» وهو في المرجع السابق.
(٢) زيادة يقتضيها المعنى وهي في الفخر الرازي.
(٣) ساقط من «ب». (٤) المرجع السابق.
(٥) في القرطبي نسب هذا الرأي إلى هؤلاء على أنها «حنين» ١٤/ ١٦١. وما في زاد المسير ٦/ ٣٧٥ يوافق ما قاله المؤلف.
(٦) و (٧) و (٨) المرجعان السابقان.
(٩) قاله السمين ٤/ ٣٨٠.
(١٠) هذه قراءة عشرية متواترة أوردها البناء في الإتحاف ٣٥٤ وأبو حيان في البحر ٧/ ٢٢٥ وهو وجه شاذ كما سيتبين بعد.

٤٠٨٢ ـ إنَّ الأَسُودَ لَتُهْدَى في مَرَابِضِهَا ....[١]

فلما أسنده[٢] للواء التقى ساكنان محذوف أولهما نحو «لم تَرَوْهَا» وهذا أحسن من أن تقول ثم أجرى الألف المبدلة من الهمزة مجرى الألف المتأصلة فحذفها جزماً لأن الأحسن هناك أن لا يحذف اعتداداً بأصلها[٣]، واستشهد بعضهم على الحذف بقول زهير:

٤٠٨٣ ـ جَرِيء مَتَى يُظْلَمْ يُعَاقَبْ بظُلْمِهِ سَرِيعاً وإِلا يُبْدَ بالظُّلْمِ يَظْلِمِ[٤]

قوله: «وَكَانَ اللَّه عَلَى كُلِّ شَيْء قَدِيراً» هذا يؤكد قول من قال: إن المراد من قوله: «وأرضاً لم تطؤوها» ما يؤخذ[٥] بعد من بني قريظة لأن الله تعالى لما ملكهم تلك البلاد ووعدهم بغيرها دفع استبعاد[٦] من لا يكون قوي الاتكال على الله تعالى وقال أليس الله ملككم هذه فهو على كل شيء قدير يملككم غيرها، روى أبو هريرة ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ كان يقول: «لا إله إلا الله وحده، أعزَّ جنده، ونصر عبده، وغلب الأحزاب وحدَه، فلا شيء بعده»[٧].

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٢٩﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ

---

(١) هذا صدر بيت من البسيط لابن هَرْمَةَ، وعجزه:

.... والنَّاسُ لاَ يُهْتَدَى مِنْ شَرِّهِمْ أَبَدا

والبيت في ذم حال الناس وقد رواه ابن منظور في اللسان:

إن السباع لتَهْدَا عن فرائسها والناس ليس بهاد شرهم أبدا

وشاهده تخفيف الهمزة في «هَدَأ» تخفيفاً على غير قياس لأنها مفردة متحركة وقبلها متحرك والتخفيف بقلبها ألفاً محضة إنما هو غير قياس ويؤخذ سماعاً فالقياس أن تكون بين بين. وانظر: الخصائص ٣/ ١٥٢ واللسان «هـ د أ» ٤٦٢٨ والبحر المحيط ٧/ ٢٢٥ والممتع لابن عصفور ٣٨٢ والدر المصون ٧/ ٣٨٠، والتاج «هـ د أ».

(٢) وهو الفعل «وطىء» قال في اللسان وَطِىء الشيء يَطَؤُهُ وَطْئاً داسَهُ قال سيبويه: أما وَطىء يَطَأ فمِثل وَرِمَ يَرِمُ ولكنهم فتحوا يفعل وأصله الكسر. اللسان: «وطأ» ٤٨٦٢.

(٣) قاله السمين في الدر ٤/ ٣٨١.

(٤) من الطويل له في مدح الحسين بن ضمضم وشاهده: «يبد» حيث حذف الألف المنقلبة عن الهمزة فهي «يبدأ» وعاملها كالألف المتأصلة وحذفها للجزم وحري بالقول أن الفعل مجزوم لأنه وقع بعد فعل شرط وقد يقال عن ذلك: إن الهمزة حذفت بحركتها للوزن الشعري. على أنه ورد عن الأنصار: بَديتُ بالشيء أي قدمته فهذا منه. وقد تقدم.

(٥) في «ب» سيؤخذ.

(٦) في «ب» استبطان.

(٧) الحديث تقدم.

بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿٣٠﴾ ۞
وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا
كَرِيمٗا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ
فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٣٢﴾ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ
ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ
لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي
بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ
وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ
وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ
فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا
﴿٣٥﴾ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ
وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ﴿٣٦﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿**يَأيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ إنْ كُنتُنَّ تُرِدْنَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا**﴾ الآية وجه التعلق (هو)[١] أن مكارم الأخلاق[٢] منحصرة في شيئين التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله وإلى هذا أشار عليه (الصلاة[٣] و) السلام بقوله: «الصَّلاَةَ وَمَا مَلَكَتْ أيْمَانُكُمْ»[٤] فاللَّه (تعالى[٥] لما) أرشد نبيه إلى ما يتعلق بجانب التعظيم لله بقوله: «يأيها النبي اتق الله» ذكره ما يتعلق بجانب الشفقة وبدأ بالزوجات فإنهن أولى الناس[٦] بالشفقة ولهذا قَدَّمَهُنَّ في النفقة.

فصل

قال المفسرون: سبب نزول هذه الآية نساء النبي ـ ﷺ ـ (سَأَلْنَهُ)[٧] عن عرض الدنيا (شيئاً)[٨] وطلبن منه زيادة في النفقة وآذينه بغيرة بعضهن على بعض فهجرهن[٩] رسول الله ـ ﷺ ـ وآلى أن لا يقربهن شهراً ولا يخرج إلى أصحابه فقالوا ما شأنه وكانوا يقولون طلق رسول الله ـ ﷺ ـ نساءه فقال عمر: لأعلمنَّ لكم شأنه قال: فدخلت على رسول الله ـ ﷺ ـ فقلت يا رسول الله: أطلقتهن قال: لا، فقلت: يا رسول الله إني

(١) زيادة من «أ» عن «ب».
(٢) ذكره الفخر الرازي في تفسيره ٢٥/ ٢٠٥.
(٣) زيادة من «ب».
(٤) المرجع السابق.
(٥) ساقط من «ب».
(٦) المرجع السابق.
(٧) ساقط من «ب».
(٨) ساقط من «ب».
(٩) ذكره الإمام أبو الفرج ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٣٧٦.

دخلت المسجد والمسلمون يقولون طلق رسول الله ـ ﷺ ـ نساءه أفأنزل فأخبرهم أنك لم تطلقهن قال: نعم إنْ شِئْتَ فقمت على باب المسجد فناديت بأعلى صوتي لم يطلق رسول الله ـ ﷺ ـ نساءه ونزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ﴾ [النساء: ٨٣] فكنت أنا استنبطت ذلك الأمر وأنزل الله آية التخيير وكانت تحت رسول الله ـ ﷺ ـ يومئذ تسعُ نسوة خمسٌ من قريش عائشةُ بنت أبي بكر، وحفصةُ بنت عمر، وأمُّ حبيبةَ بنتُ أبي سفيانَ وأمّ سلمةَ بنت أمية، وسودةُ بنت زَمْعة وغير القرشيات زينب بنتُ جحش الأسدية، وميمونةُ بنت الحارث الهلالية وصفية بنت حُيَيّ بن أخطب الخَيْبريَّة وجُوَيْرِيةُ بنت الحارث المُصْطَلِقيَّة، فلما نزلت آية التخيير بدأ رسول الله ـ ﷺ ـ بعائشة وكانت أحبهن إليه فخيرها فقرأ عليها (القرآن)[1] فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة. ورُؤي الفرح في وجه رسول الله ـ ﷺ ـ وتابعنها على ذلك، قال قتادة فلما اخْتَرْن الله[2] ورسوله شكرهن الله على ذلك وقصره عليهن فقال: «لاَ تَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ». وعن جابر بن عبد الله قال[3]: دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله ـ ﷺ ـ فوجد الناس جلوساً ببابه لم يؤذن لواحد[4] منهم قال: فأذن لأبي بكر فدخل ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له فوجد النبي ـ ﷺ ـ جالساً حوله نساؤه واجماً[5] ساكناً قال: فقال: لأقولَنَّ شيئاً أُضْحِكُ النبي ـ ﷺ ـ فقال: يا رسول الله لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة فقمت إليها فَوَجَأْتُ عنقها فضحك النبي ـ ﷺ ـ وقال: هن حولي كما ترى يسألنني النفقة فقام أبو بكر إلى عائشة يَجَأُ عُنُقَها وقام عمر إلى حفصة يَجَأُ عنقها كلاهما يقول[6]: تسألن رسول الله ـ ﷺ ـ شيئاً أبداً ليس عنده ثم اعتزلهن شهراً أو تسعاً وعشرين يوماً ثم نزلت هذه الآية: «يَأَيُّها النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ» حتى بلغ «لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أجراً عظِيماً» قال: فبدأ بعائشة فقال: يا عائشة إني أعرض عليك أمراً لا أحب أن تعجلي حتى تستشيري أبويك، قالت: وما هو يا رسول الله فتلا عليها الآية فقالت: أفيك يا رسول الله أستشير أَبَوَيَّ بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة وأسألك أن لا تخبر امرأة من نسائك بالذي[7] قلت، قال: لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها إنّ الله لم يبعثني معنتاً[8] ولا متعنتاً ولكن بعثني معلماً مبشراً. وروى الزهري

---

(١) سقط من «ب».

(٢) قاله ابن الجوزي في تفسيره ٦/ ٣٧٨.

(٣) رواه الإمامان البخاري ومسلم واللفظ للإمام مسلم انظر: صحيح مسلم «باب الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن» ٢/ ١١٠٥ و ١١٠٦ وانظر: الدر المنثور للسيوطي ٥/ ١٩٤ وقد زاد نسبته للإمام أحمد والنسائي وابن مردويه عن جابر، وانظر القرطبي ٤/ ١٦٢ و ١٦٣.

(٤) في صحيح مسلم «لأحد منهم» وهو ما في «ب».

(٥) في «ب» ورجع ساكتاً وهو خلاف ما في مسلم وغيره.

(٦) في «ب» لا تسألن بالنفي وهو بخلاف ما في المراجع.

(٧) في «ب» و «أ» ما الذي بصيغة الاستفهام.

(٨) في «ب» مفتناً ولا متفتناً.

أن النبي ـ ﷺ ـ أقسم أن لا يدخل على أزواجه شهراً قال الزهري: فأخبرني عروة عن عائشة قالت[١]: فلما مضت تسعٌ وعشرونَ أعُدُّهن دخل عليّ رسول الله ـ ﷺ ـ فقلت: بدأ بي فقلت: يا رسول الله إنك أقسمت أن لا تدخل علينا شهراً وإنك دخلت من تسع وعشرين أعدهن فقال: إن الشهر تسع وعشرون.

فصل

اختلف العلماء في هذا الخيار هل كان ذلك تفويض الطلاق إليهن حتى يقع بنفس الاختيار أم لا؟ فذهب الحَسَنُ وَقَتَادة[٢] وأكثر أهل العلم إلى أنه لم يكن تفويض للطلاق، وإنما خيرهن على أنهن إذا اخترن الدنيا فارقهن لقوله تعالى: ﴿**فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وأُسَرِّحْكُنَّ**﴾ ويدل عليه أنه لم يكن جوابهن على الفور فإنه قال لعائشة: «لا تعجلي حتى تَسْتَشَيري أبوَيْك» وفي تفويض الطلاق يكون الجواب على الفور. وذهب آخرون إلى أنه كان تفويضَ طلاق ولو اخترن أنفسهن كان طلاقاً، واختلف العلماء في حكم التخيير فقال عمر وابن مسعود وابن عباس إذا خير رجلٌ امرأته فاختارت زوجها لا يقع شيء[٣]، ولو اختارت نفسها وقع طلقة واحدة وهو قول عمر بن عبد العزيز وابنُ أبي ليلى[٤] وسفيان والشافعي وأصحاب الرأي إلا أن عند أصحاب الرأي تقع طلقةً بائنةً[٥] إذا اختارت نفسها، وعند الآخرين رجعيةً، وقال زيد بن ثابت: إذا اختارت الزوج يقع طلقة واحدةً وإذا اختارت نفسها فثلاثٌ وهو قول الحسن، وروايةٌ عن مالك[٦]. وروي عن علي أيضاً أنها إذا اختارت زوجها يقع طلقة[٧] واحدة وإذا اختارت نفسها فطلقة ثانية، وأكثر العلماء[٨] على أنها إذا اختارت زوجها لا يقع شيء لما روت

---

(١) في «ب» قال.

(٢) ذكره الإمام القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن ١٤/ ١٧٠ وقال: ومن الصحابة علي فيما رواه عنه أحمد بن حنبل أنه قال: لم يخير رسول الله ـ ﷺ ـ نساءه إلا بين الدنيا والآخرة.

(٣) هذا رأي علماء الصحابة ومن علماء التابعين الذين اختاروا هذا الرأي عطاء ومسروق، وسليمان بن يسار وربيعة وابن شهاب وانظر: المرجع السابق ١٤/ ١٧١.

(٤) ابن أبي ليلى: عبد الرحمن الأنصاري الأوسي أبو عيسى الكوفي عن عمر ومعاذ وبلال وأبي ذر، أدرك مائة وعشرين من الصحابة الأنصاريين وعنه ابنه عيسى ومجاهد وعمرو بن ميمون مات سنة ٨٣ هـ، انظر: الخلاصة ٢٣٤.

(٥) وهو قول أبي حنيفة وأصحابه ورواه ابن خويزمنداد عن مالك. القرطبي ١٤/ ١٧١.

(٦) هو الإمام مالك بن أنس أحد أئمة المذاهب الأربعة الذين كان لهم فضل في معرفة الدِّين وأحكامه الفقهية وانظر المرجع السابق وحجة مالك ومنْ معه أن الملك إنما يكون بذلك.

(٧) رجعية كما روي عنه أنها إذا اختارت نفسها فليس بشيء، انظر: المرجع السابق.

(٨) وهو الصحيح، لقول عائشة الأعلى الذي أخرجه الصحيحان البخاري ومسلم، وقد قال ابن المنذر: وحديث عائشة يدل على أن المخيرة إذا اختارت نفسها أنها تطليقة يملك زوجها رجعتها إذ غير جائز أن يطلق رسول الله ـ ﷺ ـ بخلاف ما أمره الله. الجامع ١٤/ ١٧١.

عائشة قالت: خيرنا رسول الله ـ ﷺ ـ فاخترنا الله ورسوله فلم يعد ذلك شيئاً.

قوله: «أُمَتِّعْكُنَّ وأُسَرِّحْكُنَّ» العامة على جزمهما، وفيه وجهان:

أحدهما: أنه مجزوم على جواب الشرط، وما بين الشرط وجوابه[١] معترض، ولا يضر دخول الفاء على جملة الاعتراض ومثله في دخول الفاء قوله:

٤٠٨٤ ـ وَاعْلَمْ فَعِلْمُ المَرْءِ يَنْفَعُهُ أَنْ سَوْفَ يَأْتِي كُلُّ مَا قُدِرَا[٢]

يريد: واعلم أن سوف يأتي.

والثاني: أن الجواب قوله «فتعالين» و «أمتعكن» جواب لهذا الأمر، وقرأ زيد بن علي «أُمْتِعْكُنَّ» بتخفيف التاء من «أمتعه»[٣] وقرأ حُمَيْد الحَزَّاز[٤] «أُمَتِّعُكُنَّ وَأُسَرِّحُكُنَّ» بالرفع فيهما على الاستئناف[٥] و «سَرَاحاً» قائم مقام التَّسريح.

فصل

قال ابن الخطيب: وههنا[٦] مسائل منها هل كان هذا التخيير واجباً على النبي (ﷺ[٧]) أم لا والجواب أن التخيير كان قولاً واجباً من غير شك لأنه إبلاغ للرسالة لأن الله تعالى لما قال (له[٨]): «قل لهم» صار من الرسالة، وأما التخيير معنى فمبني على أن الأمر للوجوب أم لا، والظاهر أنه للوجوب ومنه أن واحدة منهم لو اختارت الفراق هل كان يصير اختيارها فراقاً. والظاهر أنه لا يصير فراقاً وإنما تبين المختارة نفسها فإنه من جهة النبي عليه[٩] السلام لقوله: «فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً» ومنها أن واحدة منهن لو اختارت نفسها وقلنا إنها لا تبين إلا بإبانة النبي ـ ﷺ ـ فهل كان يجب على النبي عليه (الصلاة[١٠] و) السلام الطلاق أم لا؟ الظاهر نظراً إلى منصبه عليه (الصلاة[١١] و) السلام أنه كان طلاقاً لأن الخُلْفَ في الوعد من النبي غير جائز بخلاف أحدنا فإنه لا يلزمه شرعاً الوفاء بما يعد، ومنها أن المطلقة بعد البينونة هل كانت تحرم

---

(١) ذكرها السمين في الدر ٤/ ٣٨١ وفيه «وجزائه» بدلاً من «وجوابه».

(٢) البيت من تام الكامل وهو مجهول القائل. وانظر: البحر المحيط ٧/ ٢٢٧ وشذور الذهب ٣٤٧، ومعاهد التنصيص ١/ ١٢٨ والأشموني ١/ ٢٩٢ والهمع ١/ ١٤٨ وشرح شواهد المغني ٨٢٨ والمغني ٣٩٨ وشواذ القرآن «١٩٣» و «١٩٤».

(٣) ذكرها أبو حيان في بحره ٧/ ٢٢٧ وانظر: شواذ القرآن ١٩٤ للكرماني.

(٤) هو حميد بن ربيع أبو القاسم السابوري الحزّاز، روى القراءة عن الكسائي وعنه محمد بن إسحاق السراج غاية النهاية ١/ ٢٦٥.

(٥) ذكرها ابن خالويه في المختصر ١١٩ وانظر ما سبق من المراجع.

(٦) الرازي ٢٥/ ٢٠٥ و ٢٠٦.

(٧) ساقط من «ب».

(٨) كذلك.

(٩) في «ب» ﷺ.

(١٠) و (١١) زيادة من نسخة «ب».

على غيره أم لا؟ والظاهر أنها لا تحرم وإلا لم يكن التخيير ممكناً لها من التمتع بزينة الدنيا ومنها أن من اختارت الله ورسوله هل كان يحرم على النبي عليه (الصلاة[1] و) السلام طلاقها أم لا؟ الظاهر الحرمة نظراً إلى منصب الرسول عليه السلام على معنى أن النبي ـ ﷺ ـ يمتنع منه أصلاً لا بمعنى أنه لو أتى به لعُوقِب أو لعُوتِبَ.

قوله: «أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ منكُنَّ» أي من عمل صالحاً منكن كقوله تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [لقمان: ٢٢] والأجر العظيم: الكثير الزائد في الطول وفي العرض وفي العمق حتى لو كان زائداً في الطول يقال له طويل ولو كان زائداً في العرض يقال له: عريض وكذلك العميق فإذا وجدت (منه) الأمور الثلاثة قيل عظيم، فيقال: جبل عظيم إذا كان عالياً ممتداً في الجهات، وإن كان مرتفعاً حيث يقال: جبل عال. إذا عُرف هذا فأجر الدنيا في ذاته قليل وفي صفاته غير خال عن جهة قبح لما في مأكوله ومشروبه من الضرر وغيره، وأيضاً فهو غير دائم، وأجر الآخرة كثير خالٍ عن جهات القبح دائم فهو عظيم[2].

قوله تعالى: ﴿يَا نِسَاء النَّبِيِّ مَن يَأْتِ منكُنَّ بِفَاحِشَةٍ...﴾ الآية العامة على «يأت» بالياء من تحت حملاً على لفظ «مَنْ» لأن «مَنْ» أداة تقوم مقام الاسم يعبر به عن الواحد والجمع (و) المذكر والمؤنث، وزيدُ بن علي، والجَحْدَرِيُّ، ويعقوب بالتاء[3] من فوق حملاً على معناها لأنه يرشح بقوله: «منْكُنَّ»[4] حال من فاعل «يأتِ» وتقدم القراءة في «مبينة»[5] بالنسبة لكسر الياء وفتحها، في النساء.

قوله: «يضاعف» قرأ عمرو «يُضَعَّف»[6] ـ بالياء من تحت وتشديد العين مفتوحة على البناء للمفعول ـ العذابُ بالرفع لقيامه مقام الفاعل، وقرأ ابن كثير وابن عامر «يُضَعِّف[7]» ـ بنون العظمة وتشديد العين مكسورة على البناء للفاعل ـ العَذَابَ بالنصب على المفعول به وقرأ الباقون «يُضَاعَف» من المفاعلة مبنياً للمفعول العذابُ بالرفع لقيامه مقام الفاعل (وقد[8]) تقدم توجيه التضعيف والمضاعفة في سورة البقرة[9].

---

(١) زيادة من نسخة «ب».
(٢) قاله الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره ٢٥/٢٠٦.
(٣) ذكرها في البحر ٧/٢٢٨ وفي المحتسب ٢/١٧٩ وهي من القراءات الشاذة.
(٤) حكاه السمين في الدر ٤/٣٨٢.
(٥) يقصد الآية ١٩ من سورة النساء وهي قوله تعالى: ﴿إلاَّ أَنْ يَأْتِين بِفَاحِشَةٍ مُبيِّنَةٍ﴾.
(٦) معاني الفراء ٢/٣٤١ والسبعة ٥٢١، وإبراز المعاني ٦٤٨.
(٧) المراجع السابقة وانظر في توجيه هذه القراءات الكشف لمكي ٢/١٩٦ والحجة «لابن خالويه» ٣٨٩ كما قرر هو أعلى في النص.
(٨) ساقط من «ب».
(٩) يشير إلى قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَه لَهُ...﴾ وهي الآية ٢٤٥ وقرر=

فصل

قال ابن عباس المراد هنا بالفاحشة النشوز وسوء[١] الخلق، وقيل: هو كقوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥]. واعلم أن النبي ـ ﷺ[٢] ـ لما خير نساءه واخترن الله ورسوله أدبهن الله وهددهن بالتوقي عما يسوء النبي ويقبح بهن من الفاحشة التي هي أصعب على الزوج من كل ما يأتي به زوجته وأوعدهن بتضعيف العذاب وفيه حكمتان[٣]:

إحداهما[٤]: أن زوجة الغير تعذب على الزنا بسبب ما في الزنا من المفاسد وزوجة النبي تعذب إن أتت به لذلك لإيذاء قلبه والإزراء بمَنْصِبِه وعلى هذا بنات النبي عليه[٥] السلام كذلك ولأن امرأة لو كانت تحت النبي عليه السلام وأتت بفاحشة تكون قد اختارت غير النبي على النبي ويكون ذلك الغير خيراً عندها من النبي وأولى والنبي أولى من النفس التي هي أولى من الغير فقد نزلت منصب النبي مرتبتين فتعذب من العذاب ضعفين.

وثانيهما: أن هذا إشارة إلى شرفهن؛ لأن الحرة عذابها ضعف عذاب الأمة إظهاراً لشرفها ونسبة النبي إلى غيره من الرجال نسبة السادات إلى العبيد لكونه أولى بهم من أنفسهم فكذلك زوجاته اللائي هن أمهات المؤمنين، وأم الشخص امرأة حاكمة عليه واجبة الطاعة وزوجته مأمورة محكومة له وتحت طاعته فصارت زوجة الغير بالنسبة إلى زوجة النبي عليه السلام كالأَمَةِ[٦] بالنسة إلى الحرة، واعلم أن قول القائل من يفعل ذلك في قوة قوله: «لَئِنْ أَشْرَكت لَيَحْبَطَنَّ عملك» من حيث إن ذلك ممكن الوقوع في أول النظر ولا يقع في بعض الصور جزماً وفي بعض (يقعُ)[٧] جزماً، وفي البعض يتردد السامع في الأمرين، فقوله تعالى: ﴿مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ﴾ من القبيل الأولى فإن الأنبياء صان الله زوجاتهم عن الفاحشة ثم قال: «وَكَانَ ذَلِكَ على الله يسِيراً» أي ليس كونكن تحت النبي عليه السلام وكونكنّ شريفات جليلات مما يدفع العذاب عنكن فليس أمر الله كأمر الخلق حيث يتعذر عليهم تعذيب الأعزة بسبب كثرة أوليائهم وأعوانهم وشفعائهم وإخوانهم.

= هناك أن التضعيف والمضاعفة بمعنى واحد. وقيل: إن المضعف للتكثير وقيل: لما جعل مثلين أما المضاعفة ـ بصيغة المفاعلة ـ لما زيد عليه أكثر من ذلك، اللباب ٦١٧/١.

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٣٧٨/٦.

(٢) هذا كله قول الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره الكبير ٢٠٧/٢٥.

(٣) في «ب» حكمان.

(٤) في «ب» أحدهما موافقة «لحكمان».

(٥) في «ب» ﷺ.

(٦) في «ب» كالابنة بالنسبة إلى الجدة وهو خلاف ما في تفسير الرازي.

(٧) سقط من «ب».

قوله: «وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ» أي يطع الله ورسوله[١] وهذا بيان لزيادة ثوابهن كما بين زيادة عقابهن «نُؤْتِهَا أجْرَهَا مَرَّتَيْنِ» في مقابلة قوله: «يضاعف لها العذاب ضعفين» وفيه لطيفة وهي أن عند إيتاء الأجر ذكر الموفي وهو الله وعند العذاب لم يصرح بالعذاب[٢] فقال: «يضاعف» وهذا إشارة إلى كمال الرحمة والكرم[٣]. قوله: «وَتَعْمَلْ صَالِحاً نُؤْتِهَا» قرأ الأخوان «ويَعْمَلْ ويُؤْتِ» ـ بالياء من تحت فيهما، والباقون «وتعمل»[٤] بالتاء من فوق و «نُؤْتها» بالنون، فأما الياء في «ويعمل» فلأجل الحمل على لفظ «من» وهو الأصل والتاء من فوق على معناها إذ المراد بها مؤنث[٥] ويرشح هذا بتقدم لفظ المؤنث وهو «منكنّ» ومثله قوله:

٤٠٨٥ ـ وإنَّ مِنَ النِّسْوَانِ مَنْ هِيَ رَوْضَةٌ ....[٦]

لما تقدم قوله «من النِّسْوان» يرجع المعنى فحمل عليه، وأما «يؤتها» بالياء من تحت فالضمير لله تعالى لتقدمه في «لله ورسوله» وبالنون فهي نون العظمة، وفيه انتقال من الغيبة إلى التكلم، وقرأ الجَحْدَريُّ ويعقوبُ وابن عامر ـ في رواية ـ وأبو جعفر وشيبة[٧]: «تَقْنُتْ»[٨] بالتاء من فوق حملاً على المعنى وكذلك «وَتَعْمَلْ». وقال أبو البقاء: إن بعضهم قرأ «وَمَنْ تَقْنُتْ»[٩] بالتأنيث حملاً على المعنى وَيَعْمَلْ بالتذكير حملاً على اللفظ قال: فقال بعض النحويين: هذا ضعيف لأن التذكير أصل فلا يجعل تبعاً للتأنيث وما عللوه به قد جاء مثله في القرآن قال تعالى: ﴿خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٩].

---

(١) قاله القرطبي ١٤/١٧٦ و ٢/٨٦ و ٣/٢١٣.

(٢) في «ب» بالمعذب وكذا هي في تفسير الرازي ٢٥/٢٠٨.

(٣) المرجع السابق.

(٤) ذكرت في السبعة ٥٢١ والإتحاف ٣٥٥ ومعاني القرآن للفراء ٢/ ٣٤١ و ٣٤٢ وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣١٢، وإبراز المعاني ٦٤٨ والكشف ٢/١٩٦ والتبيان ١٠٥٦.

(٥) وهو ظاهر كلام السمين في الدر ٤/ ٣٨٢ وابن خالويه في الحجة ٢٩٠.

(٦) صدر بيت من تام الطويل وعجزه:

.... تَهِيجُ الرِّيَاضُ قَبْلَهَا وَتَصُوحُ

وينسب لجران العَوْد وليس بديوانه و «تصيح»: تَثُور، و «تَصُوحُ» الأصل: «تتصوّح»، فحذفت إحدى التاءين تخفيفاً ويقال: تصوح البقل إذا يبس أعلاه وهنا تشبيه بعض النساء بالروضة التي تتأخر في هيجان نباتها عن غيرها من الرياض ويقصد المرأة التي تتأخر عن الولادة في وقتها، وشاهده: «هي روضة» حيث راعى المعنى معنى «مَن» ولو أراد اللفظ لقال: «مَن هو». وقد تقدم.

(٧) شيبة بن نصاح بن سرجس إمام ثقة مقرىء المدينة مع أبي جعفر وقاضيها ومولى أم سلمة من قراء التابعين أول من ألف كتاب الوقوف. مات سنة ١٣٠ هـ انظر: الغاية ١/ ٣٣٠.

(٨) ذكرها أبو حيان ٧/ ٢٢٨ وابن مجاهد في السبعة وأنكرها. السبعة ٥٢١ والمختصر لابن خالويه ١١٩.

(٩) التبيان ١٠٥٦.

فصل

معنى أَجْرَهَا مَرَّتَيْن أي مثل أجر غيرها، قال مقاتل[(١)]: مكان كل حسنةٍ عشرونَ حسنةً «وأعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً» يعني الجنة، ووصف رزق الآخرة بكونه كريماً مع أن الكرم لا يكون وصفاً إلا للرزاق[(٢)]، وذلك إشارة إلى أن الرزق في الدنيا مقدر على أيدي الناس، التاجر يسترزق من السوقة، والعاملين والصناع من المتعلمين والملوك من الرعية منهم، فالرزق في الدنيا لا يأتي بنفسه وإنما هو مستمر للغير يمسكه ويرسله إلى الأغيار[(٣)]، وأما في الآخرة فلا يكون له ممسك ومرسل في الظاهر فهو الذي يأتي بنفسه فلأجل هذا لا يوصف في الدنيا بالكريم إلا الرازق وفي الآخرة يوصف بالكريم نفس الرزق[(٤)].

قوله: «يا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ» قال الزمخشري: «أحد» في الأصل[(٥)] يعني وَحَد وهو الواحد، ثم وضع في النفي العام مستوياً فيه المذكر والمؤنث والواحد وما وراءه والمعنى لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء (أي)[(٦)] إذا تَقَصَّيْتَ[(٧)] جماعات النساء[(٨)] واحدةً واحدةً لم يوجد منهن جماعة واحدة تساويكن في الفضل والسابقة. ومنه قوله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ [النساء: ١٥٢] يريد بين جماعة واحدة منهم تسوية بين جميعهم في أنهم على الحق البين[(٩)]. قال أبو حيان أما قوله: «أحَد» في الأصل بمعنى «وحد» وهو الواحد فصحيح[(١٠)]، وأما قوله: وضع إلى قوله وما وراءه. فليس بصحيح، لأن الذي يستعمل في النفي العام مدلوله غير مدلول واحد لأن «واحد» ينطلق[(١١)] على شيء اتصف بالوحدة «وأَحَداً» المستعمل في النفي العام مختص[(١٢)] بمن يعقل، وذكر النحويون أن مادَّته همزةٌ وحاءٌ ودالٌ ومادة «أحد» بمعنى واحد واو وحاء ودال فقد اختلفا مادة ومدلولاً، وأما قوله: «لَسْتُنَّ كجماعة واحدة» فقد قلنا إن معناه ليست كل واحدة منكن فهو حكم على كل واحدة لا على المجموع من حيث هو مجموع، وأما «وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ» فيحتمل أن يكون الذي يستعمل في النفي العام ولذلك جاء في سياق النفي فعم وصلحت

---

(١) وفَسَّره أَبُو عبيدة في المجاز بالثواب فقال: «نُعْطِها ثَوَابَهَا» المجاز ٢/ ١٣٧.
(٢) في «ب» الرازق.
(٣) في كلتا النسختين الأعيان وفي الفخر الرازي الأغيار كأعلى ب.
(٤) تفسير الرازي ٢٥/ ٢٠٨.
(٥) قاله في الكشاف ٣/ ٣٥٩.
(٦) سقطت من «ب».
(٧) هكذا هي في الكشاف وما في «ب» نقصت.
(٨) وهي أمة النساء وجماعة لم توجد منهن جماعة.
(٩) في الكشاف المبين.
(١٠) البحر المحيط ٧/ ٢٢٩.
(١١) في «ب» مطلقة.
(١٢) في «ب» وهو ما في البحر مخصوص.

التثنية للعموم، ويحتمل أن يكون «أحدٌ» بمعنى «واحد» وحذفَ معطوفٌ، أي بين أحدٍ وأحدٍ[١] (كما قال[٢]:)

٤٠٨٦ ـ فَمَا كَانَ بَيْنَ الخَيْرِ لَوْ جَاءَ سَالِماً أَبُــو حَــجَــرٍ إلا لَــيَــالٍ قَــلائِــلُ[٣]

أي بين الخير وبيني انتهى، قال شهاب الدين «أما قوله فإنهما مختلفان مدلولاً ومادة فمسَلَّم، ولكن الزمخشري لم يجعل أحداً الذي أصله واحد ـ بمعنى أحد المختص بالنفي، ولا يمنع أن «أحداً» الذي أصله «واحد» أن يقع في سياق النفي، وإنما الفارق بينهما أن الذي همزته أصل لا يستعمل إلا في النفي كأخواته من غريب[٤]، وكَيْتَع ودَابِر[٥]، وتامر[٦] والذي أصله واحد يجوز أن يستعمل إثباتاً ونفياً وأيضاً المختص بالنفي مختص بالعقلاء، وهذا لا يختص، وأما معنى النفي فإنه ظاهر على ما قاله الزمخشري من الحكم على المجموع ولكن المعنى على ما قاله أبو حيان أوضح وإن كان خلاف الظاهر»[٧]

قوله: «إن اتَّقَيْتُنَّ» في جوابه وجهان:

أحدهما: أنه محذوف لدلالة ما تقدم عليه أي إن اتَّقَيْتُنَّ اللَّهَ فَلَسْتُنَّ كَأَحَدٍ، فالشرط قيد في نفي أن يشبَّهْنَ بأحد من النساء[٨].

والثاني: أن جوابه قوله «فَلاَ تَخْضَعْنَ»[٩] والتقوى على بابها، وجوز أبو حيان على هذا أن يكون «اتَّقَى» بمعنى اسْتَقْبَلَ أي استقبلتن[١٠] أحداً فلا تُلِنَّ له القول، واتَّقَى بمعنى استقبل معروف في اللغة، وأنشد:

---

(١) البحر ٧/٢٢٨. (٢) ساقط من «ب».

(٣) البيت من بحر الطويل وهو للنابغة الذبياني، وأبو حجر كناية عن النعمان بن الحارث وشاهده: حذف الواو ومعطوفها والأصل: بين الخير وبيني فقد حذف الواو مع معطوفها وهذا تقرير لقول أبي حيان الذي أجاز هذا الاحتمال. انظر: البحر المحيط ٧/٢٢٩ وابن الناظم بدر الدين على الألفية ٢١٤ وأوضح المسالك لابن هشام ١٩٢ والأشموني ٣/١١٦ والتصريح ٢/١٥٣ والديوان (١٢٠).

(٤) يقال: ما في الدار غريب في النفي ولا يقال: في الدار غريب لعدم الفائدة وكذا: ما بالدار كيتع، أي أحد اللسان: «ك ت ع» ٣٨٢٠ وإصلاح المنطق ٣٩١.

(٥) من أقوالهم: ما يعرف قَبِيلُهُ من دبيره، وفلان ما يدري قبيلاً من دبير، المعنى ما يدري شيئاً اللسان: «د ب ر» ١٣١٩.

(٦) قالوا: ما في الدار تَامُور وتومُور، وما بها تُومري أي ليس بها أحد. وقال أبو زيد: ما بها تأمور أي ما بها أحد اللسان «ت م ر» ٤٤٦.

(٧) انظر: الدر المصون ٤/٣٨٣ و ٣٨٤.

(٨) قاله السمين في الدر ٤/٣٨٤ وقدره ابن الأنباري في البيان انفردتن بخصائص من جملة سائر النساء البيان ٢/٢٦٨.

(٩) المرجعان السابقان.

(١٠) البحر المحيط ٧/٢٢٩ واستدل بالبيت الأعلى.

٤٠٨٧ ـ سَقَطَ النَّصِيفُ ولم تُرِد إسْقَاطَهُ فَتَنَاوَلَتْهُ واتَّقَتْنَا بِالْيَدِ[١]

أي واستقبلتنا باليد قال: «ويكون على هذا المعنى أبلغ من مدحهن؛ إذ لم يعلق فضيلتهن على التقوى ولا على نهيه عن الخضوع[٢] بها إذْ هنّ متقيات لله في أنفسهن، والتعليق يقتضي ظاهره أنهن لسن متحلياتٍ بالتقوى»[٣]، قال شهاب الدين: هذا خروج عن الظاهر من غير ضرورة وأما البيت فالاتِّقاءُ أيضاً على بابه أي صانت وجهها بيدها[٤] عنا.

قوله: «فَيَطْمَعَ» العامة على نصبه جواباً للنهي، والأعرج[٥] بالجزم فيكسر[٦] العين لالتقاء الساكنين[٧] وروي عنه وعن أبي السَّمَّال وعيسى بن عمر وابن مُحَيْصِن بفتح الياء وكسر الميم[٨]، وهذا شاذ حيث توافق الماضي والمضارع في حركة. وروى عن الأعرج أيضاً أنه قرأ بضم الياء وكسر الميم[٩] من «أَطْمَع» وهي تحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون الفاعل ضميراً مستتراً عائداً على الخضوع المفهوم من الفعل و «الذي» مفعوله أي لا تخضعن فيطمع الخضُوع المريضَ القلبِ، ويحتمل أن يكون «الذي» فاعلاً، ومفعوله محذوف أي فيطمع المريض نفسه[١٠].

فصل

قال ابن عباس: معنى لسْتُنَّ كأحد من النساء يريد ليس قدركن عندي مثل قدر غيركن من النساء[١١] الصالحات أنتن أكرم عليّ، وثوابكن أعظم لَدَيَّ، ولم يقل كواحد لأن[١٢] الأحد عام يصلح للواحد، والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث. قال تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥] وقال: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٧] وقوله: «إِنْ اتَّقَيْتُنَّ» الله فأطعتنه ولما منعهن من الفعل القبيح منعهن من مقدماته وهي

---

(١) البيت من الكامل وهو للنابغة في مدح «المتجردة» زوج النعمان بن المنذر، والنصيف غِطاء الرأس للمرأة وهو الخِمار، وقيل: ما تشد به رأسها وهو المعجر والشاهد فيه: استعمال «اتقى» بمعنى استقبل كما قرره أبو حيان، أي استقبلتنا باليد. انظر: ديوانه ٩٣ والأشموني ٢/ ١٩١ ولسان العرب «نصف» والبحر المحيط ٧/ ٢٢٩ والدر المصون ٤/ ٣٨٥.

(٢) في البحر: «ولا علق نَهْيُهُنَّ عن الخضوع».

(٣) البحر المحيط لأبي حيان ٧/ ٢٢٩.

(٤) ذكره في الدر المصرون ٤/ ٣٨٥.

(٥) هو عبد الرحمن بن هرمز قد عرفت به فيما سبق.

(٦) في «ب» بكسر ـ بالباء ـ.

(٧) ذكرها كل من ابن جني وابن خالويه في كتابيهما الأول في المحتسب ٢/ ١٨١ والثاني في المختصر ص ١١٩ وهي من الشواذ غير المتواترة. البحر المحيط لأبي حيان ٧/ ٢٣٠.

(٨) ابن خالويه ١١٩ وهي من الأربع الشواذ فوق العشرة المتواترة الإتحاف ٣٥٥ والبحر ٧/ ٢٣٠.

(٩) انظر: شواذ القرآن ١٩٤ والبحر ٧/ ٢٣٠ مروية عن ابن محيصن أيضاً.

(١٠) قاله السمين في الدر ٤/ ٣٨٥.

(١١) نقله ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٣٧٨.

(١٢) قاله القرطبي في ١٤/ ١٧٧.

المحادثة مع الرجال فقال: «فَلاَ تَخْضَعْنَ بالقَوْلِ» أي تُلِنَّ القولَ للرجال ولا ترفضن الكلام «فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ» أي فسق وفجور وشهوة، وقيل: نِفاق أي لا تقولن قولاً يجدُ منافقٌ أو فاجرٌ به سبيلاً إلى المطامع[١] فيكُنَّ والمرأة مندوبة إلى الغلظة في المقالة إذا خاطبت الأجانب لقطع الأطماع[٢] «وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً» أي ذكر الله[٣] وما تحتجن إليه من الكلام مما يوجب الدين والإسلام بتصريح أو بيان من غير خضوع.

قوله: «وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ» قرأ نافعٌ وعاصمٌ بفتح القاف والباقون بكسرها[٤]، فأما الفتح فمن وجهين:

أحدهما: أنه أمر من قَرِرْتُ ـ بكسر الراء الأولى ـ في المكان أَقَرُّ به ـ بالفتح ـ فاجتمع راءان في: «اقْرَرْنَ» فحذفت الثانية تخفيفاً، ونقلت حركة الراء الأولى إلى القاف فحذفت همزة الوصل استغناء عنها فصار «قَرْنَ» على وزن[٥] «فَعْنَ» فإن المحذوف هو اللام لأنه حصل به الثقل، وقيل: المحذوف الراء الأولى لأنه لما نقلت حركتها بقيت ساكنة وبعدها أخرى ساكنة فحذفت الأولى لالتقاء الساكنين، ووزنه على هذا «فَلْنَ» فإن المحذوف هو العين[٦]، وقال أبو علي: أبدلتِ الراءُ الأولى ياءً ونقلت حركتها إلى القاف، فالتقى ساكنان فحذفت الياء لالتقائهما[٧]، فهذه ثلاثة أوجه في توجيه أنها أمر من «قَررتُ بالمكانِ».

والوجه الثاني: أنها أمر من «قَارَ ـ يَقَارُ» كخَافَ يَخَافُ إذا اجتمع، ومنه «القَارَةُ»[٨] لاجتماعها، فحذفت العين لالتقاء الساكنين، فقيل: «قِرْنَ» «كخِفْنَ» ووزنه على هذا أيضاً: فلْنَ، إلا أن بعضهم تكلم في هذه القراءة من وجهين:

---

(١) في «ب» إلى الطامع.

(٢) نقله الإمام أبو الفرج ابن الجوزي في تفسيره المسمى زاد المسير ٦/ ٣٧٩.

(٣) وقد فسره ابن عباس بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر انظر: القرطبي ١٤/ ١٧٨.

(٤) ذكرها في الإتحاف ٣٥٥ والسبعة ٥٢١ و ٢٢٢ وإبراز المعاني ٤٦٩ وانظر أيضاً القرطبي ١٤/ ١٧٨ وزاد المسير ٦/ ٣٧٩ والكشف ٢/ ١٩٧ والتبيان ١٠٥٦.

(٥) قاله ابن قتيبة في غريب القرآن ٣٥٠ والتبيان ١٠٥٧ وانظر البيان ٢/ ٣٦٨ ومشكل إعراب القرآن ٢/ ١٩٦ والدر المصون ٤/ ٣٨٥ ومعاني القرآن للفراء ٢/ ٣٤٢ وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣١٣ ومعاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق الزجاج ٤/ ٢٢٥ واللسان «ق رر» ٣٥٧٩ و ٣٥٨٠ وهذه القراءة جاءت في مراجع جمة وقد ذكرت ما فيه الكفاية من المراجع.

(٦) المراجع السابقة.

(٧) قاله أبو علي في الحجة مع تغيير في النص انظر: الحجة ٦/ ١٥٤ ولم يرتض رأيه أبو حيان حيث قال «وهذا غاية في التحميل كعادته» انظر البحر المحيط ٧/ ٢٣٠.

(٨) يطلق هذا الوصف على قبيلة بعينها وقد سموا كذلك لاجتماعهم والتفافهم اللسان «ق و ر» ٣٧٧٢ وقد قاله الزمخشري أيضاً في الكشاف ٣/ ٢٦٠ قال: ألا ترى إلى قول عضل والديش اجتمعوا فكونوا قارة الكشاف ٣/ ٢٦٠.

أحدهما: قال أبو حاتم[(١)] يقال: قَرَرْتُ بالمَكانِ ـ بالفتح ـ أَقِرُّ به ـ بالكسر ـ وقَرَّت عَيْنُهُ ـ بالكسر ـ تَقَرُّ ـ بالفتح ـ فكيف تقرأ وقرن بالفتح؟! والجواب عن هذا أنه قد سمع في كل منهما الفتح والكسر، حكاه أبو عبيد[(٢)]، وتقدم ذلك في سورة مَرْيَمَ[(٣)].

الثاني: سلمنا أنه يقال قَرِرْتُ بالمكان ـ بالكسر ـ أَقَرُّ به ـ بالفتح ـ وأن الأمر منه اقْرَرْنَ إلا أنه لا مسوغ[(٤)] للحذف، لأن الفتحة خفيفة، ولا يجوز قياسه على قولهم: «ظلت» في «ظللت» قال تعالى: ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ [الواقعة: ٦٥] و ﴿ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ [طه: ٩٧] وبابه، لأن هناك شيئين ثقيلين التضعيف والكسرة (فحسن[(٥)] الحذف وأما هنا فالتضعيف فقط)، والجواب أن المقتضي للحذف إنما هو التكرار ويؤيد هذا أنهم لم يحذفوا مع التكرار ووجود الضمة وإن كان أثقل نحو «اغضضن أبصارَكُنَّ» وكان أولى بالحذف فيقال: غُضْنَ لكن السماع خلافه قال تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ على أن ابن مالك قال: إنه[(٦)] يحذف في هذا بطريق الأولى. أو نقول: إن هذه القراءة إنما هي من «قَارَ ـ يَقَارُ» بمعنى اجتمع وهو وجه حسن بريء من التكلف فيندفع اعتراض أبي حاتم وغيره لولا أن المعنى على الأمر بالاستقرار لا بالاجتماع. وأما الكسر فمن وجهين أيضاً:

أحدهما: أنه أمر من قَرَّ في المكان ـ بالفتح ـ في الماضي والكسر في المضارع، وهي اللغة الفصيحة[(٧)]، ويجيء فيها التوجيهات الثلاث المذكورة أولاً، أما حذف الراء الثانية أو الأولى أو إبدالُها ياءً وحذفها كما قاله[(٨)] الفارسيّ، ولا اعتراض على هذه[(٩)] القراءة لمجيئها على مشهور اللغة، فيندفع اعتراض أبي حاتم، ولأن الكسر ثقيل فيندفع الاعتراض الثاني ومعناها مطابق لما يراد بها من الثبوت والاستقرار.

الوجه الثاني: أنها أمر من «وَقَرَ» «يَقِرُ» أي ثبت واستقر ومنه «الوَقَار» وأصله اوْقِرْنَ فحذفت الفاء ـ وهو الواو ـ واستغني عن همزة الوصل فبقي «قِرْنَ»، وهذا كالأمر من

---

(١) هو سهل بن محمد السجستاني كان عالماً ثقة، قَيِّماً بعلم اللغة والشعر، أخذ عن أبي زيدٍ وأبي عُبَيْدَة والأصمعيّ، وأخذ عنه ابن دريد أبو بكر توفي فيما قبل سنة خمسين ومائتين في خلافة المستعين وقال ابن دريد: توفي سنة خمس وخمسين ومائتين انظر نزهة الألباء ١٣٣.

(٢) هو القاسم بن سلام أبو عُبيْد كان إمام أهل عصره في كل فن من العلم، أخذ عن أبي زيد، وأبي عبيدة والأصمعي، واليزيديّ وغيرهم له غريب القرآن والحديث ومعاني القرآن وغير ذلك مات سنة ٢٢٠ هـ انظر بغية الوعاة ٢/ ٢٥٣ و ٢٥٤ وانظر مشكل الإعراب ٢/ ١٩٦ والبحر ٧/ ٢٣٠ والقرطبي ١٤/ ١٧٨.

(٣) عند قوله تعالى: «وقَرِّي عَيْناً» وهي الآية ٢٦ وانظر اللباب ٦/ ٢٣٧ «ب».

(٤) في «ب» يسوع بالياء.

(٥) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٦) شرح الكافية الشافية له ٩٠٩ و ٩١٠.

(٧) معاني الفراء ٢/ ٢٤٣.

(٨) في «ب» فيما قال.

(٩) وانظر في هذا كله الدر المصون ٤/ ٣٨٥: ٣٨٧.

وعد سواء، ووزنه على هذا «عِلْنَ»، قال البغوي: الأصح[1] أنه أمر من «الوقار» كقولك من الوعد «عِدْنَا»، ومن الوصل «صلْنَا». وهذه الأوجه المذكورة إنما يهتدي إليها من مَرِنَ في علم التصريف وإلا ضاق بها ذَرْعاً.

قوله: «تَبَرُّجَ الجَاهِلِيةِ» مصدر تشبيهيّ أي مثل تبرج والتبرج الظهور من البُرْج لظهوره، وقد تقدم[2]، وقرأ البزِّيُّ: «ولا تبرجن» بإدغام التاء في التاء، والباقون بحذف إحداهما وتقدم تحقيقه في البقرة[3] في: «وَلاَ تَيَمَّمُوا».

فصل

قال المفسرون وقرن أي الزمْنَ بيوتكنّ من قولهم: قررت بالمكان أقر قراراً يقال: قررت: أقر وقررت: أقر، وهما لغتان، فإن كان من الوقار أي كن أهل وقار وسكون من قولهم: وَقَر فُلان يَقِر وُقُوراً إذا سكن واطمأن، و «لا تبرجن» قال مجاهد وقتادة التبرج هو التكسر والتغنج، وقال ابن أبي نُجَيح[4]: هو التبختر، وقيل: هو إظهار الزينة[5]، وإبراز المحاسن للرجال «تَبَرُّجَ الجَاهِلِية الأولى» قال الشعبي[6]: هي ما بين عيسى ومحمد ـ ﷺ ـ وقال أبو العالية: هي[7] بين داود وسليمان ـ عليهما السلام ـ، وكانت المرأة تلبس قميصاً من الدر غير مخيط الجانبين فيرى حلقها فيه، وقال الكلبي: كان ذلك في زمن نمروذ، وكانت المرأة تتخذ الدرع من اللؤلؤ فتلبسه، وتمشي وسط الطريق ليس عليها شيء غيره، وتعرض نفسها على الرجال، وروى عِكْرِمَةُ عن ابن عباس أنه[8] قال: الجاهلية الأولى أي فيما بين نوح وإدريس وكانت ألف سنة وإن بطنين من ولد آدم كان أحدهما يسكن السهل والآخر يسكن الجبل وكان رجال الجبل صباحاً وفي النساء دمامة، وكان نساء السهل صباحاً وفي الرجال دمامة، وإن إبليس أتى رجلاً من أهل السهل وأجر

---

(١) قاله البغوي في معالم التنزيل ٤/٣٥٨ بلفظ «عدن وصلن».

(٢) في سورة النور من قوله تعالى: ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾ وهي الآية ٦٠ من سورة النور. وانظر اللباب ٦/٣٠١.

(٣) الإتحاف ٣٥٥، والدر المصون ٤/٣٨٧ وقد قال هناك من الآية (٢٧٦) بعدم تشديد التاء في تلك الآية وما أشبهها من مواضع في القرآن وحجته هو من التثاقل الناشىء من اجتماع مثلين وتعذر إدغام الثانية في تاليها نزل اتصال الأولى بسابقتها منزلة اتصالها بكلمتها فأدغمت في الثانية تخفيفاً مراعاة للأصل والرسم اللباب ١/٢٠١.

(٤) هو عبد الله بن أبي نجيح، الثقفي مولاهم أبو يسار المكي عن طاوس ومجاهد وعنه عمرو بن شعيب وأبو إسحاق الفزاري وشعبة روى عنه ابن عيينة مات سنة ١٣١ هـ الخلاصة ٢١٧ وانظر رأيه في القرطبي ١٢/٣٠٩.

(٥) هذا قول الزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٤/٢٢٥.

(٦) زاد المسير ٦/٣٨٠ والقرطبي ١٤/١٨٠.

(٧) السابقان. (٨) زاد المسير ٦/٣٨١.

نفسه منه فكان يخدمه واتخذ شيئاً مثل الذي يزمر به الرعاء فجاء بصوت لم يسمع الناس مثله فبلغ ذلك من حولهم فانتابوهم يسمعون إليه واتخذوه عيداً يجتمعون إليه في السنة فتتبرج النساء للرجال وتتزين الرجال لهن، وإن رجلاً من أهل الخيل هجم عليهم في عيدهم فرأى النساء وصباحتهن فأتى أصحابه فأخبرهم بذلك فنزلوا معهم فظهرت الفاحشة فذلك قوله: «وَلاَ تبرَّجن تبرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الأُولَى»(١)، وقيل: الجاهلية الأولى ما ذكرنا والجاهلية الأخرى قوم يفعلون مثل فعلهم في آخر الزمان(٢)، وقيل: قد تذكر الأولى وإن لم يكن لها أخرى كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ﴾ [النجم: ٥٠] ولم يكن لها أخرى(٣).

قوله: «وَأَقِمْنَ الصَّلاَةَ وآتينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ» يعني ليس التكليف في النهي وحده حتى يحصل بقوله: «وَلاَ تَخْضَعْنَ. وَلاَ تَبَرَّجْنَ» بل في النهي وفي الأوامر فأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله فيما أمر به، ونهى عنه «إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ» قال مقاتل: الرجس: الإثم الذي نهى الله النساء عنه(٤)، وقال ابن عباس يعني عمل الشياطين وما ليس(٥) لله فيه رضا. وقال قتادةُ يعني السوء(٦)، وقال مجاهد: الرِّجس(٧): الشَّكُّ.

قوله: «أَهْلَ البَيْتِ» فيه أوجه: النداء والاختصاص(٨)، إلا أنه في المخاطب أقل منه في المتكلم وسمع «بِكَ اللَّهَ نَرْجُو الفَضْلَ»(٩)، والأكثر إنما هو في التكلم كقولها:

٤٠٨٨ ـ نَحْنُ بَنَاتُ طَارِقْ ... نَمْشِي عَلَى النَّمارِقْ(١٠)

---

(١) ورد هذا الأثر في تفسير الحافظ الإمام ابن كثير ٣/ ٤٨٣.

(٢) قال ابن عطية والذي يظهر عندي أنه أشار للجاهلية التي لحقتها فأمرن بالنقلة عن سيرتهن فيها وهي ما كان قبل الشرع من سيرة الكفرة لأنهم كانوا لا غيرة عندهم. انظر: تفسير الشوكَانِيّ ٤/ ٢٧٨ والقرطبي ١٤/ ١٨٠.

(٣) هذا رأي فخر الدين الرازي حيث قال: «إن هذه ليست أولى تقتضي أخرى بل معناه تبرج الجاهلية القديمة كقول القائل: أين الأكاسرة الجبابرة الأولى» انظر: التفسير الكبير للإمام الفخر ٢٥/ ٢٠٩.

(٤) وهو رأي السدي أيضاً انظر: زاد المسير ٦/ ٣٨٠.

(٥) وهو رأي ابن زيد المرجع السابق.

(٦) حكى هذين الرأيين الماوردي المرجع السابق.

(٧) المرجع السابق.

(٨) ذكرهما أبو البقاء في التبيان ١٠٥٧.

(٩) قاله سيبويه في الكتاب ٢/ ٢٣٤: وزعم الخليل ـ رحمه الله ـ أن قولهم: «بِكَ اللَّهَ نَرْجُو الفَضْلَ، وسبحانَكَ الله العظيمَ» نصبه كنصب ما قبله يشير إلى قولهم: «نَحْن العربَ أَقْرَى الناسِ للضيفِ» وفيه معنى التعظيم. وانظر أيضاً همع الهوامع للسيوطي ١/ ١٧١ وشرح ابن يعيش على المفصل ٢/ ١٧.

(١٠) رجز لهند بنت عتبة في تحريض الجند المشرك ضد الإسلام في غزوة أحد والشاهد «بنات طارق» فإنها منصوبة على الاختصاص بفعل مضمر وجوباً تقديره «أعني» أو أريد، أو أخص وهذا على الغالب في=

(وقوله[١]:)

٤٠٨٩ ـ نَحْنُ ـ بَنِي ضَبَّة ـ أَصْحَابُ الجَمَلْ   المَوْتُ أَحْلَى عِنْدَنَا مِنَ العَسَلْ[٢]

(و) «نَحْنُ العَرَبَ أَقْرَى النَّاسِ لِلضَّيْفِ»[٣] (و): «نَحْنَ مَعَاشِرَ الأَنْبِيَاءِ لاَ نُورثُ[٤]» أو على المدح أي أمدحُ أهلَ البيت، واختلف في أهل البيت، فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس أنهم نساء النبي ـ ﷺ ـ لأنهن في بيته[٥]، وتلا قوله: «واذْكُرْنَ ما يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ» وهو قول عكرمة ومقاتل. وذهب أبو سعيد الخدري وجماعة من التابعين منهم مجاهد وقتادة وغيرهم إلى أنهم عليّ، وفاطمة، والحسن[٦] والحسين، لما روت عائشة قالت: خرج رسول الله ـ ﷺ ـ ذات غَداةٍ وعليه مِرط مرجَّل من شعر أسود فجلست[٧] فأتت فاطمة فأدخلها فيه ثم جاء علي فأدخله فيه ثم جاء حسين فأدخله فيه، ثم قال: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً».

وروت أم سلمة قالت: في بيتي أنزل: إنَّما يريدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُم الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ قالت: فأرسل رسول الله ـ ﷺ ـ إلى فاطمة وعلي والحسين والحسن فقال: هؤلاء أهل بيتي. فقلت: يا رسول الله أما أنا من أهل البيت قال: بلى إن شاء الله[٨]، وقال

= الاختصاص في التكلم. انظر: سيرة ابن هشام ٥٦٢ والأغاني ١٤/ ١٦ والمغني ٣٨٧ وشرح شواهده للإمام السيوطي ٨٠٩، وطبقات الشافعية ١/ ٢٥٤ والهمع ١/ ١٧١، والبحر ٧/ ٢٣١ وإعراب ثلاثين سورة ٣٨ والبداية والنهاية ٤/ ١٦.

(١) زيادة يقتضيها السياق والمعنى.

(٢) رجز ـ أيضاً ـ كسابقه من البيت الشعري. وقد اختلف في نسبته فمن قائل: إنه للحارث الضبيِّ، ومن قائل: إنه للأعرج المعنى، ومن قائل إنه لعمرو بن يَثْربي، والشاهد فيه: «بني ضبة» وهو اختصاص وقد وقع بعد تكلم وهو «نحن» وهذا هو الغالب، ولا يخفى أن المختص وهو: «بني» منصوب بالياء لأنه ملحق بجمع المذكر السالم و «بنات» الكلمة السابقة منصوبة بالكسرة نيابة عن الفتحة للجمع المؤنث السالم والبيت من شواهد شذور الذهب لابن هشام، واللسان: «ب ج ل» ٢١٣ ورد فيه:

نحن بني ضبة أصحاب الجمل   ردوا علينا شيخنا ثم بجل

وانظر الهمع ١/ ١٧١ والأشموني ٣/ ١٣٧ والكامل للمبرد ٣/ ١١٢ والعقد الفريد ٤/ ٣٢٧.

(٣) الحديث هذا جاء في الكتاب ٢/ ٢٣٤.

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده ٢/ ٤٦٣.

(٥) قاله ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٣٨١ والقرطبي في الجامع ١٤/ ١٨٢ والزجاج في المعاني ٤/ ٢٢٦.

(٦) المرجع السابق.

(٧) ذكره الشوكاني في فتح القدير ٤/ ٢٧٩. وأمرط الخفيف شعر الجسد والحاجبين والعينين ورجل أمرط: لا شعر على جسده.

(٨) ذكره البغوي في معالم التنزيل ٤/ ٢٥٩ والخازن في تفسيره ٤/ ٢٥٩ والقرطبي في ١٤/ ١٨٣ وابن كثير في ٣/ ٤٨٤.

زيد[١] بن أرقم: أهل بيته من حرم الصدقة بعده، آل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس[٢]، قال ابن الخطيب: والأولى أن يقال: هم أولاده وأزواجه والحسن والحسين، وعليّ منهم لأنه كان من أهل بيته لمعاشرته بنت النبي عليه (الصلاة[٣] و) السلام وملازمته[٤] له.

قوله: «واذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ» يعني القرآن والحكمة، قال قتادة يعني السنة[٥]، وقال مقاتل: أحكام القرآن[٦] ومواعظه، و «من آيات الله» بيان للموصول فيتعبلق «بأعني» ويجوز أن يكون حالاً إما من الموصول، وإما من عائده المقدر فيتعلق بمحذوف أيضاً[٧] «إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفاً» بأوليائه «خَبِيراً» بجميع خلقه.

قوله: «إِنَّ المُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَاتِ» قال مقاتل: قالت أم سلمة بنت أبي أمية، ونسيبة بنت كعب الأنصارية للنبي - ﷺ - ما بال ربنا يذكر الرجال ولا يذكر النساء في شيء من كتابه نَخْشَى أن لا يكون فيهن خير فنزلت فيهن هذه الآية[٨]، ويروى[٩] أن أزواج النبي - عليه الصلاة والسلام - قلن: يا رسول الله ذكر الرجال في القرآن ولم يذكر النساء بخير فما فينا خير نذكر به إنا نخاف أن لا تقبل منا طاعة، فأنزل[١٠] الله هذه الآية، ورُوِيَ أن أسماء بنت عميس[١١] رجعت من الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب فدخلت على نساء النبي - ﷺ - فقالت: هل نزل فينا شيء من القرآن قلن: لا فأتت النبي - ﷺ - فقالت: يا رسول الله إن النساء لفي خيبة وخسارة، قال: وممَّ ذلك؟ قالت: لأنهن لا يذكرن بخير كما تذكر الرجال فأنزل الله[١٢] ـ عز وجل ـ: «إِنَّ المُسْلِمِينَ والمُسْلِمَاتِ والمُؤْمِنِينَ والمُؤْمِنَاتِ والقَانِتِينَ» المطيعين «والقَانِتَاتِ والصَّادِقِينَ» في إيمانهم، وفيما سرهم وساءهم[١٣] «والصَّادِقَاتِ والصَّابِرِينَ» على أمر الله «والصَّابِرَاتِ والخَاشِعِينَ»

---

(١) زيد بن أرقم بن زيد بن قيس بن النعمان روى عن ابن أبي ليلى، وطاوس ومحمد بن كعب والنضر بن أنس مات سنة ٦٦ هـ انظر خلاصة الكمال ١٢٦.
(٢) السابق.
(٣) زيادة من «ب».
(٤) انظر: تفسير الفخر الرازي ٢٥/٢٠٩.
(٥) و (٦) ذكرهما ابن الجوزي في تفسيره زاد المسير ٦/ ٣٨٢ و ٣٨٣.
(٧) قاله شهاب الدين السمين في الدر المصون ٤/٣٨٨.
(٨) انظر: معالم التنزيل للبغوي ٤/ ٢٥٩ و ٢٦٠.
(٩) في «ب» روي.
(١٠) المرجع السابق.
(١١) هي الخثعمية وأخت ميمونة لأمها ولها ستون حديثاً وتزوجها أبو بكر بعد جعفر. انظر: خلاصة الكمال ٤٨٨ هـ.
(١٢) انظر: تفسير الخازن ٤/ ٢٦٠ وانظر في هذا كله أسباب النزول للسيوطي ١٣٩.
(١٣) في «ب» وأساءهم.

المتواضعين «والخَاشِعَاتِ». وقيل: أراد به الخشوع في الصلاة ومن الخشوع أن لا يلتفت «والمُتَصَدِّقينَ» مما رزقهم الله «والمُتَصَدِّقَاتِ والصَّائِمِينَ والصَّائِمَاتِ والحَافِظِينَ فُرُوجهمْ» عما لا يحِل «والحَافِظَاتِ». وحذف مفعول الحافظات لتقدم ما يدل عليه والتقدير: والحَافِظاتِها وكذلك: والذاكرات، وحسن الحذف رُؤُوس الفواصل «والذاكرين الله كثيراً والذاكرات»، قال مجاهد: لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيراً حتى يذكر الله قائماً وقاعداً ومضطجعاً[١]. وروي أن النبي ـ ﷺ ـ قال سبق المفردون، قالوا: وما المفردُونَ؟ قال: الذاكرون الله كثيراً والذاكرات[٢]. قال عطاء بن أبي رباح من فوض أمره إلى الله عز وجل فهو داخل في قوله: «إنَّ[٣] المُسْلِمِينَ والمُسْلِمَاتِ» ومن أقر بأن الله ربه، ومحمداً رسوله، ولم يخالف قلبُه لسانه فهو داخل في قوله: «والمُؤْمِنِينَ والمُؤْمِنَاتِ» ومن أطاع الله في الفرض، والرسول في السنة فهو داخل في قوله: «والقَانِتِين والقَانِتَاتِ» ومن صان قوله عن الكذب فهو داخل في قوله: «والصَّادِقِينَ والصَّادِقَاتِ» ومن صَبَرَ على الطاعة وعن المعصية وعلى الرزية فهو داخل في قوله: «والصابرين والصابرات» ومن صلى ولم يعرف من يمينه عن يساره فهو داخل في قوله: «والخَاشِعِينَ والخَاشِعَاتِ» ومن تصدق في كل أسبوع بدرهم فهو داخل في قوله: «والمُتَصَدِّقِينَ والمُتَصَدِّقَاتِ»، ومن صام في كل شهر أيام البيض الثالثَ عَشَرَ، والرابعَ عَشَر، والخَامِسَ عَشَر فهو داخل في قوله: «والصَّائِمِينَ والصَّائِمَاتِ». ومن حفظ فرجه فهو داخل في قوله «والحَافِظِينَ فُرُوجهُمْ والحَافِظَاتِ» ومن صلى الصلوات الخمس بحقوقها فهو داخل في قوله: «والذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً والذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وأجْراً عَظِيماً» وغلب المذكر على المؤنث في «لهم» ولم يقل: «لهن» (لشرفهم)[٤].

قوله: «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ» نزلت الآية في زينبَ بنت جحش الأسدية[٥]، وأخيها عبد الله بن جحش وأمها أميمة بنت عبد المطلب عمة النبي ـ ﷺ ـ خطب رسول الله ـ ﷺ ـ زينب على مولاه زيد بن حارثة وكان رسول الله ـ ﷺ ـ اشترى زيداً في الجاهلية بعُكَاظَ، فأعتقه وتبناه، فلما خطب رسول الله ـ ﷺ ـ زينب رضيت وظنت أنه يخطبها لنفسه فلما علمت أنه يخطبها لزيد أبت وقالت: أنا ابن عمتك[٦] يا رسول الله فلا

---

(١) ذكره كلّ من البغوي والخازن في تفسيريهما ٤/ ٢٦٠.

(٢) سبق.

(٣) المرجعان السابقان.

(٤) سقط من «أ».

(٥) انظر: أسباب النزول في القرطبي ١٤/ ١٨٦ وزاد المسير ٦/ ٣٨٥ وتفسير الخازن ٤/ ٢٦١ والبغوي ٤/ ٢٦١ والطبري ٢٢/ ٩ وفتح القدير للشوكاني ٤/ ٢٨٣ وابن كثير ٣/ ٤٨٩، والكشاف ٣/ ٢٦١ وأسباب النزول للسيوطي ١٣٩.

(٦) في «ب» أنا ابن عمة رسول الله ـ ﷺ ـ.

أرضاه لنفسي وكانت بيضاءَ جميلةً فيها حدة وكذلك كره أخوها ذلك فأنزل الله[١] عز وجل: «وما كان لمؤمن ولا مؤمنة» يعني عبد الله بن جحش وأخته زينب «إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً» (أي أراد الله ورسوله[٢] أمراً) وهو نكاح زيدٍ لزينبَ «أَنْ يكونَ لهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ». والخيرة الاختيار أي يريد غير ما أراد الله ويمتنع مما أمر الله ورسوله.

قوله: «أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ» «أن يكون» هو اسم كان، والخبر الجار متقدم[٣] وقوله: «إِذَا قَضَى اللَّهُ» يجوز أن يكون مَحْض ظرف معموله الاستقرار الذي تعلق به الخبر، أي وما كان مستقراً لمؤمن ولا مؤمنةٍ وقت قضاء الله كَوْنُ خيرة وأن تكون شرطية ويكون جوابها مقدراً مدلولاً عليه بالنفي[٤] المتقدم. وقرأ الكوفيون وهِشَامٌ «يكون» ـ بالياء من أسفل؛ لأن «الخِيرَة» مجازيُّ التأنيث، وللفصل أيضاً، والباقون بالتاء من فوق مراعاةً للفظها[٥]، وقد تقدم أن «الخِيَرَة» مصدر «تَخيَّر» «كالطِّيرةِ» من «تَطَيَّرَ»[٦]، ونقل عيسى بن سُلَيْمَانَ[٧] أنه قرىء الخِيْرَة ـ بسكون الياء[٨] ـ و «مِنْ أَمْرِهِمْ» حال من الخيرة، وقيل: «من» بمعنى «في» وجمع الضمير في «أمرهم» وما بعده لأن المراد بالمؤمن والمؤمنة الجنس. وغلب المذكر على المؤنث[٩]، وقال الزمخشري: «كان من حق الضمير أن يُوَحَّدَ كما تقول: مَا جَاءَنِي مِنْ رَجُلٍ وَلا امْرَأَةٍ إلاَّ كَانَ مِنْ شَأْنِهِ كَذَا»[١٠] قال أبو حيان: «وليس بصحيح؛ لأن العطف بالواو، فلا يجوز ذلك إلا بتأويل الحذف»[١١].

قوله «وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مبيناً» أَخْطَأَ خَطَأً ظَاهِراً. فلما سمعا ذلك رضيا بذلك وسلما وجعلت أمرها بيد رسول الله ـ ﷺ ـ وكذلك أخوها فأنكحها رسول الله ـ ﷺ ـ زيداً فدخل بها. وساقَ رسول الله ـ ﷺ ـ إليها عَشْرَةَ دَنَانِيرِ وستِّينَ دِرْهَماً وخِماراً ودِرْعاً وَإِزَاراً ومِلْحَفَةً وخَمْسِينَ مُدًّا مِنَ الطَّعَامِ وثلاثينَ صاعاً من تَمْرٍ[١٢].

---

(١) انظر: المراجع السابقة. (٢) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٣) قاله السمين في الدر ٤/ ٣٨٨. (٤) المرجع السابق.

(٥) ذكره في الحجة لابن خالويه ٢٩٠ كما ذكره ابن الجزري في النشر ٢/ ٣٥٠ وانظر الإتحاف ٣٥٥ والسبعة ٥٢٢ وقد نقل القرطبي اختيار أبي عبيد لقراءة الكوفيين قال: «قرأ الكوفيون بالياء وهو اختيار أبي عبيد لأنه قد فرق بين المؤنث وفعله». انظر: الجامع ١٤/ ١٨٧.

(٦) يشير إلى الآية ٦٨ من القصص: ﴿**وَرَبُّكَ يَخْلُقُ ما يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ما كَانَ لَهُم الخِيَرَةُ**﴾ وقال هناك: إن الخيرة كالطيرة من التطير فيستعملونه استعمال المصدر انظر: اللباب ٦/ ٣٣٢.

(٧) هو عيسى بن سليمان أبو موسى الحجازي المعروف بالشيزري الحنفي مقرىء عالم نحويّ معروف أخذ القراءة عرضاً وسماعاً عن الكسائي وروى الفقه عن أحد أصحاب أبي حنيفة والحروف عن نافع وجعفر وشيبة انظر: غاية النهاية ١/ ٦٠٩.

(٨) من القراءة الشاذة غير المتواترة مختصر ابن خالويه ١١٩ وهي قراءة ابن السميقع. القرطبي ١٤/ ١٨٧.

(٩) السمين قرره في إعرابه ٤/ ٣٨٨. (١٠) قاله في الكشاف ٣/ ٢٦٢.

(١١) قاله في البحر المحيط ٧/ ٢٣٤.

(١٢) قاله الإمام البغوي في تفسيره المسمى بمعالم التنزيل ٥/ ٢٦١ وانظر كذلك الخازن ٥/ ٢٦١.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾

قوله: «وَإِذْ تَقُولُ لِلّذي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ» وهو زيد بن حارثة أنعم الله عليه بالإسلام «وأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ» بالتحرير والإعتاقِ[١].

قوله: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ» نص بعض النحويين على أن «على» في مثل هذا التركيب اسم قال: لئلا يتعدى فعل المضمر المتصل إلى ضمير المتصل في غير باب «ظَنَّ» وفي لفظتي: فَقَدَ وعَدِمَ وجعل من ذلك:

٤٠٩٠ ـ هَـوِّنْ عَـلَـيْـكَ فَـإِنَّ الأُمُـ ـورَ بِـكَـفِّ الإِلَـهِ مَـقَـادِيـرُهَـا[٢]

وكذلك حكم على «عن» في قوله:

٤٠٩١ ـ [فَـ] دَعْ عَنْكَ نَهْباً صِيحَ في حجَرَاتِهِ[٣]

---

(١) قاله القرطبي في ١٤/١٨٨.

(٢) قائله الأعور الشَّنِّي وهو بِشْرُ بْنُ مُنقِذ. وهو من بحر المتقارب والشاهد فيه: «عليك» فإن «على» هنا اسم لأن مجرورها وفاعل ما تعلقت به ضميران لمسمى واحد وذلك لأنه لا يتعدى فعل المضمر المتصل في غير باب «ظن وفقد وعدم» فلا يقال: «ضَرَبْتَني، ولا فَرِحْتَ بِي» وقد نسب هذا القول لأبي الحسن الأخفش. وقد رد عليه بأنها لو كانت اسماً لصح حلول «فوق» محلها. وهذا لا يصح ويتخرج هذا إما على التعليق بمحذوف كما في نحو: سَقْياً لَكَ، أو على حذف مضاف أي هَوِّن على نفسك. وقد تقدم.

(٣) صدر بيت لامرىء القيس من الطويل وتمامه:

.... وَلَـكِـنْ حَـدِيـثـاً مـا حَـدِيـثُ الـرَّوَاحِـلِ

ويروى: «فَدَعْ» كما في اللسان وهو الأصح لاستقامة وزن البيت شعرياً. وشاهده: «عنك» حيث تعدى فعل المضمر المتصل إلى ضميره المتصل، وقد قال الأخفش: إن «عَنْ» هنا اسم والقول فيه كسابقه، وصدر البيت يضرب مثلاً لمن ذهب من ماله شيء ثم ذهب بعده ما هو أجل منه. ولهذا البيت مناسبة ذكرها ابن منظور في اللسان نقلاً عن ابن الأثير وانظر اللسان: «ح ج ر» ٧٨٣ وديوانه (٩٤) والهمع ٢/ ٩٢ والبحر المحيط ٧/ ٢٣٠ ومغني اللبيب ١٥٠ وتوضيح المقاصد ٢/ ٢١٩، والدر المصون ٤/ ٣٨٦ والارتشاف ٧٣.

وقد تقدم ذلك مُشْبَعاً في النَّحل في قوله: «وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ»[١]، وفي قوله: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ [مريم: ٢٥] (وقوله)[٢]: ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ [القصص: ٣٢].

قوله: «وَتُخْفِي» فيه أوجه:

أحدها: أنه معطوف على «تقول» أي وإِذْ تَجْمَعُ بَيْنَ قَوْلِكَ كَذَا وإِخْفَاءِ كَذَا وخَشْيَةِ الناس[٣] قاله الزمخشري.

الثاني: أنها واو الحال أي تقول كذا في هذه الحالة. قاله الزمخشري أيضاً[٤]، وفيه نظر حيث إنه مضارع مثبت فكيف تباشره الواو؟ وتخريجه كتخريج «قُمْتُ وَأَصُكُّ عَيْنَهُ» أعني على إضمار مبتدأ.

الثالث: أنه مستأنف قاله الحوفي[٥]، وقوله: «واللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ» تقدم مثله في بَرَاءَةَ[٦].

فصل

قال المفسرون إن الآية نزلت في زَيْنَبَ بنتِ جَحْش، وذلك أن رسول الله ـ ﷺ ـ لما زوج «زينب» من «زَيْد» مكثَتْ عنده حيناً ثم إن رسول الله ـ ﷺ ـ أتى زيداً ذات يوم لحاجة فأبصر زينب قائمةً في دِرْع وخِمَار، وكانت بيضاء وجميلة ذات خُلُق من أتمِّ نساء قريش فوقعت في نفسه، وأعجبه حسنها فقال: سبحان[٧] الله مقلِّبَ القلوب وانصرف فلما جاء زيد ذكرت ذلك له، ففطن زيد فألقي في نفس زيد كراهتها في الوقت فأتى رسول الله ـ ﷺ ـ فقال: إن أريدُ أن أفارق صاحبتي قال: ما لك أَرَابَكَ[٨] منها شيء قال: لاَ واللَّهِ يا رسول الله ما رأيت منها إلا خيراً، ولكنها تتعظم عَلَيَّ لشرفها وتؤذيني بلسانها. فقال النبي ـ ﷺ ـ أمْسِكْ عَلَيْكَ زَوجَكَ يعني زينب بنت جحش واتَّقِ اللَّهِ في أمرها ثم طلَّقَها زيدٌ، فذلك قوله عز وجل: «وإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ» بالإسلام وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ بالإعتاق وهو زيد بن حارثة «أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ واتَّقِ الله» فيها ولا تفارقها «وتُخْفي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ» أي تُسرُّ في نفسك ما الله مظهره أي كان في قلبه لو فارقها تزوجها. وقال ابن عباس[٩]: حبها، وقال قتادة: وَدَّ أنه لو طلقها[١٠] «وتَخْشَى النَّاسَ» قال ابنُ عباس والحسن[١١]: تستحييهم، وقيل: تخاف لائمةَ[١٢] الناس أن يقولوا

---

(١) من الآية ٥٧ منها.

(٢) زياد يتم بها الكلام.

(٣) الكشاف ٣/ ٢١٣ قال: كأنه قيل: وإذ تجمع بين قولك أمسِكْ وإخفاء خلافه وخشية الناس والله أحق أن تخشاه حتى لا تفعل مثل ذلك.

(٤) المرجع السابق.

(٥) ذكره أبو حيان في البحر ٧/ ٢٣٥.

(٦) يشير إلى قوله: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ﴾ من الآية ١٣.

(٧) وهذا هو رأي مقاتل، انظر: تفسير القرطبي ١٤/ ١٩٠.

(٨) في «ب» ما رأيك منها شيء.

(٩) المرجع السابق.

(١٠) وهذا رأي مقاتل وابن جُرَيج أيضاً، انظر: زاد المسير ٦/ ٣٨٧.

(١١) قاله الإمام القرطبي في تفسيره ١٤/ ١٩٠.

(١٢) نقله ابن الجوزي في الزاد المرجع السابق.

أمرَ رجلاً بطلاق امرأته ثم نكحها، «واللَّهُ أَحَقُّ أَنْ يَخْشَاهُ». قال عمر وابن مسعود وعائشة: ما نزلت على رسول الله ـ ﷺ ـ آية هي أشد عليه من هذه (الآية[١]). وروي عن مسروق قال: قالت عائشة: لو كتم النبي ـ ﷺ ـ شيئاً مِمَّا أوحي إليه لكتم هذه[٢] الآية: «وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ» وروي عن سفيانَ بْن عُيَيْنَةَ عن عليٍّ بن جُدْعَانَ قال: سألني عليّ بن الحُسَيْنِ زَيْنُ العابدين ما يقول الحَسَنُ في قوله: «وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه» قال: قلت: (تقول[٣]): لَمَّا جاء زيد إلى النبي ـ ﷺ ـ فقال له: يا نبي الله إني أريد أن أطلق زينب فأعجبه ذلك قال: أمسك عليك زوجك واتق الله فقال علي بن الحسين ليس كذلك كان الله قد أعلمه أنها ستكون من أزواجه وأن زيداً سيطلقها فلما جاء زيد قال: أريد أن أطلقها قال له: أمْسِكْ عليك زوجك فعاتبه الله وقال: لِمَ قُلْتَ: أمسك عليك زوجك وقد أعلمتك أنها ستكون من أزواجك وهذا هو[٤] الأولى والأليق بحال الأنبياء وهو مطابق للتلاوة لأن الله تعالى أعلم أنه يبدي ويظهر ما أخفاه ولم يظهر غير تزويجها منه فقال: «زَوَّجْنَاكَهَا» فلو كان الذي أضمره رسول الله ـ ﷺ ـ محبتها أو إرادة طلاقها لكان يظهر ذلك لأنه لا يجوز أنه يخبر أنه يُظْهِرُه ثم يكتمْه فلا يظهره فدل على أنه إنما عوتب على إخفاء ما أعلمه الله أنها ستكون زوجة له، وإنما أخفاه استحياء أن يقول لزيد: إن الذي تحتك في نِكَاحِكَ ستكون امرأتي وهذا حسن[٥] وإن كان الآخرَ وهو أنه أخفى محبتها أو نكاحها لو طلقها لا يقدح في حال الأنبياء؛ لأن العبد غير ملوم على ما يقع في قلبه من مثل هذه الأشياء ما لم يقصد فيه المأثم؛ لأن الوُدَّ ومَيْلَ النفس من طبع البشر، وقوله: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ» أمر بالمعروف وهو خشية الإثم فيه وقوله: «وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ» لم يرد به أنه لم يكن يخشى الله فيما سبق فإنه عليه (الصلاة[٦] و) السلام قد قال: «أَنَا أَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ»[٧] ولكن المعنى الله أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ وَحْدَهُ، ولا تخشى أحداً معه وأنت تخشاه وتخشى الناس أيضاً، فلما ذكر الخشية من الناس ذكر أن الله أحق بالخشية في عموم الأحوال وفي جميع الأشياء[٨].

قوله: «فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنها وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا»، «وطراً» مفعول «قضى»، والوَطَرُ الشهوة والمحبة[٩] قاله المبرد وأنشد:

---

(١) سقط من «ب» وانظر المرجع السابق.

(٢) السابق.

(٣) سقط من «ب».

(٤) قال القرطبي بعد إيراده هذا الأثر: «وهو الذي عليه أهل التحقيق من المُفَسِّرينَ والعلماء الراسخين كالزهري، والقاضي أبو بكر بن العلاء القُشَيْرِي والقاضي أبو بكر بن العربي وغيرهم». انظر: تفسير الجامع «١٤/ ١٩١».

(٥) نقله ابن الجوزي في تفسيره ٦/ ٣٩٠ وهذا رأي الثعلبي والواحديّ.

(٦) زيادة من «ب».

(٧) الحديث رواه الإمام مالك في الموطأ عن عائشة انظر: الموطأ ١٩٣ و ١٩٤.

(٨) نقله ابن الجوزي ٦/ ٣٨٨.

(٩) في البحر ٧/ ٢١١.

٤٠٩٢ ـ وَكَيْفَ ثَوَائِي بِالمَدِينَةِ بَعْدَمَا قَضَى وَطَراً مِنْهَا جَمِيلُ بْنُ مَعْمَرِ[١]

وقال أبو عبيدة: الوَطَرُ: الأَرَبُ والحَاجَةُ، وأنشد الربيعُ بن ضبع الفزَارِيُّ:

٤٠٩٣ ـ وَدَّعَنَا قَبْلَ أن نُوَدِّعَهُ لَمَّا قَضَى مِنْ شَبَابِنَا وَطَرَا[٢]

وقرأ العامة: «زَوَّجْنَاكَهَا»، وقرأ علي وابناه الحَسَنَان ـ رضي الله عنهم، وأرضاهم ـ «زَوَّجْتُكَهَا»[٣]، بتاء المتكلم و «لِكَيْلاَ» متعلق «بزوجناكها». وهي هنا ناصبة فقط لدخول الجار عليها[٤]. واتصل الضميران بالفعل، لاختلافهما رتبةً.

فصل

المعنى فلما قضى زيد منها حاجة[٥] من نكاحها زوجناكها، وذكر قضاء الوطر ليعلم أن زوجة المتبنَّى تَحِلُّ بعد الدخول بها إذا طلقت وانقضت عدتها؛ لأن الزوجة ما دامت في نكاح الزوج فهي تدفع حاجته وهو محتاج إليها فلم يقض منها الوطر بالكلية ولم يستغن عنها، وكذلك إذا كانت في العدة له بها تعلق لأجل شُغْلِ الرحم فلم يقض منها بعد وطر، فإذا طلقت وانقضت عدتها استغنى عنها ولم يبق له معها تعلق فقضى منها الوطر[٦]. قال أنس: كانت زينب تَفْتَخِرُ على أزواج النبي ـ ﷺ ـ زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ، وَزَوَّجَني اللَّهُ مِنْ فَوْق سَبْعِ سَمَاوَاتٍ، وقال الشعبيُّ: كانت زينب تقول للنبي ـ ﷺ ـ إني لأُدِلُّ عَلَيْك بثلاث ما من نسائك امرأة تُدِلُّ بهن، جَدِّي وَجدُّك واحد، وإني أَنْكَحَنِيكَ اللَّهُ فِي السَّمَاءِ وإنَّ السفيرَ لجِبْريل[٧].

قوله: «لِكَيْلاَ يَكُونَ عَلَى المُؤْمِنِينَ حَرَجٌ» إثم «فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً» فالأدعياء جمع أَدْعَى وهو المتبنَّى بخلاف امرأة ابن الصلب لا تحِل للأب «وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً» أي قضاء الله ماضياً وحكمه نافذاً، وقد قضى في زينب أن يتزوجها رسول الله ـ ﷺ ـ.

---

(١) البيت من الطويل وقائله مجهول. وانظر مجمع البيان ٧/ ٥٦٢ وفتح القدير ٤/ ٢٨٤ والكامل للمبرد ٢/ ٥٠، والبحر المحيط ٧/ ٢٠٩ و ٢١١، والدر المصون ٤/ ٣٩٠ والقرطبي ١٤/ ١٩٤.

(٢) من المنسرح وهو للربيع بن ضبع الفزاري. انظر: مجاز القرآن ٢/ ١٣٨ ونوادر أبي زيد ٤٤٦ وفتح القدير ٤/ ٢٨٤ والمحتسب ١/ ١٦٧ والطبري ٢٢/ ١١ والبحر المحيط ٧/ ٢٠٩ والدر المصون ٤/ ٣٩٠ والمغني ٦٨٩ وقد روي:

فَارَقَنَا قَبْلَ أن نُفَارِقَهُ لَمَّا قَضَى مِنْ جَمَاعَتِنَا وَطَرَا

(٣) من القراءات الشاذة غير المتواترة وانظر: مختصر ابن خالويه ١١٩ و ١٢٠ والقرطبي ١٤/ ١٩٤.

(٤) هذا هو القسم الثالث من أقسام «كي» وهو أن تجيء بمنزلة «أن» المصدرية معنى وعملاً وذلك إذا وقعت بعد اللام وليس بعدها «أن».

(٥) في «ب» حاجته.

(٦) قاله الإمام الفخر في تفسيره ٢٥/ ٢١٢.

(٧) قاله القرطبي في تفسيره ١٤/ ١٩٥.

قوله: «مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ» أي فيما أحل الله له.

قوله: «سُنَّةَ اللَّهِ» منصوب على المصدر[(١)] كـ ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل: ٨٨] و﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٠] أو اسم وضع موضع[(٢)] المصدر أو منصوب «بِجَعَلَ» أبو بالإغراء أي فعليه سنة الله، قاله[(٣)] ابن عطية ورده أبو حيان بأن عامل الإغراء لا يحذف، وبأن فيه إغراء الغائب وما ورد منه مؤول على نُدُوره نحو: «عَلَيْهِ رَجُلاً لَيْسَني»[(٤)]. قال شهاب الدين: وقد[(٥)] ورد قوله عليه السلام: «وَإِلاَّ فعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ»[(٦)] فقيل: هو إغراء، وقيل: ليس به وإنما هو مبتدأ وخبر، والباء زائدة في المبتدأ وهو تخريج فاسد المعنى، لأن الصوم ليس واجباً على ذلك. وقال البغوي: نصب[(٧)] بنزع الخافض أي كَسُنَّةِ اللَّهِ.

فصل

المراد بسنة الله في الذين خلوا من قبل أي في الأنبياء الماضين أن لا يؤاخذهم بما أحل لهم، قال الكلبي ومقاتل[(٨)]: أراد داود حين جمع بينه وبين المرأة التي هَوِيَهَا فكذلك جمع بين محمد وبين زينب، وقيل: أراد بالسنة النكاح، فإنه من سنة الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ «وكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قدراً مَقْدُوراً» مَقْضِيّاً كائناً ماضياً. واعلم أن في قوله أولاً: «وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً»، وقوله ثانياً: «وكان أَمْر اللَّهِ قدراً مَقْدُوراً» لطيفة وهي أن الله تعالى لما قال: «زَوَّجْنَاكَهَا» قال: «وكان أمر الله مفعولاً»، أي تزويجنا زينب إياك كان مقصودا شرعياً مَقْضِيًّا مُرَاعَى، ولما قال: «سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا» أشار إلى قصة داود حين افتتن بامرأة «أوريا» قال: «وكان أمر الله قدراً مقدوراً» أي كان ذلك حكماً تبعياً[(٩)].

قوله: «الذين يبلّغون» يجوز أن يكون تابعاً «لِلَّذِينَ خَلَوا» وأن يكون مقطوعاً عنه رفعاً ونصباً على إضمار: «هم» أو أعْنِي، أو أمْدَحُ[(١٠)].

---

(١) قاله في المشكل ٢/١٩٨ والسمين في الدر ٤/٣٩١.
(٢) قاله الزمخشري في الكشاف ٣/٢٦٤.
(٣) ذكره أبو حيان في البحر ٧/٢٣٦.
(٤) المرجع السابق ويقصد أبو حيان أن الإغراء لا يكون إلا للمخاطب وأما ما ورد من قولهم: «عَلَيْهِ رَجُلاً» فمؤول أي ليلزم رجلاً غيري. انظر: ابن يعيش ٢/٢٩، والأشموني ٣/١٩٢ والتصريح ٢/١٩٥.
(٥) الدر المصون ٤/٣٩١.
(٦) أورده الإمام البخاري في صحيحه كتاب النكاح ٢/١٥٨.
(٧) قاله في معالم التنزيل ٥/٢٦٤ وقال: «وقيل نصب على الإغراء».
(٨) المرجع السابق. وانظر: زاد المسير ٦/٣٩٢.
(٩) انظر: تفسير الفخر الرازي ٢٥/٢١٣.
(١٠) انظر: التبيان ١٠٥٧ والدر المصون ٤/٣٩١ والكشاف ٣/٢٦٤.

فصل

المعنى إنَّ الذين يبلغون رسالات الله كانوا أيضاً رُسُلاً مِثْلَكَ، ثم ذكر حالهم بأنهم جرّبوا الخشية ووجدوها فيخشون الله ولا يخشون أحداً سواه فصار كقوله: «فَبِهُدَاهُم اقْتَدِه» ولا يخشى قَالة الناس فإنهم ليسوا بمتهمين فيما أحل الله لهم وفرض عليهم، «وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً» حافظاً لأعمال خلقه ومحاسبتهم فلا يُخْشَى غَيْرُهُ.

قوله: «مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ» لما تزوج النبي ـ ﷺ ـ زينب قال الناس: إن محمداً تزوج امرأة ابنه فأنزل الله ـ عز وجل[١] ـ «ما كان محمد أبا أحد من رجالكم» يعني زيد بن حارثة أي ليس أبا أحد من رجالكم الذين لم يلده فيحرم عليه نكاح زوجته بعد فراقه إياها. فإن قيل: أليس أنه كان له أبناء القاسمُ والمطهرُ، وإبراهيمُ، والطَّيِّبُ، وكذلك الحَسَنُ، الحُسَيْنُ، قال ـ عليه (الصلاة[٢] و) السلام ـ: «إن ابني هذا سيد؟»[.]

فالجواب: هؤلاء كانوا صغاراً ولم يكونوا رجالاً، والصحيح أنه أراد أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُم الذي لم يلده[٣].

قوله: «وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ» العامة على تخفيف «لكن» ونصب «رسول»، ونصبه إما على إضمار «كَانَ» لدلالة «كان» السابقة عليها، أي ولكن كَانَ[٤]، وإما بالعطف على[٥] «أَبَا أَحَدٍ»: والأول أليق؛ لأن «لكن» ليست عاطفة لأجل الواو، فالأليق بها أن تدخل على الجمل «كبل» التي ليست عاطفة[٦]. وقرأ أَبُو عَمْرٍو ـ في رواية ـ بتشديدها[٧]، على أن «رسول الله» اسمها وخبرها محذوف للدلالة، أي ولكن رسول الله هُوَ أي محمد، وحذف خبرها سائغ وأنشد:

٤٠٩٤ ـ فَلَوْ كُنْتَ ضَبِّيًا عَرَفْتَ قَرَابَتِي وَلَكِنَّ زِنْجِيًا عَظِيمَ الْمَشَافِرِ[٨]

---

(١) قاله القرطبي في الجامع الكبير ١٤/ ١٩٦ وابن الجوزي في الزاد ٦/ ٣٩٣.

(٢) زيادة من «ب».

(٣) قاله القرطبي في المرجع السابق وانظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/ ٢٢٩ و ٢٣٠ والخازن ٥/ ٢٦٤ و ٣٦٥ والبغوي ٥/ ٢٦٤ و ٢٦٥ وفيه «الذين لم يلدهم» بلفظ الجمع.

(٤) هذا رأي أبي الحسن الأخفش فقد قال في المعاني ٢/ ٦٦٠: «أي ولكن كان رسول الله» واستحسن رأيه ابن الأنباري في غريب إعراب القرآن ٢/ ٢٧٠ وانظر: الدر للسمين ٤/ ٣٩١ وإعراب القرآن للزجاج ٤/ ٢٣٠ والتبيان ١٠٥٨ ومعاني الفراء ٢/ ٣٤٤.

(٥) قاله أبو حيان في البحر ٧/ ٢٣٦ والسمين في الدر ٤/ ٣٩١.

(٦) المرجع السابق.

(٧) مختصر ابن خالويه ١٢٠ والمحتسب ٢/ ١٨١ وهي من الشَّواذ.

(٨) البيت من الطويل يهجو به رجلاً من«ضبة» وهو للفرزدق والمشافر جمع مشفر وهو من البعير كالشفة=

أي أنت، وهذا البيت يروونه أيضاً «ولكن زِنْجِيٌّ» بالرفع، شاهداً على حذف اسمها، أي «ولكنك». وقرأ زيد بن علي، وابن أبي عبلة بتخفيفها[١] ورفع «رسول» على الابتداء، والخبر مقدر أي هو، أو بالعكس أي ولكن هُوَ رَسُولُ كقوله:

٤٠٩٥ ـ وَلَسْتَ الشَّاعِرَ السِّفْسَافَ فِيهِمْ وَلَـكِـنْ مِـدْرَهَ الـحَـرْبِ الـعَـوَانِ[٢]

أي ولكن أنا مدره.

قوله: «وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ» قرأ عاصم بفتح التاء[٣] والباقون بكسرها، فالفتح اسم للآلة التي يختم[٤] بها كالطَّابَع والقَالَب، لما يطبع به، ويقلب فيه هذا هو المشهور، وذكر أبو البقاء فيه أَوْجُهاً أُخَرَ منها أنه في معنى المصدر قال: كذا[٥] ذكر في بعض الأعاريب، قال شهاب الدين: وهو غلط[٦] محض كيف وهو مُحْوِجٌ[٧] إلى تَجَوُّزٍ أو إضْمار، ولو حكى هذا في خَاتِم ـ بالكسر ـ لكان أقرب، لأن قد يجيء المصدر على فاعل وفاعلة وسيأتي ذلك قريباً، ومنها أنه اسم بمعنى[٨] «آخَرَ» ومنها أنه فعل ماض مثل «قَاتَل» فيكون «النَّبِيِّين» مفعولاً به، قال شهاب الدين: ويؤيد هذا قراءة عبد الله المتقدمة[٩]. وقال بعضهم هو بمعنى المفتوح يعني بمعنى آخرهم لأنه قد ختم النبيين فهو خَاتم[١٠].

فصل

قال ابن عباس: يريد لو لم أَختم به النبيين لجعلت له ابناً[١١] يكون من بعده نبيًّا، وروى عطاء عن ابن عباس: أن الله تعالى لما حكم أنه لا نبي بعده لم يُعْطِهِ ولداً ذكراً

= للإنسان وشاهده: ولكنَّ زِنْجِياً، حيث حذف خبر «لكن» أي «لا يَعْرِفُ قَرَابَتِي»، وإذا رفع زِنْجِيٌّ فإن المحذوف هو الاسم، والبيت لا يوجد بديوان الفرزدق وانظر: الكتاب ٢/١٣٦ والبحر ٧/٢٣٦، والإفصاح ٢١٣ والمحتسب ٢/١٨٢ والإنصاف ١٨٢ وأسرار البلاغة ١٢٩ وابن يعيش ٨/٨١ والهمع ١/١٣٦ ومجالس ثعلب ١٠٥، وأمالي السهيلي ١١٦، وتمهيد القواعد ٢/١١٧، واللسان «شفر» والمقرب ١/١٠٨، والمغني ٢٩١ وشرح شواهده للسيوطي ٧٠١ والمنصف ٣/١٢٩ وقد وجد بديوانه بلفظ «مشافره».

(١) ذكر تلك القراءة الشاذة ابن خالويه في المختصر ١٢٠ وانظر: معاني الفراء ٢/٣٤٤ والبحر المحيط ٧/٢٣٦ والأخفش في معانيه ٦٦٠.

(٢) البيت من تمام الوافر وهو مجهول القائل. وقد تقدم.

(٣) الحجة لابن خالويه ٢٩٠ والنشر ٢/٣٤٨ وتقريبه ١٦١ والسبعة ٥٢٤ والإتحاف ٣٥٥.

(٤) انظر: اللسان: «خ ت م» ١١٠١.

(٥) التبيان ١٠٥٨.

(٦) الدر المصون ٤/٣٩٢.

(٧) وفيه: «يحوج» بالمضارعة.

(٨) المرجعان السابقان.

(٩) لم يذكر المؤلف تقدماً لتلك القراءة وهي: «وخَتَمَ النَّبِيِّنَ» بلفظ الماضي وهي قراءة ابن مسعود ومن حذا حذوه، وانظر: مختصر ابن خالويه ١٢٠ ومعاني الفراء ٢/٢٤٤.

(١٠) المرجعان السابقان.

(١١) نقله في زاد المسير ٦/٣٩٣.

يصير رَجُلاً[١]، وقيل: من لا نبي بعده يكون أشفق على أمته وأهدى لهم إذ هو كالوالد لولد ليس له غيره[٢]. «وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً» أي علمه بكل شيء دخل فيه أن لا نبي بعده، فعلم أن من الحكمة إكمال شرع محمد عليه (الصلاة[٣] و) السلام أن زوجه بزوجة[٤] دعيِّه تكميلاً للشرع، وذلك من حيث إنَّ قول النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ يفيد شرعاً لكن إذا امتنع هو عنه يفيد في بعض النفوس نُفْرة، ألا ترى أنه ذكر بقوله ما فهم منه حِلّ أكل الضَّبِّ، ثم لما لم يأكله بَقِيَ في النفوس شيء، ولما أكل لحم الجمل طاب أكله، مع أنه في بعض الملل لا يؤكل وكذلك الأرنب[٥]، روى أبو هريرة أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «مَثَلِي ومَثَلُ الأنبياء كَمَثَلِ قَصْرٍ أُحْكِمَ بُنْيَانُهُ تُرِكَ مِنْهُ مَوْضِعُ لَبِنَةٍ فَطَافَ بِهِ النُّظَّارُ يَتَعَجَّبُونَ مِنْ حُسْنِ بِنَائِهِ إلاَّ مَوْضِعَ تِلْكَ اللَّبِنَةِ لاَ يُعِيبُونَ سِوَاهَا فَكُنْتُ أَنَا مَوْضِع تِلْكَ اللَّبِنَةِ خُتِمَ بِهِ البُنْيَانُ، وَخُتِمَ بِي الرُّسُلُ»[٦]، وقال ـ عليه (الصلاة[٧] و) السلام: «إنَّ لِي[٨] أَسْمَاءَ أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الماحِي يَمْحُو اللَّهُ بِيَ الكُفْرَ، وَأَنَا الحَاشِرُ الَّذِي يَحْشُرُ اللَّهُ النَّاسَ عَلَى قَدَمِيَ وأَنَا العَاقِبُ» والعاقِبُ الذّي لَيْسَ بَعْدَهُ شَيْءٌ.

قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَـٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾﴾

قوله: «يَأَيُّهَا الذينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً» قال ابن عباس[٩]: لم يفرض الله على عباده فريضة إلا جعل لها حدًّا معلوماً ثم عذر أهلها في حال العذر غير الذكر فإنه لم

---

(١) ذكره الخازن والبغوي في تفسيريهما ٥/ ٢٦٥.

(٢) ذكره الفخر الرازي ٢٥/ ٢١٤.

(٣) زيادة من «ب».

(٤) في «ب» بزوجته وما هنا هو الموافق لتفسير الرازي.

(٥) قاله الإمام الرازي في التفسير الكبير ٢٥/ ٢١٤.

(٦) الحديث رواه الإمام السيوطي في كتابه: «جامع الأحاديث» عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما. وانظر كذلك مجمع البيان للطبرسي ٨/ ٥٦٧.

(٧) زيادة من «ب».

(٨) الحديث رواه جابر بن مطعم عن النبي ـ ﷺ ـ ولقد أورده الإمام البخاري في صحيحه ٣/ ٢٠١. والإمام مالك في الموطأ رقم «١» من أسماء النبي وأورده أحمد في مسنده ٤/ ٨٠ و ٨١ و ٨٤.

(٩) تفسير البغوي ٥/ ٢٦٥ و ٢٦٦.

يجعل له حداً ينتهي إليه ولم يعذر أهله في تركه إلا مغلوباً على عقله وأمرهم به في الأحوال كلها، فقال: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٣] وقال: «اذْكُروا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً» أي بالليل والنهار، والبرِّ والبحر والصحة والسَّقَم في السر والعلانية وقال مجاهد: الذكر الكثير أن لا ينساه[١] أبداً «وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً» أي صلوا له بكرة يعني صلاة الصبح و «أصيلاً» يعني صلاة العصر، وقال الكلبي: «وأصيلاً» صلاة الظهر والعصر والعشاء، وقال مجاهد معناه: قولوا: سبحانَ اللَّهِ والحمدُ لله ولا إله إلا الله واللَّهُ أكبر ولا حَوْلَ ولا قوة إلا بالله فعبر بالتسبيح عن أخواته، وقيل: المراد من قوله: «ذكْراً كَثيراً» هذه الكلمات يقولها الطاهرُ والخبيثُ والمحدث[٢].

قوله: «هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ ومَلاَئِكَتُهُ» الصلاة من الله الرحمة، ومن الملائكة الاستغفار للمؤمنين فذكر صلاته تحريضاً للمؤمنين على الذكر[٣] والتسبيح، قال السدي: قالت[٤] بنو إسرائيل لموسى: أيصلي ربنا؟ فكَبُرَ هذا الكلام على موسى فأوحى الله إليه قل لهم: إنِّي أصلي وإن صلاتي رحمتي وقد وسعت رحمتي كُلَّ شيء. وقيل: الصلاة من الله هي إشاعة الذكر الجميل له في عباده، وقيل: الثناء عليه. قال أنس: لما نزلت إن الله وملائكته يصلون على النبي قال أبو بكر: ما خَصَّك الله يا رسول الله بشرف إلا وقد أشركنا فيه فأنزل الله عز وجل هذه[٥] الآية.

قوله: «ومَلاَئِكَتُهُ» إما عطف على فاعل «يصلي»، وأغنى الفصل بالجار عن التأكيد بالضمير[٦]، وهذا عند من يرى الاشتراك أو القدر المشترك أو المجاز[٧]؛ لأن صلاة الله غير صلاتهم. وإما مبتدأ وخبره محذوف، أي «وملائكته يصلون» وهذا عند من يرى شيئاً مما تقدم جائزاً إلا أن فيه بحثاً، وهو أنهم نصوا على أنه إذا اختلف مدلولا الخبرين فلا يجوز حذف أحدهما لدلالة الآخر عليه وإن كانا بلفظ واحد، فلا تقول: «زَيْدٌ ضَارِبٌ وَعَمرٌو» يعني وعمرو ضاربٌ في الأرضِ أي مُسَافِرٌ[٨].

---

(١) المرجع السابق.

(٢) ذُكِرَتْ هذه الآراء في زاد المسير لابن الجوزي ٦/ ٣٩٨ ومعالم التنزيل للبغوي ٥/ ٢٦٦.

(٣) قاله الإمام الفخر الرازي في تفسيره ٢٥/ ٢١٥.

(٤) ذكر الخازن والبغوي في تفسيريهما هذه الأقوال ٥/ ٢٦٦ وانظر: القرطبي ١٤/ ١٩٨.

(٥) معالم التنزيل للبغوي المرجع السابق ٥/ ٢٦٦.

(٦) حيث إن من شرط العطف على الضمير المرفوع المنفصل بظاهر أن يؤكد هذا الضمير بضمير مثله كقوله تعالى: ﴿اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾.

(٧) قال الزمخشري: «جعلوا لكونهم مستجابي الدعوة كأنهم فاعلون الرحمة والرأفة» فكأنه يرى صحة العطف وانظر الدر المصون ٤/ ٢٩٣.

(٨) يعني لأن الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار فقد اختلف المعنيان وإن كانا بلفظ واحدٍ. وانظر الدر المصون للسمين ٤/ ٢٩٣٩.

فصل

الصلاة من الله رحمة، ومن الملائكة استغفار، فقيل: إن اللفظ المشترك يجوز استعماله في مَعْنَيَيْهِ معاً وكذلك الجمع بين الحقيقة والمجاز في لفظ جائز. قال ابن الخطيب[١]: وينسب هذا القول للشافعي رحمه الله، وهو غير بعيد؛ وذلك لأن الرحمة والاستغفار مشتركان في العناية بحال المرحوم والمستغفر له والمراد هو القدر المشترك فتكون الدلالة واحدة، ثم قال: «لِيُخرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ» أي من ظلمةِ الكفر إلى نور الإيمان يعني (أنه)[٢] برحمته وهدايته ودعاء الملائكة لكم أخرجكم من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان. «وَكَانَ بِالمُؤْمِنِينَ رَحِيماً» وهذا بشارة لجميع المؤمنين وأشار بقوله: «يصلي عليكم» أن هذا غير مختص بالسامعين وقت الخطاب. قوله: «تَحِيَّتُهُمْ» يجوز أن يكون مصدراً مضافاً لمفعوله، وأن يكون مضافاً لفاعله ومفعوله على معنى أن بعضهم يُحَيِّي بعضاً، فيصح أن يكون الضمير للفاعل والمفعول باعتبارين لا أنه يكون فاعلاً ومفعولاً من وجهٍ واحد[٣] وهو قول من قال: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٨] أنه مضاف للفاعل والمفعول.

فصل

المعنى تحيةُ المؤمنين يَوْمَ يلقونه أي يرون الله سلام أي يسلم اللَّهُ عليهم ويسلمهم من جميع الآفات، وروي عن البراء بن عازب[٤] قال: تحيتهم يوم يلقونه سلام يعني ملك الموت لا يقبض روح مؤمن إلا سلم عليه. وعن ابن مسعود[٥] قال: إذا جاء ملك يقبض روح المؤمن قال: رَبُّكَ يُقْرِئُكَ السلام، وقيل: تسلم عليهم الملائكة تبشرهم حين يخرجون[٦] من قبورهم ثم قال: «وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْراً كَرِيماً» يعني الجنة.

فإن قيل: الإعداد إنما يكون مِمَّن[٧] لا يقدر عند الحاجة إلى الشيء عليه، وأما الله تعالى فغير محتاج ولا عاجز فحيث يلقاه (و)[٨] يؤتيه ما يرضى به وزيادة فما معنى الإعداد من قبل؟.

فالجواب: أن الأعداد للإكرام لا للحاجة[٩].

---

(١) قاله فخر الدين الرازي في تفسيره ٢٥/ ٢١٥.

(٢) سقط من «ب».

(٣) قاله في البحر المحيط ٧/ ٢٣٨ والدر المصون ٤/ ٣٩٣.

(٤) تفسير البغوي ٥/ ٢٦٦ المسمى معالم التنزيل.

(٥) المرجع السابق.

(٦) المرجع السابق وانظر: القرطبي ١٤/ ١٩٩.

(٧) قاله الإمام الفخر الرازي في تفسيره التفسير الكبير ٢٥/ ٢١٦.

(٨) الواو ساقطة من الفخر الرازي ومن «ب».

(٩) كذا هي في تفسير الرازي و «أ» هنا. وما في «ب» لا لِحَاجَةٍ بدون ألف التعريف.

قوله: «يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً» أي شاهداً للرسل بالتبليغ «وَمُبَشِّراً» لمن آمن بالجنة و «نَذِيراً» لمن كذب بالنار «فشاهداً» حال مقدرة، أو مقارنة لقرب الزمان[١] «وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ» إلى توحيده وطاعته، وقوله «بِإِذْنِهِ» حال أي ملتبساً بتسهيله، ولا يريد حقيقة الإذن لأنه مستفاد من «أَرْسَلْنَاكَ»[٢].

قوله: «وَسِرَاجاً» يجوز أن يكون عطفاً على ما تقدم، إما على التشبيه، وإما على حذف مضاف أي ذا سراج[٣]، وجوز الفَرَّاءُ أن يكون الأصل: وتالياً سراجاً، ويعني بالسِّراج القرآن[٤]، وعلى هذا فيكون من عطف الصفات وهي لذات واحدة، لأن التالي هو المرسل. وجوز الزمخشري أن يعطف على[٥] مفعول «أَرْسَلْنَاكَ» وفيه نظر لأن السراج هو القرآن ولا يوصف بالإرسال بل بالإنزال إلاً أن يقال: إنه حمل على المعنى كقوله:

٤٠٩٦ ـ فَعَلَفْتُهَا تِبْناً وَمَاءً بَارِداً [حَتَّى شَتَتْ هَمَّالَةً عَيْنَاهَا][٦]

وأيضاً فيغتفر في الثواني ما لا يغفتر في الأوائل، وقوله: «مُنِيراً» لأنه يهتدى[٧] به كالسِّراج يستضاء به في الظلمة. واعلم[٨] أنَّ في قوله: «سِرَاجاً» ولم يقل: إنه شمس مع أن الشمس أشد إضاءة من السراج فائدةً وهي أن نور الشمس لا يؤخذ منه شيء، والسراج يؤخذ منه أنوار كثيرة إذا انطفى الأول يبقى الذي أخذ منه وكذلك إن غاب النبي ـ ﷺ ـ كان كُلُّ صحابي كذلك سراجاً يؤخذ منه نور الهداية كما قال عليه (الصلاة[٩] و) السلام: «أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ بِأَيِّهِمُ اقْتَدَيْتُمُ اهْتَدَيْتُمْ»[١٠] وفي هذا الخبر لطيفة وهي أن النبي عليه (الصلاة[١١] و) السلام لم يجعل أصحابه كالسراج وجعلهم كالنجوم لأن النجم لا يؤخذ منه (نور[١٢]) بل له في نفسه نور إذا غرب لا يبقى نور مستفادِ منه فكذلك الصحابي إذا مات فالتابعي يستنير بنور النبي ـ ﷺ ـ ولا يأخذ إلاً قَوْلَ النبي ـ عليه (الصلاة[١٣] و) السلام ـ وعليه فأنوار المجتهدين كلهم من النبي ـ ﷺ ـ ولو جعلهم كالسِّراج والنبي ـ ﷺ ـ كان سراجاً كان للمجتهد أن يَسْتَنِيرَ بِمَنْ أراد منهم، ويأخذ النور مِمَّن اختار وليس كذلك فإن مع

---

(١) قال بذلك أبو حيان في البحر ٧/ ٢٣٨ والسمين في الدر ٤/ ٣٩٣.
(٢) المرجعان السابقان. (٣) السابقان.
(٤) نقل هذا الرأي للفراء أبو حيان في بحره ٧/ ٢٣٨ ولم أجده في كتابه معاني القرآن ولعلهُ في كتاب آخر له.
(٥) قال: «ويجوز أن يعطف على كاف أرسلناك» انظر: الكشاف ٣/ ٢٦٦.
(٦) هذا بيت من الرجز ذكره الفراء في معانيه ١/ ١٤ ونسبه لبعض بني أسد، وفي ٣/ ١٢٤ ونسبه لبعض بني دبير وقد نسبه ابن جني في الخصائص لذي الرمة. انظر: الخصائص ٢/ ٤٣١. وانظر: الدر المصون ٤/ ٩٠ و ٣٩٤ واللسان: «ع ل ف» ٣٠٧٠، والحجة للفارسي ١/ ٢٣٣ وأمالي المرتضى ٢/ ٢٥٩.
(٧) في «ب» مهتدى بالاسمية. (٨) قرره الفخر الرازي في تفسيره ٢٥/ ٢١٧.
(٩) ساقط من «ب». (١٠) المرجع السابق.
(١١) و (١٢) و (١٣) سواقط من «أ» والفخر الرازي وزيادة من «ب».

نص النبي ـ ﷺ ـ لا يُعْمَل بقول الصَّحابيِّ بل يؤخذ النور من النبي ولا يؤخذ من الصحابي، فلم يجعله سراجاً.

قوله: «وَبَشِّر المُؤْمِنِينَ» عطف على مفهوم تقديره: «إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً ومُبَشراً فاشْهَدْ وبَشِّرْ» ولم يذكر «فاشهد» للاستغناء عنه، وأما البشارة فذكرت إشارة للكرم، ولأنها غير واجبة لولا الأمر[١]. وقوله «بأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً» كقوله تعالى: ﴿**أَعَدَّ لَهُمْ أَجْراً عَظِيماً**﴾ والعظيم والكبير متقاربان.

قوله: «وَلاَ تُطِعِ الكافِرِينَ والمُنَافِقِينَ» تقدم تفسيره أول السورة، وهو إشارة إلى الإِنذار يعني خالفهم وردَّ عليهم.

قوله: «وَدَعْ أَذَاهُمْ» يجوز أن يكون «أَذَاهُمْ» مضافاً لمفعوله أي اترك أذاك لهم، أي عقابك إياهم[٢].

قال الزجاج: لا تجازهم[٣] عليه، وهذا منسوخ بآيةِ السيف، ويجوز أن يكون مضافاً لفاعله أي اترك ما[٤] أَذَوْكَ به فلا تؤاخذهم حتى تُؤْمَر أي دعه إلى الله فإنه يعذبهم بأيديكم وبالنار، وبين هذا قوله تعالى: ﴿**وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً**﴾ أي حافظاً.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَاۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٤٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٥٠﴾ ۞تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ وَمَنِ ٱبۡتَغَيۡتَ مِمَّنۡ عَزَلۡتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكَۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعۡيُنُهُنَّ وَلَا يَحۡزَنَّ وَيَرۡضَيۡنَ بِمَآ ءَاتَيۡتَهُنَّ كُلُّهُنَّۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمٗا ﴿٥١﴾ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ﴿٥٢﴾﴾

قوله: ﴿**يَأَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ المُؤْمِنَاتِ...**﴾ الآية وجه تعلق الآية[٥] بما

---

(١) قاله الرازي في تفسيره (٢٥/ ٢١٨)، وفيه: إبانة للكرم، وليس إشارة.

(٢) الدر المصون ٤/ ٣٩٤.

(٣) معاني القرآن وإعرابه له ٤/ ٢٣١.

(٤) الدر المصون المرجع السابق.

(٥) ذكره الفخر الرازي في تفسيره ٢٥/ ٢١٨ و ٢١٩.

قبلها هو أن الله تعالى ذكر في هذه السورة مكارم الأخلاق وأدب نبيه على ما تقدم والله تعالى أمر عباده المؤمنين بما أمر به نبيه فكلما ذكر لنبيّه مكرمةً، وعلَّمه أدباً ذكر للمؤمنين ما يناسبه، ولما بدأ الله تعالى في تأديب النبي ـ عليه الصلاة والسلام[١] ـ ذكر ما يتعلق بجانب الله تعالى بقوله: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ وثنى بما يتعلق بجانب من هو تحت يده من أزواجه بقوله بعده «يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ» وثلث بما يتعلق بجانب العامة بقوله: «يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً» كذلك بدأ في إرشاد المؤمنين بما يتعلق بجانب الله فقال: «يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً» ثم ثنى بما يتعلق بجانب من تحت أيديهم بقوله: «يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ» ثم كما ثلث في تأديب النبي بجانب الأمة ثَلَّث في حق المؤمنين بما يتعلق بهم فقال بعد هذا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣] وبقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٥٦] فإن قيل[٢]: إذا كان هذا إرشاداً إلى ما يتعلق بجانب من هو من خواص المرء فلم خص المطلقات اللاتي طلقن قبل المسيس؟.

فالجواب: هذا إرشاد إلى أعلى درجات المكرمات ليعلم منها ما دونها، وبيانه[٣] أن المرأة إذا طلقت قبل المسيس لم يحصل بينهما تأكد العهد، ولهذا قال تعالى في حق المَمْسُوسَة: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ٢١]، فإذا أمر الله (تعالى)[٤] بالتمتع والإحسان مع من لا مودة بينه وبينها فما ظنك بمن حصلت المودة بالنسبة إليها بالإفضاء أو حصل تأكدها بحصول الولد بينهما، وهذا كقوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٣] لو قال: لا تضربهما ولا تشتمهما ظن أنه حرام لمعنى مختص[٥] بالضرب أو الشتم، فأما إذ قال: «لا تقل لهما أف» علم من معانٍ كثيرةٍ فكذلك ههنا لما أمرنا بالإحسان مع من لا مودة معها علم منه الإِحسان مع الممسوسة ومن لم تطلق[٦] بعدُ ومن ولدت عنده منه.

قوله: «ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ» إن قيل: ما الفائدة بالإتيان «بثُمَّ» وحكم من طلقت على الفور بعد العقد كذلك؟ فالجواب: أنه جرى على الغالب. وقال الزمخشري: نفى التوهم[٧] عمن عسى يتوهم تفاوت الحكم بين أن يطلقها قريبة العهد بالنكاح وبين أن يبعُدَ عهدها بالنكاح وتتراخى بها المرأة[٨] في حُبالَة الزوج ثم طلّقها. قال أبو حيان[٩]:

---

(١) في «ب» ﷺ.
(٢) المرجع السابق.
(٣) في «ب» وسيأتي وهو ما يخالف تفسير الرازي.
(٤) ساقط من «ب».
(٥) في «ب» يختص.
(٦) في «ب» يطلق.
(٧) انظر: الكشاف ٣/ ٢٦٧.
(٨) في «ب» وتتراخى بها المدة.
(٩) البحر المحيط ٧/ ٢٣٩.

واستعمل «عسى» صلة لمن وهو لا يجوز. «قال شهاب الدين» يخرج[١] قوله على ما خرج عليه قول الآخر:

٤٠٩٧ ـ وَإِنِّي لَرَامٍ نَظْرَةً قِبَلَ الَّتِي لَعَلِّي ـ وَإِنْ شَطَّتْ نَوَاهَا ـ أَزُورُهَا[٢]

وهو إضمار القول، وفي هذه الآية دليل على أن تعليق الطلاق قبل النكاح لا يصح، لأن الله تعالى رتب الطلاق على النكاح بكلمة «ثم» وهي للتراخي حتى (و) لو[٣] قال لأجنبية: إِذَا نَكَحْتُك فَأَنْتِ طَالِقٌ، أو كل امرأة أتزوجها فهي طالق فنكح، لا يقع الطلاق، وهو قول عَلِيٍّ، وابنِ مسعود، وجابر، ومعاذٍ، وعائشةَ. وبه قال سعيد بن المسيب، وعُرْوَةُ، وشُرَيْحٌ، وسعيدُ بنُ جبير، والقاسمُ، وطاوسٌ والحسنُ، وعكرمةُ، وعطاءُ بن يَسَارٍ، والشّعبيُّ، وقتادةُ، وأكثر أهل العلم. وبه قال الشافعيُّ، وأحمدُ[٤]. وروي عن ابن مسعود أنه قال: يقع الطلاق وهو قول إبراهيم النَّخَعِيِّ وأصحابِ الرأي[٥]، وقال ربيعةُ ومالكٌ والأوزاعِيُّ: إن عين امرأةً يقع، وإن عم فلا يقع، وروى عكرمة عن ابن عباس قال: كذبوا على ابن مسعود إن كان قالها فزلة من عالم في الرجل يقول: إن تزوجت فلانة[٦] فهي طالق، يقول الله تعالى: ﴿**إِذَا نَكَحْتُم الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ**﴾ ولم يقل: «إِذَا طَلَّقْتُموهنَّ ثُمَّ نَكَحْتُمُوهُنَّ»[٧] وروى عطاء عن جابر قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ «لاَ طَلاَقَ قَبْلَ النِّكَاحِ»[٨].

قوله: «مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ» تجامعوهن «فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتدونَها» أي تحصونها وتستوفونها بالأقراء والأشهر، «فتعتدونها» صفة «لعدة» وتعتدونها تفتعلونها إما من العَدَد، وإما من الاعْتِدَادِ أي تحتسبونها أو[٩] تستوفون عددها من قولك: عَدَّ الدَّرَاهِمَ فَاعْتَدَّهَا أي استوفى عددها، نحو: كِلْتُهُ فَاكْتَالَهُ، ووَزنتهُ فاتَّزَنَهُ[١٠]، وقرأ ابن

---

(١) الدر المصون ٤/ ٣٩٤.

(٢) البيت من بحر الطويل وهو للفرزدق. وانظر شرح الكافية ٢/ ٣٧ والدر المصون ٤/ ٣٩٤ والأشموني ١/ ١٦٣ والمغني ٣٨٨ و ٣٩١ و ٥٨٥ مكرراً، وشرح شواهده للسيوطي ٨١٠ والهمع ١/ ٨٥. وأمالي الشجري ١/ ٦، والخزانة ٥/ ٤٦٤ ـ ٤٦٩ وليس بديوانه وإنما بديوانه: وإن شقت على أنا لها. انظر ديوانه (١/ ١٠٦).

(٣) ساقط من «ب».

(٤) وانظر في ذلك معالم التنزيل للبغوي ٥/ ٢٦٧ وتفسير الخازن ٥/ ٢٦٧ وتفسير ابن كثير ٣/ ٤٩٨ والقرطبي ١٤/ ٢٠٣ وقد قال: «وقال هذا نيف على ثلاثين من صاحب وتابع وإمام سمى البخاري منهم اثنين وعشرين».

(٥) المراجع السابقة.

(٦) في «ب» بفلانة.

(٧) المراجع السابقة.

(٨) الحديث رواه الإمام البخاري باب الطلاق ٣/ ٢٧١.

(٩) في «ب» وتستوفون.

(١٠) قاله شهاب الدين ابن السمين في كتابه الدر المصون ٤/ ٣٩٥.

كثير ـ في رواية ـ وأهل مكة بتخفيف الدال[١] وفيها وجهان:

أحدهما: أنها من الاعتداد وإنما كرهوا تضعيفه فخفّفوه؛ قاله الرازي[٢]، قال: ولو كان من الاعتداء الذي هو الظلم لضعف، لأن الاعتداء يتعدى[٣] «بعلى». قيل: ويجوز أن يكون من الاعتداء[٤] وحذف حرف الجر أي تَعْتَدُونَ عَلَيْهَا أي على العدة مجازاً، ثم تعتدونها كقوله:

٤٠٩٨ ـ تَحِنُّ فَتُبْدِي مَا بِهَا مِنْ صَبَابَةٍ وَأُخْفِي الَّذِي لَوْلاَ الأَسَى لَقَضَانِي[٥]

أي لقَضَى عَلَيَّ، وقال الزمخشري: وقرىء تَعْتَدُونَهَا مخففاً أي تعتدون فيها[٦] كقوله:

٤٠٩٩ ـ ويَوْم شَهِدْنَاهُ سُلَيْمَى وَعَامراً قَلِيل سِوَى الطَّعْنِ النِّهَال نَوَافِلُهْ[٧]

وقيل: معنى تعتدونها أي تعتدون عليهن فيها[٨]، وقد أنكر ابن عطية القراءة عن ابن كثير وقال: غلط ابن أبي بزة عنه[٩]، وليس كما قال.

والثاني: أنها من العدوان (والاعتداء)[١٠] وقد تقدم شرحه، واعتراض أبي الفضل عليه بأنه كان ينبغي أن يتعدى «بعلى» وتقدم جوابه، وقرأ الحسن «تعْتدونها» ـ بسكون العين وتشديد الدال[١١] ـ وهو جمع بين ساكنين على (غير)[١٢] **حديهما**.

---

(١) ذكره ابن خالويه في المختصر ١٢٠ وأبو حيان في البحر ٧/ ٢٤٠ وانظر: السبعة ٥٢٢ وهي من القراءات المتواترة.

(٢) هو أبو الفضل الرازي صاحب كتاب لوامح القرآن وقد سبقت ترجمته.

(٣) انظر: تفسير البحر المحيط لأبي حيان ٧/ ٢٤٠.

(٤) نقل أبو حيان في البحر ٧/ ٢٤٠ هذا التوجيه عن أبي الفضل الرازي أيضاً.

(٥) البيت من بحر الطويل وقد نسب لعروة بن خذام ولم يوجد بديوانه، والشاهد فيه «لَقَضَانِي» حيث حذف حرف الجر (على) والأصل: لقضى على، فلما حذف حرف الجر اتصل الفعل بالضمير ويمكن القول: إن الفعل «قضى» تضمن معنى «أهلك» أو «قتل» فتعدى بنفسه دون وساطة حرف الجر وعلى هذا فإن معنى «تعتدونها» أي تعتدون عليها وهذا رأي الرازي ومن حذا حذوه. وقد تقدم.

(٦) نقله في الكشاف ٣/ ٢٦٧.

(٧) من الطويل لأحد العَامِرِيِّينَ، وسليم وعامر حيان من قيس بن عيلان، والطعن جمع طعنة وهي الشكة بالرمح ونحوه، والنِّهَالُ جمع نَاهل، وهي الرماح المرتوية بالدم، والنوافل جمع نافلة، وهي ما زاد عن الأصل، ويقصد الشاعر بها هنا الغنائم والشاعر يريد أن يقول: لا يرضى في ذلك اليوم سوى الطعن والغنائم، والشاهد: «شهدناه» حيث نصب الفعل الضمير وهو الهاء للاتساع في ذلك والأصل: شهدنا فيه. وقد تقدم.

(٨) البحر ٧/ ٢٤٠.

(٩) المرجع السابق.

(١٠) زيادة من «ب».

(١١) ذكره أبو حيان في المرجع السابق.

(١٢) ساقطة من «أ» وزيادة من «ب».

فصل[(١)]

دلت هذه الآية على أن العدة حق الزوج فيها غالب وإن كان لا يَسْقُطُ بإسقاطه؛ لما فيه من حق الله تعالى. ثم قال: «فَمَتِّعُوهُنَّ» أي أعطُوهُنَّ ما يستمتعن به قال ابن عباس[(٢)]: هذا إذا لم يكن سمى لها صداقاً فلها المتعة، وإن كان فرض لها صداقاً فلها نصف الصداق ولا متعة لها، وقال قتادة: هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، قيل: إنه عام وعلى هذا فهل هو أمر وجوب أو أمر استحباب؟ فقيل: للوجوب فتجب المتعة مع نصف المهر، وقيل: للاستحباب فيستحب أن يمتعها مع الصداق بشيء[(٣)]، ثم قال: «وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً» أي خلوا سبيلهن بالمعروف من غير ضرار، وقيل: السراح الجميل: أن لا يطالبها بما آتاها.

قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللاتِي آتَيتَ أُجُورَهُنَّ﴾ أي مهورهن «وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ» وقوله: «مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ» رد عليك من الكفار بأن تَسْبِي فتملك، وهذا بيان لما ملكت، وليس هذا قيداً بل لو ملكت يمينه بالشراء كان الحكم كذا، وإنَّما خرج مَخْرَجَ الغالب[(٤)]. واعلم أنه ذكر[(٥)] للنبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ ما هو أولى فإن الزوجة التي أُوتِيَتْ مهرها أطيب قلباً من التي لم تؤت والمملوكة التي سَبَاها الرجل بنفسه أطهر من التي اشتراها الرجل لأنه لا يدري كيف حالها، ومن هاجرت من أقارب النبي ـ ﷺ ـ معه أشرف ممن لم تهاجِر، وقال بعضهم: إن النبي ـ ﷺ ـ ما كان يستوفي ما لا يجب له والوطء قبل إيتاء الصداق غير مستحق وإن كان حلالاً لنا وكيف والنبي عليه الصلاة والسلام إذا طلب شيئاً حرم الامتناع على المطلوب؟ والظاهر أن الطالب في المرة الأولى إنما هو الرجل لحياء المرأة فلو طلب النبي ـ ﷺ ـ من المرأة التمكين قبل المهر للزم أن يجب وأن لا يجب وهو محال ولا كذلك أحدنا ويؤكد هذا قوله: «وامْرَأَةً مُؤْمنَةً إنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا للنَّبِيِّ» يعني حينئذ لا يبقى لها صداق فتصير كالمستوفية مهرها.

واعلم أن اللاتي[(٦)] ملكت يمينه مثل صفية، وجُوَيْرِيَة، ومَارِيَة «وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ» يعني نساء قريش «وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالاَتِكَ» يعني نساء بني زُهْرَة «اللاَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ» إلى المدينة فمن لم تهاجر معه منهم لم يجز له نكاحها، روى أبو صالح عن أم هانىء أن رسول الله ـ ﷺ ـ لما فتح مكة خطبني فأنزل الله هذه الآية فلم أحل له

---

(١) ساقطة من «أ» وزيادة من «ب».

(٢) ذكره القرطبي في الجامع ١٤/ ٢٠٥ والبغوي والخازن في تفسيريهما ٥/ ٢٦٧ وابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٤٠٢.

(٣) البغوي والخازن ٥/ ٢٦٧.

(٤) المرجعان السابقان.

(٥) ذكره الفخر الرازي في تفسيره ٢٥/ ٢٢٠.

(٦) في «ب» اللائي بالهمزة وكلاهما صحيح.

لأني لم أكن من المهاجرات وكنت من المطلقات[١]، ثم نسخ شرط الهجرة في التحليل.

قوله «وامْرَأَةً» العامة على النصب وفيه وجهان:

أحدهما: أنها عطف على مفعول «أَحْلَلْنا» أي وأحْلَلْنَا لك امرأةً موصوفة[٢] بهذين الشرطين، قال أبو البقاء وقد رد هذا قوم، وقالوا: «أَحْلَلْنَا» ماضٍ، و «إنْ وَهَبَتْ» ـ وهو صفة للمرأة ـ مستقبل، «فأحللنا» في موضع جوابه، وجواب الشرط لا يكون ماضياً في المعنى، قال: وهذا ليس بصحيح لأم معنى الإحلال ههنا الإعلام بالحل إذا وقع الفعل على ذلك كما تقول: «أَبَحْتُ لَكَ أَنْ تُكَلِّمَ فُلاناً إِنْ سَلَّمَ عَلَيْكَ»[٣].

والثاني: أنه ينتصب بمقدر تقديره: «ويُحِلُّ لك امرأةً»[٤].

قوله: «إنْ وَهَبَتْ، إنْ أَرَادَ» هذا من اعتراض الشرط على الشرط، والثاني هو قيد في الأول ولذلك نعربه حالاً، لأن الحال قيد، ولهذا اشترط الفقهاء أن يتقدم الثاني على الأول في الوجود. فلو قال: إن أَكَلْتُ إنْ رَكِبْتُ فأنتِ طالقٌ، فلا بد أن يتقدم الركوب على الأكل، وهذا له تحقق الحالية والتقييد كما ذكرنا، إذ لو لم يتقدم لخلا جزء من الأكل غير مقيد بركوب فلهذا اشترطنا تقدم الثاني وقد مضى تحقيق هذا وأنه يشترط أن لا تكون ثَمَّ قرينة تمنع من تقدم الثاني على الأول كقوله: «إنْ تَزَوَّجْتُك إنْ طَلَّقْتُكِ فعَبْدِي حُرٌّ» (لأنه)[٥] لا يتصور هنا تقديمُ الطلاق على التَّزويج[٦].

قال شهاب الدين: وقد عرض لي إشكال على[٧] ما قاله الفقهاء بهذه الآية وذلك أن الشرط الثاني هنا لا يمكن تقدمه في الوجود بالنسبة إلى الحكم الخاص بالنبي ـ ﷺ ـ لا أنه لا يمكن عقلاً، وذلك أن المفسرين فسروا قوله تعالى: «إنْ أَرَادَ» بمعنى قبل الهِبَة[٨] لأن بالقبول منه عليه (الصلاة [٩] و) السلام يتم نكاحه وهذا لا يتصور تقدمه على الهبة إذ القبول متأخر، وأيضاً فإن القصة كانت على ما ذكرته من تأخر إرادته من هِبَتها وهو مذكور في التفسير[١٠]، وأبو حيان لما جاء إلى ههنا جعل الشرط الثاني متقدماً على

---

(١) في «ب» والبغوي الطلقاء وانظر: معالم التنزيل للإمام البغوي ٥/ ٢٦٨ وتفسير الخازن ٥/ ٢٦٨ أيضاً.

(٢) قاله الفراء في معانيه ٢/ ٣٤٥ ومكي في مشكل الإعراب ٢/ ١٩٩ وأبو البقاء في التبيان ١٠٥٨ وابن الأنباري في البيان ٢/ ٢٧١ والسمين في الدر ٤/ ٣٩٦.

(٣) التبيان ١٠٥٨.

(٤) انظر: البيان والتبيان والدر المصون المراجع السابقة.

(٥) زيادة يقتضيها السياق.

(٦) انظر تلك الفقرة بأكملها فقرة «إن وهبت» في الدر المصون للسمين ٤/ ٣٩٦ وانظر: حاشية الجمل على الجلالين فيما نقله عن السمين ٣/ ٣٧٠.

(٧) ذكره في الدر المصون ٤/ ٣٩٦ و ٣٩٧ وفيه: «إلا أنه قد عرض لي إشكال».

(٨) في الدر «الهدية».

(٩) «يادة من «ب» عن الدر المصون و«أ».

(١٠) ممن قال بذلك الزمخشري في الكشاف ٣/ ٢٦٨ والقرطبي في الجامع ١٤/ ٢٠٩.

الأول على القاعدة العامة، ولم[(١)] يستشكل شيئاً مما ذكرته، وقد عرضت هذا الإشكال على جماعة من أعيان زماننا فاعترفوا به ولم يظهر عن جواب إلا ما قدمته من أنه ثم قرينة مانعة من ذلك كما مثلته آنفاً، وقرأ أبو حيوة «وامْرَأَةٌ» بالرفع على الابتداء، والخبر مقدر، أي أَحْلَلْنَاهَا لَكَ أَيْضاً[(٢)]. وفي قوله: «إن أَرَادَ النَّبِيُّ» التفات من الخطاب إلى الغيبة بلفظ الظاهر تنبيهاً على أن سبب ذلك النبوة، ثم رجع إلى الخطاب فقال: «خَالِصَةً لَكَ»، وقرأ أبي والحسن وعيسى «أَنْ» بالفتح[(٣)]، وفيه وجهان:

أحدها: أنه بدل من «امرأة» بدل اشتمال قاله أبو البقاء[(٤)]، كأنه قيل: وأَحْلَلْنَا لك هِبَةَ المَرْأَةِ نَفْسَهَا لَكَ.

والثاني: أنها على حذف لام العلة[(٥)] (أي)[(٦)] لأَنْ وَهَبَتْ، وزيد بن علي «إِذْ وَهَبَتْ»[(٧)] وفيه معنى العِلِّيَّةِ.

قوله: «خالصة» العامة على النصب وفيه أوجه:

أحدها: أنه منصوب على الحال من فاعل «وَهَبَتْ» أي حال كونها خالصةً لك دُونَ غَيْرِكَ[(٨)].

الثاني: أنها حال من «امرأة» لأنها وصفت فتخصصت، وهو بمعنى الأول، وإليه ذهب[(٩)] الزجاج.

الثالث: أنها نعت مصدر مقدر أي هبة خالصة فنصبها «بوَهَبَتْ»[(١٠)].

الرابع: أنها مصدر مؤكد «كوَعْدَ اللَّهِ»[(١١)]، قال الزمخشري: والفاعل والفاعلة في

---

(١) قال أبو حيان في البحر ٧/ ٢٤٢: «وإذا اجتمع شرطان فالثاني شرط في الأول متأخر في اللفظ متقدم في الوقوع ما لم تدل قرينة على الترتيب نحو: إن تزوجتك إن طلقتك فعبدي حر».

(٢) ذكرها ابن خالويه في مختصره ١٢٠. وهي من الشواذ وانظر: أبا حيان في بحره ٧/ ٢٤٢.

(٣) المحتسب ٢/ ١٨٢ ومختصر ابن خالويه ١٢٠ ومعاني الفراء ٢/ ٣٤٥ وهي من القراءات من الأربعة فوق العشرة المتواترة الإتحاف ٣٥٦ والكشاف ٣/ ٢٦٨ بنسبتها للحسن فقط والقرطبي ١٤/ ٢٠٩ والبحر ٧/ ٢٤٢ بزيادة الشعبي وسلام.

(٤) قاله في التبيان ١٠٥٩.

(٥) المرجع السابق وانظر: الكشاف ٣/ ٢٦٨ والبيان ٢/ ٢٧١.

(٦) ساقطة من «ب».

(٧) ذكرها أبو حيان في بحره ٧/ ٢٤٢.

(٨) التبيان ١٠٥٩ ومشكل الإعراب لمكي ٢/ ١٩٩ وقد جَعَلَها حالاً مطلقة ولم يحدد صاحبها، الدر المصون ٤/ ٣٩٧ أيضاً.

(٩) قال الزجاج في معاني القرآن وإعرابه: «وخالصة منصوب على الحال المعنى: أنا أحللنا لك هؤلاء، وأحللنا لك من وهبت نفسها لك» وانظر: البحر المحيط ٧/ ٢٤٢.

(١٠) قاله أبو البقاء في التبيان ١٠٥٩ والسمين في الدر ٤/ ٣٩٧.

(١١) ذكره أبو البقاء في المرجع السابق وأبو حيان في البحر ٧/ ٢٤٢ والسمين في الدر ٤/ ٣٩٧ والزمخشري في الكشاف ٣/ ٢٦٨.

المصادر غير عزيزين كالخَارِجِ والقَاعِدِ، والكاذِبَةِ والعَافِيَةِ[١] يريد بالخارج ما في قول الفرزدق:

٤١٠٠ ـ .... وَلاَ خَــارِجــاً مِــنْ فِــيَّ زُورُ كَــلاَمِ[٢]

وبالقاعد ما في قولهم: «أَقَاعِداً وَقَدْ سَارَ الرَّكْبُ»، وبالكاذبة ما في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ [الواقعة: ٢]، وقد أنكر أبو حيان عليه قوله: «غير عزيزين» وقال: بل هما عزيزان، وما ورد متأول[٣]، وقرىء: «خَالِصَةٌ» بالرفع[٤]، فإن كانت «خالصة» حالاً قدر المبتدأ «هي» أي المرأة الواهبة، وإن كانت مصدراً قدر فتلك الحالة خالصة، و «لك» على البيان أي أعني لك نحو: «سَقْياً لَكَ»[٥].

فصل

المعنى: أحللنا لك امرأة مؤمنة وهبت نفسها لك بغير صداق، فأما غير المؤمنة فلا تَحِلُّ له إذا وهبت نفسها منه، واختلفوا في أنه هل كان يحِل للنبي ـ ﷺ ـ نكاح اليهودية والنصرانية، فذهب أكثرهم إلى أنه كان لا يحل له ذلك لقوله: «وامرأة مؤمنة» وأول بعضهم الهجرة في قوله: «هَاجَرْنَ مَعَكَ» يعني على الإسلام أي أسلمن معك، فيدل ذلك على أنه لا يحل نكاح غير[٦] المسلمة. وكان النكاح ينعقد في حقه بمعنى الهبة من غير ولي ولا شهود ولا مَهْرٍ، وكان ذلك من خصائصه عليه (الصلاة[٧] و) السلام ـ لقوله تعالى: ﴿**خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ كالزيادة على الأدب ووجوب تخيير النساء من خصائصه لا مشاركة لأحد معه، واختلفوا في انعقاد النكاح بلفظ الهبة في حق الأمة، فقال سعيد بن المسيب والزهري ومجاهد وعطاء: لا ينعقد إلا بلفظ النكاح[٨] أو

---

(١) المرجع السابق وفيه: «والعافية ـ والكاذبة».

(٢) عجز بيت من بحر الطويل صدره:

عَلَى حَلْفَةٍ لاَ أَشْتُمُ الدَّهْرَ مُسْلِماً ....

ويروى: «على قَسَم» بدل «على حَلْفَةٍ» و «سوء كلام» بدل «زور كلام» والشاهد: «ولا خارجاً» حيث نصب «خارجاً» علىَ المصدر النائب عن فعله قال في الكتاب ١/ ٣٤٦ كأنه قال: ولا يخرج خروجاً ألا تراه ذكر «عاهدت» في البيت قبله. وانظر: ديوانه ٢/ ٢١٢ والكتاب ١/ ٣٤٦ والبحر المحيط ٧/ ٢٤٢ والمقتضب ٣/ ٢٦٩ و ٤/ ٣١٣ وأمالي المرتضى ١/ ٤٦ وشرح شواهد الشافية ٧٢ ـ ٧٩، والإفصاح ١٨٢ و ٢٢٤ و ٣٣٦ وكامل المبرد ١/ ١٢٠.

(٣) ذكر ذلك أبو حيان في بحره ٧/ ٢٤٢.

(٤) في البحر المرجع السابق ولم ينسبها لمعين وقد نسبها صاحب شواذ القرآن (١٩٥) لابن أبي عبلة.

(٥) الدر المصون ٤/ ٣٩٨.

(٦) نقل ذلك القرطبي في الجامع عن ابن العربي ١٤/ ٢١٠ والبغوي ٥/ ٢٦٨.

(٧) سقط من «أ». (٨) في «ب» الإنكاح.

التزويج، وبه قال ربيعة ومالك والشافعي[١]، ومعنى الآية أنّ إباحة الوطء بالهبة وحصول التزويج بلفظها من خواصه عليه السلام. وقال النخعيُّ وأبو حنيفةَ وأهلُ الكوفة ينعقد بلفظ الهبة[٢] والتمليك وأن معنى الآية أن تلك المرأة صارت خالصة لك زوجةً من أمهات المؤمنين ولا تحل لغيرك أبداً بالتزويج وأجيب بأن هذا التخصيص بالواهبة لا فائدة فيه فإن أزواجه كلهن خالصات له، وما ذكرناه (يتبين)[٣] للتخصيص فائدة.

فصل

اختلفوا في التي وهبت نفسها لرسول الله ـ ﷺ ـ هل كانت عنده امرأة منهن فقال عبد الله بن عباس ومجاهد: لم يكن عند النبي ـ ﷺ ـ امرأة وهبت نفسها منه ولم يكن عنده امرأة إلا بعقد نكاح أو ملك يمين[٤]، وقوله: «وَهَبَتْ نَفْسَهَا» على طريق الشرط والجزاء، وقيل: بل كانت موهوبة واختلفوا فيها، فقال الشعبي: هي زينب بنت خزيمة الهلالية[٥] يقال لها: أم المساكين[٦]، وقال قتادة[٧]: هي ميمونة بنت الحارث[٨]، وقال علي بن الحسين والضحاك ومقاتل[٩]: أمّ شريك بنت جابر من بني أسد[١٠]، وقال عروة بن الزبير[١١]: هي خولة بنت حكيم من بني[١٢] سُلَيْم.

قوله: «قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا» أوجبنا على المؤمنين «فِي أَزْوَاجِهِمْ» من الأحكام أن لا يتزوجوا أكثر من أربع ولا يتزوجوا إلا بولي وشهود ومهر «وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ» أي ما أوجبنا من الأحكام في ملك اليمين، وإنما ذكر هذا لئلا يحمل واحدٌ من المؤمنين نفسه على ما كان النبي عليه السلام فإن له في النكاح خصائصَ ليست لغيره، وكذلك في السَّرَارِي.

قوله: «لِكَيْلاَ» يتعلق «بخالصة»[١٣] وما بينهما اعتراض و «مِنْ دُونِ» متعلق «بخالصة» كما تقول: خَلَص[١٤] مِنْ كَذَا.

---

(١) انظر: معالم التنزيل ٥/ ٢٦٨ وتفسير الخازن ٥/ ٢٦٨.
(٢) المرجعان السابقان. (٣) زيادة للسياق.
(٤) القرطبي ١٤/ ٢٠٨. (٥) السابق.
(٦) لكثرة إطعامها المساكين، انظر: أسد الغابة ٤٦٦/ ٥.
(٧) السابق. (٨) ماتت سنة ٤٩ هـ، أعلام النساء ٥/ ١٣٨ و ١٣٩.
(٩) البغوي ٥/ ٢٦٨ والقرطبي ١٤/ ٢٠٩.
(١٠) الأنصارية واسمها غزية أو غزيلة. انظر: القرطبي السابق وأسد الغابة ٥/ ٥٩٤.
(١١) معالم التنزيل للبغوي ٥/ ٢٦٨.
(١٢) لها خمسة عشر حديثاً وروى عنها عمر بن عبد العزيز وعُرْوَةُ، انظر: خلاصة الكمال ٤٩٠.
(١٣) هذا قول الزمخشري في الكشاف ٣/ ٢٦٩ والسمين في الدر ٤/ ٣٩٨.
(١٤) المرجع الأخير السابق وقد جعل أبو البقاء وابن الأنباري ومكي «أحللنا» هو المتعلق «لكيلا». انظر: التبيان ١٠٥٩ والبيان ٢/ ٢٧١ ومشكل الإعراب ٢/ ١٩٩.

فصل

قال المفسرون: هذا يرجع إلى أول الآية أي أحللنا لك أزواجَك وما ملكت يمينك والموهوبة «لكيلا يكون عليك حرج» «وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً» يغفر الذنوب جميعاً ويرحم العبيد.

قوله: «تُرْجِي» أي تؤخر[١] «مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ» أي تضم[٢] إِلَيْكَ «مَنْ تَشَاءُ» واختلف المفسرون في معنى الآية فأشهر الأقاويل أنه في القسم بينهن وذلك أن التسوية بينهن في القسم كان واجباً عليه، فلما نزلت هذه الآية سقط عنه وصار الاختيار إليه فيهن. قال أبو رزين[٣] وابنُ زيد نزلت هذه الآية حين غار بعض أمهات المؤمنين على النبي ـ ﷺ ـ وطلب بعضهن زيادة النفقة وهجرهن النبي ـ ﷺ ـ شهراً حتى نزلت آية التخيير فأمره الله ـ عز وجل ـ أن يُخَيرَهُن بين الدنيا والآخرة وأن يخلي سبيل من اختارت الدنيا، ويمسك من اختارت الله ورسوله والدار الآخرة على أنهن أمهات المؤمنين فلا يُنكحن أبداً وعلى أنه يؤوي إليه من يشاء منهن ويرجي من يشاء فيرضين به قَسَم لهن أو لم يقسم أو قسم لبعض دون بعض أو فضل بعضهن على بعض في النفقة والقسمة فيكون الأمر في ذلك إليه يفعل كيف يشاء وكان ذلك من خصائصه فرضين بذلك واخترنه على هذا الشرط[٤] وذلك لأن النبي[٥] عليه الصلاة والسلام بالنسبة إلى أمته نسبة السّيد المطاع والرجل وإن لم يكن نبياً فالزوجة في ملك نكاحه والنكاح عليها فكيف زوجات النبي بالنسبة إليه فإذن هن كالمملوكات له ولا يجب القسم بين المملوكات. والإرجاء التأخير والإيواء الضم، واختلفوا في أنه هل أخرج أحداً منهن عن القسم فقيل: لم يخرج أحداً بل كان رسول[٦] الله ـ ﷺ ـ مع ما جعل الله من ذلك يسوي بينهن في القسم إلا سَوْدَةَ[٧] فإنها رَضِيَتْ بترك حقها من القَسْم وجعلت نوبتها لعائشةَ، وقيل: أَخْرَجَ بعضهن[٨]، روى جرير[٩] عن منصور[١٠] عن أبي رَزِين قال: لما نزلت آية التخيير أَشفقْنَ أَنْ يُطَلِّقَهُنَّ،

---

(١) و (٢) انظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/١٣٩.

(٣) أبو رزين: مسعود بن مالك ويقال: ابن عبد الله أبو رزين الكوفي وردت عنه الرواية في حروف القرآن روى عن ابن مسعود وعليّ والأعمش، انظر: غاية النهاية ٢/٢٩٦ وانظر أسباب النزول في القرطبي ١٤/٢١٥ وتفسير البغوي المسمى بمعالم التنزيل ٥/٢٦٩.

(٤) المرجع الأخير السابق.

(٥) قاله الفخر الرازي في تفسيره ٢٥/٢٢١.

(٦) قاله ابن الجوزي في زاد المسير ٦/٤٠٨.

(٧) هي سَوْدَةُ بنتُ زَمْعَةَ روى لها أبو داود والنسائي ماتت سنة ٥٤ هـ. انظر: أعلام النساء ٢/٢٦٩.

(٨) المرجع السابق.

(٩) هو جرير بن حازم الأزدي أبو النضر أحد الأعلام عن الحسن وابن سيرين وطاوس، وابن أبي مليكة وعنه أيوب، وابن عون وابنه وهب بن جرير مات سنة ١٧٠ هـ. وانظر: خلاصة الكمال ٦١.

(١٠) منصور بن المعتمر السلمي أبو عتاب الكوفي أحد الأعلام المشاهير عن إبراهيم، وأبي وائل وعنه: =

فقلن يا رسول الله: اجعل لنا من نفسك ومالك ما شئتَ ودَعْنَا على حالنا فنزلت هذه الآية فأرجأ رسول الله ـ ﷺ ـ بعضهن وآوى إليه بعضهن فكان ممن آوى عائشةُ وحفصةُ وزينبُ وأمُّ سلمة وكان يقسم بينهن سواءً، وأرجأ منهن خمساً: أمَّ حبيبة[١]، وميمونَة، وسودةَ، وصفيةَ[٢]، وجُوَيْرِية[٣] فكان يقسِمُ لهن ما شاء[٤]. وقال مجاهد: ترجي من تشاء منهن يعني تعزل من تشاء منهنّ بغير طلاق وترد إليك من تشاء بعد العزل بلا تجديد عقد[٥]، وقال ابن عباس: تطلق من تشاء منهن وتُمْسك من تشاء[٦] وقال الحسن: تترك نكاح من شئت وتنكح من شئت من تشاء من أمتك[٧] وقال: كان النبي ـ ﷺ ـ إذا خَطب امرأة لم يكن لغيره خِطْبَتُهَا حتى يتركها رسول الله[٨] ـ ﷺ ـ وقيل: تَقْبَلُ من تشاء من المؤمنات اللاتي يهبن أنفسهن لك فتؤويها إليك وتَتْرُكُ من تشاء فلا تقبلها[٩]، روى هشامٌ عن أبيه قال: كانت خَوْلَةُ بنتُ حَكِيم من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي ـ ﷺ ـ فقالت عائشة: أما تستحيي المرأة أنت تَهَب نفسَها للرجل فلما نزلت «تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ» قالت: يا رسول الله: ما أرى ربُّكَ إلاّ يُسارع في هَوَاكَ[١٠].

قوله: «وَمَن ابْتَغَيْتَ» يجوز في «من» وجهان:

أحدهما: أنها شرطية في محل نصب بما بعدها وقوله: «فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكَ» جوابها، والمعنى من طلبتها من النسوة اللاتي عزلتهن فليس عَليك في ذلك جناح[١١].

والثاني: أن تكون مبتدأة، والعائد محذوف[١٢] وعلى هذا فيجوز في «مَنْ» أن تكون «موصولة» وأنْ تكون شرطية، و «فلا جناح عليك» خبر، أو جواب أي التي ابتغيتها. ولا بد حينئذ من ضمير راجع إلى اسم الشرط من الجواب أي في ابتغائها وطلبها[١٣]، وقيل: في الكلام حذف معطوف تقديره: ومن ابتغيتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ وممن لم

= أيوب وشعبة، متقن لا يخلط ولا يدلس ثقة ثبت له ألفا حديث مات سنة ١٣٢ هـ انظر: خلاصة الكمال ٣٨٨.

(١) بنت أبي سفيان كانت تحت عبد الله بن جحش وهلك بأرض الحبشة فتزوجها رسول الله، انظر: المعارف لابن قتيبة ١٣٦.

(٢) بنت حيي بن أخطب الخَيْبريَّة لها أحاديث ماتت سنة ٥٠ هـ، انظر: خلاصة الكمال ٤٩٣.

(٣) بنت الحارث المصطلقية لها أحاديث في البخاري ومسلم ماتت سنة ٥٦ هـ انظر أعلام النساء ١/ ٢٢٧.

(٤) القرطبي ١٤/ ٢١٥.

(٥) انظر: تفسير ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٤٠٧.

(٦) السابق.

(٧) السابق.

(٨) انظر: تفسير البغوي ٥/ ٢٦٩.

(٩) وهو قول الشعبي وعكرمة انظر: زاد المسير المرجع السابق ومعالم التنزيل للبغوي ٥/ ٢٦٩.

(١٠) المرجع الأخير السابق وانظر القرطبي ١٤/ ٢١٥.

(١١) قاله أبو البقاء في التبيان ١٠٥٩ والسمين في الدر ٤/ ٣٩٨.

(١٢) المرجعان السابقان.

(١٣) المرجع الأخير السابق.

تعزل سواء، لا جناح عليك كما تقول: «مَنْ لَقِيَكَ ممَّن لَمْ يَلْقكَ جميعُهم لَكَ شَاكرٌ» يريد من لقيك ومن لم يلقك وهذا فيه إلغاز[(١)].

قوله: «ذَلِكَ» أي التفويض إلى مشيئتك «أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ» أي أقرب إلى قرة أعينهن، والعامة «تَقَرَّ» مبنياً للفاعل مسنداً «لأعينهن» وابن مُحَيْصِن «تُقرّ» من «أقر» ـ رباعياً ـ وفاعله ضمير المخاطب[(٢)] (و)[(٣)] «أعْيُنَهُنَّ»، نصب على المفعول به وقرىء «تُقَرّ» مبنياً للمفعول[(٤)] (و) «أَعْيُنُهُنَّ» رفع لقيامه مقام الفاعل وتقدم معنى «قرة العين»[(٥)] في مريم.

قوله: «كُلُّهن» العامة على رفعه توكيداً لفاعل «يَرْضَيْنَ»، وأبو إياس[(٦)] بالنصب توكيداً لمفعول «آتَيْتَهُنَّ»[(٧)].

فصل

قال المفسرونَ لا جناح عليك لا إثم عليك، أباحَ له ترك القَسْم لهن حتى إنه ليُرْجِي من يشاء في نوبتها ويَطَأ من يشاء منهن في غير نوبتها ويرد إلى فراشه من عزلها تفضيلاً له على سائر الرجال «ذلك أدنى أن تقر أعينهنّ وَلاَ يَحْزَنَّ» أي ذلك التخيير الذي خيرتك في صحبتهن أقرب إلى رضاهن وأطيب لأنفسهن وأقل لحزنهن إذا علمن أن ذلك من الله عز وجل، «وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ» أعطيتهن من تقريب وإرجاء وعزل وإيواء «واللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ» من أمر النساء والميل إلى بعضهن «وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً» أي إن أضمرت خلاف ما أظهرت فالله يعلم ضمائر القلوب فإنه عليم وإن لم يعاقبْهن[(٨)] في الحال فلا يغترِرن[(٩)]، فإنه حليم لا يعجل.

قوله: «لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ» قرأ أبو عمرو «لا تَحِلُّ» بالتأنيث اعتباراً باللفظ والباقون

---

(١) السابق والبحر المحيط ٧/٢٤٣ وقد رجح أبو حيان الرأيين السابقين الجائزين في «من» فقد قال: «ويجوز أن يكون ذلك توكيداً لما قبله أي ومن ابتغيت ممن عزلت (ومن لم تعزل) سواء لا جناح عليك...» ثم قال: «والراجح القول الأول».

(٢) قراءة من القراءات الشاذة فوق العشرة المتواترة فقد ذكرت في الإتحاف ٣٥٦ وانظر: البحر ٧/٢٤٣ وهي في الكشاف بلا نسبة الكشاف ٣/٢٦٩. وقد نسبها ابن خالويه في المختصر له ص ١٢٠.

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

(٤) لم تعز في كل من البحر ٧/٢٤٣ والكشاف ٣/٢٦٩ والجامع لأحكام القرآن ١٤/٢١٦.

(٥) قرت عينه تقر: بردت وانقطع بكاؤها واستحرارها بالدمع اللسان: «ق ر ر» ٣٥٨٠.

(٦) هو جؤبة بن عائذ كما ذكره ابن جني في المحتسب.

(٧) من القراءات الشاذة وقد ذكرها ابن جني في المحتسب ٢/١٨٢ و ١٨٣ وابن خالويه في المختصر ١٢٠، وقد قال ابن جني: «فالمعنيان إذاً واحد، إلا أن الرفع أقوى معنى، وذلك أن فيه إصراحاً من اللفظ بأن يرضين كلهن».

(٨) في «ب» يعاتبهن.

(٩) وفيها يغترون بإسناد الفعل إلى واو الجماعة.

بالياء لأنه جنس والمفصل أيضاً[١]، وقوله «مِنْ بَعْدُ» أي من (بعد)[٢] اللائي نصصنا لك على إحْلالَهِنَّ كما تقدم[٣]، وقيل: من بعد إباحة النساء المسلمات دون الكِتَابِيَّات[٤].

فصل

قال المفسرون: من بعد أي من بعدهن. قال ابن الخطيب: والأولى أن يقال لا تحل لك النساء من بعد اختيارهن الله ورسوله ورضاهن بما تؤتيهن من الوصل والهجران[٥]، وقال ابن عباس وقتادة: من بعد هؤلاء التسعة[٦] خيرتهن فاخترنَك، وذلك أن النبي ـ ﷺ ـ لما خيرهن فاخْترن الله ورسوله شكر الله لهن، وحُرِّمَ عليه النساء سواهن ونهاه عن تطليقهن وعن الاستبدال بهن، واختلفوا في أنه هل أبيح له النساء من بعد، قالت عائشة: ما مات رسول الله ـ ﷺ ـ حتى أحل له النساء. وقال أنس: مات على التحريم، وقال عكرمة: معنى الآية لا تحل لك النساء إلا اللاتي أحللنَا لك أزواجَك، الآية ثم قال: لا تحل لك النساء من بعد اللاتي أحللنا لك بالصفة التي تقدم[٧] ذكرها. وقيل لأبي بن كعب: لو مات نساء النبي ـ ﷺ ـ كان يحل له أن يتزوج، قال: (و)[٨] ما يمنعه من ذلك؟ قيل: قوله عز وجل: ﴿**لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ**﴾ قال: إنما أَحَلَّ اللَّهُ ضَرْباً من النساء فقال: «يأيها النبي إنَّا أحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ» قال: «لا يَحِلُّ لك النساء من بعد» (و)[٩] قال أبو صالح: أمر أن لا يتزوج أعرابية ولا غريبة ويتزوج من نساء قومه من بنات العم والعمة والخال والخالة إن شاء ثلاثمائة. وقال مجاهد: معناه لا تحل لك اليَهُودِيَّاتُ بعد المسلمات[١٠] «وَلاَ أَنْ تَبَدَّلَ» بالمسلمات غيرهن من اليهود والنصارى يقول: لا تكون أم المؤمنين يهودية ولا نصرانية «إِلاَّ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ» أحلَّ له ما ملكت يمينه من الكتابيات أن يَتَسرى بهنَّ؛ وروي عن الضحاك معنى «وَلاَ أَنْ تبَدَّل بِهِنَّ» ولا أن تبدل بأزواجك اللاتي هن في حبالك أزواجاً غيرهن بأن تطلق فتنكح غيرهن فحرم عليه طلاق النساء اللواتي كن عنده وجعلهن أمهات المؤمنين وحرمهن على غيره حين[١١] اخترنه، فأما نكاح غيرهن فلم يمنع عنه[١٢]. وقال ابن زيد في قوله: «وَلاَ أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ

---

(١) الإتحاف للبناء ٣٥٦، والسبعة لابن مجاهد ٥٢٣ وحجة ابن خالويه ٢٩١ والتيسير في القراءات ١٧٩ والنشر ٢/ ٣٤٩ وقد قال فيه: «فقرأ البصريان بالتاء على التأنيث» والدر المصون ٤/ ٣٩٩.

(٢) ما بين القوسين ساقط من «أ» وزيادة من «ب».

(٣) يشير إلى الآية ٥٠ من نفس السورة.

(٤) هذا قول مجاهد وغيره وانظر: بحر أبي حيان ٧/ ٢٤٣ و ٢٤٤.

(٥) انظر: تفسيره ٢٥/ ٢٢٢.

(٦) في «ب» التسع وهو الصواب نحوياً وانظر: زاد المسير ٦/ ٤٠٩.

(٧) انظر هذه الأقوال في تفسير البغوي ٥/ ٢٧٠.

(٨) و (٩) زيادتان عن «أ» و «ب». (١٠) ذكره الإمام أبو الفرج ابن الجوزي في تفسيره زاد المسير ٦/ ٤١٠.

(١١) في «ب» إذ. (١٢) المرجع السابق.

مِنْ أَزْوَاجٍ» كانت العرب في الجاهلية يتبادلونَ بأزواجهم يقول[١] الرجل: بادِلْنِي بامرأتك وأبادِلْك بامْرأتي، تنزل لي عن امرأتك وانزل لك عن امرأتي[٢]، فأنزل الله ـ عز وجل ـ «ولاَ أَنْ تَبَدَّل بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ» يعني تبادل بأزواجك غيرك بأن تعطيه زوجتك وتأخذ زوجته «إلاَّ مَا ملَكَتْ يَمينُكَ» لاَ بأس أن تبادل بجاريتك ما شئت، فأما الحَرَائِرُ فلا، روى عطاء بن[٣] يَسَارٍ عن أبي هُرَيْرَةَ قال: دخل عُيَيْنَةُ بن حصن على النبي ـ ﷺ ـ بغير إذن وعنده عائشة فقال النبي ـ ﷺ ـ يا عيينة أين الاستئذانُ؟ قال يا رسول الله: ما استأذنت على رجل من مضر منذ أدركت، ثم قال: مَنْ هذه الحميراء التي[٤] جنبك؟ فقال: هذه عائشة أم المؤمنين فقال عيينة: أفلا أنزل لك عن أحسن الخلق[٥]؟ فقال رسول الله ـ ﷺ ـ إن الله قد حرم ذلك فلما خرج قالت عائشة: من هذا يا رسول الله؟ قال: هذا أحمق مُطَاع وإنه على ما تَرَيْن لسيدُ قومه. قوله: «وَلَوْ أَعْجَبَكَ» كقوله: «أَعْطُوا السَّائِلَ وَلَوْ على فَرَسٍ» أي في كل حال ولو على هذه الحال المنافية قال الزمخشري[٦]: قوله «حسنهن» في معنى الحال.

فصل

معنى «ولو أعجبك حسنهن» أي ليس لك أن تطلق أحداً من نسائك وتنكح بدلها أخرى ولو أعجبك جمالها. قال ابن عباس[٧] يعني أسماء بنت عميْس الخَثْعَمِيَّة[٨] امرأة جعفر بن أبي طالب فلما استشهد جعفر أراد رسول الله ـ ﷺ ـ أن يَخْطِبَها فنهي عن ذلك. وقال بعض المفسرين[٩] ظاهر هذا ناسخ لما كان قد ثبت له عليه (الصلاة[١٠] و) السلام من أنه إذا رأى واحدة فوقعت في قلبه مَوْقِعاً كانت تحرم على الزوج ويجب عليه طلاقها. وهذه مسألة حكمية وهي أن النبي عليه (الصلاة و[١١]) السلام وسائر الأنبياء[١٢] في أول النبوة يشتد عليهم برحاء الوحي ثم يستأنسون به فينزل عليهم وهم متحدِّثون[١٣]

---

(١) في «ب» يقول الرجل للرجل.

(٢) وهو نفس رأي أبي هريرة رضي الله عنه، انظر: المرجع السابق ومعالم التنزيل للبغوي ٥/ ٢٧١ وتفسير الخازن ٥/ ٢٧١.

(٣) المرجعان السابقان الأخيران.

(٤) في «ب» إلى جنبك وكذلك في المرجعين الأخيرين.

(٥) وفيهما: وتنزل لي عن هذه.

(٦) قال في الكشاف ٣/ ٢٧١: ولو أعجبك في موضع الحال من الفاعل وهو الضمير في «تَبَدَّلَ» لا من المفعول الذي هو «من أزواج» لأنه موغِل في التنكير وتقديره: «مفروضاً إعجابك بهن».

(٧) معالم التنزيل للبغوي ٥/ ٢٧١.

(٨) هي الخثعمية من المهاجرات الأول وأخت ميمونة لأمها لها ستون حديثاً، انظر: الخلاصة ٤٨٨ وفي «ب» الحنفية وهو تحريف.

(٩) وهو الفخر الرازي.

(١٠) و (١١) زيادتان من «ب».

(١٢) انظر: التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي ٢٥/ ٢٢٢.

(١٣) في الفخر: «يتحدثون».

مع أصحابهم لا يمنعهم من ذلك مانع، ففي أول الأمر أحل الله من وقع في قلبه تفريغاً لقلبه، وتوسعاً لصدره لئلا يكون مشغول القلب بغير الله، ثم لما استأنس بالوحي نسخ ذلك إما لقوله عليه (الصلاة[١] و) السلام الجمع بين الأمرين، وإما لأنه بدوام الإنزال لم يبق له مألوفٌ من أمور الدنيا فلم يبق له التفات إلى غير الله فلم يبق له حاجة إلى إخلاء[٢] المتزوّج بمن وقع بصره عليها.

قوله: «إلاَّ مَا مَلَكَتْ» فيه أوجه:

أحدها: أنه مستثنى من النساء فيجوز فيه وجهان: النصب على أصل الاستثناء والرفع على البدل وهو المختار[٣]، والثالث: أنه مستثنى من «أزواج» قاله أبو البقاء[٤]، فيجوز أن يكون في موضع نصب على أصل الاستثناء، وأن يكون في موضع جر بدلاً مِن «هُنَّ» (على[٥]) اللفظ، وأن يكون في موضع نصب بدلاً مِن «هُنَّ» على المحل[٦]، وقال ابن عطية إن كانت (ما[٧]) مصدرية فهي في موضع نصب لأنه من غير الجنس[٨] وليس بجيد؛ لأنه قال بعد ذلك[٩] والتقدير: إلا ملك اليمين، و «ملك» بمعنى مملوك انتهى. وإذا كان بمعنى مملوك صار من الجنس وإذا صار من الجنس لم يكن منقطعاً على أنه على تقدير انقطاعه لا يتحتم نصبه، بل يجوز عند تميم الرفْعُ بدلاً والنصب على الأصل كالمتصل بشرط صحة توجه العامل إليه[١٠] كما تقدم تحقيقه[١١]، وهذا يمكن توجه العامل إليه، ولكن اللغة المشهورة لغةُ الحِجَاز وهو لزوم النصب في المنقطع مطلقاً، كما ذكره أبو محمد آنفاً[١٢].

فصل

قال ابن عباس ملك بعد هؤلاء مَارِيَة[١٣]، و«وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيباً» حافظاً عالماً بكل شيء قادراً عليه، وفي الآية دليل على جواز النظر إلى من يريد نكاحها من

---

(١) زيادة من «ب» على «أ» والفخر. (٢) في تفسير الفخر: «إحلال التزوج».
(٣) ذكره ابن الأنباري في البيان ٢/ ٢٧٢ ومشكل الإعراب لمكي ٢/ ٢٠٠ وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٢٢ والتبيان ١٠٥٩.
(٤) التبيان المرجع السابق ١٠٦٠. (٥) ما بين المعقوفين ساقط من «ب».
(٦) هذا شرح لعبارة أبي البقاء قاله السمين في الدر المصون ٤/ ٣٩٩.
(٧) سقطت من «ب». (٨) نقله عنه أبو حيان في بحره ٧/ ٢٤٥.
(٩) هذا هو اعتراض أبي حيان عليه في البحر ٧/ ٢٤٥.
(١٠) بقية معنى كلام أبي حيان في البحر ٧/ ٢٤٥ على ابن عطية.
(١١) لعله يقصد قول الله ـ عز وجل ـ: ﴿**فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ**﴾ وهي الآية «٩٨» من نفس السورة «يونس».
(١٢) وأبو محمد هنا هو ابن عطية فتلك كنيته. (١٣) زاد المسير ٦/ ٤١٠.

النساء، روي عن جابر قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ «إِذَا خَطَبَ أَحَدُكُمُ المَرْأَةَ فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَا يَدْعُوهُ إِلَى نِكَاحِها فَلْيَفْعَلْ»[١].

قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ
طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ
إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ
مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟
رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾
إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ
أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ
وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ
فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ بِغَيْرِ مَا
ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ
ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا
﴿٥٩﴾ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ
بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا
﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ
عَنِ ٱلسَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ
ٱلْكَـٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ
وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا
وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ ﴾

قوله تعالى: **﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾** الآية قال أكثر المفسرين: نزلت هذه الآية في شأن[٢] وليمة زينبَ حين بنى بها رسول الله ـ ﷺ ـ لما روى ابن شِهَابٍ[٣] قال: أخبرني أنسُ بنُ مالك أنه كان ابن عَشْرِ سنينَ فقدِم رسول الله ـ ﷺ ـ

---

(١) ذكره الخازن والبغوي في تفسيرهما ٥/ ٢٧١.

(٢) في «ب» بيان.

(٣) المرجعان السابقان.

المدينةَ قال: فكانت أم هانىء تواظبُني على خدمةِ النبي ـ ﷺ ـ فخدمته عَشْرَ سنينَ وتوفي وأنا ابن عشرينَ فكنت أعلمَ الناس بشأن الحِجاب حين أنزل وكان أول ما أنزل في مُبْتَنى رَسُولِ الله ـ ﷺ ـ بزينبَ بنتِ جحشٍ أصبح النبي ـ ﷺ ـ بها عروساً فدعا القوم وأصابوا من الطّعام ثم خرجوا وبَقِيَ رَهْطٌ منهم عند النبي ـ ﷺ ـ فأطالوا المُكْثَ فقام النبي ـ ﷺ ـ وخرج وخرجت معه لكي يخرجوا فمشى النبي ـ ﷺ ـ فمشيت حتى جاء عتبة حُجْرَة عائشةَ ثم ظن أنهم قد خرجوا فرجَع فرَجَعْتُ معهم حتى إذا دخل على زينب فإذا هم جلوس لم يخرجوا فرجَع النبي ـ ﷺ ـ ورجعت معه حتى إذا بلغ عتبة حجرة عائشة فظن أنهم قد خرجوا فرَجَع ورجعت معه فإذا هم قد خرجوا فضرب النبي ـ ﷺ ـ بيني وبينه بالسِّتر ـ فأنزل الله الحجاب[١]، (و) قال أبو عثمان واسمه الجَعْد[٢] عن أنس (قال) فدخل ـ يعني رسول الله ـ ﷺ ـ البيت وأرخى الستر وإني لفي الحجرة وهو يقول: «يَأَيُّهَا الَّذين آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيوتَ النَّبِيِّ إلاّ أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ» إلى قوله: «وَاللَّهُ لاَ يَسْتَحيي من الحَقِّ»[٣] وروي عن ابن عباس أنها نزلت في ناسٍ من المسلمين كانوا يتحيَّنون طعام رسول الله ـ ﷺ ـ فيدخلون عليه قبل الطعام إلى أن يدرك ثم يأكلون ولا يخرجون وكان رسول الله ـ ﷺ ـ يتأذَّى بهم فنزلت الآية **﴿يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي﴾**[٤]. وروى ابنُ شِهابٍ عن عروة عن عائشة أن أزواج[٥] النبي ـ ﷺ ـ كُنَّ يَخْرُجْنَ باللَّيْلِ إذَا تَبَرَّزْنَ إِلَى المَنَاصِعِ[٦] وهو صَعِيدٌ[٧] أَفْيَحُ فكان عمر يقول للنبي ـ ﷺ ـ احجبْ نِسَاءَكَ فلم يكن رسولُ الله يفعل فخرجت سَوْدَةُ بنتُ زمعة زوج النبي ـ ﷺ ـ ليلةً من الليالي عشاءً وكانت امرأة طويلة فناداها عمر: قد عرفناك يا سَوْدَةُ حرصاً على أن تنزل آيةُ الحجاب فأنزل الله الحجاب، وعن أنس قال[٨]: قال عمر: وافَقَنِي ربي في ثلاثة، قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فأنزل الله: **﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾** [البقرة: ١٢٥]، وقلت يا رسول الله: إنه يدخل عليك البرُّ والفاجر فلو أمرت أمهات

---

(١) نقله القرطبي في الجامع مع تغيير في بعض الألفاظ ١٤/ ٢٢٤.

(٢) الجعد بن دينار اليَشْكُريّ أبو عثمان البصري الصَّيْرَفيّ صاحب الحلى عن أَنس، وأبي رجاءٍ وعنه الحمادان وثقه ابن معين انظر: الخلاصة ٦٢.

(٣) انظر: معالم التنزيل للبغوي ٥/ ٢٧٢.

(٤) زاد المسير ٦/ ٤١٣.

(٥) تفسير الخازن ٥/ ٢٧٢ وانظر: المرجع السابق ٥/ ٢٧٣.

(٦) قال ابن منظور في اللسان: والمَنَاصِعُ المواضع التي يُتَخَلّى فيها لبول أو غائط أو حاجة الواحد «منْصَع» لأنه يبرز إليها ويظهر وفي حديث الإفك: «كَانَ مُتَبَرَّز النساءِ في المدينة قبل أن تسوى الكنف في الدور المناصعُ» اللسان: «ن ص ع» ٤٤٤٣.

(٧) وقد ورد حديث عن ذلك: «أن المناصع صعيد أفيح خارج المدينة» المرجع السابق.

(٨) القرطبي ١٤/ ٢٢٤.

المؤمنين بالحِجاب فأنزل الله آية الحجاب قال: بلغني ما آذين[١] رسول الله ـ ﷺ ـ نساؤه قال: فدخلت عليهن فجعلت استقربهن واحدة واحدة قلت: والله لَتَنْتَبِهْنَ أوْ لَيُبَدِّلَنَّه الله أزواجاً خَيْراً منْكُنَّ حت أتيت على زينب فقالت: يا عُمَرُ: ما كان في رسول الله ـ ﷺ ـ ما يعظ نساءه حتى تَعِظَهُنَّ أنت قال: فخرجت فأنزل الله: **﴿عَسَى رَبُّهُ إنْ طَلَّقَكُنَّ أنْ يُبْدِلَهُ أزْوَاجاً خَيْراً مِنْكُنَّ﴾**[٢] الآية.

قوله: «إلاَّ أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ» فيه أوجه:

أحدها: أنها في موضع نصب على الحال تقديره إلاَّ مَصْحُوبِينَ بالإذن[٣].

الثاني: أنها على إسقاط باء السبب تقديره: «إلا بِسبِب الإذن لكم» كقوله «فَأَخْرَجَ بِهِ»[٤] أي بسببه[٥].

الثالث: أنه منصوب على الظرف قال الزمخشري: «إلاَّ أَنْ يُؤْذَنَ» في معنى الظرف تقديره: إلا وقت أن يؤذن لكم و «غَيْرَ نَاظِرِينَ» حال من «لاَ تَدْخُلُوا» وقع الاستثناء على الحال والوقت معاً كأنه قيل: لا تدخلوا بيوت النبي إلا وَقْتَ الإذْنِ ولا تدخلوا إلاَّ غَيْرَ ناظرين إناه[٦]، ورد أبو حيان[٧] الأول بأن النحاة نصوا على أن «أن» المصدرية لا تقع مَوْقِعَ الظرف، لا يجوز: «آتِيكَ أَنْ يَصِيحَ الدِّيكُ» وإن جاز ذلك في المصدر الصريح نحو: «آتِيكَ صِيَاحَ الدِّيكَ»، ورد الثاني بأنه لا يقع بعد «إلا» في الاستثناء إلا المستثنى أو المستثنى منه أو صفته ولا يجوز فيما عَدَا هذا عند الجمهور[٨]، وأجاز ذلك الكسائي والأخفش أجازا «مَا قَامَ القَوْمُ إلاَّ يَوْمَ الجُمُعَةِ ضَاحِكِينَ»[٩] و «إلَى طَعَام» متعلق بـ «يُؤْذَن» لأنه بمعنى إلاَّ أنْ يَدْعُو إلى طعام[١٠]، وقرأ العامة غَيْرَ ناظرين ـ بالنصب على الحال ـ كما تقدم، فعند الزمخشري ومن تابعه العامل فيه «يُؤْذَنَ» وعند غيرهم العامل فيه مقدر تقديره ادخلوا غير ناظرين[١١]، وقرأ

---

(١) في تفسير البغوي «بعض ما آذى».

(٢) انظر المرجع السابق وقد قال الإمام القرطبي عن هذا الرأي: «هذا واهٍ لا يقوم على ساق». انظر: الجامع ١٤/ ٢٢٤.

(٣) قاله أبو البقاء قال: «أي لا تدخلوا إلا مأذوناً لكم» التبيان ١٠٦٠ وانظر: السمين في الدر ٤/ ٤٠٠.

(٤) بعض آية من البقرة ٢٢ **﴿فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ﴾**.

(٥) وهذا رأي أبي إسحاق الزجاج في معاني القرآن ٤/ ٢٣٤ والنحاس في إعراب القرآن ٤/ ٣٢٢ وأبي حيان في البحر ٧/ ٢٤٦.

(٦) الكشاف ٣/ ٢٧٠.

(٧) مع تصرف في عبارته انظر: البحر المحيط ٧/ ٢٤٦.

(٨) انظر الهمع ١/ ٢٠٤.

(٩) انظر الهمع ١/ ٢٣٠.

(١٠) التبيان ١٠٦٠.

(١١) هو قول ابن الأنباري في البيان ٢/ ٢٧٢ وإن كان قد قال: غير منصوب على الحال من الواو في «لا تدخلوا» الظاهر.

ابن أبي عبلة «غَيْرِ» بالجر[(١)] صفة لطعام واستضعفها الناس من أجل عدم بروز الضمير لجَرَيَانه على غير مَنْ هو له فكان من حقه أن يقال: غَيْرَ ناظرين إناه أنتم، وهذا رأي البصريين[(٢)]، والكوفيونَ يجيزون ذلك إن لم يُلْبِسْ كهذه[(٣)] الآية، وقد تقدمت هذه المسألة وفروعها وما قيل فيها، وهل[(٤)] هذا مختص بالاسم أو يجري في الفعل خلاف مشهور قلّ من يَضْبِطُهُ[(٥)].

قوله: «إِنَاهُ» قرأ العامة «إِنَاهُ» مفرداً أي نضجه، يُقَالُ: أَنَى الطَّعَامُ إِنًى، نحوُ: قَلاَهُ قِلًى، أي غير منتظرين إِدْرَاكَهُ وَوَقْتَ نُضْجِهِ[(٦)] ويقال: أَنَى الحميمُ[(٧)] إذا انتهى حَرُّهُ، وأَنَى أَنْ يَفْعَلَ[(٨)] كَذَا أي حان إِنَى بكسر الهمزة مقصورةً؛ وقرأ الأعمش «آناءه» جمعاً على أَفْعَالٍ[(٩)]، فأبدلت الهمزة الثانية ألفاً والياء همزة لتطرفها بعد ألف زائدة فصار في اللفظ «كآنَاء» من قوله: «وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ» وإن كان المعنى مختلفاً، قال البَغَوِيُّ: إذا فتحت[(١٠)] الهمزة مَدَدْتَ فقلت: الآناء وفيه لغتان أَنَى يأْنِي، وآنَ يَئِينُ مثل: حَانَ يَحِين.

قوله: وَلَكِنْ إذَا دُعيتم فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ» أكلتم «فَانْتَشِرُوا» تفرقوا واخرجوا من منزله.

فصل

قال ابن الخطيب قوله: «إِلاَّ أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلى طَعَام» إما أن يكون فيه تقديم وتأخير تقديره «وَلاَ تَدْخُلُوا إلى طعام إلاَّ أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ» فلا يكون منعاً من الدخول في غير وقت

---

(١) انظر: البحر المحيط ٧/ ٢٤٦ والكشاف ٣/ ٢٧٠ والبيان ٢/ ٢٧٢ وهي من الشواذ غير المتواترة.

(٢) كابن الأنباري انظر: المرجع السابق والمرجعين السابقين له.

(٣) وممن أجاز ذلك الفراء في معانيه ٢/ ٣٤٧.

(٤) في «ب» وقيل: وهو تحريف.

(٥) عند الآية ٤ من سورة «الشعراء» وهي قوله: «إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعناقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ».

(٦) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة ٣٥٢ ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ١٤٠ والقرطبي ١٤/ ٢٢٦ والبحر المحيط ٧/ ٢٤٦ والإنصاف ٥٧ و ٥٨ واللسان: «خ ض ع».

(٧) معالم التنزيل للبغوي ٥/ ٢٧٢ و ٢٧٣.

(٨) انظر: المجاز ٢/ ١٤٠ فقد قال: ويقال: أنى لك أن تفعل يَأْنِي أَنْياً، والاسم: إِنَى، وأَنَى أبلغ. وانظر أيضاً اللِّسانَ (أني) ص ١٦٠ و ١٦١.

(٩) لم أجدها منسوبة إليه إلا في البحر ٧/ ٢٤٦ وانظر شواذ القرآن ١٩٥ فقد نسبها إليه أيضاً وزاد بالجرِّ يعني بالقراءة هذه قراءة الهمز.

(١٠) انظر: معالم التنزيل للبغوي ٥/ ٢٧٢.

الطعام بغير الإذن وإما أن لا يكون فيه تقديم وتأخير فيكون معنى[(١)]: ولا تدخلوا إلا أن يؤذن لكم إلى طعام فيكون الإذن مشروطاً بكونه إلى طعام فإن لم يؤذن إلى طعام فلا يجوز الدخول فلو أذن لواحد في الدخول لاستماع كلام لا لأكل طعام لا يجوز[(٢)] فنقول المراد هو الثاني ليعم النهي عن الدّخول، وأما كونه[(٣)] لا يجوز إلا بإذن[(٤)] إلى طعام فلما تقدم في سبب النزول أن الخطاب مع قوم كانوا يَتَحَيَّنُونَ حين الطعام ويدخلون من غير إذن فمنعوا من الدخول في وقتهم[(٥)] بغير إذن، والأولى أن يقال المراد هو الثاني لأن التقديمَ والتأخيرَ خلافُ الأصل. وقوله: «إلى طعام» من باب التخصيص بالذكر فلا يدل على نفي ما عداه لا سيما إذا علم أن غيره مثله فإن من جازَ دخول بيته بإذنه إلى طعامه، جاز دخوله إلى غير طعامه[(٦)] فإن غير الطعام يمكن وجوده مع الطعام فإن من الجائز أن يتكلم معه وقت ما يدعوه إلى الطعام ويَسْتَعِينُه[(٧)] في حوائجه ويعلمه مما عنده من العلوم مع زيادة الطعام[(٨)] فإن رضي بالكل فرضاه بالبعض أقرب إلى العقل[(٩)] فيصير من باب: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ [الإسراء: ٢٣] وقوله: «غَيْرَ نَاظِرِينِ إِنَاهُ»[(١٠)] أي لا تنتظروا وقت الطعام فإنه ربما لا يَتَهَيَّأ[(١١)].

فصل

لا يشترط في الإذن التصريح به بل إذا حصل العلم بالرضا جاز الدخول ولهذا قال: «إِلاَّ أَنْ يُؤْذَنَ» من غير بيان فاعل فالآذن إن كان الله أو النبي أو العقل المؤيد بالدليل جاز والنقل دال عليه حيث قال: ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ [النور: ٦١] فلو جاء الرجل وعلم أنْ لا مانع في البيت من يكشف أو بحضور[(١٢)] غير محرم أو علم خلو الدار من الأهل[(١٣)] وهي محتاجة إلى إطفاء حريق فيها أو غير ذلك جاز الدخول وفي معنى البيت موضع مباح[(١٤)] اختاره شخص لعبادته أو اشتغاله بشغل فيأتيه أحد ويطيل المكث عنده[(١٥)].

قوله: «وَلاَ مُسْتَأْنِسِينَ» يجوز أن يكون منصوباً عطفاً على «غَيْر» أي لا

(١) في «ب» والرازي «معناه» بالضمير.
(٢) في تفسير الفخر: «نقول» بدون الفاء.
(٣) وفيه: «وأما قوله فلا يجوز».
(٤) وفيه: إلا بالإذن الذي إلى طعام.
(٥) وفيه «في وقته».
(٦) وفيه «طعامه بإذنه».
(٧) في «ب» والفخر: «وَيَسْتَقْصِيهِ».
(٨) وفيه: «إلا طَعام».
(٩) في الفخر: «الفعل».
(١٠) سقطت من الفخر.
(١١) انظر في هذا كله تفسير ابن الخطيب الفخر الرازي ٢٥/ ٢٢٤.
(١٢) في «ب» حضور.
(١٣) في «ب» الأصل.
(١٤) في «ب» بيت بدل من «مباح».
(١٥) انظر: تفسير الرازي ٢٥/ ٢٢٤ و ٢٢٥.

تدخلوها غَيْرَ ناظِرِينَ ولا مُسْتَأْنسين[١] والمعنى ولا طالبين الأُنْسَ لِلْحَديث، وكانوا يجلسون بعد الطعام يتحدثون طويلاً فَنُهُوا عن ذلك.

قوله: «لِحَدِيثٍ» يحتمل أن تكون لام العلة أي مستأنسين لأجل أن يحدث بعضكم بعضاً وأن تكون المقوية للعامل لأنه فرع أي ولا مستأنسين حديثَ أَهْل البَيْت أو غيرهم[٢].

قوله: «إنَّ ذَلكُمْ» أي إن انتظارَكم واستئناسَكم فأشير إليهما إشارة الواحد كقوله: ﴿عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَۖ﴾ [البقرة: ٦٨] أي إن المذكور.

قوله: «فيستحيي منكم» قرىء «لا يَسْتَحِي» بياء واحدة، والأخرى محذوفة، واختلف فيها هل هي الأولى أو الثانية وتقدم ذلك في البقرة، وأنها رواية عن ابن كثير وهي لغة تميم يقولون اسْتَحَى يَسْتَحِي مثل: اسْتَقَى يستقي[٣].

قوله: «واللَّهُ لاَ يستحيي مِنَ الحَقِّ» أن لا يترك تأديبكم وهذا إشارة إلى أنّ ذلك حق وأدب، ثم ذكر أدباً آخر فقال: «وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ» أي من وراء سِتْر، فبعد آية الحجاب لم يكن لأحد أن ينظر إلى امرأةٍ من نساء رسول الله ـ ﷺ ـ مُنْتقِبة كانت أو غير مُنْتَقِبة «ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنّ» من الريب لأن العين روزنة[٤] القلب فإذا لم تر العين لا يشتهي القلب، فأما وإن رأت العين فقد يشتهي القلب وقد لا يشتهي، فالقلب عند عدم الرؤية أطهر وعدم الفتنة حينئذ أظهر[٥].

قوله: «وَلاَ أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً» نزلت في[٦] رجلٍ من أصحاب النبي ـ ﷺ ـ قال: لئن قُبِضَ رسول الله ـ ﷺ ـ لأنكحن عائشةَ. قال مقاتل بن سليمان: هو طلحة ابن عُبَيْد الله[٧] فأخبر اللَّه عز وجل ـ أن ذلك مُحَرَّم وقال: «إنّ ذَلِكُمْ كَانَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيماً». وروى مَعْمَرٌ عن الزهري أن العالية بنتَ ظبيان التي طلق النبي ـ ﷺ ـ تزوجت رجلاً وولدت له وذلك قبل تحريم أزواج النبي ـ ﷺ ـ على الناس[٨].

---

(١) هذا قول أبي البقاء في التبيان ١٠٦١ والسمين في الدر ٤/ ٤٠١.

(٢) انظر: البحر ٧/ ٢٤٧ والدر ٤/ ٤٠١. والمقوية التي تقوي اسم الفاعل في طلبه المفعول حيث إنَّ اسم الفاعل فرع عن الفعل في العمل.

(٣) يشير بآية البقرة إلى قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحيي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً ما بَعُوضَةً﴾ وهي الآية «٢٦» منها.

(٤) قال في اللسان: «والرَّوْزَنَةُ: الكوة، وفي المحكم: الخَرْق في أعلى السقف، التهذيب: يقال للكوة النافذة الروزن قال: وأحسبه مُعرَّباً» اللسان «رزن» ١٦٣٩.

(٥) تفسير الرازي ٢٥/ ٢٢٥.

(٦) ذكره السيوطي بالتفصيل في أسباب النزول ١٤٣ والقرطبي ١٤/ ٢٢٨ وزاد المسير ٦/ ٤١٦.

(٧) المراجع السابقة.

(٨) ذكره البغوي في معالم التنزيل ٥/ ٢٧٣.

قوله: ﴿إِنْ تُبْدُوا شَيْئاً أَوْ تُخْفُوه﴾ الآية نزلت[١] فيمن أضمر نِكَاحَ عائشةَ بعد رسول الله ـ ﷺ ـ وقيل: قال رجل من الصحابة ما بالنا نمنع الدخول على بنات أعمامنا فنزلت هذه الآية[٢]، ولما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأقارب ونحن أيضاً نكلمهن من وراء حجاب فأنزل الله ـ عز وجل ـ ﴿لاَ جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلاَ إِخْوَانِهِنَّ وَلاَ أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلاَ أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ﴾ أي لا إثم عليهنّ في ترك الاحتجاب عن هؤلاء[٣] «وَلاَ نِسَائِهِنَّ» قيل: أراد به نساء المُسْلمات حتى لا يجوز للكتابيات الدخول عليهن[٤].

وقيل: هو عام في المسلمات والكتابيات[٥] وإنَّمَا قال: «وَلاَ نِسَائِهِنَّ» لأنهن من أجناسهن، وقدم الآباء لأن اطلاعهم على بناتهم أكثر، وكيف وهم رأوا جميع بدن البنات في حال صغرهن ثم الأبناء ثم الإخوة وذلك ظاهر، إنما الكلام في بني الإخوة حيث قدمهم الله عليه على بنات[٦] الأخواتِ لأن بني الأخوات آباؤهم ليس المحارم خالات[٧] أبنائهم وبني الإخوة آباؤهم محارم أيضاً، ففي بني الأخوات مفسدة ما وهي أن الابن ربما يحكي خالته عند أبيه وهو ليس بمحرم ولا كذلك بنو الإخوة. فإن قيل: لم يذكر الله تعالى من المحارم الأعمام والأخوال ولم يقل: ولا أعمامهن ولا أخوالهن؟.

فالجواب من وجهين:

أحدهما: أن ذلك معلوم من بني الإخوة وبني الأخوات لأن من علم أن بني الأخ للعمّات محارم علم أن بنات الأخ عند آبائهم وهم غير محارم وكذلك الحال في ابن[٨] الخال.

قوله: «وَلاَ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ» ذكر هذا بعد الكل، فإن المفسدة في التكشف لهم ظاهرة[٩]، واختلفوا في عبد المرأة هل يكون محرماً لها فقيل يكون لها لقوله: «وَلاَ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ»، وقيل: المراد من كان دون البلوغ[١٠].

قوله: «واتَّقِينَ» عطف على محذوف أي امْتَثِلْنَ ما أُمِرْتُن بِهِ واتَّقِينَ اللَّهَ[١١] أن يراكنّ غير هؤلاء[١٢]، وقوله: «إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً» في غاية الحسن في هذا

---

(١) و (٢) المرجع السابق وانظر: تفسير الخازن ٥/ ٢٧٣ المسمى لباب التنزيل.
(٣) زاد المسير ٦/ ٤١٧. (٤) و (٥) الخازن والبغوي ٥/ ٢٧٣.
(٦) في «ب» وتفسير الفخر الرازي: «بني الأخوات».
(٧) في تفسير الفخر: «إنّما هُمْ أزواج خالات أبنائهم».
(٨) في «ب» والرازي: «أمر الخال».
(٩) وانظر هذا كله في التفسير الكبير للفخر الرازي ٢٥/ ٢٢٦.
(١٠) ذكره الخازن في لباب التأويل والبغوي في معالم التنزيل ٥/ ٢٧٤ وابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٤١٨.
(١١) قاله السمين في الدر ٤/ ٤٠٦. (١٢) قاله البغوي في معالم التنزيل ٥/ ٢٧٤.

الموضع لأن ما سبق إشارة إلى جواز الخلوة بهم والتكشف لهم فقال إن الله شاهد عند اختلاء بعضكم ببعض فخلوتكم مثل ملئكم بشهادة الله تعالى فاتقوا(١) الله فإنه شهيد على أعمال العباد.

قوله: «إِنَّ الله وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ» العامة على نصب «الملائكة» نَسَقاً على اسم «إن» و «يُصَلُّونَ» هل هو خبر عن «اللَّه وملائكته» أو عن «الملائكة» فقط، وخبر الجلالة محذوف لتغاير الصلاتين خلاف(٢). وقرأ ابن عباس وُرَويت(٣) عن أبي عمرو: وَمَلاَئِكَتُهُ رفعاً(٤) فيحتمل أنْ يكون عطفاً على محل اسم «إِنَّ» عند بعضهم(٥)، وأن يكون مبتدأ والخبر محذوف وهو مذهب البصريين(٦)، وقد تقدم فيه بحث نحو: زَيْدٌ ضَارِبٌ وعَمْرٌو أي ضَارِبٌ فِي الأَرْض.

فصل

لما أمر(٧) بالاستئذان وعدم النظر إلى نسائه احتراماً له كمل بيان حرمته وذلك أن حالاته منحصرة في حالتين حالة خلوة فذكر ما يدل على احترامه في تلك الحالة بقوله: «لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ» وحالة بكونه في ملأ والملأ إما الملأ الأعلى وإما الملأ الأدنى أما احترامه في الملأ الأعلى فإن الله وملائكته يصلون عليه، وأما احترامه في الملأ الأدنى فقوله: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾.

فصل

قال ابن عباس: أراد أنّ الله يرحم النبي والملائكة يدعون له، وعن ابن عباس

---

(١) قاله الفخر الرازي ٢٥/٢٢٧.

(٢) تقدم عند قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ ومَلاَئِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ من الآية ٤٣ من نفس السورة.

(٣) هو محمد بن المتوكل أبو عبد الله اللؤلؤي رُوَيْس المقرىء، قرأ على يعقوب الحَضْرميّ تصدر للإقراء قرأ عليه محمد بن هارون التمار وأبو عبد الله الزبيري مات بالبصرة سنة ٢٣٨ هـ، انظر: معرفة القراء الكبار للذهبي ١/٢١٦ وغاية النهاية ٢/٢٣٤ و ٢٣٥.

(٤) لم ترد هذه القراءة مروية عن أبي عمرو في السبع أو العشر المتواترة كما لم ترد عن طريق الأربع الشواذ فوق العشرة وعلى ذلك فهي غير متواترة انظر: مختصر ابن خالويه ١٢٠ والكشاف ٣/٢٧٢.

(٥) وهو ما يسمى بالعطف على المحل وهو القسم الثاني من أقسام العطف وقوله «عند بعضهم» أي بعض البصريين لأن للعطف على المحل شروطاً ثلاثة معروفة من بينها وجوب المُحْرِز ـ أي الطالب لذلك المحل والطالب لرفع لفظ الجلالة ـ وهو الله ـ هو الابتداء والابتداء هو التجرد والتجرد قد زال بدخول «إنَّ» ولكن الكوفيين أجازوا تلك المسألة وشبيهتها لأنهم لم يشترطوا المُحْرز، ولأن «أن» لم تعمل عندهم في الخبر شيئاً بل هو مرفوع بما كان مرفوعاً به قبل دخولها.

(٦) لأنهم يشترطون في العطف على المحل وجود المحرز كما قلت.

(٧) تفسير الرازي ٢٥/٢٢٧.

أيضاً: يصلون يزكون، وقيل: الصلاة من الله الرحمة، ومن الملائكة الاستغفار[١]. وقال أبو العالية: صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة وصلاة الملائكة الدعاء[٢]، روى عبد الرحمن بنُ أَبي لَيْلَى قال: لَقِيَنِي كَعْب بن عُجْرَةَ فقال: ألا أُهْدِي لك هديّة سمعتُها من رسول الله ـ ﷺ ـ فقلت بلى فأهدها إليَّ قال: قلنا يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم فكيف نصلي عليك؟ قال: «قولوا اللّهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبْرَاهيم إنك حميد مجيد»[٣] وروى أبو حُمَيْد السَّاعِدِيّ أنهم قالوا يا رسول الله: كيف نصلي عليك؟ فقال رسول الله ـ ﷺ ـ قولوا: اللَّهم صلِّ على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد[٤]. وروى ابن مسعود قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِي يَوْمَ القِيَامَةِ أَكْثَرهُمْ عَلَيَّ صَلاةً»[٥]. وروى أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْراً»[٦]، وروى عبد الله بن أبي طلحة عن أبيه عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه جاء ذات يوم والبِشْرُ في وجهه فقال: «إنِّي جَاءَنِي جبريلُ فقال: أَمَا يُرْضِيكَ يا محمد أن لا يُصَلِّي عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ إلاَّ صَلَّيْتُ عَلَيْهِ عَشْراً وَلاَ يُسَلِّمُ عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ إلاَّ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ عَشْراً»[٧] وروى عامر بن ربيعة[٨] أنه سمع النبي ـ ﷺ ـ يقول «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاَةً صَلَّت المَلاَئِكَةُ عَلَيْهِ مَا صَلَّى عَلَيَّ فليقلّ العَبْدُ مِنْ ذَلِكَ أَوْ لِيُكْثِرْ»[٩] وروى عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إنَّ لِلَّه مَلاَئِكَةً سَيَّاحِينَ في الأَرْضِ يُبَلِّغُونَ عَنْ أُمَّتِي السَّلاَمَ»[١٠].

فصل

دلت الآية على وجوب[١١] الصلاة على النبي ـ ﷺ ـ لأن الأمر للوجوب ولا تجب

---

(١) معالم التنزيل للبغوي ٥/ ٢٧٤. (٢) زاد المسير ٦/ ٣٩٨.

(٣) السابق.

(٤) رواه البخاري ٣/ ١٧٨ والإمام مالك في الموطأ باب السفر برقم ٦٦ ومسند الإمام أحمد ١/ ٦٣ و ٣/ ٤٧ و ٤/ ١١٨ و ٢٤١ و ٢٤٣ و ٢٤٤ و ٥/ ٢٧٤ و ٢٧٤ و ٤٢٤.

(٥) الحديث في الترمذي ١/ ٣٢ الوتر «باب ما جاء في فضل الصلاة على النبي».

(٦) نقله البغوي في معالم التنزيل ٥/ ٢٧٥ والجامع في أحكام القرآن للقرطبي ١٤/ ٢٣٥.

(٧) المرجعان السابقان القرطبي ١٤/ ٢٣٧ والبغوي ٥/ ٢٧٥ وانظر الخازن ٥/ ٢٧٥ وفي القرطبي «والبُشْرَى في وجهه» بدل «البِشْر».

(٨) ابن كعب بن مالك العنزي أسلم قديماً، وهاجر إلى الحبشة، وإلى المدينة وشهد بدراً والمشاهد له اثنان وعشرون حديثاً مات سنة ٣٣ هـ انظر: خلاصة الكمال ٨٤.

(٩) البغوي ٥/ ٢٧٥. (١٠) القرطبي ١٤/ ٢٢٧.

(١١) وهو قول محمد بن المواز، وابن العربي والدارقطني فيما ذكر القرطبي، والذي عليه الجم الغفير والجمهور الكثير أن ذلك من سنن الصلاة ومستحباتها كالإمام مالك وسفيان الثوري وأهل المدينة وأهل الكوفة.

في غير التشهد فتجب في التشهد وكذلك قوله: «وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً» أمر فيجب السلام ولم يجب في غير الصلاة فيجب فيها وهو قولنا في التشهد: السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ، وذكر في السلام المصدر للتأكيد، ولم يُؤكد الصلاة لأنها كانت مؤكدة بقوله: «إن الله وملائكته يصلون على النبي».

فإن قيل: إذا صلى الله وملائكته عليه فأي حاجة به إلى صلاتنا؟.

فالجواب: أن الصلاة عليه ليس لحاجة[١] إليها وإلا فلا حاجة إلى صلاة الملائكة مع صلاة الله عليه، وإنما هو إظهاره وتعظيمه (كما أن الله تعالى)[٢] وجب علينا ذكر نفسه ولا حاجة له إليه وإنما هو لإظهاره وتعظيمه منا شفقة علينا ليثيبنا عليه ولهذا قال عليه (الصلاة[٣] و) السلام: «ومن صلى علي واحدة صلى الله عليه عشراً».

قوله (تعالى[٤]): ﴿إِنَّ[٥] الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ﴾ فيه أوجه أي يقولون فيه ما صورته أذى وإن كان تعالى لا يلحقه ضرر ذلك. حيث وصفوه بما لا يليق بجلاله من اتخاذ الأنداد ونسبة الولد والزوجة[٦] إليه، قال ابن عباس هم اليهود والنصارى والمشركون[٧]، قال عليه (الصلاة[٨] و) السلام يقول الله تعالى: «شَتَمَنِي عَبْدِي يَقُولُ اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً وَأَنَا الأَحَدُ الصَّمَدُ لَمْ أَلِدْ وَلَم أولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لِي كفواً أَحَدٌ»[٩]، وقال عليه (الصلاة[١٠] و) السلام قال الله تعالى: يُؤذِيني ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهرَ وأَنَا الدَّهرُ بِيدِي الأَمْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ والنَّهَارَ[١١]، وقيل: يؤذون الله: يلحدون في أسمائه وصفاته[١٢]، وقال عكرمة: هم أصحاب التصاوير[١٣]، روى أبو هريرة قال: سمعت النبي ـ ﷺ ـ يقول: «قال الله تعالى: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ يَخْلُقُ كَخَلْقِي فليخلقوا ذَرَّةً أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً أَوْ شَعِيرَةً»[١٤]

---

(١) في تفسير الفخر الرازي «لحاجته إليها». (٢) ما بين القوسين ساقط من «ب».
(٣) سقط من «ب». (٤) سقط من «ب».
(٥) انظر: تفسير الفخر الرازي ٢٥/٢٢٨. (٦) في «ب» والزوجية بياء النسبة.
(٧) ذكر هذا المعنى البغوي والخازن عنه بدون سند انظر تفسيريهما ٥/ ٢٧٥ وزاد المسير لابن الجوزي ٦/ ٤٤٠، ومعنى آذى الله: وصفه بما هو منزه عنه وعصيانه ولعنهم بالدنيا: بالقتل والجلاء وفي الآخرة بالنار.
(٨) زيادة من «ب».
(٩) أورده البغوي والخازن في تفسيريهما مروياً عن أبي هريرة رضي الله عنه ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ ورواه البخاري بصيغة كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك.
(١٠) زيادة من «ب».
(١١) الحديث أورده البخاري مروياً عن أبي هريرة ٣/ ١٨٧ وكذلك أورده مسلم في صحيحه باب الألفاظ وفي مسند الإمام أحمد ٣/٢٣٨ و ٣٧٢.
(١٢) نقله البغوي في تفسيره ٥/٢٧٦. (١٣) المرجع السابق وانظر: القرطبي ١٤/٢٣٨.
(١٤) في صحيح البخاري ٤/ ٤٤ باب اللباس وانظر: مسند الإمام أحمد ٢/ ٢٣٢ و ٢٥٩ و ٣٩١ و ٤٥١ و ٥٢٧.

ويحتمل أن يكون على حذف مضاف أي أولياء الله كقوله: ﴿وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] أي أهل القرية[١] قال عليه (الصلاة[٢] و) السلام: قال الله تعالى: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ». وقال: «مَنْ أَهَانَ لِي وَلِيًّا فَقَدْ بَارَزَنِي بِالمُحَارَبَةِ»[٣]. ومعنى الأذى هو مخالفة أمر الله وارتكاب معاصيه وذكره على ما يتعارفه الناس بينهم والله عز وجل منزه عن أن يلحقه أذى من أحد، وقال بعضهم أتى بالجلالة تعظيماً، والمراد يؤذون رسولي كقوله: ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠] وأما إيذاء الرسول فقال ابن عباس: هو أنه شُجَّ في وجهه وكُسِرت رُبَاعِيَتُه، وقيل: ساحر شاعر معلم مجنون[٤]، ثم قال: «لَعَنَهُم الله في الدنيا والآخرة» واللعن الطرد، وهذا إشارة إلى بعد لا رجاء للقرب معه، لأن البعيد في الدنيا يرجو القرب في الآخرة فإذا خاب في الآخرة فقد خاب وخسر. ثم إنه تعالى لم يحصر جزاءه في الإبعاد بل أوعده بالعذاب المهين فقال: «وَأَعَدَّ لَهُمْ» وهذا يفيد التأكيد؛ لأن السيد إذا عذب عبده حالة الغضب من غير إعداد يكون دون ما أعد له قيداً وغلاً[٥].

قوله: «والَّذِينَ يُؤْذُونَ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا» أي من غير ما عملوا ما أوجب أذاهم، وقال مجاهد: يقعون فيهم ويرمونهم بغير كلام[٦]، وقيل: إن من جُلِدَ مائة على شرب الخمر أو حُدَّ أربعين على لعب النَّرْد فقد أوذي بغير ما اكتسب[٧].

قوله: «فَقَدِ احْتَمَلُوا» خبر «والذين» ودخلت الفاء لشبه الموصول بالشرط[٨].

وقوله: «بُهْتَاناً وإِثْماً مُبِيناً» قال مقاتل[٩]: نزلت في علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ كانوا يؤذونه ويسمعونه[١٠] وقيل: نزلت في شأن عائشة، وقال الضحاك والكلبي: نزلت في الزّناة (الذين)[١١] كانوا يتمشون في طريق المدينة يتبعون النساء إذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن فيغمزون المرأة فإن سكتت اتبعوها وإن زجرتهم انتهوا عنها ولم يكونوا

---

(١) هذا هو الوجه الثاني في معنى قوله: «إنَّ اللَّهَ» فقوله: «ويحتمل أن يكون على حذف مضاف» معطوف على قوله «أي يقولون فيه ما صورته أذى وإن كان تعالى لا يلحقه ضرر ذلك» وانظر: البحر المحيط لأبي حيان ٧/ ٢٤٩، والدر المصون ٤/ ٤٠٢ والكشاف ٣/ ٢٧٣ و ٢٧٤.

(٢) سقط من «أ».

(٣) ذكر الأول البخاري في صحيحه باب الرقاق وانظر الاثنين في الخازن والبغوي بدون سند ٥/ ٢٧٦.

(٤) زاد المسير ٦/ ٤٢٠ والبغوي والخازن ٥/ ٢٧٦.

(٥) قاله الفخر الرازي في تفسيره ٢٥/ ٢٢٨.

(٦) أو جرم قاله الخازن والبغوي في المرجعين السابقين.

(٧) هذا هو رأي الفخر ٢٥/ ٢٢٨ و ٢٢٩.

(٨) في أن الشرط يجيء جوابه بالفاء فإنها لا تأتي إلا إذا كان الجواب جملة اسمية أو جملة فعلية فعلها طلبي أو جملة فعلية مصدرة بالسين وسوف أو بقد كما هنا، وانظر: الدر المصون للسمين الحلبي ٤/ ٤٠٢.

(٩) تفسير الخازن والبغوي ٥/ ٢٧٦. (١٠) في تفسير البغوي: «ويشتمونه».

(١١) سقطت من «ب».

يطلبون إلا الإماء ولكن كانوا لا يعرفون الحرة من الأَمَةِ؛ لأن زي الكل كان واحداً يخرجن في دِرْع وخمار الحرة والأمة فشكَوا ذلك إلى أزواجهن فذكروا ذلك لرسول الله ـ ﷺ ـ فنزلت[١] هذه الآية: ﴿والَّذِينَ يُؤْذُونَ المُؤْمِنِينَ والمُؤمِنَاتِ﴾ الآية، ثم نهى الحرائر أن يتشبهن بالإماء فقال ـ عز وجل ـ: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ المُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلاَبِيبِهِنَّ﴾.

فإن قيل: البهتان[٢] هو الزور، وهو لا يكون إلا في القول، والإيذاء قد يكون بغير القول، فمن آذى مؤمناً بالضرب أو أخذ ماله لا يكون قد احتمل[٣] بهتاناً؟.

فالجواب: أن المراد: والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بالقول لأن الله تعالى أراد إظهار شرف المؤمنين لأنه لما ذكر أن من آذى الله ورسوله لعن، وإيذاء الله أن ينكر وجوده أو يشرك به من لا يبصر لا يسمع وذلك قول فذكر إيذاء المؤمنين بالقول وعلى هذا خص إيذاء القول بالذكر لأنه أعم؛ لأنه الإنسان لا يقدر أن يؤذي الله بما يؤلمه من ضرب أو أخذ مال ويؤذيه بالقول وكذا الغائب لا يمكن إيذاؤه بالفعل ويمكن إيذاؤه بالقول بأن يقول فيه ما يصل إليه فيتأذى، ووجه آخر في الجواب بأن يقال: قوله بعد ذلك: وإثْماً مُبِيناً، كأنه استدرك فكان قوله احتمل بهتاناً إن كان بالقول، وَإِثْماً مبيناً ما كان الإيذاء[٤].

قوله: «يُدْنِينَ» كقوله «قُلْ لِعِبَادِي يُقِيمُوا[٥]» و «مِنْ» للتَّبْعِيض، و «الجَلاَبِيبُ» جمع «الجِلْبَاب» وهو المَلاَءَةُ التي تشتمل بها المرأة فوق الدرع والخمار، قال ابن عباس و(أبو)[٦] عبيدة من نساء المؤمنين أن يغطين رؤوسهن ووجوههنّ بالجلابيب إلا عيناً واحدة ليعلم أنهن حرائر[٧]. وقوله: «ذَلِكَ أَدْنَى» أي إدناء الجلابيب أَقْرَبُ إلى عِرْفَانِهِنَّ[٨] أي أدنى أن يعرفن أنهن حرائر[٩] «فَلاَ يُؤْذَيْنَ» لا يتعرض لهن، ويمكن أن يقال: المراد يعرفن أنهن لا يَزْنِينَ لأن من تستر وجهها مع أنه ليس بعورة لا يطمع فيها أنها تكشف عورتها فيُعْرَفْنَ أنهنَّ مستوراتٌ لا يمكن طلب الزنا منهن[١٠]. «وَكَانَ اللَّه

---

(١) المرجعان السابقان.
(٢) انظر: تفسير الإمام فخر الدين الرازي ٢٥/ ٢٢٩.
(٣) في «ب» فقد بزيادة الفاء.
(٤) انظر: تفسير الرازي ٢٥/ ٢٣٠.
(٥) في أنه خبر يراد به الأمر والآية ٣١. وقد خرج الأمر مَخْرَجَ الخبر إيماءً إلى جلل الأمر.
(٦) زيادة يقتضيها العرف فقد سقطت من كلتا النسختين.
(٧) انظر: معالم التنزيل للبغوي ٥/ ٢٧٦ و ٢٧٧.
(٨) قاله السمين في الدر ٤/ ٤٠٢.
(٩) فلا يتبعن وانظر: البغوي ٥/ ٢٧٧ والرازي ٢٥/ ٢٣٠.
(١٠) هذا رأي الإمام الفخر الرازي انظره فيما سبق.

غَفُوراً رَحِيماً» قال أنس: مرت بعمر بن الخطاب جارية مقنّعة فعلاها بالدرَّة، وقال: يا لَكَاعِ أتتشبّهين بالحَرَائِر أَلْقِي القِنَاعَ[١].

قوله: «لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ المُنَافِقُونَ والَّذينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» لما ذكر حال المشركين الذين يؤذون الله ورسوله والمجاهر الذي يؤذي المؤمنين ذكر حال المُسِرِّ الذي لا يظهر الحق ويظهر الباطل وهو المنافق ولما كان المذكور من قبلُ أقواماً ثلاثةً نظر إلى أمور ثلاثة وهم المُؤْذُونَ لله والمُؤْذُونَ للرسول، والمؤذون للمؤمنين ذكر للمسرين ثلاثة نظراً إلى اعتبار أمور ثلاثة:

أحدها: المنافق الذي يؤذي الله سرًّا.

والثاني: الذي في قلبه مرض وهو الذي يؤذي المؤمن باتباع نِسَائِهِ.

والثالث: المرجف الذي يؤذي النبي عليه (الصلاة[٢] و) السلام بالإرجاف بقوله: غُلِبَ محمد، وسيخرج من المدينة وسيؤخذ، وهؤلاء وإنْ كانوا قوماً واحداً إلاَّ أنَّ لهم ثلاث اعتبارات وهذا لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ المُسْلِمِينَ والمُسْلِمَاتِ وَالمُؤْمِنِينَ والمُؤْمِنَاتِ**﴾ حيث ذكر أصنافاً عشرة وكلهم يوجد في واحد بالشخص لكنه كثير الاعتبار[٣] فقال: «لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ المُنَافِقُونَ» أي عن نفاقهم «والَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» يعني الزناة، «والمرجفون بالمدينة» بالكذب وذلك أن ناساً منهم كانوا إذا خرجت سرايا رسول الله ـ ﷺ ـ يُوقِعُونَ في الناس أنهم قتلوا وهزموا ويقولون قد أتاكم العدو ونحوه، وقال الكلبي: كانوا يحبون أن تشيع الفاحشةُ في الذين آمنوا وَيفْشُو الأخبار[٤].

قوله: «لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ» أي لنُحَرِّشَنَّكَ[٥] ولَنُسَلِّطَنَّكَ عليهم لِتُخْرِجَهُمْ من المدينة «ثُمَّ لاَ يُجَاوِرُونَكَ فيها» لا يساكنونك فيها أي في المدينة «إلاَّ قَلِيلاً» حتى يخرجوا منها، وقيل: لنسلطنهم[٦] عليهم بقتلهم ونخرجهم من المدينة.

قوله: «الاَّ قَلِيلاً» أي إلاَّ زماناً قليلاً، أو إلا جوَاراً قليلاً، وقيل: «قليلاً» نصب على الحال من فاعل «يجاورونك» أي إلا أَقِلاَّءَ أَذِلاَّء بمعنى قَلِيلِينَ، وقيل: قليلاً منصوب على الاستثناء أي لا يجاورك إلا القليل منهم على أذل حال وأقله[٧].

قوله: «مَلْعُونِينَ» حال من فاعل «يُجَاوِرُونَكَ» قاله ابن عطية[٨]، والزمخشري[٩]

(١) تفسير الخازن والبغوي ٥/ ٢٧٧ وفي تفسير الخازن: «متنقبة» والبغوي فيه: «متقنعة».
(٢) زيادة من «ب» على «أ».
(٣) تفسير الرازي ٢٥/ ٢٣١.
(٤) قاله البغوي في معالم التنزيل ٥/ ٢٧٧.
(٥) قاله ابن قتيبة في غَريب القرآن ٣٥٢ وقد قال: «أي لَنُسَلِّطَنَّكَ عليهم ونولعنك بهم» وانظر: البغوي ٥/ ٢٧٧.
(٦) في البغوي لنسلطنك وهو الظاهر.
(٧) الدر المصون ٤/ ٤٠٣ والبحر المحيط ٧/ ٢٥١.
(٨) المرجع الأخير السابق.
(٩) الكشاف ٣/ ٢٧٤ و ٢٧٥.

وأبو البقاء[(١)]، قال ابن عطية لأنه بمعنى مُنتَفَوْنَ منها مَلْعُونينَ[(٢)]، وقال الزمخشري: دخل حرف الاستثناء على الحال والظرف معاً كما مر في قوله: «إِلاَّ أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرِ»[(٣)] وتقدم بحث أبي حيان معه، وهو عائد هنا[(٤)]، وجوز الزمخشري أن ينتصب على الشَّتْم[(٥)]؛ وجوز ابن عطية أن يكون بدلاً من[(٦)] «قليلاً» على أنه حال كما تقدم تقريره[(٧)]، ويجوز أن يكون «ملعونين» نعتاً، لـ «قليلاً» على أنه منصوب على الاستثناء من واو «يجاورونك» كما تقدم تقريره، أي لا يُجَاوِرُكَ مِنْهُمْ أَحَدٌ قَلِيلاً ملعوناً، ويجوز أن يكون منصوباً «بأُخِذُوا» الذي هو جواب الشرط، وهذا عند الكسائي والفراء فإنهما يجيزان تقدم معمول الجواب على أداة الشرط نحو: خَيْراً إِنْ تَأْتِنِي تُصِبْ، وقد منع الزمخشري من ذلك فقال: ولا يصح أن يَنْتَصِبَ «بأخذ» لأن ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها[(٨)]، وهذا منه مشي على الجَادَّةِ، وقوله ما بعد كلمة الشرط يشمل فعل الشرط والجواب، فأما الجواب فتقدم حكمه وأما الشرط فأجاز الكسائيّ أيضاً تقديم معموله على الأداة، نحو: «زَيْداً إِنْ تَضْرِبْ أُهِنْكَ»[(٩)] فتلخص في المسألة ثلاثة مذاهب المنع مطلقاً، الجواز مطلقاً، التفصيل يجوز تقديم معمولي الجواب، ولا يجوز تقديم معمولي الشرط وهو رأي الفراء.

قوله: «وَقُتِّلُوا» العامة على التشديد، وقرىء بالتخفيف[(١٠)]. وهذه يردها مجيء المصدر على التفعيل إلا أن يقال: جاء على غير مصدره[(١١)]، وقوله: «سُنَّةَ اللَّهِ» تقدم نظيرها.

---

(١) التبيان ١٠٦٠.

(٢) في البحر ٧/ ٢٥١ قال: ـ أي ابن عطية ـ «كأنه قال: ينتفون من المدينة ملعونين».

(٣) الكشاف ٣/ ٢٧٥.

(٤) فقد قال أبو حيان بأنه لا يقع بعد «إلا» في الاستثناء إلا المستثنى والمستثنى منه أو صفته ولا يجوز في ما عدا هذا عند الجمهور، وقد أجاز ذلك الكسائي والأخفش وأجازوا: ما قام القوم إلا يوم الجمعة ضاحكينَ وقد تعرضت لتلك القضية بالتفصيل عند الآية «٥٣» من تلك السورة.

(٥) الكشاف ٣/ ٢٧٤.

(٦) نقله عنه أبو حيان في بحره ٧/ ٢٥١.

(٧) وممن قال بحاليته أيضاً مكي في مشكل إعراب القرآن وقد أجاز النصب على الذم والشتم أيضاً كالزمخشري، انظر: المشكل ٢/ ٢٠٢ وقال بهذين القولين أيضاً ابن الأنباري في بيانه ٢/ ٢٧٢ و ٢٧٣.

(٨) انظر: الكشاف ٣/ ٢٧٥.

(٩) هذا انطباع من المؤلف يشبه انطباع أبي حيان والسمين في كل من البحر والدر وانظر: البحر ٧/ ٢٥١ والدر ٤/ ٤٠٣.

(١٠) نقل هذه القراءة أبو حيان في البحر ٧/ ٢٥١ وقد جعلها صاحب شواذ القرآن عربية ولم يثبتها قراءة انظر: الشواذ ١٩٥.

(١١) البحر المحيط ٧/ ٢٥١ والدر المصون ٤/ ٤٠٤.

قوله[١]: «مَلْعُونِينَ» مطرودين من باب الله وبابك، وإذا خرجوا لا يَنْفَكُّونَ عن الذلة ولا يجدون ملجأً بل أينما يكونون يؤخذون ويقتلون، وهذا ليس بِدْعاً بل هو سنة جارية وعادة مستمرة تفعل بالمكذبين «ولن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّه تَبْدِيلاً» أي ليست هذه السنة مثل الحكم الذي يتبدل وينسخ فإن النسخ يكون في الأقوال أما الأفعال إذا وقعت والأخبار لا تنسخ.

قوله: «يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ اللَّهِ» لما بين حالهم في الدنيا أنهم يُلْعَنُونَ ويُهَانُونَ ويُقْتَلُون أراد أن يبين حالهم في الآخرة، فذكرهم بالقيامة وما يكون لهم فيها فقال: «يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ» أي إن وقت القيامة علمه عند الله لا يبين لهم فإن الله أخفاها لحكمةٍ وهي امتناع المكلف عن الاجتراء وخوفهم منها في كل وقت.

قوله: «وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ» الظاهر أن «لعل» تعلق كما تعلق التمني و «قريباً» خبر كان على حذف موصوف أي شيئاً قريباً، وقيل: التقدير: قيام الساعة فروعيت «الساعة» في تأنيث «يكون» ورُوعِيَ المضاف المحذوف في تذكير «قريباً» وقيل: «قريباً» أكثر استعماله استعمال الظروف فهو هنا ظرف في موضع الخبر[٢]. وقال ابن الخَطِيب: فَعِيلٌ يستوي فيه المذكَّر والمؤنث قال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦] أي لعلَّ الساعةَ تكون قريبةً.

فصل

المعنى أي شيء يعلمك أمر الساعة ومتى يكون قيامها أي أنت لا تعرفه لعل الساعة تكون قريباً. وهذا إشارة إلى التخويف، ثم قال: «إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً» أي كما أنهم ملعونون في الدنيا عندكم فكذلك هم يلعنون عند الله وأعد لهم سعيراً كما قال: «لَعَنَهُم اللَّهُ فِي الدُّنْيا والآخِرَةِ، وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً» مطيلين المكث فيها مستمرين، وقوله «فِيهَا» أي في السعير لأنها مؤنثة، أو لأنه في معنى «جهنم»[٣] «وَلاَ يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيراً» حال ثانية[٤]، أو من «خَالِدِينَ» لا يجدون ولياً ولا نصيراً أي لا صديق يشفع لهم، ولا ناصر يدفع عنهم.

قوله: «يَوْمَ» معمول «لِخالدين»[٥] أو لمحذوف، أو «النصير» أو «لاذْكُرْ»، أو لِـ «يقولون» بعده[٦]، وقرأ العامة تُقَلَّبُ ـ مبنيًّا للمفعول (و) وُجُوهُهُمْ رفع على ما لم

---

(١) في «ب» فصل بدل «قوله». (٢) المرجعان السابقان.

(٣) الدر المصون ٤/ ٤٠٤.

(٤) وكانت الأولى هي قوله: «خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يَجِدُونَ ولِيًّا وَلاَ نَصِيراً»، وانظر المرجع السابق.

(٥) وهو قوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ الآية ٦٥ من السورة الحالية.

(٦) المرجع السابق وقد اقتصر أبو البقاء في التبيان على ثلاثة أوجه فقال في ١٠٦١ يجوز أن يكون ظرفاً لـ «لا يجدون» أو «نصيراً» أو «ليقولون».

يسم فاعله، وقرأ الحسن وعيسى والرؤاسي(١) ـ بفتح التاء ـ أي تَتَقَلَّب (و) وُجُوهُهُمْ فاعل به(٢)، وأبو حيوة نُقَلِّبُ بالنون أي نحن (و) وُجُوهَهُمْ بالنصب(٣). وعيسى(٤)(٥) تُقَلّب ـ بضم التاء وكسر اللام ـ أي تقلب السعيرُ أو الملائكةُ وُجُوهَهُمْ بالنصب على المفعول به «يَقُولُون» حال(٦) و «يَا لَيْتَنَا» مَحْكيّ.

قوله(٧): «تقلب وجوههم في النار» ظهراً لبطن كانوا يسحبون عليها يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولَ في الدنيا.

قوله: «سَادَتَنا» قرأ ابنُ عامر في آخرينَ بالجمع بالألف والتاء، قال البغوي على جَمْع الجَمْع(٨)، والباقون «سَادَتَنا» على أنه جمع تكسير غير مجموع بألف وتاء(٩)، ثم «سادة» يجوز أن يكون جمعاً لسيّد ولكن لا ينقاس لأن «فيْعلاً»(١٠) لا يجمع على «فَعَلَةٍ» وسادة فعلة، إذ الأصل سَوَدَةٌ، ويجوز أن يكون جمعاً لسائد نحو: فَاجِر وفَجَرَةٍ وكَافِر وكَفَرَةٍ، وهو أقرب إلى القياس مما قبله، وابن عامر جمع هذا ثانياً بالألف والتاء وهو غير مقيس أيضاً نحو: بُيُوتَات، وجَمَالاَتِ(١١).

فصل

لما بين أنه لا شفيع لهم يدفع عنهم العذاب بين أن بعض أعضائه أيضاً لا يدفع العذاب عن البعض بخلاف عذاب الدنيا فإن الإنسان يدفع عن وجهه الضربة اتِّقاءَ بيده فإن من يقصد رأسه ووجهه يجعل يده جُنَّة لوجهه ووقاية له يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول في الدنيا فيندمون حيث لا تنفعهم الندامة ثم يقولون «رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا» أي

(١) هو محمد بن الحسن الرؤاسي أبو جعفر كان من أكابر المدرسة الكوفية وله اختيار في القراءة ينسب إليه، توفي سنة ١٨٧ هـ انظر: غاية النهاية ٢/ ١١٦.

(٢) أورد هذه القراءة الفراء في معانيه ٢/ ٣٥٠ فقد قال: «ولو قرئت: «نُقَلِّب وتُقَلَّبُ» كانا وجهين» وانظر: مختصر ابن خالويه ١٢٠ والبحر المحيط ٧/ ٢٥٢ والكشاف ٣/ ٢٧٥ بدون نسبة فيه.

(٣) أوردها ابن خالويه في المختصر ١٢٠.

(٤) هو عيسى بن عمر الكوفي.

(٥) المحتسب ٢/ ١٨٤ والتبيان ١٠٦١.

(٦) من «الوجوه» ويضعف أن يكون حالاً من الضمير المجرور لأنه مضاف إليه انظر: التبيان ١٠٦١ والدر المصون ٤/ ٤٠٤.

(٧) في «ب» فصل بدل قوله.

(٨) انظر: معالم التنزيل له ٥/ ٢٧٧.

(٩) قراءة ابن عامر غير قراءة سبعية متواترة وانظر: الإتحاف ٣٥٦ والسبعة ٥٢٣ ومعاني القرآن للفراء ٢/ ٥٠ والقرطبي ١٤/ ٢٤٩.

(١٠) في «ب» (فعيل) وهو خطأ فالمقصود «فيعل» لأن سيد على وزن فيعل فالأصل سيْود.

(١١) قاله شهاب الدين السمين في الدر ٤/ ٤٠٥.

أطعنا السادة بدل طاعة الله وطاعة الرسول «فأَضَلُّونَا السَّبِيلاَ». «رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ العَذَابِ وَالعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً»[١] قرأ عاصم «كبيراً» ـ بالباء الموحدة ـ والباقون بالمثلثة وتقدم معناهما في البقرة[٢]، والمراد بضعفين من العذاب أي ضِعْفَيْ عَذَابِ غَيْرِهِمْ.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا ۚ وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿**يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَكُونُوا كالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى**﴾ الآية لما بين أن من يؤذي الله ورسوله يُلعن ويعذب، وكان ذلك إشارة إلى أن الإيذاء كفر أرشد المؤمنين إلى الامتناع من الإيذاء الذي هو دونه وهو لا يورث كفراً وهو من لم يرض بقسمة النبي عليه (الصلاة و) السلام وبحكمه (بالفَيْءِ لِبَعْض) فقال: لا تكونوا كالذين آذوا موسى قال بعضهم: إيذاؤهم لموسى بنسبة عيب في بَدَنِهِ، وقيل: إن قارون قال لامرأة: قولي إن موسى قد وقع في فاحشةٍ والإيذاء المذكور في القرآن كاف وهو قولهم: «اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ» وقولهم: «لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ» إلى غير ذلك فقال للمؤمنين: لا تكونوا أمثالهم إذا طلبكم الرسول للقتال لا تقولوا اذهب أنت وربك فقاتلا وإذا أمركم الرسول بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وقوله: «فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا» على الأول ظاهر لأنه أبرز جسمه لقومه فرأوه وعلموا فساد اعتقادهم ونطقت المرأة بالحق وأمر ملائكته حتى عبروا بهارون عليهم فرأوه غير مجروح فعلموا براءة موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ عن ما رموه به وعلى الثاني فبرأه الله مما قالوا أي أخرجه عن عهدة ما طلبوا بإعطائه البعض إياهم وإظهاره عدم جواز البعض وقطع حُجَجهم ثم ضرب عليهم الذِّلَّةُ والمسكنة وغضب عليهم[٣].

قوله: «عِنْد اللَّهِ» العامة على «عند» الظرفية المجازية، وابن مسعود والأعمش وأبو حَيْوة «عبداً» مِن[٤] العبودية «لله» جار ومجرور وهي حسنة قال ابن خالويه

---

(١) انظر: تفسير الإمام الفخر الرازي ٢٣٢ و ٢٣٣.

(٢) عند الآية: ﴿**قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا**﴾ وهي الآية ٢١٩.

(٣) الإمام الفخر الرازي ٢٥/ ٢٣٣.

(٤) المختصر لابن خالويه ١٢٠ والمحتسب ٢/ ١٨٥ والقرطبي ١٤/ ٢٥٠ والبحر ٧/ ٢٥٣.

صَلَّيْت[١] خلف ابن شُنْبُوذ[٢] في رمضان فسمعته يقرأ بقراءة ابن مسعود[٣] هذه قال شهاب الدين: وكان مولعاً بنَقْل الشاذة[٤]، ومَا في «مِمَّا قَالُوا» إمَّا مصدرية، وإما بمعنى الذي[٥]، و «وَجِيهاً» كريماً ذَا جاهٍ، يقال وَجُهَ الرَّجُلُ يَوْجهُ وَجَاهَة فَهُوَ وَجيهٌ إذا كَانَ ذَا جَاهٍ وقَدْرٍ[٦]. قال ابن عباس: كان حَظِيًّا عند الله لا يَسْأَلُ شيئاً إلاّ أعطاه وقال الحسن: كان مستجاب الدعوة، وقيل: كان محبباً مقبولاً[٧]، واختلفوا فيما أُوذِيَ به موسى فروى أَبُو هُرَيْرَةَ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إنّ موسى كان رجلاً حَيِياً سَتْراً لا يُرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ استحياء منه فَآذَاهُ مَنْ آذَاهُ من بني إسرائيل فقال: ما يستتر هذا التَّسَتُّر إلا من عيب بجلده إما بَرَص، وإما أدرة، وإمّا آفَةٍ، وإن اللَّهَ أراد أن يُبْرِئَهُ مما قالوا فخلا يوماً وحده فخلع فوضَع ثيابَهُ على حجر ثم اغْتَسَلَ فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها وإن الحجر غدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحَجَر فجعل يقولُ ثوبي حَجَرٌ، ثوبي حجر حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل فرأوه عُرْيَاناً أحْسَنَ ما خلق الله وَأَبْرَأَهُ مِمَّا يَقُولُونَ وقام الحجر فأخذ ثوبه واستتر وطفق بالحجر يضربه بعصاه فواللَّه إن بالحجر لَنَدْباً من أثر ضربه ثلاثاً أو أربعاً أو خَمْساً»[٨]. وقيل: لما[٩] مات هارون في التيه ادَّعوا على موسى أنه قتله فأمر الله الملائكة حتى مروا به على بني إسرائيل فعرفوا أنه لم يقتله ولم يروا ببدنه جرحاً، وقال أبو العالية: إن قارون استأجر امرأة لتقذف موسى بنفسها على رأس الملأ فعصمه الله وبرأ موسى وأَهْلَكَ قَارُون[١٠]، ورَوَى أَبُو وَائِلٍ[١١] قال: سمعت

---

(١) المرجع السابق.

(٢) محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت بن شنبوذ أبو الحسن البغدادي شيخ الإقراء بالعراق أخذ عن كثيرين منهم أحمد بن نصر بن وأخذ عنه كثير منهم الحسنُ بن سَعِيد المُطوّعي. مات سنة ٣٢٨ هـ انظر: غاية النهاية ٢/ ٥٢: ٥٦.

(٣) اضطرب في نقل هذه القراءة عنه رحمه الله، ففي المحتسب: «وكَانَ عَبْداً لِلَّهِ وَجِيهاً» وفي المختصر لابن خالويه «وكان عَبْدُ اللَّه وَجِيهاً» ونسبت للأعمش وأبي حيوة. قال ابن خالويه وقيل: لابن مسعود وما في البحر والقرطبي والكشاف يوافق ما في المختصر انظر: البحر ٧/ ٣٥٣ والجامع ١٤/ ٢٥٢ والكشاف ٣/ ٢٧٦ وانظر شواذ القرآن ١٩٦ «وكَانَ عَبْداً للَّهِ» موافقة لابن جني في المحتسب وقد ذكر الإتحاف تلك القراءة رغم أنها شاذة فقال: وعن المطوعي «وكان عَبْداً للَّهِ» بفتح العين فباء موحدة مع تنوين الدال منصوبة من العبودية لله بالجر ووجيهاً صفة «عبداً» الإتحاف ٣٥٦.

(٤) الدر المصون ٤/ ٤٠٦. (٥) السابق.

(٦) قال ابن منظور في اللسان «و ج هـ»: «وَرجُلٌ وَجيهٌ ذُو وَجَاهَةٍ، وقد وجُه الرجل ـ بالضم ـ صَارَ وَجيهاً أي ذا جاه وقدر وانظر أيضاً القرطبي ١٤/ ٢٥٢.

(٧) انظر هذه الأقوال في زاد المسير لابن الجوزي ١٦/ ٤٢٦ ومعالم التنزيل ٥/ ٢٧٨.

(٨) الحديث أورده البخاري في صحيحه تفسير سورة ٣٣ و ١١١. انْظُره في البخاري ٣/ ١٧٨ وانظر: مسند الإمام أحمد ٢/ ٥١٥ وتفسير البغوي ٥/ ٢٧٨.

(٩) المرجع الأخير السابق. (١٠) وانظر أيضاً الخازن ٥/ ٢٧٨.

(١١) هو شقيق بن سلمة الأسدي أبو وائل الكوفي أحد سادة التابعين مُخَضْرَم عن أبي بكرة وعمر، وعثمان=

عبد الله قال: قسم النبي ـ ﷺ ـ قَسْماً فقال رجل إن هذه القسمة ما أريد بها وجه الله فأتيت النبي ـ ﷺ ـ فأخبرته فغضب حتى رأيت الغضب في وجهه ثم قال «يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى أَوذِيَ بأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ».

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الذِّينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً﴾. قال ابن عباس: صواباً، وقال قتادة عدلاً، وقال الحسن: صِدْقاً، وقيل: مستقيماً، وقال عكرمة: هو قول لا إله إلا الله[1] «يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ»، قال ابن عباس: يتقبل حسناتكم، وقال مقاتل: يزكي أعمالكم[2] «وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً»؛ لأن النجاة من العذاب تعظيم بعظم العذاب فإن من أراد أن يضرب عبده سوطاً ثم نجا منه لا يقال: فاز فوزاً عظيماً، ويحتمل أنه أراد بالفوز العظيم الثواب الكبير الدائم الأبديّ[3].

قوله: «إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ والأَرْضِ والجِبَالِ» وهذا إما حقيقة وإما تمثيل وتخييل. وأراد بالأمانة الطاعة والفرائض التي فرضها الله على عباده عرضها على السموات والأرض والجبال على أنهم إن أدوها أثابهم وإن ضَيَّعُوهَا عذبهم، قاله ابن عباس[4]. وقال ابن مسعود: الأمانة أداءُ الصَّلَوَاتِ وإيتاءُ الزكاة وصَوْمُ رَمَضَانَ وحَجُّ البيت وصدقُ الحديث وقضاءُ الدَّيْنِ والعدلُ في المِكيال والميزانِ وأشدُّ من هذا كلِّه الودائعُ[5]. وقال مجاهد: الأمانة[6] الفرائض وحدود الدين. وقال أبو العالية: ما أُمِرُوا به ونهوا عنه[7]، وقال زيد بن أسلم: هي الصوم والغسل من الجنابة وما يخفى من الشرائع[8]. وقال عبد الله بن عمرو بن العاص: أول ما خلق الله من الإنسان فرجه وقال: هذه أمانة اسْتَوْدَعْتُكَها فالفرج أمانة والأذنُ أمانة والعينُ أمانة واليدُ أمانة والرِّجْلُ أمانة ولا إيمان لمن لا أمانة لَهُ، وقيل: هي أمانات الناس والوفاء بالعهود فحق كل مؤمن أن لا يغشَّ مؤمناً ولا معاهداً في شيء قليلٍ ولا كثير. وهذه رواية الضَّحاك عن ابن عباس وجماعة من التابعين[9]، وأكثر السلف أنَّ الله عرض هذه الأمانة على السمواتِ والأرض

= وعنه الشعبيّ وعمرو بن مرة وغيرهما مات في خلافة عمر بن العزيز وانظر الخلاصة ١٦٧ وانظر: تفسير الخازن والبغوي ٥/ ٢٧٨.

(١) أورد هذه الأقوال المرجعان السابقان والقرطبيُّ ١٤/ ٢٥٣ وزاد المسير ٦/ ٤٢٧ وغريب القرآن لابن قتيبة فسره بالقصد تفسيره ٣٥٢.

(٢) قاله ابن الجوزي في الزاد ٦/ ٤٢٧ والبغوي في معالم التنزيل ٥/ ٢٧٩.

(٣) هذا قول الفخر الرازي في تفسيره ٢٥/ ٢٣٤.

(٤) وهي رواية ابن أبي طلحة عنه المرجعان السابقان.

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٤/ ٢٥٤.

(٦) البغوي ٥/ ٢٧٩.

(٧) السابق والخازن ٥/ ٢٧٩ وهذا رأي أبي الدرداء السابقان والقرطبي ١٤/ ٢٥٤.

(٨) المراجع السابقة.

(٩) البغوي والخازن ٥/ ٢٧٩.

والجبال فقال لهن: أَتَحمِلْنَ هذِه الأَمَانَةَ بما فيها؟ قُلْنَ: وما فيها؟ قال: إن أَحْسَنْتُنَّ جُوزيتُنَّ وإنْ عَصَيْتُنَّ عُوقِبْتُنَّ فقلن: لا يا رب نحن مسخّرات لأمرك لا نريد ثواباً ولا عقاباً[١] وقُلْنَ ذَلِكَ خَوْفاً وخشية وتعظيماً لله خوفاً أن لا يقوموا بها لا معصية ومخالفة وكان العرض عليهن تخييراً لا إلزاماً ولو ألزمهن لم يمتَنِعْنَ من حملها، والجمادات فيها خاشعة لله ـ عز وجل ـ ساجدة له كما قال تعالى للسموات والأرض: ﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١] وقال في الحجارة: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤]، وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ . . .﴾ [الحج: ١٨] الآية. وقال بعضهم: ركَّب الله (عز وجل)[٢] فيهن العقل والفهم حين عرض الأمانة عليهن حتى عقلْنَ الخطاب وأجبن بما أجبن. وقيل: المراد من العرض على السموات والأرض هو العرض على أهل السموات عرضها على من فيها من الملائكة وقيل: المراد المقابلة أي قابلنا الأمانة مع السموات فرجحت الأمانةُ وهي الدين والأول أصح[٣]، وهو قول أكثر العلماء.

قوله: «فأبين» أتى بضمير هذه كضمير الإناث لأن جمع التكسير غير العاقل يجوز فيه ذلك وإن كان مذكراً وإنما ذكرنا ذلك لئلا يتوهم أنه قد غلب المؤنث ـ وهو السموات ـ على المذكر وهو الجبال[٤]. واعلم أنه لم يكن إباؤهن كإباء إبليس في قوله تعالى: ﴿أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٣١]؛ لأن السجود هناك كان فرضاً وههنا الأمانة كانت عرضاً والإباء هناك كان استكباراً وههنا استصغاراً لقوله تعالى: «وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا»[٥] أي خفن من الأمانة أن لا يؤدينها فيلحقهن العقاب «وحَمَلَهَا الإِنْسَانُ» يعني آدم عليه السلام فقال يا آدم: إني عرضت الأمانة على أهل السموات والأرض والجبال فلم تُطِقْهَا فهل أنت آخذها بما فيها؟ فقال يا رب: وما فيها؟ قال: إن أَحْسَنْتَ جُوزيت وإنْ أَسَأْتَ عوقبتَ فتحملها آدم عليه السلام. فقال الله تعالى أما إذْ تحمّلتها فسأعينك أَجْعَلُ لبصرك حجاباً فإذا خشيت فاغلق وأَجْعَلُ لفرجك ستراً فإذا خشيت فلا تكشفه على ما حرمت[٦] عليك قال مجاهد[٧]: فما كان بين أن تحملها وبين أن أخرج من الجنة إلا مقدارَ ما بين الظهر إلى العصر «إنّه كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً» قال ابن عباس: ظلوماً لنفسه جهولاً بأمر الله وما احتمل من الأمانة[٨] وقال مقاتل: ظلوماً لنفسه جهولاً بعاقبة ما تحمل[٩]. وذكر الزجاج[١٠] وغيره من أهل المعاني في قوله: «وَحَمَلَهَا الإِنْسَان» قولاً، فقالوا: إن الله

---

(١) وهي رواية مَعْمَر عن الحسن البَصْري رحمه الله، انظر القرطبي ١٤/ ٢٥٤.
(٢) سقط من «ب».
(٣) قاله الخازن والبغوي ٥/ ٢٧٩ و ٢٨٠.
(٤) قاله السمين في الدر ٤/ ٤٠٦.
(٥) قاله الرازي ٢٥/ ٢٣٥.
(٦) معالم التنزيل والخازن ٥/ ٢٨٠.
(٧) السابقان.
(٨) زاد المسير ٦/ ٤٢٩.
(٩) البغوي ٥/ ٢٨٠.
(١٠) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٣٨.

ائْتَمَنَ آدم وأولاده على شيء وائتمن أهل السماوات والأرض والجبال على شيء فالأمانة في حق بني آدم ما ذكرنا من الطاعة والقيام بالفرائض والأمانة في حق السموات والأرض هي الخضوع والطاعة لما خلقهم له، «فَأَبَيْنَ أنْ يحملنها» أي أدين الأمانة يقال فلان لم يتحمل الأمانة أي يخون فيها «وَحَمَلَهَا الإنسَانُ» أي خان فيها، ويقال: فلان حمل الأمانة أي أثم فيها بالخيانة قال تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾، «إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً» حكي عن الحسن على هذا التأويل أنه قال: «وحملها الإنسان» يعني الكافر والمنافق حمل الأمانة أي خان، والأول قول السلف[١].

قوله: «لِيُعَذِّبَ» متعلق بقوله: «وحَمَلَهَا» فقيل: هي لام الصيرورة لأنه لم يحملها لذلك[٢]، وقيل: لام العلة على المجاز لما كانت نتيجة حمله ذلك جعلت كالعلة[٣] الباعثة.

فصل

قال مقاتل: لِيُعَذِّبَ اللَّهُ المُنَافِقِينَ وَالمُنَافِقَاتِ والمُشْرِكِينَ والمُشْرِكَاتِ بما خانوا الأمانة ونقضوا الميثاق[٤]. ثم قال: «وَيَتوب اللَّهُ عَلَى المُؤْمِنِين والمُؤمِنَاتِ»، قرأ الأعمش برفع «ويتوب»[٥] على الاستئناف أي يهديهم ويرحمهم بما أدوا من الأمانة، وقال ابن قتيبة[٦] عرضنا الأمانة ليظهر نفاقُ المنافق وشرك المشرك فيعذبهما الله ويظهر إيمان المؤمن فيتوب الله عليه أي يعود عليه بالرحمة والمغفرة إن حصل منه تقصير[٧] في الطاعات. وعطف المشرك على المنافق ولم يُعِدْ اسمه تعالى فلم يقل: «ويُعَذِّبَ اللَّهُ المُشْرِكين» وعند التوبة أعاد اسمه وقال: «ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات» ولو قال: يتوب على المؤمنين والمؤمنات كان المعنى حاصلاً ولكنه أراد تفضيل المؤمن على

---

(١) ذكره البغوي في معالم التنزيل ٥/ ٢٨٠ و ٢٨١.

(٢) هذا يشبه قول أبي حيان في البحر المحيط ٧/ ٢٥٤: «لأنه لم يحملها لأن يعذب لكنه حملها فآل الأمر إلى أن يعذب من نافق وأشرك ويتوب على من آمن». وانظر تفسير السمين ٤/ ٤٠٦. وهذه اللام هي التي نسميها لام العاقبة كقوله تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وحَزَنًا﴾.

(٣) وهو قول الزمخشري في الكشاف ٣/ ٢٧٧ قال: واللام في ليعذب لام التعليل على طريق المجاز لأن التعذيب نتيجة حمل الأمانة كما أن التأديب في «ضربته للتأديب» نتيجة الضرب واللام متعلقة بـ «حَمَلَ» أو بـ «عرَضْنَا».

(٤) ذكره البغوي في معالم التنزيل ٥/ ٢٨١.

(٥) هذه قراءة من الأربع فوق العشرة المتواترة انظر: الإتحاف ٣٥٦ والقرطبي ١٤/ ٢٥٨ وقد نسبها للحسن. والكشاف ٣/ ٢٧٧ والبحر ٧/ ٢٥٤ ومختصر ابن خالويه ١١١.

(٦) هو: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري النحويّ اللغوي الكاتب كان رأساً في العربية واللغة والأخبار ثقة ديناً فاضلاً أخذ عن أبي إسحاق بن راهويه وأبي حاتم وعنه ابنه القاضي أحمد وابن دَرَسْتَويْهِ من مصنفاته: إعراب القرآن، معاني القرآن، غريب القرآن مات سنة ٣٦٧ انظر: بغية الوعاة ٢/ ٦٣.

(٧) انظر: غريب القرآن له ٣٥٢ وتأويل مشكل القرآن أيضاً له ٢٣٨.

المنافق فجعله كالكلام المستأنف ويجب هناك ذكر الفاعل فقال «ويتوب الله»[١] ثم قال: «وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً» لما ذكر في الإنسان وصفين الظلوم والجهول ذكر من أوصافه وصفين فقال «وكان الله غفوراً رحيماً» أي كان غفوراً للظالم رحيماً على الجهول.

روى الثَّعْلَبِيُّ عن أبي أُمَامَةَ عن أبيِّ بن كعب قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الأَحْزَاب وَعَلَّمَهَا أَهْلَهُ وَمَا مَلَكَتْ يمِينُه أُعْطِيَ الأَمَانَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ»[٢].

تمّ الجزء الخامس عشر، ويليه الجزء السّادس عشر

وأوّله: تفسير سورة سبأ

---

(١) قاله الفخر الرازي في تفسيره ٢٥/ ٢٣٧.

(٢) الحديث ذكر بدون سند في كل من الكشاف ومجمع البيان الكشاف ٣/ ٢٧٨ ومجمع البيان للطبرسي ٨/ ٥٢٤ وضعفه صاحب السراج المنير في تفسيره ٣/ ٢٧٧.

فهرس محتويات
الجزء الخامس عشر
من
اللباب

فهرس المحتويات

سورة الشعراء

سورة النمل

سورة القصص

سورة العنكبوت

سورة الروم

سورة لقمان

سورة السجدة

سورة الأحزاب